المجلد الاول من المواعظ والاعتبار
في ذكر الخطط والاثار للمقريزي [illegible]

فعلتم

صطط اول ک

ادعا مبارك تقول يا من شأنه الكفاية وسرادقه الرعاية يا من هو الغاية والنهاية
يا من لا يعتني بأحد من خلقه في نعمته العناية يا من أمر لا يستحي ومن السهو آمنا فانما
املى او اخاف وعليك معولي متكل الطالب والمكل المهرب فغطني بسترك الذي من لجا اليه
امن ومن استند الكفاية سلم شئت الامر على حول الله وقوته واخرست الالسن عني
بعزة الله ومشيته وذل كل ذي بطش لبطش الله ان يبطش وهلك الشديد يا شافي اشفني
يا كافي اكفني يا معافي عافني بك استجرت وعليك توكلت اغلب من كادني واراد لي من اراد بي
يا غالبا غير مغلوب طمست الاعين واخرست الالسن وخمدت سطوة الاشرار ع
لعظمة الملك الجبار وفيه اسم الله الاعظم الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي
محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتعلم وانا الفقير احمد شيخ زاده
المفتش باوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

شمل القحط في بلاد الغرب في بعض السنين واحتبس المطر فتوسل الشيخ ابا مدين رحمه الله ليستسقي فخرج وتوسل

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا ... ارحم عبيدا اكف الفقر قد بسطوا

واستنزلوا جودك المعهود فاسقهم ... ريا يريهم رضى ما شانه سخط

وعامل الكل بالفضل الذي الفوا ... يا عادلا لا يرى في حكمه شطط

ان البهايم اضحى الجدب يرتعها ... والطير اسبح للحصبا يلتقط

والارض من حلل الازهار عاطلة ... وكان للعز في حافاتها بسط

وانت اكرم مسؤول تمد له ... ايدي العفاه وان جاروا وان قسطوا

فلم يزل يرددها حتى جاءت السما وتوالي الغيث ودام متعهدا حتى كانت تلك السنة المجدبة اخصب عام

فصل ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فان قيل نومه مسا ولنومنا في انطباق الجفن وعدم السماع حتى انه نام عن الصلاه فما ايقظه الاحر الشمس في الوقت قال ابن عقيل الحنبلي النوم يتضمن امرين احدهما راحة الجسد وهو الذي يشاركنا فيه والثاني غفلة القلب وقلبه كان مستيقظا سليما من الاحلام الرديه متلقيا للوحي في المنام متفكرا في المصالح على ما يكون عليه المتنبه فما تعطل قلبه بالنوم عما وضع عليه وقد كان يغشى عليه عند نزول الوحي ويستطوح وهي حاله لو اصابت بعضنا منه انتقض وضوه وهو كان في تلك الحال حافظا محفوظا من غلبات الطبع واستر خا مخارج الحدث فهو غايب عنا حفيظ لحاله والله تعالى يسهل له حالتنا فيها واما نومه حتى طلعت الشمس فله وجهان احدهما انه اريد بذلك ان يشرع ما يتعبد به فهو كاعدامه الما حتى تيمم والثاني ان يكون ذلك جرى لاتكاف علوم تخصه من المعارف عطلته عن القيام بحقوق الظواهر لاشتغال الباطن بادب التلقي كما قال من ملكه ذكر محبوبه

فوالله ما ادري اذا ما ذكرتها ... اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

وهذا انسيان القلوب تخلوا عما الاركان فانتهى ملخصه كلام ابن عبد البر في التمهيد لمن نومه عليه السلام عن الصلاه وعلى قوله ينام عيني والينام قلبي

الجزء الاول من كتاب
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار

تاليف الشيخ الامام العالم العلامه احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابرهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد ابن ابي الحسن بن عبد الصمد بن تميم المعروف والده بابن المقريزي الشافعي غفر الله له ولوالديه

جميع الكتب يدرك من قراها ... فتور او ملال او سآمه

سوى هذا الكتاب فان فيه ... بدايع ما تدل الى القيامه

تحل لناظر منها كانما ... لخد مليحة يرمي بشامه

اخبرني الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد الغرياني ادام الله النفع به قال اخبرني ابي انه شاهد قبرا احتفر في مدينة قرطاجنه من ارض افريقيه فوجد فيه جثه رجل قد عظم راسه خاصه كثور من عظمه ووجد معه لوح فيه مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحروفه متقطعه ما نصه

انا كوش بن كنعان من الملوك من عاد ملكت بهذه الارض الف مدينه وبنيت بها على الف بكر وركبت من الخيل العتاق سبعه الاف احمر واصفر واشهب وبعد ذلك ثم لم يغن عني ذلك شيا وجاني صايح فصاح في صيحة اخرجتني من الدنيا فمن كان عاقلا ممن جا بعدي فليعتبر بي وانشد

يا واقفا بسم ربع قد دهى قف واعتبر اين اهل الذي بالامس كانوا فيها واليوم مرتهنها

بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا وانت اذا شئت جعلت الحزن سهلا . الحمد لله الذى عرف وفهم وعلم الانسان ما لم يكن يعلم واسبغ على عباده نعما باطنة وظاهره ووالى عليهم من مزيد الآية مننا متظاهرة متواتره وبثهم فى ارضه حينا يتقلبون واستخلفهم فى ماله فهم به يتنعمون وهدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم وشوقهم للتبحر فى مسارح التدبر والركض فى ميادين الفهوم وارشد قوما الى الانقطاع من دون الخلق اليه ووفقهم للاعتماد فى كل امر عليه وصدف اخرين عن كل مكرمة وفضيله وقيض لهم قرنا قادوهم الى كل ذميمه من الاخلاق ورذيله وطبع على قلوب اخرين فلا يكادون يفقهون قولا وثبطهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة ولا حولا ثم حكم على الكل بالفنا ونقلهم جميعا من دار التمحيص والابتلا الى برزخ البيود والبلا وسيحشرهم جميعا الى دار الجزا ليوفى كل عامل منهم عمله ويساله عما اعطاه وخوله وعن موقفه بين يديه سبحانه وما اعدله لا يسال عما يفعل وهم يسالون احمده سبحانه حمد من علم انه اله لا يعبد الا اياه ولا خالق للخلق سواه حمدا استمطر به مزيد النعما واتوقى به المزيد من الالا وصلى الله على محمد عبده ورسوله ونبيه وخليله سيد البشر وافضل من مضى وغبر الجامع لمحاسن الاخلاق والسير والمستحق لاسم الكمال على الاطلاق من البشر الذى كان نبيا وادم بين الما والطين ورقم اسمه من الازل فى عليين ثم تنقل من الاصلاب الفاضلة الزكية الى الارحام الطاهرة المرضية حتى ابتعثه الله عز وجل الى الخلايق اجمعين وختم به الانبيا والمرسلين واعطاه ما لم يعط من الفضل احدا من العالمين وعلى اله وصحابته والتابعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين . وبعد فان علم التاريخ من اجل العلوم قدرا واشرفها عند العقلا مكانه وخطرا لما يحويه من المواعظ والانذار بالرحيل الى الاخرة عن هذه الدار والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتدى بها واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها اولوا النهى لا جرم ان كانت الانفس الفاضلة به وامقه والهمم العاليه اليه مايله وله عاشقه . وقد صنف الايمة فيه كثيرا وضمن الجلة كتبهم منه شيا كبيرا وكانت مصر هى مسقط راسى وملعب اترابى ومجمع ناسى ومغنى عشيرتى وحامتى وموطن خاصتى وعامتى وجوجوى الذى ربى جناحى فى وكره وعش ماربى فلا تهوى النفس غير ذكره لا زلت مذ شدوت العلم واتانى ربى الفطانه والفهم ارغب فى معرفة اخبارها واحب الاشراف على الكثير من اثارها واهوى مسايله الركبان عن سكان ديارها فقيدت بخطى فى الاعوام الكثيره من ذلك فوايد قل ما يجمعها كتاب او يحويها لعزتها وغرابتها اهاب . الا انها ليست بمرتبه على مثال ولا مهذبه بطريقه ولا منوال فاردت ان الخص منها انبا ما بديار مصر من الاثار الباقيه عن الامم الماضيه والقرون الخاليه وما بقى بفسطاط مصر من معاهد غيرها البلى والقدم ولم يبق الا ان يمحو رسمها الفنا والعدم واذكر ما بمدينة القاهرة من اثار القصور الزاهره وما اشتملت عليه من الخطط

والاصقاع

والاصقاع وحوته من المبانى البديعة الاوضاع مع التعريف بحال من اسس ذلك من اعيان الاماثل والتنبيه لتنويه بذكر الذى شادها من سراة الاعاظم والافاضل وانثر خلال ذلك نكتا لطيفة وحكما بديعة شريفه من غير اطالة ولا اكثار ولا اجحاف مخل بالغرض ولا اختصار بل وسط بين الطرفين وطريق بين بين فلهذا سميته كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والاثار وانى لارجو ان يحظى ان شا الله عند الملوك ولا ينبوا عنه طباع العامى الصعلوك ويجله العالم المنتهى ويعجب به الطالب المبتدى وترضاه خلايق العابد الناسك ولا يمجه سمع الخليع الفاتك ويتخذه اهل الرفاهة والبطالة سمرا ويعده اولوا الراى والتدبير موعظة وعبرا يستدلون به على عظيم قدرة الله جل جلاله فى تبديل الابدال ويعرفون به عجايب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال فان كنت احسنت فيما جمعت واصبت فى الذى صنعت ووضعت فذلك من عظيم منن الله عز وجل وجزيل فضله وعظيم انعمه على وجليل طوله وان انا اسات فيما فعلت واخطات اذ صنعت فما اجدر الانسان بالاساة والعيوب ان لم يعصمه او يحفظه علام الغيوب . وما ابرى نفسى انى بشر . اسهو واخطى ما لم تحمنى قدر . ولا ترى عذرا اولى بذى زلل من ان يقول مقرا انى بشر . فليسبل الناظر فى هذا التاليف على مولفه ذيل ستره ان مرت به هفوه . وليغض تجاوزا وصفحا ان وقف منه على زلة او نبوة فاى جواد وان عتق ما يكبو واى عضب مهند لا يكل ولا ينبو لا سيما والخاطر بالافكار مشغول . والعزم لتوالى الامور وتعسرها فاتر محلول . والذهن من خطوب هذا الزمن المطبق كليل . والقلب لتوالى المحن وتواتر الاحن عليل . اللهم غفرا ما هذا من التبرم بالقضا ولا التضجر بالمقدور بل انه سقيم ونفثة مصدور ورسيس وجد ابداه التوجع والالم ووجد خف من ثقله اذا باح بالشكوى والحنين ولو نظروا بين الجوانح والحشى راوا من كتاب الحب فى كبدى ولو جربوا ما قد لقيت من الهوى اذا عذرونى او جعلت لهم عذرا . والله اسال ان يحلى هذا الكتاب بالقبول عند الجلة والعلما كما اعوذ به من تطرق ايدى الحساد اليه والجهلا وان يهدينى فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال الى سوا السبيل انه حسبى ونعم الوكيل وفيه جلت قدرته لى سلو من كل حادث وعليه عز وجل اتوكل فى جميع الحوادث لا اله الا هو

ذكر الرووس الثمانية

اعلم ان عادة القدما من المعلمين قد جرت ان ياتوا بالرووس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب وهى الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن اى صناعة هو وكم فيه من الاجزا واى انحا التعاليم المستعملة فيه فنقول اما الغرض فى هذا التاليف فلانه جمع ما تفرق من اخبار ارض مصر واحوال سكانها كى يلتيم من مجموعها معرفة جل اخبار اقليم مصر وهى التى اذا حصلت فى ذهن انسان اقتدر على ان يخبر فى كل وقت بما كان فى ارض مصر من الاثار الباقية والبايدة ويقص احوال من ابتداها ومن حلها وكيف كانت

[illegible]

مصاير امورهم وما يتصل بذلك على طريق الاتباع لها بحسب ما يحصل منه الفايده الكليه بذكر
الاثار واما عنوان هذا الكتاب اعني الذي وسمته به فانى لما تخصصت عن اخبار مصر وجدتها
مختلطة متفرقة فلم يتهيا لى اذ اجمعتها ان اجعل وضعها مرتبا على السنين لعدم ضبط وقت كل
حادثة لا سيما فى الاعصار الخالية ولا ان اضعها على اسما الناس لعلل اخر تظهر عند تصفح هذا
التاليف فلهذا افرقتها فى ذكر الخطط والاثار فاحتوى كل فصل منه على ما يلايمه ويشاكله وصار
لهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من اخبار مصر ولم احاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه
بطريقة يستحسنها الاريب ولا يستهجنها الفطن الاديب كى يستغنى مطالع كل فصل منه بما فيه
عما فى غيره من الفصول فلذلك سميته كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار واما
منفعة هذا الكتاب فان الامر فيها يتبين من الغرض فى وضعه ومن عنوانه اعني ان منفعته هى
ان يشرف المرء فى زمن قصير على ما كان فى ارض مصر من الحوادث والتغيرات فى الازمنة المتطاولة
والاعوام الكثيرة فيتهذب بتدبر ذلك نفسه ويرتاض اخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر
ويجتنبه ويعرف فنا الدنيا فيحظى بالعزوف عنها والاقبال على ما يبقى واما مرتبة هذا الكتاب
فانه من جملة احد قسمى العلم اللذين هما العقلى والنقلى فينبغى ان يتفرغ لمطالعته وتدبر مواعظه
بعد اتقان ما يجب معرفته من العلوم النقليه والعلوم العقليه فانه يحصل بتدبره لمن ازال
الله اكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار اليه ابنا جنسه بعد التخول فى الاموال والجنود
من الفنا والبيود فاذا مرتبته بعد معرفة اقسام العلوم النقليه والعقليه ليعرف منه كيف كان
عاقبة الذين كانوا من قبل واما واضع هذا الكتاب ومرتبه فاسمه احمد بن على بن عبد القادر بن محمد
ويعرف بابن المقريزى ولد بالقاهرة المعزيه من ديار مصر بعد سنة ستين وسبعماية من سنى الهجرة المحمدية
ورتبته من العلم ما يدل عليه هذا الكتاب وغيره مما جمعه والفه واما من اى علم هذا الكتاب
فانه من علم الاخبار وبها عرفت شرايع الله التى شرعها وحفظت سنن انبيا الله ورسله ودون
هديهم الذى يقتدى به من وفقه الله الى عبادته وهداه الى طاعته وحفظه من مخالفته
وبها نقلت اخبار من مضى من الملوك والفراعنة وكيف حل بهم سخط الله لما اتوا ما نهوا عنه وبها
وبها اقتدر الخليقة من ابنا البشر على معرفة ما دونوه من العلوم والصنايع وتاتى لهم علم ما
غاب عنهم من الاقطار الشاسعة والامصار النايية وغير ذلك مما لا ينكر فضله ولكل امة من
امم العرب والعجم على تباين ارايهم واختلاف عقايدهم اخبار معروفة عندهم مشهورة ذايعة
بينهم ولكل مصر من امصار المعمورة حوادث قد مرت به يعرف فيها علما ذلك المصر فى كل عصر ولو
استقصيت ما صنف علما العرب والعجم فى ذلك لتجاوز حد الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره
واما اجزا هذا الكتاب فانها سبعة اولها يشتمل على جمل اخبار ارض مصر واحوال نيلها وخراجها
وجبالها وثانيها يشتمل على كثير من مدنها واجناس اهليها وثالثها يشتمل على اخبار فسطاط مصر

ومن ملكها ورابعها يشتمل على اخبار القاهرة وخلفايها وما كان لهم من الاثار وخامسها يشتمل
على ذكر ما ادركت عليه القاهرة وظواهرها من الاحوال وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل
وملوكها وسابعها يشتمل على ذكر الاسباب التى نشا عنها خراب اقليم مصر وقد تضمن كل جزء من
هذه الاجزا السبعة عدة اقسام واما اى انحا التعاليم قصدت فى هذا الكتاب فانى سلكت
فيه ثلاثة انحا وهى النقل من الكتب المصنفه فى العلوم والرواية عمن ادركت من شيخة العلم
وجلة الناس والمشاهدة لما عاينته ورايته فاما النقل من دواوين العلما التى صنفوها فى انواع
العلوم فانى اعزو كل نقل الى الكتاب الذى نقلته منه [illegible] ... وقد اشتمل علينا المعاصر لقلة اشرافه على العلوم
وقصور باعه فى معرفة مقالات الناس بالانكار على ما لا يعرفه ولو انصف لعلم ان العجز
من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذى يقطع عليه ولا يحتاج فى الشريعة اليه
وحسب العالم ان يعلم ما قيل فى ذلك ويقف عليه واما الرواية عمن ادركت من المشايخ والجلة
فانى فى الاكثر والغالب اصرح باسم من حدثنى الا ان لا يحتاج الى تعيينه او اكون قد انسيته وقل
ما يتفق مثل ذلك واما ما شاهدته فانى ارجو ان اكون ولله الحمد غير متهم ولا ظنين وقد
قلت فى هذه الرووس الثمانية ما فيه مقنع وكفايه ولم يبق الا ان اشرع فيما قصدت وعزمى ان اجعل
الكلام فى كل خط من الاخطاط وفى كل اثر من الاثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من
الاخبار اجمع واكثر فايدة واسهل تناولا والله يهدى من يشا الى صراط مستقيم **فصل** اول
من رتب خطط مصر وذكر اسبابها فى ديوان جمعه ابو عمر محمد بن يوسف الكندى ثم كتب بعده
القاضى ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى كتابه المنعوت بالمختار فى معرفة الخطط والاثار
ومات فى سنة اربع وخمسين واربع مايه قبل سنى الشدة فدثر اكثر ما ذكراه ولم يبق الا لمع
وموضع بلقع بما حل بمصر فى سنى الشدة المستنصريه من سنة سبع وخمسين الى سنة اربع وستين
واربع مايه من الغلا والوبا فمات اهلها وخربت ديارها وتغيرت احوالها واستولى الخراب على
عمل فوق من الطرفين لجانب الفسطاط الغربى والشرقى فاما الغربى فمن قنطرة بنى وايل حيث الوراقات
قريبا من باب القنطرة خارج مدينة مصر الى الشرف المعروف اليوم بالرصد وانت مار الى القرافة
الكبرى واما الشرقى فمن طرف بركة الحبش الذى يلى القرافة الى نحو جامع احمد بن طولون ثم دخل
امير الجيوش بدر الجمالى الى مصر وهذه المواضع خاوية على عروشها خالية من ساكنها وانيسها
قد ابادهم الوبا والتباب وشتتهم الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس كانهم اموات
قد اصفرت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلا الاسعار وكثرة الخوف من العسكرية وفساد طوايف
العبيد والملحيه ولم يجد من يزرع الاراضى هذا والطرقات قد انقطعت برا وبحرا الا بالخفارة والكلفة
الكثيره وصارت القاهرة ايضا يبابا داثرة فاباح للناس من العسكرية والملحيه والارمن وكل من
وصلت قدرته الى عمارة ان يعمر ما شا فى القاهرة مما خلا من دور الفسطاط بموت اهلها فاخذ الناس

في هدم المساكن ونحوها بمصر وعمروا بها في القاهرة فكان هذا اول وقت
اختط الناس فيه بالقاهره ثم كان المنه بعد القضاعي على الخطط والتعريف بها
تلميذه ابو عبد الله محمد بن بركات النحوي في تاليف لطيف نبه فيه الافضل ابا
القاسم شاهنشاه ابن امير الجيوش بدر الجمالي على مواضع قد اغتصبت وتملكت
بعد ما كانت احباسا ثم كتب الشريف محمد بن سعد الجواني كتاب النقط لمعجم ما
اشكل من الخطط فنبه فيه على معالم قد جهلت واثار قد دثرت واخر من كتب
في ذلك القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب ايقاظ المتامل
وايقاظ المتغفل في الخطط بين فيه جمل احوال مصر وخططها الى اعوام بضع وعشرين
وسبع مائة فدثر بعده معظم ذلك في وبا سنة تسع واربعين وسبع مائة وفي وبا سنة
احدى وستين ثم في غلا سنة ست وسبعين وسبع مائة وكتب القاضي محيي الدين عبد الله
ابن عبد الظاهر كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهره ففتح فيه
بابا كانت الحاجة داعية له ثم تزايدت العمارة من بعده في الايام الناصرية محمد بن
قلاوون بالقاهرة وظواهرها الى ان كادت تضيق عن اهلها حتى حل بها وبا في سنة
تسع واربعين وسنة احدى وستين ثم غلا سنة ست وسبعين فخربت بها عدة اماكن فلما
كان الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الاقليم
وساورد من ذكر الخطط ما تصل اليه قدرتي ان شا الله تعالى

ذكر طرف من هيئة الافلاك

اعلم انه لما كانت مصر قطعة من الارض تعين قبل التعريف بموقعها
من الارض وتبيين موقع الارض من الفلك ان اذكر طرفا من هيئة الافلاك ثم اذكر صورة
الارض وموقع الاقاليم واذكر حدودها واستقاقها وفضايلها وعجايبها وكنوزها واخلاق
اهلها واذكر نيلها وخلجانها وكورها ومبلغ خراجها وغير ذلك مما يتعلق بها قبل الشروع في
ذكر خطط مصر والقاهره فاقول علم النجوم ثلاثة اقسام الاول معرفة تركيب الافلاك
وكمية الكواكب واقسام البروج وابعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم علم الهيئة والقسم
الثاني علم حل الزيج وعمل التقويم والقسم الثالث معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك
وطوالع البروج على الحوادث قبل كونها ويسمى هذا القسم علم الاحكام والغرض هنا ايراد
نبذ من علم الهيئة تكون توطية لما ياتي ذكره اعلم ان الكواكب اجسام كريات والذي ادركه منها
الحكما بالرصد الف كوكب وتسعة وعشرين كوكبا وهي على قسمين سياره وثابته فالسياره
سبعه وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وقد نظمت في بيت
واحد وهو زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت بعطارد اقماره ويقال لهذه السبعة
الخنس وقيل انها التي عناها الله سبحانه بقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتي

عناها

تستتر

عناها بقوله تعالى فالمدبرات امرا وقيل لها الخنس لانها تجري في البروج ثم تكنس اي
كما يكنس الظبي وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهي ما سوى الشمس والقمر سميت بذلك من
الانخناس وهو الانقباض وفي الحديث الشيطان يوسوس للعبد فاذا ذكر الله خنس اي
انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا في الكواكب بمعنى الرجوع وسميت بالكنس من قولهم
كنس الظبي اذا دخل الكناس وهو مقره فالكنس على هذا في الكواكب بمعنى اختفايها
تحت ضو الشمس ويقال لهذه الكواكب المتحيرة لانها ترجع احيانا عن سمت مسيرها بالحركة
الشرقية وتتبع الغربية في راي العين فيكون هذا الارتداد لها شبه التحير وهذه الاسما
التي لهذه الكواكب يقال انها مشتقة من صفاتها فزحل مشتق من زحل فلان اذا ابطا سمي بذلك
لبطو سيره وقيل الزحل والزحيل الحقد وهو بزعمهم يدل على ذلك ويقال انه المراد في
قوله تعالى والسما والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والمشتري سمي بذلك
لحسنه كانه اشترى الحسن لنفسه وقيل لانه نجم الشرا والبيع ودليل الربح والمال في قولهم
والمريخ ماخوذ من المرخ وهو شجر يحتك بعض اغصانه ببعض فيوري نارا سمي بذلك
لاحمرارة وقيل المريخ سهم لا ريش له اذا رمي به لا يستوي في ممره وكذا المريخ فيه التوا كثير
في سيره ودلالته بزعمهم تشبه ذلك والشمس لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علويه لانهم
من فوقها وثلاثة كواكب سفليه لانهم من تحتها سميت بذلك لان الواسطة التي في المخنقة
تسمى شمسه والزهرة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شي وعطارد هو النافذ في كل
الامور ولذلك يقال له ايضا الكاتب لانه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب
والقمر ماخوذ من القمرة وهي البياض والاقمر الابيض ويقال لزحل كيوان وللمشتري تير والبرجيس
ايضا وللمريخ بهرام وللشمس مهر وللزهرة اناهيد وبيدخت ايضا ولعطارد هرمس
وللقمر ماه وقد جمعت في بيت وهو لا زلت تبقى وترقى للعلا ابدا ما دام للسبعة الافلاك
احكام مهر وماه وكيوان وتير معا وهرمس واناهيد وبهرام ويقال لما عدا
هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السما الكواكب الثابتة سميت بذلك لثباتها في الفلك
بموضع واحد وقيل لبطو حركتها فانها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ست وثلاثين الف سنة
شمسية مرة واحدة ولكل كوكب من الكواكب السبعة السياره فلك من الافلاك يخصه
والافلاك اجسام كريات مشفات بعضها في جوف بعض وهي تسعة اقربها الينا فلك
القمر وبعده فلك عطارد ثم فلك الزهره وبعد فلك الشمس وفوقه فلك المريخ ثم فلك
المشتري وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب يرى في السما سوى السبعة
السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك التاسع ويسمى الاطلس وفلك
الافلاك وفلك الكل وقد اختلف في الافلاك فقيل هي السموات وقيل بل السموات غيرها

ونيل هي كرته وقيل غير ذلك وقيل الفلك الثامن هو الكرسي والفلك التاسع هو
العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دايم الدوران كالدولاب ويدور في كل
اربع وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون ابدا من المشرق الى المغرب ويدير
بدورانه جميع الافلاك الثمانيه وما حوته من الكواكب دورانا حركة سويه لادارة التاسع لها
وعن حركة التاسع المذكورة يكون الليل والنهار فالنهار مدة بقا الشمس فوق افق الارض
والليل مدة غيبوبة الشمس تحت افق الارض وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثنى
عشر قسما بخط البطيخه كل قسم منها يقال له برج وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبله والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وكل
برج من هذه البروج الاثنى عشر مقسوم بثلاثين قسما يقال لكل قسم منها درجة
وكل درجة من هذه الثلثين مقسومه بستين قسما يقال لكل قسم منها دقيقه وكل
دقيقه من هذه الستين مقسومة بستين يقال لكل قسم منها ثانيه وهكذا الى
الثوالث والروابع والخوامس الى الثواني عشر وما فوقها من الاجزا وكل ثلاثة بروج تسمى
فصلا فالزمان على ذلك اربعة فصول وهي الربيع والصيف والخريف والشتا
وجهات الاقطار اربعه الشرق والغرب والشمال والجنوب والاركان اربعه النار
والهوا والما والتراب والطبايع اربع الحراره والبروده والرطوبه واليبوسه والاخلاط ط
اربعه الصفرا والسودا والبلغم والدم والرياح اربع الصبا والدبور والشمال والجنوب
فالبروج منها ثلاثه ربيعيه صاعدة في الشمال زايدة النهار على الليل وهي الحمل والثور
والجوزا وثلاثه صيفيه هابطه في الشمال اخذة الليل من النهار وهي السرطان والاسد
والسنبله وثلاثه خريفيه هابطة في الجنوب زايدة الليل على النهار وهي الميزان والعقرب
والقوس وثلاثه شتويه صاعدة في الجنوب اخذة النهار من الليل وهي الجدى والدلو
والحوت والفلك المحيط كما تقدم داير الدوران كالدولاب يدور ابدا من المشرق الى
المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحتها فيكون دايما نصف الفلك وهو ستة
بروج ماية وثمانين درجة فوق الارض ونصفه الاخر وهو سته بروج بماية وثمانين
درجة تحت الارض وكلما طلعت من افق المشرق درجة من درجات الفلك التي عدتها
ثلثماية وستون درجة غربت نظيرتها في افق الغرب من البرج السابع فلا يزال دايما ستة بروج
طلوعها بالنهار وستة بروج طلوعها بالليل والافق عبارة عن الحد الفاصل من
الارض بين المرئي والخفي من السما والفلك يدور على قطبين شمالي وجنوبي كما يدور الرحى
على قطب المحوطه وتقسم الفلك خط من داير تقسمه نصفين متساويين بعدها من كلي
القطبين سوا وتسمى هذه الدايره دايرة معدل النهار فهي تقاطع فلك البروج ودايرة

فلك

فلك البروج تقاطع دايره معدل النهار ويميل نصفها الى الجانب الشمالي بقدر اربع وعشرين
درجه تقريبا وفي هذا النصف قسمه البروج السته الشماليه وهي من اول الحمل الى اخر
السنبله ويميل نصفها الثاني عنها الى الجنوب بمثل ذلك وفيه تسمة البروج الجنوبيه
وهي من اول برج الميزان الى اخر برج الحوت وموضع مقاطع ما بين الدايرتين اعني دايرة
معدل النهار ودايرة فلك البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين اعني راس الحمل
وراس الميزان ومدار الشمس والقمر وساير النجوم على محازاة دايرة فلك البروج دون
دايرة معدل النهار وتمر الشمس على دايرة معدل النهار عند حلولها بنقطتي الاعتدالين
فقط لانها موضع تقاطع الدايرتين وهذا هو خط الاستوا الذي لا يختلف فيه الزمان
بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلي الجانبين الشمالي
والجنوبي سوا فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثني عشر برجا في مدة ثلثماية وخمسة وستين
يوما وربع يوم بالتقريب وهذه هي مدة السنه الشمسية وتقيم في كل برج ثلثين
يوما وكسرا من يوم ويكون ابدا بالنهار ظاهرا فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك واذا
حلت في البروج السته الشماليه التي هي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبله
فانها تكون مرتفعه في الهوا قريبه من سمت روسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل الصيف
واذا حلت في البروج الجنوبيه وهي الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت
كان فصل الخريف وفصل الشتا وانحطت الشمس وبعدت عن سمت الروس وزعم
وهب بن منبه ان اول ما خلق الله تعالى من الازمنه الاربعه الشتا فجعله باردا رطبا وخلق
الربيع فجعله حارا رطبا وخلق الصيف حارا يابسا وخلق الخريف باردا يابسا واول الفصول
عند اهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عندما تنتقل الشمس من برج الحوت وقد اختلف
القدما في المبدا به من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع وصيره اول السنه ومنهم من
اختار تقدم الانقلاب الصيفي ومنهم من اختار تقدم الاعتدال الخريفي ومنهم من اختار تقدم
الانقلاب الشتوي فاذا حلت اول جزء من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان
وانصرم الشتا وحل الربيع وطاب الهوا وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاوديه
ومدت الانهار فيما عدا مصر ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلالا الزهر
واورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض وتنتجت البهايم ودرت الضروع واخرجت
الارض زخرفها وازينت وصارت كصبيه شابة قد تزينت للناظرين ولله در القايل
وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد اليغموري

واستنشقوا بهوى الربيع فانه ❊ نعم الصديق وعنده الطاف
يغذي الجسوم نسيمه فكانه ❊ روح حوالها جوهر شفاف

النور
وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذى يتبع الشتا ويأتى فيه
والورد ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف فى ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذى
تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتا بعده ثم فصل الصيف بعد الشتا وهو الوقت
الذى تدعوه العامه الربيع ثم فصل القيظ وهو الذى تدعوه العامه الصيف ومن العرب
من يسمى الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمى الفصل الذى يتلوا
الشتا ويأتى فيه الكماة والنور الربيع الثانى وكلهم مجمعون على ان الخريف هو الربيع فاذا حلت
الشمس اخر برج الجوزا واول برج السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وابتدا نقص النهار
وزيادة الليل وانصرف فصل الربيع ودخل فصل الصيف فاشتد الحر وحمى الهوا وهبت السمايم
ونقصت المياه الا بمصر ويبس العشب واستحكم الحب وادرك حصاد الغلاله ونضجت
الثمار وسمنت البهايم واشتدت قوة الابدان ودرت اخلاف النعم وصارت الارض كانها
عروس فاذا بلغت اخر برج السنبله واول برج الميزان تساوى الليل والنهار مرة ثانية
واخذ الليل فى الزيادة والنهار فى النقصان وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف
فبرد الهوا وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الانهار وغارت العيون واصفر ورق
الشجر وصرمت الثمار ودرست البيادر واختزن الحب وفنى العشب واغبر وجه الارض
الا بمصر وهزلت البهايم وماتت الهوام وانجحرت الحشرات وانصرف الطير والوحش الى
البلاد الدافيه واخذ الناس يخزنون القوت للشتا وصارت الدنيا كانها امراة كهلا قد
ادبرت واخذ شبابها يوليا ولله در الامام عز الدين ابى الحسن على بن معقل الازدى
المهلبى الحمصى حيث يقول ٥ لله فصل الخريف المستلذ به ٥ برد الهوا لقد ابدا لنا عجبا ٥ اهدى الى
الارض من اوراقه ذهبا ٥ والارض من شانها ان تهدى الذهبا ٥ وقال ايضا فصل الخريف فصلا
رقت حواشيه فهو رايق ٥ فالماء مثل قلب سال ٥ والدمع يبدو بوجه عاشق ٥ فبرد هذا ولون هذا ٥
يلوح ذايق ورامق ٥ وقال ٥ انى فصل الخريف وكل طيب ٥ وحسن معجب قلبا وعينا ٥ اذا ما
الدوح مصفر اصفرارا ٥ وصار فى الما مبيضا لجينا ٥ واحو كل احا دالسما ٥ وابعم كل انعام علينا ٥
وقال اخر يذم الخريف ٥ خذ فى التدثر فى الخريف فانه ٥ مستوبل ونسيمه خطاف
يجرى مع الاجساد جرى حياتها ٥ كصدنقها ومن الصدوق يخاف ٥ وقال اخر ٥

٥ يا عايبا فصل الخريف وغايبا ٥ عن فضله فى ذمه لزمانه ٥
٥ لا شى الطف منه عندك موقعا ٥ ابدا يعرى الغصن من قمصانه ٥
٥ وتراه يفرش تحته اثوابه ٥ فاعجب لرافته وفرط حنانه ٥
٥ والذ ساعات الوصال اذا دنا ٥ وقت الرحيل وحال حين اوانه ٥

فاذا حلت الشمس اخر برج القوس واول برج الجدى تناهى طول الليل وقصر النهار واخذ

النهار

النهار فى الزيادة والليل فى النقصان وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتا واشتد
البرد وخشن الهوا وتساقط ورق الشجر وماتت اكثر النبات وغارت الحيوانات فى
جوف الارض وضعف قوى الابدان وعرى وجه الارض من الزينه ونشات الغيوم وكثر
الانداوا واظلم الجو وكلح وجه الارض الا بمصر وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كانها
عجوز هرمه قد دنا منها الموت فاذا بلغت اخر برج الحوت واول برج الحمل عاد الزمان كما كان اول
وهذا دابه بتقدير العزيز العليم وتدبير الخبير الحكيم لا اله الا هو وقد شبه بطليموس فصل
الربيع بزمان الطفوليه وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهوله والشتا بالشيخوخه وعن
حركه الشمس وتنقلها فى البروج الاثنى عشر المذكوره يكون ازمان السنه واوقات اليوم من الليل
والنهار وساعاتهما وعن حركه القمر فى البروج الاثنى عشر يكون الشهور القمريه والسنه القمريه
فالقمر يدور البروج الاثنى عشر ويقطع الفلك كله فى مدة ثمانيه وعشرين يوما وبعض يوم ويقيم
فى كل برج يومين وثلث يوم بالتقريب ويقيم فى كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين
منزله يوما وليله فيظهر عند اهلاله من ناحية المغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره
ويمتلى فى ليله الرابع عشر من اهلاله ثم ياخذ من الليله الخامسة عشر فى النقصان فينقص من نوره
فى كل ليله نصف سبع كما بدا الى ان يمحق نوره فى اخر ثمانية وعشرين يوما من اهلاله ويمر فى هذه
المدة منذ يفارق الشمس ويبدو فى ناحية الغرب والى ان يجامعها بثمانية وعشرين منزلة وهى
الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعه والهنعه والذراع والنثره والطرف
والجبهه والزبره والصرفه والعوا والسماك والغفر والزبانا والاكليل والقلب والشوله
والنعايم والبلده وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبيه والفرغ
المقدم والفرغ المؤخر وبطن الحوت ولحساب ذلك كتب موضوعة وفيما ذكر كفاية والله
يعلم وانتم لا تعلمون **ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها** ولما تقدم من
القول فى الافلاك ما تبين به لمن الهمه الله كيف تكون الحركه التى بها الليل والنهار وتركب الشهور
والاعوام منهما جاز حينئذ الكلام فى الارض فاقول الجهات من حيث هى ست الشرق وهو
حيث تطلع الشمس والقمر وساير الكواكب فى كل قطر من الافق والغرب وهو حيث تغرب والشمال
وهو حيث مدار الجدى والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار سهيل والفوق وهو مايلى
السما والتحت وهو مايلى مركز الارض والارض جسم مستدير كالكرة وقيل ليست بكرية الشكل
وهى واقفه فى الهوا بجميع جبالها وبحارها وعامرها وغامرها والهوا محيط بها من جميع جهاتها
كالمح فى جوف البيضه وبعدها من السما متساو من جميع الجهات واسفل الارض ما تحتها هو عمق
باطنها مما يلى مركزها من اى جانب كان واما سطحها الظاهر المماس للهوا من جميع الجهات فانه
فوق والهوا فوق الارض يحيط بها من ساير الجهات وجذبها من جميع الجهات وفوق الهوا الافلاك

المذكورة فيما تقدم واحدا فوق اخر الى الفلك التاسع الذى هو اعلا الافلاك و نهاية المخلوقات
باسرها وقد اخلف فيما وراء ذلك فقيل خلا وقيل ملا وكل موضع يقف فيه الانسان من سطح الارض
فان راسه يكون مما يلى السما الى فوق ورجلاه ابدا تكون اسفل مما يلى مركز الارض وهو دايما
يرى من السما نصفها ويستر عنه النصف الاخر حدبه الارض وكلما اسقل من موضع الى اخر ظهر
له من السما مقدار ما خفى عنه والارض غامرة بالما كعنبه طافيه فوق الما قد انحسر عنها نحو
النصف وانغمر النصف الاخر من الارض وصار المنكشف من الارض بصنفين كانما قسم بخط
مسامت لخط معدل النهار يمر تحت دايرته وجميع البلاد التى على هذا الخط لا عرض لها البته
والقطبان غير مرئيين فيها ويكونان هناك على دايرة الافق من الجانبين وكلما بعد موضع بلد
عن هذا الخط الى ناحيه الشمال قدر درجه ارتفع القطب الشمالى الذى هو الجدى على اهل ذلك
البلد درجه وانخفض القطب الجنوبى الذى هو سهيل درجه وهكذا ما زاد ويكون الامر فيما
بعد من البلاد الواقعه فى ناحية الجنوب كذلك من ارتفاع القطب الجنوبى وانحطاط القطب الشمالى
وبهذا عرف عروض البلدان وصار عرض البلد عبارة عن ميل دايره معدل النهار عن سمت
روس اهله وارتفاع القطب عليهم وهو ايضا بعد ما بين سمت روس اهل ذلك البلد وسمت روس
اهل بلد لا عرض له فاما ما انكشف من الارض مما يلى الجنوب من خط الاستوا فانه خراب والنصف الاخر
الذى يلى الشمال من خط الاستوا فهو الربع العامر وهو المسكون من الارض وخط الاستوا لا وجود له
فى الخارج وانما هو فرض توهمنا انه خط ابتداوه من المشرق الى المغرب تحت مدار راس الحمل وسمى
بذلك من اجل ان الليل والنهار هناك ابدا سوا لا يزيد احدهما على الاخر شى البته فى ساير اوقات
السنة كلها وقطبا هذا الخط ملازمان الافق احدهما على مدار سهيل فى ناحية الجنوب والاخر
مما على الجدى فى ناحية الشمال والعمارة من المشرق الى المغرب مايه وثمانون درجة ومن الجنوب الى
الشمال من خط ارين الى بنات نعش ثمان واربعون درجه وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف
خط ارين مقدار ست عشرة درجة وجملة معمور الارض نحو من سبعين درجه لاعتدال مسير الشمس
فى هذا الوسط ومرورها على ما ورا الحمل والميزان مرتين فى السنة واما الشمال والجنوب فالشمس
لا تحاذيهما الا مرة واحدة ولان اوج الشمس فى جهة الشمال كانت العمارة فيه لارتفاعها وانتفا
ضرر قربها عن ساكنيه ولان حضيضها فى الجنوب عدمت العمارة هنالك وقد اختلف الناس فى
مسافة الارض فقيل مسافتها خمسماية عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من
الارض مايه وعشرون سنه تسعون لياجوج وماجوج واثنى عشر للسودان وثمانيه للروم وثلاثه
للعرب وسبعه لساير الامم وقيل الدنيا سبعة اجزا سته لياجوج وماجوج وواحد لساير الناس
وقيل الارض خمسماية عام البحار ثلثمايه ومايه خراب ومايه عمران وقيل الارض اربعة وعشرون
الف فرسخ للسودان اثنى عشر الف وللروم ثمانية الاف ولفارس ثلاثه الاف وللعرب الف

ربع العمارة فى الارض بعد خط الاستوا اربع وعشرين درجة والباقى تحت البحر الكبير

وعن

وعن وهب بن منبه ما العمارة من الدنيا فى الخراب الا كفسطاط فى الصحرا وقال
ازدشير بن بابك الارض اربعة اجزا جز ومنها للترك وجزو للعرب وجزو للفرس وجزو
للسودان وقيل الاقاليم سبعه والاطراف اربعه والنواحى خمسة واربعون والمداين
عشرة الاف والرساتيق ما سا الف وسته وخمسون الفا وقيل المدن والحصون احد
وعشرون الفا وستمايه مدينه وحصن فى الاقليم الاول ثلاثه الاف ومايه مدينه
وقريه كبيره وفى الثانى الفان وسبع مايه وثلاث عشره مدينه وقريه كبيره وفى الثالث
ثلاثه الاف وتسع وسبعون مدينه وقريه كبيره وفى الرابع وهو بابل الفان وتسع مايه
واربع وسبعون وفى الخامس ثلاثه الاف مدينه وست مدن وفى السادس ثلاثه
الاف واربعمايه وثمان مدن وفى السابع ثلاثه الاف وثلاثمايه مدينه فى الجزاير وقال
الخوارزمى قطر الارض سبعة الاف فرسخ وهو نصف سدس الارض والجبال والفاوز
والبحار والبا فى خراب يباب لا نبات فيه ولا حيوان وقيل المعمور مثل طاير راسه الصين
والجناح الايمن الهند والسند والجناح الايسر الخزر وصدره مكه والعراق والشام
ومصر وذنبه المغرب وقيل قطر الارض سبعة الاف واربعمايه واربعة عشر ميلا ودورها
عشرون الف ميل واربعمايه ميل وذلك جميع ما احاطت به من بر وبحر وقال ابو زيد احمد بن
سهل البلخى طول الارض من اقصى المشرق الى اقصى المغرب نحو اربعمايه مرحله وعرضها من حيث
العمران الذى من جهه الشمال وهو مساكن ياجوج وماجوج الى حيث العمران الذى من جهة
الجنوب وهو مساكن السودان مايتان وعشرون مرحله وما بين برارى ياجوج وماجوج
الى البحر المحيط فى الشمال وما بين برارى السودان والبحر المحيط من الجنوب خراب ليس فيه عمارة
ويقال ان مسافة ذلك خمسة الاف فرسخ وهذه اقوال لا دليل على صدقها والطريق فى معرفة
مساحة الارض انا لو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ميل دايرة معدل
النهار عن سمت روسنا الى الجنوب درجه من درج الفلك التى هى جزو من ثلثمايه وستين جزا
وارتفع القطب علينا درجه نظير تلك الدرجه فانا نعلم انا قد قطعنا من محيط جرم الارض جزا
من ثلثمايه وستين جزا وهو نظير ذلك الجزو من الفلك فلو قسنا من ابتدا مسيرنا الى انتها مكاننا
الذى وصلنا اليه حيث ارتفع القطب علينا درجه فانا نجد حصة الدرجة الواحدة من الفلك
قد قطعت من الارض سته وخمسين ميلا وثلثى ميل عنها خمسه وعشرون فرسخا فاذا ضربنا
حصة الدرجه الواحده وهو ما ذكر من الاميال فى ثلثمايه وستين خرج من الضرب عشرون
الفا واربعمايه ميل وذلك مساحة دور الارض فاذا قسمنا هذه الاميال التى هى مساحة
دور الارض على ثلاثه وسبع خرج من القسمه سته الاف واربعمايه واربعون ميلا وهى مساحة
قطر الارض فلو ضربنا هذا القطر فى مبلغ دور الارض لبلغت مساحة بسيط الارض بالتكسير

مايه الف الف واثنان وثلاثون الف الف وستمايه الف ميل بالتقريب فعلى ذلك
مساحة الربع المسكون من الارض بالتكسير ثلاثه وثلاثون الف الف ميل ومائة الف
ميل وخمسون الف ميل وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعد مدار السرطان عن
القطب وهو سته وستون جزوا وسدس جزو وهذا هو سدس الارض وانتهاوه
الى جزيره تولى في برطانيه وهي احد المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلاثه الاف
وسبعمايه واربعه وستون ميلا فاذا اضربنا هذا السدس الذى هو مساحة العرض في
النصف وهو قدر الطول كان المعمور من الشمال قدر نصف سدس الارض واما
الطول فانه يقل لتضايق اقسام كرة الارض ومقدار مثل خمس الدور ومبلغه بالتقريب
اربعة الاف وثمانون ميلا وفي الربع من المسكون من الارض سبعه ابحر كبار في كل بحر منها عدة
جزاير وفيه خمس عشره بحيره منها ملح وعذب وفيه ما يتا جبل طوال وما يتا نهر واربعون نهرا
طوالا وتشتمل على سبعة اقاليم تحتوى على سبع عشره الف مدينه كبيره وقال في كتاب هروشيوس
لما استقامت طاعة يوليش الملقب قيصر الملك في عامة الدنيا تخير اربعة من الفلاسفة سماهم
فامرهم ان ياخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها ارباعها فولى احدهم اخذ
وصف جزء المشرق وولى اخر اخذ وصف جزء المغرب وولى اخر وصف جزء الشمال وولى
الرابع وصف جزء الجنوب فتمت كتابة الجمع على ايديهم في نحو من ثلاثين سنه فكانت جملة البحار
المسماة في الدنيا تسعه وعشرين قد سموها منها الجزو الشرق ثمانيه والجزو الغرب ثمانيه
والجزو الشمال احد عشر والجزو الجنوب اثنان وعدة الجزاير المعروفة الامهات احدى وسبعون
جزيرة منها في الشرق ثمان وفي الغرب ست عشره وفي جهه الشمال احدى وثلاثون وفي جهه
الجنوب ست عشره وعدة الجبال الكبار المعروفه في جميع الدنيا ستة وثلاثون وهي امهات
امهات الجبال وقد سموها فما فروع منها في جهه الشرق سبعه وفي الغرب خمسة عشر وفي الشمال
اثنى عشر وفي الجنوب اثنان والبلدان الكبار ثلاثه وستون منها في المشرق سبعه وفي الغرب
خمسة وعشرون وفي الشمال تسعه عشر وفي الجنوب اثنى عشر وقد سموها والكور الكبار
المعروفه تسع وماية منها في المشرق خمس وفي الغرب ست وستون وفي الشمال ست وفي
الجنوب اثنان وثلثون والانهار الكبار المعروفه في جميع الدنيا سته وخمسون منها الجزو الشرق
سبعه عشر والجزو الجنوب سبعه والاقاليم السبعه كل اقليم منها كانه بساط مفروش قد مد
طوله من المشرق الى المغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب وهذه الاقاليم مختلفه الطول
والعرض فالاقليم الاول منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلث عشره ساعه
والسابع منها يمر بالمواضع التي طول نهارها الاطول ست عشرة ساعة لان ما جاز حد الاقليم
الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة فيه وما جاز الاقليم السابع الى الشمال لا تعرف فيه

ارباعها

حش
وذكر بطلميوس ان مدن الارض
على عهده اربعة الاف وماية
مدينة في كتاب جغرافيا

عمارة فجعل طول جميع الاقاليم السبعة من الشرق الى الغرب مسافه ستى عشره ساعة من
دور الفلك وصارت عروضها تتفاضل بنصف ساعة ~~نصف ساعه~~ من ساعات النهار الاطول
فاطولها واعرضها الاقليم الاول وطوله من الشرق الى الغرب نحو ثلاثه الاف فرسخ وعرضه من
الشمال الى الجنوب مايه وخمسون فرسخا واقصرها طولا وعرضا الاقليم السابع وطوله من الشرق الى
الغرب الف وخمسمايه فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا وبقية الافاق ليس
بحد فيما سوى ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها في الخارج وضعها القدما الذين جالوا
في الارض ليعرفوا على حقيقه حدودها ويتقنوا مواقع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا
حال الربع المسكون واما الثلاثه الارباع الباقيه فانها خراب بجهه الشمال واقعه تحت مدار الجدى
قد افرط هناك البرد وصارت سته اشهر ليلا مستمرا وهي مدة الشتا عندهم لا يعرف فيها
نهار ويظلم الهوا ظلمة شديده وتجمد المياه لقوة البرد فلا يتكون هناك نبات ولا حيوان ويقابل
هذه الجهة الشماليه ناحيه الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة اشهر بغير ليل وهي مدة
الصيف عندهم فيحمى الهوا ويصير سموما محرقا يهلك بشدة حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه
ولا السلوك فيه واما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشدة
ظلماته وناحية الشرق يمنع من سلوكه الجبال الشامخة وصار الناس باجمعهم قد انحصروا في
الربع المسكون من الارض ولا علم لاحد منهم بالثلاثه الارباع الباقيه والارض كلها بجميع ما عليها
من الجبال والبحار نسبتها الى الفلك كنقطه في دائره وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعه بساعات
النهار وذلك ان الشمس اذا حلت براس الحمل تساوى طول النهار والليل في ساير الاقاليم كلها
فاذا انتقلت في درجات برج الحمل والثور والجوزا اختلفت ساعات نهار كل اقليم فاذا
بلغت اخر الجوزا واول برج السرطان بلغ طول النهار في وسط الاقليم الاول ثلاث عشره ساعه
سوا وصارت في وسط الاقليم الثانى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الثالث
اربع عشرة ساعه وفي وسط الاقليم الرابع اربع عشر ساعه ونصف ساعه وفي وسط الاقليم
الخامس خمس عشره ساعه وفي وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف ساعه وفي
وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعه سوا وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجه يصير نهارا
كله ومعنى طول البلد هو بعدها من اقصى العمارة في الارض وعرضها هو بعدها من خط
الاستوا وخط الاستوا كما تقدم هو الموضع الذى يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سوا فكل بلد
على هذا الخط لا عرض له وكل بلد في اقصى الغرب لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق مايه
وثمانون درجه وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه في وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله
اقل من تسعين درجه فانه اقرب الى الغرب وابعد من الشرق وما كان طوله من البلاد اكثر من تسعين
درجة فانه ابعد عن الغرب واقرب من الشرق فالاقليم الاول يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها

الاطول ثلاثه عشره ساعه وبرتفع القطب الشمالي فيها عن الافق ست عشرة درجه وثلثا درجة
وهو العرض وانتها عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلاث عشر ساعة
وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض عشرين درجة ونصف درجة وهو مسافة
اربعمايه واربعين ميلا وابتداوه من اقصى بلاد الصين فيمر فيها الى ما يلي الجنوب ويمر بسواحل
الهند ثم ببلاد السند ويمر على جزيره العرب وارض اليمن ويقطع بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة
ويقطع نيل مصر الى بلاد الحبشه ومدينه دمقله من ارض النوبة ويمر في ارض المغرب على جنوب
بلاد البربر الى البحر المغرب المحيط وفي هذا الاقليم عشرون جبلا فيها ما طوله من عشرين فرسخا
الى الف فرسخ وفيه ثلاثون نهرا طوالا منها ما طوله الف فرسخ الى عشرين فرسخا وفيه خمسون
مدينه كبيره وعامة اهل هذا الاقليم سود الالوان ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس
وله من الكواكب المشترى وهو مع فرط حرارته كثير المياه كثير المروج وزرع اهله الذرة
والارز الا ان الاعتدال عندهم معدوم فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطه والبقر عندهم كثير
لكثره المروج وفي شرقه البحر الخارج وراخط الاستوا ثلاث عشره درجه وفي مغربه النيل
وبحر المغرب ومن هذا الاقليم ياتي نيل مصر ومسريهم معمور بالبحر الشرقي الذي هو بحر الهند
واليمن والاقليم الثاني حيث يكون طول النهار الاطول ثلاث عشرة ساعه ونصف ويرتفع
القطب الشمالي فيه اربعه وعشرين جزوا وعشر جزو وعرضه من حد الاقليم الاول الى حيث يكون
النهار الاطول ثلاث عشره ساعه ونصف وربع ساعه وارتفاع القطب الشمالي سبعه وعشرون
درجة ونصف درجه ومساحة هذا الاقليم اربعمايه ميل ويبتدى من الشرق مارا ببلاد الصين
الى بلاد الهند والسند ثم يلتقي البحر الاخضر وبحر البصرة ويقطع جزيره العرب في ارض نجد وتهامة
فيدخل في هذا الاقليم اليمامه والبحرين وهجر ومكه والمدينه والطائف وارض الحجاز ويقطع بحر
القلزم فيمر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينه قوص واخميم واسنا وانصنا
واسوان ويمر في ارض الغرب على وسط بلاد افريقيه فيمر على بلاد البربر الى البحر في المغرب وفي
هذا الاقليم سبعه عشر جبلا وسبعه عشر نهرا طوالا واربعمايه وخمسين مدينه كبيره والوان
اهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسواد وله من البروج الجدى ومن السياره زحل ويسكن هذا
الاقليم الرحاله في المغرب منهم جداله وصنهاجه ولمتونه ومسوفه ويتصل بهم رحاله مصر من
الواح وفي هذا الاقليم يكون النخل وفيه مكه والمدينه ومدينه السماوه من اهل العراق الى رحاله
الترك والاقليم الثالث وسطه حيث يكون طول النهار الاطول اربع عشرة ساعه وارتفاع
القطب وهو العرض ثلثون درجه ونصف وخمس درجه وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثاني
الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشره ساعه وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض
ثلاث وثلاثون درجه ومسافته ثلثمايه وخمسون ميلا ويبتدى من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد

الهند وفيه مدينه القندهار ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان وسجستان الى سواحل بحر
البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويمر بالاهواز والعراق والبصرة وواسط
وبغداد والكوفه والانبار وهيت ويمر ببلاد الشام الى سلميه وصور وعكا ودمشق وطبريه
وقيساريه وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم ويقطع اسفل ارض مصر من
شماله انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم والاسكندريه والفرما وتنيس
ودمياط ويمر ببلاد برقه الى افريقيه فيدخل فيه القيروان وينتهي الى البحر في الغرب وبهذا
الاقليم ثلاثه وثلاثون جبلا كبارا واثنان وعشرون نهرا طوالا وماية وثمان وعشرون مدينه
واهله سمر الالوان وله من البروج العقرب ومن السياره الزهره وفي هذا الاقليم العمار الفاصلة
من اوله الى اخره والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف
ساعه وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض ست وثلاثون درجه وخمس درجه وحد هذا الاقليم
من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض
تسعا وعشرين درجة وثلث درجه ومسافته هذا الاقليم ثلثمايه ميل ويبتدى من الشرق فيمر
ببلاد التبت وخراسان وخجنده وفرغانه وسمرقند وبخارا وهراه ومرو الروذ وسرخس
وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان وقزوين والديلم والري واصفهان وهمدان
ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وامد وراس العين وشميساط والرقه ويمر ببلاد الشام
فيدخل فيه بالس ومنبج وملطيه وحلب وانطاكيه وطرابلس والمصيصه وحماه وصيدا
وطرسوس وعموريه واللاذقيه ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرس ورودس ويمر ببلاد
طنجه فينتهي الى بحر الغرب وفي هذا الاقليم خمسه وعشرون جبلا كبارا وخمسة وعشرون نهرا
طوالا ومايتا مدينه واثنتا عشر مدينه والوان اهله ما بين السمرة والبياض وله من البروج
الجوزا ومن السيارة عطارد وفيه البحر الرومي من مغربه الى قسطنطينيه ومن هذا
الاقليم ظهرت الانبيا والرسل صلوات الله عليهم ومنه انتشر الحكما والعلما فانه وسط الاقاليم
ثلثه جنوبيه وثلاثه شماليه وهو في قسمه الشمس ويعرف الفضله الاقليم الثالث والخامس
فانهما عن جنبيه وبقية الاقاليم اهلوها ناقصون ومنحطون عن الفضله لسماجه صورهم
وتوحش اخلاقهم كالزنج والحبشه والترك الاقليم الاول والثاني والسادس والسابع ياجوج
وماجوج والبلغر والصقالبه ونحوهم والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار الاطول
خمس عشرة ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض احدى واربعين درجه وثلث درجه
وابتداوه من نهايه عرض الاقليم الرابع الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف
ساعة والعرض ثلاثا واربعين درجه ومسافته خمسون ومايتا ميل ويبتدى من الشرق الى بلاد
ياجوج وماجوج ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم واسبيجاب واذربيجان وبردعه وسجستان

دارزن وخلاط ويمر على بلاد الروم الى روميه الكبرى والاندلس حتى ينتهي الى البحر في الغرب وفي
هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلا ومن الانهار الكبار خمسه عشر نهرا ومن المداين الكبار
مايتا مدينه واكثر اهله بيض الالوان وله من البروج الدلو ومن السيارة القمر والاقليم السادس
وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشره ساعة ونصف ساعه وارتفاع القطب الشمالي وهو
العرض خمسا واربعين درجة وخمسي درجة وابتداوه من حد نهايه عرض الاقليم الخامس الى حيث
يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعه والعرض سبعا واربعين درجة وربع
درجة ومسافة هذا الاقليم مايتا ميل وعشرة اميال ويبتدى من الشرق فيمر بمساكن الترك من
الخزجير والتغزغز الى بلاد الخزر ومن شمال بحرهم على اللان والسرير وارض برجان والقسطنطينيه
وشمال الاندلس الى البحر المحيط الغربي وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا
ومن الانهار الطوال اثنان وثلاثون نهرا ومن المدن الكبار تسعون مدينة واكثر اهل هذا الاقليم
الوانهم مابين الشقرة والبياض وله من البروج السرطان ومن السياره المريخ والاقليم السابع وسطه
حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة سوا وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض ثمانيا واربعين
درجة وثلثي درجة وابتدا هذا الاقليم من حد نهاية الاقليم السادس الى حيث يكون النهار الاطول
ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين درجة ونصف درجة ومسافته مايه وخمسة
وثمانون ميلا فتبين ان ما بين اول حد الاقليم الاول واخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات
ونصف وان ارتفاع القطب الشمالي ثمان وثلاثون درجه يكون من الاميال الفين ومايه
واربعين ميلا ويبتدى الاقليم السابع من الشرق على بلاد ياجوج وماجوج ويمر ببلاد الترك على سواحل
بحر جرجان مما يلي الشمال ويقطع بحر الروم على بلاد برجان والصقالبه الى ان ينتهي الى البحر المحيط
في الغرب وفي هذا الاقليم عشرة جبال طوال واربعون نهرا طوالا واثنين وعشرين مدينه كبيره
واهله شقر الالوان وله من البروج الميزان ومن السياره العقرب وفي كل اقليم من هذه الاقاليم
السبعة امم مختلفة الالسن والالوان وغير ذلك من الطبايع والاخلاق والارا والديانات والمذاهب
والعقايد والاعمال والصنايع والعادات والعبادات لا يشبه بعضهم بعضا وكذلك الحيوانات
والمعادن والنبات مختلفه في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف اهوية البلدان وتربة
البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته طوالع كل بلد من البروج على افقه ومر الكواكب
على مسامته البقاع من الارض ومطارح شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر في مواضعه من كتب
الحكمة ليتدبر اولو النهى ويعتبروا ويتحققوا بتدبير الله في خلقه وتقديره لما يشا وفعله لما يريد لا
اله الا هو

ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقاليم السبعه

واذ يسر الله سبحانه بذكر جمل احوال الارض ومعرفة ما في كل اقليم من الاقاليم فلنذكر
محل مصر من ذلك فنقول ديار مصر بعضها يلتحق واقع في الاقليم الثاني وبعضها واقع في الاقليم

الثالث

الثالث فما كان منها في الصعيد الاعلى كقوص واخميم واسنا وانصنا واسوان
فان ذلك واقع في اقسام الاقليم الثاني وما كان من ديار مصر في جهه الشمال
من انصنا وهو الصعيد الادنى من سيوط الى فسطاط مصر والفيوم والقاهره
والاسكندريه والفرما وتنيس ودمياط فان ذلك من اقسام الاقليم الثالث
وطول مدينه مصر الفسطاط والقاهره وهو بعدهما عن اول العمارة في جهة
الغرب خمس وخمسون درجه والعرض وهو البعد من خط الاستوا ثلاثون
درجة وطول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وغاية ارتفاع الشمس في الفلك
بها ثلاث وثمانون درجه وثلث وربع درجه وفسطاط مصر مع القاهره من
مكة شرفها الله تعالى واقعان في الربع الجنوبي الشرقي والصعيد الاعلى اشد
تشريقا لبعده عن مدينه الفسطاط بايام عديده في جهه الجنوب فيكون على
ذلك مقابلا لمكه من غربها ومصر لا يتوصل اليها الا من مفازة في شرقها
بحر القلزم من ورا الجبل الشرقي وفي غربها صحرا المغرب وفي جنوبها مفاوز
النوبه والحبشه وفي شمالها البحر الشامي والرمال التي فيما بين بحر الروم وبحر
القلزم وبين مصر وبغداد على ما ذكره ابن خرداذبه في كتاب الممالك والمسالك
الف وستمايه وعشرة اميال يكون خمسمايه وسبعين فرسخا ومايه وبضعا واربعين
بريدا وبين مصر ودمشق ثلثمايه وخمسه وستون ميلا يكون من الفراسخ مايه
واحد وعشرين فرسخا وثلث فرسخ عنها ثلاثون بريدا وكسر وقال ابن خرداذبه
ارض الحبشة والسودان مسيرة سبع سنين وارض مصر جزو واحد من ستين جزوا
من ارض السودان وارض السودان جزو واحد من الارض كلها وفي كتاب
هروشيش بلد مصر الادنى شرقه فلسطين وغربه ارض لبيبه ومصر الاعلى
ممتد الى ناحيه الشرق وحده في الشمال خليج الغرب وفي الجنوب البحر المحيط وفي
الغرب مصر الادنا وفي الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانيه وعشرون
جنسا

ذكر حدود ارض مصر وخراجها

اعلم ان التحديد هو صفه الحدود على ما هو عليه والحد هو نهاية الشي والحدود تكثر
وتقل بحسب الحدود والجهات التي تحد بها المساكن والبقاع اربع جهات وهي جهة
الشمال التي هي اشارة الى موضع قطب الفلك الشمالي المعروف من كواكبه الجدي
والفرقدان وتقابل جهة الشمال الجهة الجنوبيه والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك

الجنوبي الذي تغرب منه سهيل وما يتبعه من كواكب السفينه والجهة الثالثه
جهة المشرق وهو مشرق الشمس في الاعتدالين الذين هما راس الحمل اول فصل
الربيع وراس الميزان اول فصل الخريف والجهة الرابعة جهه المغرب وهو مغرب
الشمس في الاعتدالين المذكورين فهذه الجهات الاربع ثابتة بثبوت الفلك غير
متغيرة بتغير الافاق ولها تحد الاراضي ونحوها من المساكن وبها يهتدي
الناس في اسفارهم وبها يستخرجون سمت محاريبهم فالمشرق والمغرب
معروفان والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان لجهتي المشرق والمغرب على
تربيع الفلك فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب يسمى خط نصف النهار وهو
مقاطع للخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسمى بخط الاستوا على زوايا قايمة
وابعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمستقبل للجنوب يكون ابدا مستدبرا
للشمال ويصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره وهذه الجهات الاربع هي
التي ينسب اليها ما يحد من البلاد والاراضي والدور الا ان اهل مصر يستعملون
في تحديدهم بدلا من الجهة الجنوبية لفظه القبليه فيقولون الحد القبلي ينتهي
الى كذا ولا يقولون الحد الجنوبي وكذلك يقولون الحد البحري ينتهي الى كذا
ويريدون بالبحري الحد الشمالي وقد يقع في هاتين الجهتين الغلط في بعض البلاد
وذلك ان البلاد التي توافق عروضها عرض مكه اذا كانت اطوالها اقل من طول
مكة فان القبله فيها تكون نفس المشرق بخلاف البلاد التي توافق عروضها عرض
مكه اذا كانت اطوالها اقل من طول مكه فان القبله فيها تكون نفس المشرق بخلاف
البلاد التي توافق عروضها عرض مكه الا ان اطوالها اكثر من طول مكه فان القبلة في
هذه البلاد تكون نفس المغرب فمن حدد في شي من هذه البلاد ارضا او مسكنا
نحو دار بعه فانه يصير حدان منها حدا واحدا وكذلك جهة البحر لما جعلوها
قباله جهة القبله وحددوا ما بينهما من الاراضي والدور بما يسامتها منه فانهم ايضا
ربما غلطوا وذلك ان القبله والبحر يكونان في بعض البلاد في جهة واحدة واذا
عرفت ذلك فاعلم ان ارض مصر لها حد ياخذ من بحر الروم من الاسكندريه وبزعم
قوم من برقه في البرية ينتهي الى ظهر الواحات ويمتد الى بلد النوبه ثم يعطف على حدود
النوبه في حد اسوان على ارض البجه في قبلي اسوان حتى ينتهي الى بحر القلزم ويجاوز
القلزم الى طور سينا ويعطف على تيه بني اسرايل مارا الى بحر الروم في الجفار خلف

العريش

العريش ورفح ويرجع الى الساحل مارا على بحر الروم الى الاسكندريه ويتصل
بالحد الذي قدمت ذكره من نواحي برقه وقال ابو الصلت امية بن عبد
العزيز الاندلسي في رسالته المصريه ارض مصر باسرها واقعة في المعمورة في
قسم الاقليم الثاني والاقليم الثالث ومعظمها في الثالث وحكى المعتنون باخبارها
وتواريخها ان حدها في الطول من مدينه برقه التي في جنوب البحر الرومي الى ايلة
من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشه والزنج والهند والصين ومسافة ذلك
قريب من اربعين يوما وحدها في العرض من مدينه اسوان وما سامتها
من الصعيد الاعلى المتاخم لارض النوبه الى رشيد وما حاذاها من مساقط
النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلثين يوما ويكتنفها في العرض الى
منتهاها جبلان احدهما في الصفه الشرقيه من النيل وهو المقطم والاخر من
الصفه الغربية منه والنيل متسرب فيما بينهما وهما جبلان اجردان غير شامخين
متقاربان جدا في وضعهما من لدن اسوان الى ان ينتهيا الى الفسطاط فثم تتسع
مسافه ما بينهما وتعرج قليلا وياخذ المقطم منهما شرقا والاخر مغربا على وراب
في ماخذهما وتعريج في مسلكيهما فتتسع ارض مصر من الفسطاط الى ساحل البحر
الرومي الذي عليه الفرما وتنيس ودمياط ورشيد والاسكندريه فهنالك
منتهى عرضها الذي هو مسافة ما بين اوغلها في الجنوب واوغلها في الشمال
واذا نظرنا بالطريق البرهانية في مقدار هذه المسافة من الاميال لم تبلغ ثلثين
يوما بل ينقص عنها نقصانا له قدر وذلك لان فصل ما بين عرض مدينه اسوان
التي هي اوغلها في الجنوب وعرض مدينه تنيس التي هي اوغلها في الشمال تسعة اجزا
ونحو سدس جزء وليس بين طوليهما فصل له قدر يعتد به وبسبب ذلك نحو خمسماية
وعشرين ميلا بالتقريب وذلك مسافة عشرين يوما او قريب منها وفي هذه المدة
من الزمان يقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل او اكثر من ذلك لما في الطرق
من التعريج وعدم الاستقامة وقال القضاعي الذي يقع عليه اسم ارض مصر من
العريش الى اخر لوبيه ومراقيه وفي اخر ارض مراقيه تلقى ارض انطابلس وهي برقه
ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة اربعين ليله وهو ساحل كله على البحر
الرومي وهو بحري ارض مصر وكذلك مهب الشمال منها الى القبله شيا ما فاذا
بلغت اخر ارض مراقيه عدت ذات الشمال واستقبلت الجنوب وتسير في الرمل

مراقيه مركز [illegible] مصر الكرمه

وانت متوجه الى القبلة تكون الرمل من مصبه عن يمينك الى افريقيه وعن
يسارك من ارض مصر الى ارض الفيوم منها وارض الواحات الاربعة فذلك غربي
مصر وهو ما استقبلته منه ثم تعوج من اخر ارض الواحات وتستقبل الشرق سائرا
الى النيل تسير ثماني مراحل الى النيل ثم على النيل فصاعدا وهي اخر ارض الاسلام
هناك وتليها بلاد النوبة ثم تقطع النيل فتاخذ من اسوان في الشرق متنكبا عن بلد
السودان الى عيذاب ساحل البحر الحجازي فمن اسوان الى عيذاب خمس عشرة
مرحلة وذلك كله قبلي ارض مصر ومهب الجنوب منها ثم تقطع البحر الملح من عيذاب
الى ارض الحجاز فتنزل الحورا اول ارض مصر وهي متصلة باعراض مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر الحد وهو بحر القلزم وهو داخل في
ارض مصر بشرقيه وغربيه وبحريه فالشرقي منه ارض الحورا وظبة والنبك
وارض مدين وارض ايله فصاعدا الى المقطم بمصر والغربي منه ساحل عيذاب
الى بحر النعام الى المقطم والبحري منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم
الى الفرما مسيرة يوم وليلة وهو الحاجز فيما بين البحرين بحر الحجاز وبحر الروم
وهذا كله شرقي ارض مصر من الحورا الى العريش وهو مهب الصبا منها فهذا
الحد ومن ارض مصر وما كان بعد هذا من الجند الغربي فمن فتوح اهل مصر وثغورهم
من برقة الى الاندلس

ذكر بحر القلزم ٥

القلازم الدواهي والمضايقه ومنه بحر القلزم لانه مضيق بين جبال ولما كانت
ارض مصر محصورة بين بحرين هما بحر القلزم من شرقيها وبحر الروم من شماليها
وكان بحر القلزم داخلا في ارض مصر كما تقدم صار من شرط هذا الكتاب
التعريف به فنقول هذا البحر انما عرف في ناحية بلاد مصر بالقلزم لانه كان
بساحله الغربي في شرقي ارض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما ستقف عليه
ان شا الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر قرى مصر ومدنها فسمي
هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر القلزم على الاضافة ويقال له بالعبرانية
يم سوف وهذا البحر انما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالارض الذي يقال له
بحر اقيانس ويعرف ايضا ببحر الظلمات لتكاثف البخار المتصاعد منه وضعف
الشمس عن حله فيغلظ وتشتد الظلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر اهواله ولم
يوقف على خبره سوى على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره وفي جانب

هذا

هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الاتي ذكره ان شا الله الجزاير الخالدات
وهي فيما يقال ست جزاير ايضا تعرف بجزاير السعدا نزلها بعض العلوس خوفا على انفسهم
من القتل ويخرج من هذا المحيط ستة بحار اعظمها اثنان وهما اللذان عناهما الله تعالى
بقوله مرج البحرين يلتقيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا فاحدهما من جهة الشرق
والاخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر الهندي
والبحر الفارسي والبحر اليمني والبحر الحبشي بحسب ما يمر عليه من البلدان واما الخارج
من الغرب فيقال له البحر الرومي فاما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق فان
مبدا خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستوا بثلاث عشرة درجة ويجري الى
ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبايه والى التيز من بلاد
مكران فاذا صار الى بلاد مكران ينقسم هناك بقسمين احدهما يسمى بحر فارس والاخر
يسمى بحر اليمن من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن راس الجمجمة فيمتد من هناك الى
مدينة ظفار ويسير الى الشحر وساحل بلاد حضرموت الى عدن والى باب المندب
وطول هذا البحر الهندي ثمانية الاف ميل في عرض الف وسبعماية ميل عند بعض المواضع
وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فاذا انتهى الى باب المندب خرج نحو القلزم ٥
والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعه فوهته قدر ما يرى الرجل الاخر من
البر تجاهه فاذا فارق باب المندب مر في جهة الشمال بساحل زبيد والحردة الى عثر
وكانت عثر مقر الملك في القديم ويمر من هناك على حلي الى عسفان والجار وهي
فرضة المدينة النبوية ومنها على ما يقابل الجحفة حيث يسمى اليوم رابغ الى الحورا ومدين
وايله والطور وفاران ومدينة القلزم فاذا وصل الى القلزم انعطف من جهة الجنوب
ومر الى القصير وهي فرضة قوص ومن القصير الى عيذاب وهي فرضة بلاد البجه ويمتد
من عيذاب الى بلد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربرا وطول هذا البحر الف
وخمسماية ميل وعرضه من اربعماية ميل الى ما دونها وهو بحر كريه المنظر والرائحة
وفيه فيما بين مدينة القلزم ومدينة ايلة مكان يعرف بمدينة فاران وعندها جبل
لا يكاد ينجو منه مركب لشدة اختلاف الريح وقوة مرها من بين شعبي جبلين وهي بركة
سعتها ستة اميال تعرف ببركة الغرندل يقال ان فرعون غرق فيها فاذا هبت ريح
الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال ان الغرندل اسم صنم كان في القديم هناك قد
وضع ليحبس من خرج من ارض مصر مغاضبا للملك او فارا منه وان موسى عليه السلام لما خرج

بني اسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا امره الله سبحانه وتعالى ان ينزل تجاه هذا الصنم فلما بلغ ذلك فرعون ظن ان الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير كما يعهدونه منه فخرج بجنوده في طلب موسى وقومه لياخذهم بزعمه وكان من غرقه ما قصه الله سبحانه وسيرد خبر موسى عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب في ذكر كنايس اليهود وفي بحر القلزم هذا خمس عشر جزيره منها اربع عامرات وهي جزيرة دهلك وجزيرة سواكن وجزيره النعمان وجزيره السامري

ذكر البحر الرومي

ولما كانت عدة بلاد من ارض مصر مطله على البحر الرومي كمدينة الاسكندريه ودمياط وتنيس والفرما والعريش وغير ذلك وكان حد ارض مصر ينتهي الى الجهة الشماليه الى هذا البحر وكان السبيل يجب فيه حسن التعريف بشي من اخباره وقد تقدم ان مخرج البحر الرومي هذا من جهة الغرب وهو يخرج في الاقليم الرابع بين الاندلس والمغرب سايرا الى القسطنطينيه ويقال ان هركلش الجبار حفره واجراه من البحر المحيط الغربي وان جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت ارضا واحدة يسكنها الاشبان والبربر فكان بعضهم يغير على بعض الى ان ملك هركلش فرغب اليه الاشبان في ان يجعل بينهم وبين البربر خليجا من البحر يمكن به احتراز كل طايفه من الاخرى فحفر زقاقا طوله ثمانيه عشر ميلا في عرض اثني عشر ميلا وبنى بين جانبيه سكرين وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها وجعل عندها حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها الا باذن وكان قاموس البحر اعلا من ارض هذا الزقاق فطغى الماء حتى غطا السكرين مع القنطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة وطغى على عدة بلاد ويقال ان المسافرين في هذا الزقاق بالبحر يخبرون ان المراكب في بعض الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح فيجدون المانع لها كونها قد سلكت من شرفات السور او بين حايطين ثم عظم هذا الزقاق في الطول والعرض حتى صار بحرا عرضه ثمانيه عشر ميلا ويذكر ان البحر اذا اجزر ترى القنطرة وهذا الخبر اظنه غير صحيح فان اخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره في الدهر الاول قبل هركلش بزمان طويل فاما ان يكون ذلك قد كان

ق

١٤

في اول الدهر مما عمله بعض الاوايل واما ان يكون خبرا واهيا والا فزمان هركلش حادث بعد كون هذا البحر والله اعلم وهذا الزقاق صعب السلوك شديد الهول متلاطم الامواج واذا خرج البحر من هذا الزقاق مر مشرقا في بلاد البربر وشمال المغرب الاقصى الى اوسط بلاد المغرب على افريقيه وبرقه والاسكندريه وشمال التيه وارض فلسطين وسواحل بلاد الشام ثم يعطف من هناك الى العلايا وانطاكيه الى ظهر بلاد القسطنطينيه فينتهي الى البحر المحيط الذي خرج منه وطول هذا البحر خمسة الاف ميل وعرضه من سبعمايه ميل الى ثلثمايه ميل وفيه مايه وسبعون جزيرة عامرة فيها امم كثيرة معروفه منها صقلية وميورقه واقريطش الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها ويقال ان مسافة هذا البحر الرومي نحو اربعة اشهر

ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد اسمايها

وقد اختلف اهل العلم في المعنى الذي من اجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت بمصر بن مركابيل بن دوابيل بن عرباب بن ادم وهو مصر الاول وقيل بل سميت بمصر الثاني وهو مصرام بن نقراوش الجبار بن مصريم الاول مصر بن حام بن نوح وهو اسم اعجمي لا ينصرف وقال اخرون هو اسم عربي مشتق فامن ذهب الى ان مصر اسم اعجمي فانه استند الى ما رواه اهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن مصر بهذه الارض وقسمتها بين اولاده فعرفت به وذكر الحسن بن احمد المهلبي ان مصر بن حام هو مصرايم وقيل ان مصر هو بن هرمس بن هردوس بن جبلد الاسكندر قال ونكح قوط بن حام بخت بنت تباويل بن ترس بن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط ابا القبط قبط مصر ومن هاهنا ان مصر بن حام وانما هو مصر بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان وبه سميت مصر فهي مقدونيه وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان بني ادم لما تحاسدوا وبغا عليهم بنو قابيل بن ادم ركب نقراوش الجبار بن مصرايم بن مركابيل بن دوابيل بن عرباب بن ادم عليه السلام في نيف وسبعين راكبا من بني عرباب جبابرة كلهم يطلبون موضعا من الارض يقطنون فيه فرارا من ابيهم فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فاطالوا المشي عليه فلما راوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم وقالوا هذا بلد زرع وعمارة فاقاموا فيه واستوطنوه

وبنوا الابنية المحكمة والمصانع العجيبة وساتر اوش مصر وسماها باسم
ابيه مصر بمرو كان نقراوش جبارا له قوة وايد وبطش وكان مع ذلك عالما
وله ايثم الحسن في هلاك بني ابيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع اليه من العلوم
التي كان توارثها علمها لادم عليه السلام ما قهر به الجبابرة الذين كانوا قبله
وملوكهم ثم امر حيز ملك ببنيان مدينة في موضع خيمته فقطعوا الصخور من
الجبال واثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سموها امسوس واقاموا
فيها اعلاما طول كل علم منها مائة ذراع وزرعوا وعمروا الارض ثم امرهم
ببنا المدائن والقرى واسكن كل ناحية من الارض من راى ثم حفروا النيل
حتى اخرجوا ماه اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى انما كان ينبطح ويتفرق
في الارض حتى وجه الى النوبة فهندسوه وساقوا منه انهارا الى مواضع كثيرة من
مدنهم التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينتهم امسوس تجرى في وسطها ثم
سميت مصر بعد الطوفان بمصر بن بيصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة
وقسم الارض بين اولاده كانت اسه طلموث قد ولدت لبيصر ابنا سماه مصرايم لنوح
ثم قال فليمون ابعث معي يا نبي الله ابني حتى امضي به بلدي واظهره على كنوزه
واوقفه على علومه ورموزه فانفذه معه في جماعة من اهل بيته وكان غلاما
مراهقا فلما قرب من مصر بنى له عريشا من اغصان الشجر وستره بحشيش الارض
ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان اى باب الجنة
فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان الى البحر فصارت هناك زروع
واجنة وعماره وكان الذي مع مصرايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم
والمصانع واقاموا في ارغد عيش ويقال ان اهل مصر اقاموا عليهم مصرايم بن
بيصر ملكا في ايام فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح فملك مصر وبنا
مدينة منف على النيل وسماها باسمه ويقال ان مصر غرس الاشجار بيده فكانت
ثمارها عظيمة بحيث تشق الاترجة نصفين فيحمل البعير نصفها وكان القثا في طول اربعة
عشر شبرا ويقال انه اول من صنع السفن بالنيل وان سفينته كانت ثلثمائة ذراع طولا
في عرض مائة ذراع ويقال ان مصرايم نكح امراة من بني الكهنة فولدت ولدا سماه
قبطيم ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امراة ولدت له اربعة نفر قفطريم
واشمون واتريب وصا فكثروا وعمروا الارض وبورك لهم فيها وقيل انه كان

عدد

عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا فبنوا مدينة سموها مافة ومعنى مافه ثلثون
بلغتهم وهي منف وكشف اصحاب فليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم واثاروا
المعادن وعلموهم عمل الطلسمات ووصفوا لهم عمل الصنعة وبنوا على غير البحر مدنا
منها رقودة مكان الاسكندرية ولما حضر مصرايم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان
قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقفطريم من قفط الى اسوان ولاشمون من اشمون الى
منف ولاتريب الحوف كله ولصا من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة وقال لاخيه
فارق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقية واولاده الافارق وامر كل واحد
من بنيه ان يبني لنفسه مدينة في موضعه وامرهم عند موته ان يحفروا له في الارض
سربا وان يفرشوه بالمرمر الابيض ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع ما في خزائنه
من الذهب والجوهر وتزبروا عليه اسماء الله المانعة تمنع من اخذه فحفروا له سربا طوله وزبروا
مائة وخمسون ذراعا وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفائح الذهب وجعلوا له
اربعة ابواب على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر وهو جالس على
كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد وزبروا في صدر كل تمثال ايات مانعة وجعلوا
جسده في جرن مرمر مصفح بالذهب وزبروا على مجلسه مات مصرايم بن بيصر بن
حام بن نوح بعد سبعمائة عام مضت من ايام الطوفان ومات ولم يعبد الاصنام
اذ لا هرم ولا سقام ولا حزن ولا اهتمام وحصنه باسماء الله العظام لا يصل اليه الا
ملك ولدته سبعة ملوك بعد بن الملك الريان ويومن بالمبعوث بالفرقان الداعي
الى الايمان اخر الزمان وجعلوا معه في ذلك المجلس الف قطعة من الزبرجد المخروط
والف تمثال من الجوهر النفيس والف برنية مملوة من الدر الفاخر والصنعة الالاهية
والعقاقير والطلسمات العجيبة وسبائك الذهب وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا
فوقها الرمال بين جبلين ووليه ابنه قبطيم الملك وذكر ابو محمد عبد الملك بن هشام في
كتاب التيجان ان عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود اخا عاد بن عابر بن
شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر وعرف بعبد
شمس لانه اول من عبد الشمس وقيل له ايضا سبا لانه اول من سبا وهو سبا الاكبر ابو حمير
وكهلان ملك بعد ابيه يشجب بارض اليمن فجمع بني قحطان وبني هود عليه السلام وحثهم
على الغزو ثم سار بهم الى ارض بابل ففتحها وقتل من كان بها من النوار حتى بلغ ارض ارمينيه
وملك ارض بني يافث بن نوح واراد ان يعبر من هناك الى الشام وارض الجزيره فقيل له ليس

لك مجاز غير الرجوع فى طريقك فبنى قنطرة على البحر بناحيه وجاز عليها الى الشام
فاخذ تلك الاراضى الى الارض لدرب ولم يكن خلف الدرب اذ ذاك احد ثم نهض يريد
بلاد المغرب فنزل على النيل وجمع اهل مشورته وقال لهم انى رايت ان ابنى مصرا اى حدا
بين هذين البحرين يعنى بحر الروم وبحر القلزم فيكون فاصلا بين المشرق والمغرب فقالوا
نعم الراى ايها الملك فبنى مدينه وسماها مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى بنى حام
ابن نوح وهم نزول فى البرارى الى قمونيه وقمونيه القبط فاوقع بجميع تلك الطوايف وسبا
ذراريهم ونساهم كما فعل ببلاد المشرق فقيل له من اجل ذلك سبا ثم عاد الى مصر ومضى فيها
الى الشام يريد الحجاز واوصى ابنه بابليون عند رحيله فقال

الا قل لبابليون والقول حكمه ملكت زمام الشرق والغرب فاجمل
وخذ لبنى حام من الامر وسطه فان صدفوا يوما عن الحق فاقتل
وان جنحوا بالقول للرفق طاعة يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الراى فى الناس يجترو عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تاخذن المال من غير وجهه فانك ان تاخذه بالرفق يسهل
ولا تنفق المال فى غير حقه وان جا ما لابد منه فابذل
وداو ذوى الاحقاد بالسيف انه متى يلق منك العزم ذو الحقد يخمل
وخذ لذوى الاحساب لينا وشدة ولا تك جبارا عليهم واهمل
وكن لسوال الناس غوثا ورحمة ومن يك ذا عرف من الناس يسال
واياك والسفر القريب فانه سيغنى بما يوليه فى كل منهل

ثم عاد الى اليمن وبنا سد مارب وهو سد فيه سبعون نهرا ويصل اليه السيل من مسيرة
ثلاثه اشهر فى سلها ثم مات عن خمس مايه سنة وقام من بعده ابنه حمير بن سبا فعتا
بنو حام على بابليون وارادوا تخريب مصر فاستدعا اخاه حمير ليتخذه عليهم نعدم
عليه مصر ومضى الى بلاد الغرب فاقام بها مايه عام يبنى المداين ويتخذ المصانع
فمات بابليون بن سبا بمصر وولى بعده ابنه امرو القيس بن بابليون ثم مات حمير بن سبا
عن اربع مايه وخمس واربعين سنه منها فى الملك اربع مايه سنه وقام من بعده وايل بن حمير
ثم مات فقام بعده ابنه سكسك بن وايل الذى يقال له مقعقع العهد وقد افترق ملك حمير
بحارب الثوار وسار الى الشام فلقيه عمرو بن امرء القيس بن بابليون بن سبا بالرملة
وقد ملك بعد ابيه وقدم له هدية فاقره على مصر والغرب ورجع الى بابل فمات هناك

واقام

١٦

واقام عمرو بن امرى القيس على مصر حتى قدم عليه ابراهيم الخليل عليه السلام ووهبه هاجر
وقال ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر واخبارها
عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان لنوح عليه السلام اربعة من الولد سام
وحام ويافث ويحطون وان نوحا رغب الى الله عز وجل وساله ان يرزقه الاجابة
فى ولده وذريته حين تكاملوا بالنما والبركه فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام
عند السحر فنادا ساما فاجابه يسعى وصاح سام فى ولده فلم يجبه احد منهم الا ابنه
ارفخشذ فانطلق معه حتى اتياه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على ارفخشذ بن سام وسال
الله عز وجل ان يبارك فى سام افضل البركه وان يجعل الملك والنبوة فى ولد ارفخشذ ثم
نادى حاما فتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا احد من ولده فدعا الله عز
وجل نوح ان يجعل ولده اذلا وان يجعلهم عبيد الولد سام وكان مصر بن بيصر بن حام
نايما الى جنب جده حام فلما سمع دعا نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال يا
جدى قد اجبتك اذ لم يجبك ابى ولا احد من ولده فاجعل لى دعوة من دعايك ففرح
نوح ووضع يده على راسه وقال اللهم انه قد اجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته
واسكنه الارض المباركه التى هى ام البلاد وغوث العباد التى نهرها افضل انهار الدنيا
واجعل فيها افضل البركات وسخر له ولولده الارض وذللها لهم وقوهم عليها ثم دعا
ابنه يافث فلم يجبه ولا احد من ولده فدعا الله عليهم ان يجعلهم شرار الخلق وعاش
سام مباركا حتى مات وعاش ابنه ارفخشد بن سام مباركا حتى مات وكان الملك
الذى يجبه الله والنبوة والبركة فى ولد ارفخشد بن سام وكان اكبر ولد حام كنعان بن
حام وهو الذى خبل به فى الرجز فى الفلك فدعا عليه نوح فخرج اسود وكان فى ولده
الجفا والملك والجبروت وهو ابو السودان والحبش كلهم وابنه الثانى كوش بن حام وهو
ابو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو ابو البربر وابنه الاصغر الرابع بيصر
بن حام اربعه مصر بن بيصر وهو اكبرهم والذى دعا له نوح بها دعا له وفارق بن بيصر
وياح بن بيصر وقيل ولد مصر اربعه قفط بن مصر واشمن بن مصر واتريب بن مصر
وصا بن مصر وعن ابن لهيعة وعبد الله بن خالد اول من سكن مصر بيصر بن حام بن نوح
عليه السلام بعد ان غرق الله تعالى قومه واول مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بيصر
بولده وهم ثلثون نفسا منهم اربعة اولاده قد بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق
وماج وياج بنو مصر وكان مصر اكبرهم وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم وقد نقروا

هناك منازل كثيره وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصرام ان يسكنه الله الارض الطيبة
المباركه التى هى ام البلاد وغوث العباد ونهرها افضل الانهار ويجعل له فيها افضل
البركات ويسخر له الارض ولولده ويذللها ويقويهم عليها فساله عنها فوصفها له واخبره
بها قالوا وكان مصر بن بيصر مع نوح فى السفينة لما دعا له وكان بيصر بن حام قد كبر
وضعف فساقه ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر فلما
قر قرار بيصر وبنيه بمصر قال لمصر اخوته فارق وماج وياج بنو بيصر قد علمنا انك اكبرنا
وافضلنا وان هذه الارض التى اسكنك اياها جدك نوح ونحن نضيق عليك ارضك وذلك
حين كثر ولده واولادهم ونحن نطلب اليك بالبركة التى جعلها فيك جدنا نوح ان يبارك
لنا فى ارض نلحق بها ونسكنها ويكون لنا ولاولادنا فقال نعم عليكم باقرب البلاد الى ولا
تباعدوا منى فان لى فى بلادى مسيرة شهر من اربعة وجوه احوزها لنفسى فيكون لى ولولدى
ولاولادهم فحاز مصر بن بيصر لنفسه ما بين الشجرتين التى بالعريش الى اسوان طولا ومن
برقه الى ايله عرضا وحاز فارق لنفسه ما بين برقة الى افريقيه فكان ولده الافارقه
وبذلك سميت افريقيه وذلك مسيرة شهر وحاز ماج ما بين الشجرتين من منتهى حد مصر
الى الجزيرة مسيرة شهر وهو ابو قبط الشام وحاز ياج ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر الى
الشرق مسيرة شهر فهو ابو نبط العراق ثم توفى بيصر بن حام ودفن فى موضع دير ابى
هرميس فهى اول مقبرة قبر فيها بارض مصر وكثر اولاد مصر وكان الاكابر منهم قفط
واتريب واشمن وصا والقبط من ولد مصر هذا ويقال ان قبطا اخو قفط وهو بلسانهم
قفطيم وقبطيم ومصرايم قال ثم ان بيصر بن حام توفى واستخلف ابنه مصر وحاز كل
واحد من اخوة مصر قطعة من الارض لنفسه سوى ارض مصر التى حاز لنفسه ولولده
فلما كبر ولد مصر واولاد اولادهم قطع مصر لكل واحد من ولده قطيعة يحوزها لنفسه
ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها وبه سميت قفط قفطا
وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون فى الشرق والغرب وقطع لاشمن من اشمون
فما دونها الى منف فى الشرق والغرب فسكن اشمن اشمون فسميت به وقطع لاتريب ما
بين منف الى صا فسكن اتريبا فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به
وكانت مصر كلها على اربعة اجزاء جزوين بالصعيد وجزوين باسفل الارض وقال
البكرى ومصر مونثه قال الله تعالى اليس لى ملك مصر وقال ادخلوا مصر وقال عامر
ابن واثله الكنانى لمعاويه اما عمرو بن العاص فانطقته مصر واما قول الله سبحانه

اهبطوا

١٧

اهبطوا مصرا فانه اراد مصرا من الامصار وقرا سليم الاعمش اهبطوا مصر وقال هى مصر
التى عليها سليم بن على فلم يجرها وقال القضاعى وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف فساقه
ولده مصر وجميع ولده اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وهو اسم لا ينصرف
فى المعرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينه فاجتمع فيه التانيث والتعريف فمنعاه
الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها السفار مصر فاذا اريد مصر من الامصار
صرف لزوال احدى العلتين وهى التعريف فاما قوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام
اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم فانه مصروف فى قراة ساير القرا وفى قراة الحسن والاعمش
غير مصروف فمن صرفه فله وجهان احدهما انه اراد اهبطوا مصرا من الامصار لانهم كانوا
يومئذ فى التيه والاخر انه اراد مصر هذه بعينها وصرفها لانه جعل مصرا اسما للبلد وهو
مذكر سمى به مذكر فلم يمنعه الصرف واما من لم يصرفه فانه اراد مصر هذه المدينه وكذلك
قوله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام ادخلوا مصر ان شا الله امنين وقول فرعون
اليس لى ملك مصر انما يراد به مصر هذه فاما المصر فى كلام العرب فهو الحد بين الارضين
ويقال ان اهل هجر يقولون اشتريت الدار بمصورها اى بحدودها وقال الجاحظ فى
كتاب مدح مصر انما سميت مصر بمصير الناس اليها واجتماعهم بها كما سمى مصير الجوف
مصيرا ومصرانا لمصير الطعام اليه قال وجمع المصر من البلدان امصار وجمع مصير
الطعام مصران وليس لمصر هذه جمع لانها واحدة قال وقال الاخطل هممت بالاسلام
ثم توقفت عنه قيل ولم ذاك قال اتيت امراة لى وانا جايع فقلت اطعمينى شيا فقالت
يا جاريه على لابى مالك مصيرا فى النار ففعلت فاستعجلتها بالطعام فقالت يا جاريه
اين مصير ابى مالك قالت فى النار قال فتطيرت وهممت بان اسلم فتوقفت وقال الجوهرى
فى كتاب الصحاح مصر هى المدينة المعروفه يذكر ويونث عن ابن السراج والمصران الكوفه
والبصره وقال ابن خالويه فى كتاب ليس ليس لاحد فسر لنا لم سميت مصر فى
مقدونيه قديما الا فى اللسان العبرانى قال مقدونيه مغيث وانما سميت مصر لساكنها
بيصر بن حام وتزعم الروم ان بلاد مقدونيه جميعا وقف على الكنيسة العظمى التى بقسطنطينيه
ويسمون بلاد مقدونيه الاوصقيه وهى عندهم الاسكندريه وما يضاف اليها وهى
مصر كلها باسرها الا الصعيد الاعلى ويقال لمصر ام خنور وتفسيره والمصر الفرق بين
الشيئين قال الشاعر وصف الله تعالى وجعل الشمس مصرا لا خفا به
بين النهار وبين الليل قد فصلا

هذا البيت قايله عدى بن زيد العبادى ويروى لامية بن ابى الصلت الثقفى وهو
من ابيات اولها   اسمع حديثا كما يوما تحدثه   عن ظهر غيب اذا ما سايل سالا

كيف بدا ثم ربت الله نعمته   فينا وعلمنا اياته الاولا
كانت رياح وسيل ذو كرانيه   وظلمة لم تدع فتقا ولا خللا
فامر الظلمة السودا فانكشفت   وعزل الما عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها   تحت السما سوا مثل ما نقلا
وجعل الشمس مصرا لا خفابه   بين النهار وبين الليل قد فصلا
وفى السما مصابيح تضى لنا   ما ان تكلفنا زيبا ولا فشلا
قضى لستة ايام خليقته   وكان اخر شى صور الرجلا
فاخذ الله من طين فصوره   لما راى انه قد تم واعتدلا
دعاه ادم صوتا فاستجاب له   فنفخ الروح فى الجسم الذى جبلا
ثمت اورثه الفردوس يسكنها   وزوجه ضلعه من جنبه جعلا
لم ينهه ربه عن غير واحدة   من شجر طيب ان شم او اكلا
وكانت الحية الرقشا اذ خلقت   كما ترى ناقة فى الخلق او جملا
فلاطها الله اذ اطغت خليفته   طول الليالى ولم يجعل لها اجلا
تمشى على بطنها فى الارض ما عمرت   والترب تاكله حزنا وان سهلا

وقال الحافظ ابو الخطاب مجد الدين عمر بن دحيه ومصر اخصب بلاد الله وسماها الله
بمصر وهى هذه دون غيرها باجماع القرا على ترك صرفها وهى اسم لا ينصرف فى معرفة
لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينه واجتمع فيه التانيث والتعريف فمنعاه الصرف وفى
عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا اخذت من ضرعها اللبن فسميت مصر لكثرة ما فيها
من الخير بما ليس فى غيرها فلا يخلوا ساكنها من خير يدر عليه منها كالشاة التى ينتفع بلبنها
وصوفها وولادتها وقال ابن الاعرابى المصر الوعا ويقال للمعا المصير وجمعه مصران
ومصارين وكذلك هى خزاين الارض قال ابو بصره الغفارى من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم مصر خزاين الارض كلها الا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلنى على خزاين
الارض انى حفيظ عليم فاغاث الله بمصر يوميذ وخزاينها كل حاضر وباد ذكره عن الجوينى
فى تفسيره وقال البكرى ام خنور بفتح اوله وتشديد ثانيه وبالرا المهملة اسم لمصر قال البطاه
ابن سهية   يا آل ذبيان ذودوا عن دماكم   ولا تكونوا القوم ام خنور   يقول لا تكونوا

اذلا

حـ رحط
بل جعلها على قدر السما ومنه
نقا بل النعل

حـ رحط قوله
بعض معنى صوع الرجل ادم
حتى اذا ما راه تم واعتدلا

حـ منه
اى العتها بالارض

اذلا بنا لكم من اراد وياخذ منكم من احب كما تمتار مصر وهى ام خنور قال كراع ام خنور النعمة
ولذلك سميت مصر ام خنور لكثرة خيرها وقال على بن حمزه سميت ام خنور لانها بيسار واليها
القصار الاعمار ويقال للضبع خنور وخنوز بالرا والزاى وقال ابن قتيبة فى غريب الحديث
والمصر الحد واهل هجر يكتبون فى شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها كلها اى حدودها
وقال على بن زيد وجعل الشمس مصرا لا خفابه   بين النهار وبين الليل قد فصلا اى حدا

ذكر طرف من فضايل مصر

ولمصر فضايل كثيرة منها ان الله عز وجل ذكرها فى كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة
بصريح الذكر وتارة ايما قال تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم قال ابو محمد عبد الحق بن عطية
فى تفسيره للقران وجمهور الناس يقرودن مصرا بالتنوين وهو خط المصاحف الا ما حكى
عن بعض مصاحف عثمن رضى الله عنه وقال مجاهد وغيره ممن صرفها اراد مصرا
من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القران من امرهم بدخول القرية وبما
تظاهرت به الرواية انهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طايفة ممن صرفها اراد مصر فرعون
بعينها واستدلوا بما فى القران ان الله اورث بنى اسرايل ديار فرعون واثارهم واجازوا
صرفها قال الاخفش لخفتها وشبهها بهند ودعد وسيبويه لا يجيز هذا وقال
غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرا الحسن وابان بن تغلب وغيرهما اهبطوا مصر
بترك الصرف وكذلك هى فى مصحف ابى بن كعب وقال هى مصر فرعون قال الاعمش هى
مصر التى عليها صالح بن على وقال اشهب قال لى مالك هى عندى مصر قريتك مسكن
فرعون وقال تعالى ادخلوا مصر ان شا الله امنين قال ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره
عن فرقد السبخى قال خرج يوسف عليه السلام يتلقى يعقوب عليه السلام وركب اهل مصر
مع يوسف وكانوا يعظمونه فلما دنا احدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشى وهو يتوكا
على رجل من ولده يقال له يهوذا فنظر يعقوب الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا
فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام
عليك يا ذاهب الاحزان عنى هكذا قال يا ذاهب الاحزان عنى وقال تعالى واوحينا الى
موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة قال
الطبرى عن ابن عباس وغيره قال كانت بنوا اسرايل تخاف فرعون فامروا ان يجعلوا
بيوتهم مساجد يصلون فيها قال قتادة وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فامروا ان
يجعلوا مساجدهم فى بيوتهم وان يوجهوا نحو القبلة وعن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو

الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون ان يصلوا في الكنايس الجامعة فامروا ان
يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا وعن مجاهد في قوله ان تبوآ
لقومكما بمصر بيوتا قال مصر الاسكندريه وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال اليس لي
ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون قال ابن عبد الحكم وابو سعيد
عبد الرحمن بن احمد بن يونس وغيرهما عن ابي رهم السماعي انه قال في قول الله عز وجل اليس لي
ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون قال ولم يكن في الارض يوميذ ملك
اعظم من ملك مصر وكان جميع اهل الارضين يحتاجون الى مصر واما الانهار فكانت
قناطر وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الما يجري من تحت منازلها وافنيتها يحبسونه
كيف شاوا فهذا ما ذكر الله سبحانه فيه مصر من الكتاب العزيز بصريح الذكر واما ما
وقعت اليها الاشارة فيه من الايات قال تعالى ولقد بوانا بني اسرايل مبوا صدق
وقال تعالى واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال ابن عباس وسعيد بن
المسيب ووهب بن منبه هي مصر وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه هي الاسكندرية
وقال تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم وقال تعالى كم تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين قال ابن يونس وفي قول الله سبحانه
فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال ابو رهم كانت الجنات بحافتي النيل
من اوله الى اخره في الجانبين جميعا ما بين اسوان الى رشيد وسبعة خلج خليج الاسكندرية
وخليج سخا وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصله
لا ينقطع منها شي عن شي وزروع ما بين الجبلين كله من اول مصر الى اخرها مما يبلغه الما
وكان جميع ارض مصر كلها تروى يوميذ من ستة عشر ذراعا لما قد دبروا من قناطرها
وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها الف منبر وقال مجاهد وسعيد بن جبير المقام الكبير
الكريم المنابر وقال قتادة ومقام كريم اي حسن ونعمة كانوا فيها فاكهين قال اي والله
اخرجه الله من جنانه وعيونه وزروعه حتى ورطه في البحر وقال سعيد بن كثير بن
عفير كنا بقبة الهوا عند المامون لما قدم مصر فقال لنا ما ادري ما اعجب فرعون من
مصر حيث يقول اليس لي ملك مصر فقلت اقول يا امير المومنين قال قل يا سعيد فقلت ان
الذي ترك بقية مدمر لان الله عز وجل يقول ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما
كانوا يعرشون قال صدقت ثم امسك وقال تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان

وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال يا قوم لكم
الملك اليوم ظاهرين في الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرايل بما صبروا
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض يعني ارض مصر وقال تعالى حكاية عن يوسف
عليه السلام انه قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم روى ابن يونس عن ابي بصرة
الغفاري رضي الله عنه قال مصر خزاين الارض كلها وسلطانها سلطان الارض كلها الا ترى
الى قول يوسف عليه السلام لملك مصر اجعلني على خزاين الارض ففعل فاغيث بمصر وخزاينها
يوميذ كل حاضر وباد من جميع الارضين وقال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها
حيث يشا فكان ليوسف بسلطانه مصر جميع سلطان الارض كلها لحاجتهم اليه والى ما تحت يده
وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام انه قال ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة
واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض فينظر كيف تعملون وقال تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه
اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد يعني ارض مصر وقال تعالى ان
فرعون علا في الارض يعني ارض مصر وقال تعالى حكاية عن بعض اخوة يوسف فلن ابرح
الارض يعني ارض مصر وقال تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قال ابن عباس رضي
الله عنه سميت مصر بالارض كلها في عشر مواضع من القران فهذا ما يحضرني مما ذكرت
فيه مصر من اي كتاب الله عز وجل وقد جا في فضل مصر احاديث روى عبد الله بن لهيعة
من حديث عمرو بن العاص انه قال حدثني عمر امير المومنين رضي الله عنه انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بعدي مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك
الجند خير اجناد الارض قال ابو بكر رضي الله عنه ولم ذاك يا رسول الله قال لانهم في
رباط الى يوم القيمة وعن عمرو بن الحمق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون فتنة
اسلم الناس فيها او خير الناس فيها الجند الغربي قال فلذلك قدمت عليكم مصر وعن
تبيع بن عامر الكلاعي قال اقبلت من الصايفة فلقيت ابا موسى الاشعري رضي الله عنه
فقال لي من اين انت قلت من اهل مصر قال من الجند الغربي قلت نعم قال الجند الضعيف
قال قلت اهو الضعيف قال نعم قال اما انه ما كادهم احد الا كفاهم الله مونته اذهب الى
معاذ بن جبل حتى يحدثك قال فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لي ما قال لك الشيخ فاخبرته

فقال لي واي شي تذهب به الي بلادك احسن من هذا الكتب في اسفل الواحك فلما رجع
معاذ اخبرني ان بذلك اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى بن وهب من
حديث صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله بابا
للتوبة في المغرب عرضه سبعون عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه وروى
ابن لهيعة من حديث عمر بن العاص حدثني عمر امير المومنين رضى الله عنه انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل سيفتح عليكم بعدي مصر
فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صهرا وذمة وروى بن وهب قال اخبرني حرملة
ابن عمران التجيبي عن عبد الرحمن بن شماسه المهري قال سمعت ابا ذر رضى الله عنه
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط
فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فاذا رايتم رجلين يقتتلان في موضع لبنه
فاخرج منها قال فمر بربيعه وعبد الرحمن ابني شرحبيل يتنازعان في موضع لبنه فخرج منها
وفي رواية ستفتحون مصر وهي ارض يسمي فيها القيراط فاذا فتحتموها فاحسنوا الى
اهلها فان لهم ذمة ورحما او قال ذمة وصهرا الحديث ورواه مالك والليث وزاد
فاستوصوا بالقبط خيرا اخرجه مسلم في الصحيح عن ابي الطاهر عن ابن وهب قال ابن شهاب
وكان يقال ان ام اسمعيل عليه السلام منهم وقال الليث بن سعد قلت لابن شهاب ما
رحمهم قال ان ام اسمعيل من ابراهيم صلوات الله عليهما منهم وقال محمد بن اسحق قلت للزهري
ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت هاجر ام اسمعيل منهم وروى بن
لهيعة من حديث ابي سالم الجيشاني ان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون اجنادا وان خير اجنادكم اهل
الغرب منكم فاتقوا الله في القبط لا تاكلوهم اكل الخضر وعن مسلم بن يسار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال
عدوكم وعن يزيد بن ابي حبيب ان ابا سلمة بن عبد الرحمن حدثه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوصى عند وفاته ان يخرج اليهود من جزيرة العرب وقال الله الله
قبط مصر فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة واعوانا في سبيل الله وروى
ابن وهب عن موسى بن ايوب الغافقي عن رجل من الزبد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرض فاغمي عليه ثم افاق فقال استوصوا بالادم الجعد ثم اغمي عليه الثانية ثم افاق فقال
مثل ذلك فقال القوم لو سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادم الجعد فافاق فسالوه

نقال

فقال قبط مصر فانهم اخوال واصهار وهم اعوانكم على دينكم قالوا كيف يكونون اعوانا
على ديننا يا رسول الله قال يكفونكم اعمال الدنيا وتتفرغون للعبادة فالراضي بما
يوتي اليهم كالفاعل بهم والكاره لما يوتي اليهم من الظلم كالمتنزه عنهم وعن عمرو بن حريث
وابي عبد الرحمن الحبلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستقدمون على قوم
جعد روسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم وبلاغ الي عدوكم باذن الله يعني قبط مصر
وعن ابن لهيعة حدثني مولى غفرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الله في اهل
المدرة السودا السحم الجعاد فان لهم نسبا وصهرا قال عمر مولى غفرة صهرهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسرر فيهم ونسبهم ان ام اسمعيل عليه السلام منهم قال ابن وهب فاخبرني ابن
لهيعة ان ام اسمعيل هاجر من ام العرب قرية كانت امام الفرما من مصر وقال مروان القصاص
صاهر الي القبط من الانبيا ثلاثه ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام تسرر هاجر ويوسف
تزوج بنت صاحب عين شمس ورسول الله صلى الله عليه وسلم تسرر مارية وقال يزيد بن ابي
حبيب قرية هاجر ياق التي عند ام دنين وقال ابن هشام العرب تقول هاجر وآجر
فيبدلون الالف من الها كما قالوا اهراق الما واراق الما ونحوه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
انه قال الامصار سبعة فالمدينه مصر والشام مصر ومصر مصر والجزيره والبحرين والبصرة
والكوفة وعن مكحول اول الارض خرابا ارمينيه ثم مصر وقال عبد الله بن عمرو قبط مصر
اكرم الاعاجم كلها واسمحهم يدا وافضلهم عنصرا واقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة
ومن اراد ان يذكر الفردوس او ينظر الي مثلها في الدنيا فلينظر الي ارض مصر حين يخضر
زروعها وتنور ثمارها وقال كعب الاحبار من اراد ان ينظر الي شبه الجنة فلينظر
الي مصر اذا اخرفت وفي رواية اذا ازهرت ومن فضايل مصر انه كان من اهلها السحرة وقد
امنوا جميعا في ساعة واحدة ولا نعلم جماعة اسلمت في ساعة واحدة اكثر من جماعة القبط
وكانوا في قول يزيد بن ابي حبيب وغيره اثني عشر ساحرا روسا تحت يدي كل ساحر منهم ساحرا
عشرون عريفا تحت يدي كل عريف منهم الف من السحرة فكان جميع السحرة مايتي الف
واربعين الفا ومايتين واثنين وخمسين انسانا بالروسا والعرفا فلما عاينوا ما عاينوا
ايقنوا ان ذلك من السما وان السحر لا يقوم لامر الله فخر الروسا الاثنا عشر عند ذلك
سجدا فاتبعهم العرفا واتبع العرفا من بقي وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
وقال تبيع كانوا من اصحاب موسى عليه السلام ولم يفتتن منهم احد مع من افتتن من بني
اسرايل في عبادة العجل قال تبيع ما امن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة القبط

وقال كعب الاحبار مثل قبط مصر كالغيضة كلما قطعت نبتت حتى يخرب الله عز وجل
بهم وبصنا عتهم جزاير الروم وقال عبد الله بن عمرو خلقت الدنيا على خمس صور على
صورة الطير براسه وصدره وجناحيه وذنبه فالراس مكة والمدينه واليمن والصدر
الشام ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق امة يقال لها واق وخلف واق
امة يقال لها واقواق وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر
السند وخلف السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك وخلف ناسك امة يقال لها
منسك وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والذنب من ذات الحمام الى مغرب
الشمس وشر ما في الطير الذنب وقال الجاحظ الامصار عشره الصناعة بالبصرة والفصاحة
بالكوفه والتخنيث ببغداد والعي بالري والجفا بنيسابور والحسن بهراه والطرمذه
بسمرقند والمروه ببلخ والتجاره بمصر والبخل بمرو الطرمذ الدوله كلام ليس له فعل وعن بحير
ابن داخر المعافري انه سمع عمرو بن العاص يقول في خطبته واعلموا انكم في رباط الى يوم
القيمة لكثرة الاعدا حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال
والخير الواسع والبركة الناميه وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعري انه قدم من الشام
الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ما اقدمك الى بلادنا قال كنت تحدثني ان مصر اسرع
الارض خرابا ثم اراك قد اتخذت فيها وبنيت فيها القصور واطمانت فيها قال ان مصر
قد اوفت خرابها حطمها بخت نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي اليوم اطيب
الارضين ترابا وابعده خرابا ولا يزال فيها بركة ما دام في شي من الارضين بركه ويقال
مصر متوسطة الدنيا قد سلمت من حر الاقليم الاول والثاني ومن برد الاقليم السادس
والسابع ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواوها وضعف حرها وخف بردها وسلم
اهلها من مشاتي الاغوار ومصايف عمان وصواعق تهامة ودماميل الجزيرة وجرب اليمن
وطواعين الشام وبرسام العراق وعقارب عسكر مكرم وطحال البحرين وحمى خيبر
وامنوا من غارات الترك وجيوش الروم وهجوم العرب ومكايد الديلم وسرايا
القرامطه ونزف الانهار وقحط الامطار ولها ثمانون كورة ما فيها كورة الا ولها
طرائف وعجايب من انواع البر والابنيه والطعام والشراب والفاكهة وساير ما ينتفع به
الناس ويدخره الملوك تعرف كل كورة وجهازها وتنسب كل لون الى كورة فصعيدها
ارض حجازيه حره حر الحجاز ونبت النخل والاراك والقرظ والدوم والعشر واسفل
ارضها شامي يمطر مطر الشام وينبت ثمار الشام من الكروم والزيتون واللوز والتين والجوز

وساير

٢١

وساير الفواكه والبقول والرياحين ويقع به الثلج والبرد وكورة الاسكندريه
ولوبيه ومراقيه برارى وجبال وغياض تنبت الزيتون والاعناب وهي بلاد ابل
وماشيه ونتاج وعسل ولبن وفي كل كورة من كور مصر مدينه في كل مدينه منها
اثار كريمه من الابنيه والصخور والرخام والعجايب وفي نيلها السفن التي تحمل
السفينه الواحدة منها ما تحمله خمسماية بعير وكل قرية من قرى مصر تصلح ان
تكون مدينه يويد ذلك قول الله سبحانه وابعث في المداين حاشرين ويعمل
بمصر معامل كالتنانير ويعمل لها البيض بصنعه توقد عليه فتحاكي نار الطبيعه
في حضانه الدجاجه البيض وتخرج في تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاج مصر
ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمرو بن ميمون خرج موسى عليه السلام ببني اسرائل
فلما اصبح فرعون امر بشاة فاتي بها فامر بها تذبح ثم قال لا يفرغ من سلخها حتى
يجتمع عندي خمسماية الف من القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون ان هولا لشرذمة
قليلون وكان اصحاب موسى عليه السلام ستماية الف وسبعين الفا ووصف بعضهم
مصر فقال ثلاثة اشهر لولوة بيضا وثلاثة اشهر مسكة سودا وثلاثة اشهر زمردة خضرا
وثلاثة اشهر سبيكة ذهب حمرا فاما اللولوة البيضا فان مصر في شهر ابيب ومسرى
وتوت يركبها الما فترى الدنيا بيضا وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب قد
احيطت بها المياه من كل وجه فلا سبيل الى قرية من قراها الا في الزوارق واما المسكة
السودا فان في شهر بابه وهتور وكيهك ينكشف الما عن الارض فتصير ارضا سودا وفي هذه
الاشهر تقع الزراعات واما الزمردة الخضرا فان في شهر طوبه وامشير وبرمهات
يكثر نبات الارض وربيعها فتصير خضرا كانها زمردة واما السبيكة الحمرا فان في شهر
برموده وبشنس وبوونه يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فتكون كالسبيكة
من الذهب منظرا ومنفعة وسال بعض الخلفا الليث بن سعد عن الوقت الذي تطيب
فيه مصر فقال اذا غاض ماوها وارتفع وباوها وجف ثراها وامكن مرعاها
وقال ـــــ اخر نيلها عجب وارضها ذهب وخيرها جلب وملكها سلب ومالها رغب
وفي اهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شغب وحربهم حرب وهي لمن غلب
وقال ـــــ اخر مصر من سادات القرى ورؤوس المدن وقال زيد بن اسلم في قوله
تعالى فان لم يصبها وابل فطل هي مصر ان لم يصبها مطر زكت وان اصابها مطرا ضعفت
قاله المسعودي في تاريخه ويقال لما خلق الله سبحانه ادم عليه السلام مثل له الدنيا

شرقها وغربها وسهلها وجبلها وانهارها وبحارها ونباتها وخرابها ومن
يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما راى مصر ارضا سهلة ذات نهر جار
مادته من الجنة يتحدر فيه البركه وراى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر
الرب اليه بالرحمة فى سفحه اشجار مثمرة وفروعها فى الجنه تسقى بما الرحمه فدعا
ادم عليه السلام فى النيل بالبركه ودعا فى ارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك
فى نيلها وجبلها سبع مرات قال يا ايها الجبل المرحوم سفحك جنه وتربتك
مسكه يدفن فيها غراس الجنه ارض حافظه مطيقه رحيمه لا خلتك يا مصر بركه
ولا زال بك حفظ ولا زال منك ملك وعز يا ارض مصر فيك الخبايا والكنوز ولك
البر والثروه سال نهرك عسلا كثر الله زرعك ودر ضرعك وزكا نباتك وعظمت
بركتك وخصب ولا زال فيك يا مصر خير ما لم تتجبرى وتتكبرى او تخونى فاذا
فعلت ذلك عداك شر ثم يغور خيرك فكان ادم اول من دعالها بالرحمة والخصب
والرافه والبركه وعن ابن عباس ان نوحا عليه السلام دعا لمصر بن بيصر بن حام
فقال اللهم انه قد اجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته واسكنه الارض المباركه
التى هى ام البلاد وغوث العباد التى نهرها افضل انهار الدنيا واجعل فيها افضل
البركات وسخر له ولولده الارض وذللها لهم وقوهم عليها وقال كعب الاحبار لولا
رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلد معافاة من
الفتن ومن ارادها بسوء اكبه الله على وجهه وهو بلد مبارك لاهله فيه وقال
ابن وهب اخبرنى يحيى بن ايوب عن خالد بن يزيد عن ابن ابى هلال ان كعب الاحبار
كان يقول انى لاحب مصر واهلها لان مصر بلد معافاة واهلها اصحاب عافيه وهم
بذلك معافون يقال ان بعض الكتب الالاهيه مصر خزاين الارض كلها فمن ارادها
بسوء قصمه الله وقال عمرو بن العاص ولاية مصر جامعة تعدل الخلافه يعنى اذا
جمع الخراج مع الاماره وقال احمد بن مدبر يحتاج مصر الى ثمانيه وعشرين الف الف فدان [الامارة]
وانما يعمر منها الف الف فدان وقد كشفت ارض مصر فوجدت غامرها اضعاف
عامرها ولو اشتغل السلطان بعمارتها لوفت له بخراج الدنيا وقال بعضهم ان خراج
العراق لم يكن قط اوفر منه فى ايام عمر بن عبد العزيز فانه بلغ الف الف درهم
وسبعة عشر الف الف درهم ولم يكن مصر قط اقل من خراجها فى ايام عمرو بن العاص
فانه بلغ اثنى عشر الف الف دينار وكانت الساعات باربعة عشر الف الف سوى

الثغور

الثغور ومن فضايل مصر انه ولد بها من الانبيا موسى وهرون ويوشع عليهم السلام
ويقال ان عيسى بن مريم صلوات الله عليه اخذ على سفح المقطم وهو ساير على الى الشام
فالتفت الى امه وقال يا اماه هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويذكر انه ولد
فى قرية اهناس من نواحى صعيد مصر وانه كانت بها نخلة يقال انها النخلة المذكورة
فى القران بقوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة وهذا القول وهم فانه لا خلاف بين علما
الاحبار من اهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علما المسلمين ان عيسى صلوات الله عليه
ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس ودخل مصر من الانبيا ابراهيم خليل الرحمن وقد
ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهره من هذا الكتاب ودخلها ايضا يعقوب ويوسف
والاسباط وقد ذكر ذلك فى خبر الفيوم ودخلها ارميا وكان من اهلها مومن ال فرعون
الذى اثنى عليه الله جل جلاله فى القران ويقال انه ابن فرعون لصلبه والظنه غير
صحيح وكان منها جلسا فرعون الذى ابان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم فى
امر موسى وهرون عليهما السلام لما استشارهم فرعون فى امرهما فقال تعالى قال
للملا حوله ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون
قالوا ارجه واخاه وابعث فى المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم واين هذا من
قول اصحاب النمرود فى ابراهيم صلوات الله عليه حيث اشاروا بقتله قال تعالى
حكاية عنهم قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين ومن اهل مصر امراة فرعون
التى مدحها الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون
اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين
ومن اهلها ماشطة ابنة فرعون وامنت بموسى عليه السلام فمشطها فرعون بامشاط الحديد
كا يمشط الكتان وهى ثابتة على ايمانها بالله وقال صاعد اللغوى فى كتاب طبقات
الامم ان جميع العلوم التى ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد
مصر الاعلى وهو اول من تكلم فى الجواهر العلويه والحركات النجومية واول من ابتنا
الهياكل ومجد الله بها واول من نظر فى علم الطب والف لاهل زمانه قصايد موزونة
فى الاشيا الارضيه والسمايه وقالوا انه اول من انذر بالطوفان وراى ان افة سماية
تصيب الارض من الما والنار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنايع فبنى الاهرام والبرابى
التى فى صعيد مصر الاعلا وصور فيها جميع الصنايع والالات ورسم فيها صفات
العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده وخيفة ان يذهب رسمها من العالم وهرمس هذا

هوادريس عليه السلام وقال ابو محمد الحسن بن اسمعيل بن الضراب في اخبار مصر
ان الخضر اجاز البحر مع موسى عليهما السلام وكان مقدما عنده وكان بمصر من الحكما
جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم فكان من علومهم علم الطب وعلم
النجوم وعلم المساحة وعلم الهندسه وعلم الكيميا وعلم الطلسمات ويقال كانت مصر في
الزمن الاول يسير اليها طلاب العلم ليزكوا عقولهم ويجودا ذهانهم وتميز عندهم
الذكا وتدق الفطنة ومن فضايل مصر انها تميرا اهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر
فرضة الدنيا يحمل خيرها الى ما سواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين
واليمن والهند والصين وعمان والسند والشحر وساحلها من جهة تنيس ودمياط
والفرما فرضه بلاد الروم والافرنج وسواحل الشام والثغور الى حدود العراق
وثغر اسكندريه فرضه اقريطش وصقليه وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد
يحمل الى بلاد العرب والنوبة والبجه والحبشه والحجاز واليمن وبمصر عدة من الثغور
العدة للرباط في سبيل الله وهي البرلس ورشيد والاسكندريه وذات الحمام والبحيرة
واخنا ودمياط وشطا وتنيس والاشتوم والفرما والوراده والعريش واسوان
وقوص والواحات فيغزى من هذه الثغور الروم والافرنج والبربر والنوبه والحبشه
والسودان وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابي
والديارات والكنايس واهلها مستغنون بها عن كل بلد حتى انه لو ضرب بينها
وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى اهلها بما فيها عن ساير البلاد وبمصر دهن البلسان
الذي عظمت منفعته وصارت ملوك الارض تطلبه من مصر وتعتني به وملوك
النصرانية متراميه على طلبه والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى انه لا يتم تنصير
نصراني حتى يوضع شي من دهن البلسان في ما المعمودية عند تغطيسه فيها وبها
السقنقور ومنافعه لا تنكر وبها النمس والعرس ولها في اكل الثعابين فضيله لا تنكر
فقد قيل لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين وبها السمكة الرعاده
ونفعها في البرو من الحمى اذا علقت على المحموم عجيب وبمصر حطب السنط ولا نظير له في
معناه طول وقدمنه تحت قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد وهو مع ذلك صلب المكسر
سريع الاشتعال بطي الخمود ويقال انه ابنوس غيرته بقعة مصر فصار احمر وبها
الافيون عصارة الخشخاش ولا يجهل منافعه الا جاهل وبها اللبخ وهو ثمر قدر
اللوز الاخضر كان من محاسن مصر الا انه انقطع قبل سنه سبعمايه من الهجره وبها

الاترج

الاترج قال ابو داود صاحب السنن في كتاب الزكاة منه شبرت قثاة بمصر ثلاثة
عشر شبرا ورايت اترجه على بعير قطعت قطعتين وصيرت على مثل عدلين قال
المسعودي التاريخ والاترج المدور حمل من ارض الهند بعد الثلاث مايه من سني
الهجره وزرع بعمان ثم نقل منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس
بطرسوس وغيرها من الثغور الشاميه وفي انطاكيه وسواحل الشام وفلسطين
ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فعدم منه الارايح الخمرة الطيبه واللون الحسن
الذي كان فيه بارض الهند لعدم ذلك الهوا والتربة وخاصية البلد وفي مصر
معدن الزمرد ومعدن النفط والشب والبرام ومقاطع الرخام ويقال كان بمصر من
المعادن ثلاثين معدنا واهل مصر ياكلون صيد بحر الروم وصيد بحر اليمن طريا لان
بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم والفرما وذلك يوم وليله وهو الحاجز
المذكور في القران قال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا فبحرها بحر الروم وبحر القلزم وقال
تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال بعض المفسرين البرزخ ما
بين القلزم والفرما ومن محاسن مصر انه يوجد بها في كل شهر من شهور السنة القبطيه
صنف من الماكول والمشموم دون ما عداه من بقية الشهور فيقال رطب توت
ورمان بابه وموز هتور وسمك كيهك وماء طوبه وخروف امشير ولبن برمهات
وورد برموده ونبق بشنس وتين بوونه وعسل ابيب وعنب مسرى ومنها ان
صيفها خريف لكثرة فواكهه وشتاها ربيع لما يكون بمصر حينيذ من القرط والكتان
ومن محاسنها ان الذي ينقطع من الفواكه في ساير البلدان ايام الشتا يوجد حينيذ بمصر
ومنها ان اهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف الى استعمال الخيش والدخول في جوف
الارض كما يعانيه اهل بغداد ولا يحتاجون في برد الشتا الى لبس الفرو والاصطلا بالنار
الذي لا يستغنى عنه اهل الشام كما انهم ايضا في الصيف غير محتاجين الى استعمال الثلج
ويقال زبرجد مصر وقباطي مصر وحمير مصر وثعابين مصر ومنافعها في الدرياق ق
جليله ومن فضايل مصر ان الرخامة الخضرا التي في الحجر من الكعبه من مصر بعث بها
محمد بن طريف مولى العباس بن محمد في سنه احدى واربعين ومايتين مع رخامة اخرى
خضرا هديه للحجر فجعلت احدى الرخامتين على سطح جدار الحجر مقابل الميزاب والرخامة
الاخرى هي الرخامه الخضرا التي تحت الميزاب مما يلي جدار الكعبة وهما من احسن الرخام
في المسجد خضر وكان المتولي عملها عبد الله بن محمد بن داود وذرعهما ذراع وثلاث

اصابع قاله الفاكهي في اخبار مكة ومن فضايل مصر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسرر من اهلها وولد له صلى الله عليه وسلم من نسا مصر ولم يولد له ولد من غير
نسا العرب الا من نسا مصر قال ابن عبد الحكم لما كانت سنه ست من مها جر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبيه
بعث الى الملوك فمضا حاطب بن ابي بلتعة بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما انتهى الى الاسكندريه وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما
حاذا مجلسه اشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فلما راه
امر بالكتاب فقبض وامر به فاوصل اليه فلما قرا الكتاب قال ما منعه ان كان نبيًّا
ان يدعو علي فيسلط علي فقال له حاطب ما منع عيسى بن مريم ان يدعو على من ابى
عليه ان يفعل به ويفعل فوجم ساعة ثم استعادها فاعادها عليه حاطب فسكت
فقال له حاطب انه قد كان قبلك رجل زعم انه الرب الاعلى فانتقم الله به ثم انتقم
منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك وان لك دينا لن تدعه الا لما هو خير منه وهو
الاسلام الكافي الله به فقد ما سواه وما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد
وما دعاونا اياك الى القران الا كدعايك اهل التوراه الى الانجيل ولسنا ننهاك
عن دين المسيح ولكنا نامرك به ثم قرا الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية
الاسلام فاسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآ بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فلما قراه اخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه وعن
ابان بن صالح قال ارسل المقوقس الى حاطب ليلة وليس عنده احد الا ترجمان له
فقال الا تخبرني عن امور اسالك عنها فاني اعلم ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك
قلت لا تسالني عن شي الا صدقتك قال الى ما يدعوا محمد قال الى ان يعبد الله ولا
يشرك به شيا ويخلع ما سواه ويامر بالصلاة قال فكم تصلون قال خمس صلوات في
اليوم والليله وصيام شهر رمضان وحج البيت والوفا بالعهد وينها عن اكل الميتة
والدم قال من اتباعه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل تقتل قومه قال نعم
قال صفه لي قال فوصفته بصفة من صفته لم ات عليها قال قد بقيت اشيا لم اراك
ذكرتها في عينيه حمرة قل ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس

الشملة

الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقا من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته
قال قد كنت اعلم ان نبيا قد بقي وقد كنت اظن ان مخرجه الشام وهناك كانت تخرج
الانبيا من قبله فاراه قد خرج في العرب في ارض جهد وبوس والقبط لا تطاوعني
في اتباعه ولا احب ان يعلم بمحاورتي اياك وسيظهر على البلاد وتنزل اصحابه من
بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا وانا لا اذكر للقبط من هذا حرفا
فارجع الى صاحبك قال ثم دعا كاتبا يكتب بالعربية فكتب لمحمد بن عبد الله من
المقوقس عظيم القبط سلام اما بعد فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعوا
اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وقد كنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك
وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها
والسلام ه وعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال لما مضى حاطب بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب واكرم حاطبا واحسن نزله ثم سرحه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واهدى له معه كسوة وبغلة بسرجها وجاريتين احداهما
ام ابراهيم ووهب الاخرى لجهم بن قيس العبدري فهي ام زكريا بن جهم الذي كان
خليفة عمرو بن العاص على مصر ويقال بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن
مسلمة الانصاري ويقال بل لدحيه بن خليفه الكلبي وقيل بل لحسان بن ثابت وعن يزيد
ابن ابي حبيب ان المقوقس لما اتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه الى صدره
وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعته وصفته في كتاب الله تعالى وانا لنجد
صفته انه لا يجمع بين اختين في ملك يمين ولا نكاح وانه يقبل الهديه ولا يقبل الصدقة
وان جلساه المساكين وان خاتم النبوة بين كتفيه ثم دعا رجلا عاقلا ثم لم يدع بمصر
احسن ولا اجمل من مارية واختها وهما من اهل حفن من كورة انصنا فبعث بهما الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له بغلة شهبا وحمارا اشهب وثيابا من
قباطي مصر وعسلا من عسل بنها وبعث اليه بمال صدقة ويقال ان المقوقس
اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم اربع جواري وقيل جاريتين وبغلة اسمها
الدلدل وحمارا اسماه يعفور وقبا والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا من قباطي مصر
وخصيا يسمى مابور ويقال انه ابن عم مارية وفرسا يقال له الكراز وقدحا من زجاج
وعسلا من عسل بنها فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركه وقال ضن
الخبيث بملكه ولا بقا لملكه فان المقوقس قال خيرا واكرم حاطب بن ابي بلتعة وقارب

وبكسوة

زكريا بن جهم ... هذا ... واخت مارية ... عمرو بن العاص ... مصر

... واسمها ... وابنه ...

الامر ولم يسلم قال ابن سعد اخبرنا محمد بن عمر الواقدى ابا يعقوب بن محمد
ابن ابى صعصعة قال اهدى المقوقس صاحب الاسكندرية الى النبى صلى الله
عليه وسلم فى سنه سبع من الهجرة ماريه واختها سيرين والف مثقال ذهبا وعشرين
ثوبا وبغلته الدلدل وحماره عفير وخصيا يقال له مابور فعرض حاطب على مارية
الاسلام فاسلمت هى واختها ثم اسلم الخصى بعد وكان الذى بعثه المقوقس مع
مارية اسمه حبر بن عبد الله القبطى مولى بنى غفار قال ابن عبد الحكم وامر رسوله
ان ينظر من جلساوه وينظر الى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ففعل ذلك
الرسول فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اليه الاختين والدابتين
والعسل والثياب واعلمه ان ذلك كله هدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الهدية وكان لا يردها من احد من الناس قال فلما نظر الى مارية واختها اعجباه
وكره ان يجمع بينهما وكانت احداهما تشبه الاخرى فقال اللهم اختر لنبيك فاختار الله
له مارية وذلك انه قال لهما تشهدا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
فبدرت مارية فتشهدت وامنت قبل اختها ومكثت اختها ساعة ثم تشهدت
وامنت فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختها لمحمد بن سلمة الانصارى وقال
بعضهم بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبى وعن يزيد بن ابى حبيب عن عبد الرحمن بن
شماسة المهرى عن عبد الله بن عمرو قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام
ابراهيم ام ولده القبطية فوجد عندها نسيبا كان لها قدم معها من مصر وكان
كثيرا ما يدخل عليها فوقع فى نفسه شى فرجع فلقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعرف
ذلك فى وجهه فساله فاخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها
فاهوى اليه بالسيف فلما راى ذلك كشف عن وجهه نفسه وكان مجبوبا ليس بين
رجليه شى فلما راه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتانى فاخبرنى ان الله عز وجل قد براها وقريبها وان
فى بطنها غلاما منى وانه اشبه الخلق بى وامرنى ان اسميه ابراهيم وكنانى بابى ابراهيم
وقال الزهرى عن انس لما ولد تام ابراهيم ابراهيم كانه وقع فى نفس النبى صلى
الله عليه وسلم منه شى حتى جاه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم ويقال ان
المقوقس بعث معها بخصى كان ياوى اليها وقيل ان المقوقس اهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم جوار منهن ام ابراهيم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه

ذكر

وسلم لابى جهم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان بن ثابت فولدت مارية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فكان من احب الناس اليه حتى مات فوجد به
وكان سنه يوم مات ستة عشر شهرا وكانت البغلة والحمار احب دوابه اليه
وسما البغلة الدلدل وسما الحمار يعفور وا عجبه العسل فدعا فى عسل بنها بالبركة
وبقيت تلك الثياب حتى كفن فى بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم اخت مارية
قيصر ويقال بل كان اسمها شيرين وقيل حنه وكلم الحسن بن على معوية بن ابى سفين
فى ان يضع الجزية عن جميع قرية ام ابراهيم لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم
يكن على احد منهم خراج وكان جميع اهل القرية من اهلها واقربايها فانقطعوا بالمدينة
ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو بقى ابراهيم ما تركت قبطيا
الا وضعت عنه الجزية وماتت مارية فى المحرم خمس عشرة ٥

ذكر العجايب التى كانت بمصر من الطلسمات والبرابى ونحو ذلك

قال القضاعى ذكر
الجاحظ وغيره ان عجايب الدنيا ثلاثون اعجوبه منها بساير الدنيا عشر
اعجوبات وهى مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطره سنجه وقصر غمدان
وكنيسه روميه وصنم الزيتون وايوان كسرى بالمداين وبيت الريح بتدمر
والخورنق والسدير بالحيرة والثلاثة الاحجار ببعلبك وذكر انها بيت المشترى
والزهرة وانه كان لكل كوكب من السبعة بيت بها فتهدمت وبقى هذا ومنها
بمصر عشرون اعجوبه فمن ذلك الهرمان وهما اطول بنا واعجبه ليس على الارض
بنا باليد حجر على حجر اطول منهما واذا رايتهما ظننت انهما جبلان موضوعان ولذلك
قال بعض من راهما ليس من شى الا وانا ارحمه من الدهر الا الهرمين فانى لا ارحم
الدهر منهما ومن ذلك صنم الهرمين وهو بلهويه ويقال بلهيب ويقال انه طلسم
للرمل ليلا يغلب على بليز الجيزه ومن ذلك بربا سمنود وهو من اعاجيبها ذكر عن ابى
عمر الكندى انه قال رايته وقد حزن فيه بعض عما لها قرطا فرات الجمل اذا دنا من بابه
بحمله واراد ان يدخله سقط كل ذيب فى القرط لم يدخل منه شى الى البربا ثم خرب
عند الخمسين والثلثماية ومن ذلك بربا اخميم عجبا من العجب بما فيه من الصور
والعجايب وصور الملوك الذين يملكون مصر وكان ذو النون الاخميمى يقرا البرابى
فراى فيه حكما عظيمه فافسد اكثرها ومن ذلك بربا دندره وهو بربا عجيب فيه ثمانون

[illegible]

ومايه كوه تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ثم الثانية حتى تنتهى الى اخرها ثم تكر راجعه
الى موضع بدات ومن ذلك حايط العجوز من العريش الى اسوان يحيط بارض مصر
شرقا وغربا ومن ذلك الاسكندريه وما فيها من العجايب فمن عجايبها المنارة
والسوارى والملعب الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بالكرة فلا
تقع فى حجر احد الا ملك مصر وحضر عيدا من اعيادهم عمرو بن العاص فوقعت
الكرة فى حجره فملك البلد بعد ذلك فى الاسلام ثم يحضر هذا الملعب الف من الناس
فلا يكون فيهم احد الا وهو ينظر فى وجه صاحبه ثم ان قرى كتاب سمعوه جميعا
او لعب لون من الوان اللعب راوه عن اخرهم لا يتظالمون فيه باكثر من مراتب
العليه والسفله ومن عجايبها المسلتان وهما جبلان قايمان على سرطانات نحاس
فى اركانها كل ركن على سرطان فلو اراد مريد ان يدخل تحتها شى حتى تعبره من
جانبها الاخر لفعل ومن عجايبها عمود الاعيا وهما عمودان ملقيان ورا كل عمود
منهما جبل حصباكصبر الجمار بمنى تقبل المعيى التعب النصب بسبع حصيات حتى
يستلقى على احدهما ثم يرى وراه بالسبع ويقوم ولا يلتفت ويمضى لطيته فكانما
يحل حلا لا يحس من تعبه بشى ومن عجايبها القبة الخضرا وهى من اعجب قبة ملبسه
نحاسا كانه الذهب الابريز لا يبليه القدم ولا تخلفه الدهور ومن عجايبها منية
عقبة وقصر فارس وكنيسه اسفل الارض ثم هى مدينه على مدينه ليس على وجه
الارض مدينه فى هذه الصيغه سواها ويقال انها ارم ذات العماد سميت بذلك
لان عمدها ورخامها من البلد نجا والاصطفنيدس المخطط طولا وعرضا ومن عجايب
مصر ايضا الجبال التى بصعيدها على نيلها وهى ثلاثه اجبل فمنها جبل الكهف ويقال
الكف ومنها الطيلمون ومنها جبل زماخير الساحره يقال ان فيه حلقه من الجبل ظاهرة
مشرفة على النيل لا يصل اليها احد يلوح فيها خط مخلوق باسمك اللهم ومن عجايبها
شعب البوقيرات بناحية اشمون من ارض الصعيد وهو شعب فى جبل فيه صدع تاتيه
البوقيرات فى يوم من السنة كان معروفا فتعرض انفسها على الصدع فكلما ادخل بوقير
منها منقاره فى الصدع مضى لطيته فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتقى الصدع على بوقير منها
فتحبسه وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذى تحبسه متعلقا حتى يبلى فقط ويتماسى ومن
عجايبها عين شمس وهى هيكل الشمس وبها العمودان اللذان لم ير اعجب منهما ولا من
شانهما طولهما فى السما نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وفيهما صورة

انسان

حاشية
هذا الكلام عند طبيب
بلاد الاموس

سيهما
انسان على دابة وعلى راسيهما شبه الصومعتين من نحاس فاذا جا النيل قطر من راسيهما
ما تستبينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجرى من اسافلهما فينبت فى اصلهما العوسج
وغيره واذا دخلت الشمس دقيقه من الجدى وهو اقصر يوم فى السنة انتهت الى
الجنوبى منهما فطلعت عليه على قمة راسه ثم اذا دخلت دقيقه من السرطان وهو
اطول يوم فى السنة انتهت الى الشمالى منهما فطلعت على قمة راسه وهما منتهى الميلين وخط
الاستوا فى الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبه وجايبة سائر السنة كذا يقول
اهل العلم بذلك ومن عجايبها منف وعجايبها واصنامها وابنيتها ودفاينها
وكنوزها وما يذكر فيها اكثر من ان يحصى من اثار الملوك والحكما والانبيا الا يد فع
ذلك ومن عجايبها الفرما وهى اكثر عجايبا واكثر اثارا ومن عجايبها الفيوم ومن
عجايبها نيلها ومن عجايبها الحجر المعروف بحجر الخل يطفو على الخل ويسبح فيه كانه
سمكه وكان يوجد بها حجر اذا امسكه الانسان بكلتى يديه تقيا كل شى فى بطنه وكان
بها خرزه تجعلها المراة على حقوها فلا تحبل وكان بها حجر يوضع على حرف التنور فتسقط
خبزه وكان يوجد بصعيدها حجارة رخوه تكسر فتقد كالمصابيح ومن عجايبها
حوض كان بدلالات مد ورمن حجارة يركب فيه الواحد والاربعه ويحركون الما
شى فيعبرون من جانب الى جانب لا يعلم من عمله فاخذه كافور الاخشيدى الى مصر
فنظر اليه ثم اخرج من الما فالقى فى البر وكان فى اسفله كتابة لا يدرى ما هى ثم بطل
ومن عجايبها ان بصعيدها ضيعه تعرف بدشنا فيها سنطة اذا تهددت بالقطع
تذبل وتجتمع وتضمر فيقال لها قد عفونا عنك وتركناك فتتراجع والمشهور وهو موجود
الان سنطة فى الصعيد اذا تركت اليد عليها ذبلت واذا رفعت عنها تراجعت وقد
حملت الى مصر وشوهدت وبها نوع من الخشب يرسب فى الما كالابنوس وبها
الخشب السنط الذى يوقد منه الكثير فى الزمن الطويل فلا يوجد له رماد وذكر
ابن نصر المصرى انه كان على باب القصر الكبير الذى يقال له باب الريحان عند
الكنيسة المعلقة صنم من نحاس على خلقه الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامه سكنوا
عربية وفى رجليه نعلان كانت الروم والقبط وغيرهم اذا تظالموا بينهم واعتدى
بعضهم على بعض تجاروا اليه حتى يقفوا بين يدى ذلك الجمل فيقول المظلوم للظالم
انصفنى قبل ان تخرج هذا الراكب الجمل فياخذ الحق منك شيت ام ابيت يعنون
بالراكب النبى محمدا صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن العاصى غيبت الروم ذلك

الجبل ليلا يكون شاهدا عليهم قال ابن لهيعة بلغني ان تلك الصورة في
ذلك الموضع قد اتى عليها الاف سنين لا يدرى من عملها قال القضاعي فهذه عجوبة
اعجوبة من جملتها ما يتضمن عدة عجايب فلو بسطت لجا منها عدد كثير ويقال انه
ليس من بلد فيه شي غريب الا وفي مصر مثله او شبيه به ثم تفضل مصر على البلدان
بعجايبها التي ليست في بلد سواها وفي كتاب تحفة الالباب انه كان بمصر بيت
تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفي البيت سرير صغير من خشب تحته
ميت ملفوف في نطع قديم مشدود بحبل وعلى السرير مثل الباطيه فيها انبوب من
نحاس فيه فتيل اذا اشعل الفتيل بالنار وصار سراجا خرج من ذلك الانبوب الزيت
الصافي الحسن الفايق حتى يملى تلك الباطية وينطفي السراج بكثرة الزيت فاذا
انطفا لم يخرج من الدهن شي فاذا اخرج الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج من
الدهن شي والباطيه يرفعها الانسان فلا يرى تحتها شيا ولا موضعا فيه ثقب
واوليك الرهبان يعيشون من ذلك الزيت يشترونه الناس منهم فينتفعون به
وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عذيم الملك بن قفطريم كان
جبارا لا يطاق عظيم الخلق امر بقطع الصخور ليعمل هرما كما عمل الاولون وكان في
وقته الملكان اللذان اهبطا من السما وكانا في بير يقال لها افناوه فكانا يعلمان اهل
مصر السحر ويقال ان الملك عذيم بن البود سيرا استكثر من علمهما ثم استعلا الى
بابل واهل مصر من القبط يقولون انهما شيطانان يقال لهما مهلة ومهاله وليس
هما الملكين والملكان ببابل في بير هناك يغشاها السحره الى ان تقوم الساعة ومن
ذلك الوقت عبدت الاصنام وقال قوم كانت الشياطين تظهر وتنصبها
لهم وقال قوم اول من نصبها نمرود واول صنم اقامه صنم الشمس وقال اخرون
بل النمرود الاول امر الملوك بنصبها وعبادتها وعذيم اول من صلب وذلك
ان امراة زنت برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فامر
بصلبهما على منارين وجعل ظهر كل واحد منهما الى ظهر الاخر وزبر على المنارين
اسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك بهما فيه فانتهى الناس عن الزنا
وبنى اربع مداين واودعها صنوفا كثيرة من عجايب الاعمال والطلسمات وكنز
فيها كنوزا كثيرة وعمل في الشرق منارا واقام على راسه صنما موجها الى الشرق
مادا يديه يمنع دواب البحر والرمال ان تتجاوز حده وزبر في صدره تاريخ

الوقت الذي نصبه فيه ويقال ان هذا المنار قايم الى وقتنا هذا ولولاه
لغلب الما الملح من البحر الشرقي على ارض مصر وعمل على النيل قنطرة في اول بلد
النوبه ونصب عليها اربعة اصنام موجهة الى اربع جهات الدنيا في يد كل
صنم حربتان يضرب بهما اذا اتاه ات من تلك الجهه فلم تزل بحالها الى ان هدمها
فرعون موسى عليه السلام وعمل البربا على باب النوبة وهو هنا كما الى وقتنا
هذا وعمل في احدى المداين الاربع التي ذكرنا حوضا من صوان اسود مملوا ماء لا
ينقص على مدى الدهر ولا يتغير ماوه لانه اجتلبه اليه من رطوبة الهواء
وكان اهل تلك الناحيه واهل بلد المدينه يشربون منه ولا ينقص ماوه
وعمل ذلك لبعدهم عن النيل وذكر بعض كهنة القبط ان ذلك انما هو لقربه من البحر
الملح فان الشمس ترفع بحرها بخار البحر فيحصر من ذلك البخار جزا بالهندسة او
بالسحر ويجعله يحط في ذلك الموضع بالجوهر مثل الطل ويمده الهوا فلا ينقص ماوه
على الدهر ولو شرب منه العالم وعمل قدحا لطيفا على مثل هذا العمل واهداه
حومل الملك الى الاسكندر اليوناني وملكهم عذيم مايه واربعين سنه ومات
وهو ابن سبعماية وثلاثين سنه ودفن في احدى المداين ذات العجايب وقيل في
صحرا قفط وذكر بعض القبط ان ناووس عذيم عمل في صحرا قفط على وجه الارض تحت
قبه عظيمه من زجاج اخضر براق معقود وعلى راسها كرة من ذهب عليها طاير
من ذهب موشح بجوهر منشور الجناحين يمنع من الدخول الى القبه وكان قطرها
مايه ذراع في مثلها وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو
مكشوف الوجه وعليه ثياب منسوجه بالذهب المدرور بالجوهر المنظوم وطول
القبه اربعون ذراعا وجعل في القبه مايه وسبعين مصحفا من مصاحف الحكمة
وسبع موايد باوانيها منها مايده اذرك رماني احمر واوانيها منها ومايده من ذهب
فلوني واوانيها منها ومايده من حجر الشمس المضي باوانيها وهو الزبرجد الذي اذا
نظرت اليه الافاعي سالت اعينها ومايدة من كبريت احمر باوانيها ومايده من ملح ابيض
مدبر براق باوانيها ومايدة من زيبق معقود وجعل في القبة جواهر كثيره
وبراني صنعه مدبره وحوله سبعة اسياف وتراسا من حديد ابيض مدبر وتماثيل
افراس من ذهب عليها سروج من ذهب وسبعه توابيت من دنانير عليها صورته
وجعل معه من اصناف العقاقير والسمومات والادويه في براني من حجارة

وقد ذكر من راى هذه القبه واقاموا اياما فما قدروا على الوصول اليها وانهم اذا
قصدوها وكانوا منها على ثمانية اذرع دارت القبة عن ايمانهم او عن شمايلهم ومن
اعجب ما ذكروه انهم كانوا يحادون ازاجها ازجا ازجا فلا يرون غير الصورة التى
يرونها من الازج الاخر على معنى واحد وذكروا انهم راوا وجه الملك قدر ذراع
ونصف بالكبير ولحيته كبيره مكشوفه وقدروا طول بدنه عشرة اذرع وزياده
وذكر هولا الذين راوها انهم خرجوا الحاجة فوجدوها اتفاقا وانهم سالوا اهل
قفط عنها فلم يجد واحدا يعرفها سوى شيخ منهم واوصى عديم الملك ابنه شداث
ابن عديم ان ينصب فى كل حيز من احياز عمومته منارا ويزبر عليه اسمه فاتخذ ربى
الاشمونين وعمل منارا تها وزبر عليه اسمه وعمل بها ملاعب وعمل فى صحراتها منارا
اقام عليه صنما براسين على اسم كوكبين كانا مقترنين فى الوقت الذى خرج فيه الى
اترب وبنى فيها قبة مرتفعة على عمد واساطين بعضها فوق بعض وعلى راسها صنما
صغيرا من ذهب وعمل هيكلا للكواكب ومضى للحيز صا فعمل فيه منارا على راسه مراه
من اخلاط تورى الاقاليم ورجع وعمل شداث بن عديم هيكل ارمنت واقام فيه
اصناما باسما الكواكب من جميع المعادن وزينه باحسن الزينه ونقشه بالجواهر والزجاج
الملون وكساه الوشى والديباج وعمل فى المداين الداخلة من انصنا هيكلا واقام قبة
باترب وهيكلا شرقى الاسكندريه واقام صنما من صوان اسود باسم زحل على عبر
النيل من الجانب الغربى وبنا فى الجانب الشرقى مداين فى احداها صورة صنم قايم وله
احليل اذا اتاه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر ذكره فمسحه بكلتى يديه انتشر ذكره
وقوى على الباه وفى احداها بقرة لها ضرعان كبيران اذا انعقد لبن امراة اتتها
ومسحتها بيديها فانه يدر لبنها ودفع التماسيح بطلسم عمله بناحية سيوط فكانت
تنصب من النيل الى اخميم انصبابا فيقتلها ويستعمل جلودها فى السفن وغيرها وعمل
منقاوش الملك بيتا تدور به تماثيل لجميع العلل وكتب على راس كل تمثال ما يصلح من العلاج
فانتفع الناس بها زمانا الى ان افسدها بعض الملوك وعمل صورة امراة متبسمه لا يراها
مهموم الا زال همه ونسيه فكان الناس ينتابونها ويطوفون حولها ثم عبدوها من بعد
ذلك وعمل تمثالا من صفر مذهب بجناحين لا يمر به زان ولا زانيه الا كشف عورته بيده
فكان الناس يمتحنون به الزناه فامتنعوا من الزنا فرقا منه فلما ملك كلكن عشقت حظيه
عنده رجلا من خدمه وخافت ان تمتحن بذلك الصنم فاخذت فى ذكر الزوانى مع الملك

واكثرت

واكثرت من سبهن وذمهن فذكر كلكن ذلك الصنم وما فيه من المنافع فقالت
صدق الملك غير ان منقاوش لم يصب فى امره لانه اتعب نفسه وحكاه فيما جعله
لصلاح العامة دون نفسه وكان حكم هذا ان ينصب فى دار الملك حيث تكون نساوه
وجواريه فان اقترفت احداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا لهن عن عرض بقلوبهن
من الشهوة قال كلكن صدقت وظن ان هذا امنها نصح فامر بنزع الصنم من موضعه ونقله
الى داره فبطل عمله وعملت المراة ما كانت همت به وبنى هيكلا على جبل القصير للسحرة
فكانوا لا يطلقون الرياح للمراكب المقلعه الا بضريبة ياخذونها للملك منهم وبنى
مناوش بن منقاوش فى صحرا الغرب مدينة بالقرب من مدينه السحرة تعرف بقمنطر
ذات عجايب وجعل فى وسطها قبة عليها كالسحابه تمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا وتحت
القبة مطهره فيها ما اخضر يداوى به من كل دا فيبريه وعمل فى شرقيها بربا لطيفا له
اربعة ابواب لكل باب عضادتان فى كل عضاده صورة وجه يخاطب كل واحد منهما صاحبه
بما يحدث فى يومه فمن دخل البربا على غير طهارة نفخا فى وجهه فاصابته عله فظيعه
لا تفارقه حتى يموت وكانوا يقولون ان فى وسطه عمود النور فى صورة العمود من اعتنقه
لم يحجب عن نظره شى من الروحانيه وسمع كلامهم وراى ما يعملون وعلى كل باب من
ابواب هذه المدينه صورة راهب فى يده مصحف فيه علم من العلوم فمن احب معرفة
ذلك العلم اتى تلك الصورة فمسحها بيديه وامرها على صدره فيثبت ذلك العلم فى صدره
ويقال ان هاتين المدينتين بنيا على اسم هرمس وهو عطارد وانهما بحالهما وحكى عن
رجل انه اتى عبد العزيز بن مروان وهو امير مصر فعرفه انه تاه فى صحرا الشرق فوقع
على مدينه خراب فيها شجرة تحمل كل صنف الفاكهة وانه اكل منها وتزود فقال له رجل
من القبط هذه احدى مدينتى هرمس وفيها كنوز كثيره فوجه عبد العزيز معه جماعة
معهم زاد وما فاقاموا يطوفون تلك الصحارى شهرا فلم يقعوا لها على اثر وعملت ام [illegible]
الملك بركة عظيمة فى صحرا الغرب وجعلت فى وسطها عمودا طوله ثلاثون ذراعا وفى
اعلاه قصعة من حجاره يفور منها الما فلا ينقص ابدا وجعلت حول البركة اصناما
من حجارة ملونة على صور الحيوانات من الوحش والطير والبهايم فكان كل جنس ياتى الى
صورته ويالفها فيوخذ باليد وينتفع به وعملت لابنها متنزها لانه كان يحب الصيد
فجعلت فيه مجالس مركبة على اساطين من مرمر مصبغ بالذهب مرصع بالجوهر
والزجاج الملون وزخرفته بالتصاوير العجيبه والنقوش فكان الما يطلع فى فوارات

وينصب في انهار قد صفحت بالفضة تجري في حدائق فيها بديع الغروسات
وقد اقيم حولها تماثيل تصفر باصناف اللغات وارخت على المجلس ستورا من ديباج
واختارت لابنها من حسان بنات عمه وبنات الملوك ازواجه وحولته الى هذه
الجنة وبنت حول الجنة مجالس للوزرا والكهنة واشراف اهل الصناعات فكانوا
يرفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا فرغوا من اعمالهم حمل اليهم الطعام والشراب
وكان ميلاطس سلم الملك بعد ابيه مرقوره وهو صبي وكانت امه مدبرة للملك
وهي حازمة مجربة فاجرت الامور على ما كانت عليه في حياة ابيه واحسنت وعدلت
في الرعية ووضعت عنهم بعض الخراج وكانت ايامه سعيدة كلها في الخصب الكثير
والسعة للناس والعدل وكان له يوم يخرج فيه في الصيد ويرجع الى جنبه فيامر لكل
من معه بالجوايز والاطعمة ويجلس يوما للنظر في مصالح الناس وقضا حوايجهم ويخلوا
يوما بنسايه وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وجد رفات ه وعمل قرسون بن قليمون
ابن ترب منارا على بحر القلزم وعلى راسه مرآة تجذب المراكب الى شاطي البحر فلا
يمكنها ان تبرح او تعبر فاذا عبرت سترت المرآة حتى تجوز المراكب واقام قرسون
ملكا مايتي سنة وستين سنة وعمل لنفسه ناووسا خلف الجبل الاسود الشرقي في وسطه
قبة حولها اثنى عشر بيتا في كل بيت اعجوبة لا تشبه الاخرى وزبر عليها اسمه ومدة
ملكه وكان مرقونس الملك حكيما محبا للنجوم والعلوم والحكمة فعمل في ايامه درهم اذا
ابتاع به صاحبه شيا اشترط ان يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه
زيادة فيغتر البايع بذلك ويقبل الشرط فاذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم ارطال
كثيرة تساوي عشرة اضعافه وكان اذا احب ان يدخل في وزنها اضعاف تلك الارطال
دخل وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم ثم في خزاين بني اميه وكان الناس يتعجبون منه
ووجدوا دراهم اخر قيل انها عملت في وقته ايضا فيكون الدرهم منها في ميزان الرجل
فاذا اراد ان يبتاع حاجة اخذ ذلك الدرهم وقبله وقال اذكر العهد وابتاع به ما اراد
فاذا اخذ السلعة ومضى الى بيته وجد الدرهم قد سبقه الى ميزانه ويجد البايع
موضع ذلك الدرهم ورقة آس او قرطاس او مثل ذلك بقدر الدرهم وفي وقته عملت
الانيه الزجاج التي توزن فاذا مليت ماء او غيره ثم وزنت لم تزد عن وزنها الاول شيا
وعمل في وقته الانية التي اذا جعل فيها الماء صار خمرا في لونه ورايحته وفعله وقد
وجد من هذه الانية باطفيح ايام هرون بن خمارويه بن احمد بن طولون شربة جزع

بعروة زرقاء ببياض وكان الذي وجدها ابو الحسن الصايغ الخراساني هو ونفر معه
فاكلوا على شاطي النيل وشربوا بها الماء فوجدوه خمرا سكروا منه وقاموا الى ان تصولوا
فوقعت الشربة انكسرت عدة قطع فاغتم الرجل وجا بها هرون فاسف عليها وقال
لو كانت صحيحة لاشتريتها ببعض ملكي واما الانية النحاسية التي تجعل الماء خمرا فانها
منسوبة الى قلوبطرة بنت بطلميوس ملكة الاسكندرية فكثير وفي وقته عملت الصور الختمية
من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وساير الحشرات فكانت اذا جعلت في
موضع اجتمع اليها ذلك الجنس ولا تقدر على مفارقة تلك الصورة حتى تقتل وكان يعمل
اعماله كلها بصور درج الفلك واسمايها وطوالعها فيتم له من ذلك ما يريده وعمل في صحرا
الغرب ملعبا من زجاج ملون في وسطه قبة من زجاج اخضر صافي النور فاذا طلعت
عليها الشمس القت شعاعها على مواضع بعيده وعمل في اربعة جوانبه اربعة مجالس عالية
من زجاج كل مجلس لون ونقش عليها بغير لونها طلسمات عجيبه ونقوشات غريبه
وصورا بديعه كل ذلك من زجاج مطابق بشف وكان يقيم في هذا الملعب الايام وعمل
له ثلاثة اعياد في كل سنه فكان الناس يحجون اليه في كل عيد ويذبحون له ويقيمون فيه
سبعة ايام ولم يزل هذا الملعب معصد الامم فانه لم يكن له نظير ولا عمل في العالم مثله
الى ان هدمه بعض الملوك لعجزه عن عمل مثله وكانت ام مرقونس ابنة ملك النوبه
وكان ابوها يعبد الكوكب الذي يقال له السها ويسميه الالاها فسالت ابنها ان يعمل
لها هيكلا يفردها به فعمله وصفحه بالذهب والفضة واقام فيه صنما وارخى عليه الستور
الحرير فكانت تدخل اليه بجواريها وحشمها وتسجد له في كل يوم ثلاث مرات وعملت
لكل شهر عيدا تقرب له قرابين وتبخره ليله ونهاره ونصبت له كاهنا من النوبة يقوم
به ويقرب له ويبخره ولم تزل بابنها حتى سجد له ودعا الى عبادته فلما راى الكاهن الامر
في عبادة الكواكب قد تم واحكم من جهة الملك احب ان يكون لكوكب السها مثال في
الارض على صورة حيوان يتعبد له فاقام يعمل الحيلة في ذلك الى ان اتفق ان العقبان
كثرت بمصر واضرت بالناس فاحضر الملك هذا الكاهن وساله عن سبب كثرتها
فقال ان الالاهة ارسلها لتعمل لها نظيرا تسجد له فقال مرقونس ان كان يرضيه ذلك
فانا افعله فقال ان ذلك رضاه فامر بعمل عقاب هوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب
مسبوك وعمل عينيه من ياقوتتين وعمل له وساحين من لولو منظوم في انابيب جوهر
اخضر وفي منقاره درة معلقة وسوله بادركا احمر واقامه على قاعدة من فضة

منقوشة قد ركبت على قايمه زجاج ازرق وجعله فى ازج عن يمين الهيكل والقى عليه
ستور الحرير وجعل له دخنه من جمع الافاويه والعموغ وقرب له عجلا اسود وبكا
الفراريخ وباكوره الفواكه والرياحين فلما تمت له سبعة ايام دعاهم الى السجود له
فاجابه الناس ولم يزل الكاهن يجهد نفسه فى عبادة العقارب وعمل له عيدا فلما
تم له اربعون يوما نطق الشيطان من جوفه وكان اول ما دعاهم اليه ان يحوله فى
انصاف الشهور بالمندل ويرش الهيكل بالخمر العتيقة التى توخذ من روس الخوابى
وعرفهم انه قد ازال عنهم العقبان وضررها وكذلك يفعل فى غيرها مما يخافون
فسر الكاهن بذلك ووجه الى الملك يعرفها ذلك فصارت الى الهيكل وسمعت كلام
العقاب فسرها ذلك واعظمته وبلغ الملك فركب الى الهيكل حتى خاطبه وامره ونهاه
فسجد له واقام له سدنه وامر ان يزين باصناف الزينه فكان مرقونس يقوم لهذا
الهيكل ويسجد لتلك الصورة ويسالها عما يريد فتخبره وعمل من الكيميا ما لم يعمله
احد من الملوك فيقال انه دفن بصحرا الغرب خمسماية دفين ويقال انه عمل على باب
مدينه صا عمودا عليه صنم فى صورة امراة جالسة وفى يدها مراة تنظر اليها فكان
العليل ياتى الى هذه المراه وينظر فيها فان كان يموت من علته تلك روى ميتا وان كان او ينظر له احد منكم
يعيش راوه حيا وينظر فيها ايضا للمسافر فان راوه مقبلا بوجهه علموا انه راجع وان
راوه موليا علموا انه متماد فى سفره وان كان مريضا او ميتا راوه كذلك فى المراه وعمل
بالاسكندرية صورة راهب جالس على قاعده وعلى راسه كالبرنس وفى يده
كالعكاز فاذا مر به تاجر جعل بين يديه شيا من المال على قدر بضاعته فان تجاوزه
ولو عن بعد من غير ان يضع بين يديه المال لم يقدر على الجواز وثبت قايما مكانه
فكان يجتمع من ذلك مال عظيم يفرق فى الزمنى والفقرا وعمل فى زمنه كل اعجوبة ظريفه
وامر ان يزبر اسمه عليها وعلى كل علم وكل طلسم وكل صنم وعمل لنفسه ناوسا فى داخل
ارض الغرب عند جبل يقال له سدام وعمل تحته ازجا طوله ماية ذراع وارتفاعه
ثلثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه
بالحجارة وعمل فيها دار به مصاطب مبلطة بزجاج على كل مسطبة اعجوبة وفى وسط
الازج دكة من زجاج على كل ركن من اركانها صورة تمنع من الدنو اليها وبين كل صورتين
منارة عليها حجر مضى وفى وسط الدكة حوض من ذهب فيه جسده بعد ما ضمد بالادوية
الماسكه ونقل اليه ذخايره من الذهب والجوهر وغيره وسد باب الازج بالصخور

والرصاص

والرصاص وهيل عليها الرمال وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنه وعمره مايتين
واربعين سنه وكان جميلا ذا وفرة حسنه فتنسكت نساوه ولزمن الهيكل من بعده
وملك بعده ابنه ايساد ثم صا بن ايساد وقيل صا بن مرقونس اخو ايساد فعمل مراة
فى مدينه منف تري الاوقات التى تخصب فيها مصر وتجدب وبنى بداخل الواحات
مدينه ونصب قرب البحر اعلاما كثيرة وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيله
فكان كل من تعذر عليه امر ياتيه ويبخره فيتيسر ذلك الامر له وجعل بحافة
البحر الملح منارا يعلم منه امر البحر وما يحدث فيه من اقصى ما يصل اليه البصر على
مسيرة ايام وهو اول من اتخذها ويقال انه بنى اكثر مدينة منف وكل
بنيان عظيم بالاسكندرية ولما ملك تدارس بن صا الاحيا زكلها بعد ابيه وصفا
له ملك مصر فبنى فى غربى مدينه منف بيتا عظيما لكوكب الزهرة واقام فيه صنما
عظيما من لازورد مذهب وتوجه بذهب ملوح بزرقة وسوره بسوارين من
زبرجد اخضر وكان الصنم فى صورة امراة لها ظفيرتان من ذهب اسود مدبر
وفى رجليها خلخالان من حجر احمر شفاف ونعلان من ذهب وبيدها قضيب
مرجان وهى تشير بسبابتها كانها مسلمة على من فى الهيكل وجعل حذاها تمثال بقرة
ذات قرنين وضرعين من نحاس احمر مموه بذهب موشحه بحجر اللازورد ووجه
البقرة تجاه وجه الزهره اللازورد وبينهما مطهره من اخلاط الاجساد على عمود
رخام مجزع وفى المطهرة ما مدبر يستشفى به من كل دا وفرش الهيكل بحشيش الزهرة
يبدل لونها فى كل سبعة ايام وجعل فى الهيكل كراسى للكهنة قد صفحت بالذهب والفضة
وقرب لهذا الصنم الف راس من الضان والمعز والوحش والطير وكان يحضر يوم
الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب
على فرس له جناحان ومعه حربه فى سنانها راس انسان معلق ولم يزل هذا الهيكل
الى ان هدمه بخت نصر وفى ايام ماليق بن تدارس وكان موحدا على دين قبطيم
ومصرايم خرج فى جيش عظيم فى البر والبحر فغزا البربر وارض افريقيه وبلاد
الاندلس وارض الافرنجه الى البحر وعمل على البحر اعلاما زبر عليها اسمه وسير
ورجع فهابه ملوك الارض وكان فى غربى مصر مدينه يقال قرميذه لها
بها قوم من البربر قد ملكوا عليهم امراة ساحرة فغزاهم فلم ينل منهم قصدا ورجع
فارادت ملكتهم افساد مصر فعملت من سحرها وامرت فالقى فى النيل ففاض الما

على المزارع حتى افسدها وكثرت التماسيح والضفادع وفشت الامراض في الناس
وانبث فيهم الثعابين والعقارب فاحضر ما بقي الكهنة والحكما في دار حكمتهم
والزمهم بالنظر لذلك فنظروا في نجومهم فراوا ان هذه الافة اتتهم من ناحية
الغرب وان امراة عملته والقته في النيل فعلموا حينئذ انه من فعل تلك الساحرة
واجتهد في دفع ذلك بما عندهم من العلم حتى انكشف عنهم البلا الفاسد
وهلكت الدواب المضره وجهز قايدا في جيش الى المدينه فلم يجدوا بها
غير رجل واحد فاخذوا من الاموال والجواهر والاصنام ما لا يحصى فمن ذلك
صورة كاهن من زبرجد اخضر على قايمة من حجر الاسبادشم وصورة روحاني
من ذهب راسه من جوهر احمر وله جناحان من در وفي يده مصحف فيه كثير من
علومهم في دفتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت ازرق على قاعدة
زجاج اخضر فيها ما لدفع الاسقام وفرسا من فضة اذا عزم عليه بعزايمه
ودخن بدخنه وركبه احد طار به فاحضر ذلك وغيره من عجايب السحرة
واصنامهم والاموال والجواهر الى مصر ومعهم الرجل فساله الملك عن عجيب
اعمالهم فقال قصدهم بعض ملوك البربر بجمع كثيف وتخاييل هايلة فاغلق اهل بلدنا
حصنهم ولجوا الى الاصنام فاتى الكاهن الى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا
يشربون منها فجلس على حافتها واحاط روسا الكهنة بها واخذ يزمزم على الما
حتى فار وخرج من وسطه نار في وسطها وجه كدارة الشمس لها ضو فخر الجماعة لها
سجودا وتلك الصورة تعظم حتى صعدت وخرقت القبة وسمع منها قد كفيتم شر
عدوكم فقاموا واذا بعدوهم قد هلك وساير من معه وذلك ان صورة الشمس التي
ظهرت من الما مرت فصاحت فيهم صيحة هلكوا بها ه ولما ملك كلكن مصر بعد ابيه
خرسا كان النمرود في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره ووجه
اليه ان يلقاه وكان النمرود يسكن سواد العراق وغلب على كثير من الامم فاقبل
كلكن على اربعة افراس تحمله لها اجنحة وقد احاط به كالنار وحوله صور هايله
قد حيل بها وهو متشح بثعبان ويحترم ببعضه وذلك التنين فاغر فاه ومعه
قضيب اس اخضر كلما حرك التنين راسه ضربه بالقضيب فلما راى النمرود ذلك هاله
واعترف له بعظيم الحكمة وتقول القبط ان كلكن كان يرتفع فيجلس على الهرم الغربي
في قبة تلوح على راسه وكان اهل البلد اذا دهمهم امر اجتمعوا حول الهرم ويقولون

انه ربما اقام على راس الهرم اياما لا ياكل ولا يشرب ثم انه استتر مدة حتى توهموا
انه هلك فطمع الملوك في مصر وقصدها ملك من الغرب يقال له ساد ومر في جيش
عظيم الى ان بلغ وادي هبيب فاقبل كلكن وجللهم من سحره بشي كالغمام شديد الحرارة
وهم تحته اياما لا يدرون اين يتوجهون ثم ارتفع وصار بمصر فعرفهم ما عمل وامرهم
فخرجوا فاذا بالقوم هم ودوابهم قد ماتوا فعاينه جميع الكهنة وصوروه في ساير
الهياكل ه وبنى هيكلا لزحل من صوان اسود في ناحية الغرب وجعل له عيدا
وفي ايام دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع الذي يقال له عند القبط ذرثموش
ظهر معدن فضة على ثلاثة ايام من النيل فاثاروا منه شيا عظيما وعمل منه صنما على
اسم القمر لان طالعه كان برج السرطان ونصبه على القصر الرخام الذي بناه ابوه
في شرقي النيل ه ونصب حوله اصناما كلها من الفضة والبسها الحرير الاحمر وعمل
للصنم عيدا كلما دخل القمر برج السرطان ولما ولي اكسامس الملك بعد ابيه معدان
ابن معاديوس بن دارم بن درثموش وهو الفرعون السادس اقام اعلاما
كثيرة حول منف وجعل عليها اساطين يمشي من بعضها الى بعض وعمل رقوده
وصاومد ابن الصعيد واسفل الارض اعلاما ومناير للوقود وطلسمات كثيرة
وعمل كرة من فضة ونقش عليها صور الكواكب ودهنها بالدهن الصيني واقامها
على منارة في وسط منف وعمل في هيكل ابيه روحاني زحل من ذهب اسود مدبر وعمل
في وقته ميزان يعتبر به الناس كفتاه من ذهب وعلاقته من فضة وسلاسله
من ذهب فكان معلقا في هيكل الشمس ه وكتب على احدى كفتيه حق وعلى الاخرى
باطل وتحته فصوص قد نقش عليها اسما الكواكب فيدخل الظالم والمظلوم وياخذ
كل منهما فصا من تلك الفصوص ويسمي عليه ما يريده ويجعل احد الفصين في كفة
والاخر في كفة فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم ومن اراد سفرا اخذ فصين
وذكر على احدهما اسم السفر وعلى الاخر الاقامة وجعل كل واحد في كفة فان ثقلا
جميعا ولم يرتفع احدهما على الاخر اقام وان ارتفعا سافر وان ارتفع احدهما اخر
السفر ثم سافر وكذا من عليه دين او من له غايب او ينظر في صلاح امره وفساده
ويقال ان بخت نصر لما دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فيما حمل الى بابل
وجعله في بيت من بيوت النار وعمل في ايامه ايضا تنورا يشوى فيه من غير نار
وقد يطبخ فيها بغير نار وسكين ينصب فاذا راها شي من البهايم امل حتى يذبح نفسه

بها وعملا ما يستحيل نارا و زجاج يستحيل هوا واشيا من النيرنجات والنواملس
واما البرابي فذكروا ان وصيف شاه ان سوريد الذي بنى الاهرام هو الذي بنا
البرابي كلها وعمل فيها الكنوز وزبر عليها علوما ووكل بها روحانية يحفظها ممن
يقصدها وقال في كتاب الفهرست وبمصر ابنية يقال لها البرابي من الحجاره العظيمه
الكبير وهي على اشكال مختلفه وفيها مواضع للصحق والسحق والحل والعقد والتقطير
يدل على انها عملت لصناعة الكيميا وفي هذه الابنية نقوش وكتابات لا يدرى
ماهي وقد اصيبت تحت الارض فيها هذه العلوم مكتوبة في التوز وفي صفايح الذهب
والنحاس وفي الحجارة وذكر الحسن بن ابراهيم الهمداني ان برابي مصر تنسب الى براب بن
الدرمشيل بن محويل بن خنوخ بن قاين بن ادم عليه السلام وقال ابن عبد الحكم
لما اغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف اهلها احد
ولم يبق بها الا العبيد والاجرا والنسا فاعظم اشراف من بمصر من النسا ان يولين
منهم احدا واجمع رايهن ان يولين امراة منهن يقال لها دلوكه ابنت زبا وكان لها
عقل ومعرفه وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهي يومئذ بنت مايه سنه
وستين سنه فملكوها فخافت ان يتناولها ملوك الارض فجمعت نسا الاشراف وقالت
لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها احد ولا يمد عينه اليها وقد هلك اكابرنا واشرافنا
وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رايت ان ابني حصنا احدق به جميع
بلادنا فاضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نامن ان يطمع فينا الناس فبنت
جدارا احاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع والمداين والقرى وجعلت
دونه خليجا يجري فيه الما واقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح
على كل ثلاثة اميال محرس ومسلحه وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت
في كل محرس رجالا واجرت عليهم الارزاق وامرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا
اتاهم احد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فاتاهم الخبر من اي وجه
كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن ارادها وفرغت من
بنايه في ستة اشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت
بالصعيد منه بقايا كثيره قال المسعودي وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان
كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاوره من الملوك
والبوادي فحوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا فملكتهم ثلثين

سنة

سنه في قول قائل كاتبه قد بقي من حايط العجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا
اخبرني الشيخ المعمر محمد بن السعودي انه سار في بلاد الصعيد على حايط العجوز
ومعه رفقه فاقتلع احدهم منها لبنه فاذا بها كبيرة جدا تخالف المعهود الان من
اللبن في المقدار فتناولها القوم واحدا واحدا يتاملونها وبينما هم في رويتها اذ
سقطت الى الارض فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر الذي يتعجب منه لعدم مثله
في زماننا فقشروا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس والعيب كانها قريبة عهد
بحصادها لم يتغير منها شي البته فاكلها الجماعة قطعه قطعه وكانها انما جنيت لهم من
الزمن القديم والاعصر الخاليه انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها قال
ابن عبد الحكم وكان ثم عجوز ساحره يقال لها تدوره وكانت السحرة تعظمها وتقدمها
في علمهم وسحرهم فبعثت اليها دلوكه ابنة زبا انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك
ولا نامن ان يطمع فينا الملوك فاعملي لنا شيا نغلب به من حولنا فقد كان فرعون يحتاج
اليك فكيف وقد ذهب اكابرنا يعني في الغرق مع فرعون موسى وبقي اقلنا فعملت
بربا من حجارة في وسط مدينه منف وجعلت له اربعة ابواب كل باب منها الى
جهة القبلة والبحر والغرب والشرق وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير
والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملا يهلك به كل من ارادكم من كل جهة تؤتون
منها برا او بحرا وهذا ما يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنته فمن اتاكم من اي جهة فانهم
ان كانوا في البر على خيل او بغال او ابل او في سفن او رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم
التي ياتون منها فما فعلتم بالصور من شي اصابهم ذلك في انفسهم على ما يفعلون بهم فلما
بلغ الملوك حولهم ان امرهم قد صار الى ولاية النسا طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم فلما دنوا
من عمل مصر تحركت تلك الصور التي في البربا فطفقوا لا يهيجون تلك الصور بشي ولا
يفعلون بها شيا الا اصاب ذلك الجيش الذي اقبل اليهم مثله ان كانت خيلا فما فعلوا
بتلك الخيل المصوره في البربا من قطع روسها او سوقها او فقي اعينها او بقر بطونها اثر
مثل ذلك بالخيل التي ارادتهم وان كانت سفنا او رجالة فكمثل ذلك وكانوا اعلم الناس
بالسحر واقواهم عليه وانتشر ذلك فيما دونهم الناس وكان نسا اهل مصر حين غرق فرعون
وقومه ولم يبق الا العبيد والاجرا لم يصبروا عن الرجال فطفقت المراة تعتق عبدها
وتتزوجه وتتزوج الاخرى اجيرها وشرطن على الرجال ان لا يفعلوا شيا الا
باذنهن فاجابوهن الى ذلك فكان امر النسا على الرجال قال يزيد بن ابي حبيب

ان نسا القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لما مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشترى
الا قال استامر امراتى فلكتهم دلوكه ابنت زبا عشرين سنه تدبر امرهم بمصر
حتى بلغ صبى من ابنا اكابرهم واشرافهم يقال له دركون بن بلوطس فملكوه عليهم
فلم تزل مصر ممتنعه بتدبير تلك العجوز نحوا من اربعمايه سنه وكلما انهدم من
ذلك البربا الذى صور فيه الصور لم يقدر احد على اصلاحه الا تلك العجوز وولدها
وولد ولدها وكانوا اهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع اهل ذلك البيت
وانهدم من البربا موضع فى زمان لقاس بن مرينوس فلم يقدر احد على اصلاحه
ومعرفة عمله وبقى على حاله وانقطع ما كانوا يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الا
ان الحكم كثير والمال عندهم فلما قدم بخت نصر المقدس وظهر على بنى اسرايل وسبا
وخرج بهم الى ارض بابل قصد مصر وخرب مداينها وقراها وسبا جميع اهلها ولم
يترك بها شيا حتى بقيت مصر اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن يجرى نيلها ويذهب
لا ينتفع به ثم رد اهل مصر اليها بعد اربعين سنه فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ
وقال بعض الحكما رايت البرابى واجدت تاملها فوجدتها مشكله على جميع
الاشكال الفلك والذى ظهر لى انه لم يعملها حكيم واحد ولا ملك واحد بل تولى
عملها قوم بعد قوم حتى تكاملت فى دور كامل وهو ستة وثلاثون الف سنه شمسيه
لان مثل هذه الاعمال لا تعمل الا بالارصاد ولا تتكمل رصد المجموع فى اقل من هذه
المدة المذكورة وكانوا يجعلون الكتاب حفرا ونقرا فى الصخور ونقشا فى الحجارة وخلقه
مركبه فى البنيان وربما كان الكتاب هو الناتى وربما كان الكتاب هو المحفور اذا كان تاريخا
لامر جسيم او عهد لامر عظيم او موعظه يرجى نفعها او احيا شرف يريدون تخليد
ذكره وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى
باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها
وكانوا يعمدون الى الاماكن المشهوره والمواضع المذكورة فيضعون الخط فى ابعد
المواضع من الدثور وامنعها من الدروس واجدر ان يراها من مر بها ولا تنسى على
وجه الدهر وقال المسعودى واتخذت دلوكه بمصر البرابى والصور واحكمت
الات السحر وجعلت فى البرابى صور من يرد من كل ناحيه ودوابهم ابلا كانت او
خيلا وصورت فيها من يرد من البحر من المراكب من بحر الغرب والشام وجمعت فى
هذه البرابى العظيمه المشيدة البنيان اسرار الطبيعه وخواص الاحجار والنبات

والحيوان

والحيوان وجعل ذلك فى اوقات فلكيه واتصالا لها بالموثرات العلويه وكانوا
اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز واليمن غورت تلك الصور التى فى البربا من الابل
وغيرها فيتغور ما فى ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو
الشام فعل فى تلك الصور التى من تلك الجهة التى اقبل منها جيش الشام ما فعل كما وصفنا
فيحدث فى ذلك الجيش من الافات فى ناسه وحيوانه ما صنع فى تلك الصور التى من تلك
الجهة وكذلك من ورد من جيوش الغرب ومن ورد فى البحر من رومية والشام
وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم
بتدبير هذه العجوز واتقانها لزم اقطار المملكه واحكامها السياسه وقد تكلم من
سلف وخلف فى هذه الخواص واسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر وهذا
الخبر من فعل العجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابى بمصر من صعيدها وغيره
باقية الى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت فى بعض الاشيا احدثت
افعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من اجله على حسب قولهم فى الطباع التام والله
اعلم بكيفية ذلك قال واخبرنى غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن ابى
الفيض ذى النون بن ابراهيم المصرى الاخميمى الزاهد وكان حكيما وكانت له طريقه
ياتيها ونحله يعضدها وكان ممن يفتر عن اخبار هذه البرابى وامتحن كثيرا مما صور فيها
ورسم عليها من الكتابة والصور قال رايت فى بعض البرابى كتابا تدبرته فاذا هو
احذر العبيد المعتقين والاحداث والجند المتعبدين والنبط المستعربين ورايت فى
بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدر والقضا يضحك وفى اخر كتابه تبينتها فى
ذلك العلم فوجدتها تدبرت النجوم ولست تدرى ورب النجم يفعل ما يريد قال
وكانت هذه الامة التى اتخذت هذه البرابى لهجة بالنظر فى احكام النجوم مواظبين
على معرفة اسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه احكام النجوم ان طوفانا سيكون
فى الارض ولم تقطع على ذلك الطوفان ما هو انار ياتى على الارض فتحرق ما عليها او ما
يغرقها او سيف يبيد اهلها فخافت دثور العلوم وفناها بفنا اهلها فاتخذت هذه
البرابى واحدها بربا ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت
بنيانها نوعين طينا وحجارة وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالحجر وقالت ان كان هذا
الطوفان نارا استحجر ما بنى بالطين وبقيت هذه العلوم وان كان الطوفان الوارد ما
اذهب ما بنى بالطين وبقى ما يبنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقى كل من النوعين ما هو

من الطين وما هو من الحجر وهذا ما قيل والله اعلم انه كان قبل الطوفان وان الطوفان
الذى كانوا يرتقبونه ولم يعينوه انا رهوا ام ماء ام سيف كان سيفا اتى جميع اهل مصر
من امه غشيتها وملك نزل عليها فاباد اهلها ومنهم من راى ان ذلك الطوفان كان
وباء عم اهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المنضده من الناس من
صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهى المعروفة ببلاد تنيس من ارض مصر
بذات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض
فى الكهوف والغيران والنواويس ومواضع كثيره من الارض لا يدرى من اى الامم
هم فلا النصارى تخبر عنهم انهم من اسلافهم ولا اليهود تقول انهم من اوايلهم ولا
المسلمون يدرون من هولاء ولا تاريخ ينبى عن حالهم وعليهم اثوابهم وكثيرا ما يوجد فى
تلك الروابى والجبال من حليهم والبرابى ببلاد مصر بنيان قايم عجيب كالبربا التى

ببلاد اخميم والبربا الذى ببلاد سمنود وغير ذلك

ذكر الدفاين والكنوز التى يسميها اهل مصر المطالب

قال المسعودى ولمصر اخبار عجيبه من الدفاين والبنيان وما يوجد فى الدفاين
من ذخاير الملوك التى استودعوها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وقد
ع
بالمطالب الى هذه الغاية وقد اتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا فمن اخبارها ما ذكر
عيسى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك بن مروان فاتاه
رجل متنصح فساله عن نصحه فقال بالقبة العلانيه كنز عظيم قال عبد العزيز وما
مصداق هو ان يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهى بنا الحفر
الى باب من الصفر تحته عمود من الذهب على اعلاه ديك عيناه ياقوتتان يساويان
ملك الدنيا وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد وراسه على صفايح من الذهب على
اعلى ذلك العمود فامر له عبد العزيز بنفقه لاجرة من يحفر من الرجال فى ذلك ويعمل فيه
وكان هناك تل عظيم فاحتفروا حفيرة عظيمة فى الارض والدلايل والدلايل المقدم
ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك واوسع فى النفقه
واكثر من الرجاله ثم انتهوا فى حفرهم الى ظهور راس الديك فبرق عند ظهوره لمعان
عظيم لما فى عينيه من الياقوت ثم بان جناحاه ثم بانت قوايمه وظهر حول العمود عمود
من البنيان بانواع الحجارة والرخام وقناطر مقنطره وطاقات على ابوابه معقوده
ولاحت منها تماثيل وصور واشخاص من انواع الصور الذهب واجرنه من الاحجار

قد

قد اطبق عليها اغطيتها وسبكت فركب عبد العزيز بن مروان حتى اشرف على الموضع فنظر
الى ما ظهر من ذلك فتسرع بعضهم ووضع قدمه على درجة من نحاس تنتهى الى ما هنالك
فلما استقرت قدمه على المرقاه ظهر سيفان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها
فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزاه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على
بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صفيرا عجيبا اسمع من كان بالبعد من هناك
وحرك جناحيه وظهرت من تحته اصوات عجيبه قد عملت باللوالب والحركات اذا
مال ووقع على بعض تلك الدرج شى او ماسها شى انقلبت فتهاوى من هنالك من الرجال الى
اسفل تلك الحفرة وكان فيها ممن يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويحول ويامر وينهى نحو
الف رجل فهلكوا جميعا فخرج عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع النيل
نعوذ بالله منه وامر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج من هنالك من التراب على من هلك
من الناس فكان الموضع قبرا لهم قال المسعودى وقد كان جماعة من اهل الدفاين
والمطالب ومن قد اعتنى واغرى بحفر الحفاير وطلب الكنوز وذخاير الملوك والامم
السالفه المستودعة بطن الارض ببلاد مصر قد وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام
السالفه فيه وصف موضع ببلاد مصر على اذرع يسيره من بعض الاهرام بان فيه
مطلبا عجيبا فاخبروا الاخشيد محمد بن طغج بذلك فامرهم بحفره واباحهم استعمال الحيلة فى
اخراجه فحفروا حفرا عظيما الى ان انتهوا الى ازج واقباء وحجارة مجوفة فى صخر منقور فيه
تماثيل قايمة على ارجلها من الخشب وقد طلى بالاطلية المانعة من سرعة البلى وتفرق الاجزاء
والصور مختلفه منها صور شيوخ وشبان ونساء واطفال اعينهم من انواع الجواهر كالياقوت
والزمرد والزبرجد والفيروزج ومنها ما وجوهها ذهب وفضه فكسر بعض تلك
التماثيل فوجدوا فى اجوافها رمما باليه واجساما فانيه والى جانب كل تمثال منها نوع من
الانية كالبرانى وغيرها من المرمر والرخام وفيه من الطلى الذى قد طلى منه ذلك الميت
الموضوع فى التمثال الخشب والطلاء واسحوق واخلاط معموله لا رايحة لها فجعل منه
على النار ففاح منه ريح طيبه مختلفه لا تعرف فى نوع من انواع الطيب وقد جعل كل
تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير اعمارهم وتباين
صورهم وبازاء كل تمثال من الحجر المرمر او من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم
للتماثيل والصور عليها انواع من الكتابات لم يقف احد على استخراجها من اهل الملل وزعم قوم
من ذوى الدراية ان لذلك القلم منذ فقد من ارض مصر اربعة الاف سنه وفيما ذكرناه دلالة

ان هولا ليسوا يهود ولا نصارا ولم يودهم الحفر الا لما ذكرنا من هذه التماثيل وكان
ذلك في سنه ثمان وعشرين وثلثمايه وقد كان من سلف وخلف من ولاة مصر
احمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنه اثنتين وثلثين وثلثمايه لهم اخبار
عجيبه فيما استخرج في ايامهم من الدفاين والاموال والجواهر وما اصيب من هذه
المطالب من القبور قد اتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا ه وركب احمد بن طولون
يوما الى الاهرام فاتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحي والمعاول
فسالهم عما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لا تخرجوا بعد هذا الا
بمشوره ورجل من قبلي واخبروه ان في سمت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم اليهم
الرافقي وتقدم الى عامل الجيزه في اعانتهم بالرجال والنفقات وانصرف
فاقاموا مده يعملون حتى ظهر لهم فركب احمد بن طولون اليهم وهم يحفرون فكشفوا
عن حوض مملو دنانير وعليه غطا مكتوب عليه بالبربطيه فاحضر من قراه فاذا
فيه انا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من غشه ودنسه فمن اراد ان يعلم
فضل ملكي على ملكه فلينظر الى فضل عيار ديناري على عيار ديناره فان مخلص الذهب
من الغش مخلص في حياته وبعد وفاته فقال احمد بن طولون الحمد لله رب العالمين انما نبهتني عليه
هذه الكتابه احب الي من المال ثم امر لكل من القوم المطالبيه بمايتي دينار منه ولكل من
الصناع بخمسة دنانير بعد توفية اجرته وللرافقي بثلثماية دينار ولنسيم الخادم
بالف دينار وحمل باقي الدنانير فوجدها اجود من كل عيار وتشدد من حينئذ في
العيار بمصر حتى صار عيار ديناره الذي عرف بالاحمدي اجود عيار وكان لا يطلي
الا به

ذكر هلاك اموال مصر ه

وفي الاصل من هذا المحل ماس ورقه وقد سقط

قال الله عز وجل وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في
الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا
يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون هذا دعا من موسى عليه السلام على فرعون وقومه من
اهل مصر لكفرهم ان يهلك الله اموالهم قال الزجاج طمس الشي اذهابه عن صورته
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه وعن محمد بن كعب القرظي انهما قالا صارت
اموال اهل مصر ودراهم حجاره منقوشه كهيتها صحاحا واثلاثا وانصافا فلم يبق لهم
معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد بعدهم وقال قتادة بلغنا ان اموالهم وزروعهم

صارت

صارت حجارة وقال مجاهد وعطية اهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال
عين مطموسه اي ذاهبه وطمس الموضع اذا عفى ودرس وقال ابن زيد صارت
دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شي لهم حجاره وقال محمد بن كعب وكان الرجل
منهم يكون مع اهله في فراشه وقد صارا حجرين قال وسالني عمر بن عبد العزيز عن ذلك
ذلك فدعا بخريطه اصيبت بمصر فاخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير
وانها لحجاره وقال محمد بن شهاب الزهري دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال
يا غلام ايتني بالخريطه فجا بخريطه فنثر ما فيها فاذا فيها دراهم ودنانير وتمر وجوز
وعدس وفول فقال كل يا ابن شهاب فاهويت اليه فاذا هو حجاره فقلت ما
هذا يا امير المومنين قال هذا مما اصاب عبد العزيز بن مروان في مصر اذ كان
عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من اموالهم وقال المضارب بن عبد الله الشامي اخبرني
من راى النخلة بمصر مصروعه وانها لحجر ولقد رايت ناسا كثيرا قياما وقعودا في اعمالهم
لو رايتهم ما شككت فيهم قبل ان تدنو منهم انهم اناس وانهم لحجاره ولقد رايت الرجل
من رقيقهم وانه لحارث على ثورين وانه وثوريه لحجاره وسال وشيمه بن موسى في قصص
الانبيا ان فرعون لما هلك وقومه وامنت بنوا اسرايل غايلته ندب موسى عليه السلام
من نقبايه الاثني عشر نقيبين احدهما كالب بن يوقنا والاخر يوشع بن نون مع كل واحد
من سبطه اثني عشر الفا وارسلهما الى مصر وقد خلت من حاميه لغرق اهلها مع فرعون
فاخذوا ذخاير فرعون وكنوزه وعادوا الى موسى فذلك توريثهم ارض مصر يعني
قول الله تعالى عن قوم فرعون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
كذلك واورثناها بني اسرايل وقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض مصر اورثها بني اسرايل لانهم هم
المستضعفون الذين كانوا فيها بدليل قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض قال جامعه ومولفه
اخبرني داود بن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيره بارض مصر انه عبر
واد بالقرب من الفلوف بالوجه القبلي فراى فيه مقاثي كثيره ما بين بطيخ وقثا وتفاح
وكلها حجاره وكان قد اخبرني قديما بعض اعيان الناس انه شاهد في سفره الى بعض
البلاد من ارض مصر بطيخا كثيرا كله حجارة وذلك البطيخ من الصنف الذي يقال له
عبدلي

ذكر اخلاق اهل مصر وطبايعهم وامزجتهم

وهذا العلامات بمحل الوادي بارض بلاد ... [illegible]

قال ابو الحسن علي بن رضوان الطبيب مصر اسم فيما نقلت الرواة يدل على
احد بني اولاد نوح النبي عليه السلام فانهم ذكروا ان مصر هذا انزل بهذه
الارض فانسل فيها وعمرها فسميت باسمه والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم
هو الارض الذي يفيض عليها النيل ويحيط به حد وداربعه وهو ان الشمس تشرق
على اقصى العمارة بالمشرق قبل شروقها على هذه الارض بثماني ساعات وثلث
وتغيب عنها قبل ان تغيب عن اخر العماره بالمغرب بثلاث ساعات وثلثي ساعة
ساعه فيجب من ذلك ان تكون هذه الارض في النصف الغربي من الربع العامر
والنصف الغربي من الربع العامر على ما قال ابقراط وبطلميوس اقل حرارة واكثر رطوبة
من النصف الشرقي لانه قسم كوكب القمر والنصف الشرقي في قسم كوكب الشمس وذلك
ان الشمس تشرق على النصف الشرقي قبل شروقها على النصف الغربي والقمر يهل على النصف
الغربي قبل النصف الشرقي وقد زعم قوم من القدماء ان ارض مصر في وسط الربع المعمور
من الارض بالطبع فاما بالقياس فعلى ما ذكرنا من انها في النصف الغربي والحد الثالث
هو ان اول بعد هذه الارض عن خط الاستوا في جهة الجنوب اسوان وبعدها عن خط
الاستوا اثنان وعشرون درجه ونصف فالشمس تسامت روس اهلها مرتين في السنة
عند كونها في اخر الجوزا وفي اول السرطان وفي هذين الوقتين لا تكون للقايم باسوان
نصف النهار ظل اصلا فالحراره واليبس والاحتراق غالب على مزاجها لان الشمس تنشف
رطوباتها ولذلك صارت الوانهم سودا وشعورهم جعدة لاحتراقها رضهم والحد
الرابع هو ان اخر بعد ارض مصر عن خط الاستوا في جهة الشمال طرف بحر الروم وعليه
من ارض مصر بلدان كثيره كالاسكندريه ورشيد ودمياط وتنيس والفرما وبعد
دمياط عن خط الاستوا في الشمال احد وثلاثون جزا وثلث وهذا البعد هو اخر الاقليم
الثالث واول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا تقرب منهم كل القرب
فالغالب عليهم الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الوضع المعتدل على الصحه من
البلدان العامرة هو وسط الاقليم الرابع وايضا فمجاورة دمياط للبحر واحاطته بها
يجعلها معتدلة بين الحر والبرد خارجة عن الاعتدال الى الرطوبة فيكون الغالب عليها
المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد ولذلك صارت الوانهم سمرا واخلاقهم سهلة
وشعورهم سبطه واذا كان اول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق واخرها
من جهة الشمال الغالب عليه الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة فما بين هذين الموضعين

من

من ارض مصر الغالب عليه الحرارة وتكون قوة حرارته بقدر بعده عن اسوان وقربه
من بحر الروم ومن اجل هذا قالا ابقراط وجالينوس ان المزاج الغالب على ارض مصر الحرارة
قال وجبل لوقا في مشرق هذه الارض يعوق عنها ريح الصبا فانه لم يرا احد
قط بفسطاط مصر صبا خالصة لكن متى هبت الصبا عندهم هبت نكبا بين الشرق والشمال
او المشرق والجنوب وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن فقد عدمت ارض مصر هذه
الفضيلة ومن اجل ذلك صارت المواضع التي تهب فيها ريح الصبا من ارض مصر احسن حالا
من غيرها كالاسكندرية وتنيس ويعوق ايضا هذا الجبل اشراق الشمس على ارض مصر
اذا كانت على الافق فيكون زمان لبث الشعاع في هذه الارض اقل من الطبيعي ومثل
هذه الحال سبب لركود الهوا وغلظه وارض مصر ارض كثيرة الحيوان والنبات جدا
لا تكاد تجد فيها موضعا خلوا من الحيوان والنبات وهي ارض متخلخله فانك تراها عند
انصراف النيل بمنزلة الحماة فاذا حللت الحرارة ما فيها من الرطوبة تشققت شقوقا
عظاما والمواضع الكثيرة الحيوان والنبات ارض كثيرة العفونة وقد اجتمع في ارض مصر
حرارة مزاجها وسخافتها وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات فاوجب ذلك احتراقها
وسواد طينها فصارت ارضا سودا وما قرب منها من الجبل سبخ اما بورقي او مالح ويظهر
من ارض مصر بالعشيات بخار اسود او اغبر وخاصة في ايام الصيف وارض مصر
ذات اجزا كثيرة ويختص كل جزو منها بشي دون غيره وعلة ذلك ضيق عرضها
واستمداد طولها في عرض الاقليم الثاني والثالث فان الصعيد فيه من النخل والسنط
واجام القصب والبردي ومواضع احراق الفحم وغير ذلك شي كثير والفيوم فيه
من النقايع واجام القصب ومواضع تعفين الكتان شي كثير واسفل ارض مصر فيه من
النبات انواع كثيرة كالقلقاس والموز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من ارض مصر لها
اشيا تختص بها وتنفصل عن غيرها قال والنيل يرطب يبس الصيف والخريف فقد
استبان ان المزاج الغالب على ارض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وانها ذات اجزا
كثيره وان هواها وماها رديان وقد بين الاوايل ان المواضع الكثيرة العفن يتحلل منها
في الهوا فضول كثيرة لا تدعه يستقر على حال لاختلاف تصعدها وقد كان استبان
ان هوا ارض مصر يسرع اليه التغير لان الشمس لا تثبت على ارض مصر شعاعها
المدة الطبيعية فمن اجل هذين كثر اختلاف هوا ارض مصر فصار يوجد في اليوم الواحد
على حالات مختلفة مرة حر ومره برد ومره يابس واخرى رطب ومرة متحرك

واخرى ساكن ومرة الشمس صاحيه ومرة قد ستر ها الغيم وبالجملة هوا مصر كثير
الاختلاف غير لازم لطريقه ولحدة فيصير من اجل ذلك ما في الاوعية والعروق
من اخلاط البدن لا يلزم حدا واحدا وايضا فان ما يتحلل كل يوم من البخار الرطب بارض
مصر يعوقه اختلاف الهوا وقلة سمك الجبال وكثرة حرارة الارض عن الاجتماع في الجو
فاذا برد الهوا ببرد الليل انحدر هذا البخار على وجه الارض فتولد منه الضباب الذي
تحدث عنه الطل والندا وربما تحلل هذا البخار بالتحلل الخفي فاذا تحلل كل يوم ما كان
اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله فمن اجل هذا لا يجتمع الغيم المطر بارض مصر الا في
الندرة وظاهره ايضا ان ارض مصر تترطب هواوها في كل يوم بما يترقى اليه من البخار
الرطب وما يتحلل وقد قال بعض الناس ان الضباب يتكون من استحالة الهوا طبيعة
الما فاذا انضاف هذا الى ما قلناه كان ازيد في بيان سرعة تغير الهوا بارض مصر وكثرة
العفونة فيها فقد استبان ان ارض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التي
تسرع اليها العفن والعلة القصوى في جميع ذلك هو ان اخص الاوقات بالجفاف في الارض
كلها تكثر فيه بمصر الرطوبة لانها تترطب في الصيف والخريف بمد النيل وفيضه وهذا
خلاف ما عليه البلدان الاخر وقد اعلمنا ابقراط ان رطوبة الصيف والخريف فضلية اعني
خارجة عن المجرى الطبيعي كرطوبة المطر الحادث في الصيف ومن اجل هذا قلنا ان رطوبة
مصر فضليه وذلك ان الحرارة واليبس هو بالحقيقه مزاج مصر الطبيعي وانما عرض
له ما اخرجه عن اليبس الى الرطوبة الفضلية مد النيل في الصيف والخريف ولذلك
كثرت العفونات بهذه الارض فهذا هو السبب الاول الاعظم في ان صارت ارض مصر
على ما هي عليه من سخافة الارض وكثرة العفن ورداة الما والهوا الا ان هذه الاشيا
لا تحدث في ابدان المصريين استحالة محسوسة اذا جرت على عادتها من اجل الف
المصريين لهذه الحال ومشاكلة ابدانهم لها فان كل ما يتولد بارض مصر من الحيوان
والنبات مشابه لما عليه مصر في سخافة الاجسام وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة
الوقوع في الامراض وقصر المدة كالحنطة بمصر فانها وشيكة الزوال سريع اليها العفن
في المدة اليسيرة ولا نظن ان ابدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الحنطة من سرعة
الاستحالة وكيف لا يكون الامر كذلك وابدانهم مبنية من هذه الاشيا فحال ما يتولد في
بارض مصر من النبات والحيوان في السخافة وكثرة الفضول في العفن وسرعة الوقوع
الامراض كحال سخافة ارضها وعفنها وفضولها وسرعة استحالتها لان النسبة واحدة

ولذلك امكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها فان هذه الاشيا من حيث تناسبها
ولم تبعد عن مشاكلتها امكن حياتها فاما الاشيا الغريبه فانها اذا دخلت الى مصر
تغيرت في اول لقايها لهذا الهوا حتى اذا استقرت والفت الهوا واستمرت عليه صحت
مشاكلة الارض مصر فان واما جنس ما يوكل ويشرب بارض مصر فان
الغلات سريعة التغير سخيفه متخلخلة تفسد في الزمان اليسير كالحنطة والشعير
والعدس والحمص والباقلا والجلبان فان هذه تسوس في المدة القليلة وليس لشي من
الاغذية التي تعمل منها لذاذة بالنظيرة في البلدان الاخر وذلك ان الخبز المعمول من
الحنطه بمصر متى لبث يوما واحدا بليلته لا يوكل وان اكل لم توجد له لذاذه ولا
تماسك لبعضه ببعض ولا توجد فيه علوكه ولكنه يتكرج في الزمان اليسير
وكذلك الدقيق وهذا خلاف اخباز البلدان الاخر وكذلك الحال في
جميع غلات مصر وفواكهها وما يعمل منها فانها وشيكة الزوال سريعة الاستحالة
والتغير فاما ما يحمل من هذه الى مصر فظاهر ان مزاجها يتبدل باختلاف الهوا عليها
ويستحيل عما كانت عليه الى مشاكلة ارض مصر الا ان ما كان حديثا قريب العهد بالسفر
فقد بقيت فيه من جودته بقايا صالحة فهذا حال الغلات واما الحيوان الذي يأكله
الناس فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الارض في السخافة وسرعة
الاستحالة فهو على هذا ملايم لطبايعهم والمجلوب كالكباش البرقية فالسفر يحدث
في ابدانها تحللا ويبسا واخلاطا لا تشاكل مزاج المصريين ولهذا اذا دخلت مصر مرض
اكثرها فاذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاجها المصريين واهل
مصر يشرب الجمهور منهم من ما النيل وقد قلنا في ما النيل ما فيه كفايه وبعضهم يشرب
مياة الابار وهي قريبه من مشاكلتهم والمياه المخزونه فقل من يشربها بارض مصر واجود
الاشربة عندهم الشمسي لان العسل الذي فيه حفظ قوته والايدعه يتغير بسرعة والزبيب
الذي يجعل فيه خالص الحر فهو منضجه والزبيب الذي يعمل منه مجلوب من بلاد اجود
هوا واما الخمر فقل من يعتصرها الا ويلقي معها عسلا وهي معتصرة كي تكون
مشاكلة لهم ولهذا صاروا يختارون الشمسي عليها وما عدا الشمسي والخمر من الشراب بارض
مصر فردي لا خير فيه لسرعة استحالته من فساد مادته كالنبيذ التمري والمطبوخ
والمزر المعمول من الحنطة واغذية اهل مصر مختلفة فان اهل الصعيد يغتذون
كثيرا بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب السكر ويجلبونها الى الفسطاط وغيرها

فتباع هناك وتوكل واهل اسفل الارض يغتذون كثيرا بالقلقاس والجلبان ويحملون
ذلك الى مدينه الفسطاط وغيرها فتباع هناك وتوكل وكثير من اهل مصر يكثرون
اكل السمك طريا ومالحا وكثيرا يكثرون اكل الالبان وما يعمل منها وعند فلاحيهم نوع من
الخبز يدعى كعكا يعمل من جرس الحنطه والحمص وهو اكثر اكلهم السنة كلها وبالجمله فكل
قوم منهم قد نبتت ابدانهم من اشيا باعيانها والفتها ونشات عليها الا ان الغالب
على اهل مصر الاغذيه الرديه وليست تغير مزاجهم ما دامت جارية على العاده
وهذا ايضا مما يوكد امرهم في السخافه وسرعة الوقوع في الامراض واهل الريف
اهل حركه ورياضه من اهل المدن ولذلك هم اصح ابدانا لان الرياضه تصلب اعضاهم
وتقويها واهل الصعيد اخلاطهم ارق واكثر حاديه وتحللا وسخافه لشدة حرارة ارضهم اخلاطهم
من اهل اسفل الارض واهل اسفل الارض بمصر اكثر استفراغ فضولهم بالبراز والبول لفتور
حرارة ارضهم واستعمالهم للاشيا البارده والغليظه كالقلقاس والحمص واما اخلاق
المصريين فبعضها شبيه ببعض لان قوى النفس تابعة لمزاج البدن وابدانهم سخيفه سريعة
التغير قليلة الصبر والجلد وكذلك اخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شي الى شي
والدعه والجبن والقنوط والشح وقلة الصبر والرغبه في العلم وسرعة الخوف والحسد
والنميمه والكذب والسعي الى السلطان وذم الناس وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنيه
التي تكون من دناة النفس وليس هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في اكثرهم ومنهم
من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبراة من الشرور ومن اجل ذلك لا يولد بارض مصر الجبن والشر
الدنيه في النفس لم يسكنها الاسد واذا دخلت ذلت ولم تتناسل وكلابها اقل جراة
من كلاب غيرها من البلدان وكذلك ساير ما فيها اضعف من نظيره في البلدان
الاخر ما خلا ما كان منها في طبعه ملايما لهذه الحال كالحمار والارنب قال ان جالينوس
يرى ان فصل الربيع طبيعته الاعتدال وينافض من ظن انه حار رطب ومن شان هذا
الفصل ان تصح فيه الابدان وتجود هضمها وينتشر الحراره الغريزيه فيه وتصفو
الروح الحيواني لاعتدال الهوا وصفاييه ومساوة ليله لنهاره وغلبة الدم والهوا
المعتدل هو الذي لا تحس فيه ببرد ظاهر ولا حر ولا رطوبه ولا يبس ويكون في نفسه
نقيا صافيا فتقوى فيه الروح الحيوانى لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر نشاط
الحيوان وتنمى الاشيا وتزيد وتتولد واذا طلبنا بارض مصر مثل هذا الهوا لم نجده في
وقت من السنه الا في امشير وبرمهات وبرموده وبشنس عندما تكون الشمس

النصف الاخير من الدلو والحوت والحمل والثور فانا نجد بمصر في هذا الزمان اياما
معتدلة نقيه صافيه لا تحس فيها بحر ظاهر ولا برد ولا رطوبه ولا يبوسه
وتكون الشمس فيها نقيه من الغيوم والهوا ساكنا لا يتحرك الا ان يكون ذلك في برموده
وبشنس فانه يحتاج الى ان تهب ريح الشمال ليعتدل ببردها حر الشمس وفي هذا
الزمان يكثر حركه الحيوان وسفاده وحسن اصواته وتورق الاشجار ويعقد الزهر
وتقوى القوه المولده وتغلب كموس الدم وهذا الفصل في ارض مصر يتقدم زمانه
الطبيعي بمقدار ما ينقص عن اخره وعلة ذلك قوة حرارة هذه الارض وقد يعرض في
اول هذا الفصل ايام شديدة البرد وذلك في امشير اذا هبت ريح الشمال وكانت الشمس
غير نقيه من الغيوم وعلة ذلك دخول فصل الربيع في فصل الشتا فاذا هبت ريح الشمال
بردت ببردها الهوا فاعادته بعد الاعتدال الى البرد ولكثرة ما يصعد من الارض في هذا
الزمان من البخار الرطب يرطب الهوا ويعود الى حاله في فصل الشتا وربما برد الهوا من هبوب
رياح اخر فان ريح الجنوب التي هي اشد الرياح حرارة اذا هبت في هذا الزمان اكتسبت
برودة من الارض والما الذي قد بردهما هوا الشتا فاذا مرت بشي بردته ببرودتها العرضيه
فاذا دام هبوبها اياما كثيرة متواليه عادت الى حرارتها واسخنت الهوا واحدثت
فيه يبسا والدليل على ان برد رياح الجنوب الذي يعرفها المصريون بالمريسي تولد من
برد مياه مصر وارضها الارضي طبيع لها انه لا يجتمع في الجو في ايام هبوبها الضباب الذي
يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل فحرارة ريح الجنوب
تعوق البرودة عن جمعه وتبدده في الهوا واذا دام هبوب هذه الريح اسخنت الما والارض
وعادت الى طبيعتها في الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيعي ويختلف هذا
الاختلاف والهوا في الاصل بمصر مختلف بكثرة استحالته وما يرتقي اليه من البخار فما ظنك
بغيره من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح وأخر الاطبا فيه سقي الادويه المسهلة الى ان
يستقر امره في شمس الحمل والثور ثم يدخل فصل الصيف من اخر بشنس وبونه وابيب
وبعض مسرى عندما تكون الشمس في الجوزا والسرطان والاسد وبعض السنبله فيشتد
الحر واليبس في هذا الزمان وتجف الغلات وتنضج الثمار ويجتمع من اكلها في الابدان
كيموسات كثيره رديه واذا نزلت الشمس السرطان اخذ النيل في الزيادة والفيض على ارض
مصر فتغير مزاج الصيف الطبيعي بكثره ما يترقى الى الهوا من بخار الماء ويوجد في اول
هذا الفصل عندما تكون الشمس في الجوزا ايام تشاكل هواها هوا الربيع عندما تكون

الشمس متوقد بالغيوم او يكون ريح الشمال هابه ولهذا يغلط كثير من الاطبا ويسقي الادويه
المسهله في هذا الزمان لظنه ان فصل الربيع لم يخرج الا ان من كان منهم احذق فهو يختار ربما
كان من هذه الايام اسكن حراره والاكثر لا يشعرون البته بهذه الحال وفي اخر الصيف يكون فيض
النيل فظاهر ان هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان الطبيعي فقد ربما يتقدم اخره وايضا كثير
الاضطراب بكثره ما يرقا اليه من بخار الماء فلولا استمرار ابدانهم على هذا الاختلاف وتشاكلهم
لهذه الحال لحدثت فيهم الامراض التي ذكر ابقراط انها تحدث اذا كان الصيف رطبا
ثم يدخل فصل الخريف وطبيعته يابسه من النصف الاخير من شهر توت وبابه وبعض
ايام هتور وتكون الشمس في لغو السنبله والميزان والعقرب فتكمل زيادة النيل في اول
هذا الفصل وتطلق على الارضين فيطبق ارض مصر ويرتفع منه في الجو بخار كثير
فينتقل مزاج الخريف عن اليبس الى الرطوبه حتى انه ربما وقع فيه الامطار وكثر الغيم
في الجو ويوجد في هذا الفصل ايام شديد الحر الا انها على الجمله صيفيه فاذا نقي الجو من البخار
الرطب عادت الى طبيعتها من الحرارة وفيه ايضا ايام شديدة الشبه بايام الربيع يكون عند
ما يساوي الليل النهار ويترطب اليابس الهوا وتشتد في هذا الفصل اضطراب الهوا لكثرة ما
يرتقي اليه من البخار الرطب فيكون مره حر واخرى برد ومره يابس واكثر اوقاته
تغلب عليه الرطوبة فلا يزال كذلك يتمزج حتى يغلب عليه رطوبة الماء في لغو الامر ويصاد
في ايام الخريف من النيل اسماك كثيره جدا يولد اكلها في الابدان اخلاطا لزجة وكثيرا
ما يستحيل الى الصفرا اذا صادفت في البدن خلطا صفراويا فمن اجل ذلك يضطرب
ما في الابدان من الروح الحيواني وتهيج الاخلاط ويفسد الهضم في البطون والاوعية
والعروق ويتولد من ذلك كيموسات رديه كثيرة الاختلاف بعضها صفراوي وبعضها مني
سوداوي وبعضها بلغم لزج وبعضها خلط خام وبعضها مري محترقه وكثير منها يتركب من هذه
الاشيا فيثير الامراض حتى اذا انصرف النيل في اخر الخريف وانكشفت الارض وبرد الهوا
وكثرت الاسماك واحتقن البخار وكثر ما يرتفع من الارض من العفونه واستحكم عند ذلك
وجود العفونه ابدت الامراض ولولا ان الله تفضل على ارض مصر لهذه الاشيا لكان ربما يحدث
فيهم من الامراض اكثر من ذلك ثم يدخل فصل الشتا وطبيعته بارده رطبه من النصف
الاخير من هتور وكيهك وطوبه وذلك عند ما يكون الشمس في القوس والجدي وبعض الدلو
وذلك اقل من ثلاثه اشهر والعله في ذلك لقوة حرارة ارض مصر وكون الابدان مضطربه
وتنكشف الارض في اول هذا الفصل وتحرث وتعفن بالجمله لكثرة ما يلقى فيها من البزور

وما فيها من ازبال الحيوان وفضولها ولانها سخيفه وهي كالحمأة في هذا الزمان
فتتولد فيها من انواع الفار والدود والنبات والعشب وغير ذلك مما لا يحصى كثره
ويتحلل منها في الجو ابخرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات ساترا للابصار عن الالوان
القريبه ويصاد ايضا من الاسماك المحبوسه في المياه المخزونه شي كثير وقد داخلها
العفن لقلة حركتها فيولد اكلها في الابدان فضولا كثيرة لزجه شديدة الاستعداد للعفن
فتقوى الامراض في اول هذا الفصل حتى اذا اشتد البرد وقوي الهضم في الابدان واستقر
الهوا على شي واحد وعادت الحرارة الغريزيه الى داخل وتطبقت الارض بالنبات
وسكنت عفونتها صحت عند ذلك الابدان وهذا يكون في اخر كيهك او في طوبه فقد
استبان ان الفصول بارض مصر كثيره الاختلاف وان اردا اوقات السنة عندهم
واكثرها امراضا هي اخر الخريف واول الشتا وذلك في شهر هتور وكيهك فاذا
اختلاف الفصول مشاكل لما عليه ارضهم من الرداة فمضرة الفصول اذا بالابدان في
ارض مصر اقل منها في البلدان الاخر اذا اختلفت هذا الاختلاف واستبان ايضا ان
السبب الاول في ذلك هو مد النيل في ايام الصيف وتطبيقه الارض في ايام الخريف بخلاف
ما عليه مياة الانهار في العمارة كلها فانها انما تمتد في اخص الاوقات بالرطوبة وهو الشتا
والربيع قال وقد استبان فيما تقدم ان الرطوبة الفضلية بارض مصر كثيره وظاهر
ان امراضهم البلديه يكون من نوع هذه الرطوبة فاني انا اقل ما رايت امراضهم البلديه
يكون من نوع هذه كلها لا يستويها في اول امرها البلغم والخلط الخام والامراض كلها
تحدث عندهم في الاوقات كلها كما قال ابقراط واكثر امراضهم هي الفضليه اعني
العفنه عن اخلاط صفراويه وبلغمانيه على ما يشاكل مزاج ارضهم قال وما ذكرناه
فيما تقدم يوجب حدوث الامراض كثيرا الا ان مشاكلة هذه بعضها بعضا وانها فيها
في سنه واحده تمنع من ان يكون في انفسها مرضه متى لزمت العادة فاما اذا خرجت عن
عاداتها فهي تحدث مرضا وخروجها عن عاداتها بمصر هو الذي اعني اختلافا
ممرضا لا الاختلاف الموجود فيها على الدايم والنيل ليس يحدث في الابدان في كل سنة
مرضا ولكنه اذا افرطت زيادته ودام مدة تزيد عن العادة كان ذلك سببا لحدوث
المرض الوافد فان قيل اذا كانت ابدان الناس بارض مصر من السخافة على ما ذكرت
فلعلها في مرض دايم فالجواب لسنا نبالي في هذا كيف كان لان المرض هو ما
يضر بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط فمن اجل ذلك ليس ابدان المصريين في مرض

دايم ولكنها كثيرة الاستعداد لنحو الامراض قال اما امراض مصر البلديه
فقد ذكرنا من امرها ما فيه كفايه وظهر ان اكثرها الامراض الفصليه التي تشوبها
صفرا وخام على ان باقي الامراض تحدث عنهم بسرعه وقرب وخاصة في اخر الربيع
واول الشتا واما الامراض الوافده ومعنى المرض الوافد هو ما يعم خلقا كثيرا في بلد واحد
وزمان واحد ومنه نوع يقال له الموتان وهو الذي يكثر معه الموت وحدوث الامراض
الوافده يكون عن اسباب كثيره يجمع في اجناس اربعة وهي تغير كيفية الهوا وتغير كيفية الما
وتغير كيفية الاغذية وتغير كيفية الاحداث النفسانيه والهوا يتغير كيفيته على ضربين
احدهما تغيره الذي جرت به العادة وهذا لا يحدث مرضا وافدا وليس تغيرا مرضيا
والثاني التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذي تحدث المرض الوافد
وكذلك الحال في الاجناس الباقيه وخروج تغير الهوا عن عادته يكون اما بان يسخن اكثر
او يبرد او يرطب او يجفف او يخالطه حال عفنه والحال العفنة اما ان تكون قريبة او
بعيدة فان ابقراط وجالينوس يقولان انه ليس يمنع مانع من ان يحدث ببلد اليوناني
مرض وافد عن عفونه اجتمعت في بلاد الحبشه وترامت الى الجو وانحدرت على اليونانين
فاحدثت فيهم المرض الوافد وقد يتغير ايضا مزاج الهوا عن العادة بان يصل وفد
كثير قد انهك ابدانهم طول السفر وساءت اخلاطهم فيخالط الهوا منها شي كثير ويقع الاعلا
في الناس ويظهر المرض الوافد والما ايضا قد يحدث المرض الوافد اما بان يفرط مقداره
في الزيادة او النقصان او يخالطه حال عفنيه ويضطر الناس الى شربه ويعفن به ايضا
الهوا المحيط بابدانهم وهذه الحال تخالطه اما قريبا او بعيدا بمنزلة ما يمر في جريانه بموضع
حرب قد اجتمع فيه من جيف الموتى شي كثير او بمياه نقايع عفنه فيحدرها معه ويخالط
جسمه والاغذية تحدث المرض الوافد اما اذا لحقها اليرقان وارتفعت اسعارها
واضطر الناس الى اكلها واما اذا اكثر الناس منها في وقت واحد كالذي يكون في الاعياد
فتكثر فيهم التخم ويمرضون مرضا متشابها واما من قبل فساد مرعى الحيوان الذي يوكل
او فساد الما الذي تشربه والاحداث النفسانيه تحدث المرض الوافد متى حدث في
الناس خوف عام من بعض الملوك فيطول سهرهم وتفكرهم في الخلاص منه وفي وقوع
البلا فيسو هضم اجوافهم وتتغير حرارتهم الغريزيه وربما اضطروا الى حركة عنيفة
في هذه الحال او يتوقعوا القحط بعض السنين فيكثرون الحركة والاجتهاد في ادخار
الاشيا ويشتد غمهم بما سيحدث فجميع هذه الاشيا تحدث في ابدان الناس المرض الوافد

متى كان المتعرض لها خلق كثير في بلد واحد ووقت واحد وظاهر انه اذا اكثر في وقت
واحد المرضى بمدينة واحدة ارتفع من ابدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهوا فان
صادف بدنا مستعدا امرضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما تعرض اليه الناس
فالامراض الوافدة بمصر تحدث اما عن فساد لم تجر به العادة يعرض للهوا سوا كان
مادة فساده من ارض مصر او من البلاد التي تجاورها كالسودان والحجاز والشام
وبرقة او يعرض للنيل ان يفرط زيادته فيكثر زيادة الرطوبه والعفن او تقل زيادته
جدا فيجف الهوا عن مقدار العادة ويضطر الناس الى شرب مياه رديه او يخالط عفونه
تحدث عن حرب يكون بارض مصر او بلاد السودان او غيرها يموت فيها خلق كثير
ويرتفع بخار جيفهم في الهوا فيعفنه ويتصل عفنه اليهم او يسيل الما ويحمل معه
العفن او يغلو السعر ويلحق الغلال افة او يدخل على الكباش ونحوها مضرة او يلحق
الناس خوف عام او قنوط وكل واحد من هذه الاسباب يحدث في ارض مصر مرضا
وافدا يكون قوته بمقدار قوة السبب المحدث له وان كان اكثر من سبب واحد كان
ذلك المرض اشد واقوى واسرع في القتل قال فمزاج ارض مصر حار رطب بالرطوبة
الفضلية وما قرب من الجنوب بارض مصر كان اسخن واقل عفونة في ما النيل مما كان
منها في الشمال ولا سيما من كان في شمال الفسطاط مثل اهل البشمور فان طباعهم اغلظ
والبله عليهم اغلب وذلك انهم يستعملون اغذية غليظة جدا ويشربون من الما الردي
واما الاسكندريه وتنيس وامثال هذه فقربها من البحر وسكون الحراره والبرد عندهم
وظهور الصبا فيهم مما يصلح امرهم ويرق طباعهم ويرفع هممهم ولا يعرض لهم ما
يعرض لاهل البشمور من غلظ الطبع والحماره واحاطة البحر بمدينة تنيس يوجب غلبة
الرطوبه عليهم وتانس اخلاق اهلها قال انه لما كانت ارض مصر وجميع ما فيها
سخيفة الاجسام سريع اليها التغير والعفن وجب على الطبيب ان يختار من الاغذية
والادويه ما كان قريب العهد حديثا لان قوته بعد باقيه عليه لم تتغير كل التغير وان
يجعل علاجه ملايما لما عليه الابدان بارض مصر ويجتهد في ان يجعل ذلك الى الجهة
المضادة اميل قليلا ويتجنب الادوية القويه الاسهال وكلما له قوة مفرطة فان نكاية
هذه الابدان سريعة سيما وابدان المصريين سريعة الوقوع في النكايات ويختار ما
يكون من الادوية المسهلة وغيرها الين قوة حتى لا يكون على طبيعة المصريين منها كلفة
ولا يلحق ابدانهم مضره ولا يتقدم على الادويه الموجودة في كتب اطبا اليونانيين والفرس

فان اكثرها عملت لابدان قويه البنيه عظيمة الاخلاط وهذه الاشيا قلما توجد بمصر
فلذلك يجب على الطبيب ان يتوقف في اعطا هذه الادويه للمرضى ويختار اليَّنها وينقص
من مقدار شربها تعادو يبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه ويكون الين منه فيتخذ السكنجبين
السكرى مكان العسلي والجلاب بدلا من ما العسل واعلم ان هوا مصر يعمل في المعجونات
وساير الادويه ضعفا في قوتها فاعمار الادويه المفرده والمركبه المعجون منها
وغير المعجون بمصر اقصر من اعمارها في غير مصر فيحتاج الطبيب بمصر الى تفقد
ذلك وتمييزه حتى لا يشذ عنه شي مما يحتاج اليه واذا لم يكتف في تنقية البدن بالدوا
المسهل دفعة واحدة فلا باس باعادته بعد ايام فان ذلك احمد من ايراد الدوا
الشديد القوه في دفعة واحده قال ولان ارض مصر تولد في الابدان سخافة
وسرعة قبول للمرض وجب ان تكون الابدان على الهيئة الفاضلة بارض مصر قليلة
جدا فاما الابدان الباقية فكثيره وان تكون الصحة التامة عندهم على الامر
الاكثر في القريبة من الهيئة الفاضلة والطريق الاول الذي يدبر بها الابدان التي
الهيئة الفاضلة تحتاج فيها بارض مصر الى ان يدبر الهوا والغدا والما وساير الاشيا
تدبيرا تصير به في غاية الاعتدال ولان زمن الهضم كثيرا ما يسو بارض مصر وكذلك
الروح الحيواني فيجب صرف العناية الى مراعاة امر القلب والدماغ والكبد والمعدة
والعروق والاوراد وساير الاعضا الباطنة في تجويد الهضم واصلاح امر الروح الحيواني
وتنظيف الاوساخ اللاحجه وقال في شرح كتاب الاربع لبطليموس واما
ساير اجزا الربع الذي يميل الى وسط جميع الارض المسكونة اعني بلاد برقة وسواحل
البحر من سيوط الى الاسكندريه ورشيد ودمياط وتنيس والفرما واسفل الارض
بمصر ونواحي مدينه منف ومدينة الفسطاط وما يلي شرقي النيل من صعيد مصر
والفيوم الى اعلا الصعيد مما في غرب النيل وارض الواحات وارض النوبة والبجة
والارض التي على البحر في شرق بلاد النوبه وبلاد الحبشة فان هذه البلاد موضوعة
في الزاوية التي توتر جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهي من جملة النصف
الغربي من الربع المعمور والكواكب الخمسة المتحيرة تشترك في تدبيرها فصار اهلها
يحبون الله ويعظمون الجن ويحبون النوح ويدفنون موتاهم في الارض ويخفونهم
ويستعملون سننا مختلفه وعادات واراً شتى لميلهم الى الاسرار التي تدعو كل طايفة
منهم الى امر من الامور الخفية فيعتقده ويوافقه عليه جماعة ومن اجل هذه الاسرار
كان

كان المستخرج للعلوم الدقيقه كالهندسه والنجوم وغيرها في الزمان
الاول اهل مصر ومنهم تفرقت في العالم واذا ساسهم غيرهم كانوا اذلا
والغالب عليهم الجبن والاستخذا في الكلام فاذا ساسوا غيرهم كانت انفسهم
طيبه وهممهم كبيره ورجالهم يتخذون نسا كثيره وكذلك نساوهم يتخذون عدة
رجال وهم منهمكون في الجماع ورجالهم كثيري النسل ونساوهم سريعات الحمل وكثير
من ذكرانهم تكون انفسهم ضعيفه موَنثه وقال ابو الصلت واما سكان ارض مصر
فاخلاط من الناس مختلفوا الاصناف والاجناس من قبط وروم وعرب واكراد
وديلم وحبشان وغير ذلك من الاصناف الا ان جمهورهم قبط قالوا والسبب في
اختلاطهم تداول المالكين لها والمتغلبين عليها من العمالقة واليونانيين والروم
وغيرهم فلهذا ما اختلطت انسابهم فاقتصروا من التعريف بانفسهم على
الانتساب الى مواضعهم والانتما الى مساقط رووسهم فيها وحكي انهم كانوا في الزمن
السالف عباد اصنام ومدبري هياكل الى ان ظهر دين النصرانيه وغلب على
ارض مصر فتنصروا وبقوا على ذلك الى ان فتحها المسلمون فاسلم بعضهم وبقي بعضهم
على دين النصرانيه واما اخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك في اللذات
والاشتغال بالنزهات والتصديق بالمحالات وضعف المراير والعزمات ولهم خبره
بالكيد والمكر وفيهم بالفطره قوه عليه وتلطف فيه وهداية اليه لما في اخلاقهم من الملق
والبشاشه التي اربوا فيها على من تقدم وتاخر وخصوا بالافراط فيها دون جميع الامم
حتى صار امرهم في ذلك مشهورا والمثل بهم مضروبا وفي خبثهم ومكرهم يقول ابو
نواس • محضتكم يا اهل مصر نصيحتي • الا فخذوا من ناصح بنصيب •
• رماكم امير المومنين بحية اكول لحيات البلاد شروب •
• فان يك باق افك فرعون فيكم • فان عصى موسى بكف خصيب •
قال كاتبه وقد مر بي قديما ان منطقه الجوزا سامتت روس اهل مصر فلذلك يتحدثون
بالاشيا قبل كونها ويخبرون بما يكون ويتندرون بالامور المستقبلة ولهم في هذا الباب
اخبار مشهورة قال ابن الطوير وقد ذكر استيلا الفرنج على مدينة صور وفساد الحفظ
والحراسه على عسقلان فما زالت محميه بالابدال المجرده اليها من العساكر والاساطيل
والدوله تضعف اولا فاولا باختلاف الارا فثقلت على الاجناد وكبر امرها عندهم
واستغلوا عنها فضايقها الفرنج حتى اخذوها في سنه ثمان واربعين وخمسمايه ولقد

سمعت رجلا قبل ذلك بسنتين تحدث بهذه الامور ويقول في سنة ثمان تؤخذ عسقلان
بالامان ومن هذا الباب واقعة الكنايس التي للنصارا وذلك انه لما كان يوم الجمعة
تاسع شهر ربيع الاخر سنة احدى وعشرين وسبعمايه والناس في صلاة الجمعة كما تقدم في
اقليم مصر كله من قوص الى الاسكندريه بهدم الكنايس فهدم في تلك الساعة بهذه
المسافة الكثيرة عدد كثير من الكنايس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر
كنايس النصارا ومن هذا الباب واقعة الدمر وذلك انه خرج الامير الدمر امير جندار
ركب الحج من القاهرة في سنه ثلاثين وسبعمايه وكانت فتنه بمكه قتل فيها الدمر يوم
الجمعه رابع عشر ذي الحجه فاشيع في هذا اليوم بعينه في القاهره ومصر وقلعة الجبل
بان وقعة كانت بمكه قتل فيها الدمر وطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر فلم يكترث
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العاده اخبروا
بالواقعه وقتل الامير سيف الدين الدمر في ذلك اليوم الذي كانت فيه الاشاعه
بالقاهره قال جامع السيره الناصريه كنت مع الامير علم الدين الخازن في الغرسيه وقد
خرج اليها كاشفا فلما صليت انا وهو صلاة الجمعه وعدنا الى البيت قدم بعض غلمانه من
القاهرة فاخبرنا انه اشيع بان فتنة كانت بمكة قتل فيها جماعة من الاجناد وقتل الامير
الدمر امير جندار فقال له الامير علم الدين هل حضر احد من الحجاز بهذا الخبر قال لا
فقال ويحك الناس ما يحضرون من منى الى مكة الى ثالث يوم بعد عيد النحر فكيف صنعتم هذا
الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك وكان الامر كما اشيع ووقع لي في شهر
رمضان من شهور سنه احدى وتسعين وسبعمايه اني مررت في الشارع بين القصرين
بالقاهرة بعد العتمة فاذا العامة تتحدث بان الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك
واجتمع عليه الناس فضبطت ذلك فكان اليوم الذي خرج فيه من السجن وفي هذا الباب
من هذا كثير ومن اخلاق اهل مصر قلة الغيرة وكفاك ما قصه الله سبحانه من خبر يوسف
عليه السلام ومراودة امراة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهد من اهلها عليها بما
تبين لزوجها منها فلم يعاقبها على ذلك سوى بقوله لها استغفري لذنبك انك كنت من الخاطيين
واخبرني الامير الفاضل الثقه ناصر الدين محمد بن محمد بن الغراسلي الكركي رحمه الله انه
منذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في اخلاقه وترخصا لاهله ولينا ورقة طباع من قلة
الغيرة ومالم يزل نسمعه دايما بين الناس ان شرب ماء النيل ينسي الغريب وطنه ومن اخلاق
اهل مصر الاعراض عن النظر في العواقب فلا تجدهم يدخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم
من

من سكان البلدان بل يتناولون اغذيه كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا ومن
اخلاقهم الانهماك في الشهوات والامعان من الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالات
قال لي شيخنا الاستاذ ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله اهل مصر كانما
فرغوا من الحساب وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سال كعب الاحبار عن
طبايع البلدان واخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق الاشيا جعل كل شي لشي
فقال العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الخصب انا لاحق بمصر
فقال الذل وانا معك وقال الشقا انا لاحق بالبادية فقالت الصحة وانا معك ويقال
لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة اخلاق الايمان والحيا والنجدة والفتنه والكبر والنفاق
والغنا والفقر والذل والشقا فقال الايمان انا لاحق باليمن فقال الحيا وانا معك وقالت
النجدة انا لاحقة بالشام فقالت الفتنه وانا معك وقال الكبر انا لاحق بالعراق فقال
النفاق وانا معك وقال الغنا وانا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الفقر وانا لاحق
بالبادية فقال الشقا وانا معك وعن ابن عباس رضي الله عنه المكر عشرة اجزا تسعة
منها في القبط وواحد في ساير الناس ويقال اربعة لا تعرف في اربعة السخا في الروم
والوفا في الترك والشجاعة في القبط والغم في الزنج ووصف ابن القرية اهل مصر فقال
عبيد لمن غلب اكيس الناس صغارا واجهلهم كبارا وقال المسعودي لما فتح عمر بن الخطاب
رضي الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب الى حكيم من حكما العصر
انا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوا الارض ونسكن البلاد والامصار
فصف لي المدن واهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والاهوية في سكانها فكتب اليه
واما ارض مصر فارض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومساكن الجبابرة ذمها اكثر من مدحها هواها
كدر وحرها زايد وشرها بايد تكدر الالوان والفطن وتركب الاحن وهي معدن الذهب
والجوهر ومغارس الغلات غير انها تسمن الابدان وتسود الابشار وتنمو فيها الاعمار
وفي اهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة وهي بلدة مكسب ليست بلدة مسكن لترادف
فتنها واتصال شرورها وقال عمر بن شبه بن عبيدة في كتاب اخبار البصرة عن كعب
الاحبار خير نسا على وجه الارض نسا اهل البصرة الا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نسا
قريش وشر نسا على وجه الارض نسا اهل مصر وقال عبد الله بن عمرو لما اهبط ابليس وضع
قدمه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار ومصر ارض نجسة كالمراة العارك
تطهر بالنيل كل عام وقال معويه بن ابي سفين وجدت اهل مصر ثلاثه اصناف

ثلث ناس وثلث اشبه الناس بالناس وثلث لا ناس فاما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس الموالي والثلث الذين لا ناس المسالمه يعني القبط

ذكر شي من فضايل النيل

خرج مسلم من حديث انس رضي الله عنه في حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي التوراة وخلق فردوسا في عدن وجعل الانسان فيه واخرج منه نهرا ينقسم اربعة انهار جيحون المحيط بارض جويلا وسيحون المحيط بارض كوش وهو نيل مصر ودجلة الاخذ الى العراق والفرات وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله ان يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده فامدته الانهار بمايها وفجر الله له الارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما اراد الله عز وجل اوحى الى كل ما ان يرجع الى عنصره وعن يزيد بن ابي حبيب ان معوية بن ابي سفين رضي الله عنه سال كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته ان الله يامرك ان تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل غر حميدا وعن كعب الاحبار انه قال اربعة انهار من الجنة وضعها الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الما في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة وقال المسعودي نهر النيل من سادات الانهار واشرف البحار لانه يخرج من الجنة على ما ورد به خبر الشرع وقد قالت ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والابار واذا غاض زادت فزيادته من غيضها وغيضه من زيادتها وليس في انهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث وفي حديثه عليه السلام نهران مومنان ونهران كافران اما المومنان فالنيل والفرات واما الكافران فدجلة ونهر بلخ انما جعل النيل والفرات مومنين على التشبيه لانهما يفيضان على الارض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب في ذلك ولا موونة وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الارض ولا يسقيان شيا الا قليلا وذلك القليل بتعب وموونه فهذان في الخير والنفع كالمومنين وهذان في قلة الخير والنفع كالكافرين ٥

ذكر مخرج النيل وانبعاثه

اعلم ان البحر المحيط بالمعمور اذا خرج منه بحر الهند افترق قطعا كما تقدم وكان منه قطعه تسمى بحر الزنج وهي مما يلي بلاد اليمن ونحو بربرا وفي هذه القطعه عدة جزاير منها جزيرة القنبلو بضم القاف واسكان الميم ثم را مهملة ويقال لهذه الجزيره ايضا جزيرة ملاى وطولها اربعة اشهر في عرض عشرين يوما الى اقل من ذلك وهذه الجزيره تحاذي جزيرة سرنديب وفيها عدة بلاد كبيرة منها قريه واليها تنسب الطاير القمري ويقال ان لهذه الجزيره خشب ينحت من الخشبة شاني طوله ستون ذراعا يجذف على ظهره مائة وستون رجلا وان هذه الجزيرة ضاقت باهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها في سطح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر واعلم ان الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور الارض وهو المسمى بجبل قاف وهو ام الجبال كلها متشعب منه فيتصل في موضع وينقطع في اخر وهو كالدايرة لا يعرف له اول اذا كانت الحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان لم تكن استدارته كريه ولكنها استدارة احاطه او كالاحاطة وزعم قوم ان امهات الجبال جبلان خرج احدهما من البحر المحيط في المغرب واخذ جنوبا وخرج الاخر من البحر الرومي واخذ شمالا حتى تلاقيا عند السد وسموا الجنوبي قاف وسموا الشمالي جبل قاقونا والاظهر انه جبل واحد محيط بغالب بسيط المعمورة وانه هو الذي يسمى بجبل قاف فيعرف بذلك في الجنوب ويعرف في الشمال بجبل قاقونا ومبدا هذا الجبل المحيط من كتف السد اخذ ازور واسم الخطا المحجوج اليه الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين اخذ على غربي صين الصين ثم ينعطف على جنوبه مستقيما في نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجه المنفرجه بينه وبين البحر الهندي الداخله ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط مع خط الاستوا حيث الطول مايه وسبعون درجه ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقي لشعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق بجنوب كثير من وراء مخرج البحر الهندي في الجنوب ويبقى الظلمات بين هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجايسه على جنوب الظلمات شرقا بغرب ومخرج البحر الهندي الجايس على الظلمات حتى يتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتفصيل الزاوية ثم يخرج براس البحرين المتلاقيين شعبتان على مبدا هذا الجبل وفي الجبل بينهما كانه خارج من نفس الما ومبدا هذا الجبل هناك راقيه ارين عن شرقها وبعده منها خمس عشرة درجه ويقال لهذا الجبل في اوله الجرد ثم يمتد حتى يسمى في القسم الغربي الى طول خمس وستين درجه

الواحد

من اول المغرب وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر ينصب منه النيل وبه
احجار براقه كالفضه تتلالا تسمى صنجه الباهت كل من نظرها ضحك والتصق بها
حتى يموت وتسمى مغناطيس الناس وتتشعب منه شعبه تسمى اسيفى اهله كالوحوش
ثم ينفرج منه فرجه ويمر منه شعب الى نهاية المغرب فى البحر المحيط يسمى جبل وحشيه
به سباع لها قرون طوال لا تطاق وينعطف دون تلك الفرجه من جبل قاف شعب منها
شعبتان الى خط الاستوا يكتنفان مجرى النيل من الشرق والغرب فالشرقى يعرف
بجبل فاقولد ينقطع عند خط الاستوا والغربى يعرف بادملمه يجرى عليه نيل السودان
المسمى بحر الدمادم وينقطع تلقا مجالات الحبشة ما بين مدينتى سغره وجمى دراهمز
الشعبة وتمتد شعبه منه هى الام من الموضع المعروف فيه الجبل الاسيفى المذكور الى خط
الاستوا حيث الطول هناك عشرون درجة ويعرف هناك بجبل كوسغانه وبه وحوش
ضاريه ثم ينتهى الى البحر المحيط وتنقطع دونه بفرجه وذلك وراء التكرور وعند مدينه
قلنبو ووراء هذا الجبل سودان يقال لهم تمتم ياكلون الناس ثم تتصل الام من ساحل
البحر الشاى فى شماله شرقى رومية الكبرى مسامتا للشعبة المسماة ادملمه المنقطعه بين سغره
وجمى لا تكاد تخطئها حيث الطول خمس وثلاثون درجه وتقع منشا اتصال هذه الام
على عرض خمسين درجه وكذلك تقع شعبتها الاخذة فى الجنوب على عرض خمسين درجه
عند اخذها ما بين سردانيه وبلنسيه وتتناهى وصلة هذه الام الى البحر المحيط فى نهاية
الشمال قبالة جزيره بركانيه وتبقى سوسيه داخل الجبل ثم تمتد هذه الام بعد انقطاع لطيف
وتنعطف مع انعطاف خرجة البحر المحيط فى الغرب بشماله على الصقلب المسماه بحر الانقليشين
تمتد الى غاية المشرق وتسمى هناك بجبل قاقونا وتبقى وراه البحيره الجامدة لشده البرد
ثم تنعطف من الشمال المشرق جنوبا وتغرب الى الكهف السد الشمالى فتلاقى هناك الطوفان
وتنتهى الفرجه المنفرجة تساوى ذو القرنين بين الصدفين وسدّ جزيرتى القمر بلاتنا انقاد
احدها فى شرقيها اخذ من قطوا ومعلا وثانيها فى غربيها تنصب من جبل قدم ادم على مدينة
شيابا ويأخذ ما راعلى مدينة قزدرا وتجتمع هناك بحيره فى جنوب مدينه كيما حيث نحل السودان
الذين ياكلون الناس وبالهند فى غربها ايضا وتخرج من الجبل المشبه بنا محذوفة الذيل
يطوق بمدينة دهمى تنتع مدينة دهمى بينه وبين البحر الهندى فجزيره منها تكون
هو محيطا به شرقا وجنوبا وغربا وتصير لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندى وتقع
مدينة وراته فى غربيه حيث يصب فى البحر الهندى ومن جبل القمر تخرج نهر النيل وقد كان

تسمى جو

يتبرد

يتبدد على وجه الارض فلما قدم بيقراوش الجبار بن مصريم الاول من مركابيل بن
دوابيل بن عرباب بن ادم عليه السلام ارض مصر ومعه عده من بنى عرباب واستوطنوها
وبنوا بها مدينه امسوس وغيرها من المداين حفروا النيل حتى اجروا ماه اليهم ولم يكن قبل ذلك
معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرق فى الارض حتى كجهه الى النوبة الملك نقراوش فهندسوه وساقوا
منه انهارا الى مواضع كثيره من مدنهم التى بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينه امسوس ثم لما
خربت ارض مصر بالطوفان وكانت ايام البودسير بن قفط بن مصر بن بيصر بن حام بن
نوح عليه السلام عدل جنبتى النيل تعديلا ثانيا بعد ما اتلفه الطوفان قال الاستاذ ابراهيم بن
وصيف شاه فملك البودسير وتجبر وهو اول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون
وقد كان اعمامه اشمن واتريب وصا ملوكا على احيازهم الا انه قهرهم بجبروته وقوته
فكان الذكر له كما تجبر عليهم ابوه من قبله لانه كان اكبرهم ولذلك اغضوا عنه فيقال
انه ارسل هرمس الكاهن المصرى الى الجبل القمر الذى يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك هيكل
التماثيل النحاس وعدل البطيحه التى ينصب اليها ما النيل ويقال انه الذى عدل جنبتى
النيل وقد كان يفيض وربما انقطع فى مواضع وهذا القصر الذى فيه تماثيل النحاس يشتمل
على خمس وثمانين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ما النيل بمعاقد ومصاب مدبرة
وقنوات يجرى الما فيها وينصب اليها اذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور
ويخرج من حلوقها وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع واذرع مقدرة وجعل ما يخرج
من هذه الصور من الما ينصب الى الانهار ثم يصير منها الى البطيحه ويخرج منها حتى يلتقى
الجامعه للما الذى يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير من الما الذى يكون معه
الصلاح بارض مصر وينتفع به اهلها دون الفساد وذلك ان انتهى المصلح ثمانية عشر ذراعا
بالذراع الذى مقداره اثنان وثلاثون اصبعا وما فضل عن ذلك عدل عن يمين تلك الصور
وشمالها الى مسارب تخرج وتنصب فى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستوا
ولولا ذلك لغرق ما النيل البلدان التى يمر عليها قال وكان الوليد بن دومع العمليقى قد خرج
فى جيش كثيف ينتقل فى البلدان ويقهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها فلما صار الى الشام
انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها وان امرها قد صار الى النسا وباد ملوكها فوجه غلاما
له يقال له عون الى مصر وسار اليها بعده واستباح اهلها واخذ الاموال وقتل جماعة
من كهنتها ثم سنح له ان يخرج ليقف على مصب النيل ويعرف ما بنا حيته من الامم فاقام
ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج فى جيش كثيف فلم يمر بامة الا ابادها ومر على امم

السودان وجاوزهم ومر على ارض الذهب فراى فيها قضبانا نابتة من ذهب
ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحه التي ينصب ما النيل فيها من الانهار التي تخرج من تحت
جبل القمر وسار حتى بلغ هيكل الشمس وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وانما سمي
جبل القمر لان القمر لا يطلع عليه لانه خارج من تحت خط الاستوا ونظر الى النيل يخرج من
تحته فيمر في طرايق كانها ردقاق حتى ينتهي الى حظيرة تمر ثم يخرج منها في نهرين حتى ينتهي
الى حظيرة اخرى فاذا جاز خط الاستوا امدته عين تجري من ناحية نهر مكران بالهند
وتلك العين ايضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك الوجه ويقال ان نهر مكران مثل النيل
يزيد وينقص وفيه التماسيح والاسماك التي مثل اسماك النيل ووجد الوليد بن دومع
القصر الذي فيه التماثيل النحاس التي عملها هرمس الاول في وقت البودسير بن قفطريم
ابن مصرايم وقد ذكر قوم من اهل الاثار ان الانهار الاربعة تخرج من اصل واحد من قبة في
ارض الذهب التي من ورا البحر المظلم وهي سيحون وجيحون والفرات والنيل وان تلك الارض
من ارض الجنه وان تلك القبة من زبرجد وانها قبل ان تسلك البحر المظلم احلى من العسل
واطيب رايحة من الكافور وممن جا بهذا رجل من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام
وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حايد وقال اخرون ينقسم هذه الانهار
على اثنين وسبعين قسما على اثنين وسبعين لسانا للامم وقال اخرون هذه الانهار من
ثلوج تتكاثف ويذيبها الحر فتسيل الى هذه الانهار وتسقي من عليها لما يريد الله عز وجل
من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جبل القمر راى جبلا عاليا فاعمل الحيلة الى ان صعد
عليه ليرى ما خلفه فاشرف على البحر الاسود الزفتي المنتن ونظر الى النيل يجري عليه كالانهار
الرقاق فاتته من ذلك البحر روايح منتنة هلك كثير من اصحابه من اجلها فاسرع النزول بعد
ان كاد يهلك وذكر قوم انهم لم يروا هناك شمسا ولا قمرا الا نورا احمر كنور الشمس عند غيابها
واما ما ذكر عن حايد وقطعه البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدميه منه شي وكان نبيا بذلك
نبيا واوتي حكمة وانه سال الله تعالى ان يريه منتهى النيل فاعطاه قوما على ذلك فيقال انه
اقام يمشي عليه ثلاثين سنه في عمران وعشرين سنة في خراب قالوا واقام الوليد في غيبته
اربعين سنه وعاد ودخل منف واقام بمصر فاستعبد اهلها واستباح حريمهم واموالهم
وملكهم مايه وعشرين سنة فابغضوه وسموه الى ان ركب في بعض ايامه متصيدا فالقاه
فرسه في وهدة فقتله واستراح الناس منه وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج
انبعاث النيل من جبل القمر ورا خط الاستوا من عين تجري منها عشرة انهار كل خمسة منها

تصب

تصب الى بطيحه ثم يخرج من كل بطيحة نهران وتجري الانهار الاربعة الى بطيحه كبيره
في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل وقال في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق
ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كوري منسوبة لطايفة من السودان يسكنون حولها متوحشين
ياكلون من وقع اليهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانه ونهر الحبشة فاذا خرج
النيل منها يشق بلاد كوري وبلاد ننه وهم طايفة من السودان بين كانم والنوبه فاذا بلغ
دمقلة مدينة النوبه عطف من غربيها وانحدر الى الاقليم الثاني فتكون على شطيه عمارة
النوبه وفيه هناك جزاير متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى الجنادل
وقال المسعودي رايت في كتاب جغرافيا النيل مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه
ومبدا ظهوره من اثنتي عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالبطايح ثم
يجتمع الما منها جاريا فيمر برمال هنالك وجبال ويخرق ارض السودان مما يلي بلاد الزنج
فيتشعب منه خليج يصب في بحر الزنج ويجري على وجه الارض تسع مائة فرسخ وقيل الف
فرسخ في عامر وغامر من عمران وخراب حتى ياتي اسوان من صعيد مصر وقالت
كتاب هروشيوش نهر النيل مخرجه من اريف بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فيصير
في وسطه جزيرة واخر ذلك يميل الى ناحية الشمال فيسقي ارض مصر وقيل ان مخرجه من عين
فيما جاور الجبل ثم يغيب في الرمال ثم يخرج غير بعيد فيصير له مجمع عظيم ثم يساير البحر
المحيط على قفار الحبشة ثم يميل على اليسار الى ارض مصر فيحق ما نظن بهذا النهر انه عظيم اذ
كان مجراه على ما حكينا قال ونهر النيل وهو الذي يسمى باون مخرجه خفي ولكن ظاهره قباله
من ارض الحبشة ويصير له هناك مجلس عظيم مجراه اليه مائتا ميل وذكر مخرجه حتى ينتهي
الى البحر قال وكثيرا ما يوجد في نهر النيل التماسيح واقبال النيل من ارض الحبشة ليس يختلف
فيه احد وعدة امياله من مخرجه المعروف الى موقعه مائة الف وتسعون الفا وسبعمايه
وثلاثون ميلا وما النيل عكر مرمل وهو عذب وفي انتهى والنيل اذا وصل الى الجنادل
كان عندها انتها مراكب النوبه انحدارا ومراكب الصعيد اقلاعا وهناك حجارة مضرسة
لا مرور للمراكب عليها الا في ابان زيادة النيل ثم ياخذ على الشمال فيكون على شرقيه اسوان
من الصعيد الاعلى ويمر بين جبلين يكتنفان اعمال مصر احدهما شرقي والاخر غربي حتى ياتي
مدينة فسطاط مصر فيكون في بره الشرقي فاذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم صار
فرقتين فرقة تمر حتى تصب في بحر الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة بحر الشرق والفرقة
الاخرى هي عمود النيل ومعظمه يقال لها بحر الغرب تمر حتى تصب في بحر الروم ايضا عند

لعل هذا المقدار غير صحيح

رشيد وكانت مدينة كبيرة في قديم الزمان ويقال ان مسافة النيل من منبعه الى ان
يصب في البحر عند رشيد سبعمايه وثمانية واربعون فرسخا وانه يجري في الخراب اربعة
اشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام مسافة شهر وذهب بعضهم الى ان
زيادة ما النيل انما تكون بسبب المد الذي يكون في البحر فاذا فاض ماوه تراجع النيل
وفاض على الاراضي ووضع في ذلك كتابا حاصله ان حركة البحر التي يقال لها المد والجزر
توجد في كل يوم وليلة مرتين وفي كل شهر قمري مرتين وفي كل سنة مرتين فالمد والجزر
اليومي تابع لقرص القمر ويخرج الشعاع عنه عن جنبتي جرم الما فاذا كان القمر وسط السما
كان البحر في غاية المد وكذا اذا كان القمر في وتد الارض فاذا بزغ القمر طالعا من المشرق او
غرب كان الجزر والمد الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر ويقال
له الامتلا ويكون ايضا عند الاجتماع ويقال له السرار والجزر يكون ايضا في وقتين
عند تربيع القمر للشمس في سابع الشهر وفي ثاني عشرينه والمد السنوي يكون ايضا في وقتين
احدهما عند حلول الشمس باخر برج السنبلة والاخر عند حلول الشمس باخر برج الحوت
فان اتفق ان يكون ذلك في وقت الامتلا او الاجتماع فانه حينيذ يجتمع الامتلاان الشهري
والسنوي ويكون عند ذلك البحر في غاية الفيض لاسيما ان وقع الاجتماع او الامتلا في وسط
السما او وقع مع النيرين او مع احدهما احد الكواكب السيارة فانه يعظم الفيض فان وقع كوكبان
فصاعدا مع احد النيرين تزايد عظم الفيض فكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا
وزاد ايضا نهر مهران فان كان الاجتماع او الامتلا زايلا عن وسط السما وليس مع احد
النيرين كوكب فان النيل ونهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما لعدم الانوار التي تثير المياه
ويكون بمصر في تلك السنة الغلا والجزر السنوي يكون عند حلول الشمس براسي الجدي
والسرطان فاما المد اليومي الدافع من البحر المحيط فانه لا ينتهي في البحر الخارج من المحيط
اكثر من درجة واحدة فلكية ومساحتها من الارض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف وانصرافه
هو الجزر وكذلك في الاودية اذا كانت الارض وهدة والمد الشهري ينتهي الى اقاصي البحار
وصوبيكما حتى لا ينصب في البحر المحيط وحيث ينتهي المد الشهري فهناك منتهى ذلك البحر وطرفه
واما المد السنوي فانه يريد في البحار الخارجة من البحر المحيط زيادة بينة وعن هذه الزيادة
يكون زيادة النيل وامتلاوه وامتلا نهر مهران والدسلو الذي ببلاد السند قال ولما جا
ارسطو الى مصر مع الاسكندر وراى مصب النيل وعلم انه من المحال ان يكون النيل في اسوان
واد من الاودية وما سعل اتسع حتى ان عرضه في اسفل ديار مصر لينتهي الى مايه ميل عند

غاية

غاية الفيض وله افواه كثيرة شارعة في البحر تسع كل ما يهبط من المزن في ذلك الصقع
وراى محالا ان تكون الوادي يجي فضيق اسفله عن حمل ما ياتي به اعلاه مع ضيق اعلاه
وسعة اسفله فلما راى ذلك قال ان رياحا تستقبل جرية الما وتردعه فيفيض لذلك وقال
الاسكندر الافرودسي ان من المحال ان تكون الريح تردع الما السايل في الوادي حتى تفيض
اكثر من مايه ميل ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الما يتغلب من اسافل الوادي ويسيل الى البحر
لان الريح لا تمسك الا اعلاه ولكن الرياح تقذف الرمل في افواه تلك الشوارع التي تفضي الى
البحر فيعتبر بها شبه الردم فتفيض قالوا واغفلوا ان الرمل جسم متخلخل فالما يتخلله وينفذ
سايلا الى البحر مع ان الرمل لم نعقل اعتلا يظهر للحس والما في كل حين سايل على حلق تنيس
ودمياط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية فقطنوا الاستحالة كونه سايلا عن سيل حامل
ونسبوا توقفه الى الريح والرمل وهما استنقص الهوا واستنقص الارض واغفلوا الاستنقص
الثالث الذي هو الما لانهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لانها لا تبلغ الغاية الا في ثلاثة اشهر
فلا يظهر مقدار صعودها في كل يوم للحس ولذلك وضع امير مصر المقياس بديار مصر قال
والمد كله واحد وهو ان القمر يقابل الما كما يقابل الشمس الارض فنور القمر اذا قابل كرة الارض
سخنها كما تسخن الشمس الهوا المحيط فيعتري الهوا المحيط بالما بعض تسخين مذيب الما وينفش
وينمي بخاصيته كالمراة المحرقة الملهبة للبوجي تحترق القطنة الموضوعة بين المراة والشمس
فهذا مثاله في المقابلة ومثاله في السرار كون الزجاجة المملوة ما تلقي الشعاع الى خلفها
فتحترق القطنة ايضا فالقمر جسم نوري باكتسابه ذلك من الشمس فاذا حال بين الشمس والارض
خرج عن جانبي الما شعاع نافذ يعم جنبتي الما فيسخن ما قابله فينمي والما جسم شفاف
يخرج عن جانبيه الشعاع كما يخرج عن جانبي الزجاجة فيحدث لها نور يسخن الهوا
الذي يحيط بالزجاجة او بالارض فيعتري الما شبه تسخين ينمي به ويزيد وذلك
قبالة القرص وقبالته يخرج الشعاع من قبالته وتد القمر فهذا هو المد دايما ويستدير
باستدارة الفلك وتد ويره لفلك القمر وتدوير فلك القمر للقمر والمد الشهري هو ان يقابل
القمر الشمس او يستتر تحتها لانه ليس كون القمر قبالة الشمس ككونه في تربيع الشمس لانه في
تربيع الشمس اضعف وفي المقابلة اقوى وكذلك اذا قابلها على وسط كرة الارض بحيث الحركة
اشد والاكتناف للما والارض اعم فذلك هو المد السنوي فصل في الرد على من اعتقد
ان النيل عن سيل يفيض اما العامة فليس عندهم ما يجي على وجه الارض الا سيل ومن نظر
الى عظم النيل واتساعه في اسفله وضيقه في اعلاه ولم ينظر الى ما ولا ارض ولا هوا نسب ذلك

الى الخيال المحض كما فعل صاحب كتاب المسالك والممالك الذى زعم ان الما يسافر من
كل ارض وموطن الى النيل تحت الارض فيمده لان النيل انما يفيض فى الخريف والعيون
والابار فى ذلك الوقت يقل ماوها والنيل يكثر فرا واكثره وقلة فاضافوا احدهما الى الا
بالخيال وقال اخر انما ذلك ملك يضع رجله في الما فيكثر ويزيله من الما فيقل ومما يدل
انه ليس عن سيل ان السيل يكون فى غير وقت فيض البحر فلا يفيض النيل لكون البحر فى
الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يرد عنه رادع ومنها ان فيض النيل على مدى مده
ثلاثة اشهر من حلول الشمس براس السرطان الى حلولها باخر برج السنبلة والناس
يحسون به قبل فيضه بمدة شهرين ولعامل مصر فى وسط النيل مقياس موضوع وهو
سارية فيها خطوط يسمونها اذرعا يعلم بها مقدار صعوده فى كل يوم ومنها ان فيضه
ابدا فى وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف ومنها انه قد تجى السيل
فى غير هذا الوقت فلا يفيض ومنها ان الحذاق بمصر اذا راوا الحر يزيد علموا ان النيل
سيزيد لان شدة الحر تذيب الهوا فيذوب الما ولا يكون الا عن زيادة كوكب ودنوه
ومنها ان موضع مصبه من اسوان انما هو واد من الاودية وما اتسع حتى يكون عرض ح قوله اسوان لفظ بربري معناه شربها
انساعه نحوا من ماية ميل واسوان هو منتهى بلوغ الردع فاظنك بسيل يسير نصف
شهر لا نسبة بين مصب اعلاه واسفله كيف كان يكون اعلاه لو كان امتلا اسفله عن السيل
ومنها ان اهل اسوان انما يرقبون بلوغ الردع اليهم مراقبه ويحافظون عليه بالنهار
محافظة فاذا جن الليل اخذوا حقه خزف فوضعوا فيها مصباحا ثم وضعوه على حجر معد
عندهم لذلك وجعلوا يرقبونه فاذا اطفا المصباح بطفو الما عليه علموا ان الردع قد وصل
غايته المعهودة عندهم باخذه فى الجزر فكتبوا بذلك الى امير مصر يعلموه ان الردع قد
وصل غايته المعهودة عندهم وانهم قد اخذوا بقسطهم من الشرب فحينئذ يامر بكسر
الاسداد التى على افواه فرض المشارب فيفيض الما على ارض مصر دفعة واحده ومنها
ان جميع تلك المشارب تسد عند ابتدا صعود النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من
الما العذب فى النيل ويكثر فيعم جميع ارضهم وليمنع بجملته دخول الما الملح عليه فلو كان
سيلا ما احتاج الى ذلك ولفتحت له افواه فرض المشارب عند ابتدا ظهوره ومنها ان
الخلجان اذا اسدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل يعد من جنبه الى البحر اذا اسفل
النيل اوسع واخفض من اعلاه ومنها ان ما البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا فى حلق رشيد
وتنيس ودمياط كما يفعل فى ساير الاودية التى يدخلها المد والجزر فلو كان النيل خاليا

من

من الما العذب وصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الما يطلب بطبعه ما
انخفض من الارض وان تكون صفحته كرة مستويه الخطوط الخارجة من النقطة الى المحيط
خطوطا متساويه ومنها انها اذا فتحت تلك الاسداد وكسرت الخلج وفاض النيل على بطائح
ارض مصر شعر بذلك اهل اسوان للحين وقالوا فى هذه الساعة كسر الخليج وفاض ما النيل
على ارض مصر لان ذلك يبين لهم بجزر الما دفعه فلو كان سيلا وهم على اعلا المصب لما قالوا
قد ارتفع المطر عن الارض التى يسيل منها السيل ومنها ان قسيمه الذى يمر ببلاد الحبشة
المنبعث واياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة اشهر ولا يعم على وجه الارض
مدة مقامه لكنه اذا كثر فيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها فاذا نضبت مادته ارتدع
عليه فلو كان فيض النيل عن السيل وهما من منبعث واحد لكان شانهما واحدا ولا نعول
ان سبب فيض النيل البحر فقط اذ لو لا كونه مسيل ما المادخل ردع البحر اليه ولكان شاطى
ديار مصر كساير السواحل المجاورة له ولو لا السيل فيه لردمه البحر اذ عادة البحر ردم السواحل
وانما دخل الشك على اهل مصر فى امر النيل لانهم لم يشاهدوا منشاه ولا عاينوا مبداه من
جبل القمر لانه فى موضع لا ساكن عليه ولم يعرفوا المد السنوى الرادع له فلم يحققوا شيا
من امره لانه بعيد من اذهان العامة ان يعلموا ان ما البحر يعظم فى ايام الصيف لان
المعهود عندهم فى البحران يعظم فى ايام الشتا وطمو البحر فى الشتا انما يكون عن الرياح
الهابة عليه من احد جانبيه فيفيض ويخرج الى الجانب الاخر الا ما كان من البحر المحيط
فانه يتحرك ابدا من دواخل البحر الى البر وهو ان المحيط يطلب بطبعه ان يكون على وجه
الارض والارض ليست ببسيطة فهى تمانعه بما فيها من التركيب فهو يطلب ابدا ان يعلوها
وتركيبها يحوزها فالسبب فى عظم المد والجزر كثرة الاشعة فاذا احدث الشمس والقمر
الكواكب السيارة عظم فيض البحر واذا عظم فيض البحر فاضت الانهار وكذلك اذا نهض
القمر لمقابلة احد السيارة ارتفع البخار وصعد الى كرة الزمهرير ونزل المطر فاذا فارق
القمر الكوكب ارتفع المطر لكثرة التحليل كما يكون فى نصف النهار عند توسط الشمس لوودى
الخلق وكما يكون عند حلول الكواكب الكثيرة على وسط خط ارين والله اعلم قال كا
الذى تحصل من هذا القول ان النيل يخرج من جبل القمر وان زيادته انما هى من فيض البحر
عند المد فاما كون يخرج من جبل القمر فلا نزاع فى ذلك واما ان زيادته لا تكون الا
من ردع البحر له بما حصل فيه من المد فليس كذلك نعم تولى هبوب الرياح الشمالية معينة
على وفور الزيادة وردع البحر له اعانة على الزيادة ومن تامل النيل علم ان سيلا سال فيه

وذلك غالبا في اثنا شهر مسرى فتح جسر الخليج حتى يجري فيه الما الى حد معلوم
ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذي وقف عنده الما من الاراضي ثم فتح ذلك
الحد في يوم النيروز حتى يجرى الما الى حد اخر ويقف عنده حتى يروى ما تحت هذا
الحد الثاني من الاراضي ثم يفتح هذا الحد في يوم عيد الصليب بعد النوروز بسبعة
عشر يوما حتى يجرى الما ويقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الاراضي ثم
يفتح هذا الحد فيجرى الما ويروى ما هنالك من الاراضي ويصب في بحر الملح هذا هو الحال في
سد ودا اراضي مصر وقوله ان ما البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد
وتنيس ودمياط فلو كان النيل خاليا من الما العذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى
بلوغ الردع فنقول هذا قول من لم يعرف ارض مصر فان النيل عند مصبه باعمال اسوان
يكون اعلا منه عند كونه اسفل الارض بقامات عديدة فاذا فاض ما البحر حبسه ان تدافع
هو وما النيل وربما غلب ما البحر ما النيل في ايام نقصان النيل حتى يلح ما النيل فيما بين دمياط
وفارسكور واما في ايام زيادة النيل فاني شاهدت مصب النيل في البحر بدمياط وكل
منهما يدافع الاخر فلا يطيقه حتى صار امتمانعين وفي منظرهما جميعا عبرة لمن اعتبر
وقوله ان الاسداد اذا فتحت علم اهل اسوان بذلك في الحال فغير مسلم بل لم نزل نشاهد
النيل في الاعوام الكثيرة اذا فتح منه خليج او انقطع مقطع فاغرق ماوه اراضي كثيرة لا
يظهر النقص منه الا فيما قرب من ذلك الموضع وما برح المفرد يخرج من قوص ببشارة
وفا النيل وقد اوفى عندهم ستة عشر ذراعا فلا يوفي ذلك بمقياس مصر الا بعد ثلاثة
ايام او نحوها واما قوله ان ما كان من النيل بمصر ببلاد الحبشة يخالفه فليس كذلك بل
الزيادة في النيل ايام زيادته يكون ببلاد النوبة وما وراها في الجنوب كما يكون في ارض
مصر ولا فرق بينهما الا في شيئين احدهما انه في ارض مصر يجري في اخدود وهناك
يتبدد على الاراضي والثاني ان زيادته تعتبر بالقياس في ارض مصر وهنالك لا يمكن
قياسه لتبدده ومن عرف اخبار مصر علم ان زيادة ما النيل تكون عن امطار الجنوب
ويقال ان النيل ينصب عشرة انهار من جبل القمر المتقدم ذكره كل خمسة انهار من شعبة
ثم تجتمع تلك الانهار العشرة في بحيرتين كل خمسة انهار تجتمع ببحيرة بذاتها ثم تخرج من
البحيرة الشرقية بحر لطيف ياخذ شرقا على جبل قاقولي ويمتد الى مدن هناك ثم ينصب
في البحر الهندي ويخرج من البحيرتين ايضا ستة انهار من كل بحيرة ثلاثة انهار وتجتمع
الانهار الستة في بحيرة متسعة تسمى البطيحة وفيها تصب جبل تفرق بها الما

ولابد فانه لا يزال ايام الشتا واوايل فصل الربيع ماوه صافيا من الكدر فاذا قربت ايام
زيادته وكان في غاية نقصه تغير طعمه ومال لونه الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع في
انا يرسب منه شبه اجزا صغيرة من طحلب وسبب ذلك ان البطيحة التي في اعالي الجنوب
تردها الفيلة ونحوها من وحوش الارض حتى تتغير ماوها فاذا كثرت امطار الجنوب في
فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيحة فاض منها ما تغير من الما وجرى
الى ارض مصر فيقال عند ذلك توحم النيل ولا يزال الما كذلك حتى يعقبه ما متعكر ويزداد
عكره بزيادة الما فاذا وضع منه ايام الزيادة شي في انا رسب باسفله طين لم يعهد فيه قبل
ايام الزيادة وهذا الطين هو الذي تحمله السيول التي تصب في النيل حتى تكون زيادته منها
وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل والا فارض مصر سبخة لا تنبت ولا تمنع منها الا
ما مر عليه ما النيل وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر فلا
يفيض النيل لكون البحر في الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع غير مسلم فان
العادة ان السيول التي عنها زيادة ما النيل لا تكون الا عن غزارة الامطار ببلاد الجنوب
وامطار الجنوب لا تكون الا في الصيف ولم يعهد قط زيادة النيل في الشتا وادل دليل
على كون زيادته عن سيل يسيل فيه انه انما يزيد بتدريج على ما قرر بما يهبط فيه من السيول
واما استدلاله بضيق مصب النيل في اسوان واتساعه باسفل الارض فانما ذلك لانه ينصب
من علو في منخرق بين جبلين يقال لها الجنادل وينبطح في اراضي حتى ينصب في البحر فاتساعه
حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط واما قوله ان الاسداد اذا كسرت فاض الما على
الارض دفعة فليس كذلك بل يصير الما عند كسر كل سد من الاسداد في خليج ثم يتفتح
ترع من الخليج الى ما على جانبيه من الاراضي حتى تروى فمن تلك الاراضي ما يروى سريعا
ومنها ما يروى بعد ايام ومنها ما لا يروى لعلوه واما قوله ان جميع تلك المشارب تسد
عند ابتدا صعود النيل لئلا يجتمع بالسيل من الما في النيل ويكثر فيعم جميع ارضهم ولتمنع ولتحمله
دخول الما الملح عليه فغير مسلم ان يكون السد وكما ذكر بل اراضي مصر اقسام كثيرة
منها عال لا يصل اليه الما الا من زيادة كثيرة ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة
والاراضي متفاوتة في الارتفاع والانخفاض تفاوتا كثيرا ولذلك احتيج في بلاد الصعيد
الى حفر الترع وفي اسفل الارض الى عمل الجسور حتى يحبس الما ليتصرف فيه اهل النواحي
على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج والا فهو يزيد ابدا ولا في غير وقت سقي الاراضي حتى
اذا اجتمع من زيادته المقدار الذي هو كفاية الاراضي في وقت خلو الارض من الغلال

والر

نصفين يخرج احدهما من غربي البطيحة وهو نيل السودان ويصير نهرا يسمى بحر الدماد
ياخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبي سمغرة وشمالي غانة ثم ينعطف هناك منه فرقة
ترجع جنوبا الى غانة ثم تمر على مدينة برنسة وتاخذ تحت جبل في جنوبيها خارج خط الاستوا
الى رقيلة ثم تنبحر في بحيرة هناك وتستمر الفرقة الثانية مغربة الى بلاد مالي والتكرور حتى
تنصب في البحر المحيط شمالي مدينة قلنبو ويخرج النصف الاخر ممشا مملا اخذا الى الشمال
شرقي مدينة جيمي ثم تتشعب منه هناك شعبة تاخذ شرقا الى مدينة سحرت ثم ترجع
جنوبا ثم تعطف شرقا الجنوب الى مدينة سحرته ثم الى مدينة مركه وتنتهي الى خط الاستوا
حيث الطول خمس وستون درجة وتبحر هناك بحيرة ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشعبة
شرقي مدينة شيمي ممشا مملا اخذا الى اطراف بلاد الحبشة ثم تشاكل على بلاد السودان
الى مدينة دمقلة حتى يمر على الجنادل الى اسوان وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد الى
مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب في البحر الشامي وقد استفيض ببلاد السودان ان
النيل في اصله ينحدر من جبال سود تبان على بعد كان عليها الغمام ثم تفترق نهرين يصب
احدهما في البحر المحيط الى جهة بحر الظلمة الجنوبي والاخر يصل الى مصر حتى يصب في البحر الشامي
ويقال انه في الجنوب يتفرق سبعة انهار يدخل في صحرا منقطعة ثم تجتمع الانهر السبعة وتخرج
من تلك الصحرا نهرا واحدا في بلاد السودان

ذكر مقاييس النيل وزيادته

قال ابن عبد الحكم اول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسا بمنف ثم
وضعت العجوز دلوكة ابنة زبا وهي صاحبة حايط العجوز مقياسا بانصنا وهو صغير
الذرع ومقياسا باخميم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير ووضع
اسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو اكبرها قال يحيى بن بكير
ادركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط وقال القضاعي كان
اول من قاس النيل بمصر يوسف النبي عليه السلام وبنى مقياسا بمنف وهو اول مقياس وضعه
عليه السلام وقيل ان النيل كان يقاس بارض علوة الى ان بني مقياس منف وان القبط كانت
تقيس عليه الى ان بطل ومن بعده دلوكة العجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذراع
ومقياسا اخر باخميم وهي التي بنت الحايط المحيط بمصر وقيل انهم كانوا يقيسون الما قبل
ان يوضع المقياس بالرصاصة فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الاكسية ومعالمه
هناك الى ان ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر ابنيتهم الباقية الان وكان للروم ايضا مقياس
بالقصر خلف الباب يمنة من يدخل منه في داخل الزقاق اثره قايم الى اليوم وقد بني عليه

وهوله

حرم ... الحرز بسبيل الناس في ... بمصر ... زمنا بالروضة ... المقياس وغيره

وهوله ثم بني عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسا باسوان ثم بني بموضع يقال له
دندرة ثم بني في ايام معوية مقياس بانصنا فلم يزل يقاس عليه الى ان بنى عبد العزيز بن
مروان مقياسا بحلوان وكانت منزله وكان هذا المقياس صغير الذراع فاما المقياس
القديم الذي بني في الجزيرة فالذي وضعه اسامة بن زيد وقيل انه كسر فيه الفا اوقية
وهو الذي بني بيت المال بمصر وبنى ابو قبيحة مركب اسامة بن زيد التنوخي عامل خراج
مصر لسليمن بن عبد الملك ببطلانه فكتب اليه سليمن بان يبني مقياسا في الجزيرة فبناه
في سنة سبع وتسعين ثم بني المتوكل فيها مقياسا في اول سنة سبع واربعين ومايتين في
ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وامر بان
تعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله على المقياس ابا الرداد المعلم واسمه
عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن كان يقول العمي اصله من البصرة
قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل واجرى عليه سليمن بن وهب صاحب خراج
مصر يوميذ سبعة دنانير في كل شهر فلم يزل القياس منذ ذلك الوقت في يد ابي الرداد
وولده الى اليوم وتوفي ابو الرداد سنة ست وستين ومايتين ثم ركب احمد بن طولون
سنة تسع وخمسين ومايتين ومعه ابو ايوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة
القاضي فنظر الى المقياس وامر باصلاحه وقدر له الف دينار فعمر وبنى الخازن في
الصناعة مقياسا واثره باق لا يعتمد عليه وقال ابن عبد الحكم فلما فتح عمرو بن
العاص مصر اتى اهلها الى عمرو حين دخل بونه من اشهر العجم فقالوا له ايها
الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا انه اذا كان
لثنتي عشرة ليلة تخلوا من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من ابويها فارضينا ابويها
وجعلنا عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو
ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بونه وابيب
ومسرى لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلا فلما راى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بذلك فكتب اليه عمر ان قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله
وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها في داخل النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب
على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر امير المؤمنين الى نيل اهل مصر اما بعد فان كنت
انما تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسال
الله الواحد القهار ان يجريك فالقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب

فالقها

هذا الخبر رواه عبد الله بن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال لما فتحنا مصر الى اهلها عمرو بن العاص حين دخل بوونه فذكره

بيوم وقد تهيّا اهل مصر للجلا والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل
واصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ست عشره ذراعا فى ليله وقطع تلك السنة
السو عن اهل مصر ان حاجز الصدف هو الذى قرا بطاقة عمر رضى الله عنه الى النيل
على النيل حين توقف تجرى باذن الله تعالى وقال يزيد بن ابى حبيب ان موسى صلى الله
عليه وسلم دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى ارادوا الجلا فطلبوا الى موسى
ان يدعو الله فدعا الله رجا ان يومنوا وذلك فى ليلة الصليب فاصبحوا وقد اجراه الله
تلك الساعة ست عشرة ذراعا فاستجاب الله بتطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب
لنبيه موسى عليه السلام قال القضاعى ووجدت فى رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن
عبد المنعم قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى اهلها من الغلا عند وقوف
النيل عن حده فى مقياس لهم فضلا عن تقاصره وان فرط الاستشعار يدعوهم الى
الاحتكار ويدعو الاحتكار الى تصاعد الاسعار لغير قحط فكتب عمر الى عمرو يسأله عن شرح
الحال فاجابه انى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط اهلها اربع عشرة ذراعا
والحد الذى يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة ست عشرة
ذراعا والنهايتان المخوفتان فى الزيادة والنقصان وهما الظما والاستبحار اثنا
عشرة ذراعا فى النقصان وثمانى عشرة ذراعا فى ~~النقصان وثمانى عشرة ذراعا فى~~ الزيادة
هذا والبلد فى ذلك الوقت محفور الانهار معقود الجسور عندما تسلموه من القبط
وخميرة العمارة فيه فاستشار عمر امير المومنين رضى الله عنه عليا رضى الله عنه فى
ذلك فامره ان يكتب اليه ان يبنى مقياسا وان ينقص ذراعين على اثنى عشرة ذراعا
وان يقر ما بعدها على الاصل وان ينقص من كل ذراع بعد الست عشرة ذراعا اصبعين
ففعل ذلك وبناه بحلوان فاجتمع له بذلك كل ما اراد من حل الارجاف وزوال ما منه كان
يخاف بان جعل الاثنى عشر ذراعا اربع عشرة لان كل ذراع اربعة وعشرون اصبعا
فجعلها ثمانيا وعشرين من اولها الى الاثنى عشرة ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الاثنى
عشرة ثمانيا واربعين اصبعا وهى الذراعان وجعل الاربع عشرة ست عشرة والست
عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين قال القضاعى وفى هذا الباب نظر فى وقتنا
لزيادة فساد الانهار وانتقاض الاحوال وشاهد ذلك ان المقاييس القديمة الصعيدية
من اولها الى اخرها اربعة وعشرون اصبعا كل ذراع والمقاييس الاسلامية على
ما ذكرناه القياس الذى بناه اسامة بن زيد التنوخى بالجزيرة وهو الذى هدمه
الملك

الما وبنى المامون اخر باسفل الارض بالبشرود وبنى المتوكل اخر بالجزيرة
وهو الذى يقاس عليه الما الان وقد تقدم ذكره قال ابن عفير عن القبط المتقدمين
اذا كان الما فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنتى عشرة ذراعا فهى سنة ما والا فالما
ناقص واذا تم ست عشرة ذراعا قبل النوروز فالما يتم فاعلم ذلك وقال ابو الصلت واما
النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستوا من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه
يبتدى بالتزيد فى شهر ابيب والمصريون يقولون اذا دخل ابيب كان للما دبيب وعند
ابتدائه فى التزيد يتغير جميع كيفياته ويفسد والسبب فى ذلك مروره بنقايع مياه آجنة
يخالطها فيجتلبها معه الى غير ذلك مما كتمه فاذا بلغ الما خمسة عشر ذراعا وزادت
السادسة عشر اصبعا واحدا كسر الخليج ولكسره وكسره يوم معدود ومقام مشهود ومجمع
خاص بحضرة العام والخاص واذا كسر فتحت الترع وهى فوهات الخلجان ففاض
الما وساح وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى اعالى مساكنهم من الضياع والمنازل
وهى على اكام وربى لا ينتهى الما اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود ارض مصر باسرها
عند ذلك بحرا غامرا لما بين جبليها وثما بلغ الحد المحدود فى مشية الله عز وجل واكثر
ذلك يحوم حول ثمانى عشرة ذراعا ثم ياخذ عائدا فى صبه الى مجرا النيل ومسربه فينضب
اولا عما كان من الارض عاليا ويصير فيما كان منها متطامنا فيترك كل قرارة كالدرهم
ويغادر كل قلعة كالبرد المبهم وقال القاضى ابو الحسن على بن محمد الماوردى فى كتاب
الاحكام السلطانية واما الذراع السودا فهى اطول من ذراع الدور باصبع وثلثى
اصبع واول من وضعها امير المومنين هرون الرشيد قدرها بذراع خادم اسود
كان على راسه قايما وهى التى يتعامل الناس بها فى ذرع البز والتجارة والابنية
وقياس نيل مصر واكثر ما وجد فى المقياس فى النقصان سنة وسبعين ومايه فانه
وجد فى المقياس تسع اذرع واحدى وعشرون اصبعا واقل ما كان فى سنة ست
وخمسين وثلاث مايه الهلالية فانه بلغ اثنى عشر ذراعا وتسع عشرة اصبعا
وهى ايام كافور الاخشيدى والمقياس عمود رخام ابيض مثمن فى موضع ينحصر فيه الما
عند انسيابه اليه وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا كل ذراع مفصل على
اربعه وعشرين قسما متساوية تعرف بالاصابع ما عدا الاثنى عشر ذراعا الاولى
فانها مفصلة على ثمانية وعشرين اصبعا كل ذراع وقال المسعودى قالت الهند
زيادة النيل ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالى الانوا وكثرة الامطا

وقالت الروم لم يزد قط ولا ينقص وانما زيادته ونقصانه من عيون كثرت
واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون في شاطيه يراها من سافر ولحق
باعاليه وقيل لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت تحبسه
فيفيض على وجه الارض وقال قوم سبب زيادته هبوب ريح تسمى الملثن وذلك انها
تحمل السحاب الماطر من خلف خط الاستوا فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة
فياتي مدده الى مصر بزيادة النيل ومع ذلك فان البحر الملح يقف ماوه في وجه النيل
فيتوقف حتى تروى البلاد وفي ذلك نقول فاسمع وللسامع اعلاء يد عندي
واسا من يد المحسن فالنيل ذو فضل ولكنه الشكر في ذلك للملثن ويبتدي
النيل بالتنفس والزيادة بقية بوونه وهو حزيران وابيب وهو تموز ومسرى
وهو آب فاذا كان الما زايدا زاد شهر توت كله وهو ايلول الى انقضايه فاذا
انتهت الزيادة الى ذراع ثمانية عشرة ففيه تمام الخراج وخصب الارض وهو
ضار بالبهايم لعدم المرعى والكلا وانفع الزيادات كلها العامة النفع للبلد
كله سبع عشرة ذراعا وفي ذلك كفايتها وري جميع ارضها واذا زاد على ذلك و
ثمان عشرة ذراعا وغلقها استبحر من ارض مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض
الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا كانت الزيادة على ثمان عشرة ذراعا
كانت العاقبة في انصرافه حدوث وبا واكثر الزيادات ثمان عشرة ذراعا
وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز تسع عشرة ذراعا ومساحة الذراع الى ان
يبلغ اثنتي عشرة ذراعا الى ما فوق ذلك يكون الذراع اربعا وعشرين اصبعا واقل
ما يبقى في قاع المقياس من الما ثلاثة اذرع وفي تلك السنة يكون الما قليلا والاذرع
التي يستسقا عليها بمصر هي ذراعات تسمى منكرا ونكيرا وهي الذراع الثالثة عشر
والذراع الرابعة عشر فاذا انصرف الما عن هذين الذراعين وزيادة نصف ذراع
من الخمس عشرة ذراعا استسقا الناس بمصر وكان الضرر الشامل لكل البلدان واذا
تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقا
فيه وكان ذلك نقصا من خراج السلطان والنبيذ يتخذ بمصر من ماطوبة وهو كانون
الثاني بعد الغطاس وهو لعشر تمضي من طوبة واصفا ما يكون ما النيل في ذلك
الوقت واهل مصر يفتخرون بصفا ما النيل في هذا الوقت وفيه يختزن
الما اهل تنيس ودمياط وتونة وساير قرايا البحيرة وقد كانت مصر كلها

ترو

تروى من ست عشرة ذراعا عامرها وغامرها لما احكموا من جسورها وبناء قناطرها
وتنقية خلجانها وكان الما اذا بلغ في زيادته تسع اذرع دخل خليج المنهى وخليج
الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا قال والمعمول عليه في وقتنا هذا وهو سنة خمس
واربعين وثمانمائة انه ان زاد على الستة عشر ذراعا او نقص عنها نقص من خراج
السلطان وقد تغير في زمننا هذا اعاده ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور والترع
والخلجان وقانونه انه يزيد في القيظ اذا حلت الشمس برج السرطان والاسد
والسنبله حين تنقص عامة الانهار التي في المعمور ولذلك قيل ان الانهار تمده بمايها
عند غيضها فتكون زيادته ويبتدى الزيادة من خامس بوونه وتظهر في ثاني
عشره واول دفعه في الثاني من ابيب وينتهي زيادته في ثامن بابه ويأخذ في
النقصان من العشرين منها فتكون مدة زيادته من ابتدايها الى ان ينقص ثلاثة اشهر
وخمسة وعشرين يوما وهي ابيب ومسرى وتوت وعشرون يوما من بابه ومدة
مكثه بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوما ثم ياخذ في النقصان ومن العادة ان ينادى
عليه دايما في اليوم السابع والعشرين من بوونه بعد ما يوخذ قاعه وهو ما بقي من الما
القديم في ثالث عشر بوونه ويفتح الخليج الكبير اذا اكمل الما ست عشرة ذراعا وادركت
الناس يقولون نعوذ بالله من اصبع من عشرين وكانهم يعني الما اذا بلغ اصابع من عشرين
ذراعا فاض ما النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلاليع وها نحن في زمن كانت
الحوادث بعد سنة ست وثمانمايه اذا بلغ الما في سنة اصبعا من عشرين لا يعم الاراضي
كلها لما قد فسد من الجسور وكان الى بعد الخمسمايه من الهجرة قانون النيل ست عشرة
ذراعا وكانوا يقولون اذا زاد على ذلك ذراعا واحدا زاد خراج مصر مايه الف دينار
لما يروى من الاراضي العاليه فان بلغ ثمان عشرة ذراعا كانت الغاية القصوى فان الثمان عشرة
ذراعا في مقياس الجزيره اثنان وعشرون ذراعا في الصعيد الاعلى فان زاد على الثماني
عشرة ذراعا واحدا نقص من الخراج مايه الف دينار لما يستبحر من الاراضي المنخفضة
قال ابن ميسر في حوادث سنة ثلاث واربعين وخمسمايه وفيها بلغت زيادة ما
النيل تسع عشرة ذراعا واربعة اصابع وبلغ الما الباب الجديد اول الشارع خارج
القاهره وكان الناس يتوجهون الى القاهره من مصر من ناحية المقابر فلما بلغ الخليفة
الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد بن محمد ان الما وصل الى الباب الجديد اظهر
الحزن والانقطاع فدخل اليه بعض خواصه وساله عن السبب فاخرج له كتابا

[illegible]

فاذا فيه اذا وصل الما الباب الجديد اشتغل الامام عبد المجيد ثم قال هذا الكتاب
الذى نعلم منه احوالنا واحوال الدولتنا وما ياتى بعدها فمرض الحافظ فى اخر هذه
السنة ومات فى اول سنه اربع واربعين وخمسمايه وقال القاضى الفاضل فى متجددات
سنه سبع وسبعين وخمسمايه وفى يوم الاثنين السادس والعشرين شهر ربيع الاول
وهو السادس عشر من مسرى صار النيل على ست عشرة ذراعا وهو الوفا ولم
يعرف وفاوه بهذا التاريخ فى زمن متقدم وهذا ايضا مما تغير فيه قانون النيل فى زماننا
فانه صار يوفى فى اوايل مسرى ولقد كان الوفا فى سنه اثنى عشرة وثمانمايه فى اليوم
التاسع والعشرين من ابيب قبل مسرى بيوم وهذا من اعجب ما يورخ فى زيادات النيل
واتفق وفا النيل ان فى حادى عشر جمادى الاولى سنه تسع وسبعمايه او فى النيل
وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة واربعين يوما قال
وفى تاسع عشره يعنى شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحر ابو المنجا وباشر
الملك العزيز عثمن كسره وزاد النيل فيه اصبعا وهى الاصبع الثامنة عشر من ثمان
عشرة ذراعا وهذا الحد يسمى عند اهل مصر اللجة الكبرى فانظر كيف سمى القاضى
الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وانه والعياذ بالله لو بلغ النيل فى سنه هذا القدر
فقط لحل بالبلاد غلا يخاف منه ان يهلك فيه الناس وما ذاك الا لما اهمل من عمل الجسور
ويحصل لاهل مصر بوفا النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الرى
فى القديم واستمر ذلك الى يومنا هذا يتخذ ذلك اليوم عيدا ايركب فيه السلطان بعساكره
وينزل فى المراكب لتخليق المقياس وقد ذكر ما كان فى الدولة الفاطميه من الاهتمام بفتح
الخليج عند ذكر مناظر اللولوه وقال بعض المفسرين ان يوم وفا النيل هو اليوم الذى
وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع فى قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة
وان يحشر الناس ضحى وقد جرت العادة ان اجتماع الناس للتخليق يكون فى هذا
الوقت ومن احسن السياسات فى امر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق فى سيرة
المعز لدين الله قال وفى هذا الشهر يعنى شوال سنة اثنتين وستين ولثمانيه منع المعز
لدين الله من النداء بزيادة النيل ولا يكتب بذلك الا اليه والى القايد جوهر فلما تم اباح
النداء يعنى لما تم ست عشرة ذراعا وكسر الخليج فتامل ما ابدع هذه السياسه فان الناس
دايما اذا توقف النيل فى ايام زيادته او زاد قليلا يقلقون ويحدثون انفسهم بعدم
طلوع النيل فيقبضون ايديهم على الغلات ويمتنعون من بيعها رجا ارتفاع السعر

ويجتهد

ويجتهد من عنده مال فى اختزان الغلال اما لطلب الربح او لادخار قوت عياله
فيحدث بهذا الغلا فان زاد الما انحل السعر والا كان الجدب والقحط ففى كتمان
الزيادة عن العامة اعظم فايدة واجل عايده وقال المسبحى فى تاريخ مصر وخرج
امر صاحب القصر الى ابن خيران بتحرير ما يستفتح به القياسيون كلامهم اذا نادوا
على النيل فقال نعم لا تحصى من خزاين لا تفنى زاد الله فى النيل المبارك كذا وكذا ومن عادة
نيل مصر اذا كان عند ابتدا زيادته النيل اخضر ما وه فتقول عامة اهل مصر قد
توحم النيل ويرون ان الشرب منه حينيذ مضر وبقال فى سبب اخضراره ان
الوحوش سيما الفيله ترد البطيحات التى فى اعالى النيل وتستنقع فيها مع كثرة عددها
لشدة الحر هناك فتتغير ما البطيحات فاذا وقع المطر فى الجهة الجنوبيه فى اوقاته
عندهم تكاثرت السيول حينيذ فى البطيحات فخرج ما كان فيها من الما الذى قد
تغير ومر الى مصر وجا عقيبه الما الجديد وهو الزيادة بمصر وحينيذ يكون
الما احمر لما يخالطه من الطين الحر الذى ياتى به السيول فاذا تناهت زيادته
غشى ارض مصر فتصير القرى التى فى الاقليم فوق التلال والروابى قد احاط
بها الما فلا توصل اليها الا فى المراكب او من فوق الجسور الممتدة التى تصرف عليها
اذا عملت كما ينبغى ربع الخراج ليحفظ عند ذلك ما النيل حتى ينتهى رى كل مكان الى الحد
المحتاج اليه فاذا تكامل رى ناحيه من النواحى قطع اهلها الجسور المحيطة بها من امكنة
معروفه عند خولة البلاد ومشايخها فى اوقات محدودة لا تتقدم ولا تتاخر عن اوقاتها
المعتادة على حسب ما تشهد به قوانين كل ناحية من النواحى فيروى كل جهة ما يليها
مع ما يجتمع فيها من الما المختص بها ولولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع
والخلجان لقل الانتفاع بما النيل كما قد جرى فى زمننا هذا وقد حكى انه كان يرصد
لعمارة جسور اراضى مصر فى كل سنه ثلث الخراج لعنايتهم فى القديم بها من اجل انه
يترتب عليه عمارة البلاد الذى به مصالح العباد وستقف ان شا الله تعالى عما — وكان للمقياس
قريب على ما كان من اعمال القدما ومن بعدهم فى ذلك وكان المقياس فى الدول
رسوم منها لكنس مجارى الما خمسون دينارا فى كل سنه تطلق لابن ابى الرداد

ذكر ما قيل فى ما النيل من مدح وذم

قال الرييس ابو على بن سينا عفا الله عن زلله وقوم يفرطون فى مدح النيل افراطا شديدا
ويجمعون محامده فى اربعه بعد منبعه وطيب مسلكه وغمورته واخذه الى الشمال

عن الجنوب فاخذه الى الشمال عن الجنوب ملطف لما يجرى فيه من المياه وأمّا
غمورته فيشاركه فيها غيره قال فافضل المياه مياه العيون ولا كل العيون ولكن
ما العيون الحرة الارض التى لا يغلب على تربتها شى من الاحوال والكيفيات الغريبه
او تكون حجريه فتكون اولى بان لا تعفن عفونة الارضيه لكن التى هى من طينه حرة خير
من الحجريه ولا كل عين حره بل التى هى مع ذلك جاريه ولا كل جارية بل الجاريه المكشوفه
للشمس والرياح وان هذا مما يكتسب به الجاريه فضيله واما الراكده فربما اكتسبت
بالكشف رداة لا تكتسبها بالغور والستر واعلم ان المياه التى تكون طينته المسيل
خير من التى تجرى على الاحجار فان الطين ينقى الما وياخذ منه الممزوجات الغريبه ويروقه
والحجاره لا تفعل ذلك لكنه يجب ان تكون طين مسيله حرا لا حماة ولا سبخه ولا غير ذلك
فان اتفق ان كان هذا الما غمرا شديد الجريه تحيل بكثرته ما يخالطه الى طبيعته فان كان
باخذ الى الشمس فى جريانه فيجرى الى المشرق وخصوصا الى الصيفى منه فهو افضل لاسيما اذا
بعد جدا من مبداه قال الرييس علاء الدين على ابى الحرم بن نفيس فى شرح القانون هذه
المحامد التى ذكرها ليست علامات للجيد بل هى من الاشيا الموجبه لكونه محمودا واحد هذه
الاربعة بعد منبعه وقد بينا ان ذلك يوجب لطافة الما بسبب كثرة حركته واعلم ان
منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا الجبل وراخط الاستوا باحدى عشرة درجة
وثلاثين دقيقه مما به اعظم دايرة فى الارض بلتمايه درجه وستون وابتدا هذا الجبل
من السادسة والاربعين درجة وثلاثين دقيقه من اول العمارة من جهة المغرب وآخره
عند احدى وستين درجه وخمسين دقيقه فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس
عشرة درجة وعشرين دقيقه مما به اعظم دايرة فى الارض بلثمايه وستون درجه ويخرج
من هذا الجبل عشرة انهار منبعها من اعين فيه ترى كل خمسة منها الى بحيرة عظيمه مدورة
واحدى هاتين البحيرتين مركزها حيث البعد من ابتدا العمارة بالمغرب خمسون درجة
والبعد من خط الاستوا فى الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقه ومركز الثانية
حيث البعد عن اول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجه وحيث البعد من خط الاستوا
فى الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون دقيقه وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر
كل واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج من كل واحدة من هاتين البحيرتين اربعة انهار
ترى بانهار الى بحيره صغيره مدورة فى الاقليم الاول بعد مركزها عن اول العماره بالمغرب
ثلاث وخمسون درجه وثلاثون دقيقه وعن خط الاستوا من الشمال درجتان من الاقليم

الاول ومقدار قطرها درجتان ويصب كل واحد من الانهار الثمانية فى هذه البحيرة
نهر واحد منها وهو نيل مصر ويمر ببلاد النوبه ويصب اليه نهر اخر ابتداوه من غير مركزها
على خط الاستوا كبيرة مستديرة مقدار قطرها ثلاث درج وبعد مركزها من اول
العمارة بالمغرب احدى وسبعون درجه ويلتقى نهر هذه العين بنهر النيل حيث البعد
من اول العمارة بالمغرب ثلاث واربعون درجة واربعون دقيقه واذا تعدى النيل
مدينة مصر الى بلد يقال لها شطنوف تفرق هناك الى نهرين يرميان الى البحر المالح
احدهما يعرف ببحر رشيد ومنه يكون خليج الاسكندريه وثانيهما يعرف ببحر دمياط وهذا
البحر اذا وصل الى المنصورة تفرع منه نهر يعرف ببحر اشمون يرمى الى بحيرة هناك وباقيه
يرمى الى البحر الملح عند دمياط وزيادة ما النيل هى من امطار كثيرة ببلاد الحبشة والله اعلم
ثم ما يتوجه الى الشمال والمتوجه الى المغرب والجنوب ردى خصوصا عند هبوب ريح
الجنوب والذى ينحدر من مواضع عاليه مع ساير الفضل افضل وما كان بهذه الصفة
كان عذبا يخيل انه حلو ولا يحتمل الخمر اذا مزج به منه الا قليلا وكان خفيف الوزن سريع
البرد والتسخين لتخلخله باردا فى الشتا حارا فى الصيف لا يغلب عليه طعم البتة
ولا رايحه ويكون سريع الانحدار من الشراسيف سريع تهرى ما يهرى فيه وطبخ ما يطبخ فيه
واعلم ان الوزن من الدستورات المنجحه فى حال الما فان الاخف فى اكثر الاحوال افضل
فهذا ما ذكره الرييس ابن سينا من صفات المياه الفاضلة واعتبرها فلم تجد ذلك قد
اجتمع فى ما النيل فاوله ان ما النيل عين تمر على اراضى حره ولا تغلب على تربها ما يمر به شى من
الاحوال والكيفيات الرديه كمعادن النفط والشب والاملاح والكباريت ونحوها بل
يمر على الاراضى التى تنبت الذهب بدليل ما يظهر فى الشطوط من قراظات الذهب وقد
عانا جماعه تحصيل الذهب من الرمل الماخوذ من شطوط النيل فحصلوا منه مالا وفضيلة
كون الذهب فى الما لا تنكر الثانى ان النيل فى جريانه ابدا مكشوف للشمس والرياح
الثالث ان طينه من طين مسيل مياه مجتمعة من امطار تمر على اراضى حرة ويظهر لك ذلك
من عطريه روايح الطين اذا نديته بما الرابع غمورة ما النيل وشدة جريته التى يكاد تقصف
العمد اذا اعترضتها وتدفع الاحجار العظيمة اذا عارضتها الخامس بعد مبدا خروجه
من مصبه فى البحر الملح وقد تقدم من طول مسافته ما لا نجده فى نهر غيره من انهار المعمورة
السادس انحداره من علو فان الجنوب مرتفع عن الشمال لاسيما اذا صار الى الجنادل
الخط من اعلى جبل مرتفع الى وادى مصر وذكر ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث

شربه ... طين حر اذا لم يغلب الطين رمل او حماة
تعالى ... قليلة ليلا يخلط حر من احجاره خالص
... واصل الكلمة الغلوص

من حديث جرير بن عبد الله البجلي حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن منزله ببيشة فذكره الى ان قال وما وناعم اى يجرى من علو فقال النبى عليه السلام
خير الما السنم اى ما كان ظاهرا على الارض والسنم الماى على وجه الارض وكل شى علا شيا
فقد تسنمه باجود من سنام البعير لعلوه وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ومزاجه من
تسنيم انه يمزج بما ينزل من علو السابع انه يمر من الجنوب الى الشمال فيستقبل ريح الشمال
الطيبة دايما الثامن خفته فى الوزن وقد اعتبر ذلك غير مره مع غيره من المياه
فخف عنها فى الوزن التاسع عذوبه طعمه وحسن اثره فى هضم الغدا واحداره عن المعدة
بحيث انه يحدث بعد شربه جشا وهذه صفات ان كنت ممن قدما راس العلم الطبيعى وعرف
الطب فانه يعظم عندك قدر ما النيل ويتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه ويقال
ان ذا القرنين كتب كتابا فيه ما شاهده من عجايب الدنيا فضمنه كل عجيبه ثم قال فى
اخره وليس ذلك بعجب ولكن العجب نيل مصر وقال بعض الحكما لو لا ما جعل الله فى نيل
مصر من حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد وهبوط
الما عنها عند بذر والزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه امطار
كافيه ولا عيون جاريه تعم ارضه الا فى بعض اقليم الفيوم ولله در القايل ه

واها لهذا النيل اى عجيبة بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى العام وهو مسلم حتى اذا ما مل عاد مودع
مستقبل مثل الهلال فدهره ابدا يزيد كما يزيد ويرجع

وقال اخر

كان النيل ذو عقل ولب لما يبدو لعين الناس منه
فياتى عند حاجتهم اليه ويمضى حين يستغنون عنه

وقال تميم بن المعز

يوم لنا بالنيل مختصر ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تجرى كالخيول بنا صعدا وجيش الما منحدر
وكانما امواجه عكن وكانما داراته سرر

وقال القاضى الفاضل واما النيل فقد ملا البقاع وانتقل من الاصبع الى الذراع
فكانما غار على الارض فغطاها واغار عليها فاستعد هاوما تخطاها وقال
الامير تميم بن المعز اما ترى الرعد بكى واشتكى والبرق قد اومض واستضحكا

فلشرب

فاشرب على غيم كصبغ الدجا اضحك وجه الارض لما بكى
وانظر الى النيل فى مده كانما صندل او مسكا

وقال اخر

وسه مجرى النيل منه اذا الصبا ارتنا به من مرها عسكرا مجرا
فشطيه للسمهريه ذبلا وموج به للبيض هنديه بترا
اذا مد حاكى الورد غضا وان صفا حكى ماءه لونا ولم يعده نشرا

وقال ابو محمد الحسن محمد بن الوزير فى تدرج زيادة النيل وعظم منفعته اى ابدا
كثيرا من قليل وبدر الى الحقيقة من هلال ه

فلا تعجب فكل خليج ما بمصر مسبب لخليج مال
زيادة اصبع فى كل يوم زيادة اذرع فى حسن حال

وقال الشهاب احمد بن على بن فضل الله العمرى

لمصر فضل باهر لعيشها الرغد النضر
فى سفح روض يلتقى ما الحياة والخضر

وقال ابن ملاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت والقت شعاعا منه يخلفها كانما احترقت بالما فى الغرق
وللهلال فهل وافى ليتقدها فى اثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال ابن المنجم

يارب سابحة فى الجو قمت بها امد طرفى فى ارض من الافق
حيث العشية فى التمثيل معركة اذا راها جبان بات للفرق
الشمس هاربة للغرب ذاهبة بالنيل مصفرة من هجمة العنق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا من سورة الطعن ملقى فى دم الشفق

وقال القاضى الفاضل واما النيل فقد ملا البقاع وانتقل من الاصبع الى الذراع
فكانما غار على الارض فغطاها واغار عليها فاستعدها وما تخطاها فما يوجد عنصر
قاطع طريق سواه ولا مرغوب مرهوب الا اياه ونيل مصر يخالف فى جريه لغالب
الانهار فانه يجرى من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك الا نهران فانهما يجريان
كما يجرى النيل وهما نهر مكران بالسند ونهر الاريط وهو الذى يعرف اليوم بنهر العاصى

فى حماه احد مداين الشام وقد عاب ما النيل قوم قال ابو بكر بن وحشيه
فى كتاب الفلاحة النبطيه واما ما النيل فمخرجه من جبال ورا بلد السودان يقال لها
جبال القمر وحلاوته وزيادته يدل لان يجا موقعه من الشمس وانما احرقته لا كل
الاحراق بل اسخنته اسخانا طويلا لينا لانو عجه الحرارة ولا تقوى عليه بحيث تبدد
اجزاه الرطبة وتبقى اجزاه الراسخة بل تعتدل عليه فصار ماوه لذلك حلوا جدا وما
كثرة شربه يعفن البدن ويحدث البثور والدماميل والقروح وصار اهل مصر
الشاربون منه دموس يحتاجون الى استفراغ الدم عن ابدانهم فى كل مدة قصيرة فمن كان
منهم عالما بالطبيعة فهو يحسن مداراة نفسه حتى يدفع عن جسمه ضرر ما النيل والا
فهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثر والدماميل وذلك ان هذا الما
ناقص البرد عن ساير المياة قد صير له الطبخ قواما هو اثخن من قوام الما فصار اذا
خالط الطعام فى الابدان كثر فيها الفضول الردية العفنة فيحدث من ذلك ما ذكرنا
ودوا اهل مصر الذى يدفع عنهم ضرر ما النيل ادمان شرب ربوب الفاكهة الحامضة
القابضة واخذ الادويه المستفرغة للفضول ولو زادت حرارة الشمس على ما النيل وطال
طبخها له لصار ما لحا بمنزلة ما البحار الراكدة التى لا حركة لها الا وقت جزر البحر وهبوب
الرياح وهو اوفق للزروع والمنابت من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يمر بامم
كثيرة من السودان ثم يصير الى ارض مصر وقد غسل ما فى بلاد السودان من العفونات
والاوساخ ويشق ما ابو سط ارض مصر من الجنوب الى الشمال الى ان يصب فى بحر
الروم ومبدا زيادة هذا النهر فى فصل الصيف وينتهى زيادته فى فصل الخريف
ويرتقى فى الجومنه فى اوقات مده رطوبات كثيره بالتحلل الخفى فيرطب ذلك يبس الصيف
والخريف واذا امد النهر فاض على ارض مصر فغسل ما فيها من الاوساخ نحو جيف الحيوان
وازبالها وفضول الاجام والسات ومياه البقاع واحدر جميع ذلك معه وخالط من تراب
هذه الارض وطينها مقدار كثير من اجل سخافتها وباض فيه من السمك الذى ترى فيه
وفى مياه النقايع ومن قبل ذلك تراه فى اول مده يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه
النقايع العفنة التى قد اجتمع فيها العرمض والطحلب واخضر لونها من عفنها ثم يتعكر
حتى يصير احمر مثل الحماه واذا صفا اجتمع منه فى الاناطين كثير ورطوبة لزجة لها
سهوكه ورايحه منكره وهذا من اوكد الاشيا فى ظهور رداة هذا الما وعفنه وقد
بقراط وجالينوس ان اسرع المياة الى العفن ما لطفته الشمس بمياه الامطار ومن شان

هذا الما ان يصل الى ارض مصر وهو فى الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلد السودان
فاذا اختلط به عفونات ارض مصر زاد ذلك فى استحالته ولذلك يتولد منه من انواع
السمك شى كثير جدا فان فضول الحيوان والنبات وعفونة هذا الما وبيض السمك
صير جميعها موادا فى تكون هذه الاسماك كما قال ارسطاطلس فى كتاب الحيوان وذلك ايضا
شى ظاهر للحس فان كل شى يتعفن يتولد من عفونته الحيوان ولهذا صار ما يتولد من
الدود والفار والثعابين والعقارب والزنابير والذباب وغيرها بارض مصر
كثيرا فقد استبان ان المزاج الغالب على ارض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وانها
ذات اجزا كثيره وان هواها وماها رديان وربما انقطع النيل فى اخر الربيع واول الصيف
من جهة القسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى ان يبلغ عفنه الى ان تصير له رايحة منكرة
محسوسة فظاهر ان هذا الما اذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا
وينبغى ان يستقى ما النيل من الموضع الذى فيه جريه اشد والعفونة فيه اقل ويصفى كل
انسان هذا الما بحسب ما يوافق مزاجه اما المحرورين فى ايام الصيف فبالطباشير
والطين الارمنى والمغرة والنبق المرضوض والزعرور المرضوض والخل واما المبرودين
فى ايام الشتا فبالوز المرود اخل نوى المشمش والصعتر والشب وينبغى ان ينظف ما
يروق ويشرب وان شيت ان تصفيه بان تجعله فى انية الخزف والفخار والجلود وما
يعمل من ذلك بالرشح وان شيت طبخته بالنار وجعلته فى هوا الليل حتى يروق ثم قطعت
منه ما يروق واستعملته واذا ظهرت فيه كيفيتان رديان فاطبخه بالنار ثم برده تحت
السما فى برودة الليل وصفه باخلاط الادويه التى ذكرنا واجود ما اتخذ هذا الما ان
يصفى مرارا وذلك بان تسخنه او تطبخه ثم تبرده فى هوا الليل وتعطف ما يروق منه
فتصفيه ايضا ببعض الادوية ثم تاخذ ما يروق فتجعله فى انيه تعمل فى برد الليل وما حسن
الرشح فتشربه واجعل انية هذا الما فى الصيف الخزف والفخار المعمولين فى طوبة والظروف
المجزيه والقرب ونحوها مما يبرد وفى الشتا الانية الزجاج والمدهون وما يعمل فى الصيف
من الفخار والخزف ويكون مواضعه فى الصيف تحت الاسراب وفى مخاريق ريح الشمال
وفى الشتا بالمواضع الحارة ويبرد فى الصيف بان يخلط معه ما الورد وتوخذ خرقة
نظيفه ويشد فيها طباشير وبزر رجله او خشخاش ابيض او طين ارمنى او مغرة ويلقى
فيه كيما ياخذ من بردها ولا يخالطه جسمها وتغسل ظروفه فى الصيف بالخزف المدقوق
وبدقيق الشعير والباقلا والصندل وفى الشتا يغسل بالاشنان والسعد ويبخر

بالمصطكى والعود واردا ما يكون ما النيل بمصر عند فيضه وعند توقف حركته
فعند ذلك ينبغي ان يطبخ ويبالغ في تصفيته بقلوب نوى المشمش وسايرما يقطع لزوجته
واجود ما يكون في طوبه عند تكامل البرد ومن اجل هذا عرف المصريون بالتجربة
ان ما طوبة اجود المياه حتى صار كثير منهم يخزنه في القوارب الزجاج والصيني ويشربه
السنة كلها ويزعم انه لا يتغير وصار وايضا لا يصفونه في هذا الزمان لظنهم انه على
غاية الخلاص واما انت فلا تسكن الى ذلك وصفه على اى حالة كان فالما المخزون
لابد ان يتغير فهذا ما عندي من ذم ما النيل وحاصله ان الما تتغير كيفيته بما يمر عليه
لان ذاته رديه فلا يهولنك ما تسمع فما الامر الا ما قلت لك واذا كان الضرر بحسب ما
يعبر من كيفيته لا من كميته فقد عرفت ما تعالجه به كي يزول ما خالطه من الكيفيات
الرديه والله الموفق بمنه

ذكر عجايب النيل

قال المسعودي وفي نيل مصر وارضها عجايب كثيره من الحيوانات فمن ذلك السمك المعروف
بالرعاد وهو نحو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد ارعدت يده وعضده فيعلم
بوقوعها فيبادر الى اخذها واخراجها عن شبكته ولو امسكها بخشب او قصب فعلت
ذلك وقد ذكرها جالينوس وانها ان جعلت على راس من به صداع شديد او شقيقه
وهي في الحياة هدا من ساعته وقال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان البحري
الذي يحدث الخدر وزعم قوم انه ان ادني من راس من يشتكي الصداع سكن صداعه
واذا ادني من مقعده من انقلبت مقعدته تماصلها ولكني انا جربت الامرين جميعا
فلم اجده يفعل ولا واحدا منها ففكرت اني ادنيته من راس صاحب الصداع والحيوان
بعد وهو حي بعد لاني ظننت انه على الحال يكون دوا يمكن ان يسكن الصداع بمنزلة الادويه
الاخر فوجدته ينفع ما دام حيا وقال ديسقوريدوس هو سمكه بحريه مخدرة واذا
وضعت على الراس الذي عرض له الصداع المزمن سكن شدة وجعه واذا احتمل شد
المقعدة التي تبرز الى خارج وقال يونس الزيت الذي يطبخ فيه سكن اوجاع المفاصل
الحريفه اذا دهنت به قال ابن البيطار رايت بساحل مدينه مالقه من بلاد الاندلس
سمكة عريضة لون ظاهرها لون رعاد مصر سوا وباطنها ابيض وفعلها في تخديرها سكها
كفعل رعاد مصر او اشد الا انها لا تؤكل البته وقال بعضهم اذا علقت المراة شيا من
الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها وكذلك ان علق منها الرجل عليه لم تكد المراة ان
تفارقه والسقنقور وهو صنف يتولد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لان له

يدين ورجلين ولا يشاكل التمساح لان ذنبه اجرد املس عريض غير مضرس وذنب
التمساح مسيف مضرس ويعالج بشحم السقنقور الجماع ولا يكون بمكان الا في النيل او نهر
مهران من ارض الهند ولقد بلغني ان اقواما شووها واكلوا منها فماتوا كلهم في ساعة وقال
المسعودي والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الما وانتهى وطيه الى بعض المواضع من
الارض علم اهل مصر ان النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زايد عليه ولا مقصر عنه لا
يتخلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماضرر بارباب الارض والغلات
لرعيه الزرع وذلك انه يظهر من الما في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولي عايدا الى الما
فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك الذي قد رعاه
شيا في ممره واذا رعى ورد الما وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبت ذلك مرة
ثانيه واذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بارباب الضياع طرحوا له من الترمس في الموضع الذي
يعرف خروجه منه مكاكي كثيره مبددا مبسوطا فياكله ثم يعود الى الما فاذا شرب منه ربا
الترمس في جوفه وانتفخ فينشق جوفه ويموت فيطفوا على الما ويقذف به الى الساحل والموضع
الذي يرى فيه لا يرى به تمساح وهو على صورة الفرس الا ان حوافره وذنبه بخلاف ذلك
وجبهته واسعه وقال المسبحي ان الصنف المعروف بالبلطي من اصناف السمك اول ما
عرف بنيل مصر في ايام الخليفه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ولم يكن يعرف قبله في النيل
وظهر في ايامه ايضا سمك يعرف باللبيس وانما سمي باللبيس لانه يشبه البوري الذي بالبحر
الملح فالتبس به وغالب الظن انها من اسماك البحر الملح دخلت في الحلو ومن حيوان النيل
التمساح قال ابن البيطار التمساح حيوان معروف يكون في الانهار الكبار وفي النيل كثير ويوجد
في نهر مهران وقد يوجد في بلاد السودان وهو الورل النيلي وقال ابن زهر ان كل حيوان يحرك
فكه الاسفل اذا اكل ما خلا التمساح فانه يحرك فكه الاعلى دون الاسفل وشحم التمساح اذا
عجن بالسمن وجعل فيه فتيله واسرج في نهر او اجمة لم تنق ضفادعها ما دامت تقد وان طيف
بجلد تمساح حول قرية ثم علق على سطح دهليزها لم يقع البرد في تلك القرية واذا عض التمساح
انسانا فوضع على العضة شحم التمساح برا من ساعته وان لطخت بشحمه جبهة كبش نطاح
نفر كل كبش يناطحه وهرب منه ومرارته يكتحل بها للبياض في العين فيذهب به وكبده
يبخر بها المجنون فيبرا وزبل التمساح يزيل البياض من العين الحديث والقديم في العين
وان قلعت عيناه وهو حي وعلقت على من به جذام اوقفه ولم يزد عليه وان شي من التي
بالجانب الايمن على رجل زاد في جماعه وعينه اليمنى لمن يشتكي عينه اليمنى وعينه اليسرى لمن

يشتكي عينه اليسرى وشحمه اذا ذيف بدهن دردنفع من وجع الصلب والكليتين وزاد
في الباه واذا اخذ دم التمساح وخلط به ملح دابغ وطلى به على الوضح اذهبه وغير لونه
واذا طلي به على الجبهة والصدغ نفع من وجع الشقيقة واذا اكل لحمه اسمن باحا سمن البدن
النحيف وشحمه اذا قطر بعد ان يذاب في الاذن الوجعه نفعها وان ادمن بقطره في الاذن
نفع من الصمم واذا دهن به صاحب حمى الربع سكنت عنه ولحمه ردى في الكيموس وقال
المسعودى وكذلك التمساح انه من دويبه تكون في سواحل البر وجزايره وهو ان التمساح
لا دبر له وما ياكله يتكون في بطنه دودا فاذا اذاه ذلك خرج الى البر فاستلقى على قفاه
فاغرا فاه فينقض اليه طير الما وقد اعتاد منه ذلك فياكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود
العظيم ويكون تلك الدويبه قد كمنت في الرمل فتثب الى حلقه وتصير الى جوفه فيخبط بنفسه
الارض ويأتي قعر النيل حتى تاتي الدويبة على حشو جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما قتل
نفسه قبل ان تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس
ذات قوايم شتى ومخالب ويقال انه كان بجبال فسطاط مصر طلسم معمول لها وكان التمساح
لا يستطيع الاضرار حوله بل كان اذا بلغ حدوده انقلب واستلقى على ظهره فيعبث به الصبيان
الى ان يجاوز نهاية المدينه ثم يعود فيستوى ويعود الى طباعه ثم ان هذا الطلسم كسر فبطل
فعله ويقال ان التمساح يبيض كبيض الاوز وربما تولد منه جراد من صغار ثم تكبر حتى يبلغ
طولها عشرة اذرع وتزداد طولا كلما عمرت والتمساح يجامع ستين مرة في حركة واحدة وبحل
واحد وسنه اليسرى نافعه للناقص

ذكر طرف من تقدمه المعرفة بحال النيل في كل سنه

قال ابن رضوان في شرح الاربع وقد يحتاج امر
النيل الى شروط منها ان تكون الامطار متواليه في نواحي الجنوب قبل مدة وفي وقت
مده ولذلك وجب ان يكون النيل متى كانت الزهرة وعطارد مغربين في مدخل الصيف
كثير الزيادة لرطوبة الهوا ومتى كان المريخ او بعض السيارة في ناحية الجنوب في مدخل
الربيع او الصيف قليلا لقلة الامطار في تلك الناحية ومنها ان تكون الريح شماليه لتوقف
جريه فاما الجنوبية فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون في
ناحية الجنوب من كثرة الامطار او قلتها وفي ناحية مصر من هبوب الرياح في فصلي
الربيع والصيف فقد علمت حال النيل كيف يكون وتعلم من حاله ما يعرض من الخصب
والقحط وقال ابو بن يونس المنجم عن بطلميوس اذا اردت ان تعلم مقدار مد النيل
في الزيادة والنقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهرة وعطارد

كان م

من ... بطلميوس

والز

والقرفان كانت احوالها جيدة وهي بريه من النحوس فالنيل يمد ويبلغ الحاجة به وان
كانت احوالها بخلاف ذلك وهي ضعيفه فانعكس القول فان ضعف بعضها وصلح البعض
توسط الحال في النيل والضابط ان قوة الثلاثه يدل على تمام النيل وضعفها على توسطه
وانتحاسها واحتراقها او وقوعها في بعدها الابعد من الارض على النقص وانه قليل
جدا الا ان احتراق الزهرة في برج الاسد يستنزل الما من الجنوب وقال ابو معشر ينظر
عند انتقال الشمس الى برج السرطان للزهرة وعطارد والقرفان كانت في سيرها الاكبر
فان زيادة النيل عظيمه وان كانت في سيرها الاوسط فاعرف كم اكثر مسيرها وكم اقله
وانسبه بحسب ما تراه وان كانت بطية السير فزيادة النيل قليله وان اختلف مسير هذه
الثلاثه فكان بعضها في مسيرة الاكبر وبعضها بطي السير فغلب اقواها وامزج الدلاله
وقل بحسب ذلك وقالت القبط ينظر اول يوم من شهر برموده ما الذى يوافقه من
ايام الشهر العربى فما كان من الايام فزد عليه خمسة وثمانين فما بلغ حد سد سه فانه يكون
عدد مبلغ النيل في تلك السنة من الاذرع قالوا ومن المعتبر ايضا في امر النيل ان ينظر اليوم
الذى ينظر فيه النصارى الى العاقبه بمصر ما بقي من الشهر العربى فزد عليه اربعا وثلاثين
فما بلغ اسقطه اثنى عشر اثنى عشر فان بقي بعد الاسقاط من العدد زيادة على اثنى عشر فهو
زيادة النيل من الاذرع في تلك السنة مع الاثنى عشر وان بقي اثنا عشر فهي سنة رديه قالوا
واذا كان العاشر من الشهر العربى موافقا لشهر ابيب والقمر في برج العقرب فان كان
مقارنا لقلب العقرب كان النيل مقصرا والا فهو جيد قالوا وينظر اول يوم من بؤونه فان
هبت وسط النهار فانه متوسط وان هبت اخر النهار كان نيلا قاصرا وان لم تهب لم يطلع
تلك السنة وقيل يعتبر ذلك اول خميس من بؤونه ومن المعتبر الذى جربته انا سنين
واخبرني بعض شيوخنا انه جربه واخبره به من جربه فصح ان ينظر اول يوم من مسرى
كم مبلغ النيل فزد عليه ثمانية اذرع فما بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة ومما يزعم نصارى
الوجه القبلي انه مجرب في امر النيل ان يوخذ قبل عيد ميكائيل بيوم في وقت الظهر من الطين
الذى مر عليه ما النيل قطعه زنتها ستة عشر درهما سوا وترفع في انا مغطا الى بكره يوم
عيد ميكائيل وتوزن فما زاد على وزنها من الخراريب كان مبلغ النيل في تلك السنة بقدر
عدد تلك الخراريب لكل خروبة ذراع ومع ذلك فلا بد من اخذ شي من دقيق القمح وعجنه
بما النيل في انا فخار وقد عمل من طين مر عليه النيل وتركه مغطا طول ليلة عيد ميكائيل فاذا
وجد بكرة يوم العيد قد اختمر بنفسه كان النيل تاما وافيا وان وجد فطيرا لم يختمر دل على قصو

يدل م

هذه تجربة الصبا والابنة وكان النيل جيدا او انه

هذا الدليل النيل ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكائيل الى الهوا فان هب طيبا
فهو نيل كثير وان هب غير طياب فهو نيل مقصر لا سيما ان هب مريسيا فانه يكون نيلا غير
كاف والشان عندهم انما هو في دلالة العلامات الثلاث على شي واحد فاما اذا اختلفت
فالحكم لا يكاد يصح وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الاثار الباقية عن القرون
الخاليه وذكر اصحاب التجارب انه اذا تقدم فعمد الى لوح وزرع عليه من كل زرع ونبات
حتى اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموز احد شهور الروم وهي اخر ايام
الباحور ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغروبها لا يحول بينه وبين السما شي فان كل ما
لا يزكو في تلك السنة من الزروع يصبح اصفر وما يصلح ريعه منها يبقى اخضر وكذلك
كان القبط تفعل ذلك وقد جربت انا على ما افادنيه بعض الكتاب انه اذا حصل مطر ولو قل
في شهر بابه فانه ينظر ما ذلك اليوم من الشهر القبطي فانه يبلغ سعر الويبة القمح تلك السنة
من الدراهم بعدد ما مضى من ايام شهر بابه واول ما جربت هذا انه وقع مطر في بابه يوم الخميس
الخامس عشر منها فبيعت الويبة تلك السنه بخمسة عشر درهما

ذكر عيد الشهيد

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من انزه فرج مصر وهو اليوم الثامن من شهر بشنس
احد شهور القبط ويزعمون ان النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقي النصارا فيه تابوتا
من خشب فيه اصبع من اصابع سلفهم الموتى ويكون لذلك اليوم عيد يرحل اليه النصارى
من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة اهل القاهره ومصر على
اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزاير ولا يبقى مغن ولا مغنيه
ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بغي ولا مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا
فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم لا يحصيهم الا خالقهم وتصرف اموال لا تنحصر ويتجاهر
من هناك بما لا يحتمل من المعاصي والفسوق وتثور فتن وتقتل اناس ويباع من الخمر خاصة
في ذلك اليوم بما ينيف على ماية الف درهم فضه عنها خمسة الاف دينار ذهبا وباع
نصراني في يوم واحد باثني عشر الف درهم فضه من الخمر وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد
دايما بناحية شبرا من ضواحي القاهره وكان اعتماد فلاحي شبرا دايما في وفا الخراج على ما
يبيعونه من الخمر في عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع لذلك الى ان كانت
سنة اثنتين وسبعمايه والسلطان يوميذ بديار مصر الملك الناصر محمد بن قلاون والقايم
بتدبير الدوله الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو يوميذ استادار السلطان

والامير

٥٨

والامير سيف الدين سلار نايب السلطنه بديار مصر فقام الامير بيبرس في ابطال ذلك
قياما عظيما وكان اليه امور ديار مصر هو والامير سلار والناصر تحت حجرهما لا يقدر على
شبع بطنه الا من تحت ايديهما فتقدم امر الامير بيبرس الا يرمى الاصبع في النيل ولا يعمل
له عيد وندب الحجاب ووالي القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرا على عادتهم وخرج
البريد الى ساير اعمال مصر ومعهم الكتب الى الولاة باجهار الندا واعلانه في الاقاليم بان
لا يخرج احد من النصارا ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك على اقباط مصر كلهم
من اظهر منهم الايمان وزعم انه اسلم ومن هو باق على نصرانيته ومشى بعضهم الى بعض
وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدوله يعاني الكتابه وهو يوميذ في خدمة
الامير بيبرس وقد احتوى على عقله واستولى على جميع اموره كما هي عادة ملوك مصر
وامرايها من الاتراك في الانقياد لكتابهم من القبط سوا منهم من اسر الكفر ومن جهر به وما
زال الاقباط بالتاج الى ان تحدث مع مخدومه الامير بيبرس في ذلك وخيله من تلاف مال
الخراج اذا بطل هذا العيد فان اكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك وقال له متى لم تعمل العيد
لا يطلع النيل ابدا ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من هذيان القول وتمويه
المكر فثبت الله بيبرس وقواه حتى اعرض عن جميع ما زخرفه من القول واستمر على منع عمل
العيد وقال للتاج ان كان النيل لا يطلع الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو
المتصرف فيه فنكذب النصارى فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعا الى سنة ثمان
وثلثين وسبعمايه وعمر الملك الناصر محمد بن قلاون الجسر في بحر النيل ليرمي قوة التيار عن
بر القاهرة الى ناحية الجيزه كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فطلب الامير يلبغا الماردني
من السلطان ان يخرجا الى الصيد ويغيبا مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة غرامه بهما وهتكه
في محبتهما واراد صرفهما عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد فيكون تفرجكم
عليه انزه من خروجكما الى الصيد وكان قد قرب اوان وقت عيد الشهيد فرضيا منه
بذلك واشيع في الاقليم اعادة عمل عيد الشهيد فلما كان اليوم الذي كانت العادة
تعمله فيه ركب الامرا النيل في الشخاتير بغير حراريق واجتمع الناس من كل جهه وحضر
ارباب الغنا واصحاب اللهو والخلاعه فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم المجاهرة
به من انواع المنكرات وتوسع الامرا في تنوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعا خرجوا
فيه عن الحد في الكثرة البالغة وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفها لكثرتها واستمروا على ذلك
ثلاثة ايام فكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ ابطله الامير بيبرس الى ان اعاده

والامير

الملك الناصر ستا وثلاثين سنه واستمر عمله في كل سنة بعد ذلك الى ان كانت سنة خمس
وخمسين وسبعمايه تحرك المسلمون على النصارا وعملت اوراق بما قد وقف من اراضي مصر
على كنايس النصارا وديا راتهم والزم كتاب الامرا بتحرير ذلك وحمل الاوراق الى ديوان
الاحباس فلما تحررت الاوراق اشتملت على خمسة وعشرين الف فدان كلها موقوفه على
الديارات والكنايس فعرضت على امرا الدوله القايمين بتدبير الدوله في ايام الملك الصالح
صالح بن محمد بن قلاون وهم الامير شيخو العمري والامير صرغتمش والامير طاز فتقرر
الحال على ان ينعم بذلك على الامرا زيادة في اقطاعاتهم والزم النصارا بما الزموهم من الصغار
وهدمت لهم عدة كنايس كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الكنايس
فلما كان العشر الاخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والامير علا الدين
على بن الكوراني والي القاهرة الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي مصر فهدمت كنيسة النصارا
واخذ منها اصبع الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصالح واحرق بين يديه في
الميدان وذري رماده في البحر حتى لا تاخذه النصارا فبطل عيد الشهيد من يوميذ الى
هذا العهد ولله الحمد

ذكر الخلجان التي شعبت من النيل

اعلم ان النيل اذا انتهت زيادته فتحت منه خلجان وترع يتخرق الما فيها يمينا وشمالا
الى البلاد البعيدة عن مجرى النيل واكثر الخلجان والترع والجسور والاحوار بالوجه
البحري واما الوجه القبلي وهي بلاد الصعيد فان ذلك قليل فيه وقد ذهبت معالمه
ودرست رسومه من هناك والمشهور من الخلجان خليج سخا وخليج منف وخليج
المنهى وخليج اشموم طناح وخليج سردوس وخليج الاسكندريه وخليج دمياط وخليج
القاهره وبحر المنجا والخليج الناصري ظاهر القاهره قال ابن عبد الحكم عن ابي رهم
السماعي قال كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الما ليجري تحت
منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاوا ويرسلونه كيف ارادوا فذلك قول الله عز
وجل فيما حكى عن قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون
ولم يكن في الارض يوميذ ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل من اوله
الى اخره في الجانبين جميعا ما بين اسوان الى رشيد وسبع خلج خليج الاسكندريه وخليج
سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة
لا ينقطع منها شي عن شي والزرع ما بين الجبلين من اول مصر الى اخرها ما بلغه الما
وكان جميع ارض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها

وخليجها

وخلجها وجسورها فذلك قوله عز وجل كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم قال والمقام الكريم المنابر كان بها الف منبر **خليج سخا** وخليج سخا حفره تدارس
ابن صا بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وهو احد ملوك القبط القدما
الذين ملكوا مصر في الدهر الاول قال ابن وصيف شاه تدارس الملك اول من ملك الاحيا
كلها بعد ابيه صا وصفا له ملك مصر وكان تدارس محنكا مجربا ذا ايد وقوة ومعرفه
بالامور فاظهر العدل واقام الهياكل واهلها قياما حسنا ودبر جميع الاحياز ويقال انه
الذي حفر خليج سخا وارتفع مال البلد في مدة ماية الف الف دينار وخمسون الف الف
دينار وقصده بعض عمالقة الشام فخرج اليه واستباحه ودخل فلسطين وقتل بها
خلقا وسبى بعض حكماهم واسكنهم مصر فهابته الملوك وعلى راس ثلاثين سنه من ملكه طمع
السودان من الزنج والنوبه في ارضه وعاثوا وافسدوا فجمع الجيوش من اعمال مصر واعد
المراكب ووجه قايدا يقال له ملوطس في ثلثماية الف وقايدا اخر في مثلها ووجه في النيل
ثلثماية سفينة في كل سفينه كاهن يعمل اعجوبة من العجايب ثم خرج في جيوش كثيرة
فلقي جموع السودان وكانوا في زها الف الف فهزمهم وقتل اكثرهم ابرح قتل واسر منهم
خلقا وتبعهم جيوشه حتى وصلوا الى ارض الفيله من بلاد الزنج فاخذوا منها عده من
النمور والوحوش وساقوها الى مصر فذللها وعمل على حد ودبلده منارا وزبر عليه
مسيره وظفره والوقت الذي سار فيه ودفن بمصر مدافن ونقل اليه شيا كثيرا
من اصنام الكواكب ومن الذهب والجوهر والصنعه والتماثيل وزبر عليه اسمه وتاريخ
هلاكه وجعل عليه طلسمات تمنع منه وعهد الى ابنه ماليق بن تدارس **خليج سردوس**
حفره هامان قال ابن وصيف شاه ظلما بن قومس الملك جلس على سرير الملك وحاز جميع
ما كان في خزاينهم وهو الذي يذكر القبط انه فرعون موسى فاما اهل الاثر فيزعمون
ان اسمه الوليد بن مصعب وانه من العمالقة وذكروا ان الفراعنه سبعه وكان ظلما فيما
حكي عنه قصيرا طويل اللحية اشهل العين صغير العين اليسرى في جبينه شامه وكان
اعرج وزعم قوم انه من القبط ونسب اهل بيته مشهور عندهم وذكر اخرون انه دخل
منف على اتان عليها نطرون جابه ليبيعه وكانوا قد اضطربوا في تولية الملك فرضوا
ان يملكوا عليهم اول من يطرا من الناس فلما راوه ملكوه عليهم ولما جلس في الملك بذل الاموال
وارغب من اطاعه وقتل من خالفه فاعتدل امره واستخلف هامان وكان يقرب منه في
نسبه واثار بعض الكنوز وصرفها في بنا المداين والعمارات وحفر خلجانا كثيرة ويقال انه

الذى حفر خليج سردوس وكان كلما عرجه الى قرية من قرى الحوف حمل اليه اهلها
مالا فاجتمع من ذلك شى كثير فامر برده على اهله وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضى الله عنه ان فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتدا حفره اتاه
اهل كل قرية يسالونه ان يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا قال وكان يذهب به الى هذه
القرية من نحو المشرق ثم يرده الى اهل قرية فى القبلة وياخذ من اهل كل قرية مالا حتى اجتمع
له فى ذلك مايه الف دينار فاتى بذلك يحمله الى فرعون فساله عن ذلك فاخبره بما فعل فى
حفره فقال له فرعون ويحك انه ينبغى للسيد ان يعطف على عباده ويفيض عليهم ولا يرغب
فيما بايديهم رد على اهل كل قرية ما اخذت منهم فرده كله على اهله قال فلا يعلم بمصر خليج اكثر
عطوفا منه لما فعلها مان فى حفره وكان هامان نبطيا ٥ خليج الاسكندريه قال ابن
عبد الحكم ويقال ان الذى بنا منارة الاسكندرية قلبطرة الملكه وهى التى ساقت خليجها حتى
ادخلته الاسكندريه ولم يكن يبلغها الما كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة الكريون
فحفرته حتى ادخلته الاسكندريه وهى التى بلطت قاعته وقال الكندى ان الحارث بن مسكين
قاضى مصر حفر خليج الاسكندريه وقال الاسعد بن مماتى فى كتاب قوانين الدواوين خليج
الاسكندريه عليه عدة نواع وطوله من فم الخليج ثلاثون الف قصبه وستمايه قصبه
وعرضه من قصبتين ونصف الى ثلاث قصبات ونصف ومقام الما فيه بالنسبة الى
النيل فان كان مقصرا قصرت مدة اقامته فيه وان كان عاليا اقام فيه ما يزيد على شهرين
ورايت جماعة من اهل الخبرة وذوى المعرفة تقول انه اذا عملت من قباله منيه سمنود الى البحر
زلاقه استقر الما فيه صيفا وشتا وروت البحيرة جميعها وحوف رمسيس والكفور الشامية
وزرع عليه القصب والقلقاس والنيله وانواع زراعة الصيفى وجرى بحرى بحر الشرق
والمحله ونصا عفت عمر البلاد وعظم ارتفاعها واقامة هذه الزلاقه ممكنه لوجود الحجارة
فى تروه والطوب فى البحيره وانهم قدروا ما يحتاج اليه فوجدوه ساهر عشرة الاف دينار
ويقال انه كان الما فيه جاريا طول السنة وكان السمك فيه غاية من الكثرة بحيث تصيده الاطفال
بالخرق فضمنه بعض الولاة بمال ومنع الناس من صيده فعدم منه السمك ولم ير بعد ذلك
فيه سمكه فصار يخرج بالشباك ٥ خليج الفيوم والمنهى مما حفره نبى الله يوسف الصديق
صلوات الله عليه عند ما عمر الفيوم كما هو مذكور فى خبر الفيوم من هذا الكتاب وهو مذكور
مشتق من النيل لا ينقطع جريه ابدا واذا قابل النيل ناحيه ذروة سربام التى تعرف اليوم بذروة
الشريف يعنى ابن ثعلب الثاير فى الايام الظاهريه بيبرس تشعب منه فى غربيه نهر يسمى
المنهى

وخط المصنف ساقط اربعه عشر سطرا

المنهى يستعمل نهرا يصل الى الفيوم وهو الان يعرف ببحر يوسف وهو نهر لا ينقطع جريانه
فى جميع السنة فيسقى الفيوم عامه سقيا دايما ثم يحرف فاضل مايه فى بحيرة هناك ومن العجب انه
ينقطع ماوه من فوهته ثم يكون له بلا دون المكان المندى ثم يجرى جريا ضعيفا دون زمكان
البلل ثم يستقل نهرا جاريا لا ينقطع الا بالسفن وينشعب منه انهار وتقسم قسما يعم الفيوم
ليسقى قراه ومزارعه وبساتينه وعامة اماكنه ٥ خليج القاهرة هذا الخليج بظاهر القاهرة
من جانبها الغربى فيما بينها وبين المقس عرف فى اول الاسلام بخليج امير المومنين وتسميه العامة
اليوم بالخليج الحاكمى وبخليج اللولوة وهو خليج قديم اول من حفره طوطيس بن ماليا احد ملوك
مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذى قدم ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فى
ايامه الى مصر واخذ منه امراته سارة عليها السلام واخدمها هاجر ام اسمعيل صلوات الله
عليه فلما اخرجها ابراهيم هى وابنها اسمعيل عليهم السلام الى مكة بعثت الى طوطيس تعرفه انها بمكان
جدب وتستغيثه فامر بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمل الحنطة وغيرها الى جده
فاحيا بلد الحجاز ثم ان اندرومانوس الذى يعرف بايليا احد ملوك الروم بعد الاسكندر بن
فلبش المجدونى جدد حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف
واربعماية سنة ثم ان عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره لما فتح مصر واقام فى حفره ستة
اشهر وجرت فيه السفن تحمل الميرة الى الحجاز فسمى خليج امير المومنين يعنى عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فانه هو الذى اشار بحفره ولم يزل يجرى فيه السفن من فسطاط مصر الى مدينة
القلزم التى كانت على ضفة البحر الشرقى حيث الموضع الذى يعرف اليوم على البحر بالسويس وكان
يصب ما النيل فى البحر من عند مدينة قلزم الى ان امر الخليفة ابو جعفر المنصور بطمه فى سنة
خمسين ومايه فطم وبقى منه ما هو موجود الان وسياتى الكلام عليه مبسوطا ان شا الله
تعالى عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب ٥ بحر ابى المنجا هذا الخليج تسميه
العامة بحر ابى المنجا والذى حفره الافضل بن امير الجيوش فى سنة ست وخمسمايه وكان
على حفره ابو المنجا بن شعيا اليهودى فعرف به وقد ذكر خبر هذا الخليج عند ذكر مناظر
الخلفا ومواضع نزههم من هذا الكتاب ٥ الخليج الناصرى هذا الخليج فى ظاهر المقس
حفره الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة خمس وعشرين وسبعمايه وقد ذكر فى موضعه من
هذا الكتاب

هنا سطر بياض

ذكر ما كانت عليه ارض مصر فى الزمن الاول

قال المسعودى وقد كانت ارض مصر على ما زعم اهل الخبرة والعناية باخبار شان
العالم يركب ارضها ما النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى اسفل الارض وموضع الفسطاط

في وقتنا هذا وقد كان بدو ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين اسوان والنوبه الى ان
عرض لذلك موانع من اسفال الما وجريانه وما ينقل من البريه بتياره من موضع الى موضع فنضب
الما عن بعض المواضع من بلاد مصر فسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الما ينضب عن ارضها
قليلا قليلا حتى امتلات ارض مصر من المدن والعماير وطرقوا الما وحفروا له الخلجانات
وعقدوا في وجهه المسنيات الى ان خفي ذلك على ساكنيها لان طول الزمان ذهب بمعرفة
اول سكناهم كيف كان انتهى ويقال ان الناس كانوا قبل سكنى مدينه منف يسكنون بسفح جبل
المقطم في منازل كبيره نقروها وهي المغاير التي في الجبل المقابل لمنف من قبلي المقطم في الجبل
المتصل بدير القصير الذي يعرف بدير البغل المطل على ناحية طرا ومن وقف عند اهرام
الجيزه راى المغاير في الجبل الشرقي بينهما النيل ومن صعد من طريق الجبل وسار فيه دخلها وهي
مغاير متسعه وفيها مغاير تنفذ الى القلزم تسع المغارة منها اهل مدينه واذا دخلها احد
ولم يهتد بعلامات تدله على المخرج هلك في تحيره ويقال كانت ارض مصر جرد الانبات بها
فاقطعها متوشلخ بن حنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم لطايفة من
اولاد يرد بن مهلاييل فلما نزلوها وجدوا النيل قد سد ما بين الجبلين فنضب الما عن ارض
نزعوها فاخرجت الارض بركاتها ثم بعد زمان اخذها عيقام الاول بن عرباب بن ادم
بالغلبة ونسل بها خلقا عظيما وجهز لقتال اولاد يرد سبعين الف مقاتل وحفر من البحر الى
الجبل نهرا عرضه اربعون قصبه ليمنع من ياتيه فاتاه بنو يرد فلم يجدوا اليه سبيلا ففزعوا
الى الله تعالى فبعث الله على ارض مصر نارا ه ‌فهلكوا

ذكر اعمال الديار المصريه وكورها

اعلم ان ارض مصر كانت في الزمن الغابر مايه
وثلاثا وخمسين كورة في كل كورة مدينه وثلثمايه وخمس وستون قريه فخرب منها قبل بخت
نصر ثمان وسبعون كورة فلما عمرت ارض مصر بعد بخت نصر صارت على خمس وثمانين
كورة ثم تناقصت حتى جا الاسلام وفيها اربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص شيا ثم
استقرت ارض مصر كلها في الجمله على قسمين الوجه القبلي وهو ما كان في جهة الجنوب
من مدينة مصر والوجه البحري وهو ما كان في شمال مدينة مصر وقد قسمت ارض مصر
جميعها قبليها وبحريها على ستة وعشرين عملا وهي الشرقيه والمرتاحيه والدقهليه
والابوانيه وثغر دمياط الوجه البحري جزيرة قويسنا الغربيه والسمنوديه والدنجاويه
والمنوفيه والنستراويه وفوه والمزاحمتين وجزيره بني نصر والبحيره والاسكندريه
وضواحيها وحوف رمسيس الوجه القبلي الجيزيه والاطفيحيه والبوصيريه

حـ وحط
ذكر ارسطوطاليس في
كتاب الاثار العلويه ان ارض
مصر قد كان النيل ينبسط
عليها فيطبقها كانها بحر ولم
يزل الما ينضب عنها حتى ييبس
ما علا منها وسكنها الى ان امتلات
بالمدن والقرى والناس ه

والفيوميه

والفيوميه والبهنساويه والاشمونين والمنفلوطيه والاسيوطيه والاخميميه
والقوصيه وهي ايضا ثلاثون كوره وهي ه كورة الفيوم وفيها مايه وست وخمسون
قرية ويقال انها كانت ثلاث مايه وستين قريه وكورة منف ووسيم
خمس وخمسون قريه وكورة الشرقيه وتعرف بالاطفيحيه سبع عشرة قريه
وقرى اهناس ومنها قمن ثماني قرى ه وكورتا دلاص وبوصير ست قرى وكوره
اهناس خمس وتسعون قريه سوى الكفور كورة البهنسى مايه وعشرون قريه
خيرشوده ثماني قرى كوره الاشمونين مايه وثلاث وثلاثون قريه كورة اسفل
انصنا احدى عشرة قريه كورة سيوط سبع وثلاثون قريه كورة شطب
ثماني قرى كورة اعلا انصنا ثنتا عشرة قريه كورة قهقوه سبع وثلاثون
قريه كورة اخميم والدير ثلاث وستون قريه كوره اسانه والواحات
ثلاث وستون قريه سوى الكفور كورة هو عشرون قريه كوره فاو ثماني قرى
كورة قنا سبع قرى كوره دندره عشر قرى كورة قفط اثنان وعشرون
قريه كورة الاقصر خمس قرى كورة اسنى خمس قرى كورة ارمنت سبع قرى
كورة اسوان سبع قرى لجميع قرى الصعيد الف وثلاث واربعون قريه سوى
المنا والكفور في ثلاثين قريه كور اسفل الارض الحوف الشرقي خمس وستون قريه
كورة اتريب مايه وثماني قرى سوى المنا والكفور كورة تتوا سبع وثمانون قريه سوى
المنى والكفور كوره تمي مايه وخمسون قريه سوى المنى والكفور كوره بسطه تسع وثلاثون
قريه كوره طرابيه ثمان وعشرون قريه منها السدير والهامة وفاقوس كوره فربيط
ثماني عشرة قريه سوى المنا والكفور كورتا صان والمليل ست واربعون قريه منها سنهور
والفرما والوريش لجميع قرى الحوف الشرقي خمس مايه وتسع وعشرون قريه سوى المنى في
تسع كور بطن الريف كورتا دسنيس ومنوف مايه واربع قرى سوى المنى والكفور ه
كورتا طوه ومنوف اثنتان وسبعون قريه سوى المنا والكفور كورة سخا مايه وخمس عشر
قريه كورتا تيده والافراحون ثلاث وعشرون قريه سوى المنا والكفور كورة البشرود
اربع وعشرون قريه كوره نقيزه اثنتا عشرة قريه سوى المنا كورتا بنا وبوصير ثمان
وثمانون قريه سوى المنا والكفور كورة سمنود مايه وثمان وعشرون قريه سوى المنا
والكفور كوره نوسا احدى وعشرون قريه سوى المنا كوره الاوسيه اربعون قريه
سوى المنا كورة البجوم اربعون قرية سوى المنا تنيس ودمياط ثلاث عشرة قريه سوى

المنا وهي شي كثير من الاسكندريه الحوف الغربي كورة صا ثلاث وسبعون قرية سوى المنا والكفور كوره شباس اثنان وعشرون قريه سوى المنا والكفور كوره البدقون ثلاث واربعون قريه سوى المنا والكفور كورة البدقون ثلاث واربعون قريه سوى المنا والكفور حيز البدقون تسع وعشرون قريه سوى المنا والكفور الشراك تسع قرى كوره ترنوط ثماني قرى كورة خربتا اثنان وستون قريه سوى المنا كورة قرسطا اثنان وعشرون قريه سوى المنا والكفور كورتا مصيل والمليدس تسع واربعون قريه سوى المنا كورتا اخنو ورشيد سبع عشرة قريه البحيره والحنص بالاسكندريه والكروم والبعل وقال القاضي ابو عبد الله محمد سلامة القضاعي ارض مصر قسمين فمن ذلك الصعيد وهو يلي مهب الجنوب منها واسفل ارضها وهو يلي مهب الشمال منها فقسم الصعيد على ثماني وعشرين كورة فمن ذلك كورة الفيوم كلها وكورتا منف ووسيم وكورة الشرقيه وكورة دلاص وبوصير وكوره اهناس وكورتا القيس والبهنسى وكورة طحا وحبير شنوده وكوره بويط وكورتا الاشمونين واسفل انصنا واعلاها وسطت قوص قام وكورة سيوط وكورة قهقوه وكورتا اخميم والدير وابشايه وكورة هو وقنا وقفط ودندرا وكورة قفط والاقصر وكورة اسنا وارمنت وكورة اسوان فهذه كور الصعيد ومن ذلك كور اسفل الارض وهي خمس وعشرون كوره وفي نسخه ثلاث وثلاثون وفي نسخه ثمان وثلاثون كورة فمنها كور الحوف الشرقي كورتا اتريب وعين شمس وكورة بنا وتمي وكورتا بسطه وطرابيه وكورة قربيط وكوره صان وابليل وكورة الفرما والعريش والجفار ومن ذلك كور بطن الريف من اسفل الارض كورة بنا وبوصير وكورتا سمنود وبوسا وكورتا الاوسيه والبجوم وكورة دقهله وكورتا تنيس ودمياط ومنها كور الجزيره من اسفل الارض كورة دمسيس ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وتيده والامراجون وكورة نقيزه وديصا وكورة البشرود ومن ذلك كور الحوف الغربي كورة صا وكورة شباس وكورة البدقون وحيزها وكورة الخيس والشراك وكورة خربتا وكورتا قرسطا ومصيل والمليدس وكورتا اخنا ورشيد والبحيره وكورة الاسكندريه وكورة مريوط وكورة لوبيه ومراقيه ومن كور القبله قرى الحجاز وهي كورة الطور وفاران وكورة رايه والقلزم وكورة ايله وحيزها ومدين وحيزها والعوينيد والحورا وحيزها ثم كورة بدا وشغب ٥ وذكر من له معرفة بالخراج وامر الديوان انه وقف على جريدة عتيقه بخط ابي عيسى

المعروف بالتويس متولي خراج مصر للدوله الاخشيديه قرى مصر بالصعيد وباسفل الارض الفان وثلثمايه وخمس وتسعون قرية منها بالصعيد تسعمايه وست وخمسون قريه وباسفل الارض الف واربعمايه وتسع وثلاثون قريه وهذا عددها في الوقت الذي جردت فيه الجرايد المذكورة وقد تغيرت بعد ذلك بخراب ماخرب منها وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد لما ولي الوليد بن رفاعة مصر خرج ليحصي عدة اهلها وينظر في تعديل الخراج عليهم فاقام في ذلك ستة اشهر بالصعيد حتى بلغ اسوان ومعه جماعة من الاعوان والكتاب يكفونه ذلك بجد وتشمير وثلاثه اشهر باسفل الارض واحصوا من القرى اكثر من عشرة الاف قريه فلم يحص في اصغر قرية منها اقل من خمسماية جمجمه من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية فكون جملة ذلك خمسة الاف الف رجل والذي استقر الحال عليه في الروك الناصري محمد بن قلاون ان الوجه القبلي تسعة اعمال وهي عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وغربه ب ... وعمل اخميم وعمل سيوط وعمل الاشمونين وفيها الطحاويه وعمل البهنسا ومنه العراى وهو عبارة عن قرى بحلي غربي النهر المار الى الفيوم وعمل الفيوم وعمل اطفيح وعمل الجيزه والوجه البحرى ستة اعمال عمل البحيره وهو متصل البر الى الاسكندريه وبرقه وعمل الغربيه جزيره واحده تشتمل على ما بين البحرين وهما البحر المار ومسكبه عند دمياط ويسمى الشرقي والبحر الثاني ومسكبه عند رشيد ويسمى الغربي والمنوفيه ومنها ابيار وجزيرة بني نصر وعمل قليوب وعمل الشرقيه وعمل اشموم طناح ومنها الدقهليه والمرتاحيه وبها موقع ثغر البرلس وثغر رشيد والمنصوره وفي هذا الوجه الاسكندريه ودمياط ولا عمل لها واما الواحات فمنقطعه وراء الوجه القبلي في معارضه لم تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم عليها والي السلطان وانما يحكم عليها من قبل مقطعها **ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من اجل ضبط ما النيل وتصريفه في اوقاته**

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابي حبيب وكانت فريضه مصر لحفر خلجها واقامة جسورها وبنا قناطرها وقطع جزايرها مايه الف وعشرين الفا معهم الطور والمساحي والاداه يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك شتا ولا صيفا وعن ابي صالح قال زعم بعض مشايخ اهل مصر ان الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقرون القرى في ايدي اهلها كل قرية بكرا معلوم لا ينقص عليهم الا في كل اربع سنين من اجل الظما وتنقل اليسار فاذا مضت اربع سنين نقض ذلك وعدل تعديلا جديدا فيرفق بمن استحق الرفق ويزاد

على من يحتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم فاذا جبي الخراج وجمع كان
للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثاني لجنده ومن يتقوى
به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث في مصلحة الارض وما يحتاج اليه
من جسورها وحفر خلجها وبنا قناطرها والقوة للمزارعين على زرعهم وعمارة ارضهم
والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك فيها لنائبة تنزل
او جايحة باهل القرية فكانوا على ذلك والذي يدفن في كل قرية من خراجها هي كنوز
فرعون التي يتحدث الناس بها انها ستظهر فيطلبها الذين يتبعون الكنوز وذكر ان بعض
فراعنة مصر جبي خراج مصر اثنين وسبعين الف الف دينار وان من عمارته انه ارسل
وبيه قمح الى اسفل الارض والى الصعيد في وقت تطبيق الارض والتراح من العمارة فلم
يوجد لها ارض فارغة تزرع فيها وذكر انه كان عند تناهي العمارة يرسل باربع ويبات تسيم
الى الصعيد والى اسفل الارض فاي كورة وجد لها موضعا خاليا فزرعت فيه ضرب
عنق صاحب الكوره فكانت مصر يوجد عماره متصله اربعين فرسخا في مثلها والفرسخ ثلاثه
اميال والبريد اربعة فراسخ فيكون عشرة برد في مثلها ولم تزل الفراعنه تسلك هذا المسلك
الى ايام فرعون موسى فانه عمرها عدلا وسماحة وتتابع الظما بمصر ثلاث سنين في ايامه
فترك لاهل مصر خراج ثلاث سنين وانفق على نفسه ثم على عساكره من خزاينه ولما
كان في السنة الرابعة اضعف الخراج واسترفا عاض ما انفق قال وكتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى عمرو بن العاص ان يسال المقوقس عن مصر من اين ياتي عمارتها وخرابها
فساله عمرو فقال له المقوقس ياتي عمارتها وخرابها من وجوه خمسه ان يستخرج خراجها في
ابان واحد عند فراغ اهلها من زروعهم ويرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ اهلها
من عصر كرومهم ويحفر في كل سنه خلجها وتسد ترعها وجسورها ولا يقبل محل اهلها يريد
البغي فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال
لما استبطا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص في الخراج كتب اليه ان ابعث الي رجلا
من اهل مصر فبعث اليه رجلا قديما من القبط فاستخبره عمر رضي الله عنه عن مصر وخراجها
قبل الاسلام فقال يا امير المومنين كان لا يوخذ منها شي الا بعد عمارتها وعاملك لا ينظر
الى العماره وانما ياخذ ما ظهر له كانه لا يريدها الا لعام واحد فعرف عمر رضي الله عنه ما
قال وقبل من عمرو ما كان يعتذر به وقال عمرو بن العاص للمقوقس انت وليت مصر فبم تكون
عمارتها فقال بخصال ان تحفر خلجانها وتسد جسورها وترعها ولا يوخذ خراجها الا من

علتها

علتها ولا يقبل مطل اهله ويوفي لهم بالشروط وتدر الارزاق على العمال ليلا يرتشوا
ويرتفع عن اهله المعاون والهدايا ليكون قوة لهم فبذلك تعمر ويرجى خراجها ويقال
ان ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج اربعة اقسام قسم لخاصة الملك وقسم لارزاق
الجند وقسم لمصالح الارض وقسم يدخر لحادثه تحدث فينفق فيها ولما ولي عبد الله بن
الحبحاب خراج مصر لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه فمسح ارض مصر كلها غامرها وعامرها
مما يركبه النيل فوجد فيها ماية الف الف فدان ويقال ان احمد بن محمد بن مدبر اعتبر ما يصلح
للزراعة بارض مصر فوجده اربعة وعشرين الف الف فدان والباقي استبحر وتلف
واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما والحراث يحرث خمسين فدانا فكانت تحتاجه
الى اربعماية الف وثمانين الف حراث

ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول

قال ابن وصيف شاه وكان منقاوش قسم خراج البلاد ارباعا فربع للملك خاصة
يعمل فيه ما يريد وربع ينفق في مصالح الارض وما يحتاج اليه من عمل جسورها وحفر خلجها
وتقوية اهلها على العمارة وربع يدفن لحادثه تحدث ونازلة تنزل وكان خراج البلد في
ذلك الوقت ماية الف الف وثلاثة الاف الف دينار وقسمها على ماية وثلاث كور بعدة الالاف
ويقال ان كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الاسلاميه وهي اليوم خمس وثمانون كورة اسفل
الارض خمس واربعون كورة وفي كل كورة كاهن يدبرها وصاحب حرب وارتفع مال
البلد على يد تدارس بن صا ماية الف الف دينار وخمسين الف الف دينار وفي ايام
كلكن بن خرنبا بن ماليق بن تدارس ماية الف الف وبضعة عشر الف الف دينار ولما
زالت دولة القبط الاولى من مصر وملكها العمالقة اختل امرها فكان فرعون الاول يجبيها
تسعين الف الف دينار يخرج من ذلك عشرة الف الف دينار لمصالح البلد وعشرة الف
الف دينار لمصالح الناس من اولاد الملوك واهل التعفف وعشرة الف الف دينار للاوليا
والجند والكتاب وعشرة الف الف لمصالح فرعون ويكنزون لفرعون خمسين الف الف
دينار وبلغ خراج مصر في ايام الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام
سبعة وتسعين الف الف دينار فاحب ان تتمه ماية الف الف دينار فامر بوجوه العمارات
واصلاح جسور البلد والزيادة في استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه وقال
ابن دحيه وجبيت مصر في ايام الفراعنه تسعون الف الف دينار بالدينار الفرعوني
وهو ثلاثة مثاقيل من مثقالنا المعروف الان بمصر الذي هو اربعة وعشرون قيراطا
كل قيراط ثلاث حبات من قمح فيكون بحساب ذلك ماينى الف الف وسبعين الف الف

خمسه الغامر ما يصلح ان يتخرج من الارض يستخرج

دينار مصرية ذكر الشريف الجوانى انه وجد فى بعض برابى الصعيد مكتوبًا
باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف وهو الريان
ابن الوليد من اموال مصر بحق الخراج مما يوجبه الخراج وساير وجوه الجبايات لسنة
واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير تاول ولا اضطهاد ولا
منافسه على عظم فضل وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للعاملين
وتقويه لحالهم من العين اربعة وعشرون الف الف دينار واربعماية الف دينار وذكر
باقيه كما فى خبر الحسن بن على الاسدى وقال الحسن بن على الاسدى اخبرنى ابى
قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيديه مما نقل الى اللغة العربيه ان مبلغ ما كان
يستخرج لفرعون مصر بحق الخراج الذى يوخذ وساير وجوه الجبايات لسنة كامله على
العدل والانصاف والرسوم الجاريه من غير اضطهاد ولا منافسة على عظم فضل
كان فى يد المودى لرسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رفقا بالعاملين
وتقويه لهم من العين اربعة وعشرين الف الف دينار واربعماية الف دينار وان جهات
مصروف ذلك ما يصرف فى عمارة البلاد لحفر الخلج وانفاق الجسور وسد الترع
واصلاح السبل والسانيه ثم فى تقويه من يحتاج التقويه من غير رجوع عليه بها
لاقامة العوامل والتوسعة فى البذار وغير ذلك وثمن الالاته واجرة من يستعان
به من الاجراء الحمل الاصناف وساير نفقات تطريق اراضيهم من العين ثمانماية الف
دينار ولما يصرف فى ارزاق الاوليا الموسومين بالسلاح وحملته والغلمان واشياعهم مع
الف كاتب موسومين بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجرى مجراهم وعدتهم
ماية الف واحد عشر الف رجل من العين ثمانية الاف الف دينار ولما يصرف فى الارامل
والايتام فرضا لهم من بيت المال وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا تخلوا امالهم من بر
يصل اليهم من العين اربعماية الف دينار ولما يصرف فى كهنة برابيهم وايمتهم وساير
بيوت صلواتهم من العين مايتا الف دينار ولما يصرف فى الصدقات ويناد فى
الناس برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة فليحضر فلا يرد عند ذلك احد
والامنا جلوس فاذا روى رجل لم تجر عادته بذلك افرد بعد قبض ما يقبضه حتى
اذا فرق المال واجتمع من هذه الطايفه عده دخل امنا فرعون اليه وهو متفرق
المال ودعوا له بالبقا والسلامه وانهت حال الطايفة المذكورة فيامر بتغيير
شعثها بالحمام واللباس ويمد السمط وياكلون ويشربون ثم يستعلم من كل واحد

سبب

سبب فاقته فان كان من افة الزمان رد عليه مثل ما كان واكثر وان كان عن سوء
راى وضعف تدبير ضمه الى من يشرف عليه ويقوم بالامر الذى يصلح له من العين
مايتا الف دينار وما يصرفه فرعون فى نفقاته البرانيه له لسنة كاملة من العين مايتا
الف دينار فذلك جملة ما بين وفصل فى هذه الجهات المذكورة من العين تسعة الاف
الف وثمان ماية الف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه فرعون فى بيوت امواله عدة
لنوايب الدهر وحادثات الزمان من العين اربعة عشر الف الف دينار وستماية الف دينار

ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر فى الخراج وما كان من امر مصر فى ذلك مع القبط

قال ابن عبد الحكم زهير بن معاويه حدثنا سهيل عن ابيه عن ابى هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مديها
ودينارها ومنعت مصر اردبها وعدتم من حيث بداتم قال ابو عبيد قد اخبر
صلى الله عليه وسلم بما لم يكن وهو فى علم الله كان فخرج لفظه على لفظ الماضى لانه ماض
فى علم الله وفى اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضاه من عمر رضى
الله عنه ما وظفه على الكفرة من الجزى فى الامصار وفى تفسير المنع وجهان احدهما انه
علم انهم سيسلمون ويسقط عنهم ما وظف عليهم فصاروا مانعين باسلامهم ما وظف عليهم
يدل عليه قوله وعدتم من حيث بداتم وقيل معناه انهم يرجعون عن الطاعة والاول
احسن وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على
جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امراة ولا صبى
ولا شيخ على دينارين دينارين فاحصوا لذلك فبلغت عدتهم ثمانية الاف الف وعن هشام
ابن ابى رقية اللخمى ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر ان من كتمنى كنزا عنده فقدرت
عليه قتلته وان قبطيا من اهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل
اليه فساله فانكر وجحد فحبسه فى السجن وعمرو يسال عنه هل تسمعونه يسال عن احد
فقالوا لا انما سمعناه يسال عن راهب فى الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب
الى ذلك الراهب ان ابعث الى بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلة شامية مختومة
بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفه مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فارسل
عمرو الى الفسقيه فحبس عنها الما ثم قلع البلاط الذى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا
ذهبا مصريا مضروبة فضرب عمرو راسه عند باب المسجد فاخرج القبط كنوزهم

ذكر بعضهم ممن يعتمد ان مصر تستخرج الف الف دينار
غير قول الوزير الذى ارسله الرشيد ... عليها الاسفل
الارض ديلا الصعيد لم يجد لها موضعا يبدر فيه
لتخلص جميع البلد بالعمارة

شفقا ان سقا على احد منهم فيقتل كما قتل بطرس وعن يزيد بن ابى حبيب ان عمرو بن
العاص استحل مال قبطى من قبط مصر لانه استقر عنده انه يظهر الروم على عورات
المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعه وخمسين اردبا دنانير قال ابن عبد
الحكم وكان عمرو بن العاص يبعث الى عمر بن الخطاب بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج
اليه وكانت فريضه مصر لحفر خلجها واقامة جسورها وبنا قناطرها وقطع جزايرها
مايه الف وعشرين الفا معهم الطور والمساحى والاداة يعتقبون ذلك لا يدعون
ذلك شتا ولا صيفا ثم كتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يختم فى رقاب اهل
الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الاكف عرضا
ولا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه المواسى ولا يضربوا على النسا ولا على الولدان
ولا يدعوهم يتشبهون بالمسلمين فى لبوسهم وعن زيد بن اسلم ان عمر رضى الله عنه
كتب الى امرا الاجناد ان لا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه المواسى وجزيتهم اربعون
درهما على اهل الورق واربعة دنانير على اهل الذهب وعليهم من ارزاق المسلمين من الحنطة
والزيت مديان من حنطه وثلاثه اقساط من زيت فى كل شهر لكل انسان كان من اهل
الشام والجزيره وودك وعسل لا ادرى كم هو ومن كان من اهل مصر فاردب كل شهر
لكل انسان ولا ادرى كم الودك والعسل وعليهم من البز الكسوة التى يكسوها امير المومنين
الناس ويضيفون من نزل بهم من اهل الاسلام ثلاث ليال وعلى اهل العراق خمسة عشر
صاعا لكل انسان ولا ادرى كم لهم من الودك وكان لا يضرب الجزية على النسا والصبيان
وكان يختم فى اعناق رجال اهل الجزية وكانت ويبة عمر فى ولاية عمرو بن العاص ستة امداد
قال وكان عمرو بن العاص لما استوسق له الامر اقر قبطها على جباية الروم وكانت
جبايتهم بالتعديل اذا عمرت القرية وكثر اهلها زيد عليهم وان قل اهلها وخربت نقصوا
فيجتمع عرافوا كل قرية وماروتها ورؤسا اهلها فيتناظرون فى العمارة والخراب حتى
اذا اقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم اجتمعوا هم ورؤسا
القرى فوزعوا ذلك على احتمال القوى وسعة المزارع ثم يرجع كل قرية بقسمهم فيجمعون
قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الارض العامرة فيبدون ويخرجون من الارض فدادين
لكنايسهم وحماماتهم ومعدياتهم من جملة الارض ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين
ونزول السلطان فاذا فرغوا نظروا الى ما فى كل قرية من الصناع والاجرا فقسموا عليهم
بقدر احتمالهم فان كانت فيها جالية قسموا عليها بقدر احتمالها وقل ما كانت تكون الا الرجل
الشاب

الشاب او المتزوج ثم ينظرون ما بقى من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم
يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم فان عجز احد وشكا ضعفا
عن زرع ارضه وزعوا ما عجز عنه على الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة اعطى
ما عجز عنه اهل الضعف فان تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم وكانت قسمتهم على
قراريط الدينار اربعة وعشرين قيراطا يقسمون الارض على ذلك وكذلك روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها
خيرا وجعل عليهم لكل فدان نصف اردب قمح وويبتين من شعير الا القرط فلم يكن عليه
ضريبة والويبة ستة امداد وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ياخذ ممن صالحه
من المعاهدين ما سمى على نفسه لا يضع من ذلك شيا ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزية
ولم يسم شيا يؤديه نظر عمر فى امره فاذا احتاجوا خفف عنهم وان استغنوا زاد عليهم
بقدر استغنايهم وقال هشام بن ابى رقية اللخمى قدم صاحب اخنا على عمرو بن العاص
فقال له اخبرنا ما على احدنا من الجزية فنصبر لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لو
اعطيتنى من الارض الى السقف ما اخبرتك ما عليك انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا
عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم ومن ذهب الى هذا الحديث ذهب الى ان مصر فتحت
عنوه وعن يزيد بن ابى حبيب قال قال عمر بن عبد العزيز ايما ذمى اسلم فان اسلامه يحرز له
نفسه وماله وما كان من ارض فانها من فى الله على المسلمين وايما قوم صالحوا على جزية
يعطونها فمن اسلم منهم كان ارضه وداره لبقيتهم وقال الليث كتب الى يحيى بن سعيد ان ما
باع القبط فى جزيتهم وما يوخذون به من الحق الذى عليهم من عبد او وليدة او بعير
او بقرة او دابة فان ذلك جايز عليهم فمن ابتاعه منهم فهو غير مردود اليهم ان
ايسروا وما اكروا من ارضهم فجايز كراوه الا ان يكون يضر بالجزية التى عليهم فلعل الارض
ان ترد عليهم ان اضرت بجزيتهم وان كان فضلا بعد الجزية فانا نرى كراها جايزا لمن
تكاراها منهم قال يحيى فنحن نقول الجزية جزيتان جزية على رووس الرجال
وجزية جملة تكون على اهل القرية يوخذ بها اهل القرية فمن هلك من اهل القرية التى
عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رووس الرجال فانا نرى ان من هلك من اهل القرية
ممن لا ولد له ولا وارث ان ارضه ترجع الى قريته فى جملة ما عليهم من الجزية ومن هلك
ممن جزيته على رووس الرجال ولم يدع وارثا فان ارضه للمسلمين وقال الليث عن عمر بن
عبد العزيز الجزية على الرووس وليست على الارضين يريد اهل الذمة وكتب عمر بن عبد العزيز

الى حيان بن سريج ان يجعل جزية موتى القبط على احيائهم وهذا يدل ان عمر كان يرى
ارض مصر فتحت عنوة وان الجزية انما هي على القرى فمن مات من اهل القرى كانت تلك
الجزية ثابتة عليهم وان موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيا قال
ويحتمل ان تكون مصر فتحت بصلح فذلك الصلح ثابت على من بقي منهم وان موت من مات
منهم لا يضع عنهم ما صالحوا عليه شيا قال الليث ووضع عمر بن عبد العزيز الجزية
عمن اسلم من اهل الذمة من اهل مصر والحق في الديوان صلح من اسلم منهم في عشاير من اسلموا
على يديه وكانت توخذ قبل ذلك ممن اسلم واول من اخذ الجزية ممن اسلم من اهل الذمة
الحجاج بن يوسف ثم كتب عبد الملك بن مروان الى عبد العزيز بن مروان ان يضع الجزية
على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجيرة في ذلك فقال اعيذك بالله ايها الامير ان
تكون اول من سن ذلك بمصر فوالله ان الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف
نضعها على من اسلم منهم فتركهم عند ذلك وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن
سريج ان يضع الجزية عمن اسلم من اهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال فان تابوا
واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وقال قاتلوا الذين لا
يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق
من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وكتب حيان بن سريج
الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الاسلام قد اضر بالجزية حتى سلفت من الحرث بن
نابتة عشرين الف دينار اتممت بها عطا اهل الديوان فان راى امير المومنين ان يامر
بقضايها فعل فكتب اليه عمر اما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وانا عارف
بضعفك وقد امرت رسولي بضربك على راسك عشرين سوطا فضع الجزية عمن اسلم
قبح الله رايك فان الله انما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا ولعمري
لعمر اشقى من ان يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه قال ولما استبطا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر
امير المومنين الى عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما
بعد فاني فكرت في امرك والذي انت عليه فاذا ارضك ارض واسعة عريضة رفيعة
قد اعطى الله اهلها عددا وجلدا وقوة في بر وبحر وانها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها
عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك واعجب مما عجبت انها لا تودي نصف
ما كانت تودية من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدوب ولقد اكثرت في مكاتبتك

في الذي على ارضك في الخراج وظننت ان ذلك سياتينا على غير نزر ورجوت ان
تفيق فترفع الي ذلك فاذا انت تاتيني بمعاريض تغتالها لا توافق الذي في نفسي ولست
قابلا منك دون الذي كانت توخذ به من الخراج قبل ذلك ولست ادري مع ذلك ما
الذي انفرك من كتابي وقبضك فلين كنت مجربا كافيا صحيحا ان البراة لنافعة وان
كنت مضيعا نطفا ان الامر لعلى غير ما تحدث به نفسك وقد تركت ان ابتلي ذلك منك
في العام الماضي رجاء ان تفيق فترفع الي ذلك وقد علمت انه لم يمنعك من ذلك الا
عمالك عمال السوء وما توالس عليه وتلففت اتخذوك كهفا وعندي باذن الله دوا فيه
شفا عما اسلك عنه فلا تجزع ابا عبد الله ان يوخذ منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج
الدر والحق ابلج ودعني وما عنه تلجلج فانه قد برح الخفا والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص
بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر امير المومنين من عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد اليك الله
الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني كتاب امير المومنين في الذي استبطاني فيه من
الخراج والذي ذكر فيه من عمل الفراعنة واعجابه من خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها
منذ كان الاسلام ولعمري للخراج يوميذ اوفر واكثر والارض اعمر لانهم كانوا على كفرهم وعتوهم ارغب في
عمارة ارضهم منا منذ كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر فحلبتها حلبا قطع درها
واكثرت في كتابك وانبت وعرضت وثربت وعلمت ان ذلك عن شي تخفيه على غير خبر
فجيت لعمري بالمفظعات المقذعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم
بليغ صادق وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنا بحمد الله مودين
لاماناتنا حافظين لما عظم الله من حق ايمتنا نرى غير ذلك قبيحا والعمل به شينا فيعرف
ذلك لنا ويصدق فيه قيلنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجترا على كل ماثم
فامض عملك فان الله قد نزهني من تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي
لم تستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه اخا والله يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك مني اشد
لنفسي غضبا ولها انزاها واكراما وما عملت من عمل ارى علي فيه متعلقا ولكني حفظت ما
لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن اشيا كنت بها
عالما وكان اللسان بها مني ذلولا ولكن الله عظم من حقك ما لا يجهل فكتب اليه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد
اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد عجبت من كثرة كتبي اليك في ابطايك بالخراج
وكتابك الي بثنيات الطرق وقد علمت اني لست ارضى منك الا بالحق البين ولم اقدمك

الى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا اتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو في المسلمين وعندي من قد تعلم قوم محصورون والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد اتاني كتاب امير المومنين يستبطيني في الخراج ويزعم اني اعند عن الحق وانكب عن الطريق واني والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظروني الى ان تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من ان يخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنا لهم عنه والسلام وقال الليث بن سعد جباها عمرو بن العاص اثني عشر الف الف دينار وجباها المقوقس قبله سنة عشرين الف الف دينار فعند ذلك كتب اليه عمر بن الخطاب بما كتب وجباها عبد الله بن سعد بن سرح حين استعمله عثمن رضي الله عنه على مصر اربعة عشر الف الف دينار فقال عثمن لعمرو بن العاص بعد ما عزله عن مصر يا ابا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها الاول قال اضررتم بولدها فقال ذلك ان لم يمت الفصيل وكتب معوية بن ابي سفين الى وردان وكان قد ولي خراج مصر ان زد على كل رجل من القبط قيراطا فكتب اليه وردان كيف نزيد عليهم وفي عهدهم الا يزاد عليهم شي فعزله معوية وقيل في عزل وردان غير ذلك وقال ابن لهيعة كان الديوان في زمان معوية اربعين الفا وكان منهم اربعة الاف في ماتين ماتين فاعطى مسلمة بن مخلد اهل الديوان اعطياتهم واعطيات عيالاتهم وارزاقهم ونوايبهم ونوايب البلاد من الجسور وارزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز ثم بعث الى معوية بستماية الف دينار فضل قال ابن عفير فلما نهضت الابل لقيهم برح بن حسكل فقال يا هذا ما بال مال يخرج من بلادنا ردوه فردوه حتى وقف على باب المسجد فقال اخذتم اعطياتكم وارزاقكم وعطا عيالاتكم ونوايبكم قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه فسار به وقال بعضهم جبا عمرو بن العاص مصر عشرة الف الف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب يعجزه ويقول له جباية الروم عشرون الف الف دينار فلما كان العام المقبل جباه عمرو اثني عشر الف الف وقال ابن لهيعة جبا عمرو بن العاص الاسكندرية الجزية ستماية الف دينار لانه وجد فيها ثلثماية الف من اهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين

ذكر انتقاض القبط وما كان من الاحداث في ذلك

قال ابو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب امرا مصر وفي امرة الحر بن يوسف امير مصر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بان ارض مصر تحتمل

الزيادة

الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فانتقضت كورة تنو وتمي وقربيط وطرابية وعامة الحوف الشرقي فبعث اليهم الحر باهل الديوان فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير وذلك اول انتقاض القبط بمصر وكان انتقاضهم في سنة سبع ومائة ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة اشهر ثم انتقض اهل الصعيد وحارب القبط عمالهم في سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان امير مصر اهل الديوان فقتلوا من القبط ناسا كثيرا وظفر بهم وخرج يحنس رجل من القبط من سمنود فبعث اليه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير امير مصر فقتل يحنس في كثير من اصحابه وذلك في سنة اثنتين وثلثين ومائة وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد الجعدي لما دخل مصر فارا من بني العباس عثمان بن ابي نسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة امير مصر بناحية سخا ونابذوا العمال واخرجوهم وذلك في سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبرا سنباط وانضم اليهم اهل البشرود والاوسية والبجوم فاتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبي على اهل الديوان ووجوه اهل مصر فخرجوا اليهم فبيتهم القبط وقتلوا من المسلمين فالقى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف المسلمون الى مصر منهزمين وفي ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر خرج القبط ببلهيب في سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم انتقضوا مع من انتقض في سنة ست عشرة ومايتين فاوقع بهم الافشين في ناحية البشرود حتى نزلوا على حكم امير المومنين عبد الله المامون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النسا والاطفال فبيعوا وسبي اكثرهم ومن حينيذ اذل الله القبط في جميع ارض مصر وخضدت شوكتهم فلم يقدر احد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان وغلب المسلمون على القرى فعاد القبط من بعد ذلك الى كيد الاسلام واهله باعمال الحيلة واستعمال المكر وتمكنوا من النكاية بوضع ايديهم في كتابة الخراج وكان للمسلمين فيهم وقايع ياتي خبرها في موضعه من هذا الكتاب ان شا الله تعالى

ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث

قال الكندي وفي ولاية الوليد بن رفاعة الفهمي على مصر نقلت قيس الى مصر في سنة تسع ومائة ولم يكن بها احد منهم قبل ذلك الا من كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحبحاب على هشام بن عبد الملك فساله ان ينقل الى مصر منهم ابياتا فاذن له هشام في الحاق ثلاثة الاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر على ان لا ينزلهم بالفسطاط ففرض لهم

ابن الحبحاب وقدم بهم فانزلهم الحوف الشرقي وفرقهم فيه ويقال ان عبيد الله بن الحبحاب
لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر قال ما ارى لقيس فيها حظا الا لناس من جديله
وتميم فهم وعدوان فكتب الى هشام ان امير المومنين اطال الله بقاه قد شرف هذا
الحي من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم واني قدمت مصر ولم ار لهم حظا الا ابيات من فهم
وفيها كور ليس فيها احد وليس يضر باهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهي بلبيس
فان راى امير المومنين ان ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل فكتب اليه هشام انت وذاك فبعث
الى البادية فقدم عليه ماية اهل بيت من بني نصر وماية اهل بيت من بني سليم فانزلهم
بلبيس وامرهم بالزرع ونظر الى الصدقة من العشور فصرفها اليهم فاشتروا ابلا فكانوا
يحملون الطعام الى القلزم وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير واكثر ثم امرهم
باشترا الخيول فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مونة في
اعلاف ابلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا اليهم فوصل اليهم خمساية
اهل بيت في البادية فكانوا على مثل ذلك فاقاموا سنة فاتاهم نحو من خمساية اهل بيت فصار
ببلبيس الفا وخمساية اهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان بن محمد وولي الحوثره
ابن سهيل الباهلي مصر اثالت اليه قيس فمات مروان وبها ثلاثة الاف اهل بيت ثم توالدوا
وقدم عليهم من البادية من قدم وفي سنة ثمان وسبعين وماية كشف اسحق بن سليمن
بن علي بن عبد الله بن عباس امير مصر امر الخراج وزاد على المزارعين زيادة اجحفت بهم
فخرج عليه اهل الحوف وعسكروا فبعث اليهم الجيوش وحاربهم فقتل من الجيش جماعة فكتب
الى امير المومنين هرون الرشيد يخبره بذلك فعقد لهرثمة بن اعين في جيش عظيم وبعث
به الى مصر فنزل الحوف وتلقاه اهله بالطاعة واذعنوا باداء الخراج فقبل هرثمة منهم واستخرج
خراجه كله ثم ان اهل الحوف خرجوا على الليث بن الفضل الابيوردي امير مصر وذلك
انه بعث بمساح يمسحون عليهم اراضي زرعهم فانتقصوا من القصب اصابع فتظلم الناس
الى ليث فلم يستمع منهم فعسكروا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم ليث في اربعة الاف
من جند مصر في شعبان سنة ست وثمانين وماية فالتقى معهم في رمضان فانهزم عنه
الجند في ثماني عشرة وبقي في نحو الماتين فحمل بمن معه على اهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم
غيفه وكان التقاوهم على ارض جب عميره وبعث الليث الى الفسطاط بثمانين راسا من رو
القيسيه ورجع الى الفسطاط وعاد اهل الحوف الى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج ليث الى
امير المومنين هرون في محرم سنة سبع وثمانين وماية وساله ان يبعث معه بالجيوش فانه

جب عميره يعرف اليوم ببركة الحجاج

لا يقدر على استخراج الخراج من اهل الاحواف الا بجيش يبعث معه وكان محفوظ بن سليمن
بباب الرشيد فرفع محفوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصر عن اخره بلا سوط ولا عصا
فولاه الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلاة مصر وخراجها وفي ولاية الحسين بن جميل
امتنع اهل الحوف من ادا الخراج فبعث امير المومنين هرون الرشيد يحيى بن معاذ في
امرهم فنزل بلبيس في شوال سنة احدى وتسعين وماية وصرف الحسين بن جميل عن امارة
مصر في ربيع الاخر سنة اثنتين وتسعين وماية وولي مالك بن دلهم وفرغ يحيى بن معاذ
من امر الحوف وقدم الفسطاط في جمادى الاخرة فورد عليه كتاب الرشيد يامره بالخروج
اليه فكتب الى اهل الاحواف ان اقدموا حتى اوصي بكم مالك بن دلهم وادخل بينكم وبينه
في امر خراجكم فدخل كل رييس منهم من اليمانية والقيسيه وقد اعد لهم القيود فامر
بالابواب فاخذت ثم دعا بالحديد فقيدهم وتوجه بهم للنصف من رجب منها وفي امارة
عيسى بن يزيد الجلودي على مصر ظلم صالح بن شيرزاد عامل الخراج الناس وزاد عليهم في
خراجهم فانتقض اهل اسفل الارض وعسكروا فبعث عيسى بابنه محمد بن عيسى في جيش لقتالهم
فنزل بلبيس وحاربهم فنجا من المعركة بنفسه ولم ينج احد من اصحابه وذلك في صفر سنة
اربع عشرة وماتين فعزل عيسى عن مصر وولي عمير بن الوليد التميمي فاستعد لحرب اهل
الحوف وسار في جيوشه في ربيع الاخر فزحفوا اليه واقتتلوا فقتل من اهل الحوف جمع
وانهزموا فتبعهم عمير في طايفة من اصحابه فعطف عليه كمين لاهل الحوف فقتلوه لست عشرة
خلت من ربيع الاخر فولي عيسى الجلودي ثانيا وسار اليهم فلقيهم بمنية مطر فكانت بينهم وبينه
القتال الى ان انهزم منهم الى الفسطاط واحرق ما ثقل عليه من رحله وخندق على الفسطاط
وذلك في رجب وقدم ابو اسحق بن الرشيد من العراق فنزل الحوف وراسل اهله
فامتنعوا من طاعته فقاتلهم في شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم الى الفسطاط
في شوال ثم عاد الى العراق في المحرم سنة خمس عشرة وماتين بجمع من الاسارى فلما كان
في جمدى الاولى سنة ست عشرة وماتين انتقض اسفل الارض باسره عرب البلاد
وقبطها واخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسو سيرة عمال السلطان فيهم فكانت بينهم وبين
عساكر الفسطاط حروب امتدت الى ان قدم الخليفة عبد الله امير المومنين المامون
الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة وماتين فسخط على عيسى بن منصور
الرافقي وكان على امارة مصر وامر بحل لوايه واخذه بلباس البياض عقوبة له وقال لم
يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتني الخبر

حتى تعاظم الامر واضطرب البلد ثم عقد المامون على جيش بعث به الى الصعيد وارتحل
هو الى سخا وبعث بالافشين الى القبط وقد خلعوا الطاعة فاوقع بهم في ناحية البشرود
وحصرهم حتى نزلوا على حكم امير المومنين فحكم فيهم المامون بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال
فسبي اكثرهم وتتبع المامون كل من يومى اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط
في صفر ومضى الى حلوان وعاد فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر فكان مقامه بالفسطاط
وسخا وحلوان تسعة واربعين يوما وكان خراج مصر قد بلغ في ايام المامون على حكم
الانصاف في الجباية اربعة الاف الف الف دينار ومايتي الف دينار وسبعة وخمسين
الف دينار ويقال ان المامون لما سار في قرى مصر كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب عليها
سرادقه والعساكر من حوله فكان يقيم في القرية يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا النمل
فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية
وهي تصيح فظنها المامون مستغيثة متظلمة فوقف لها وكان لا يمشي ابدا الا والتراجمة بين
يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت امير المومنين نزل في كل ضيعة وتجاوز
ضيعتي والقبط تعيرني بذلك وانا اسال امير المومنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون
لي الشرف ولعقبي ولا تشمت الاعداء بي وبكت بكا كثيرا فرق لها المامون وثنى عنان فرسه
اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وساله كم يحتاج من الغنم والدجاج والفراخ
والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما
جرت به عادته فاحضرت جميع ذلك بزيادة وكان مع المامون اخوه المعتصم وابنه
العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي احمد بن ابي دواد فاحضرت
لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تكل احدا منهم ولا من القواد الى غيره ثم احضرت
للمامون من فاخر الطعام ولذيذه شيا كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما اصبح وقد عزم
على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر وصايف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المامون
من بعد قال لمن حضر قد جاتكم القبطية بهدية الريف الكامخ والصحناة والصير فلما
وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وامرها باعادته
فقالت لا والله لا افعل فتامل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله
اعجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا امير المومنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا
فقال ان في بعض ما صنعتيه لكفاية ولا نحب التثقيل عليك فردي مالك بارك الله فيك
فاخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المومنين هذا واشارت الى الذهب من هذا

واشارت

واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك يا امير المومنين وعندي من
هذا شي كثير فامر به فاخذ منها واقطعها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل مايتي
فدان بغير خراج وانصرف متعجبا من كبر مروتها وسعة حالها

ذكر
قبالات اراضي مصر بعد ما فشى الاسلام في القبط ونزلت
العرب في القرى وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصري

وكان من خبر اراضي مصر بعد نزول العرب باريافها واستيطانهم واهاليهم فيها واتخاذهم
الزرع معاشا وكسبا وانقياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام واختلاط انسابهم بانساب
المسلمين لنكاحهم المسلمات ان متولي خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط
في الوقت الذي يتهيا فيه قبالة الاراضي وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل
ينادي على البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج يكتبون ما
ينتهي اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد تقبلها متقبلوها
لاربع سنين من اجل الظما والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر خرج كل من تقبل
ارضا وضمنها الى ناحيته فتولى زراعتها واصلاح جسورها وساير وجوه اعمالها بنفسه
واهله ومن ينتدبه لذلك ويحمل ما عليه من الخراج في ابانه على اقساط ويحسب له من مبلغ
قبالته وضمانه لتلك الاراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها
بضرايب مقررة في ديوان الخراج ويتاخر من مبلغ الخراج في كل سنة شي في جهات الضمان
والمتقبلين ويقال لما تاخر من مال الخراج البواقي فكانت الولاة تتشدد في طلب ذلك
مرة وتسامح به مرة فاذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة وراكوا البلاد
كلها وعدلوها تعديلا جديدا فزيد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما
يحتاج الى التنقيص منها وكان ذلك يعمل في جامع عمرو الى ان عمر احمد بن طولون جامعه وصار
العسكر منزلا لامرا مصر فنقل الديوان الى جامع احمد بن طولون ثم نقل في ايام العزيز
بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن كلس فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر
بالقاهرة فاستمر به مدة الدولة الفاطمية ثم نقل منه بعدها قال ابن زولاق في كتاب
اخبار المادرانيين كتاب مصر وحضر ابو الحسن وهب بن اسمعيل مجلس ابي بكر محمد بن علي
المادراي في المسجد الجامع وهو يعقد الضياع فقال له ابو بكر الساعة امر بالنداء على
صفقة تاخذها شركة بيني وبينك فنودي على صفقة فقال ابو بكر اعقدوها على ابي
الحسن فعقدت عليه وعملها فافضلت له اربعين الف دينار فاستنض عشرين الف

دينار ولم يدر ما يعمل فيها الى ان اجتمع مع ابي يعقوب كاتب ابي بكر لسبب ما فقال ابو يعقوب
رايت الشيخ يعني ابا بكر المادرائي اليوم مشغول القلب اراد جمع مال وقد عجز عنه فقال
له ابو الحسن عندي نحو عشرين الف دينار فقال جيني بها فانفذ بها اليه وجاء خطه
بالمبلغ فاتفق ان مضى ابو الحسن الى ابي بكر المادراني فقال له تلك النفقة قد غلقت ما
عليها وفضلت اربعين الف دينار وقد حصل عندي عشرين الف دينار حملتها الى ابي
يعقوب وارسلت في استخراج الباقي واجله فقال المادراني ما هذا الجزا انما قلت لك
تكون بيني وبينك خوفا من تفريطك وانما اردت حفظ المال عليك ثم امر ابا يعقوب ان
يرد عليه ما دفعه اليه وقال لابي الحسن رد عليه خطه فقبض ما دفعه الى ابي يعقوب
وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله معد ولست عشرة بقيت من المحرم سنة ثلاث
وستين وثلثماية قلد المعز لدين الله الخراج ووجوه الاموال وغير ذلك يعقوب بن كلس
وعسلوج بن الحسن وجلسا غر هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن طولون للندا
على الضياع وساير وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطالبوا بالبقايا من
الاموال ما على المالكين والمتقبلين والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر الدين
الحسن بن علي اليازوري واراد ان يعرف قدر ارتفاع الدوله وما عليها من النفقات
ليقايس بينهما فتقدم الى اصحاب الدواوين بان يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه
وما عليه من النفقات ففعل ذلك وسلمه الى متولي ديوان المجلس وهو زمام الدواوين
فنظم عليه عملا جامعا واحضره اياه فراى ارتفاع الدولة الفي الف دينار منها الشام الف
الف دينار ونفقاته بازا ارتفاعه ومنها الريف وما في الدولة الف الف دينار ينفق
منها عن معلول ومنكسر عن موتى وهراب ومفقود مايتا الف دينار ويبقى ثمانماية الف
دينار يصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلثماية الف دينار وعن ثمن غلة
للقصور ماية الف دينار وعن نفقات القصور مايتا الف دينار وعن عماير وما ينعام
للضيوف الواصلين من الملوك وغيرهم ماية الف دينار ويبقى بعد ذلك مايتا الف
دينار حاصلة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون فحظي بذلك عند سلطانه وخف على
قلبه قال وانتهى ارتفاع الارض السفلى الى ما لا نسبة له من ارتفاعها الاول يعني بعد موت
اليازوري وحدوث الفتن وهو قبل سني هذه الفتن يعني في ايام اليازوري سبعماية
الف دينار وكانت تحمل في دفعتين في السنة في مستهل رجب ثلثماية الف وفي مستهل المحرم
ثلثماية الف دينار فاتضع الارتفاع وعظمت الواجبات وقال ابن ميسر وامر الافضل بن

امير

امير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجا خمسة الاف الف دينار وكان متحصل
الاهرا الف الف اردب وقال الامير جمال الملك موسى بن المامون البطايحي في تاريخه
من حوادث سنه احدى وخمسماية ثم راى القايد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطايحي من
اختلال احوال الرجال العسكريه والمقطعين وتضورهم من كون اقطاعاتهم قد نخس
ارتفاعها وساءت احوالهم لقلة المتحصل منها وان اقطاعات الامرا قد تضاعف ارتفاعها
وزادت عن غيرها وان في كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجبى بالعسف وتردد
الرسل من الديوان بسببها فخاطب الافضل بن امير الجيوش في ان يحل الاقطاعات
جميعها ويروكها وعرفه ان المصلحة تعود في ذلك على المقطعين والديوان لان الديوان
يتحصل له من هذه الفواضل جمله يحصل بها بلاد مقورة فاجاب الى ذلك وحل جميع الاقطاعات
وراكها واخذ كل من الاقويا والمميزين يتضورون ويذكرون ان لهم بساتين واملاك
ومعاصر في نواحيهم فقال له من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل في الاقطاع وهو يحكم
ان شا باعه وان شا اجره فلما حلت الاقطاعات امر الضعفا من الاجناد ان يتزايدوا
فيها فوقعت الزيادة في اقطاعات الاقويا الى ان انتهت الى مبلغ معلوم وكتبت
السجلات بانها باقية في ايديهم الى مدة ثلثين سنة لا يقبل عليهم فيها زايد واحضر
الاقويا وقال لهم ما تكرهون من الاقطاعات الذي كانت بيد الاجناد فقالوا كثرة عبرها
وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن بها فقال لهم ابذلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوى
رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبرة الاولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها
الى ان بلغت الى الحد الذي رغب كل منهم فيه فاقطعوا به وكتبت لهم السجلات على الحكم
المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد مقورة بما
كان مفرقا في الاقطاعات بما مبلغه خمسون الف دينار وقال في حوادث سنة خمس عشرة
وخمسماية وكان قد تقدم الامر الاجل المامون بعمل حساب الدولة من الهلالي والخراجي
ونظم على جملتين احدهما الى سنة عشر وخمسماية الهلالية الخراجية والجملة الثانية الى
اخر سنة خمس عشرة وخمسماية هلاليا وما يوافقها من الخراجية فانعقدت على جمله
كثيرة من العين والاصناف وشرحت باسما اربابها وتعيين بلادها فلما احضرت
امر بكتب سجل يتضمن المساحة بالبواقي الى اخر سنة عشر وخمسماية ونسخته بعد التصدير
ولما انتهى الينا حال العاملين والضمنا والمتصرفين وما في جهاتهم من بقايا معاملاتهم
انعمنا بما تضمنه هذا السجل من المساحة قصدا في استخلاص ضامن طالت عقلته

وخربت ذمته وانفاذ عامل احيف به من الديوان طلبته وتوفير الرعية على عمارتها
وجريها فيها على قديم عادتها ولما كان ذلك من جميل الاحدوثه التي لم نسبق اليها
ولا شاركنا ملك فيها اقتضت الحال ايرادها في هذا الكتاب وايداعها هذا الباب لما
اطلعنا عليه مما انتهت اليه احوال الضمنا والمعاملين بالمملكة من الاختلال وتجدد البقايا
في جهاتهم والاموال عطفنا عليهم برافه ورحمة وطالعنا المقام الاشرف النبوي بالتفصيل
من امورهم والجمله واستخرجنا الامر العالي بوضع ذلك في الحال وانشا السجلات الكريمة
مقصورة على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها الى جميع البلدان لتقرا على رؤس الاشهاد
بساير البلاد ومبلغ ما انتهت اليه هذه المسامحة الى حين ختم هذا السجل من العين الفا
الف وسبعماية الف وعشرون الفا وسبعماية وسبعة وستون دينارا ونصف وثلث
وثلثا وربع قيراط ومن الفضة النقره اربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون
الفا وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم ومن الغلة ثلاثه الاف الف وثمانماية الف
وعشرة الاف ومايتان وتسعة وثلاثون اردبا وثمن ونصف سدس وثلثي قيراط ومن
العناب ربع اردب ومن ورق الصباغ الفان واربعماية وثلاثه ارادب ونصف ومن
زريعة الوسمه عشرة ارادب وربع ومن الصباغ الف واربعماية وثمانون قنطارا ورطل
ونصف ومن القوه اربعماية وسبعون رطلا ومن الشب تسعماية وثلاثه عشر
قنطارا ونصف ومن الحديد خمسماية واحد وثلاثون رطلا ومن الزفت الف وثلثماية
وثلاثه ارطال وربع وسدس ومن القطران تسعة عشر رطلا وثلث ومن الثياب
الحلق ثلاثه اثواب ومن الميازر ماية ميزر صوف ومن الغرابيل ماية وسبعون
غربالا ومن الاغنام مايتا الف وخمسة وثلاثون الفا وثلثماية وخمسة ارؤس ومن
البسر ثلثماية وثلاثه عشر قنطارا وثمانية وثلاثون رطلا ومن السجيل ثلثماية الف
وخمسة وسبعون الفا وخمسماية وخمسون باعا ومن الجريد اربعماية الف وثمانية وثلاثون
الفا وسبعماية وثلثه وخمسون جريدة ومن السلب الف واربعماية وثلاثه وعشرون
سلبه ومن الاطراف ستة الاف وسبعماية وثلاثه اطراف ومن الملح الفان وسبعماية
وثلاثه وتسعون اردبا وثلث ومن الاشنان احد عشر اردبا ومن الرمان الفاجه
ومن العسل النحل خمسماية واحد واربعون قنطارا وسدس ومن الشهد اثنان وثلاثون
زيرا وقادوسا واحدا ومن الشمع اربعماية واربعون رطلا ومن الخلايا ثلاثه الاف
واربعماية وخليتان ومن عسل القصب ماية وثمانية وثمانون قسطا ومن الابقار اثنان

وعشرون الفا ومايه واربعة وستون راسا ومن الدواب اربعه وسبعون راسا
ومن السمن الفان وتسعمايه وسته وتسعون قنطارا وسدس وثمن ومن الجبن ثلثماية
وعشرون رطلا ومن الصوف اربعة الاف ومائة وثلاثه وعشرون جزة ومن الشعر
سته الاف وخمسون رطلا وربع ومن بيوت الشعر بيتان وفصل ذلك بجهاته ومعامليه
قال ولما انتهى الى المامون ما تعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود
الضمانات وانتزاعها ممن كابد فيها المشقه والتعب وتسليمها الى باذل الزياده من غير
كلفه ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن الولوج في بابه وخرج امره باعفا
الكافه اجمعين والضمنا والمعاملين من قبول الزياده فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه
ما داموا مغلقين وباقساطهم قايمين وتضمن ذلك منشور قرى في الجامعين الازهر بالقاهره
والعتيق بمصر وديواني المجلس والخاص الامرين السعيدين ونسخته بعد التصدير
ولما انتهى الى حضرتنا ما يعتمد في الدواوين ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين
من تضمين الابواب والرباع والبساتين والحمامات والقياسر والمساكن وغير ذلك من الضمانات
للراغبين فيها ممن يستمر معاملته ولا تنكوط بعنه فما هو الا ان يحضر من يزيد عليه في
ضمانه حتى قد نقض عليه حكم الضمان وقبل ما بذل من الزيادة كاينا ما كان وقبضت يد
الضامن الاول عن التصرف ومكن الضامن الثاني من التصرف من غير رعاية للعقد على
الضامن الاول ولا تحرج في فسخه الذي لا يبيحه الشرع ولا يتاول انكرنا ذلك على معتمده
وذممناه من قصد فاعليه ومرتكبيه اذ كان للحق مجانبا وعن مذهب الصواب ذاهبا وعرضنا
ذلك بالمواقف المقدسه المطهرة ضاعف الله انوارها واعلى ابدا منارها واستخرجنا الامر
المطاع في كتب هذا المنشور الى ساير الاعمال بانه اي احد من الناس ضمن ضمانا من باب
او ربع او بستان او ناحية او حكر وكان لاقساط ضمانه موديا ولما يلزمه من ذلك مبديا
وللحق متبعا فان ضمانه باق في يده لا تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملا
بالواجب والنظام المحمود واتباعا لما امر الله تعالى به في كتابه المجيد اذ يقول جل من قايل يا ايها
الذين امنوا اوفوا بالعقود الى ان تنقضي مدة الضمان ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسمها
حملا على قضية الواجب وسننها واعتمادا على حكم الشريعة التي ما ضل من اهتدى بفرايضها
وسننها فاما من ضمن ضمانا ولم يقم بما يجب عليه فيه واصر على المدافعة والمغالطة التي لا
يعتمدها الا كل ذميم الطباع سفيه فذلك الذي فسخ حكم ضمانه بنقضه الشروط المشروطة
عليه وحكمه حكم من اذا زيد في ضمانه نقل عنه واخرج من يديه لانه الذي بدا بالفسخ واوجد
السبيل اليه فليعتمد كافة ارباب الدواوين وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه
هذا المنشور وامتثال المامور وحمل هولا الضمنا والمعاملين على ما نص فيه والحذر من

تجاوزه وتعديه بعد ثبوته فى ديوانى المجلس والخاص الامريين السعيدين وليجب ثبت
مثله ان شا الله تعالى قال ووصلت المكاتبة من الوكلا والمشارف ومن كان ندب صحبته
لكشف الاراضى والسواقى ومساحتها متضمنة ما اظهره الكشف واوضحته المساحة على من سلك
السواقى وهم عدة كثيرة من جملتها ساقية مساحتها ثمانية وستون فدانا تشتمل على النخل والكرم
وقصب السكر بمدينة اسناخراجها فى السنة عشرة دنانير وما يجرى فى الاعمال هذا المجرى
وانهم وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من ارباب السواقى ما يدل على ما بايديهم
فذكروا انها انتقلت اليهم ولم يظهروا ما يدل عليها وقد سيروا املاكها الى الباب تحت الحوطة
ليخرج الامر بما يعتمد عليه فى امرهم وعند وصولهم اوقع الترسيم بهم الى ان يقوموا بما يجب من
الخراج عن هذه السواقى فان الاملاك بجملتها لا تقوم بما يجب عليها فوقفنا المذكورون للمثول فى
يوم جلوسه للمظالم فامر بحضورهم بين يديه وتقدم الى القاضى جلال الملك ابى الحجاج يوسف
ابن ايوب المغربى وهو يومئذ قاضى القضاة بمكاتبتهم فجرى له معهم مفاوضة اوجبت الحق عليهم
والزمهم القيام بما يستغرق احوالهم واملاكهم فحصل من تضورهم ما اوجب العاطفة عليهم
واخذهم بالخراج من بعد وان يضرب عما تقدم صفحا وكتب منشور نسخته قد علم الكافة ما
نراه من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر فى مصالح كل قاص منهم ودان واننا لا
ندع ضررا يتوجه الى احد من الرعية الا حسمناه ولا نعلم صلاحا يعود نفعه عليهم الا قوينا
سببه ووصلناه حسب ما يتعين على رعاة الامم وعملا بالواجب فى البعيد والامم وسلوكا
لمحجة الدولة الفاطمية خلد الله ملكها القويمة واستمرارا على قضاياها الكريمة ولما كنا نرى النظر
فى مصالح الرعية امرا واجبا ونصرف اليه سياستهم عزما ماضيا ورايا ثاقبا كذلك نرى النظر فى
امور الدواوين واستيفا حقوقها المصروفة الى حماية البيضة والمحاماة عن الدين وجهاد
الكفرة والملحدين ليكون ما نراعيه وننظر فيه جاريا على سنن الواجب محروسا من الخلل باذن الله
من جميع الجوانب ومن الله نستمد مواد التوفيق فى الحل والعقد ونساله الارشاد الى سوا السبيل
والقصد وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل وكان القاضى الرشيد بن الزبير
ايام مشارفته الصعيد الاعلا قد طالع المجلس الافضلى بحال ارباب الاملاك هناك وانهم قد
استضافوا الى ما اكنهم من املاك الدواوين اراضى اغتصبوها ومواضع مجاورة لاملاكهم تعدوا
عليها وخلطوها بها وحازوها ورسم له كشفها ونظم المشاريع بها وارتجاعها للديوان وان
يعتمد فى ذلك ما يوجبه حكم العدل المبثوث فى كل قطر ومكان وما خذ ذلك سيرنا من الباب من كشف
ذلك على حقيقته والنهاية على طيته فاعتمد ما امر وابه من الكشف فى هذه الاملاك وورد
المطالعة منهم بانهم التمسوا ممن بيده ملك او ساقية ما يشهد بصحة ملكه ومبلغ فدنه وذكر
حدوده فلم يحضر احد منهم كتابا ولا اوضح جوابا واصدر وا الى الديوان المشاريع بما كشفوه

واوضح

واو محوه فوجدت التعدى فيه ظاهرا وباب الحيف والظلم غير متقاصر والشرع يوجب
وضع اليد على ما هذه حاله ومطالبة صاحبه بريعه واستغلاله لا سيما وليس بيده
كتاب يشهد بصحة الملك راسا ولا يستند فى ذلك الى حجة ادخرها احترازا مما هذه سبيله
واحترا سا لكن حكم ما نراه من المصلحة للرعية والعدل الذى اقمنا مناره واحيينا معالمه
واثاره مع الرغبة فى عمارة البلاد ومصالح احوالها واستنباط الارضين الداثرة وانشا
الغروس واقامة السواقى لها امرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته باعمال الصعيد الاعلا
باقرار جميع الاملاك والارضين والسواقى بايدى اربابها الان من غير انتزاع شى منها
ولا ارتجاعه وان يقرر عليها من الخراج ما يجب تقريره ويشهد الديوان على امثالهم بمثله
احسانا اليهم لم نزل نتابع مثله ونواليه وانعاما ما برحنا نعيده عليهم ونبديه وقد
انعمنا وتجاوزنا عما سلف ونهينا من يستانف وسامحنا من خرج الى التعدى عن المالوف
وجرينا على سننا فى العفو المعروف وجعلنا ها توبة مقبولة من الجماعة الجانين ومن
عاد من الكافة اجمعين فلينتقم الله منه وطولب بمستانفه وماسه وبرئت الذمة من ماله
ونفسه وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة وسدت فى وجهه ابواب الشفاعة والسلا
وقد فسحنا مع ذلك لكل من يرغب فى عمارة ارض حلفا داثرة وادارة بير مهجورة معطلة
فى ان يسلم اليه ذلك ويقاس عليه ولا يوخذ منه خراج الا فى السنة الرابعة من تسليمه اياه
وان يكون المقرر على كل فدان ما توجبه زراعته لمثله خراجا موبدا وامرا موكدا فليعتمد
ذلك النواب وحاكم البلاد ومن جرت العادة بحضوره عقد مجلس واحضار جميع ارباب
الاملاك والسواقى واشعارهم ما شملهم من هذا الاحسان الذى تجاوز امالهم فى اجابتهم
الى ما كانوا يسالون فيه وتقرير ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذى مثلناه
ويحرر الديوان تقريره ويرصاه مع تضمين الاراضى الداثرة والابار المعطلة لمن يرغب فى
ضمانها ونظم المشاريع بذلك واصدارها الى الديوان لتخلد فيه على حكم امثالها بعد ثبوت
هذا المنشور بحيث يثبت مثله قال ولما سرت هذه المصالح الى جميع اهل الاعمال حصل
الاجتهاد فى تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد واعلم انه لم يكن فى الدولة الفاطمية بديار
مصر ولا فيما مضى قبلها من دول امرا مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال اليوم
فى اجناد الدولة التركية وانما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شا من الامرا والاجناد
والوجوه واهل النواحى من العرب والقبط وغيرهم لا تعرف هذه الابدة التى يقال لها اليوم
الفلاحة وسمى المزارع المقيم فى البلد فلاحا قرارا فيصير عبدا قنا لمن اقطع تلك الناحية
الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل هو قن ما بقى ومن ولد له كذلك بل كان من
اختار زراعة ارض تقبلها كما تقدم وحمل ما عليه لبيت المال فاذا صار مال الخراج بالديوان

انفق في طوايف العسكر من الخزاين وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الاراضي و تغلقت
نواحي مصر باصناف الزراعات ندب من الحضرة من فيه نباهه وخرج معه عدول
يوثق بهم وكاتب له معرفة بعلم الخراج وكثيرا ما كان هذا الكاتب من النصارا الاقباط
ويخرج الى كل ناحية من ذكرنا فيحررون مساحة ما شمله الري من الاراضي مما العله بار او
شرق ويكتب بذلك مكلفات واضحة بالفدن والقطايع على جميع الاصناف المزدرعة وتحضر
الى دواوين الباب فاذا امضى من السنة القبطيه اربعة اشهر ندب من الاجناد من عرف
بالحماسة وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول من قد اشتهر بالامانة وكاتب من
نصارا القبط غير من خرج عند المساحة وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج مباشروا كل
بلد ثلث ما وجب من مال الخراج على ما شهدت به المكلفات فاذا احضر هذا الثلث صرف في
واجبات العساكر وهكذا العمل في استخراج كل قسط طول الزمان من كل سنة وكانت تبقى في
جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق وكانت بلاد مصر اذ ذاك تقبل بعين وغلة واصناف
وقد عرفت ذلك من نسخة المسموح الذي تضمن ترك البواقي في ايام الخليفة الامر باحكام
الله ووزارة المامون البطايحي ورايت بخط الاسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتي الكاتب
المصري سالت القاضي الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العسكر في عرض ديوان الجيش لما
كان سيدنا يتولى ذلك ايام رزيك بن الصالح فقال اربعين الف فارس ونيفا وثلاثين الف
راجل من السودان وقال ابو عمرو عثمن النابلسي في كتاب حسن السريرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة
ان ضرغام لما ثار على شاور وفر شاور الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي بدمشق
يستنجد به على ضرغام ويعده بانه يكون نايبا عنه بمصر ويحمل اليه الخراج انشا نور الدين
عزما لم يكن يجهز الف فارس وقدم عليهم اسد الدين شيركوه وامره بالتوجه نابه وقال لا
امضي ابدا فان هلاكي ومن معي وسو سمعة السلطان معلوم من هنا وكيف امضي بالف فارس
الى اقليم فيه عشرة الاف فارس ومائة شيني فيها عشرة الاف مقاتل واربعين الف عبد
وقوم مستوطنون في اوطانهم قرب خزاينهم ونحن ناتيهم من تعب السفر بهذه العدة القليله
قال ثم اجابه بعد ذلك هذا اعزل الله بعد ما كانت عساكر احمد بن طولون ما سنراه في ذكر
القطايع ان شا الله ثم ما كان من عساكر الامير ابي بكر محمد بن طغج الاخشيد وهي على ما حكاه غير
واحد منهم ابن خلكان انها كانت اربعماية الف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول الغز من
بلاد الشام واستيلا صلاح الدين يوسف بن ايوب على مملكة مصر تغير الحال في ذلك كله قال
القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسماية ثامن المحرم خرجت الاوامر الصلاحيه
بركوب العساكر قديمها وجديدها بعدان ابدر حاضرها وغايبها وتوانيه وصولها
وتكامل سلاحها وخيولها فحضر في هذا اليوم في جموع شهد كل من علا سنه وقرطس ظنه

ان

ان ملكا من ملوك الاسلام لم يحز مثلها وشاهدت رسل الروم والفرنج ما ارغم انوف
الكفر ولم يتكامل احتياز العساكر موكبا بعد موكب وطلبا بعد طلب والطلب بلغة الغز
هو الامير المقدم الذي له علم معقود وبوق مضروب وعدة من مايتي فارس الى مائة
فارس الى سبعين فارسا الى ان انقضى النهار ودخل الليل وعاد ولم يكمل عرضهم وكانت
العدة الحاضرة مايه سبعه واربعين طلبا والغايب منها عشرون طلبا وتقدير العدة
تماما اربعة عشر الف فارس اكثرها طواشيه والطواشي من رزقه من سبعماية الى الف الى
ماية وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤس الى ما دونها ما بين فرس وبرذون
وبغل وجمل وله غلام يحمل سلاحه وقرا غلامية بهم الجملة قال وفي هذه السنة عرض
العربان الجذاميين فكانت عدتهم سبعة الاف فارس واستقرت عدتهم على الف وثلثماية
فارس لا غير واخذ بهذا الحكم عشر الواجب وكان اصله الف الف دينار على حكم الاعتداد
الذي يتاصل ولا يتحصل وكلف الثعالبة ذلك فاستعصوا ولوحوا بالتحيز الى الفرنج وقال
في متجددات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسماية استمر انتصاب السلطان صلاح الدين
في هذه السنة للنظر في امور الاقطاعات ومعرفة عبرها والنقص منها والزيادة فيها
واثبات المحروم وزيادة المشكور الى ان استقرت العدة على ثمانية الاف وستماية واربعين
فارسا امرا ماية واحد عشر اميرا طواشيه ستة الاف وتسع مايه ستة وسبعون قرا غلامية
الف وخمسماية ثلاثة وخمسون والمستقر لهم من المال ثلاثة الاف الف وستماية الف وسبعون
الفا وخمسماية دينار وذلك سوى المحلولين من الاجناد الموسومين بالحوالة على العشر وعن
عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة وعن الكنانيين والمصريين والفقها والقضاه
والصوفيه وعما يجري في الدواوين ولا تقصر عن الف الف دينار وقال في متجددات سنه
خمس وثمانين وخمسمايه اوراق بما استقر عليه عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب الى اخر الرابع
والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسماية خارجا عن الثغور وابواب الاموال الديوانيه
والاحكار والحبس ونفلوط وميقاط وعده نواحي اوردت اسماوها ولم يعين لها في الديوان
عبره من جملة اربعة الاف الف وستمايه الف ثلاثه وخمسين الفا وتسعة عشر دينارا بعدما
يجري في الديوان العادلي السعيد وغيره عن الشرقيه والمرتاحية والدقهلية وبوش وغير ذلك
وهو الف الف وماية الف وتسعون الفا وتسعماية ثلاثه وعشرون دينارا تفصيل ذلك الديوان
العادلي سبعماية الف وثمانية وعشرون الفا وماتين ثمانية واربعين دينارا الامرا والاجناد
للرسوم ابنا اقطاعاتهم بالاعمال المذكورة ماية الف وثمانية وخمسون الفا وماتين وثلاثة دنانير
ديوان السور المبارك والاشراف ثلاثة عشر الف وثمانماية واربعة دنانير العربان مايتا
الف واربعة وثلاثون الفا وماتين وستة وتسعون دينارا الكنانية خمسة وعشرون الفا

واربعماية واثنى عشر دينارا القضاة والشيوخ سبعة الاف واربعماية وثلاثه دنانير
القيمازيه والصالحيه والاجناد المصريين اثنا عشر الف وخمسماية واربعة دنانير الغزاه
والعساقلة المركزه بدمياط وتنيس وغيرهم عشرة الاف وسبعماية وخمسة وعشرون
دينارا البارز ثلاثه الاف الف واربعماية الف واثنان وستون الفا وخمسة وتسعون
دينارا الوجه البحرى الف الف ومائة الف واحد وخمسون الفا وستماية وثلاثه وخمسون
دينارا بفصيله ضواحى ثغر الاسكندرية ثمانى ماية الف ومائة وثمانية وثلاثين دينارا
ثغر رشيد الفا دينار البحيرين ماية الف وخمسة عشر الف وخمسماية وستة وسبعين
دينارا حوف رمسيس اثنان وتسعون الفا واربعماية وثلاثة دنانير نوم المزاحمتين
عشرة الاف ومائة خمسة وعشرين دينارا النستراوية خمسة عشر الفا وثلثماية وخمسة
دنانير جزيرة بنى نصر ماية الف واثنا عشر الفا وستماية وستة واربعون دينارا
جزيرة قويسنا ماية الف وثلاثون الفا وخمسماية واثنان وتسعون دينارا الغربيه
ستماية الف واربعة وسبعون الفا وستماية وخمسة دنانير المنوفية مايتا الف وخمسة
واربعون الفا واربعماية وتسعة وسبعون دينارا الدنجاوية ستة واربعون الفا ومايتان
واربعة وسبعون دينارا المنوفيه ماية الف وثمانية واربعون الفا وثلثماية وسبعة
واربعون دينارا الوجه القبلي الف الف وستماية الف وعشرة الاف واربعماية واحد واربعون
دينارا تفصيل ذلك الجيزة ماية الف وثلاثة وخمسون الفا ومايتان واربعة دنانير الاطفيحيه
تسعة وخمسون الفا وسبعماية وثمانية وعشرون دينارا البوصيرية ستون الفا واربعماية
وستة وستون دينارا الفيومية ماية الف واثنان وخمسون الفا وسبعماية وثلاثه دنانير
البهنسية ثلثماية الف واثنان وخمسون الفا وستماية واربعة وثلاثون دينارا واحات
الداخلة والخارجتين وواح البهنسا خمسة وعشرون الف دينار الاشمونين ماية الف
وسبعة واربعون الفا وسبعماية واثنان وثلاثون دينارا السيوطية خارجا عن منفلوط
وسنباط اثنان وسبعون الفا وخمسماية واربعة دنانير الاخميميه ماية الف وثمانيه الاف
وثمانى ماية واثنا عشر دينارا الاعمال القوصيه ثلثماية الف واثنان وستون الفا
وخمسماية دينار ثغر اسوان خمسة وعشرون الف دينار ثغر عيذاب يجرى في غير هذا
الديوان وقال في متجددات سنة ثمان وثمانين وخمسماية الذى انعقد عليه ارتفاع
الديوان السلطانى ثلثماية الف واربعة وخمسون الفا واربعماية واربعة واربعون دينارا
والذى تميز زايد الارتفاع لسنة سبع وثمانين وخمسماية على ارتفاع سنة ست وثمانين
اثنان وعشرون الفا واربعماية وخمسة واربعون دينارا والذى اساق من البواقي للسنة المذكورة
احد وثلاثون الفا وستماية واثنان وعشرون دينارا والذى اشتمل عليه متحصل ديوان

الخاص

الخاص الملكى الناصرى بالديار المصرية لسنة سبع وثمانين وخمسماية ثلثماية الف واربعة
وخمسون الفا واربعماية واربعة وخمسون دينارا ونصف وثلث **ذكر الروك الاخير الناصري**
وكان الجندى اقطاعه بمفرده وله تبع واحد من عشر الف درهم الى ثلاثين وفيهم من اقطاعه
خمسة عشر الفا واقلهم عشرة الاف وذلك سوى الضيافة وبلغ خمسة الاف درهم في الاقطاع
الثقيل فكان الجندى تخرج الى السكار بطوالة خيل وقطار جمال ويخرج مقدم الحلقه كاسير
عشره ويكون مضافا فيه اذا نزل حوله واكثرهم ياكل على سماطه ولا يمكن الاميران ياكل الا وجميع
اجناده معه وياخذ غلمان اجناده كل يوم الطعام من يطبخه واذا راى نارا تقد سال عنها
فقال ان فلانا اشتهى كذا فانه يغضب ممن لا ياكل عنده ومع ذلك كانت اشكالهم سعثه
وملابسهم غير طايله فلما افضت السلطنه الى المنصور لاجين راك البلاد وذلك ان ارض
مصر كانت اربعة وعشرين قيراطا يختص السلطان منها اربعة قراريط ويختص الامرا عشرة
قراريط ويختص الاجناد عشرة قراريط وكان الامرا ياخذون كثيرا من اقطاعات الاجناد
فلا يصل الى الاجناد منها كبير شى ويصير ذلك الاقطاع في دواوين الامير ويحمى بها قطاع
الطريق ويشونها الفتن ويقوم الهوشات ويمنع منها الحقوق والمقررات الديوانيه ويصير
ماكلة لنواب الامرا ومستخدميهم ومضرة على اهل البلاد التى تجاورها فابطل السلطان
ذلك ورد تلك الاقطاعات على اربابها واخرجها باسرها من دواوين الامرا واول ما بدا به
ديوان الامير سيف الدين منكوتمر نايب السلطنه فاخرج منه ما كان فيه من هذه الاقطاعات
وكان يتحصل له منها ماية الف اردب غلة في كل سنة فاقتدى به جميع الامرا واخرجوا ما في
اقطاعاتهم من ذلك فبطلت الحمايات وجعل السلطان في هذا الروك للامرا والاجناد احد عشر
قيراطا وافرد تسعة قراريط ليستجد عسكرا ويقطعه اياها ثم كتب اوراقا بتكفية الامرا والاجناد
بعشرة قراريط وفرق قيراطا لزيادة من عساه يطلب زيادة لقلة متحصل اقطاعه وافرد لخاص
السلطان عدة اعمال جليله وافرد للنايب منكوتمر اقطاعا جليلا فانتهى عمل ذلك في ثامن شهر
رجب سنة سبع وتسعين وستماية وجلس النايب منكوتمر لتفرقة المثالات في تاسعه فنكرت
قلوب الامرا وخشى كان من قتل المنصور لاجين ونايبه منكوتمر ما كان فلما كانت الايام الناصريه
محمد راك البلاد قال جامع السيره الناصريه وفي سنة خمس عشره وسبعمايه اختار السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاون ان يروك الديار المصريه وان يبطل منها مكوسا كثيره وينفصل
لخاص مملكته شيا كثيرا من اراضى مصر وكان سبب ذلك انه اعتبر كثيرا من اخبازات المماليك والكاشف
الذين كانوا للملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير والامير سلار وساير المماليك البرجيه
فاذا هى ما بين الف دينار الى ثمانى مايه دينار وحتى من قطع اخباز المذكورين فولد له الراى
مع القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش ان يروك ديار مصر ويقرر اقطاعات مما يختار

ويكتب بها مثالات سلطانيه فتقدم الفخر ناظر الجيش لدواوين الجيش بعمل اوراق بما عليه
عبر النواحي ومساحتها وعين السلطان لكل اقليم من اقاليم مصر اناسا وكتب مرسوما للامير
بدر الدين جنكل بن البابا ان يخرج لناحية الغربيه ومعه ايدمر الحاجب ومن الكتاب المكين
ابن قرونه وان يخرج الامير عز الدين ايدمر الخطيري الى ناحية الشرقية ومعه الامير ايتمش
المحمدي ومن الكتاب امين الدين قرموط وان يخرج الامير بلبان الصرخدي والقلنجقي وابن
طرنطاي وبيبرس الجمدار الى ناحيتي المنوفيه والبحيره وان يخرج التليلي والمرتيني الى الوجه
القبلي وندب معهم كتابا ومستوفين وقياسين فساروا الى حيث ذكر وكان كل منهم اذا
نزل باول عمله طلب مشايخ كل بلد ودلالها وعدولها وقصابيها وسجلاتها التي بايدي
مقطعيها وفحص عن متحصلها من عين وغله واصناف ومقدار ما تحتوي عليه من الفدن
مزدرعها وبورها وما فيها من ساق وبراب وخرس وسبخ وعبره الناحيه وما عليها
لمقطعها من غلة ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وكعك وغير ذلك من الضيافة فاذا حرر
ذلك كله ابتدا بقياس تلك الناحية وضبط بالعدول والقياسين وقاضي العمل ما يظهر بالقياس
الصحيح وطلب مكلفات تلك القرية وقندافها وفصل ما فيها من الخاص السلطاني وبلاد
الامرا واقطاعات الاجناد والرزق حتى ينتهي الى اخر عمله ثم حضروا بعد خمسة وسبعين يوما
وقد حرر في الاوراق المحضره حال جميع ضياع ارض مصر ومساحتها وعبرة اراضيها وما يتحصل
عن كل قرية من عين وغله وصنف فطلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقي الاسعد بن امين
الملك المعروف بكاتب برلغي وساير مستوفي الدولة والزمهم بعمل اوراق تشتمل على بلاد
الخاص السلطاني التي عينها لهم وعلى اقطاعات الامرا واضاف على عبره كل بلد ما كان على فلاحيها
من ضيافه لمقطعها واضاف الى العبرة ما في الاقطاع من الجوالي وكتبت مثالات للاجناد
باقطاعات على هذا الحكم واعتد منها بما كان يصرف في كلفة حمل الغلال من النواحي الى ساحل
القاهرة وما كان عليها من المكس وابطل السلطان عدة مكوس منها مكس ساحل الغله وكان جل
متحصل الديوان وعليه اقطاعات للامرا والاجناد ويتحصل منه في السنة اربعة الاف الف
وستماية الف درهم وعليه اربعماية مقطع لكل منهم من عشرة الاف الى ثلاثه الاف ولكل من الامرا
من اربعين الفا الى عشرة الاف وكانت جهة عظيمه لها متحصل كبير جدا وينال القبط منها منافع
لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت
تتعدد ما بين نواتيه تسرق وكيالين تبخس وشادين وكتاب يريد كل منهم شيا وكان مقرر
الاردب درهمين للسلطان ويلحقه نصف درهم غير ما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة
مكان يعرف بخص الكيالة في ساحل بولاق يجلس فيه شاد وستون متعمما ما بين كاتب
ومستوفين وناظر ومعينا وثلاثون جنديا مباشرين ولا يمكن احد من الناس ان يبيع قدحا من
غلة

غلة في ساير النواحي بل تحمل الغلات حتى تباع في خص الكيالة ببولاق ومما ابطل ايضا نصف
السمسره وهو عبارة عن ان من باع شيا من الاشيا فانه يعطي اجرة الدلال على ما تقرر من القدم
عن كل ماية درهم درهمين فلما ولي ناصر الدين الشيخي الوزاره قرر على كل دلال من دلالته درهما
من كل درهمين فصار الدلال يعمل معدله ويجتهد حتى ينال عادته وتصير الغرامة على البايع
فتضرر الناس من ذلك واوذوا فلم يغاثوا حتى ابطل ذلك السلطان ومما ابطل رسوم الولايه
وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين فيجبيها المذكورون من عرفا الاسواق وبيوت
الفواحش ولهذه الجهة ضامن تحت يده عدة صبيان وعليها جند مستقطعون وامرا
وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك قوم مستورين وهجم بيوت اكثر الناس
ومما بطل مقرر الحوايص والبغال من المدينه وساير معاملات مصر كلها من الوجه القبلي
والبحري فكان على كل من الولاة والمقدمين مقرر يحمله في كل قسط من اقساط السنة الى بيت المال
عن ثمن حياصه ثلثماية درهم وعن ثمن بغل خمسماية درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويتحصل
منها مال جليل وكان يصيب الناس من هذه الجهة ما لا يوصف ويحل بهم من عسف الرقاصين ما
يهون معه الموت ومن ذلك مقرر السجون وهو عبارة عما يوخذ من كل من سجن فللسجان على حكم
بلغ المقرر ستة دراهم سوى كلف اخرى وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايد
مبلغ ضمانها لكثرة ما يتحصل منها فانه كان لو تخاصم رجل مع امراته او ابنه رفعه الوالي الى السجن فبمجرد
ما يدخل السجن ولو لم يقم به الا لحظة اخذ منه المقرر وكذلك كان على سجن القضاة ايضا ومن ذلك
مقرر طرح الفراريج ولها ضمان عده في ساير نواحي ارض مصر يطرحون على الناس الفراريج فيمر
بضعفا الناس من ذلك بلا وتقاسي الارامل من العسف والظلم شيا نكرا وكان على هذه الجهة عدة
مقطعين ولا يمكن احد من الناس في جميع الاقليم ان يشتري فروجا فما فوقه الا من الضامن ومن عثر
عليه انه اشترى او باع فروجا من سوى الضامن جاه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ذلك مقرر
الفرسان وهو عبارة عما يجبيه ولاة النواحي من ساير البلاد فلا يوجد درهم مقرر حتى يغرم عليه
صاحبه درهمين وتقاسي الناس فيه اهوالا صعبة ومن ذلك مقرر الاقصاب والمعاصر وهو ما
يجبى من مزارع قصب السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر ومن ذلك رسوم الافراح ويجبى من ساير
النواحي ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة اصل البته وانما يجبى بضرايب ينال فيها
مع المقرر غرامات وروعات ومن ذلك حماية المراكب وهي عبارة عما يوخذ من كل مركب بتقرير
معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة اشد ما ظلم به الناس فيوخذ من كل من ركب البحر للسفر
حتى من السوال والكدية ومن ذلك حقوق القينات وهو عبارة عما يجبى من الفواحش والمنكرات
تجبيه مهتار الطشت خاناه السلطانيه من اوباش الناس ومن ذلك شد الزعما وهي جهه
مفرده وحقوق السودان وكشف المراكب ومقررها على كل جارية او عبد حين نزولهم بالخانات

لعمل الفاحشة يوخذ من كل ذكر وانثى مقرر معين ومتوفر الجراريف وهو ما يجبى من ساير
النواحى فيحمل ذلك مهندسوا البلاد الى بيت المال باعانة الولاة لهم فى تحصيل ذلك وعلى هذه
الجهة عده مقطعين من الجند ومقرر المشاعلية وهو عبارة عما يوخذ عن كسح الاقنية وحمل
ما يخرج منها من الوسخ الى الكيمان فكان اذا امتلا سراب حمام او سمط او جامع او مدرسة او
تربة او منزل من منازل ساير الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظمة ما عسى ان يبلغ التعرض لذلك حتى
ياتيه ضامن الجهة ويقاوله على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاشتطاط فى السوم
وطلب اضعاف القيمه فان لم يرض رب المنزل بما طلب الضامن والا تركه وانصرف فلا يقدر
على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سواله ثانيا فيعظم تحكمه ويشتد باسه الى ان يراضيه بما يختار
حتى تمكن من كسح قناته ورفع ما هناك من الاقذار ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحى
وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلى والبحرى ما من بلد صغيرا وكبيرا الا وفيه عدة من كاتب
وشاد ونحو ذلك فابطل السلطان المباشرين وتقدم بمنعهم من مباشرة النواحى الا من بلد فيها
مال للسلطان فقط فاراح الله سبحانه الخلق بابطال هذه الجهات من بلا لا يقدر قدره ولا
يمكن وصفه ولما ابطل السلطان هذه الجهات وفرغ من تعيين اقطاعات الامرا واخبار الاجنا
افرز الخاص السلطان من بلاد ارض مصر عدة نواحى مما كان فى اقطاعات البرجية وهى
الجيزه واعمالها وهو والكوم الاحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما بلغ عشر قراريط
من الاقليم وصار لاقطاعات الامرا والاجناد وغيرهم اربعة عشر قيراطا ومكر الاقباط
فيما امكنهم المكر فيه فبدوا ابان اضعفوا عسكر مصر ففرقوا الاقطاع الواحد فى عدة جهات
فصار بعض الخبز فى الصعيد وبعضه فى الشرقية وبعضه فى الغربية اتعابا للجندى
وتكثير الكلفه وافردوا جوالى الذمة من الخاص وفرقوها فى البلاد التى اقطعت للامرا
والاجناد فان النصارا كانوا مجتمعين فى ديوان واحد كما ستقف عليه ان شا الله تعالى فصار نصارا
كل بلد يدفعون جالياتهم الى مقطع تلك الضيعة فاتسع مجال النصارا وصاروا ينتقلون فى القرى
ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرتها وافردوا ما بقى من
جهات المكوس برسم الحوايج خاناه التى تصرف فى السماط ليتناولوا ذلك ويردوا منه ما شاوا
ثم يتولوا صرف ما تحصل منه فى جهات تستهلكها بالاكل فصارت جهات المكوس مما يتحدث فيه
الوزير وشاد الدواوين ثم نظر السلطان فى ما كان بيد الامير بيبرس الجاشنكير وسلار نايب
السلطنة من البلاد فاخذ ما كان باسم كل منهما وباسم حواشيه ولم يدع من ذلك شيا مما كانوا
قد وقفوه حتى حله وعمل الجميع اقطاعات واعتد فى ساير الاقطاعات مما كان يستشهد به
المقطع من فلاحه فحسب ذلك واقامه من جملة عبرة الاقطاع وابطل الهدية فلم يتهيا له
الفراغ من ذلك الى اخر السنة فلما اهل المحرم من سنة ست عشرة وسبعماية وقد تنظفت الحسبانات

على

على ثلث مغل سنة خمس عشرة جلس السلطان فى الايوان الذى استجده بقلعة الجبل وقد
تقدم لساير نقبا الاجناد على لسان نقيب الجيش بالحضور باجنادهم وجعل للعرض فى كل يوم
اميرين من الامرا المقدمين بمضافيهما فكان الامير مقدم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر
الجيش يستدعيهم من مقدمة ذلك الامير باسمايهم على قدر منازلهم فيتقدم نقيب الجيش الواحد
بعد الواحد من يد نقيبه الى بين يدى السلطان فاذا مثل بحضرته ساله السلطان بنفسه من
غير واسطة عن اسمه واصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر ومع من قدم والى من صار
من الامرا وغيرهم وعن مشاهده التى حضرها فى الغزو وعن ما يعترفه من صناعة الحرب
ونحو ذلك من الاستقصا فاذا انتهى استفهامه اياه ناوله بيده مثالا من غير تامل بحسب ما قسم الله
له فلم يمر به فى مدة العرض احد الا وعرفه واشار الى الامرا بذكر شى من خبره هذا وقد تقدم
الى ساير الامرا باسرهم بان يحضروا الى الايوان عند العرض ولا يعارض احد منهم السلطان
فى شى يفعله فكانوا يحضرون وهم سكوت لا يتكلم احد منهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله
واخذ السلطان فى موارية الامرا فما اثنوا على احد فى مجلس العرض الا واعطاه مثالا باقطاع
ردى فلما علموا ذلك امسكوا عن الكلام معه جملة وانفرد بالاستبداد باموره دونهم فما عرف
عنه انه قدم اليه احد الا وساله ان كان مملوكا عمن قدمه من التجار وساير ما تقدم وان كان
شيخا فعن اصله وسنه وكم مصاف حضره حتى يلاتى على الجميع وافرد المشايخ العاجزين فلم يعطهم
اقطاعات وجعل لكل منهم مرتبا يقوم به فانتهى العرض فى طول شهر المحرم وتوفر كثير من مثالات
الاجناد بلغ عدة مايتى مثال ثم اخذ فى عرض طباق المماليك السلطانية ووفر من جوامكهم
كثيرا وقطع عدة رواتب من رواتبهم وعوضهم عن ذلك اقطاعات وجعل جهة مكس قطيا لضعفا
الاجناد ممن قطع خبزه فجعل لكل منهم فى السنه ثلاثة الاف درهم وكان لبيبرس وسلار
والجوكندار تعلقات كثيرة فى بيت المال وفى الاعمال كالجيزة واسكندرية من ديوان متجر
وحمايات فارتجع ذلك وابطله وما شابهه واضاف ما لم يقطعه الى ديوان الخاص ومما امر به فى
مدة العرض ان لا يرد احد مثالا اخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع امير فى جندى وان
من خالف ذلك ضرب وحبس وقطع خبزه فعظمت مهابة السلطان وقويت حرمته ولم يتجاسر
احد ان يرد عليه مثالا ولا استطاع امير ان يتكلم لاحد وصار كثير ممن كان اقطاعه مثلا الف
دينار الى اقطاع من مايتى دينار ونحوها وكثيرا ممن كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر
فانه كان يعطى المثال من غير تامل لكن كيف ما وقعت يده عليه وقدر الله ان السلطان كان من
جملة صبيان مطبخه رجل مضحك يهزل بحضرة السلطان فيضحك منه ويعجب به ولا يعترض
فيما يقول من السخف فجلس السلطان فى بعض ايام العرض فى البستان بقلعة الجبل وعنده
الخاصة من الامرا فدخل هذا المضحك واخذ فى السخريه على عادته ليضحك السلطان الى ان قال

وجدت بعض اجناد الروك الناصرى وهو راكب الاكديش وخرجه خلفه و ركبه فوق كتفه
يقصد بهذا السخريه والطنز فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح خذوه فعروه ثيابه
فبادره الاعوان وجروه برجله ونزعوا ثيابه و ربطوه فى الساقيه مع القواديس واكثروا من
ضرب الابقار حتى اسرعت بدوران الساقيه فصار المسكين ينقلب مع القواديس ويغطس فى الما
تارة ويرتفع اخرى ثم ينتكس والما عليه يمر مقدار ساعه الى ان انقطع حسه واشفى على الهلاك واشتد
رعب الامرا مما راوا من قوة غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاى الدوادار فى طايفة من الامرا
الخاصكيه واعتذروا عن هذا المسكين بانه لم يرد الا ان يضحك السلطان من كلامه ولم يقصد
عيب الاجناد ولا انتقاصهم ونحو هذا من القول الى ان امر بحله فاذا ليس فيه حركه فسحب ورسم
السلطان بانه ان كان حيا لا يبيت بديار مصر فاخرج من وقته منفيا وحمد الله كل من الامرا على
ما وفقه من السكوت عن الكلام فى حال العرض ومازال الامر بمصر على ما رسمه الملك الناصر فى
هذا الروك الى ان زالت دولة بنى قلاون بالملك الظاهر برقوق فى شهر رمضان سنه اربع وثمانين
وسبع مايه فاتفق الامر على ذلك الا ان اشيا منه اخذت تتلاشى قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث
والمحن من سنة ست وثمانى مايه حدث من انواع التغييرات وتنوع الظلم ما لم يخطر ببال احد
وستمر بك جمل من ذلك عند ذكر اسباب خراب اقليم مصر ان شا الله تعالى وكانت لاراضى مصر
تقاوى مخلدة فى نواحيها وهى على قسمين تقاوى سلطانيه وتقاوى بلديه والتقاوى السلطانية
يضعها الملوك فى النواحى وكان الامير او الجندى عند ما يستقر على الاقطاع يقبض ما له من
التقاوى السلطانيه فاذا خرج الاقطاع عنه طولب بها فلما كان الروك الناصرى خلدت
تقاوى كل ناحية بها وضبطت فى الديوان السلطانى فبلغت جملتها مايه الف وستين الف
اردب سوى التقاوى البلدية

ذكر الديوان

قال اقضى القضاة ابو الحسن
الماوردى الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنه من الاعمال والاموال ومن يقوم بها
من الجيوش والعمال وفى تسميته ديوانا وجهان احدهما ان كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه
فراهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اى مجانين فسمى موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الها عند
كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقيل ديوان والثانى ان الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمى
الكتاب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق واطلاعهم على ما
قرب وبعد ثم سمى مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان انتهى واعلم ان كتابة الديوان على ثلاثه
اقسام كتابة الجيوش والعساكر وكتابة الخراج وكتابة الانشا والمكاتبات ولابد لكل دوله من
استعمال هذه الاقسام الثلاثه وقد افرد العلما فى كتابة الخراج وفى كتابة الانشا عدة مصنفات
ولم ار احدا جمع شيا فى كتابة الجيوش والعساكر وكانت الدواوين فى صدر الاسلام يجعل ما يكتب
فيه صحفا مدرجه فلما انقضت ايام بنى اميه وقام عبد الله بن محمد ابو العباس السفاح استوزر

خالد

خالد بن برمك بعد ابى سلمة حفص بن سليمن الخلال فجعل الدفاتر فى الدواوين من الجلود
فكتب فيها وتركت الدروج الى ان تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك فى الامور ايام
هرون الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعده الى اليوم وذكر ابو النمر الوراق قال
حدثنى ابو حازم القاضى قال قال لى ابو الحسن بن المدبر لو عمرت مصر كلها لوفت باعمال الدنيا
وقال ان ارض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون الف الف فدان انما يعمر منها الف الف
فدان قال وقال ابن المدبر انه كان يتقلد بالعراق ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم
انت قط ليلة من الليالى وعلى عمل او بقية منه وتقلدت مصر فكنت ربما نمت وقد بقى على شى من
العمل فاستتمه اذا اصبحت

ذكر ديوان العساكر والجيوش

يقال
ان اول من وضع ديوان الجند كيلهراسف احد ملوك الطبقه الثانية من الفرس وان كيقباذ
قبله كان قد اخذ العشر من الغلات وصرفه فى ارزاق جنده واما فى الاسلام فما خرجه البخارى
ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اكتبوا لى من يلفظ بالاسلام
من الناس فكتبنا له الفا وخمسماية رجل الحديث ذكره البخارى فى باب كتابة الامام الناس
وللبخارى من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال جا رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا وامراتى حاجة قال ارجع فاحجج مع امراتك
وقال عمر بن شبه عن معمر عن قتادة قال اخر مال اتى به النبى صلى الله عليه وسلم ثمان ماية الف درهم
من البحرين فما قام من مجلسه حتى امضاه ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لابى بكر واول
من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب فقال ابن شهاب عمر اول من دون الدواوين وروى ابن سعد
عن عايشة رضى الله عنها قالت قسم ابى الفى عام اول فاعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمراة عشرة
وامتها عشرة ثم قسم العام الثانى فاعطاهم عشرين عشرين فقيل سببه ان ابا هريرة رضى الله
عنه قدم على عمر رضى الله عنه بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جيت به فقال خمسماية الف درهم
فاستكثره عمر وقال اتدرى ما تقول قال نعم ماية الف خمس مرات فقال عمر اطيب هو قال لا
ادرى فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس قد جانا مال كثير فان شيتم كلنا
لكم كيلا وان شيتم عددنا لكم عدا فقام اليه رجل فقال يا امير المومنين قد رايت الاعاجم
يدونون ديوانا لهم فدون انت ديوانا فدون عمر وقيل بل سببه ان عمر بعث بعثا وعنده
الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد اعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل من اين يعلم صاحبك
به فاثبت لهم ديوانا فساله عن الديوان حتى فسره له فاستشار المسلمين فى تدوين الدواوين
فقال على بن ابى طالب تقسم كل سنة ما اجتمع عندك من المال ولا تمسك منه شيا وقال عثمن بن
عفان رضى الله عنه ارى مالا كثيرا يسع الناس فان لم يحصوا حتى يعرف من اخذ ممن لم ياخذ
خشيت ان ينتشر الامر وقال خالد بن الوليد رضى الله عنه قد كنت بالشام فرايت ملوكها

دونوا ديوانا وجندوا جندا فدون ديوانا وجند جندا فاخذ بقوله ودعا عقيل بن ابى
طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدوا
بنى هاشم فكتبوهم ثم اتبعوهم اولاد ابى بكر وقومه ثم عمر وقومه وكتبوا القبايل ووضعوها
على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضى الله عنه فلما نظر فيه قال لا ولكن ابدوا بقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره العباس رضى الله عنه
على ذلك وقال وصلتك رحم ذلك وقد اختلف فى السنة التى فرض فيها عمر رضى الله عنه الاعطية
ودون الدواوين فقال ابن الكلبى فى سنة خمس عشرة وحكى ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدى انه
فصل ذلك فى سنة عشرين وقال الزهرى وكان ذلك فى المحرم سنة عشرين من الهجرة وقيل
لما فتح الله على المسلمين القادسية وقدمت على عمر رضى الله عنه الفتوح من الشام جمع المسلمين فقال
ما يحل للوالى من هذا المال فقالوا جميعا اما لخاصته فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط
وكسوته وكسوتهم للشتا والصيف ودابتان الى جهاده وحوايجه وحملانه الى حجه وعمرته
والقسم بالسوية وان يعطى اهل البلاء على قدر بلائهم ويرم امور الناس بعد ويتعاهدهم
الشدايد والنوازل حتى تنكشف ويبدا باهل الفى ثم تحوزهم فى كل مغلوب ما بلغ الفى وقال
الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من اهل السواد
وافتتحت دمشق وصالح اهل الشام قال عمر رضى الله عنه للناس اجتمعوا فاحضروني علمكم فيما
افا الله على اهل القادسية واهل الشام فاجتمع راى على وعمر رضى الله عنهما ان ياخذوه من قبل
القران فقالوا ما افا الله على رسوله من اهل القرى يعنى من الخمس فلله وللرسول يعنى من الله الامر
وعلى الرسول القسم ولذى القربى واليتامى والمساكين ثم فسروا ذلك بالاية الاخرى التى تليها
للفقرا المهاجرين الاية فاخذوا الاربعة الاخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بدى به وثنى وثلث
واربعة اخماس لمن افا الله عليه المغنم ثم استشهدوا على ذلك ايضا بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من
شى فان لله خمسه الاية من تلك الطبقات الثلاث واربعة اخماس لمن افا الله عليه فقسم الاخماس
على ذلك فاجتمع فى ذلك عمر وعلى وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدا بالمهاجرين ثم الانصار ثم التابعين
الذين شهدوا معهم واعانوهم ثم فرض الاعطية من الجزا على من صالح او دعا الى الصلح من
جزايه ترد عليهم بالمعروف وليس فى الجزا اخماس الجزا لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولى ذلك
منهم ولمن لحق بهم فاعانهم باسوه الا ان تواسوا بفضله عن طيب انفس منهم من لم ينل مثل الذى
قالوا وعن ابى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضى الله عنه انى مجند المسلمين على الاعطية
ومدونهم ومتحرى الحق فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمن وعلى رضى الله عنهم ابدا بنفسك قال
لا ابدا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففرض للعباس وبدا به ثم فرض لاهل بدر خمسة الاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية اربعة
الاف

الاف اربعة الاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى ان اقلع ابو بكر رضى الله عنه عن اهل الردة
ثلاثة الاف ثلاثة الاف دخل فى ذلك من شهد الفتح وقاتل عن ابى بكر ومن ولى الايام قبل
القادسية كل هولا على ثلاثة الاف ثلاثة الاف ثم فرض لاهل القادسية واهل الشام اصحاب
اليرموك الفين الفين وفرض لاهل البلا البارع منهم الفين وخمسماية الفين وخمسماية فقيل له لو
الحقت اهل القادسية باهل الايام فقال لم اكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا لاقاه اذن
وقيل له قد سويتهم على بعد دارهم بمن قد قربت داره وقاتلهم عن فنايه فقال هم كانوا احق بالزيادة
لانهم كانوا ردا للحتوف وشجى العدو وايم الله ما سويتهم حتى استطبتهم فهلا قال المهاجرون
مثل قولهم حين سوينا بين السابقين من المهاجرين وبين الانصار وقد كانت نصرة الانصار بفنايهم
وهاجر اليهم المهاجرون من بعد وفرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك
بعد الفتح ثلاث ثلاث ماية سوى كل طبقة فى العطا ليس بينهم تفاضل قويهم وضعيفهم
عربيهم واعجميهم فى طبقاتهم سوا حتى اذا حوى اهل الامصار من حوى من سباياهم وردفت الربع
من الروادف فرض لهم على خمسين وماتين وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على ماتين وكان اخر
من فرض له عمر رضى الله عنه اهل هجر على ماتين ومات عمر على ذلك وادخل فى اهل بدر اربعة
من غير اهل بدر الحسن والحسين وابا ذر وسلمان وقال ابو سلمة فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين
الفا وقال الزهرى على اثنى عشر الفا وجعل نسا اهل بدر الى الحديبية على اربع ماية اربع ماية ونسا
من بعد ذلك الى الايام قبل القادسية على ثلثماية ثلثماية ثم نسا اهل القادسية على ماتين ماتين ثم
سوى بين النسا بعد ذلك وجعل للصبيان من اهل بدر وغيرهم ماية ماية ثم دعا ستين مسكينا
فاطعمهم خبز البر واحصوا ما اكلوه فوجدوه يخرج من جريبين ففرض لكل انسان يقوم بالامر له
ولعياله لكل انسان منهم جريبين جريبين فى كل شهر مسلمهم وكافرهم وفرض لازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشرة الاف عشرة الاف الا من جرى عليه الرق فقالت امهات المومنين ما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن فى القسمة ولكن كان يسوى بيننا فسوى بيننا
فجعلهن على عشرة الاف عشرة الاف وفضل عايشة رضى الله عنها بالفين فابت فقال لفضل
منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذتها فشانك وكان الناس اعشارا فكانت
العرفا ثلاثة الاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الخيل على اعرافها فزالوا كذلك حتى
اختطت الكوفة والبصرة فغيرت العرفا والاعشار وجعلت اسباعا وجعل عريف ماية على كل
ماية الف درهم عريف فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة واربعين رجلا وثلاثا
واربعين امراة وخمسين من العيال لهم ماية الف درهم وكل عرافة من اهل الايام عشرين رجلا
على ثلاثة الاف وعشرين امراة ولكل عيل ماية على ماية الف درهم وكل عرافة من الرادفة الاولى
ستين رجلا وستين امراة واربعين من العيال ممن كان رجالهم الحقوا على الف وخمسماية على ماية

على ما كان الف درهم فكان العطا يدفع الى امرا الاسباع واصحاب الرايات والرايات على اياد
العرب فيدفعونه الى العرفا والنقبا والامنا فيدفعونه الى اهله في دورهم فمات عمر رضي الله عنه
والامر على ذلك وقد عزم قبل موته ان يجعل العطا اربعة الاف اربعة الاف الف يخلفها الرجل في
اهله والف يتزود بها معه في سفره والف يتجهز بها والف يترفق بها فمات وهو في ارتياد ذلك
قبل ان يفعل وكان يغزي البعوث على قدر المسافة ان كان بعيدا فسنة وان كان دون ذلك فستة
اشهر فاذا اخل الرجل بثغره نزعت عمامته واقيم في مسجد حيه فقيل هذا فلان قد اخل وقال
سيف بن عمر اول عطا اخذ سنة خمس عشرة وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يبعث من مصر الى عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه فلما استخلف عثمن رضي الله عنه لثلاث
مضين من المحرم سنة اربع وعشرين زاد الناس مايه وكان اول من زاد الناس ووفد اهل الامصار
وهو ايضا اول من وفدهم وصنع فيهم الصنايع فاستن به الخلفا في الزيادة وكان عمر قد فرض لكل
نفس منفوسة من اهل الفي في رمضان درهما في كل يوم وفرض لامهات المومنين درهمين فقيل له
لو صنعت لهم به طعاما فجمعتهم عليه فقال اشبعوا الناس في بيوتهم فاقر عثمن رضي الله عنه ذلك
وزاد فوضع طعام رمضان وقال هو للمتعبد الذي يتخلف في المسجد ولابن السبيل والمعترين بالناس
في رمضان فاقتدى به الخلفا من بعده وكان ديوان مصر في خلافة معوية بن ابي سفين رضي الله
عنه اربعين الفا وكان منهم اربعة الاف في مايتين مايتين وكان انما يحمل الى معاوية ستماية الف
دينار عن فضل اعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معوية قد جعل على كل قبيلة من قبايل
العرب بمصر رجلا يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم
نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب اسماهم ويقال نزل بها رجل من اهل كذا بعياله
فيسميه وعياله فاذا فرغ من القبيل اتى الديوان حتى يثبت ذلك واعطى مسلمة بن مخلد الانصاري امير
مصر اهل الديوان اعطياتهم واعطيات عيالاتهم وارزاقهم ونوايبهم ونوايب البلاد من الجسور وارزاق
الكتبة وحملان القمح الى الحجاز وبعث الى معوية ستماية الف دينار فضلا واول تدوين كان بمصر على يد
عمرو بن العاص ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ثم
دون بشر بن صفوان تدوينا رابعا ثم لم يكن بعد تدوين بشر شي له ذكر الا ما كان من الحاق قيس
بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان فلما انقرضت دولة بني امية وغلبت المسودة بنو
العباس احدثوا اشيا حتى اذا مات عبد الله المامون بن هرون الرشيد لسبع خلون من رجب سنة ثمان
عشرة ومايتين وبويع اخوه المعتصم ابو اسحق محمد بن هرون كتب الى كيدر بن نصر الصغدي امير مصر
يامره باسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطا عنهم ففعل ذلك وكان مروان بن محمد
الجعدي اخر خلفا بني امية قطع عن اهل مصر العطا سنة ثم كتب اليهم كتابا يعتذر فيه اني انما
حبست عنكم العطا في السنة الماضية لعدو حضرني فاحتجت الى المال وقد وجهت اليكم بعطا السنة

الماضية وعطا هذه السنة فكلوه هنيا مريا واعوذ بالله ان اكون انا الذي جرى الله قطع العطا
على يديه ولما قطع كيدر عطا اهل مصر خرج يحيى بن الوزير الجروي في جمع من لخم وجذام وقال هذا
امر لا نقوم في افضل منه لانا منعنا حقنا وفينا فاجتمع اليه نحو خمسماية رجل ومات كيدر في ربيع الاخر
سنة تسع عشرة ومايتين وولي ابنه المظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقاتله في بحيرة تنيس واخذه
اسيرا فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم الى ان ولي الامير
ابو العباس احمد بن طولون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدتهم زيادة على اربعة وعشرين الف غلام
ترك واربعين الفا اسود وسبعة الاف حر مرتزق ثم استجد ابنه الامير ابو الجيش خمارويه بعده
على من شاتره حوف مصر فلما كانت امارة الامير ابي بكر محمد بن طغج بن جف الاخشيذ على مصر بلغت
عدة عساكره بمصر والشام اربع ماية الف تشتمل على عدة طوايف ثم ان الاستاذ ابا المسك كافور الاخشيذي
استجد عدة من السودان في ايام تحكمه بمصر فلما غلب الامام المعز لدين الله ابو تميم معد الفاطمي على
مصر صارت عساكرها ما بين كتامة وزويلة ونحوها من طوايف البربر وفيهم الروم والصقالبة
وهم في العدد كما قيل ومنهم معد ولم تكن جيوشه تعد ولا لما اوتيه كان حد من كل ما
يسعد فيه جد حتى قيل انه لم يطا الارض بعد جيش الاسكندر بن فلبش اجد ولا اكثر عددا
من جيوش المعز فلما قام في الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله ابو منصور نزار استخدم
الديلم والاتراك واختص بهم وذكر الامير المختار المسبحي في تاريخه ان خزانة الخاص حملها لما خرج
العزيز الى الشام عشرون الف جمل خارجا عن خزاين القواد ووجوه الدولة وذكر ابن ميسر في
تاريخه ان عبيد السيدة ام الامام المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابي
الحسن على بن الحاكم بامر الله ابي على منصور بن العزيز بالله خاصة كانت عندهم خمسين الف عبد
سوى طوايف العسكر ورايت بخط الاسعد المماتي ان عدة الجيوش بمصر في ايام رزيك بن الصالح
طلايع بن رزيك كانت اربعين الف فارس وستة وثلاثين الف راجل وزاد غيره وعشرة شواني
حربية فيها عشرة الاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية فلما زالت دولتهم على يد السلطان
الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ازال جند مصر من العبيد السود والامرا المصريين
والعربان والارمن وغيرهم واستجد عسكرا من الاكراد والاتراك خاصة وبلغت عدة عساكره
بمصر الى اثنى عشر الف فارس لا غير فلما مات افترقت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز
عثمن سوى ثمانية الاف فارس وخمسماية فارس الا ان فيهم من له عشرة اتباع وفيهم من له عشرون
وفيهم من له اكثر من ذلك الى ماية تبع لرجل واحد من الجند فكانوا اذا ركبوا ظاهر القاهرة يزيدون
على ماية الف ثم لم يزالوا في افتراق واختلاف حتى زالت دولتهم بقيام عبيدهم المماليك الاتراك
فحذوا حذو مواليهم بني ايوب واقتصروا على الاتراك وشي من الاكراد واستجدوا من المماليك
التي تجلب من بلاد الترك شيا كثيرا حتى يقال ان عدة مماليك الملك المنصور قلاون كانت سبعة

الاف مملوك ويقال اثنى عشر الفا وكانت عدة مماليك ولده الاشرف خليل بن قلاون اثنى عشر
الف مملوك ثم لم يبلغ بعد ذلك قريبا من هذا الى ان زالت دولة بنى قلاون فى شهر رمضان سنه
اربع وثمانين وسبع مايه بالملك الظاهر برقوق اخذ فى محو المماليك الاشرفيه وانشا لنفسه دولة
من المماليك الجراكسه بلغت عدتهم ما بين مشترى ومستخدم اربعة الاف او تزيد قليلا فلما قام
من بعده ابنه الناصر فرج افترقوا واختلفوا فلم يفتل حتى هلك كثير منهم بالقتل وغيره وعساكر مصر
فى الدولة التركيه على قسمين اجناد الحلقه والمماليك السلطانيه واكثر ما كانت اجناد الحلقه فى ايام
الملك الناصر محمد بن قلاون فانها بلغت على ما رايته فى جرايد ديوان الجيش بالدواوين الناصريه
الى اربعة وعشرين الف فارس ثم ما زالت تنقص حتى صارت اليوم مع قلة عددها سوا منهما
الالف والواحد فانها لا تنفع ولا تدفع واما المماليك فانها اليوم قليل عددها بحيث لو جمعت
اجناد الحلقة مع المماليك السلطانيه لا تكاد ان تبلغ خمسة الاف فارس يصلح منها لان تباشر القتال
الف او دونها وهى اليوم قسمان اجناد الحلقه والمماليك والمماليك ثلاثة اقسام ظاهريه وناصريه
ومويديه والمويديه ما بين جكميه ونوروزيه ومن استجده المويد ثم لما ملك السلطان الملك
الاشرف برسباى صارت المماليك سبع طوايف ظاهريه وناصريه ومويديه ونوروزيه
وجكميه وططريه واشرفيه كل طايفه منها مباينه لجميعها فلذلك حصدت شوكتهم وانكسرت
حدتهم وامنت على السلطان عاديتهم ولم تخف ثورتهم لتفرقهم وان كانوا مجتمعين وبابهم
وان كانوا فى الظاهر متفقين واعلم انه كانت عادة خلفا الاسلام من بنى اميه وبنى العباس
والفاطميين من لدن امير المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان تجبا اموال الخراج ثم تفرق من
الديوان فى الامرا والعمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك فى
صدر الاسلام العطا وما زال الامر على ذلك الى ان كانت دول العجم بغير هذا الرسم وفرقت
الاراضى اقطاعات على الجند واول من عرف انه فرق الاقطاعات على الجند نظام الملك ابو على
الحسن بن على بن اسحق بن العباس الطوسى وزير الب ارسلان بن داود بن ميكال بن سلجوق ثم
وزير ابنه ملكشاه بن الب ارسلان وذلك ان مملكته اتسعت فراى ان يسلم الى كل مقطع قريه او اكثر
او اقل على قدر اقطاعه لانه راى ان فى تسليم الاراضى الى المقطعين عمارتها لاعتنا مقطعها
بامرها بخلاف ما اذا شمل جميع اعمال المملكة ديوان واحد فان الخرق يتسع ويدخل الخلل فى البلاد
ففعل نظام الملك ذلك وعمرت به البلاد فى ايامه وكثرت الغلات واقتدى بفعله هذا من جا
بعده من الملوك من اعوام بضع وثمانين واربع ماية الى يومنا وكانت الخلفا ترزق من بيت المال
فذكر عطا بن السايب فى حديث ان ابا بكر رضى الله عنه لما استخلف فرض له كل يوم شطر شاة
وما كسوه فى الراس والبطن وذكر عن حميد بن هلال انه فرض له بردان اذا اخلقهما وضعهما واخذ
مثلهما وظهره اذا سافر ونفقته على اهله كما كان ينفق قبل ان يستخلف وذكر ابن الاثير فى تاريخه

ان الذى فرضوا له ستة الاف درهم فى السنة وفرض لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استخلف
ما يصلحه ويصلح عياله بالمعروف وقال له على رضى الله عنه ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال
على ما اخذ تونه وفرق عمر لمعويه بن ابى سفيان على عمله فى الشام عشرة الاف دينار فى السنه وقيل بل
ربعة الف دينار وهو اشبه

ذكر القطايع والاقطاعات

يقال اقطع طايفه من الشى اخذه والقطيعه ما اقتطعه منه واقطعنى اياها اذن لى فى اقتطاعها
واستقطعه اياها ساله ان يقطعه اياها واقطعه نهرا وارضا اباح له ذلك وقد اقطع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتالف على الاسلام قوما واقطع الخلفا من بعده من راوا فى اقطاعه
صلاحا روى ابن ابى نجيح عن عمرو بن شعيب عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطع ناسا
من مزينه او جهينه ارضا فلم يعمروها فجا قوم فعمروها فخاصمهم الجهنيون او المزنيون الى عمر
بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر لو كانت منى او من ابى بكر لرددتها ولكنها قطيعة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال من كانت له ارض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمرها قوم اخرون فهم
احق بها وقال هشام بن عروة عن ابيه اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ارضا فيها
نخل من اموال بنى النضير وذكر انها ارض يقال لها الجرف وذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
اقطع العقيق اجمع الناس حتى حازت قطيعه عروة فقال ابن الزبير المستقطعون منذ اليوم فان
يك فيه خير فتحت قدمى قال خوات بن جبير اقطعنيه فاقطعه اياه وقال سفين بن عيينة عن
عمرو بن دينار قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اقطع ابا بكر واقطع عمر بن الخطاب رضى الله
عنهما وقال اشعث بن سوار عن حبيب بن ابى ثابت عن صلت المكى عن ابى رافع قال اعطا النبى
صلى الله عليه وسلم قوما ارضا فعجزوا عن عمارتها فباعوها فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
بثمانية الاف دينار او بثمانية الاف درهم فوضعوا اموالهم عند على بن ابى طالب رضى الله عنه فلما
اخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا انا قص قال احسبوا زكاته قال فحسبوا زكاته فوجدوه
وافيا فقال احسبتم انى امسك مالا ولا ازكيه وقد سال تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقطعه عينون البلد الذى كان منه بالشام قبل فتحه ففعل وساله ابو ثعلبة الخشنى ان
يقطعه ارضا كانت بيد الروم فاعجبه ذلك وقال الا تسمعون ما يقول فقال والذى بعثك بالحق
ليفتحن عليك فكتب له بذلك كتابا وقال ثابت بن سعد عن ابيه عن جده ان الابيض بن حمال
استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فاقطعه فقال الاقرع بن حابس التميمى يا رسول
الله انى وردت هذا الملح فى الجاهليه وهو بارض ليس بها ملح من ورده اخذه وهو مثل الما العد
بالارض فاستقال الابيض فقال قد اقلتك على ان تجعله منى صدقة فقال النبى صلى الله عليه وسلم
هو منك صدقة وهو مثل الما العد من ورده اخذه وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزنى عن ابيه عن
جده اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحرث المعادن القبليه جلسيها وغوريها

وقال مالك عن ربيعة عن قوم من علمايهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطع بلال بن
الحرث المزني معادن بناحية الفرع وعن ربيعة عن الحرث بن بلال عن ابيه بلال بن الحرث
ان النبي صلى الله عليه وسلم اقطعه العقيق اجمع وعن حماد بن سلمة عن ابي بكير عن ابي عكرمة
مولى بلال بن الحرث قال اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ارضا فيها جبل ومعدن
فباع بنوا بلال عمر بن عبد العزيز ارضا منها فظهر فيها معدن او قال معدنان فقالوا انما
بعناك ارض حرث ولم نبعك المعادن وجاوا بكتاب النبي لهم في جريدة فقبلها عمر ومسح بها
عينه وقال لقيمه انظر ما خرج منها وما انفقت فقاصهم بالنفقة ورد عليهم الفصل واصطفى عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه من ارض السواد اموال كسرى واهل بيته وما هرب عنه اربابه او
هلكوا فكان مبلغ غلته تسعة الاف الف درهم كان يصرفها في مصالح المسلمين ولم يقطع شيا
منها ثم ان عثمن رضي الله عنه اقطعها لانه راى اقطاعها اوفر لغلتها من تعطيلها وشرط على
من اقطعها ان ياخذ منه حق الفي فكان مبلغ غلته خمسين الف الف درهم كان منها
صلاته وعطاياه ثم ساقها الخلفا بعده فلما كان عام الجماجم سنة ثلث وثمانين في فتنة
عبد الرحمن بن الاشعث احرق الديوان واخذ كل قوم ما يليهم واقطع عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ابن سند رمنية الاصبغ فحازمنها لنفسه الف فدان وقال وكيع عن سفين عن جابر
الجعفي عن عامر لم يقطع ابو بكر ولا عمر ولا علي رضي الله عنهم واول من اقطع القطايع عثمن رضي
الله عنه وبيعت الارضون في خلافة عثمن قال الليث بن سعد ولم يبلغنا ان عمر بن الخطاب
اقطع احدا من الناس شيا من ارض مصر الا ابن سندر فانه اقطعه ارض منية الاصبغ
فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر
قطيعة اقدم منها ولا افضل وقال الاعمش عن ابراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال
اقطع عثمن رضي الله عنه عبد الله بن مسعود في النهرين ولعمار بن ياسر استنا واقطع خبابا
وصهيبا واقطع سعد بن ابي وقاص قرية هرمز فكان عبد الله بن مسعود وسعد يعطيان
ارضهما بالثلث والربع وقال عثمن بن ابي شيبة حدثنا وكيع عن سفين عن عامر عن جابر قال
لم يقطع ابو بكر ولا عمر ولا علي واول من اقطع القطايع عثمن وبيعت الارضون في خلافة
عثمن رضي الله عنه وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن عامر قال اقطع الزبير وخباب
وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار زمان عثمن فان يكن عثمن اخطا فالذين
قبلوا منه الخطا اخطا وهم الذين اخذنا عنهم ديننا واقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
طلحة وجرير بن عبد الله والربيل بن عمرو واقطع ابا مفرز دار الفيل في عدة ممن اخذنا
عنه وانما القطايع على وجه النفل من خمس ما افا الله وكتب عمر رضي الله عنه الى عثمن بن حنيف
مع جرير بن عبد الله البجلي اما بعد فاقطع جرير بن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا

شطط

بلغ سماعا

ذلك
شطط فكتب عثمن الى عمر ان جريرا قدم علي بكتاب منك تقطعه ما يقوته فكرهت ان امضي
حتى اراجعك فيه فكتب اليه صدق جرير فانفذ ذلك وقد احسنت في موامرتي واقطع
ابا موسى الاشعري واقطع علي بن ابي طالب رحبه كردوس بن هاني واقطع سويد بن غفلة
الجعفي قال سيف عن ثابت بن هريمة عن سويد بن غفلة قال استقطعت عليا فقال اكتب هذا
ما اقطع علي سويدا ارضا لد وابه ما بين كذا الى كذا ما شا الله وذكر ابو القسم عبد الرحمن بن
عبد الله بن عبد الحكم ما اقطعه معاوية بن ابي سفين ومن بعده من الخلفا من دور مصر
فاورد شيا كثيرا وقد كانت خلايف بني امية وخلفا بني العباس يقطعون الاراضي من
ارض مصر النفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم بل يكون مال خراج ارض مصر يصرف
منه اعطية الجند وساير الكلف ويحمل ما يفضل الى بيت المال وما اقطع من الاراضي فانه بيد
من اقطعه واما منذ كانت ايام السلطان صلاح الدين يوسف الى يومنا هذا فان اراضي
مصر كلها صارت تقطع للسلطان وامرايه واجناده وارض مصر اليوم على سبعة اقسام
قسم يجري في ديوان السلطان وهذا القسم ثلاثة اقسام منه ما يجري في ديوان الوزاره
ومنه ما يجري في ديوان الخاص ومنه ما يجري في الديوان المفرد وقسم من اراضي مصر
قد اقطع للامرا والاجناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصري وقسم ثالث
جعل وقفا محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذراري واقفي
تلك الاراضي وعتقاهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجري فيه اراضي بايدي قوم ياكلونها
اما عن قيامهم بمصالح مسجد او جامع واما يكون لهم لا في مقابلة عمل وقسم خامس قد صار
ملكا يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشتري من بيت المال وقسم سادس لا يزرع
للعجز عن زراعته فترعاه المواشي او ينبت الحطب ونحوه وقسم سابع لا يشمله ما النيل فهو
قفر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت احوال الخليقه ومنه ما كان عامرا في الدهر
الاول ثم خرب وساير هذه الاقسام مذكورة اخبارها في هذا الكتاب تجدها ان انت
تاملته ان شا الله وقال ابو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الاموال في الكلام على حديث معمر
عن عبد الله بن طاوس عن ابيه طاوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادي الارض
لله ولرسوله ثم هي لكم فان قلت ما يعني بذلك قال يكون اقطاعا هذا الخبر اصل في الاقطاع
والعادي كل ارض كان لها ساكن فانقرضوا فصارت خرابا فان حكمها الى الامام قال
واما الارض التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهي عامرة لها اهل فاعطا الامام
لها يكون على وجه النفل ومن ذلك ما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الداري فانه
اعطاه ارضا بالشام من قبل ان تفتح الشام وقبل ان يملكها المسلمون فجعلها له نفلا من اموال
اهل الحرب اذا اظهر عليهم كما فعل بابنه بقيلة لما وهبها للشيباني قبل افتتاح الحيرة فامضاها

له خالد بن الوليد رضى الله عنه وكذلك امضى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتميم الدارى
لما افتتحت فلسطين ما كان النبى صلى الله عليه وسلم نفله انتهى فقد خرج ابو عبيد هذه
العطية المعلقه مخرج النفل الذى ينفله الامام بعض المقاتله وقال ابو الحسن على الماوردى
فى كتاب الاحكام السلطانية والاقطاع ضربان اقطاع استغلال واقطاع تمليك والثانى
ينقسم الى موات وعامر والثانى ضربان احدهما ما تعين مالكه فلا نظر للسلطان فيه
الا ما يتلك الارض من حق لبيت المال اذا كانت فى دار الاسلام فان كانت فى دار الحرب
حيث لم تثبت للمسلمين عليها يد فاراد الامام ان يقطعها ليملكها المقطع عند الظفر بها فانه
يجوز فقد سال تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعه عيون البلد الذى
كان منه قبل ان تفتح الشام ففعل وساله ابو ثعلبة الخشنى ان يقطعه ارضا كانت بيد الروم
فاعجبه ذلك وقال الا تسمعون ما يقول هذا فقال والذى بعثك بالحق ليفتحن عليك فكتب
له بذلك كما قال الماوردى وهكذا لو استوهب احد من الامام مالا فى دار الحرب وهو
على ملك اهلها او استوهبه شيا من سبيها او ذراريها ليكون احق به اذا افتتحت جاز وصحت
العطية منه مع الجهالة بها لتعلقها بالامور العامة وقد روى الشعبى ان خريم بن اوس الطاى
قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان فتح الله عليك الحيرة فاعطنى بنت بقيله فلما اراد خالد صلح اهل
الحيرة قال له خريم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطانى بنت بقيله فلا تدخلها فى صلحك
فشهد له بشير بن سعيد ومحمد بن مسلمة فاستثناها من الصلح ودفعها الى خريم فاشتريت
منه بالف درهم وكانت عجزت وحالت عما عهد منها فقيل له قد ارخصتها وكان اهلها يدفعون
لك اضعاف ما سالت بها فقال ما كنت اظن ان عددا يكون اكثر من الف قال الماوردى واذا
صح الاقطاع والتمليك على هذا الوجه نظر حال الفتح فان كان صلحا خلصت الارض لمقطعها
وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق وان كان الفتح عنوة كان المقطع والمستوهب
احق بما استقطعه او استوهبه من الغانمين ونظر فى الغانمين فان كانوا علموا بالاقطاع
او الهبة قبل الفتح فليس لهم المطالبة بعوض وان لم يعلموا حتى فتحوا عاوضهم الامام بما
يستطيب به نفوسهم عن غير ذلك من الغنايم وقال ابو حنيفة رحمه الله عليه لا يلزم الامام
استطابة نفوسهم عنه ولا عن غيره من الغنايم اذا راى المصلحة فى ذلك

ذكر ديوان الخراج والاموال

يقال لكتابة الخراج علم التصريف واول ما دون هذا الديوان فى الاسلام بدمشق والعراق
على ما كان عليه قبل الاسلام وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية
وديوان مصر بالقبطية فنقلت دواوين هذه الامصار الى العربية والذى نقل
ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان امير مصر فى

خلافة

خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين ونسخها بالعربية وصرف اثناس
عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من اهل حمص واول من نقل الدواوين
من الفارسيه الى العربيه الوليد بن هشام بن قحذم بن سليمن بن ذكوان وتوفى سنة
اثنتين وعشرين ومايتين والاكثرون على ان الذى نقل ديوان العراق الى العربيه صالح
ابن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان مولى لبنى سعد وهو يومئذ صاحب دواوين العراق
وذلك بعد سنه ثمانين وسبب ذلك ان صالح بن عبد الرحمن هذا كان ابوه من سبى
سجستان ومهر صالح فى الكتابة فكتب لزاذان فروخ كاتب الحجاج بن يوسف الثقفى
وخط بين يديه بالفارسية والعربية فخف على قلب الحجاج فخاف من زاذان وقال له
انت الذى ربيتنى حتى وصلت الى الامير واراه قد استخفنى ولا امن ان يقدمنى عليك
فتسقط منزلتك فقال زاذان لا تظن ذاك هو احوج الى منى اليه لانه لا يجد من يكفيه حسابه
غيرى فقال صالح والله لو شيت ان احول الحساب الى العربيه لحولته قال فحول منه اسطرا
حتى ارى ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث اليه الحجاج بطبيبه فشق ذلك على زاذان وامره
ان لا يظهر للحجاج فاتفق عقيب ذلك ان زاذان قتل فى فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث
وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله فاستكتب الحجاج بعده صالحا فاعلم الحجاج بما جرى
له مع زاذان فى نقل الديوان فاعجبه ذلك وعزم عليه فى امضايه فنقله من الفارسيه الى
العربيه وشق ذلك على الفرس وبذلوا له ماية الف درهم على ان لا يظهر النقل فابى عليهم
فقال له مردان شاه بن زاذان فروخ قطع الله اصلك من الدنيا كما قطعت اصل الفارسيه
وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب واما ديوان الشام فان
الذى نقله من الرومية الى العربية ابو ثابت سليمن بن سعد كاتب الرسايل واختلف فى وقت
نقله فقيل نقل فى خلافة عبد الملك بن مروان وقيل فى خلافة هشام بن عبد الملك وكان الذى
يكتب على ديوان الشام سرجون بن منصور النصرانى فى ايام معاوية بن ابى سفين ثم كتب
بعده ابنه منصور بن سرجون

ذكر خراج مصر فى الاسلام

اول من جبى خراج مصر فى الاسلام عمرو بن العاصى فكانت جبايته اثنى عشر الف الف دينار
بفريضه دينارين دينارين من كل رجل ثم جبا عبد الله بن سعد بن ابى سرح مصر اربعة
عشر الف الف دينار فقال عثمن بن عفان رضى الله عنه لعمرو بن العاص يا با عبد الله درت
اللقحة باكثر من درها الاول فقال اضررتم بولدها وهذا الذى جباه عمرو ثم عبد الله انما
هو من الجماجم خاصة دون الخراج وانحط خراج مصر بعدهما لنمو الفساد مع الزمان
وسريان الخراب فى اكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجبها بنو امية وخلفا بنى العباس الا
دون الثلاثة الف الف ما خلا ايام هشام بن عبد الملك فانه وصى عبد الله بن الحبحاب

عامل خراجه على مصر بالعمارة فيقال انه لم يظهر من خراج مصر بعد بنا قصة كثرة الا
في وقتين احدهما في خلافة هشام بن عبد الملك عندما ولي الخراج بمصر عبيد الله بن
الحبحاب فخرج بنفسه ومسح العامر من اراضي مصر والغامر مما يركبه ماء النيل فوجد
قانون ذلك ثلاثين الف الف فدان بسبب ارتفاع الجرف ووسخ الارض فراكها كلها
وعدلها غاية التعديل فعقدت معه اربعة الاف الف دينار هذا والسعر راخ والبلد
بغير مكس ولا ضريبة وفي سنة سبع ومايه لاول ايام هشام بن عبد الملك وضع ابن
الحبحاب بمصر طبقات معلومه منسوبه في الدواوين ولم تزل الى بعد ذهاب بني
امية ومبلغها الف الف دينار وسبع مايه الف دينار وثماني مايه وسبعة وثلاثين دينارا
منها على كور الصعيد الف دينار واربع مايه الف وتسعة واربعون الف واربعمايه وعشرون
دينارا ونصف والباقي على كور اسفل الارض ويقال ان اسامة بن زيد جباها في خلافه
سليمن بن عبد الملك مبلغ اثني عشر الف الف دينار والوقت الثاني في امارة احمد بن طولون لما
تسلمه ارض مصر من احمد بن محمد بن مدبر وقد خرب ارض مصر حتى بقي خراجها ثماني مايه
الف الف دينار فاستقصى احمد بن طولون في العمارة وبالغ فيها فعقدت معه اربعة الاف
الف دينار وثلثماية الف دينار وجباها ابنه الامير ابو الجيش خمارويه بن احمد اربعة الاف
الف دينار مع رخا الاسعار ايام اذ فانه ربما بيع في الايام الطولونيه القمح كل عشرة ارادب
بدينار وذكر ابن خرداذبه ان خراج مصر في ايام فرعون كان ستة وتسعين الف الف دينار
وان ابن الحبحاب جباها الفي الف وسبعماية الف وثلاثه وعشرين الفا وثماني مايه وتسعة
وثلاثين دينارا وهذا وهم منه فان هذا القدر هو ما حمل الى بيت المال بدمشق بعد اعطية
اهل مصر وكلفها قال وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمي الفي الف ومايه الف وثمانين الف دينارا
يعني بعد العطا والمون وساير الكلف قال وكان خراج مصر اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا
وعشرة اصابع اربعة الاف الف دينار ومايتي الف وسبعة وخمسين الف دينار والمقبوض عن
الفدان دينارين في خلافة المامون وغيره وبلغ خراج مصر في ايام الامير ابي بكر محمد طغج الا
اول من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديرا عجز فيه المرتب عن الارتفاع
مايتي الف دينار فقال له الاخشيد كيف نعمل قال حط من الجرايات والارزاق فليس هولا
اولى من الواجب فقال غدا تجيني وتدبر هذا فلما اتاه من الغد قال له الاخشيد قد فكرت
فيما قلت فاذا اصحاب الرواتب ضعفا وفيهم المستورون وابنا النعم ولست اخذ هذا
النقص الا منك فقال ابن كلا سبحان الله فقال تسبيحا وما زال به الاخشيد حتى اخذ خطه
بالقيام بذلك فعوتب على ما صنعه فقال يا قوم اسمعوا ايش كان يعمل معي احمد بن محمد الماذراني
فقال له ما بيني وبين السلطان معامله ولا للاخشيد على طريق وهذه هديه عشرة الاف
دينار

دينار للاخشيد والف دينار لك فجاني وقال لك قبل ابن الماذراني مطالبة قلت لا فقال لي
هذه الف دينار قد جاتك على وجه الما فاعطاني الفا واخذ عشرة الاف دينار واهدى لي
محمد بن علي الماذراني في وقت عشرين الف دينار على يده فاستقللتها فلما اجتمعنا عاتبته
فقال لي ارسلت اليك مايه الف دينار ولابن كلا كاتبك عشرين الف دينار فاخذ المايه
واعطاني العشرين الفا فذكرت قول محمد بن علي له فقال ما ابرد هذا حفظت لك المايه الى
وقت حاجتك تريدها خذها وانا اعلم انك تتلفها وبلغت الرواتب في ايام كافور الاخشيدي
خمسماية الف دينار في السنة لارباب النعم والمستورين واجناس الناس ليس فيهم احد من
الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الاعمال فحسن له علي بن صالح الروذباري
الكاتب ان يوفر من مال الرواتب شيا ينقصه من ارزاق الناس فساعة جلس يعمل ذلك
حكه جبينه فحكه بقلمه والحكاك يزيد به الى ان قطع العمل وقام لما به فعولج جبينه بالحديد
حتى مات في رمضان سنه تسع واربعين وثلثمايه وهذه موعظة من الله تعالى لمن
توسط للناس بالسو قال تعالى ولا يحيق المكر السيي الا باهله ولما مات كافور نزلت محن
شديده كثيرة بمصر من الغلا والغنا والفتن فاتضع خراجها وقدم جوهر القايد من
بلاد المغرب بعساكر مولاه المعز لدين الله ابي تميم معد فجبى الخراج لسنة ثمان وخمسين
وثلثماية ثلاثه الاف الف دينار ومايتي الف دينار وجباها في سنه تسع وخمسين وثلثمايه
ثلاثه الاف الف واربعماية الف دينار ونيف وامر الوزير الناصر الدين ابو الحسن عبد الرحمن
اليازوري وزير مصر في خلافة المستنصر بالله ابن الظاهر ان يعمل قدر ارتفاع الدوله
وما عليها من النفقات فعمل ارباب كل ديوان ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لمتولي ديوان
المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعا واتاه به فوجد ارتفاع الدوله الفي الف
دينار منها الشام الف الف دينار ونفقاته بازا ارتفاعه والريف وباقي الدوله الف الف
دينار وقال القاضي ابو الحسن في كتاب المنهاج في علم الخراج وقفت على مقايسه عملت لامير
الجيوش بدر الجمالي حين قدم مصر في ايام الخليفه المستنصر وغلب على امرها وقهر من كان
بها من المفسدين شرح فيها ان الذي اشتمل عليه الارتفاع في الهلالي لسنة ثلاث وثمانين
واربعمايه وفي الخراجي على ما يقتضيه الديوان فيه مما كان جاريا في الاعمال المصريه من الخراج
وما يجري معه والمضمون والمقطع والمورد بغيره والمحلول بالقاهره ومصر وضواحيها
وناحيتي الشرقية والغربيه من اسفل الارض واعمالها وتنيس ودمياط وما معهما والاسكندريه
والبحيره والاعمال الصعيديه العاليه والدانيه وواحات وعيذاب لسنة ثمانين واربع
مايه الخراجيه على الرسوم المصريه وما كان من الاعمال الشاميه لما اولها من حد الشجرتين
وهو اول الاعمال الفلسطينيه والاعمال الطرابلسيه ولسنة ثمان وسبعين واربع مايه

الخراجيه على ما استقرت عليه الجمله عينا ثلاثه الاف الف ومائة الف دينار وان
الذى استقرت عليه جملة ما كان يستادى فى سنة ست وستين واربع مايه الهلاليه قبل
نظر امير الجيوش الموافقه لسنه ثلاث وستين واربع مايه الخراجيه وكان مبلغها الفى
الف وثمانى مائة الف دينار فكان الزايد للسنة الجيوشيه عما قبلها ثلثمائة الف دينار مما
اعرب عنه حسن العماره وشمول العدل وكان نظر هذه المقايسه فى ذى الحجه سنة ثلاث
وثمانين واربع مايه وذكر ابن ميسر ان الافضل ابن امير الجيوش امر بعمل تقدير ارتفاع ديار
مصر فجا خمسة الاف الف دينار وذكر القاضى الفاضل فى متاوماته ان عبرة البلاد من اسكندرية
الى عيذاب لسنة خمس وثمانين وخمس مائة خارجا عن الثغور وابواب الاموال الديوانيه
وعده نواحى اربعة الاف الف وستمائة الف وثلاثة وخمسون الفا وتسعة عشر دينارا
وسبب ابضاع خراج مصر بعد ما بلغ مع الروم فى اخر سنه ملكوا مصر قبل فتح مصر عشرين
الف الف دينار ان الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق فى كلف عمارة الارض فانها تحتاج ان
ينفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه واخر ما اعتبر حال ارض مصر فوجد مدة حرثها
ستين يوما ومساحة ارضها مائة الف الف وثمانين الف الف فدان يزرع منها فى مباشرة
ابن مدبر اربعة وعشرون الف الف فدان وانه لا يتم خراجها حتى يكون فيها اربعمائة الف
وثمانين الف حراث يلزمون العمل فيها دايما فاذا اقيم لها هذا القدر من العمال فى الارض
تمت عمارتها وكمل خراجها واخر ما كان لها مائة الف وعشرين الف مزارع فى الصعيد سبعين
الفا وفى اسفل الارض خمسين الفا وقد تغير الان جميع ما كان لها من الاوضاع القديمة
واختلت اختلالا فاحشا **ذكر اصناف اراضى مصر واقسام زراعتها**
اعلم ان اراضى مصر عدة اصناف اعلاها قيمة واوفاها سعرا واغلاها قطيعه الباق وهو
اثر القرط والمقاثى فانه يصلح لزراعة القمح وبعد الباق ريّ الشراقى وهو الارض التى ظميت
فى الخالية فلما رويت فى الاتيه وكانت مستريحة من الزرع ثم زرعت انجب زرعها والبرايب
وهو اثر القمح والشعير وسعرها دون الباق لضعف الارض بزراعة هذين الصنفين
زرعت على اثر احدهما لم ينجب كنجابة الباق والبرايب صالح لزراعة القرط والقطانى
والمقاثى فان الارض تستريح بزراعة هذه الاصناف وتصير فى القابلة ارض باق والبقماهيه
اثر الكتان فان زرعت قمحا حسن والشتونيه اثر ما روى وبار فى السنة الماضية وهو دون
الشراقى والسلايح ما روى وبار فحرث وتعطل وهو مثل رى الشراقى فان زرعه يكون نجابة
والنقا كل ارض خلت من اثر ما زرع فيها ولم يبق لها شاغل عن قبول ما يزرع فيها من
اصناف الزراعات والوسخ كل ارض لم يستحكم وسخها ولم يقدر الزارعون على ازاحته
كله منها بل حرثوا وزرعوا فيها فجا زرعها مختلطا بالحلفاه ونحوها والغالب كل ارض حصل

فيها

فيها نبات شغلها عن قبول الزراعة ومنع كرته من زراعتها وصارت مراع والخرس
كل ارض فسدت بما استحكم فيها من موانع قبول الزرع وكانت بها مراعى وهو اشد
من الوسخ الغالب واداد من على ازالة ما فيها من الموانع تهيا اصلاحها والشراقى كل
ارض لم يصل اليها الما اما لقصور ما النيل وعلو الارض ولسد طريق الما عنها او
غير ذلك والمستبحر كل ارض وطية حصل لها الما ولم تجد مصرفا حتى فات اوان الزرع
وهو باق فى الارض والسباخ كل ارض غلب عليها الملح حتى ملحت ولم ينتفع بها فى زراعة
الحبوب وربما زرعت ما لم يستحكم السباخ فيها غير الحبوب كالهليون والباذنجان
ويزرع فيها القصب الفارسى ومما لا غنا لاراضى مصر عنه الجسور وهى على قسمين
سلطانيه وبلديه فالجسور السلطانيه هى العامة النفع فى حفظ النيل على البلاد كافة
الى حين يستغنا عنه ولها رسوم موظفه على الاعمال الشرقيه والاعمال الغربيه
وكانت فى القديم تحمل من اموال النواحى ويتولى عملها متقبلوا الاراضى ويعتد لهم بما
صرف عليها مما عليهم من قبالات الاراضى ثم صار بعد ذلك يستخرج برسم عملها من
هذين العملين مال بايدى المستخدمين من الديوان ويصرف عليها ويفضل من المال
بقية تحمل الى بيت المال ثم صار يتولى ذلك اعيان امرا الدولة الى ان حدثت الحوادث
فى ايام الناصر فرج فصار تجبى من البلاد مال عظيم ولا يصرف منه شى البتة بل
يرفع الى السلطان ويتفرق كثير منه بايدى الاعوان ويسخر اهل البلاد فى عمل الجسور
فهى فى غاية الخلل كما ستقف عليه ان شا الله عند ذكر اسباب الخراب واما الجسور البلدية
فانها عبارة عما يخص نفعها ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون من
اموال الناحية ويحل الجسور السلطانية من القرى محل سور المدينه الذى يتعين على
السلطان الاهتمام بعمارته وكفاية الرعيه امره ويحل الجسور البلديه محل الدور التى
من داخل سور المدينه فيلزم صاحب كل دار ان يصلحها ويزيل ضررها ومن العادة
ان المقطع اذا انفصل وكان قد انفق شيا من مال اقطاعه فى اقامة جسر لاجل عمارة السنة
التى انتقل الاقطاع عنه فيها فان له ان يستعيد من المقطع الثانى نظير ما انفقه من مال
سنته فى عمارة سنة غيره واصلح ما زرع القمح فى اثر الباق والشراقى وكان يزرع بالصعيد
القمح على اثر القمح لكثرة الطرح وربما زرع هناك على اثر الكتان والشعير ويزرع القمح من نصف
شهر بابه الى اخر هتور وهذا فى العوالى من الارض التى تخرج بدريا واما البحاير
الناخرة فيمتد وقت الزرع فيها الى اخر شهر كيهك ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد
من بذر القمح يختلف بحسب قوة الارض ورقتها وتوسطها وما يزرع فى اللونى وما
يزرع فى الحرث واكثر البذر من اردب الى خمس ويبات واربع ويبات ايضا ويوجد

فى الصعيد اراضى تحتمل دون هذا وفى حوف رمسيس اراضى يكفى الفدان منها نحو الوسقين
ويدرك الزرع بمصر فى شهر بشنس وهو نيسان ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب
الارض فيرى من اردبين الى عشرين اردبا وقال ابو بكر بن وحشيه فى كتاب الفلاحه
النبطيه وذكر ان فى مصر اذا زرعوا الخروج من المدى لمثماية مدى والعلة فى ذلك حران
هوا بلادهم مع سمن ارضهم وكثرة لدونة ما النيل ولما كان فى سنة ست وثمانى مايه
اخبر الماعن قطعه ارض من بركة الفيوم التى يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت وجا
زرعها عجيبا رى الفدان منها احد وسبعين اردبا من شعير بكيل الفيوم وارد بها
تسع ويبات وكانت قطيعة الفدان القمح ببلاد الصعيد فى الايام الفاطميه ثلاثه اراد ب
فلما مسحت البلاد فى سنة اثنين وسبعين وخمسماية تقرر على كل فدان اردبين ونصفا
ثم صار يوخذ عن الفدان اردبين واما اراضى اسفل الارض فيوخذ عنها عين لا غله
ويزرع الشعير فى اثر القمح وغيره فى الارض التى غرقت وهى رطبة ويتقدم زراعته
على زراعة القمح بايام وكذلك حصاده فانه يحصد قبل القمح ويحتاج الفدان منه ان يبذر
فيه بحسب الارض ويخرج اكثر من القمح ويكون ادراكه فى شهر برموده وهو اذار
ونيسان ويزرع الفول فى الحراث اثر البرابي من اول شهر بابه ويوكل وهو اخضر
فى شهر كيهك ويحتاج الفدان من البدار الى ثلث ويبات ونحوها ويدرك فى شهر
برموده ويتحصل من فدانه ما بين عشرين اردبا الى ما دون ذلك ويزرع العدس
والحمص من شهر هتور الى كيهك والجلبان لا يزرع الا فى ارق الاراضى حرثا من الارض
العالية ويزرع تلويقا فى الاراضى الخرس ويبذر فى كل فدان من الحمص من اردب الى
ثمانى ويبات ومن الجلبان من اردب الى اربع ويبات ومن العدس من ويبتين الى ما
دونهما وتدرك هذه الاصناف من برموده ويتحصل من الفدان الحمص من اربعه
اراد ب الى عشرة اراد ب ومن الجلبان من عشرة اراد ب الى ما دونها والعدس من عشرين
اردبا الى ما دونها واجب ما يكون الكتان اذا زرع فى البرش ويحتاج ان يسبخ بتراب
سبخ وهو اذا طال رقد ويقلع قضبانا ويسمى حينيذ اسلافا ويطرح فى موضعه حتى
يجف فاذا جف حمل وهدر وعزل جوزه فيخرج منه بزر الكتان ويستخرج منه الزيت
الحار ويزرع الكتان فى شهر هتور ويحتاج الفدان ان يبذر فيه من البزر ما بين اردب
وثلث الى ما دون ذلك ويدرك فى شهر برموده ويخرج من الفدان ما بين ثلاثين شدة
الى ما دون ذلك ومن البزر من ستة اراد ب الى ما دونها وكانت قطيعة الفدان
منه فى القديم بارض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلاثه وفى دلاص ثلاثه عشر
دينارا وفيما عدا ذلك ثلاثة دنانير ويزرع القرط عند اخذ ما النيل فى النقصان ولا يمنع

تاخير

تاخير زرعه الى اوان هبوب ريح الجنوب التى يقال لها الريح المريسيه واول ما يبذر فى
شهر بابه وربما زرع بعد النوروز والحراثى منه يزرع فى كيهك وطوبه وزرع احيانا
فى هتور ويبذر فى كل فدان من ويبتين ونصف الى ما حولها ويدرك الاخضر منه فى
اخر شهر كيهك ويدرك الحراثى فى طوبه وامشير ويتحصل من الفدان الحراثى ما بين اردب
الى اربع ويبات ويزرع البصل والثوم من شهر هتور الى نصف كيهك ويبذر فى الفدان
البصل من نصف وربع ويبه الى ويبه والثوم من ماية حزمه الى ماية وخمسين حزمه
ويدرك ذلك فى شهر برموده والبصل الذى يخرج ليزرع زريعة فانه يزرع من اول
كيهك الى اخر العاشر من طوبه ويخرج من زريعته عشرة اراد ب من الفدان ويدرك
فى شهر بشنس ويزرع الترمس فى طوبه وزريعته لكل فدان اردب ويدرك فى برموده ٥
ويتحصل من الفدان ما بين عشرين اردبا الى ما دونها وهذه هى الاصناف الشتويه
واما الاصناف الصيفيه فان البطيخ واللوبيا يزرعان من نصف برمهات الى نصف
برموده ويزرع فى الفدان قدحان ويدرك فى بشنس ويزرع السمسم فى شهر برموده
وزريعته ربع ويبه للفدان ويدرك فى ابيب ومسرى ويتحصل من الفدان ما بين
اردب الى ستة اراد ب ويزرع القطن فى برموده وزريعته اربع ويبات حب
للفدان ويدرك فى توت فيخرج من الفدان من ثمانية قناطير قطن بالجروى الى ما دونها
ويزرع قصب السكر من نصف برمهات فى اثر الباقى والبرش وتبرش ارضه سبع
سكك واجبه ما كان له ثلاث عزقات قبل انقضا شهر بشنس ومقدار زريعته ثمن
فدان وما حوله لكل فدان ويحتاج القصب الى ارض جيدة دمثه قد شملها الرى وعلاها
ما النيل وقلع ما بها من الحلفاه ونظفت ثم برشت بالمقلقلات وهى محاريث كبار ستة
وجوه ويجرف حتى تتمهد ثم تبرش ستة وجوه اخرى وتجرف ومعنى البرش الحرث
فاذا صلحت الارض وطابت ونعمت وصارت ترابا ناعما وتساوت بالتجريف شقت
حينيذ بالمقلقلات ويرمى فيها القصب قطعتين جفتاه وقطعه مفرده بعد ان يجعل
الارض احواضا ويفرز لها جداول يصل الما منها الى الاحواض ويكون طول كل قطعة
من القصب ثلاث انابيب كوامل وبعض انبوبة من اعلا القطعة وبعض اخرى من اسفلها
ويختار ما قصرت انابيبه وكثرت عيونه من القصب ويقال لهذا الفعل النصب
فاذا كمل نصب القصب اعيد التراب عليه ولا بد فى النصب ان تكون القطعة ملقاة
لا قايمة ثم يسقى من حين نصبه فى اول فصل الربيع لكل سبعة ايام مرة فاذا نبت
القصب وصار اوراقا ظاهرة نبت معه الحلفاه والبقله الحمقا التى يسميها اهل مصر
الرجله فعند ذلك تعزق ارضه ومعنى العزاق ان تنكش ارض القصب وتنظف ما

ينبت مع القصب ولا تزال تتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثف
فيقال عند ذلك طرد القصب عزاقه فانه لا يمكن عزاق الارض ولا يكون هذا
حتى يبرز الانبوب منه ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرين ماً والعادة
ان الذى ينصب من الاقصاب على كل محال بحرانى اى مجاور للبحر اذا كانت مزاحة
العلة بالابقار الجياد مع قرب رشا الابار ثمانية افدنة ويحتاج الى ثمانية ارؤس
بقر فان كانت الابار بعيدة عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ ان تقوم المحالة باكثر من
ستة افدنه الى اربعة افدنه فاذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ما الراحة
وصفة ذلك انه يقطع عليه من جانب جسر يكون قد ادير عليه ليقيه من الغرق
عند ارتفاع الما بالزيادة فيدخل الما من ثلمه فى ذلك الجسر حتى يعلو على ارض القصب
نحو شبر ثم يسد عنه الما حتى لا يصل اليه ويترك الما فوق الارض قدر ساعتين او
ثلاث الى ان يسخن ثم يصرف من جانب اخر حتى ينصب كله ويجدد عليه ما اخر كذلك
فيتعاهد ما ذكرنا مرارا فى ايام متفرقة بعدد معلوم ثم يقطع بعد ذلك فاذا عمل ما
قلنا وفى القصب حقه فان نقص عن ذلك حصل فيه الخلل ولا بد للقصب من القطران
قبل ان يحلو حتى لا يسوس ويكسر القصب فى شهر كيهك ولا بد من حرق اثار القصب
بالنار ثم سقيه وعزقه كما تقدم فينبت قصبا يقال له الخلفه ويسمى الاول الراس
وقنود الخلفه اجود غالبا من قنود الراس ووقت ادراك الراس فى طوبه والخلفه فى
نصف هتور وغاية ادارة معاصر القصب الى النوروز ويتحصل من الفدان القصب
ما بين اربعين ابلوجة قند الى ثمانين ابلوجة والابلوجة تسع قنطارا فما حوله ٥
ويزرع القلقاس مع القصب ولكل فدان عشرة قناطير قلقاس جرويه ويدرك فى
هتور ويزرع الباذنجان فى برمهات وبرموده وبشنس وبوونه ويدرك من بوونه
الى مسرى وتزرع النيلة من بشنس والزريعة للفدان ويبه وتدرك من ابيب
ويزرع الفجل طول السنة وزريعة الفدان من قدح واحد الى قدحين ويزرع اللفت
من ابيب وزريعة الفدان قدح واحد ويدرك بعد اربعين يوما ويزرع الخس فى طوبه
شتلا ويوكل بعد شهرين ويزرع الكرنب فى توت شتلا ويدرك فى هتور ويغرس الكرم
فى امشير نقلا وتحويلا ويغرس التين والتفاح فى امشير وينقل التوت فى برمهات
ويغرس ويحول اللوز والخوخ والمشمش فى ما طوبة ثلاثة ايام وهى قضبان ثم تغرس و
شجرها فى طوبة ويزرع نوى التمر ثم يحول ويدفن بصل النرجس فى مسرى
ويزرع الياسمين فى ايام النسى وفى امشير ويزرع المرسين فى طوبة وامشير غرسا
ويزرع الريحان فى برموده ويزرع حب المنثور فى ايام النيل ويزرع الموز الشتوى

طوبه والصيفى فى امشير ويحول الخيار شنبر فى برمهات وينقل الكروم على رى الشمال الى
ايام من برمهات حتى يخرج العين منها وينقل الاشجار فى طوبة وامشير الا السدر
وهو شجر النبق فانه ينقل فى برموده وتسقى الاشجار فى طوبة ما واحدا ويسمونه ما
الحياه وتسقى فى امشير ما ثانيا عند خروج الزهر وتسقى فى برمهات ما اخر بين الى
ان ينعقد الثمر ويسقى فى بشنس ثلاث مياه وتسقى فى بوونه وابيب ومسرى ما فى كل
سبعة ايام وتسقى فى توت وبابة مرة واحده تغريقا من ما النيل وتسقى فى هتور من
ما النيل تغريق المصاطب وتسقى الكرم البعل فى هتور من ما النيل مرة واحدة تغريقا
وجميع ارض مصر تقاس بالفدان وهو اربع ماية قصبة حاكميه طولا فى عرض قصبة
واحدة والقصبة ستة اذرع وثلثا ذراع بذراع القماش وخمسة اذرع بذراع
النجار تقريبا والله اعلم **ذكر اقسام مال مصر** اعلم ان مال
السلطان بمصر فى زمننا ينقسم قسمين احدهما يقال له خراجى والاخر يقال له هلالى
فالمال الخراجى ما يوخذ مسانهة من الاراضى التى تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة
وما يوخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج وطرف الريف والمال الهلالى
عدة ابواب كلها احدثها ولاة السو شيا بعد شى واصل ذلك فى الاسلام ان امير المومنين
عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه ان تجارا من المسلمين ياتون ارض الهند فيوخذ
منهم العشر فكتب الى ابى موسى الاشعرى وهو على البصرة ان خذ من كل تاجر يمر
بك من المسلمين من كل مايتى درهم خمسة دراهم وخذ من تجار العهد يعنى اهل الذمه من
كل عشرين درهما درهما ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم درهما وقيل لابن عمر
الا ان عمر ياخذ من المسلمين العشر قال لا ونهى عمر بن عبد العزيز عن ذلك وكتب ضعوا
عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه البخس واول من وضع على الحوانيت
الخراج فى الاسلام امير المومنين المهدى ابو عبد الله محمد بن ابى جعفر المنصور فى سنه
سبع وستين وماية وولى ذلك سعيد الحرشى واول من احدث مالا سوى مال
الخراج بمصر احمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراج مصر بعد سنه خمسين ومايتين فانه
كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب فابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرة من
بعده فاحاط بالنطرون وحجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على الكلا الذى
ترعاه البهايم مالا وسماه المراعى وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصايد
الى غير ذلك فانقسم من حينيذ مال مصر الى خراجى وهلالى وعرف المال الهلالى
لعهديد بالمرافق والمعاون فلما ولى الامير ابو العباس احمد بن طولون الخراج بمصر
مع الحرب بها واضيفت اليه الثغور الشاميه تنزه عن ادناس المعاون والمرافق

وكتب باسقاطها في جميع اعماله وكانت تبلغ بمصر خاصة ماية الف دينار في كل سنة
ولذلك خبر فيه معتبر قد ذكرته في اخبار الجامع الطولوني من هذا الكتاب ثم اعيدت
الاموال الهلالية في اثنا الدولة الفاطميه عند ماضعفت وصارت تعرف بالمكوس
واحدها مكس فلما استبد السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب
ابن شاذي بملك مصر امر باسقاط مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه القاضي الفاضل
عبد الرحيم مرسوما بذلك وكان جملة ذلك في كل سنة ماية الف دينار بتفصيلها مكس
البهار وعمالته ثلاثه وثلاثون الف وثلثماية واربعة وستون دينارا مكس البضايع
القوافل وعمالتها تسعة الاف وثلثماية وخمسون دينارا سفلت الصناعة عن مكس
البز الوارد اليها والنحاس والقصدير والمرجان والمفاضلات خمسة الاف وماية
ثلاثة وتسعون دينارا الصادر عن الصناعة بمصر ستة الاف وستماية ستة
وستون دينارا سمسرة التمر ثلثماية دينار الفندق بالمنيه عن مكس البضايع ثمانماية
وستة وخمسون دينارا رسوم دار العيد ثلاثه الاف وماية وثمانية دنانير رسوم
الخشب الطويل والملح ست ماية وستة وسبعون دينارا رسوم الغلت المنسوبة الى
بلبيس والبوري ماية دينار رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره مايتان
وسبعة عشر دينارا ختمه ارمنت عن الوارد اليها سبعة وستون دينارا فندق
القطن الفادي دينار سوق الغنم بالقاهره ومصر والسمسرة وعبور الاغنام بالجيزة
ثلاثة الاف وثلث ماية واحد عشر دينارا عبور الاغنام والكتان والابقار رباب
القنطرة الف ومايتا دينار واجب مايرد من الكتان الحطب الى الصناعة مايتا
دينار رسوم واجب الغلات كالحبوب الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والجسر
والتبانين ومغالت جزيرة الذهب وطوه وسر الدرج ستة الاف دينار مكس مايرد
الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون دينارا الاغنام البيتوتيه اثنا عشر دينارا منفلت الفيوم
العرصة والسرسناوي بالجيزة ومكس الاغنام ماية وتسعون دينارا
عما يرد من الكتان من القبلة ومن البضايع الواردة من الفيوم وغيره اربعة الاف
وماية وستون دينارا مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مايتا دينار
الحفنه بساحل الغله والاقوات والرسايل سبع مايه وثمانية وستون دينارا فلت
العريف بالصناعة الصادرة مايتا دينار دار التفاح والرطب بمصر والعرصه
بالقاهره الف وسبعماية دينار رسم ابن الملحي مايتا دينار دار الجبن الف دينار
مشارفه الجزارين مايتان واربعون دينارا واجب الحلي الوارد من الوجه البحري
والقطن الف وعشرون دينارا رسم سمسرة الصفا الف ومايتا دينار منفلت الصعيد

مايه

ماية واحد وستون دينارا خاتم الشرب والدبيقي الف وخمسماية دينار مكس الصوف
مايتا دينار نصف المورده بساحل المقس اربعة عشر دينارا دكة السمسار ثلث ماية
وخمسون دينارا فلت التعريف بالصناعه وجملة البهار والبضايع مايتان وستة
عشر دينارا الحلفا الوارده من القبلة ماية وخمسة وثلاثون دينارا الوتد والشرقيه
والطعم بدار التفاح ومنفلت القبلة بالتبانين والجسر خمسة وثلاثون دينارا رسوم
الصفا والحمرا ورسوم دار الكتان ستون دينارا حماية الغلات بالمقس ودار الجبن ماية
واربعون دينارا الحلفا الواردة على الجسر ومعدية انعاس ماية دينار خمس البرنيه
بالجيزة عشرون دينارا تل التعريف بالصناعه ثمانية وعشرون دينارا منفلت
الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنانير رسوم الحمام بساحل الغله خمس ماية
واربعة وثلاثون دينارا واجب الحنا الوارد في البرنمان ماية دينار واجب الحلفا
والقضاب ثلاثه وستون دينارا مكس مايرد من البضايع الى المنية ماية واربعة
وثمانون دينارا مسلحة شطنوف والبرانيه مايتا دينار سوق السكر بمصر خمسون
دينارا رسوم سمة الجلي بالشارع وسوق وردان تسعة عشر دينارا واجب الفحم
الوارد الى القاهرة عشرة دنانير تعدية الجسر بالجيزه ماية وعشرون دينارا
سمة البقري اربعون دينارا السمة بدار الدباغ تسعة عشر دينارا سمسرة الخنس
الجيوشي ثلث ماية واثني عشر دينارا دكاكين الدهن ومعصرة السيرج والخل الحامض
بالقاهرة خمس ماية دينار الخل الحامض وما معه اربع ماية وخمسة دنانير بيوت
الغزل والمصطبه ثلث ماية وخمسون دينارا ذبايح الابقار الف دينار سوق السمك
بالقاهره ومصر الف ومايتا دينار رسوم الدلاله ثلث ماية دينار سمسرة الكتان
ثلث ماية دينار رسوم حماية الصناعتين اربع ماية دينار مربعة العسل مايتان
واثنان وثلاثون دينارا معادي جزيرة الذهب وغيرها ثلاث ماية دينار رحا تم
الشمع بالقاهرة ثلث ماية وستون دينارا زريبة الذبيحه سبع ماية دينار معدية
انعاس وانبابه مايتا دينار حولة السلح ثلاث ماية وثلاثون دينارا مكس دكة الدباغ
ثمان ماية دينار سوق الرقيق خمس مايه دينار معمل الطبري مايتان واربعون دينارا
سوق بوبه ثمان ماية واربعة وستون دينارا ذبايح الضان بالجيزه ورسوم
ساحل السنط عشرة دنانير خ السمك خمسة دنانير تنور الشوى مايتا دينار نصف
الرطل من مطابخ السكر ماية وخمسة وثلاثون دينارا خاتم الحلي ماية وعشرون دينارا
سوق الدواب بالقاهره ومصر اربع مايه دينار سوق الجمال مايتان وخمسون
دينارا قبان الحنا ثلاثون دينارا واجب طاقات الادم ستة وثلاثون دينارا

منفلت الخام بالقشاشين ثلاثه وثلاثون دينارا المولة للعصار اربعون دينارا
اعوان المراكب المنشاة والخضر والحلفاستة وثلاثون دينارا بيوت الفروج ثلاثون
دينارا الشعر والطارات اربعة دنانير رسوم الصبغ والحرير ثلاث مائة واربعة
وثلاثون دينارا وزن الطفل مايه واربعون دينارا معمل المزر اربعة وثمانون دينارا
الفاخوريات بالقاهرة ومصر مايتان وسته وثلاثون دينارا وذكر ابن ابي طي ان
الذي اسقطه السلطان صلاح الدين والذي سامح به لعده سنين اخرها سنة اربع
وستين وخمس مايه مبلغه عن نيف الف الف دينار والف الف اردب سامح بذلك
وابطله من الدواوين واسقطه من المعاملين فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمن
ابن صلاح الدين يوسف اعاد المكوس وزاد في شناعتها قال القاضي الفاضل في
متجددات سنه تسعين وخمس مايه وكان قد تتابع في شعبان اهل مصر والقاهرة
في اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحة اهل الامر والنهي لها وتفاحش الامر فيها
الى ان غلا سعر العنب لكثرة من يعصره واقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن حشيش
البزر وافردت برسمه وحميت بيوت المزر واقيمت عليها الضرايب الثقيله فمنها ما
انتهى امره في كل يوم الى ستة عشر دينارا ومنع المزر البيوتي ليتوفر الشرا من بيوت
الحمى وحملت اواني الخمر على رووس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل
عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت
ميسورها وقال في متجددات سنه اثنتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف
وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم والى ان تمحل في بعض الاوقات لاكلها لبعض ما
يتبلغ به من خبز وكثر ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع ووقف الحال فيما ينفق في دار السلطان
وفيما يصرف الى عياله وفيما يقتات به اولاده وما يغصب من اربابه وافضى هذا
الى غلا الاسعار فان المتعيشين من ارباب الدكاكين يزيد وفي اسعار الماكولات
العامة بمقدار ما يوخذ منهم للدار السلطانية فافضى ذلك الى النظر في المكاسب
الخبيثه وضمن باب المزر والخمر باثني عشر الف دينار وفسح في اظهار منكره والاعلان
به والبيع له في القاعات والحوانيت مع قرب استهلال رجب وما استطاع احد من
العامة الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما ينفرد السلطان به
لنفقته وطعامه واستقل مال الثغور ومال الجوالي الحلال الطيب الى ان يصير حوالات
لمن لا يبالي من اين اخذ المال ولا يفرق بين الحلال والحلال وفي شهر رمضان غلا الحرام
سعر الاعناب لكثرة العصير منها وتظاهر به اربابه لتحكير تضمينه السلطان في
واستيفا رسمه بايدي مستخدميه وبلغ ضمانه سبعة عشر الف دينار وحصل

منه

منه شي حمل اليه فبلغني انه صنع به الات للشرب ذهبيات وفضيات وكثر اجتماع
النسا والرجال في شهر رمضان لا سيما في الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد الما وتلقيت
معه النيل بمعاصي نسال الله الا يواخذنا بها وان لا يعاقبنا بجراة اهلها ولما جامع
السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين ايبك التركماني الصالحي بمملكه مصر
في سنة خمسين وستماية بعد انقراض دولة بني ايوب استوزر شخصا من نظار
الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفايزي احد كتاب الاقباط
وكان قد اظهر الاسلام من ايام الملك الكامل محمد وترقى في خدم الكتابه فقرر في
وزارته اموالا على التجار وذوي اليسار وارباب العقار ورتب مكوسا وضمانات
سموها حقوقا ومعاملات ولما ولي الملك المظفر سيف الدين قطز مملكة مصر
بعد خلعه الملك المنصور علي بن المعز ايبك احدث عند سفره الذي قتل فيه مظالم
كثيره لاجل جمع المال وصرفه في الحركه لقتال جموع الططر منها تصقيع الاملاك وتقويمها
وزكاتها واحدث على كل انسان دينارا يوخذ منه واخذ ثلث التركات الاهلية فبلغ
ذلك ستماية الف دينار في كل سنه فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس
بعده على سرير الملك بقلعة الجبل ابطل ذلك جميعه وكتب به مسامح قريت على المنابر
ثم ابطل ضمان المزر وجهاته في سنه اثنين وستين وستمايه وكتب وهو بالشام الى الامير
عز الدين الحلي نايب السلطنة بمصر ان يبطل بيوت المزر ويعفي اثاره ويخرب بيوته
ويكسر مواعينه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض الصالحين حدث معي في ذلك
وقال القمح الذي جعله الله تعالى قوت العالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى
بابطاله ومن ترك شيا لله عوضه الله خيرا منه ومن كانت له على هذه الجهة شي نعوضه
من مال الله الحلال فابطل الحلي ذلك وعوض المقطعين عليه بدله وفي سنة ثلاث وستين
ابطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جمله مستكثره وكتب بذلك توقيعا وابطل
من اعمال الدقهليه والمرتاحيه عن رسوم الولايه اربعة وعشرين الف وفي خامس
عشرين رمضان سنه اثنين وستين وستمايه قري بجامع مصر مكتوب بابطال ما
قرر على رسوم ولاية مصر من الرسوم وهي ماية الف درهم واربعة الاف درهم
نقره فبطل ذلك وابطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين وستمايه
وامر باراقة الخمور وابطال المنكرات وتعفية بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطي
بجميع اقطار مملكة مصر والشام فطهرت من ذلك البقاع ولما وردت المراسيم بذلك
على القاضي ناصر الدين احمد بن المنير قال ليس لابليس عندنا ارب غير بلاد الامير ماواه
حرمته الخمر والحشيش معا   حرمته ماه ومرعاه

وقال ابو الحسين الجزار

قد عطل الكوب من حبابه   واخلى الثغر من رضابه
واصبح الشيخ وهو يبكى   على الذى فات من شبابه

وفى سابع عشر ذى الحجه سنة تسع وستين وستمايه ارتفعت الخمور وابطل ضمانها وكان
كل يوم الف دينار وكتب توقيع بذلك قرى على المنابر وفى تاسع جمادى الاخره سنه
ست وستين وستمايه امر الملك الظاهر بيبرس باراقة الخمور وابطال الفساد ومنع النسا
الخواطى من التعرض للبغا من جميع القاهرة ومصر وساير الاعمال المصرية فتطهرت
ارض مصر من هذا المنكر ونهبت الخانات التى كانت مُعدة لذلك وسلب اهلها جميع ما
كان لهم ونفى بعضهم وحبست النسا حتى يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بمثل ذلك وحط
المال المقرر على البغايا من الديوان وعوض الحاشيه من جهات حل بنظيره وافتتح سنه
سبعين باراقة الخمور والتشدد فى ازالة المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهره وبلغه
فى سنة اربع وسبعين عن الطواشى شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز وكان قد
تمكن منه تمكنا كثيرا انه يشرب الخمر فشنقه تحت قلعة الجبل ولما ولى الملك المنصور سيف
الدين قلاون الالفى مملكة مصر ابطل زكاة الدوليه وهو ما كان يوخذ من الرجل عن
زكاة ماله ابدا ولو عدم منه واذا مات لايزال يوخذ من ورثته وابطل ما كان يجبى
من اهل اقليم مصر كله اذا حضر مبشر بفتح حصن او نحوه فيوخذ من الناس بالقاهره
ومصر وابطل اشيا كثيره على قدر طبقاتهم ويجتمع من ذلك مال كثير وابطل ما يجبى من
اهل الذمة وهو دينار سوى الجاليه برسم نفقة الاجناد فى كل سنه وابطل مقرر جباية
الدينار من التجار عند سفر العسكر الى الغزاة وكان يوخذ من جميع تجار القاهره ومصر
كل تاجر دينار وابطل ما كان يجبا عند وفا النيل مما كان يعمل به شوى وحلوى وفاكهة فى
المقياس وجعل مصرف ذلك من بيت المال وابطل اشيا كثيره من هذا النمط وابطل
الملك الناصر محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت فى الروك الناصرى واخر ما
ادركنا ابطاله ضمان الغانى وضمان القراريط فى سنة ثمان وسبعين وسبعماية على
يد الملك الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون فاما ضمان المغانى فكان بلا
عظيما وهو عبارة عن اخذ مال من النسا البغايا فلو خرجت اجل امراة فى مصر تريد
البغا حتى نزلت اسمها عند الضامنه وقامت بما يلزمها لما قدر اكبر اهل مصر على منعها
من عمل الفاحشه وكان على النسا اذا انتقش او عرس امراة او خضبت امراة يدها
او اراد احد ان يعمل فرحا مال مقرر تاخذه الضامنه ومن عمل فرحا بمغانى او
نقش امراته من غير اذن الضامنة حل به بلا لا يوصف واما ضمان القراريط فانه

كان

كان يوخذ من كل من باع ملكا عن كل الف درهم عشرون درهما وكان يتحصل من هذه
الجهة مال كثير جدا وابطل الملك الظاهر برقوق ما كان يوخذ من اهل البرلس وشورى
وبلطيم شبه الجاليه فى كل سنه ستين الف درهم وابطل ما كان على القمح من مكس يوخذ
من الفقرا بثغر دمياط ممن يبتاع من اردب فى ما دونها وابطل ما كان يوخذ مكسا
من معمل الفروج بالنحريريه والاعمال الغربيه وابطل ما كان يوخذ تقدمة لمن يسرح
الى العباسة من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك وابطل ما كان يوخذ على الدريس
والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة وابطل ضمان المغانى بمنية بنى خصيب باعمال
الاشمونين ومزفنا من الاعمال الغربيه وابطل الابقار التى كانت مرى بالوجه البحرى
عند فراغ الجسور وابطل الامير يلبغا السالمى لما ولى استادار السلطان الملك الناصر
فرج بن برقوق فى سنة احدى وثمانى مايه تعريف الغلال بمنية بنى خصيب وضمان
العرصة بها واخصاص الغسالين وكانت من المظالم القبيحه وابطل من القاهرة
ضمان خيرة البقر ثم اعاده القبط من بعده وقد بقى فى الان من المكوس بقايا اخبر
الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمى رحمه الله فى ايام وزارته ان جهات
المكوس بديار مصر تبلغ فى كل يوم بضعا وسبعين الف درهم وانه اعتبرها فلم يجدها
تصرف فى شى من مصالح الدوله بل انما هى منافع للقبط وحواشيهم وكان قد عزم على
ابطال المكوس فلم يمهل والمال الهلالى عبارة عما يستادى مشاهرة كاجر الاملاك
المسقفة من الادر والحوانيت والحمامات والافران وارحية الطواحين وعداد
الغنم والجهات الهوايية المضمونة والمحلولة وعد بعض الكتاب احكار البيوت وريع
البساتين التى تستخرج اجورها مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر السيرج والزيت
فى المال الهلالى ومن اصطلاح كتاب مصر القدما ان تورد جزية اهل الذمة من اليهود
والنصارا قلما واحدا مستقلا بذاته بعد الهلالى وقبل الخراجى وذلك انها تستادى
مسانهة وكانوا يرون وجوبها مشاهرة وفايدته فيمن اسلم او مات فى اثنا الحول
فانهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه او وفاته فلذلك اوردت
فيما بين الهلالى والخراجى وكانوا فى الاقطاعات الجيشية يجرونها مجرى مال الهلالى
عند خروج اقطاع عن مقطع ودخوله لاخر فى ذلك الاقطاع فانها كانت تستخرج على حكم
الشهور الهلالية لا الشمسيه بحيث لو تعجلها مقطع فى غرة السنة على العادة فى ذلك
وخرج الاقطاع عنه فى اثنا السنه بوفاة او نقلة الى غيره استحق منها نظير ما مضى من
شهور السنة الى حين انفصال الاقطاع عنه لا على حكم ما استحق من المغل ويستحق المتصل
من استقبال تاريخ منشوره كعادة النقود والمتحصل بينهما من المدة يستحق ذلك الديوان

فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات وكان من ابواب الهلالى جهات تسمى المعاملات
وهى الزكاة والمواريث والثغور والمتجر والشب والنطرون والخبس الجيوشى ودار الضرب
ودار العيار والجاموس وابقار الخيس والاغنام والغروس والبساتين والاحكار
والرباع والمراكب وما يستادى من الذمة غير الجوالى وساحل السنط والخراج والقرظ
ومقرر الجسور وموظف الاتبان ومقرر القصب ومقرر البريد ومقرر البشنس
وعشر العرق وغير ذلك من جهات المكوس فاما الجزيه وتعرف فى زمننا بالجوالى فانها
تستخرج سلفا وتعجيلا فى غرة السنة وكان يتحصل منها مال كثير فيما مضى قال القاضى
الفاضل فى متجددات الحوادث الذى انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنه سبع وثمانين
وخمسماية مايتا الف وثلاثون الف دينار واما فى وقتنا هذا فان الجوالى قلت جدا لكثرة
اظهار النصارى للاسلام فى الحوادث التى مرت لهم ولما استبد الملك المويد شيخ بملك مصر
بعد الخليفه العباس بن محمد امير المومنين المستعين بالله ولى رجلا جباية الجوالى فكشف
الاستقصا عن الذمة والكد فى الاستخراج منهم فبلغت الجوالى فى سنه ست عشرة وثمانى
احد عشر الف واربعماية دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر كثير واما المراعى وهى
الكلا المطلق المباح الذى انبته الله سبحانه لرعى دواب بنى ادم فاول من ادخلها
الديوان بمصر احمد بن مدبر لما ولى الخراج وصير لذلك ديوانا وعاملا وجلد الحظر
على الناس ان ينتازعوا المراعى او يشتروها الامن جهته وادركنا المراعى ببلاد الصعيد
مما يضاف الى الاقطاعات فياخذ الامير ممن ترعى دوابه فى ارض بلده الكنيح فى كل سنة
مالا عن كل راس فيجبى من صاحب الماشية بعدد انعامه فلما اختل امر الصعيد فى الحوادث
الكاينه منذ سنة ست وثمانماية تلاشى الامر فى ذلك وكانت العادة القديمة ان
يندب للمراعى مشد وشهود وكاتب فيعدون المواشى ويستخرجون من اربابها عن كل راس
شيا ولا يكون ذلك الا بعد هبوط النيل ونبات الكلا واستهلاكه بالرعى واما المصايد
فهى ما اطعم الله سبحانه من صيد البحر واول من ادخلها الديوان ايضا ابن مدبر وصير
لها ديوانا واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فامران يكتب فى الديوان
خراج مضارب الاوتاد ومغارس الشباك فاستمر ذلك وكان يندب لمباشرتها مشد
وشهود وكاتب فى عدة جهات مثل خليج الاسكندريه وبحيرة الاسكندرية وبحيرة
نستراوه وثغر دمياط وجنادل ثغر اسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات فيخرجون
عند هبوط النيل ورجوع الما من المزارع الى بحر النيل بعد ما تكون افواه الترع قد
سكرت وابواب القناطر سدت عند انتها زيادة النيل كيما يتراجع الما ويتكاثف بما فى
المزارع ثم تنصب شباك وتصرف المياه فيا تى السمك وقد اندفع مع الما الجارى فتصل

الشباك

الشباك عن الانحدار مع الما ويجتمع فيها فيخرج الى البر ويوضع على انخاخ ويملح ويودع
فى الامطار فاذا استوى ابيع ويقال له الملوح والصير ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك
فى قدر الاصبع فادونه ويسمون هذا الصنف اذا كان طريا البساريه فوكل مشويه
ومقلوه وتصاد من بحيره نستراوه وبحيرة تنيس وبحيرة الاسكندريه اسماك تعرف بالبورى
وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد عند قرية من قرى تنيس يقال لها بورة وقد خربت
والنسبة اليها البورى ونسب اليها جماعة من الناس منهم بنو البورى وقيل لهذا السمك
البورى اضافه الى القرية المذكورة وقد بطل فى زمننا اليوم امر هذه المصايد الا من بحيرة
نستراوه بالبرلس وبحيرة تنيس بدمياط فقط وهاتان البحيرتان تجريان فى ديوان
الخاص وهما مضمنتان وما يخرج منهما من البورى وغيره من انواع السمك فللسلطان
لا يقدر احد ان يتعرض لصيد منه الا ان يكون من صيا ديها القايمين بالضمان وما
عداهاتين البحرتين من البرك والاملاق والخلجان فليست للسلطان واما بحيرة الاسكندرية
فقد جفت وثغر اسوان فخرج عن يد السلطنه وتغلب عليه اولاد الكنز وثم برك بايدى
اقوام كبركة الفيل بيد اولاد الملك الظاهر بيبرس وبركة الرطلى بيد اولاد الامير بكتمر
الحاجب وغير ذلك فان اسماكها مضمنة لهم يبيعونها ومع ذلك لا يمنع احد الصيد منهما
وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس فى تاريخ مصر ان صنما كان بالاسكندرية
يقال له شراحيل على حشفه من حشف البحر مستقبل باصبع من كفه قسطنطينيه لا يدرا
اكان مما عمله سليمن النبى ام عمله الاسكندر فكان الحيتان يدورون بالاسكندرية وتصاد
عندها فيما زعموا قال زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم فاخبرنى ابى عن ابيه انه
انبطح على بطنه ومد يديه ورجليه فكان طوله قدم الصنم فكتب رجل يقال له اسامة بن
زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك امير المومنين ان عندنا بالاسكندرية صنما
يقال له شراحيل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فان راى امير المومنين ان ينزله
ويضرب به فلوسا فعل وان راى غير ذلك فليكتب الى من امره فكتب اليه لا تنزله حتى ابعث
اليك امنا يحضرونه فبعث اليه رجالا امنا حتى انزل من الحشفة فوجدوا عينيه
ياقوتتين حمراوتين ليس لهما قيمة فضرب به فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك
واما الزكاة فان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اول من جباها بمصر قال
القاضى الفاضل فى متجددات سنه سبع وستين وخمسماية ثالث عشر ربيع الاخر وقعت
الزكوات بعد ما جمعت على الفقرا والمساكين وابنا السبيل والغارمين بعد ان دفع الى
بيت المال اليهم الاربعة وهى سهام العاملين والمولفة وفى سبيل الله وفى الرقاب
وقررت لها فريضة واستودى على الاموال والبضايع وعلى ما يقدر عليه من المواشى

والنحل والخضراوات قال والذى انعقد عليه ارتفاع الجوالى لسنة سبع وثمانين
وخمسمايه مايه وثلاثون الف دينار والزايد فى معاملتى الزكاة ودار الضرب لسنتى ست
وسبع وثمانين وخمسماية احد وعشرون الف دينار وثمانماية واحد وستون دينارا
وقال فى سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن حمدان فى ديوان الزكاة وكتب خطه بما مبلغه
اثنان وخمسون الف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشى قراغش الشادى
هذ المال وان لا يتصرف فيه بل يكون فى صندوق مودعا للمهمات التى يومر بها ولما
قدم ابن عُنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن نجم الدين ايوب
ابن شادى ملك اليمن الى مصر وقد اجزل صلته عند ما وفد عليه وفارقه وقد
اثرى ثراً كثيرا تعرض ارباب ديوان الزكاة بمصر على ما قدم به من المتجر وطالبوه بزكاة ما
معه وكان ذلك فى ايام السلطان الملك العزيز عثمن بن صلاح الدين يوسف بن ايوب بن
شادى فقال — ما كل من يتسمى بالعزيز لها • اهل ولا كل برق سحبه غدقه •
بين العزيزين بون فى فعالهما • هذاك يعطى وهذا ياخذ الصدقه •
ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب بن شادى
اخرج من زكوات الاموال التى كانت تجبى من الناس سهم الفقرا والمساكين وامر
بصرفهما فى مصارفهما الشرعيه ورتب من جملة هذين السهمين معاليم للفقها والصلحا
واهل الخير تجرى عليهم فاستحسن ذلك من فعله ثم ان العزيز كشف عن ما يستادى
من الزكاة فانه انهى اليه فيها اقوال سبعه منها انه اخذ من رجل فقير يبيع الملح فى قفة
على راسه زكاة عن القفة وانه يبيع حمل بخمسه دنانير فاخذ زكاتها خمسة دراهم فامر
بتفويض امرها الى ارباب الاموال ومن وجب عليه حق فيها حمله الى ديوان الزكاة بل
منه ومن لم يحمل لا يتعرض اليه فبخل الاغنيا باخراج زكوات اموالهم حتى تضرر الفقرا
واخذ السعاة يبدلون فى ضمانها الاموال النقود على ما كانت عليه فولى النظر فى ديوان
الزكاة للقاضى الاسعد شرف الدين ابى المكارم اسعد بن مهذب بن مماتى فاستخرج
الزكوات من اربابها ثم ضمنت بمال كثير وعاد الامر فيها الى ما كان عليه من العسف
والجور وكانت اعوان متولى الزكاة تخرج الى منية الخصيب واخميم وقوص لكشف
احوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيبحثون عن جميع ما معهم ويدخلون ايديهم
اوساط الرجال خشية ان يكون معهم مال ويحلفون الجميع بالايمان الحرجة على ما بايديهم
وما عندهم غير ما وجدوه وتقوم طايفة من مردة هولا الاعوان وبايديهم المسال
الطوال ذوات الانصبة فيصعدون الى المراكب ويتخسون بمسالهم جميع ما فيها من
الاحمال والغراير مخافة ان يكون فيها شى غيب من بضاعة او مال فيبالغون فى

البحث والاستقصا بحيث يقبح ويستشنع فعلهم ويقف الحجاج بين يدى هولا الاعوان
مواقف خزى ومهانه لما يصدر منهم عند تفتيش اوساطهم وغرايرازوادهم وحل
بهم من العسف وسو المعاملة ما لا يوصف وكذلك يفعل فى جميع ارض مصر منذ عهد
السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب واما الثغور فهى دمياط وتنيس ورشيد
وعيذاب واسوان والاسكندريه وهى اعظمها قدرا فانه كان فيها عدة جهات منها
الخمس والمتجر فالخمس ما يستادى من تجار الروم الواردين فى البحر عن ما معهم من البضايع
للمتجر بمقتضى ما صولحوا عليه وربما بلغ ما يستخرج منهم عن ما قيمته مائة دينار ما يناهز
خمسة وثلثين دينارا وربما انحط عن عشرين دينارا ويسمى كلاهما خمسا ومن اجناس
الروم من يوخذ منهم العشر ولذلك ضرايب مقرره قال القاضى الفاضل والحاصل
من خمس اسكندريه فى سنة سبع وثمانين وخمسمايه ثمانيه وعشرون الف دينار وخمسمايه
وثلاثه عشر دينارا والمتجر عبارة عما يبتاع للديوان من بضايع تدعو اليها الحاجة فى
وتقتضيه طلب الفايده قال جامع سيرة الوزير اليازورى وقصر النيل بمصر
سنة اربع واربعين واربعمايه ولم يكن فى المخازن السلطانيه شى من الغلات فاشتدت
المسغبة بمصر وكان لخلو المخازن سبب اوجب ذلك وهو ان الوزير الناصر الدين
لما اضيف اليه القضا فى ايام ابى البركات الوزير كان يبتاع للسلطان فى كل سنة
غله بمائة الف دينار ويجعل متجرا فمثل القاضى بحضرة الخليفه المستنصر باسه وعرفه
ان المتجر الذى يقام بالغلة فيه اوفى مضره على المسلمين وربما انحط السعر من مشتراها
به فلا يمكن بيعها فتتغير فى المخازن وتتلف وانه يقيم متجرا لا كلفه على الناس فيه
ويفيد اضعاف فايدة الغله ولا يخشى عليه من تغير فى المخازن ولا انحطاط سعر
وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما اشبه ذلك فامضى
السلطان له ما راه واستمر ذلك ودام الرخا على الناس فوسعوا فيه مدة سنين
ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا للمتجر واخر من عمله الملك الظاهر برقوق وامتا
الشب فان معادنه ببلاد الصعيد وكانت عادة الديوان الانفاق فى تحصيل
القنطار منه بالليثى مبلغ ثلاثين درهما وكانت العربان تحضره من معادنه الى
ساحل اخميم وسيوط والبهنسا ويحمل الى الاسكندريه ايام النيل فى الخليج ويشترى
بالقنطار الليثى ويباع بالقنطار الجروى فيباع منه على تجار الروم بحدود اثنى عشر
الف قنطار بسعر اربعة دنانير كل قنطار الى سته دنانير ويباع منه بمصر على اللبو
والمصريين والصباغين نحو الثمانين قنطارا بالجروى سعر سبعة دنانير ونصف
القنطار ولا يقدر احد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عثر على احد انه دينار

اشترا منه شيا او باعه سوى الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه وقد
بطل اليوم هذا واما النطرون فيوجد في البر الغربي من ارض مصر بناحية الطرانه
وهو احمر واخضر ويوجد منه بالفاقوسيه شي دون شي دون ما يوجد في الطرانه
وهو ايضا مما حظر عليه ابن مدبر من الاشيا التي كانت مباحه وجعله في ديوان
السلطان وكان من بعده على ذلك الى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان ان يحمل
منه في كل سنه عشرة الاف قنطار ويعطى الضمان منه في كل سنة قدر ثلاثين الف
قنطار يتسلمونها من الطرانه فيباع في مصر بالقنطار المصري وفي بحر الشرق والصعيد
بالجروي وفي دمياط بالقنطار الليثي قال القاضي الفاضل وباب النطرون كان مضمونا
الى اخر سنة خمس وثمانين وخمسماية بمبلغ خمسة عشر الف وخمسماية دينار وحصل
منه في سنة ست وثمانين مبلغ سبعة الف وثمانماية دينار وادركنا النطرون
مُقْطَعًا لعدة اجناد فلما تولى الامير محمود بن علي الاستدارية وصار مدبر الدولة
في الايام الظاهريه برقوق حاز النطرون وجعل له مكانا لايباع في غيره وهو الى
الان على ذلك واما الحُبس الجيوشي فكان في البرين الشرقي والغربي ففي الشرقي بهتيت
والاميريه والمنيه وكانت تسجل هذه النواحي بعين وفي البر الغربي سفط ونهيا
ووسيم وهذه النواحي حبسها امير الجيوش بدر الجمالي على عقبه هي والبساتين
ظاهر باب الفتوح فلما مات وطال العهد استاجرها الوزرا باجرة يسيرة طلبا
للفايدة ثم ادخلت في الديوان قال ابن المامون في تاريخه وجميع البساتين المختصة
بالورثة الجيوشيه مع البلاد التي لهم لم تزل في مدة ايام الوزير المامون ابن البطايحي
بايديهم لم تخرج عنهم بضمان ولا بغيره فلما توفي الخليفه الامر باحكام الله وجلس
ابو علي بن الافضل بن امير الجيوش في الوزارة اعاد الجميع الى الملاك لكون نصبه في
ذلك الاوفر فلما قتل واستبد الخليفة الحافظ لدين الله امر بالقبض على جميع الاملاك
وحل الاحباس المختصة بامير الجيوش فلم يزل يانس به لانه غلام الافضل والوزير في
ذلك الوقت وعز الملك نبا غلام الاوحد بن امير الجيوش يتلطفان ويراجعان
الخليفة مع الكتب التي اظهرها الورثه وعليها خطوط الخلفا الى ان ابقاها عليهم
ولم يخرجها عنهم ثم اوقعت الحوطة عليها في سنة سبع وعشرين وخمسمايه للديوان
الحافظي ولما خدم الخطيره والمرتضى في سنة احدى وثلثين وخمسماية في وزارة
رضوان بن ولخشي اعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة بحكم ما آل امرها
اليه من الاختلال ونقص الارتفاع ولما انقرض عقب امير الجيوش ولم يبق
منه سوى امراة كبيرة انتى فقها ذلك العصر ببطلان الحبس فقبضت النواحي

وصارت

قنطار ن

٩٢

وصارت من جملة الاموال السلطانيه فمنها ما هو اليوم في الديوان السلطاني
ومنها ما صار وقفا ورزقا احباسيه وغير ذلك واما دار الضرب فكان بالقاهرة
دار ضرب وبالاسكندرية دار ضرب وبقوص دار ضرب ولا يتولى عيار
دار الضرب الا قاضي القضاه او من يستخلفه ثم رذلت في زمننا حتى صار يليها
سالمة نسقه اليهود المصرين على الفسق مع ادعايهم الاسلام وكان يجتهد في خلاص
الذهب وتحرير عياره الى ان افسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصريه
فجات غير خايفه وكانت بمصر المعاملة بالورق فابطلها الملك الكامل محمد بن ابي بكر
ابن ايوب في سنة بضع وعشرين وضرب الدرهم المدور الذي يقال له الكاملي
وجعل فيه من النحاس قدر الثلث ومن الفضة قدر الثلثين ولم يزل يضرب
بالقاهرة الى ان اكثر الامير محمود الاستادار من ضرب الفلوس بالقاهرة والاسكندرية
فبطلت الدراهم من مصر وصارت معاملة اهلها الى اليوم بالفلوس ولها بقوم الذهب
وساير المبيعات وسياتي ذكر ذلك ان شا الله عند ذكر اسباب خراب مصر وكانت
دار الضرب يحصل منها للسلطان مال كبير فقل في زمننا لقلة الاموال ودار الضرب
اليوم جارية في ديوان الخاص واما دار العيار فكانت مكانا يحتاط فيه للرعية ويصلح
موازينهم ومكاييلهم به ولا يحصل موازينهم ومكاييلهم بلا ويحصل منها للسلطان مال
وجعلها السلطان صلاح الدين من جملة اوقاف سور القاهرة وقد ذكرت في خطط
القاهرة من هذا الكتاب واما الاحكار فانها اجر مقدرة على ساحات بمصر والقاهرة
فمنها ما صار دورا للسكنى ومنها ما انشي بساتين فكانت تلك الاجر من جملة الاموال
السلطانيه وقد بطل ذلك من ديوان السلطان وصارت احكار مصر والقاهرة وما
بينهما اوقافا على جهات متعددة واما العروس فكانت في الغربية فقط عدة
اراضي يوخذ عنها شبه الحكر عن كل فدان مقرر معلوم وقد بطل ذلك من
الديوان واما مقرر الجسور فكان على كل ناحيه تقرير بعد قطع معلوم يجبى
منها عن كل قطعه عشرة دنانير لتصرف في عمل الجسور فيفضل منها مال كثير
يحمل الى بيت المال وقد بطل هذا ايضا وجدد الناصر فرج على الجسور حوادث
قد ذكرت في اسباب الخراب واما موظف الاتبان فكان جميع تبن ارض مصر على ثلاثه
اقسام قسم للديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاح فيجبى التبن على هذا الحكم من ساير
الاقليم ويوخذ في التبن عن كل ماية حمل اربعة دنانير وسدس دينار فيحصل
من ذلك مال كثير وقد بطل هذا ايضا من الديوان واما الخراج فانه كان في البهنساويه
وسفط رشين والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية اشجار لا تحصى

ن الثلث

من سنط لها حراس يحرسونها حتى يعمل منها مراكب الاسطول فلا يقطع منها الا ما
تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما يبلغ قيمة العود الواحد منه مایة دينار وكان
يستخرج من اهل هذه النواحي مال يقال له رسم الخراج ويحتج في جبايته بانه
نظير ما لعل اهل النواحي تنتفع به من اخشاب السنط في عمايرها ومقرر اخر
كان يجبى منهم يعرف بمقرر السنط فيصرف من هذا المقرر اجرة قطع
الخشب وحزه بضريبة عن كل مایة حمل دينار وعلى المستخدمين في ذلك الا
يقطعوا من السنط ما يصلح لعمل مراكب الاسطول لكنهم انما يقطعون الاطراف
التي ينتفع بها في الوقود فقط ويقال لهذا الذي يقطع حطب النار فيباع على
التجار منه كل مایة حمل باربعة دنانير ويكتب على ايديهم زنة ما بيع عليهم فاذا
وردت المراكب بالحطب الى ساحل مصر اعتبر عليهم وقوبل بما فيها ما عين
في الرسالة الواردة واستخرج الثمن على ما في الرسالة وكانت العادة انه لا
يباع مما في البهنسا الا ما فضل عن احتياج المطابخ السلطانية وقد بطل جميع
هذا واستولت الايدي على تلك الاشجار فلم يبق منها شي البته ونسي هذا من
الديوان واما القرظ فانه ثمر شجر السنط التي ذكرت وكان لا يتصرف فيه الا
الديوان ومتى وجد منه مع احد شي اشتراه من غير الديوان نكل به وانتهك
ما وجد منه فاذا جمع مال القرظ اقيم منه مراكب تباع ويوخذ من ثمنها الربح
عند ما تصل الى ساحل مصر بعد ما تقوم وينادى عليها وكان فيها حيف
كبير وقد بطل ذلك واما ما يستاديه من اهل الذمة فانه كان يوخذ منهم عما يرد
ويصدر معهم من البضايع في مصر والاسكندرية واخميم خاصة دون بقية
البلاد ضرايب تتقرر في الديوان وقد بطل ذلك ايضا واما مقرر الجاموس
ومقرر بقر الجيش ومقرر الاغنام فانه كان للسلطان من هذه الاصناف
شي كثير جدا فيوخذ من الجاموس من للديوان على كل راس من الراتب في نظير
ما يتحصل منه في كل سنة من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير ومن اللاحق على النصف
من الراتب واقل ما يلتزم كل مایة راس خمسين راسا الى غير ذلك من ضرايب مقررة
على الجاموس وعلى ابقار الجيش وعلى الغنم البياض والغنم الشعاري وعلى النحل وقد
بطل ذلك باجمعه لقلة مال السلطان واعراضه عن العمارة واسبابها وتعاطي
اسباب الخراب واما المواريث فانها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من اجل
ان مذهبهم توريث ذوي الارحام وان البنت اذا انفردت استحقت المال باجمعه
فلما انقضت ايامهم واستولت الدولة الايوبية ثم الدولة التركية صار من جملة اموال

السلطان

السلطان مال المواريث الحشرية وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث
فتعدل فيها الوزرا مدة وتظلم اخرى واما المكوس فقد تقدم حدوثها وما
كان من الملوك فيها والذي بقي منها الى الان بديار مصر في امر الوزير وفي
الحقيقة انما هو نفع للاقباط يتخولون فيه بغير حق وقد تضاعفت المكوس في
زمننا عما كنا نعهده منذ عهد تحدث الامين جمال الدين يوسف الاستادار
في الاموال السلطانية كما ذكر في اسباب الخراب واما البراطيل وهي الاموال التي
توخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها فاول من عمل ذلك بمصر الصالح
ابن رزيك في ولاة النواحي فقط ثم بطل وعمل في ايام العزيز بن صلاح الدين احيانا
وعمله الامير شيخو في الولاة فقط ثم انحش فيه الظاهر برقوق كما ذكر في اسباب
الخراب واما الحمايات والمستاجرات فشي حدث في ايام الناصر فرج وصار لذلك
ديوانا ومباشرين وعمل مثل ذلك الامرا وهو من اعظم اسباب الخراب كما قد ذكر في
موضعه ذكرا

ذكر الاهرام

اعلم ان الاهرامات بارض مصر
كانت كثيرة جدا منها بناحية بوصير شي كثير بعضها كبار وبعضها صغار وبعضها
طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس وقد كان منها
بالجيزة تجاه مدينة مصر عدد كثير كلها صغار هدمت في ايام السلطان صلاح
الدين يوسف بن ايوب على يدي قراقوش وبنى بها قلعة الجبل والسور المحيط
بالقاهرة ومصر والقناطر التي بالجيزة واعظم الاهرام الاهرامات الثلاثة التي هي
الى اليوم قايمة تجاه مصر وقد اختلف الناس في وقت بنايها واسم بانيها والسبب
في بنايها وقالوا في ذلك اقوالا متباينة اكثرها غير صحيح وسا قص من نبا ذلك ما
يشفي ويكفي ان شا الله تعالى قال الاستاد ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب في
اخبار مصر وعجايبها في اخبار سوريد بن سهلوق بن شرياق بن توميدون بن
تدرسان بن هوصال احد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة
امسوس الاتي ذكرها عند ذكر مداين مصر من هذا الكتاب وهو الذي بنى
الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين الى شداد بن عاد والقبط تنكر ان تكون العادية
دخلت بلادهم لقوة سحرهم وسبب بنا الهرمين انه كان قبل الطوفان بثلاث
مایة سنة قد راى سوريد في منامه كان الارض انقلبت باهلها وكان الناس قد
هربوا على وجوههم وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا باصوات
هايلة فاغمه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم انه سيحدث في العالم امر عظيم ثم
راى بعد ذلك بايام كان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض في صور طيور بيض

وكانها تختطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الجبلين قد انطبقا
عليهم وكان الكواكب النيرة مظلمة مكشوفه فانتبه مذعورا ودخل الى هيكل الشمس
وتضرع ومرغ خديه على التراب وبكى فلما اصبح جمع روسا الكهنه من جميع اعمال
مصر وكانوا ماية وثلاثين كاهنا فخلا بهم وحكا لهم ما راه اولا واخرا فاولوه
بامر عظيم يحدث في العالم فقال عظيم الكهان ويقال له فليمون ان احلام الملوك
لا تجرى على محال لعظم اقدارهم وانا اخبر الملك برويا رايتها منذ سنة ولم
اذكرها لاحد من الناس رايت كاني قاعد مع الملك على وسط المنار الذى
بامسوس وكان الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب روسنا وكان علينا
كالقبة المحيطة بنا وكان الملك قد رفع يديه نحو السما وكواكبها قد خالطتنا
في صور شتى مختلفة الاشكال وكان الناس قد جفلوا الى قصر الملك وهم
يستغيثون به وكان الملك رفع يديه حتى بلغتا راسه وامرني ان افعل كما فعل
ونحن على وجل شديد اذ راينا منها موضعا قد انفتح وخرج منه نور مضى وطلعت
علينا منه الشمس وكانا استغثنا بالشمس فخاطبنا ان الفلك سيعود الى موضعه
فانتبهت مرعوبا ثم نمت فرايت كان مدينه امسوس قد انقلبت باهلها والاصنام
تهوى على روسها وكان اناسا نزلوا من السما بايديهم مقامع من حديد يضربون
الناس بها فقلت لهم ولم تفعلون بالناس كذا قالوا لانهم كفروا بالاههم قلت
فما بقي لهم من خلاص قالوا نعم من اراد الخلاص فليلحق بصاحب السفينه فانتبهت
مرعوبا فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث
فبلغوا غايتهم في استقصا ذلك واخبروا بامر الطوفان وبعده بالنار التي تخرج
من برج الاسد تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الافة بلادنا
فقالوا نعم ياتي الطوفان على اكثره ويلحقه خراب يقيم عدة سنين قال فانظروا
هل يعود عامرا كما كان او يبقى مغمورا بالما دايما قالوا تعود البلاد كما كانت وتعمر
قال ثم ماذا قالوا يقصدها ملك يقتل اهلها ويغنم مالها قال ثم ماذا قالوا يقصدها
قوم مشوهون من ناحية النيل ويملكون اكثرها قال ثم ماذا قالوا ينقطع نيلها
وتخلو من اهلها فامر عند ذلك بعمل الاهرام وان تعمل لها مسارب يدخل منها
النيل الى مكان بعينه ثم يفيض الى مواضع من ارض المغرب وارض الصعيد
وملاها طلسمات وعجايب واموالا واصناما واجساد ملوكهم وامر الكهان فزبروا
عليها جميع ما قالته الحكما وزبروا فيها وفي سقوفها وحيطانها واسطواناتها
جميع العلوم الغامضة التي تدعيها اهل مصر وصوروا فيها صور الكواكب كلها وزيجاتها

فيها

والهندسة
فيها اسما العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب
وجميع علومهم مفسرا لمن يعرف كتابتهم ولغتهم ولما شرع في بنايها امر بقطع
الاسطوانات العظام ونشر البلاطات الهايله واستخراج الرصاص من ارض
المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنا بها اساس الاهرام الثلاثه
الشرقي والغربي والملون وكانت لهم صحايف وعليها كتابه اذا قطع الحجر وتم احكامه
وضعوا عليه تلك الصحايف وضربوه فيبعد وابتلك الضربة قدر مايه سهم
ثربيا ودون ذلك حتى يصل الحجر الى الاهرام وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون في
ثقب بوسطها قطبا من حديد قايما ثم يركبون عليها بلاطة اخرى مثقوبة الوسط
ويدخلون القطب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب في القطب وحول البلاطه
بهندام واتقان الى ان كملت وجعل لها ابوابا تحت الارض باربعين ذراعا فاما
باب الهرم الشرقي فانه من الناحية الشرقية على مقدار ماية ذراع من وسط حايط
الهرم واما باب الهرم الغربي فانه من الناحية الغربية على مقدار ماية ذراع
من وسط الحايط واما باب الهرم الملون فانه من الناحية الجنوبيه على مقدار مايه
ذراع من وسط الحايط فاذا حفر بعد هذا القياس وصل الى باب الازج المبنى
ويدخل الى باب الهرم وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام في الهوا ماية ذراع
بالذراع الملكي وهو بذراعهم وهو خمسماية ذراع بذراعنا الان وجعل طول كل
واحد من جميع جهاته ماية ذراع بذراعهم ثم هندمها من كل جانب حتى تحددت
اعاليها من اخر طولها على ثلثمانه ذراع بذراعنا وكان ابتدا بنايها في طالع سعيد
اجتمعوا عليه وتخيروه فلما فرغت كساها ديباجا ملونا من فوقها الى اسفلها وعمل
لها عيدا حضره اهل مملكته باجمعهم ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا من حجارة
صوان ملونه وملئت بالاموال الجمه والالات والتماثيل المعموله من الجواهر النفيسه
والات الحديد الفاخر من السلاح الذى لا يصدا والزجاج الذى ينطوى ولا
ينكسر والطلسمات الغريبه واصناف العقاقير المفردة والمولفه والسموم القاتله
وعمل في الهرم الشرقي اصناف القباب الفلكيه والكواكب وما عمله اجداده من
التماثيل والدخن التي يتقرب بها الى الكواكب ومصاحفها وكون الكواكب الثابتة وما
يحدث في ادوارها وقتا وقتا وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت
والاوقات التي ينظر فيها ما يحدث وكل من يلي مصر الى اخر الزمان وجعل فيها
المطاهر التي فيها المياه المدبرة وما اشبه ذلك وجعل في الهرم الملون اخبار الكهنة
في توابيت من صوان اسود ومع كل كاهن مصحف فيه عجايب صناعاته واعماله

وسيرته وما عمل في وقته وما كان وما يكون من اول الزمان الى اخره وجعل
في الحيطان من كل جانب اصناما تعمل بايديها جميع الصناعات على مراتبها واقدار
وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح لها ولم يترك علما من العلوم حتى زبره ورسمه
وجعل فيها اموال الكواكب التي اهديت الى الكواكب واموال الكهنة وهو شي
عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها خازنا فخازن الهرم الغربي صنم من حجارة
صوان مجزع وهو واقف ومعه شبه حربة وعلى راسه حية قد تطوقت لها من
قرب منه وثبت اليه وطوقت على عنقه وقتلته ثم تعود الى مكانها وجعل
خازن الهرم الشرقي صنما من جزع اسود مجزع باسود وابيض له عينان مفتوحتان
براقتان وهو جالس على كرسي ومعه حربه اذا نظر احد اليه سمع من جهته صوتا
يفزع منه فيخر على وجهه ولا يبرح حتى يموت وجعل خازن الهرم الملون صنما من حجر
البهت على قاعدة منه من نظر اليه اجتذبه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت
فلما فرغ من ذلك حصن الاهرام بالارواح الروحانية وذبح لها الذبائح لتمنع
من انفسها من ارادها الا من عمل لها اعمال الوصول اليها وذكر القبط في كتبهم
ان عليها كتابا منقوشا تفسيره بالعربية انا سوريد الملك بنيت هذه الاهرام
في وقت كذا وكذا واتممت بناها في ست سنين فمن اتى بعدي وزعم انه ملك
مثلي فليهدمها في ستماية سنه وقد علم ان الهدم ايسر من البنيان واني كسوتها
عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر فنظروا فوجدوا انه لا يقوم بهدمها
شي من الازمان الطوال وحكى القبط في كتبهم ان روحانية الهرم الشمالي غلام
امرد اصفر عريان في فمه انياب كبار وروحانية الهرم الجنوبي امراه عريانه
بادية الفرج حسنا في فمها انياب كبار تستهوي الانسان اذا راته وتضحك له
حتى يدنو منها فتسلبه عقله وروحانية الهرم الملون شيخ في يده مجمرة من مجامر
الكنايس يبخر بها وقد راى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهي
تطوف حول الاهرام وقت القايلة وعند غروب الشمس قال ولما مات سوريد
دفن في الهرم ومعه امواله وكنوزه وقالت القبط ان سوريد هو الذي بنى البرابي
واودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما ووكل بها روحانيات تحفظها ممن يقصدها
قال واما الاهرام الدهشورية فيقال ان شداث بن عديم هو الذي بناها
من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن ابيه وشداث هذا ابن عم بعض الناس
انه شداد بن عاد وقال من انكر ان تكون العادية دخلت مصر انما غلطوا باسم
سداث بن عديم فقالوا شداد بن عاد لكثرة ما يجري على السنتهم شداد بن

على

عاد وقلة ما يجري على السنتهم شداث بن عديم والا فما قدر احد من الملوك يدخل
مصر ولا قوي على اهلها غير بخت نصر والله اعلم وذكر ابو الحسن المسعودي
في كتاب اخبار الزمان ومن اباده الحدثان ان الخليفه عبد الله المامون بن
هرون الرشيد لما قدم مصر واتى على الاهرام احب ان يهدم احدها ليعلم ما فيها
فقيل له انك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من فتح شي منه ففتحت له الثلمة المفتوحة
الان بنار توقد ومعاون وحدادين يعملون فيها حتى انفق عليها اموالا عظيمة
فوجدوا عرض الحايط قريبا من عشرين ذراعا فلما انتهوا الى اخر الحايط وجدوا
خلف النقب مطهرة خضرا فيها ذهب مضروب وزن كل دينار اوقية وكان
عددها الف دينار فجعل المامون يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته ثم امر
بجملة ما انفق على الثلمة فوجد الذهب الذي اصابوه لا يزيد على ما انفقوه فيه ولا
ينقص فعجب من معرفتهم بمقدار ما ينفق عليه ومن تركهم ما يوازيه في الموضع
عجبا عظيما وقيل ان المطهرة التي وجد فيها الذهب كانت من زبرجد فامر
المامون بحملها الى خزاينه فكان اخر ما حمل من عجايب مصر واقام الناس سنين
يقصدونه وينزلون فيه من الزلاقة التي فيه فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك فاتفق
عشرون من الاحداث على دخوله واعدوا لذلك ما يحتاجون اليه من طعام
وشراب وحبال وشمع ونحوه ونزلوا في الزلاقة فراوا فيها من الخفافيش ما يكون
كالعقبان تضرب وجوههم ثم انهم ادلوا احدهم بالحبال فانطبق عليه المكان
وحاولوا جذبه حتى اعياهم فسمعوا صوتا ارعبهم فغشي عليهم ثم قاموا وخرجوا من
الهرم فبينا هم جلوس يتعجبون بما وقع لهم اذا خرجت الارض صاحبهم من بين
ايديهم حيا يتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه ومضوا فاخذهم الخفرا
واتوا بهم الى الوالي فحدثوه خبرهم ثم سالوا عن الكلام الذي قال صاحبهم قبل موته
فقيل لهم معناه هذا جزا من طلب ما ليس له وكان الذي فسر لهم معناه بعض اهل
الصعيد وقال علي بن رضوان الطبيب فكرت في بنا الاهرام فاوجب علم
الهندسة العمليه ورفع الثقيل الى فوق ان يكون القوم هندسوا سطحا مربعا ونحتوا
الحجارة ذكرا وانثى ورصوها بالجبس البحري الى ان ارتفع البنا مقدارا يمكن رفع
الثقيل وكانوا كلما صعدوا ضمنوا البنا حتى يكون السطح الموازي للمربع الاسفل
مربعا اصغر من المربع السفلاني ثم عملوا في السطح المربع الفوقاني مربعا اصغر بمقدار
ما يبقى في الحاشية ما يمكن رفع الثقيل اليه وكلما رفعوا حجرا مهندما رصوه
ذكرا وانثى الى ان ارتفعوا مقدارا مثل المقدار الاول ولم يزالوا يفعلون ذلك

الى ان بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها ان يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع ونحتوا
الجوانب البارزه التي فرطوها لرفع الثقيل ونزلوا في النحت من فوق الى اسفل
فصار الجميع هرما واحدا وقياس الهرم الاول بالذراع التي يقاس بها اليوم الابنية
بمصر كل حاشية منه اربع مايه ذراع تكون بالذراع السودا التي طول كل ذراع
منه اربعة وعشرون اصبعا خمسمايه ذراع وذلك ان قاعدته مربع متساوي
الاضلاع والزوايا ضلعين منها على خط نصف النهار وضلعين على خط المشرق
والمغرب وكل ضلع بالذراع السودا خمسماية ذراع والخط المنحدر على استقامة
من راس الهرم الى نصف ضلع المربع اربعماية وسبعين ذراعا تكون اذا تم ايضا
خمسماية ذراع واحيط بالهرم اربع مثلثات ومربع كل مثلث منها متساوي
الساقين كل ساق منه اذا تم خمسماية وستين ذراعا والمثلثات الاربعة تجتمع
روسها عند نقطة واحدة وهي راس الهرم اذا تم فيلزم ان يكون عموده اربعماية
وثلاثين ذراعا وعلى هذا العمود مراكز اثقاله ويكون تكسير كل مثلث من مثلثاته
اربعماية الف وخمسة وعشرين الف ذراع اذا اجمع تكاسيرها كان مبلغ تكسير
سطح هذا الهرم خمسماية الف ذراع بالسودا وما احسب على وجه الارض بنا اعظم منه
ولا احسن هندسه ولا اطول والله اعلم وقد فتح المامون نقبا من هذا الهرم
وجد فيه زلاقة تصعد الى بيت مربع مكعب وجد في وسطه قبر رخام وهو
باق فيه الى اليوم لم يقدر احد يحطه وبذلك اخبر جالينوس انها قبور فقال
في اخر الخامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ وهم يسمون من كان في هذه السن
الهرم وهو اسم مشتق من الاهرام التي هم اليها صايرون عن قريب وقال
المتوكل في صنعة مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير في
ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يعلم كيفهما وقرا بعض بني العباس على احدهما اني قد
بنيتهما فمن كان يدعي قوة في ملكه فليهدمهما فالهدم ايسر من البنا فهم بذلك واظنه
المامون او المعتصم فاذا خراج مصر لا يقوم به يوميذ وكان خراجها على عهده
بالانصاف في الجباية وتوخي الرفق بالرعية والمعدلة اذا بلغ النيل سبع عشرة
ذراعا وعشر اصابع اربعة الاف الف ومايه الف وسبعة وخمسين الف دينار
والمقبوض على الفدان دينارين فاعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيا وفي حد
الفسطاط في غربي النيل ابنية عظام يكثر عددها مفترشة في ساير الصعيد تدعى
الاهرام وليست كالهرمين اللذين تجاه الفسطاط وعلى فرسخين منها ارتفاع كل
واحد منهما اربعماية ذراع وعرضه كارتفاعه مبني بحجارة الكدان التي سمك الحجر وطوله

وعرضه من العشر الاذرع الى الثمان بحسب ما دعت الحاجة الى وضعه في زيادته
ونقصه واوجبته الهندسة عندهم لانهما كلما ارتفعا في البنا ضاق حتى يصير
اعلاهما من كل واحد منهما مثل مبرك جمل وقد مليت حيطانها بالكتابة اليونانيه
فان وقد ذكر قوم انهما قبران وليس كذلك وانما حذا صاحبهما في عملهما انه قضى بالطو
انه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما حصن في مثلهما فخزن ذخايره وامواله
فيهما واتى الطوفان ثم نضب فصار ما كان فيهما الى بيصر بن مصرايم بن حام
ابن نوح وقد خزن فيهما بعض الملوك المتاخرين اهراه والله اعلم وقال ابو يعقوب
محمد بن اسحق النديم الوراق في كتاب الفهرست وقد ذكر هرمس البابلي قد اختلف
في امره فقيل انه كان احد السبعة السدنة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة
وانه كان لترتيب عطارد وباسمه سمي فان عطارد باللغة الطرد ابنه هرمس
وقيل انه انتقل الى ارض مصر باسباب وانه ملكها وكان له اولاد منهم طاوصا
واشمن واتريب وقفط وانه كان حكيم زمانه وانه لما توفي دفن في البنا الذي
يعرف بمدينة مصر بابي هرمليس ويعرفه العامة بالهرمين وان احدهما قبره
هرام والاخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته وهذه الابنية يعني الا
طولها بالذراع الهاشمية اربعماية ذراع وثمانون ذراعا على مساحة اربعماية
وثمانين ذراعا ثم يتخرط البنا فاذا حصل الانسان في راسه كان مقدار سطحه اربعين
ذراعا في اربعين ذراعا هذا بالهندسة وفي وسط هذا السطح قبه لطيفه في وسطها
شبيه بالمقبرة وعند راس ذلك القبر صخرتان في نهاية النظافه والحسن وكثرة
اللون وعلى كل واحد منهما شخص من حجارة صورة ذكر وانثى وقد تقابلا
بوجهيهما وبيد الذكر لوح من حجارة فيه كتابة وبيد الانثى مراه والرف ذهب
نقشه المنقاش وبين الصخرتين برنية من حجارة على راسها غطا ذهب فلما قلع
فاذا فيها شبيها بالقار بغير رايحه قد يبس وفيها حقة ذهب فنزعت راسها
فاذا فيها دم غبيط ساعة قرعه الهوا جمد كما يجمد الدم وجف وعلى القبور اغطيه
حجاره فلما قلعت اذا رجل نايم على قفاه على نهاية الصحة والجفاف بين الخلقه
ط ظاهر الشعر والى جنبه امراة على هيته قال وذلك السطح مقعر نحو قامه وكما يدور
سل السما رحاب ازاج من حجاره فيها صور وتماثيل مطروحة وقايمة وغير ذلك
من الاله التي لا يعرف اشكالها وقال العلامة موفق الدين عبد اللطيف بن
ابي العز يوسف بن ابي البركات محمد بن علي بن ابي سعيد البغدادي المعروف
بابن اللباد في سيرته وجا رجل جاهل عجمي فخيل الى الملك العزيز عثمن صلاح الدين

يوسف ان الهرم الصغير تحته مطلب فاخرج اليه الحجارين واكثر العسكر واخذوا
في هدمه واقاموا على ذلك شهورا ثم تركوه عن عجز وخسران مبين في المال والعقل
ومن يرى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل الهرم ومن يرى الهرم لا يجد به
الا تشعيثا يسيرا وقد اشرفت على الحجارين فقلت لمقدمهم هل تقدرون على
اعادته فقال لو بذل لنا السلطان عن كل حجر الف دينار لم يمكنا ذلك وقال
ابو الحسن المسعودي في كتاب مروج الذهب والاهرام فطولها عظيم وبنيانها
عجيب عليها انواع من الكتابات باقلام الامم السالفه والممالك الداثرة لا يدرا
ما تلك الكتابة ولا المراد بها وقد قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع
الهرم الكبير ذهابا في الجو نحو اربعماية ذراع او اكثر وكلما علا به الصعد
دق ذلك والعرض نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر
واسرار الطبيعة وان من تلك الكتابة مكتوب انا بنيناها فمن يدعي موازاتنا في
الملك وبلوغ القدرة وانتهاء امر السلطان فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم
ايسر من البنا والتفريق اسهل من التاليف وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام
شرع في هدم بعضها فاذا خراج مصر لا يفي بقلعها وهي من الحجر والرخام وانها
قبور للملوك وكان الملك منهم اذا مات وضع في حوض من حجارة وسمى بمصر
والشام الجرون واطبق عليه ثم بنوا من الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع
الاساس ثم يحمل الحوض ويوضع وسط الهرم ثم يقنطر عليه البنيان والاقبا
ثم يرفعون البنا على هذا المقدار الذي يرونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم
ثم يحفر له طريق في الارض ويعقد ازج طوله تحت الارض ماية ذراع او اكثر
ولكل هرم من هذه الاهرام باب مدخله على ما وصفت قال وكان القوم يبنون
الهرم من هذه الاهرام مدرجا ذا مراقي كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من
فوق الى اسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع ذلك لهم قوة وصبر وطاعه وقال
في كتاب التنبيه والاشراف والهرمان اللذان في الجانب الغربي من
فسطاط مصر هما من عجايب بنيان العالم كل واحد منهما اربعماية ذراع في
سمك مثل ذلك مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الاربع كل ركن من اركانهما مقابل
ريحا منها فاعظمها فيهما تاثير ريح الجنوب وهو المريسي واحد هذين الهرمين
قبر اغاذيمون والاخر قبر هرمس وبينهما نحو الف سنه واغاذيمون المتقدم
وكان سكان مصر وهم الاقباط يعتقدون نبوتهما قبل ظهور النصرانية
فيهم على ما يوجبه رأي الصابيين في النبوات لا على طريق الوحي

بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من ادناس هذا العالم فاتحدت
بهم مواد علويه فاخبروا عن الكاينات قبل كونها وعن ساير العالم وغير ذلك
وفي العرب من الثمانية من يرى انهما قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم
السالفه الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الزمان وهم العرب العاربه من
العماليق وغيرهم وهي عند من ذكرنا من الصابين قبور اجساد طاهره وذكر
ابو زيد البلخي انه وجد مكتوب على الاهرام بكتابتهم خط فعرب فاذا هو بني هذان
الهرمان والنسر الواقع في السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى الهجرة النبوية
فاذا هو ست وثلاثون الف سنه شمسيه مرتان يكون اثنتان وسبعون
الف سنه شمسيه وقال الهمداني في كتاب الاكليل لم يوجد مما كان تحت الماء وقت
الغرق من القرى قريه فيها بقيه سوى نهاوند ترجمتها وجدت كما هي لم تتغير
واهرام الصعيد من ارض مصر وذكر ابو عبد الله محمد عبد الرحيم القيسي في
كتاب تحفه الالباب ان الاهرام مربع الجمله مثلث الوجوه وعددها
ثمانية عشر هرما في مقابلة مصر الفسطاط ثلاثة اهرام اكبرها دوره الفي ذراع
في كل وجه خمسماية ذراع وعلوه خمسماية ذراع وكل حجر من حجارتها ثلاثون
ذراعا في غلظ عشرة اذرع قد احكم الصاقه ونحته ومنها عند مدينة فرعون
يوسف اهرام اعظم واكبر دوره ثلاثة الاف ذراع وعلوه سبعماية ذراع من حجارة
كل حجر خمسون ذراعا وعند مدينة فرعون موسى اهرام اكبر واعظم وهرم اخر
يعرف بهرم ميدوم كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذي
تجاه الفسطاط قال وقد دخلته وفي داخله قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلا كبيرة
في وسطها بير عمقها عشرة اذرع وهي مربعة ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه
من تربيع البير بابا يفضي الى دار كبيرة فيها موتى من بني ادم عليهم اكفان كثيرة اكثر من
ماية ثوب على كل واحد قد بليت بطول الزمان واسودت واجسامهم مثلنا ليسوا
طوالا ولم يسقط من اجسادهم ولا من شعورهم شي وليس فيهم شيخ ولا من شعره
ابيض واجسادهم قويه لا يقدر الانسان ان يزيل عضوا من اعضايهم البته ولكنهم خفوا
حتى صاروا كالغثا لطول الزمان وفي تلك البير اربعة من الدور مملوة باجساد الموتى
وفيها خفاش كثير وكانوا يدفنون ايضا جميع الحيوان في الرمال ولقد وجدت يوما
ثيابا ملفوفة كثيرة حزمة مقدار اكثر من ذراع وقد احترقت تلك الثياب من العدا
فازلت الثياب الى ان ظهر خرق صحاح قويه بيض من كتان امثال العصايب فيها اعلام
من الحرير الاحمر وفي داخلها هدهد ميت لم ينتثر ريشه ولا جلده شي كانه قد

بل

مات الان وفي القبة التي في الهرم باب يفضي الى علو الهرم وليس فيه درج عرضه نحو
خمسة اشبار ويقال انه صعد فيها في زمان المامون فافضوا الى قبة صغيرة فيها صورة ادمي
من حجر اخضر كالدهنج فاخرجت الى المامون فاذا هي مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد
ادمي عليه درع من ذهب مزين بانواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له وعند
راسه حجر ياقوت احمر كبيضة الدجاجة يضي كلهب النار فاخذه المامون وقد رايت الصنم
الذي اخرج منه ذلك الميت ملقا عند باب دار الملك بمصر سنة احدى عشرة وخمس
مايه وقال القاضي الجليل ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي روى علي بن الحسين
ابن خلف بن قديد عن يحيى بن عثمن بن صالح بن محمد بن علي بن صخر التميمي قال حدثني رجل
من عجم مصر من قرية من قراها تدعى قفط وكان عالما بامور مصر واحوالها وطالبا
لكتبها القديمة ومعادنها قال وجدنا في كتبنا القديمة قال واما الاهرام فان
قوما احتفروا قبرا في دير ابي هرميس فوجدوا فيه ميتا في اكفانه وعلى صدره قرطاس
ملفوف في خرق فاستخرجوه من الخرق فراوا كتابا لا يعرفونه وكان الكتاب بالقبطية
الاولى فطلبوا من يقراه لهم فلم يقدروا عليه فقيل لهم ان بدير القلمون من ارض الفيوم
راهبا يقروه فخرجوا اليه وقد ظنوا انه في الصحيفة فقراه لهم وكان فيه كتب هذا
الكتاب في اول سنة من ملك ديقلطيانس الملك وانا استنسخناه من كتاب نسخ في
اول سنة من ملك فيلبش الملك وان فيلبش انتسخه من صحيفة من ذهب خرق كتابها
حرفا حرفا وكان من الكتاب الاول ترجمه له اخوان من القبط يقال لاحدهما ايلوا وللاخر
برثا وان الملك فلبس سالهما عن سبب معرفتهما بما جهله الناس من قراته فذكرا انهما
من ولد رجل من اهل مصر الاول وانه لم ينج من الطوفان من اهل مصر احد غيره وكان
سبب نجاته انه اتى نوحا عليه السلام فامن به ولم يات من اهل مصر غيره فحمله معه في
السفينة فلما نضب ما الطوفان اتى مصر ومعه نفر من ولد حام بن نوح عليه السلام
وكان بها حتى هلك فورث ولده علم كتاب اهل مصر الاول فورثناه عنه كابرا عن
كابر وكان تاريخه الذي مضى الى ان انتسخه فلبش الفا وثلثمايه واثنين وسبعين
سنه وان الذي انتسخه في صحيفة من ذهب خرق كتابها خرقا على ما وجده فيلبس
وان تاريخه الى ان انتسخه الف وسبعمايه وخمس وثمانون سنة وكان الكتاب
المنسوخ انا نظرنا فيما تدل عليه النجوم فراينا ان افة نازلة من السما وخارجة من
الارض فلما بان لنا الكون نظرنا ما هو فوجدناه ما مفسدا للارض وحيوانها
ونباتها فلما تم اليقين من ذلك عندنا قلنا للملك سوريد بن شهلوق مر ببنا ابرار
وقبرا لك ولاهل بيتك فبنى لهم الهرم الشرقي وبنى لاخيه هوجيب الهرم الغربي

وبني

وبنى لابن هوجيب الهرم الموزر وبنيت الافروثنات في اسفل مصر واعلاها
وكتبنا في حيطانها علم غامض امور النجوم وعللها والصنعة والهندسة والطب وغير
ذلك مما ينفع ويضر ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا وكتابنا وان هذه الافة نازلة
باقطار العالم وذلك عند نزول قلب الاسد في اول دقيقة من راس السرطان
ويكون الكواكب عند نزوله اياها في هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر في اول
دقيقة من راس الحمل وفرويس في درجه وثمان وعشرين دقيقه من الحمل وراويس
في الحوت في تسعة وعشرين درجه وثمانية وعشرين دقيقه وارس في الحوت في
تسعة وعشرين درجه وثمانية وعشرين دقيقة واكس وثلاث دقايق وافرود
في الحوت في ثمان وعشرين درجة ودقايق وهرمس في الحوت في سبعة وعشرين
ودقايق والجوزهر في الميزان واوج القمر في الاسد في خمس درج ودقايق ثم
نظرنا هل يكون بعد هذه الافة كون مضر بالعالم فاصبنا الكواكب تدل على ان
افة نازلة من السما الى الارض وانها ضد الافة الاولى وهي نار محرقة اقطار العالم
ثم نظرنا متى يكون هذا الكون المضر فرايناه يكون عند حلول قلب الاسد في اخر
دقيقه من الدرجة الخامسة عشر من الاسد ويكون ايلس معه في دقيقه واحدة
متصلة بفرويس من تثليث الرامي ويكون راوس في اول الاسد في احتراقه ومعه
ارس في دقيقه ويكون سلش في الدلو مقابلا لايلس الشمس ومعه الذنب في اثنين
وعشرين ويكون كسوف شديد له مكث يوارى القمر ويكون هرمس في بعده الابعد
اما هما ثقيلين اما افرود يطي فللاستقامة واما هرمس فللرجعة قال الملك فهل عندكم
من خبر توقفونا عليه غير هاتين الافتين قالوا اذا قطع قلب الاسد ثلثي سلش
ادواره لم يبق من حيوان الارض متحرك الا تلف فاذا استتم ادواره تحللت عقد
الفلك وسقط على الارض قال لهم واي يوم فيه انحلال الفلك قالوا اليوم الثاني من بدو
حركة الفلك فهذا ما كان في القرطاس فلما مات الملك سوريد دفن في الهرم الشرقي
ودفن هوجيب في الهرم الغربي ودفن كورس في الهرم الذي اسفله من حجارة
اسوان واعلاه كدان ولهذه الاهرام ابواب في ازاج تحت الارض طول كل
ازج مايه وخمسون ذراعا فاما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية واما باب ازج
الهرم الغربي فمن الناحية الغربية واما باب ازج الهرم الموزر فمن الناحية القبلية
وفي الاهرام من الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحتمله الوصف وان مترجم هذا
الكتاب من القبطي الى العربي اجمل التاريخات الى اول يوم من توت وهو يوم الاحد
طلوع شمسه سنة خمس وعشرين وماييتين من سني العرب فبلغت اربعة الاف

وثلثماية واحدى وعشرين سنه لسني الشمس ثم نظر كم مضى للطوفان الي يومه هذا فوجده الف وسبعماية واحدى واربعين سنه وتسعه وخمسين يوما وثلاث عشرة ساعة واربعة اخماس ساعه وتسعه وخمسين يوما وثلاث عشرة ساعه واربعة اخماس ساعة وتسعة وخمسين جزا من اربعماية جزو من ساعه فالقاها من الجملة فبقي معه ثلثماية وتسع وتسعون سنه ومايتان وخمسه ايام وعشر ساعات واحد وعشرون جزا من اربعماية جزء من ساعه فعلم ان هذا الكتاب المورخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والايام والساعات والكسر من الساعه واما الهرم الذي بدير ابي هرميس فانه قبر قورياس وكان فارس اهل مصر وكان يعد بالف فارس فاذا لقيهم لم يقوموا له وانهزموا وانه مات فجزع عليه الملك جزعا بلغ منه واكثرت لموته الرعية فدفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا وكان طينه الذى بني به مع الحجارة من الفيوم وهذا معروف اذا نظر الي طينه لم يعرف له معدن الا بالفيوم وليس بعنف وسيم له شبه من الطين واما قبر الملك صاحب قورياس هذا فانه الهرم الكبير من الاهرام التي في بحري دير ابي هرميس وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد يكون اللوح ذراعين في ذراع وكله مملوكا با شكال كتاب البرابي الي باب الهرم يصعد اليه بدرج بعضها صحيح لم ينحرم وفي هذا الهرم ذخاير صاحبه من الذهب وحجارة الزمرد وانما سد بابه حجارة سقطت من عاليه ومن وقف عليه رآه بينا وقال ابن عفير عن اشياخه ان جنادبن مياد بن شمر بن شداد ابن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ملك الاسكندرية وكانت تسمى ارم ذات العماد فطال ملكه وبلغ ثلثماية سنه وهو الذى سار وبني الاهرام وزبر فيها انا جناد بن مياد بن شمر بن شداد الساد بذراعه الواد الموتد الاوتاد الجامع الصخر في البلاد المجيد الاجياد الناصب العماد المكتد الكناد تخرجه امة اسم نبيهم حماد اية ذلك اذا غشي بلد البلاد سبعة لملوك اخماس السواد تاريخ هذا الزبر الف سنه واربع ماية سنه عداد وقال ابن عفير وابن عبد الحكم وفي زمان شداد بن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض المحدثين ولم نجد عند احد من اهل العلم من اهل مصر معرفة في الاهرام ولا خبرا يثبت وقال محمد عبد الله بن عبد الحكم ما احسب الاهرام بنيت الاقبل الطوفان لانها لو بنيت بعد الطوفان لكان علمها عند الناس وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمي لما نزلت العماليق ارض مصر حين اخرجهم جرهم من مكة بنت الاهرام واتخذت لها المصانع وبنت فيها العجايب ولم تزل بمصر حتى اخرجها مالك بن ذعر الخزاعي وقال محمد عبد الحكم كان من وراء الاهرام

الي المغرب اربع ماية مدينه سوى القرى من مصر الي المغرب في غربي الاهرام وقال ابن عفير لم تزل مشايخ مصر يقولون ان الاهرام بناها شداد وهو الذى بني المغار وجيد الاجياد فالمغار والاجياد هي الدفاين وكانوا يقولون بالرجعة واذا مات احدهم دفن معه ماله كاينا ما كان وان كان صانعا دفن معه التته وكانت الصابية تحج الي الاهرام وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الاثار الباقيه عن القرون الخاليه وان الفرس والمجوس تنكر الطوفان واقربه بعض الفرس لكنهم قالوا كان بالشام والمغرب منه بقي في زمان طهمورث ولكنه لم يعم العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ ممالك الشرق وان اهل المغرب لما انذر به حكما وهم بنوا ابنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الافة وان اثار ما الطوفان وتاثيرات الامواج كانت بينة على انصاف الهرمين لم تتجاوزهما انتهى ويقال انه لما نضب ما الطوفان لم يوجد تحت الماقرية سوى نهاوند وجدت كما هي واهرام مصر وبرابيها وهي التي بناها هرمس الاول الذى تسميه العرب ادريس وكان قد الهمه الله علم النجوم فدلته على ان ستنزل بالارض افة وانه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيها الى علم فبنى هو واهل عصره الاهرام والبرابي وكتب علمه فيها وقال ابو الصلت الاندلسي في رسالته وقد ذكر اخلاق اهل مصر الا انه يظهر من امرهم انه كان فيهم طايفه من ذوي المعارف والعلوم وخصوصا علم الهندسة والنجوم ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنايع البديعة المعجزة كالاهرام والبرابي فانها من الاثار التي حيرت الاذهان الثاقبة واستعجزت الافكار الراجحة وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكر فيها وفي مثلها يقول ابو العلا المعري في قصيدته

تضل العقول الهبرزيات رشدها ولا يسلم الراى القويم من الافن

وقد كان ارباب الفصاحة كلما راوا حسنا عدوه من صنعة الجن

واى شي اعجب واغرب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدرة على بنا جسم من اعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلثماية ذراع وتسعة عشر ذراعا يحيط به اربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع طول كل ضلع منها اربع ماية ذراع وستون وهو مع هذا العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير

بحيث لم يتاثر الى هلم جرا بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل
وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي على ما
شاهدناه منهما وقد ذكرت عجايب مصر وان ما على وجه الارض بنية الا وانا
ارثي لها من الليل والنهار الا الهرمان فاني ارثي لليل والنهار منهما وهذان
الهرمان لهما اشراف على ارض مصر واطلال على بطايحها واصعاد في جوها وهما
اللذان اراد ابو الطيب المتنبي بقوله

اين الذي الهرمان من بنيانه   من قومه ما يومه بالمصرع

تتخلف الاثار عن سكانها   حينا ويدركها الفنا فتتبع

واتفق يوما ان خرجنا اليهما فلما طفنا بهما واستدرنا حولهما كثر تعجبنا
منهما فقال بعضنا

بعيشك هل ابصرت اعجب منظرا   على طول ما ابصرت من هرمي مصر

انافا باعنان السما واشرفا   على الجو اشراف السماك او النسر

وقد وافيا نشزا من الارض عاليا   كانهما نهدان قاما على صدر

وزعم قوم ان الاهرام قبور ملوك عظام آثروا ان يتميزوا بها على ساير
الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا ان يبقى ذكرهم بسببها
على تطاول الدهور وتراخي العصور ولما وصل الخليفة المامون الى مصر
امر بنقبها فنقب احد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعنا
طويل فوجد داخله مراقي ومهاوي يهول امرها ويعسر السلوك فيها
ووجد في اعلاه بيتا مكعبا طول كل ضلع من اضلاعه نحو من ثمانية اذرع وفي
وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاه لم يجد فيه غير رمة بالية قد
اتت عليها العصور الخاليه فعند ذلك امر المامون بالكف عن نقب ما سواه
ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمه والمونة شديده ومن الناس من زعم
ان هرمس الاول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهو الذي تسميه
العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم

عليه

ن

عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل من احوال الكواكب على كون الطوفان
فامر ببنيان الاهرام وايداعها الاموال وصحايف العلوم وما يشفق عليه من
الذهاب والدروس حفظا لها واحتياطا عليها ويقال ان الذي بناهما ملك اسمه
سوريد بن سهلوق بن شرياق وقال اخرون ان الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط
شداد بن عاد لرويا راها والقبط تنكر دخول العمالقه بلد مصر وتحقق ان بانيها
سوريد لرويا راها وهي ان افة تنزل من السما وهي الطوفان وقالوا انه بناهما في مدة
ستة اشهر وغشاهما بالديباج الملون وكتب عليهما قد بنيناهما في ستة اشهر فقل لمن يا
بعدنا يهدمها في ستماية سنة فالهدم ايسر من البنيان وكسوناهما الديباج الملون فليكسهما
حصرا فالحصر اهون من الديباج ورايا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة
من اعلاها الى اسفلها بسطور متضايقة متوازنة من كتابة بانيها لا نعرف اليوم احرفها
ولا نفهم معانيها وبالجملة الامر فيها عجيب حتى ان غاية الوصف لها والاغراق في
العبارة عنها وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي
وان تباعد الموصوفان وتباين المقصودان اذ يقول

اذا ما وصفت امرا لامرى   فلا تغل في وصفه واقصد

فانك ان تغل تغل الظنون   فيه الى الغرض الابعد

فيصغر من حيث عظمته   لفضل المغيب على المشهد

انتهى ويقال ان المامون امر من صعد الهرم الكبير وادلى حبلا طوله الف
ذراع بالذراع الملكي وهو ذراع وخمسان وتربيعه اربعماية ذراع في مثلها.
فكان صعوده في ثلاث ساعات من النهار ودانه وجد مقدار راس الهرم قدر
مبرك ثمانية جمال ويقال انه وجد على الشخص المقبور في الهرم حله قد بليت
ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وان ثخانة الطلا الذي عليه قدر شبر
من مر وصبر ويقال انه وجد في موضع من هذا الهرم ايوان في صدره ثلاثه
ابواب على ثلاثة بيوت طول كل باب منها عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع
من رخام منحوت محكم الهندام وعلى صفحاته خط ازرق لم يحسنوا قرائته وانهم
اقاموا ثلاثة ايام يعملون الحيلة في فتح هذه الابواب الى ان راوا امامها على
عشرة اذرع منها ثلاثة اعمده قايمة من مرمر وفي كل عمود خرق في طوله وفي وسط
الخرق صورة طاير ففي الاول من هذه العمد صورة حمام من حجر اخضر وفي
الاوسط صورة بازي من حجر اصفر وفي العمود الثالث صورة ديك من حجر احمر
فحركوا البازي فتحرك الباب الذي في مقابلته فرفعوا البازي قليلا فارتفع

الباب وكان بحيث لا يرفعه ماية رجل من عظمه فرفعوا التمثالين الاخرين فارتفع
البابان الاخران فدخلوا الى البيت الاوسط فوجدوا فيه ثلاث سرر من حجارة
شفافة مضيئة وعليها ثلاثة من الاموات على كل ميت ثلاث حلل وعند راسه
مصحف بخط مجهول ووجدوا في البيت الاخر عدة رفوف من حجارة عليها
اسفاط من حجارة فيها اواني من الذهب عجيبة الصنعة مرصعة باصناف
الجواهر ووجدوا في البيت الثالث عدة رفوف من حجارة عليها اسفاط من
حجارة فيها لامة الحرب وعدد السلاح فقيس منها سيف فكان طوله سبعة
اشبار وطول كل ذرع من تلك الدروع اثنا عشر شبرا ويدخل في البيضة راس
من روس الناس فامر المامون ان لا يتعرض للاموات وحمل ما وجد في البيوت
وامر بحطت التماثيل التي في العمد فانطبقت الابواب كما كانت ويقال كانت
عدة الاهرامات ثمانية عشر هرما منها تجاه مدينة فسطاط مصر ثلاثة اكبرها
دوره الفا ذراع وهو مربع في كل وجه من وجوهه الاربعة خمسماية ذراع
ويقال ان المامون وجد فيه لما فتحه حوضا من حجر مغطا بلوح من رخام
وهو مملو بالذهب وعلى اللوح مكتوب بقلم عربي فكان انا عمرنا هذا الهرم في الف
يوم واحنا لمن يهدمه في الف يوم والهدم اسهل من العمارة وكسوناه جميعه
الديباج واحنا لمن يكسوه بالحصر والحصر ايسر من الديباج وجعلنا في كل جهة
من جهاته مالا بقدر ما يصرف على الوصول اليه فامر المامون ان يحسب ما صرف
على النقب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص ويقال انه
وجد فيه صورة ادمي من حجر اخضر كالدهنج قد اطبق كالدواة ففتح فاذا
فيه جسد انسان عليه درع من ذهب مزين بانواع الجواهر وعلى صدره
نصل سيف لا قيمة له وعند راسه حجر من ياقوت احمر في قدر بيضة الدجاج
فاخذه المامون وقال هذا خير من خراج الدنيا وذكر بعض مورخي مصر ان
هذا الصنم الاخضر الذي وجدت الرمة فيه لم يزل ملقا عند دار الملك
بمدينة مصر الى سنة احدى عشرة وخمسماية من سني الهجرة وكان عند
مدينة فرعون هامان وعند ميدوم وهرم وهو اخرها وفي سنة تسع
وسبعين وخمسماية من سني الهجرة ظهر بقرية بوصير من ناحية الجيزة بيت
هرمس ففتحه القاضي ابن الشهرزوري واخذ منه اشيا من جملتها كباش وقرود
وضفادع من حجر بازهر وقوارير من دهنج واصنام من نحاس وقال
ابن خرداذبه ومن عجيب البنيان ان الهرمين بمصر سمك كل واحد منهما اربع

ماية

ماية ذراع في عرض اربعماية ذراع مكتوب عليهما بالمسند كل سحر وكل عجيب
من الطب ومكتوب عليهما اني بنيتهما فمن يدعي قوة في ملكه فليهدمهما فان
الهدم ايسر من البنا فاعتبر ذلك فاذا خراج الدنيا لا يفي بهدمهما وقال
في كتاب عجايب البنيان عن الاهرام قد انفردت مصر بهذه الاشكال
فليس لها نظير من مثال يظنهما الناظر للديار المصرية نهدين وتحسبهما
المنار ان مكارم اهلها قد اعدتهما للتكرم ابلوجتين تراهما العين على بعد
المسافة واذا احدث عن عجايبها يظن انه حدث خرافة وقد اكثر
الناس في ذكر الاهرام ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكلها ببر
الجيزة على سمت مصر القديمة وعلى نحو من مسافة ثلاثة ايام وفي بوصير
منها شي كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها
مخروط املس وقد كان منها بالجيزة عدد كثير كلها صغار هدمت في
زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد الطواشي بها الدين قراقوش
اخذ حجارتها وبنى بها القناطر في الجيزة وقد بقي من هذه الاهرام المهدومة
تلولها واما الاهرام المتحدث عنها فهي ثلاثة اهرام موضوعة على خط
مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط وبينها مسافات كثيرة وزوايا متقابلة نحو
المشرق واثنان عظيمان جدا في قدر واحد وهما متقاربان ومبنيان بالحجارة
البيض واما الثالث فينقص عنهما نحو الربع لكنه مبني بحجارة الصوان الاحمر المنقط
الشديد القوة والصلابة ولا يكاد يوثر فيه الحديد الا في الزمان الطويل وتجده
صغيرا بالقياس الى ذينك فاذا اتيت اليه وافردته بالنظر هالك مراه وحسر
الناظر في تامله وقد سلك في بنا الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك
صبرت على ممر الايام لا بل على ممرها صبر الزمان فانك اذا تاملتها وجدت الاذهان
الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد افرغت عليها مجهودها والانفس النيرة
قد افاضت عليها اشرف ما عندها والملكات الهندسية قد اخرجتها الى الفعل مثلا هي غاية
امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر عن سيرتهم وحالهم وتنطق عن علومهم واذها نهم
وتترجم عن سيرهم واخبارهم وذلك ان وضعها على شكل مخروط ويبتدي من قاعدة
مربعة وتنتهي الى نقطة ومن خواص الشكل المخروط ان مركز ثقله في وسطه يتساند
على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض وليس له جهة اخرى يتساقط
عليها ومن عجيب وضعه انه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الاربع تنكسر
سورتها عند مسامتتها الزاوية وليست كذلك عند ما يلقى السطح وذكر المساح ان

قاعدة كل من الهرمين العظيمين اربع مائة ذراع بالذراع السودا وسطح المخروط في اعلاه عند سطح مساحته عشرة اذرع في مثلها وذكر ان بعض الرماة رمى سهما في قطر احدهما وفي سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة وذكر ان درج سطحها احد عشر ذراعا بذراع اليد وفي احد هذين الهرمين مدخل تلجه الناس يفضي بهم الى مسالك ضيقة واسراب متنافذة وابار ومهالك وغير ذلك على ما حكيه من يلجه وان انا ساكثر من لهم غرام به ويخيل فيه فيتوغلون في اعماقه ولا يهتدون الى ما يعجزون عن سلوكه فاما المسلوك فيه المطروق كثيرا فزلاقة تفضي الى اعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناوس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب في اصل البنا وانما هو منقوب نقبا صودف اتفاقا وذكر ان المامون فتحه وحكى من دخله وصعد الى البيت الذي في اعلاه فلما نزل واحدثوا بعظيم ما شاهدوه وانه مملو بالخفافيش وابوالها وتعظم فيها حتى تكون قدر الحمام وفيه طاقات وروازن نحو اعلاه كانها جعلت مسالك للريح ومنافذ للضو بحاره جا فيه يكون طول الحجر منها من عشرة اذرع الى عشرين ذراعا وسمكه ذراعين الى ثلاثة اذرع وعرضه نحو ذلك والعجب كل العجب من وضع الحجر على الحجر بهندام ليس في الامكان اصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل ابره ولا خلل شعره وبينهما طين كانه الزرقه لا يدرى ما هو ولا صنعه وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذي لم يوجد بديار مصر من يزعم انه سمع من يعرفه وهذه الكتابات كثيره جدا حتى لو نقل ما عليها فقط الى صحف لكانت تكون قدر عشرة الاف صحيفه وقرات في بعض كتب الصابية القديمة ان احد هذين الهرمين قبر اغاذيمون والاخر قبر هرمس ويزعمون انهما نبيان عظيمان وان اغاذيمون اقدم واعظم وانه كان يحج اليهما ويهدى اليهما من اقطار البلاد وكان الملك العزيز عثمن بن صلاح الدين يوسف بن ايوب لما استقل بالملك بعد ابيه سول له جهلة اصحابه ان يهدم هذه الاهرام فبدا بالصغير الاحمر فاخرج اليه النقابين والحجارين وجماعة امراء دولته وعظما مملكته وامرهم بهدمه فخيموا عنده وحشروا الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات واقاموا نحو ثمانية اشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد الجهد واستفراغ الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالاسافين وقوم من اسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف له الجبال وتزلزل الارض ويغوص في الرمل فيتعبون تعبا اخر حتى يخرجوه ويضربون فيه الاسافين بعد ما ينقبون لها موضعا ويثبتونها فيه فيتقطع قطعا ويسحب كل قطعة على العجل حتى يلقى في ذيل الجبل وهي مسافة قريبة فلما طال ثواهم ونفدت

نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهت عزايمهم كفوا محسورين لم ينالوا بغيه بل شوهوا الهرم وابانوا عن عجز وفشل وكان ذلك في سنة ثلث وتسعين وخمسمايه ومع ذلك فان الراى لحجارة الهرم يظن ان قد استوصل فاذا عاين الهرم ظن انه لم يهدم منه شي وانما سقط بعض جانب منه وحين ما شوهدت المشقه التي يجدونها في هدم كل حجر سيل مقدم الحجارين فقيل له لو بذل لكم السلطان الف دينار على ان تردوا حجرا واحدا الى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم فاقسم بالله تعالى انهم ليعجزون عنه ولو بذل لهم اضعاف ذلك وبازا الاهرام مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الاغوار لعل الفارس يدخلها برمحه وتخللها يوما اجمع ولا ينهيها لكبرها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها انها مقاطع حجارة الاهرام واما مقاطع حجارة الاهرام الصوان الاحمر فيقال انها بالقلزم وباسوان وعند هذه الاهرام اثار ابنية جبابره ومغاير كثيره متقنه وقلما ترى من ذلك شيا الا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول انتهى ٥ ولله در الفقيه عمارة اليمني

خليلي ما تحت السما بنية   تماثل في اتقانها هرمى مصر
بنا يخاف الدهر منه وكلما   على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفي في بديع بنايها   ولم يتنزه في المراد بها فكرى

اخذ هذا من قول بعض الحكما كل شي يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فانما يخشى على الدهر منها وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب ومات في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وثلثمايه

انظر الى الهرمين اذ برزا   للعين في علو وفي صعد
وكانما الارض العريضة اذ   ظمت لطول حرارة الكبد
حسرت عن الثديين بارزة   تدعوا الالاه لفرقة الولد
فاجابها بالنيل مشبعها   ريا ومنقذها من الكمد
لكرامة المولى المقيم بها   خير الانام مقوم الاود

وقال سيف الدين بن جبارة

لله اى غريبة وعجيبة   في صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها   ونضت عن الابداع كل نقاب
فكانما هي كالخيام مقامة   من غير ما عمد ولا اطناب
مثل العرايس جردوا اتوابها   عنها ولم تسطو من الاعجاب

٥ وقال لغيره ٥

انظر الى الهرمين واسمع منهما   ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سر الليالي منهما   نظرا بعين القلب لا بالناظر

لو ينطقان لخبرانا بالذي فعل الزمان باول وباخر
واذاهما بد والعين ناظر وصفا له اذنى جواد غاير

وقال الامام ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي

الست ترى الاهرام دام بناها وبقى لدينا العالم الاس و اركبن
كان الرحا الافلاك كواريما على قواعدها الاهرام والعالم الطحن

ه وقال هم

قد كان للماضين من سكان مصر همم
فالفضل عنهم فضلة والعلم فيهم علم
ثم انقضت اعلامهم وعلمهم واحتطموا
وانظر تراها ظاهرا باد عليها الهدم

وقال

خليلي لا باق على الحدثان من الاول الباقي فهذ ثان
الى هرمي مصر تناهى قوى الورى وقد هرمت في دهرها
الهرمان
فلا تعجبا ان قد هرمت فانما رماني بفقدانا الشباب رماني
وعوجا بقرطاجنة فانظرا بها حنايا العادين تحنيا ن
وايوان كسرى فانظراه فانه تخبركما بالصدق كلا وان
فلا تحسبا ان الفنا يخصني الا كلما تحت البسيطة فان

وجدت بخط الشيخ شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابي حجلة التلمساني انشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعماية

انبا في الاهرام كم من واعظ صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذكرني قولا تقادم عهده اين الذي الهرمان من بنيانه
هذا الجبال الشامخات يكاد ان يمتد فوق الافق عن كيرانه
لو ان كسرى جالس في سفحها لا جل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده مددا ولم تاسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح عند هبوبها والسيل في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة فبا في الاهرام من اوثانه
او قابل يقضي برجعى نفسه من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها للكنوزه ولجسمه قبرا ليامن من اذى طوفانه

او انها للسايرات تراصد يختار راصدها اعز مكانه
او انها وضعت بيوت كواكب احكام فرس الدهر او ابونانه
او انهم نقشوا على حيطانها علما يحار الفكر في تبيانه
في قلب رآيها ليعلم نفسها فكر يعض عليه طرف بنانه

هذا الصنم بين الهرمين عرف اولا ببلهيت و يقول اهل مصر اليوم ابو الهول قال القضاعي صنم الهرمين وهو بلوبه من صنم كبير من حجاره فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى راسه فقط تسميه العامة بابي الهول ويقال بلهيب و يقال انه طلسم للرمل ليلا يغلب على بلد الجيزة و قال في كتاب عجايب البنيان وعند الاهرام راس و عنق بارزة من الارض في غاية العظم تسميه الناس ابا الهول ويزعمون ان جثته مدفونة تحت الارض و يقتضي القياس بالنسبة الى راسه ان يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا و في وجهه حمرة ودهان يلمع عليه رونق الطراوه وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة لها وجمال كانه يضحك تبسما وسيل بعض الفضلا عن عجيب ما راى فقال تناسب وجه ابي الهول فان اعضا وجهه كالانف والعين والاذن متناسبه كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلا مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان مشوها وكذلك انف الرجل لو كان للصبي لتشوهت صورته و على هذا ساير الاعضا فكل عضو ينبغي ان يكون على مقدار ما هيته بالقياس الى تلك الصورة و على نسبتها والعجب من مصوره كيف قدر ان يحفظ التناسب للاعضا مع عظمها وانه ليس في اعمال الطبيعة ما يحاكيه و يقابله في بر مصر قريب من دار الملك صنم عظيم الخلقه والهيئة متناسب الاعضا كما وصف وفي حجره مولود وعلى راسها ماجور الجميع صوان مانع ويزعم الناس انه امراة وانها سرية ابي الهول المذكور وهي بدرب ملسوب اليها ويقال لو وضع على راس ابي الهول خيط ومد الى سرية ابي الهول لكان على راسها مستقيما و يقال ان ابا الهول طلسم الرمل يمنعه عن النيل وان السرية طلسم الما يمنعه عن مصر وقال ابن المتوج رقاق الصنم هو الرقاق الشارع اوله باول السوق الكبير تجاور درب عمار و يعرف الصنم بسرية فرعون و ذكر انه طلسم النيل لا لا يغلب على البلد وقيل ان بلهيب الذي عند الاهرام يقابله وان ظهر بلهيب الى البلد الرمل وظهر هذا الى النيل وكل منهما مستقبل المشرق و قد نزل في سنة احدى عشرة وسبعماية امير يعرف ببلاط في نفر من الحجارين والقطاعين

وكسروا الصنم المعروف بالسرية وقطعوه اعتابا وقواعد ظننا ان يكون تحته
مال فلم يوجد سوى اعتاب من حجر عظيمه فحفر تحتها الى الما فلم يوجد شي وجعل
من حجره قواعد تحتانيه للعمد الصوان التي بالجامع المستجد بظاهر مصر
المعروف بالجامع الجديد الناصري وازيل عين هذا الصنم من مكانه والله
اعلم وفي زمننا كان شخص يعرف بالشيخ محمد صايم الدهر من جملة صوفية
الخانقاه الصلاحيه سعيد السعدا قام في نحو من سنه ثمانين وسبعمايه
بتغيير اشيا من المنكر وسار الى الاهرام وشوه وجه ابي الهول وشعثه فهو
على ذلك الى اليوم ومن حينئذ غلب الرمل على اراضي كثيره بالجيزة واهل
تلك النواحي يرون ان سبب غلبة الرمل على الاراضي فساد وجه ابي الهول
ولله عاقبة الامور وما احسن قول ظافر الحداد

تامل حكمة الاهرام واعجب … وعندهما ابو الهول العجيب
كعماريتين قاما في نجيب … بمحبوبين بينهما رقيب
وما النيل تحتهما دموع … وصوت الريح عندهما نحيب

ويقال ان اتريب بن قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح اوصا اخاه
صا عند موته ان يحمله في سفينه ويدفنه بجزيرة في وسط البحر فلما مات
فعل ذلك من غير ان يعلم به اهل مصر فاتهمه الناس بقتل اتريب وحاربوه
تسع سنين فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم حتى اوقفهم على قبر اتريب
فحفروه فلم يجدوا به شيا وقد نقلته الشياطين الى موضع ابي الهول ودفنته
هناك بجانب قبراخيه فازدادوا له تهمة وعادوا الى مدينة منف واحتربوا
فاتاهم ابليس فدلهم على قبر اتريب حيث نقله فاخرجوه من قبره ووضعوه
على سرير فتكلم لهم الشيطان على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه
فيما عبدوا من الاصنام وقتلوا صا ودفنوه على شاطي النيل فكان النيل اذا
زاد لا يعلو قبره فافتتن به طايفة وقالوا قد قتل صا ظلما وصاروا يسجدون
لقبره كما سجد اوليك لاتريب فعمد اخرون الى حجر فنحتوه على صورة اشمون
وكان يقال له ابو الهول ونصبوه بين الهرمين وجعلوا يسجدون له فصار
اهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصابية تعظم ابا الهول وتقرب له الديكه
البيض وتبخره بالصندروس

ذكر الجبال

اعلم ان ارض مصر
باسرها محصورة بين جبلين احدهما من الجنوب الى الشمال قليلي الارتفاع
واحدهما اعظم من الاخر والاعظم منهما هو الجبل الشرقي المعروف بجبل لوقا

والقرن

والقرني جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في بعض
المواضع وتتسع في بعضها واوسع ما يكون باسفل ارض مصر وهذان الجبلان
اقرعان لا ينبت فيهما النبات كما يكون في جبال البلدان الاخر وعلة ذلك انهما
بورقيان ملحان لان قوة طين مصر قوة تجذب منهما الرطوبة الموافقة في التكون
ولان قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب وكذلك مياه الابار فيهما
مالحة وهذان الجبلان يجففان ما يدفن فيهما فان ارض مصر بالطبع قليلة
الامطار وجبل لوقا في مشرق ارض مصر يعوق عنها ريح الصبا فعدمت مصر
هذه الريح ويعوق ايضا اشراق الشمس على ارض مصر اذا كانت في الافق وتعدد
اسما هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الاقليم فيطل على الفسطاط والقاهرة

ذكر الجبل المقطم

الجبل المقطم اعلم ان جبل المقطم اوله بالمشرق من الصين
حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الططر حتى ياتي فرغانه الى جبال البتم الممتد بها نهر
السغد الى ان يصل الجبل الى جيحون فينقطع ويمضي في وسطه بين شعبتين منه
وكانه قطع ثم يمر في وسطه فيسمى الجبل الى الجوزجان وياخذ على الطالقان الى اعمال
مرو والروذ والى طوس فيكون جميع مدن طوس فيه ويتصل به جبال اصبهان
وشيراز الى ان يصل الى البحر الهندي وينعطف هذا الجبل ويمتد الى شهرزور
الى شهرزور ثم يمر على ساحل دجله ويتصل الجبل الجودي في موقف سفينة نوح عليه
السلام في الطوفان ولا يزال هذا الجبل مستمرا من اعمال آمد وميافارقين حتى يمر
بثغور حلب فيسمى هناك جبل اللكام الى ان يعدي الثغور فيسمى بهراجي بحاور حمص
فيسمى لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة
الاخرى ويسمى المقطم ثم يتشعب ويتصل اواخر شعبه بنهاية المغرب ويقال انه
عرف بمقطم من مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وجبل المقطم يمر على
جانب النيل الى النوبة ويعبر من فوق الفيوم فيتصل بالمغرب الى ارض نفزاوة ويمضي
مغربا الى سجلماسة ومنها الى البحر المحيط مسيرة خمسة اشهر وقال ابراهيم بن
وصيف شاه وذكر بعض مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح الى ارض مصر وكشف
اصحاب اقليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم التي هي بخط البرابي واثارهم
المعادن من الذهب والزبرجد والفيروزج والاسباذشم وغير ذلك ووصفوا
لهم عمل الصنعة يعني الكيميا فجعل مصرايم امرها الى رجل من اهل بيته يقال له
مقيطام الحكيم فكان يعمل الكيميا في الجبل الشرقي فسمي به المقطم من اجل ان مقيطام
الحكيم كان يعمل فيه الكيميا واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه فقيل له جبل المقطم

يعنى جبل مقيطام الحكيم وقال البكرى المقطم بضم اوله وفتح ثانيه وتشديد
الطا المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم وقال القضاعى المقطم
ذكر ابو عبد الله اليمنى ان هذا الجبل نسب الى المقطم بن مصر بن بيصر وكان عبدا
صالحا فانفرد بعبادة الله عز وجل فيه فسمى الجبل باسمه وليس هذا بصحيح لانه
لا يعرف لمصر ولد اسمه المقطم والذى ذكره العلما ان المقطم ماخوذ من القطم
وهو القطع فكانه لما كان منقطع الشجر والنبات سمى مقطما ذكر ذلك على بن الحسن
الهناى الدوسى المنبوز بكراع وغيره وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد
الحكم عن الليث بن سعد قال سال المقوقس عمرو بن العاص ان يبيعه سفح الجبل
المقطم بسبعين الف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال اكتب بذلك الى امير المومنين
فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر سله لم اعطاك به ما
اعطاك وهى لا تزدرع ولا يستنبط بها ما فساله فقال انا لنجد صفتها فى
الكتب ان فيها غراس الجنه فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه عمر انا لا نعلم غراس الجنه
الا المومنين فاقبر فيها من مات قبلك من المومنين ولا تبعه بشى فكان اول من
قبر فيها رجل من المعافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمرو ما ذلك وما
على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذى بين المقبرة وبينهم وذكر عمر بن محمد
الكندى فى كتاب فضايل مصر ان عمرو بن العاص سار فى سفح الجبل المقطم ومعه
المقوقس فقال له ما بال جبلكم هذا اقرع ليس عليه نبات كجبال الشام فلو شققنا
فى اسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا فقال المقوقس وجدنا فى الكتب انه كان
اكثر الجبال اشجارا ونبتا وفاكهة وكان ينزله المقطم بن مصر بن بيصر بن حام
ابن نوح عليه السلام فلما كانت الليلة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام اوحى الى
الجبال انى مكلم نبيا من انبيائى على جبل منكم فسمت الجبال كلها وتشامخت الا جبل بيت
المقدس فانه هبط وتصاغر فاوحى الله اليه لم فعلت ذلك وهو به اخبر فقال
اعظاما واجلالا لك يا رب قال فامر الله سبحانه الجبال ان يحبوه كل جبل مما عليه من
النبت وجاد له المقطم بما عليه من النبت حتى بقى كما ترى فاوحى الله اليه انى معوضك
على فعلك بشجر الجنه او غراس الجنه فكتب بذلك عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فكتب اليه عمر بن الخطاب انى لا اعلم شجر الجنة غير المسلمين فاجعله لهم
مقبرة ففعل فغضب المقوقس من ذلك وقال لعمرو ما على هذا صالحتنى فقطع له عمرو
قطيعا نحو الحبش يدفن فيه النصارا قال وروى ان موسى عليه السلام سجد فسجدت
معه كل شجرة من المقطم الى طرا وروى انه مكتوب فى التوراة واذا فج مقدسى يريد
وادي

وادى سجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجاره وان موسى عليه السلام
كان يناجى ربه بذلك الوادى وروى اسد بن موسى قال شهدت جنازة مع ابن لهيعه
فجلسنا حوله فرفع راسه فنظر الى الجبل فقال ان عيسى بن مريم عليه السلام مر بسفح هذا
الجبل وعليه جبة صوف وقد شد وسطه بشريط وامه الى جانبه فالتفت اليها وقال
يا امه هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن لهيعة عن عياش بن
عباس ان كعب الاحبار سال رجلا يريد الى مصر فقال له اهد لى تربة من سفح مقطمها
فاتاه منه بجراب فلما حضرت كعبا الوفاة امر به فجعل فى لحده تحت جنبه وروى عن
كعب انه سيل عن جبل مصر فقال انه لمقدس ما بين القصير الى اليحموم وقال ابن
لهيعة والمقطم ما بين القصير الى مقطع الحجاره وما بعد ذلك فمن اليحموم وفى هذا
الجبل حجر الحاهر وشى من البلار وهو ممتد الى اقاصى بلد السودان ٥ ٥

الجبل الاحمر

هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقيها الشمالى ويعرف باليحموم قال القضاعى
اليحاميم هى الجبال المتفرقه المطله على القاهرة من جانبها الشرقى وجانبها وينتهى
هذه الجبال الى بعض طريق الجب وقيل لها اليحاميم لاختلاف الوانها واليحموم فى كلام
العرب الاسود المظلم وقال ابن عبد الحكم عن شفى بن عبيد انه لما قدم مصر واهل
مصر قد اتخذوا مصلى بحذاسا فيه الى عوف الى فى العسكر فقال ما لهم وضعوا مصلاهم
فى الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعنى المقطم وقال ابن عبد الظاهر الجبل الاحمر
ذكر القضاعى ان اليحموم هو الجبل المطل على القاهرة ولا ارى جبلا يطل على القاهرة
غيره وقال البكرى اليحموم بفتح اوله واسكان ثانيه قال الحرثى اليحموم جبل بمصر ورو
من طريق ابى قبيل عن عبد الله بن عمرو انه سال كعبا عن المقطم املعون هو قال ليس
بملعون ولكنه مقدس من القصير الى اليحموم وذكر البكرى ايضا ان عابد بالبا المعجمه
بواحده والدال المهمله على وزن فاعل جبل بمصر قبل المقطم ٥ ٥

جبل يشكر

هذا الجبل فيما بين القاهره ومصر عليه الجامع الطولونى قال القضاعى جبل
يشكر هو يشكر بن جديله من لخم وهو الذى عليه جامع ابن طولون ويشكر بن جديله
قبيله من قبايل العرب اختطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر لذلك وقال
ابن عبد الظاهر وجامع ابن طولون على جبل يشكر وهو مكان مشهور باجابة الدعا
ومكان مبارك وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وكان هذا الجبل
يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شى وكان يشرف على البركتين اعنى البركة التى

تعرف اليوم ببركة النيل والبركة التى تعرف ببركة قارون وعلى هذا الجبل كانت
تنصب المجانيق التى تخرب قبل ارسالها الى الثغور **الكبش** جبل بجوار جبل يشكر
كان قديما يشرف على النيل من غربيه ثم لما اختط المسلمون مدينة الفسطاط بعد فتح ارض
مصر صار الكبش من جملة خطة الحمرا القصوى وسمى بالكبش **الشرف** ٥ هنا ساقط سطر
اسم لثلاثة مواضع فاثنان منها فيما بين القاهرة ومصر وواحد فيما بين بركة الحبش
وفسطاط مصر فاما الذى بظاهر القاهرة فاحدهما عليه الان قلعة الجبل وهو من
جملة جبل المقطم والاخر فيما بين الجامع الطولونى ومصر فيشرف غربيه على جهة الخليج
الكبير ويصير فيما بين كوم الجارح وخط الجامع الطولونى وكان من خطه تجيب ثم
صار من جملة العسكر واما الشرف الثالث فيعرف اليوم بالرصد وهو يشرف على راشده
وكان يقال للشرف سند والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سند
اى معتمد **ذكر الرصد** هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشده ومن
قبليه على بركة الحبش فيحسبه من راه من جهة راشده جبلا وهو من شرقيه سهل يتوصل
اليه من القرافة بغير ارتقا ولا صعود وهو محاذ للشرف الذى كان من جملة العسكر
والشرف الذي يعرف بالكبش وكان يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من اجل ان
الافضل ابا القاسم شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالى اقام فوقه كرة لرصد الكواكب
فعرف من حينيذ بالرصد قال فى كتاب عمل الرصد وحمل الى الافضل شاهنشاه بن امير
الجيوش بدر الجمالى من الشام تقاويم لما يستانف من السنين لاستقبال سنه خمسماية
من سنى الهجرة قبل مايه تقويم او نحوها وكان منجموا الحضرة يوميذ ابن الحلبى وابن الهيثم
وسهلون وغيرهم مطلق لهم الجارى فى كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم
فى كل سنة وكان كل منهم تجتهد فى حسابه وما تصل قدرته اليه فاذا كان فى غرة السنة
حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينهم وبين التقويمات المحضرة من الشام فوجد بينهم اختلافا
كثيرا فانكر ذلك فلما كان غرة سنه ثلاث عشرة وخمسماية عند احضار التقاويم على
العادة جمع المنجمين والحساب واهل العلم وسالهم عن السبب فى الخلف بين التقاويم
فقالوا الشامى يحسب ويعمل على راى الزيج الممتحن المامونى ونحن نعمل على راى الزيج
الحاكمى لقرب عهده وبين المتقدم والمتاخر تفاوت وخلف وقد اجمع القدما ان
القريب العهد اصح من المتقدم لتنقل الكواكب وتغير الحساب وتحدثوا فى معنى ذلك
بما هو مذكور فى موضعه واشاروا عليه بعمل رصد مستجد يصح به الحساب ويخرج
المعوز والتفاوت ويحصل به المنفعة العظيمة والفايدة الجليلة والسمعة الشريفة
والذكر الباقى فقال من يتولى ذلك فقال صاحب دسته ومشيره الشيخ الاجل ابو

الحسن

الحسن بن ابى اسامة هذا القاضى ابن ابى العيش الطرابلسى المهندس العالم الفاضل وكان ابن
ابى العيش صهره زوج ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر كبير المال وساعده على
ذلك القايد ابو عبد الله الذى تقلد الوزارة بعد الافضل ودعى بالمامون ابن البطايحى
فاستصوب الافضل ذلك وقال مروه يهتم بذلك ويستدعى ما يحتاج اليه فكان اول
ما بدا به لما احضر لذلك ان مدح نفسه وكان الافضل غيورا على كل شى اشد ما عليه
من يفتخر او يلبس شيا بما ذكوره ثم قال هذه الالات عظيمة وخطرها جسيم ولا كل احد
يقدم عليها ولا يحسنها واكثر الكلام والتوسعة وقال يحتاج الذى يتولى ذلك يعتمد
معه الانعام والاكرام لتطيب نفسه للمباشرة وينشرح صدره وينقدح خاطره
لما يعمل فى حقه فضجر الافضل من ذلك وقال لقد اكثر فى مدح نفسه ولده وما تعاملنا
بعد لا حاجة الى معاملته فاشار القايد ابن البطايحى وقال هنا من يبلغ الغرض باسهل
ماخذ واقرب وقت واسرعه والطف معنى ابو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزاين
السلاح والسروج والصناعات وغير ذلك فاحضره للوقت فاتفق له من الجد بث
الحسن السهل وما سبب عمل الالات ومن ابتداها من الاول وذكر القدما فى ابتدا
العالم ومن رصد منهم واحدا واحدا الى اخرهم شرحا مستوفى كانه يحفظه ظاهرا
ويقراه من كتاب فاعجب الافضل والحاضرين وقال له اى شى تحتاج فقال ما
احتاج كبير امر والامور سهلة كلما احتاجه فى خزاين السلطان خلد الله ملكه النحاس
والرصاص والالات وكلما احتاج استدعيه اولا اولا والنفقات واجرة الصناع
يتولاها غيرى فاعجب به وقال يطلق له جار لنفسه فقال انا مستخدم فى عدة خدم
لجوارى يكفينى وانا مملوك الدولة ما احتاج الى جار واذا بلغت الغرض والغيبة لا اشتغل
فهو المقصود وكان قيل للافضل هذا الرصد يحتاج الى اموال عظيمة فقال كم تقول يحتاج
اليه فقال ما ينفق عليه الامثل ما ينفق على مسجد او مستنظر فرجع يكرر عليه القول فقال
هاتوا ورقة فكتب فيها المملوك يقبل الارض وينهى دعت الحاجة الى خروج الامر العالى
الى دار الوكالة باطلاق ما يتى قنطار من النحاس الحر وثمانين قنطارا من النحاس القضيب
الاندلسى واربعين قنطارا من النحاس الاحمر ومن الرصاص الف قنطار ومن الحطب
ومن الحديد الفولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج اليه ومن الاخشاب ومن النفقة
مائة دينار على يد شاهد ينفق به فاذا فرغت استدعى غيرها واحتاج اختار موضعا
يصلح الرصد فيه ويكون العمل والصناع فيه ومباشرة السلطان فيما يتوقف عليه وما
يستامر فيه فاستصوب الافضل جميع ذلك واراد ان يخلع عليه فقال القايد هذا
فيما بعد اذا شوهدت اعماله تخدم من اول الحال الى اخرها ولم يحصل له الدرهم الفرد

لانه كان يستحى ان يطالب وهو مستخدم عندهم وكانوا باجمعهم يأملون طول
المدة والبقا فقتل الافضل ثانى سنه وتغيرت الاحوال ثم انهم اختاروا للرصد مسجد
التنور فوق المقطم فوجدوه بعيدا عن الحوايج فاجمعوا على سطح الجرف بالمسجد المعروف
بالفيله الكبير وكان قد اصرف على المسجد خاصه ستة الاف دينار فحفروا فى مسجد
الفيله نقرا فى الجبل مكان الصهريج الان فعمل فيه قالب الحلقه الكبيره وقطرها عشرة
اذرع ودورها ثلاثين ذراعا وهندموه وحرروه اياما وعمل حوله عشر هرج
على كل هرجه منفاخان وفى كل هرجه احد عشر قنطارا نحاسا واقل واكثر الجميع
مايه قنطار وكسر قسموها على الهرج وطرح فيها النار من العصر ونحو الى الثانيه
من النهار وحضر الافضل بكرة وجلس على كرسى فلما تهيات الهرج ودارت امر الافضل
بفتحها وقد وقف على كل هرجه رجل وامر وابفتحها فى لحظة ففتحت وسال النحاس كالما
الى القالب وكان قد بقى فيه بعض النداوه فلما استقر به النحاس بحرارته نفقع المكان
الندى فلم تتم الحلقه ولما بردت وكشف عنها اذا هى تامة ما خلا المكان الندى فضجر
الافضل وضاق صدره ورما الصناع بكيس فيه الف درهم بغضب وركب فلاطفه
ابن قرقه وقال مثل هذه الاله العظيمه التى ما سمع قط بمثلها لو اعيد سبكها عشر مرات
حتى يصح ما كان كثيرا فقال له الافضل اهتم فى اعادتها فسبكت وصحت ولم يحضر الافضل
فى المرة الثانية ففرح بصحتها وعملت ورفعت الى سطح مسجد الفيله واحضر لها جميع
صناع النحاس وعمل لها بركار خشب من السنديان وهو بركار عجيب بنى فى وسط
الحلقه مسطبة حجارة متقنة لرجل البركار وهو قايم مثل عروس الطاحون وفيه
ساعد مثل ناف الطاحون وقد لبس بالحديد والجميع سنديان جيد وطرف الساعد
مهيا لعدة فنون تارة لتصحيح وجه الحلقه وتارة لتعديل الاجناب وتارة للخطوط
وللحزوز واقام فى التصحيح فيها واخذ زوايدها بالمبارد مده طويله وجماعة الصناع
والمهندسين وارباب هذا العلم حاضرون واستدعى لهم خيمة عظيمة ضربت على
الجميع وعقد تحت الحلقه اقبا وبيتا وارادوا انيابها على سطح مسجد الفيله فلم تتهيا
لهم فانهم وجدوا المشرق لاول بروز الشمس مسدودا فانفقوا على نقلها الى المسجد
الجيوشى بجاور الانطاكى المعروف ايضا بالرصد وكان الافضل بنا الطف من جامع
الفيله ولم يكمل فلما صار برسم الرصد كمل فحضر الافضل فى نقل الحلقة من جامع الفيله
الى المسجد الجيوشى وقد احضرت الصوارى الطوال العظام والسرباقات والمحكات
من الاسكندريه وغيرها وجمعت الاسطوليه ورجال السودان وبعض اصحاب
الركاب والجند حتى دلوه وحملوه على العجل الى مسجد الرصد الجيوشى وثانى يوم

مسجد التنور باعلا
الجبل يعرف بمسجد وعس

حضروا

حضروا باجمعهم حتى رفعوه الى السطح وكملوه واقاموا الحلقة وجعلوا تحت اكتافها
عمودين من رخام سبكوهما بالرصاص من اسفلهما واعلاهما حتى لا يرتخى الثقل النحاس
وجعل فى الوسط عمود رخام وباعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكثير
لتدور عليه العضاده وعملت من نحاس فما تمارست ولا دارت فعملوها من
خشب ساج وقطبها واطرافها من نحاس صفايح ليخف الدوران ثم رصد وابها
الشمس بعد كلفه وكانت الحلقه ترخ الدرجه والدقايق كل وقت للثقل فعمل
عمود من نحاس فوق العمود الرخام ليمسك رخوها وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف
لشدة ما كان يحرر وربطها بالشواقيل والعضاده الخشب وتردد اليها الافضل
مع كبر سنه وهو يرعش والقايد يحمله الى فوق ويقعد زمانا من التعب لا يتكلم
وبدنه يرعش فرصد وافرامه وفى خلال ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنه
خمس عشرة وخمسمايه وقيل للافضل عن ابن قرقه انه اسرف فى كبر الحلقه وعظم
مقدارها فقال الافضل لو اختصرت منها كان اهون فقال وحق نعمتك لو امكننى ان
اعمل حلقه يكون رجلها الواحده على الاهرام والاخرى على التنور فعلت فكلما كبرت
الاله صح التحرير ان هذا فى العالم العلوى ثم اكثروا عليه فعمل حلقة دونها فى
الموضع المنهدم بالطوب الاحمر تحت المسجد الجيوشى كان قطرها اقل من سبعة اذرع
ودورها نحو احد وعشرين ذراعا فلما كملت قتل الافضل ولم ينفق من مال السلطان
فى الاجرة والمون وما لابد منه سوى نحو مايه وستين دينارا فلما تمت الوزاره
للمامون البطايحى احب ان يكملها ويقال له الرصد المامونى المصحح كما قيل للاول الرصد
المامونى الممتحن فاخرج الامر بنقل الرصد الى باب النصر بالقاهره فنقل على الطريقة
الاولى بالعتالين والاسطولية وطوايف الرجال وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغدا
جملة دراهم فلما صار فوق العجل مضوا به على الخندق من ورا الفتح على المشاهد الى المسجد
الدخيره من ظاهر القاهرة وتعبوا فى دخوله من باب النصر تعبا عظيما لخوفهم ان يصدم
فيتغير فنصبوا الصوارى على عقد باب النصر من داخل الباب وتكاثر الرجال بجذب
المباحين من اسفل ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم نقلوه من السطح الكبير الى السطح
الفوقانى واوقفوا له العمد كما تقدم ذكره ورصدوا بالحلقة الكبرى كما رصدوا بها
على سطح الجرف فصح لهم ما ارادوا من حال الشمس فقط ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون
قطرها خمسه اذرع وسبكت فى البندق بالعطوفيه من القاهره وكان الامر فيها سهلا
عند ما لحقهم من العنا العظيم فى الحلقة الكبيره والحلقة الوسطى وتجرد المامون
لعملها والحث فيها وكان ابن قرقه يحضر كل يوم دفعتين ويحضر ابو جعفر بن حسداى وابو البركات

ابن ابى الليث صاحب الديوان وبيده الحل والعقد فقال له المامون اطلع اليهم كل يوم
واى شى طلبوه وقع لهم به من غير موامرة وكان قصده ما اطمعوه فيه من ان يقال
الرصد المامونى المصحح فلو اراد الله ان يبقا المامون قليلا كان يكمل جميع رصد الكواكب
لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنه تسع عشرة وخمسماية وكان
من جملة ما عد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل اطمعته نفسه
فى الخلافه بكونه سماه الرصد المامونى ونسبه الى نفسه ولم ينسبه الى الخليفه
الامر باحكام الله واما العامة والغوغا فكانوا يقولون ارادوا ان يخاطبوا
زحل وارادوا ان يعلموا الغيب وقال اخرون منهم عمل هذا للسحر ونحو ذلك من
الشناعات فلما قبض على المامون بطل وانكر الخليفه على عمله فلم يجسر احد ان يذكره
وامر فكسر وحمل الى المناخات وهرب المستخدمون ومن كان فيه وكان الخاص
فيه من المهندسين برسم خدمته وملازمته فى كل يوم بحيث لا يتاخر منهم احد
الشيخ ابو جعفر بن حسداى والقاضى ابى العيش والخطير ابو الحسن على بن سليمن
البواب والشيخ ابو المنجى بن سند الساعاتى الاسكندرانى المهندس وابو محمد
عبد الكريم الصقلى المهندس وغيرهم من الحساب والمنجمين كابن الحلبى وابن
العيثمى وابى نصر تلميذ سهلون وابن دياب والعلمى وجماعه يحضرون كل يوم
الى ضحوة نهار فيحضر صاحب الديوان ابن ابى الليث وكان ابن حسداى ربما تاخر
فى بعض الايام فانه كان امرا عظيما صاحب كبريا وهيبه وفى كل يوم يبعث المامون
من يتفقد الجماعة ويطالعه بمن غاب منهم لانه كان كثير التفقد للامور كلها
وله غمازون واصحاب اخبار لا ينام ولا يكاد يفوته شى من احوال الخاصة والعامه
بمصر والقاهره ومن يتحدث وجعل فى كل بلد من الاعمال من ياتيه بساير اخبارها انتهى
وانا ادركت هذا الموضع الذى يعرف الى اليوم بجبل الرصد حيث جامع الفيله عامرا فيه
عدة مساكن ومساجد وبه اناس مقيمون دايما وقد خرب ما هنالك وصار لا انيس به
وكان الملك الناصر محمد بن قلاون قد انشا فيه سواقى لنقل الما من اماكن قد حفرها
خليج من البحر بجوار رباط الاثار النبويه فاذا صار الما فى سفح هذا الجرف المسمى بالرصد
نقل بسواقى هناك قد انشيت الى ان يصير الى القلعة فمات ولم يكمل ما اراده من ذلك كما
ذكر فى اخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب وما زال موضع هذا الرصد متنزها لاهل مصر
ويقال ان المعز لدين الله معد لما قدم من بلاد المغرب الى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال
للقايد جوهر ادا فاتك بنا القاهرة على النيل فهلا كنت بنيتها على الجرف يعنى هذا المكان
ويقال ان اللحم علق بالقاهره فتغير بعد يوم وليله وعلق بقلعة الجبل فتغير بعد يومين

ولليلتين

وليلتين وعلق فى موضع الرصد فلم يتغير ثلاثة ايام ولياليها لطيب هوايه ولله در القايل

يا ليلة عاش سرورى بها — ومات من يحسدنا بالكمد
وبت بالمعشوق فى المنتهى — وبات من يرقبنا بالرصد

ذكر مداين ارض مصر

قال ابن سيده مدن بالمكان اقام والمدينه الحصن يبنى فى اصطمة الارض مشتق من ذلك
والجمع مداين ومدن ومن هنا حكم ابو الحسن فيما حكى الفارسى عنه ان مدينه فعيله
وقال العلامه اثير الدين ابو حيان المدينه معروفه مشتقه من مدن فهى فعيله ومن
ذهب الى انها مفعله من دان فقوله ضعيف لاجماع العرب على الهمز فى جمعها فانهم
قالوا مداين بالهمز ولا يحفظ مداين بالياء ولا ضرورة تدعو الى انها مفعله ويقطع بانها
فعيله جمعهم لها على فعل فانهم قالوا مدن كما قالوا صحف فى صحيفه واعلم ان مداين مصر
كثيره منها ما دثر وجهل اسمه ودرس رسمه ومنها ما عرف اسمه وبقى رسمه ومنها ما هو عامر
واول مدينه عرف اسمها فى ارض مصر مدينة امسوس وقد محى الطوفان رسمها ولها
اخبار معروفه وبها كان ملك مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان
مدينة منف وبها كان ملك القبط والفراعنه الى ان خربها بخت نصر فلما قام الاسكندر
ابن عماره جديده وصارت دار المملكه بمصر الى ان قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين
وفتح ارض مصر فاختط فسطاط مصر وصارت مدينة مصر الى ان قدم جوهر القايد
من المغرب بعساكر المعز لدين الله ابى تميم معد وملك مصر واختط القاهره فصارت
دار المملكه بمصر الى ان زالت الدوله الفاطميه على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب
فبنى قلعة الجبل وصارت القاهره مدينه مصر الى يومنا هذا وفى ارض مصر عدة مداين
ليست دار ملك وهى مدينه الفيوم ومدينة دلاص ومدينه اهناس ومدينه البهنسى ومدينه
القيس ومدينه طحا ومدينه الاشمونين ومدينه انصنا ومدينه قوص ومدينه سيوط
ومدينه قاو ومدينه اخميم ومدينه البلينا ومدينه هو ومدينه قنا ومدينه دندره
ومدينه قفط ومدينه الاقصر ومدينة اسنا ومدينه ارمنت ومدينه وادنو وثغر
اسوان وادركاه مدينه هذه مداين الوجه القبلى وكان اهل مصر يسمون من سكن
من القبط بالصعيد المريس ومن سكن منهم اسفل الارض يسمون البيما وفى الوجه
البحرى مدينه نوب من الحوف الشرقى باسفل الارض ومدينة عين شمس ومدينه
اتريب ومدينه سنو ومن قراها ناحيه زنكلون ومدينه بنى ومدينه بسطه ويعرف
اليوم موضعها بتل بسطه ومدينه فربيط ومدينه البتنون ومدينة منوف ومدينه
طوه ومدينه منوف ايضا ومدينه سخا ومدينه الاوسيه وهى دميره ومدينه سند

ومدينه الافراحون ومن جملة قراها نشا ومدينه نقيزه ومدينه بنا ومدينه شبرا
بساط ومدينه سمنود ومدينه نوسا ومدينه سنبتي ومدينه البجوم وقد غلب على كورة
البجوم الرمال والسباخ ويعرف اليوم منها قريه ادكو على ساحل البحر بين سكندريه
ورشيد ومدينه تنيس ومدينه دمياط ومدينة الفرما ومدينه العريش ومدينه
صا ومدينه ترنوط ومدينه قرسطا ومدينه احو ومدينه رشيد ومدينه مربوط
ومدينه لوبيه ومراقيه وليس بعد لوبيه ومراقيه الا ارض انطابلس وهي برقه وفي
كور القبله مدينه فاران ومدينة القلزم ومدينه رايه ومدينه ايله ومدينه مدين
واكثر هذه المداين قد خرب ومنها ماله اخبار معروفه وقد استجدت في الاسلام
بعض مداين وسياتي من اخبار ذلك ان شا الله ما يكفي وديار مصر اليوم وجهان
قبلي وبحري جملتها خمس عشرة ولايه فالوجه القبلي اكبرهما وهي تسعة اعمال عمل قوص
وهواجلها ومنه اسوان وضرب قموله واسوان حد المملكه من الجنوب وعمل اخميم وعمل
سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين ومنها الطحا وبه وعمل البهنسا وعمل الفيوم وعمل
اطفيح وعمل الجيزه والوجه البحري سته اعمال عمل البحيره وهو متصل البر بالاسكندريه
وبرقه وعمل الغربيه وهي جزيره واحده يشتمل عليها ما بين البحرين بحر دمياط وبحر
رشيد والمنوفيه ومنها ابيار التي تسمى جزيرة بني نصر وعمل قليوب وعمل الشرقيه وعمل
اشموم طناح ومنها الدقهليه والمرتاحيه وهنا موقع ثغر البرلس وثغر رشيد والمضاف
وفي هذا الوجه الاسكندريه ودمياط وهما مدينتان لا عمل لهما وذكر ابو الحسن المسعودي
في كتاب اخبار الزمان ان الكوكه وهي امة من اهل بابل ملكوا الارض وقسموا الصعيد
على ثمانين كورة وجعلوه اربعة اقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة في كورها ثلاثين
مدينه فيها جميع العجايب والكور مثل اخميم وقفط وقوص والفيوم ويقال ان مصر بن
بيصر قسم الارض بين اولاده فاعطى ولده اشمون من حد بلد منف الى راس البحر الى دمياط
واعطى لولده انصنا من حد انصنا الى الجنادل واعطى لولده صا من صا اسفل الارض الى
الاسكندريه واعطى لولده منوف وسط الارض السفلى منف وما حولها واعطى لولده
قفط غربي الصعيد الى الجنادل واعطى لولده اتريب شرقي الارض الى البريه بريه فاران
واعطى لبناته الثلاثه وهن الفرما وسرياقوس وبدوره بقاعا من ارض مصر محدوده

ذكر مدينة اسوس وعجايبها وملوكها

فيما بين اخوتهن قال
الاستاد ابراهيم بن وصيف الكاتب في كتاب اخبار مصر وعجايبها وكانت مصر القديمه
اسمها امسوس واول من ملك ارض مصر نقراوش معناه نقراوش ملك قومه وكان
قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التي تعلمها دوابل بن ادم عليه السلام فبنى الاعلام والاثار

الاساطين

الاساطين وعمل المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبنا
المداين فكل علم جليل كان في ايدي المصريين انما هو من فضل نقراوش واصحابه كان
ذلك مرموزا في الحجارة ففسر فليمون الكاهن الذي ركب مع نوح عليه السلام في
السفينة ونقراوش هو الذي بنا مدينة امسوس وعمل بها عجايب كثيره منها طاير
يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين فيستدلون بصفيره
على ما يكون من الحوادث حتى يتهيبون لها ومنها صنم من حجر اسود في وسط المدينة
تجاهه صنم مثله اذا دخل الى المدينة سارق لا يقدر ان يزول حتى يسلك بينهما فاذا
دخل بينهما انطبقا عليه فيوخذ وعمل صورة من نحاس على منار عال لا يزال عليها سحاب
يطلع وكل من استمطرها امطرت عليه ما شا وعمل على احد البلاد اصناما من نحاس مجوفه
وملاها كبريتا ووكل بها روحانية النار فكانت اذا قصدهم قاصد ارسلت تلك
الاصنام من افواهها نارا احرقته وعمل فوق جبل بطرس منارا يغور بالما ويسقي ما
حوله من المزارع ولم تزل هذه الاثار حتى ازالها الطوفان ويقال انه هو الذي
اصلح مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وانه وجه الى بلاد النوبه جماعة
هندسوه وشقوا نهرا عظيما منه بنوا عليه المدن وغرسوا الغروس واحب ان يعرف
مخرج النيل فسار حتى بلغ خط الاستوا ووقف على البحر الاسود الزفتي وراى النيل
يجري على البحر مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ويخرج منه الى بطايح ويقال
انه هو الذي عمل التماثيل التي هناك وعاد الى امسوس وقسم البلاد بين اولاده فجعل
لابنه الاكبر واسمه نقساوش الجانب الغربي ولابنه شورب الجانب الشرقي وبنا لابنه
الاصغر واسمه مصرام مدينه برسان واسكنه فيها واقام ملكا على مصر مايه
وثمانين سنه ولما مات لطخ جسده بادويه ماسكه وجعل في تابوت من ذهب
وعمل له ناوس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه كنوز واكسير واواني من ذهب لا
يحصى ذلك لكثرته وزبروا على الناووس تاريخ موته واقاموا عليه طلسما يمنعه من
الحشرات المفسدة نقاوش ابن نقراوش وكان كاهنا في علم الكهانه والطلسمات
وهو اول من عمل بمصر هيكلا وجعل فيه صور الكواكب السبعة وكتب على هيكل
كل كوكب منافعه ومضاره والبسها كلها الثياب الفاخره واقام لها خدمه وسدنه
وخرج من امسوس مغربا حتى بلغ البحر المحيط واقام عليه اساطين على روسها اصنام
تسرج عيونها في الليل ومضى على بلاد السودان الى النيل وامر ببنا حايط على جنب
النيل وعمل له ابوابا يخرج منها الما وبنا في صحرا الغرب خلف الواحات ثلاث مدن على
اساطين بشرفات من حجاره ملونه شفافه وفي كل مدينه عدة خزاين من الحكمة وفي

احدها صنم للشمس على صورة انسان وجسد طاير من ذهب وعيناه من جوهر
اصفر وهو جالس على سرير من مغناطيس وفي يده مصحف العلوم وفي احدها
صنم راسه راس انسان بجسد طاير ومعه صورة امراه جالسه قد عملت من زيبق
معقود ولها ذوابتان وفي يديها مراآه وعلى راسها صورة كوكب وقد رفعت المراة
بيديها الى وجهها وفي احدها مطهرة فيها سبعة الوان من سايل يرد اليها ولا
يغير بعضها لون بعض وفي بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من الفيروزج وبين
يديه صبيه جلوس كلهم من عقيق وفي بعضها صورة هرمس بحق عطارد وهو
ينظر الى ما في بين يديه من لوشاذر على قوايم من كبريت احمر وفي وسطها صحفه
من جوهر وجعل فيها صورة عقاب من زبرجد اخضر وعيناه من ياقوت اصفر وبين
يديه حيه زرقا من فضه قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت راسها كانها تنفخ عليه
وجعل فيها صفة المريخ وهو راكب على فرس وفي يده سيف مسلول من حديد اخضر
وجعل فيها عمودا من جوهر اخضر وعليه قبه من ذهب فيها صورة المشترى وجعل
فيها قبه من اذرك على اربعة اعمده من جزع ازرق وفي سقفها صورة الشمس والقمر
متحاذيين وفي صورة رجل وامراه يتحادثان وجعل فيها قبة من كبريت احمر فيها صورة الزهرة
على هيئة امراة ممسكة بظفايرها وتحتها رجل من زبرجد اخضر في يده كتاب فيه علم
من علومهم كانه يقرا فيه عليها وجعل في بقية الخزاين من كنوز الاموال والجواهر والحلي
واكسير الصنعة وصنوف الادويه والسموم القاتلة ما لا يحصى كثرة وجعل على باب كل
مدينة طلسما يمنع من دخولها وانفذ لها سرابا تحت الارض ينفذ بعضها الى بعض
طول كل سرب ثلاثة اميال وبنا ايضا مدينة بارض مصر اسمها حلجه وعمل فيها جنه
صبغ حيطانها بالجواهر الملونه وبالذهب وغرس فيها اصناف الاشجار واجرى تحتها
الانهار وغرس فيها شجره مولد تطعم ساير الفواكه وعمل فيها قبة من رخام احمر على راسها
صنم يدور مع الشمس ووكل بها شياطين اذا خرج احد من بيته في الليل هلك واقام بها اساطين
زبرجد عليها جميع العلوم وصور العقاقير ومنافعها ومضارها وجعل لهذه المدينه
سراديب متصل بسراديب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها وبين هذه المدينه عشرون
ميلا فلم تزل هذه المداين حتى افسدها الطوفان ولما مات بعد ماية وتسع سنين وملكه على
مصر عمل في ناوس مطلسم ودفن فيه وملك بعده اخوه مصرام بن نقراوس
الجبار بن مصريم ويقال به سميت مصر وكان حكيما فعمل هيكلا للشمس من مرمر موه بالذهب
لعمر في وسطه فرس جوهر ازرق عليه صورة الشمس من ذهب لعمر وعلى راسه قنديل من الزجاج
فيه حجر مدبر يضي اكثر من السراج ثم انه ذلل الاسد وركبها وسار الى البحر المحيط وجعل في

وسط

وسطه قلعة بيضا عليها صنم للشمس وزبر عليه اسمه وصفته وعمل صنما من نحاس
زبر عليه انا مصرام الجبار كاشف الاسرار الغالب القهار وضعت الطلسمات الصادقه
واقمت الصور الناطقه ونصبت الاعلام الهايله على البحار السايله ليعلم من بعدى
انه لا يملك احد اشد من ايدى وعاد الى امسوس واحتجب عن الناس ثلثين سنه
واستخلف رجلا يقال له عيقام من ولد غرباب بن ادم وكان كاهنا ساحرا فلما مضت
المدة احب اهل مصر ان يروه فجمعهم عيقام بعد ما اعلم مصرام فظهر لهم في اعلا مجلس
مزين باصناف الزينه في صوره هايله ملات قلوبهم رعبا فخروا له ساجدين ودعوا
له ثم احضر اليهم الطعام فاكلوا وشربوا وامرهم بالرجوع الى مواضعهم ولم يروه
بعدها فملك بعده خليفته عيقام وقد حكى عنه اهل مصر حكايات لا تصدقها
العقول ويقال ان ادريس عليه السلام رفع في ايامه وانه راى في علمه كون الطوفان
فبنا خلف خط الاستوا قصرا في سفح جبل القمر من نحاس وجعل فيه خمسة وثمانين تمثالا
من نحاس تخرج ما النيل من حلوقها وتصب في بطحا تنتهى الى مصر وسار اليه من امسوس
اليه نشاهد حكمة بنيانه وزخرفة حيطانه وما فيها من النقوش من صور الافلاك
وغيرها وكان قصرا تسرج فيه المصابيح وتنصب فيه الموايد وعليها من كل الاطعمة
الفاخرة في الاوانى النفيسه ما لو اكل منها عسكر لما نقصت ذرة ولا يعرف من عملها
ولا من وضعها وفي وسط القصر بركه من ما جامد الظاهر وترى حركته من ورا ما
جمد منه فاعجب بما راى وعاد الى امسوس واستخلف ابنه غرباق وقلده الملك واوصا
وعاد الى ذلك القصر واقام به حتى هلك والى عيقام هذا يعزى مصحف القبط الذي
فيه تواريخهم وجميع ما يجرى في اخر الدهر فقام من بعده ابنه عرباق
غرباب ويقال اريان بن عيقام ويقال له الاثيم فعمل اعمالا عجيبة منها شجرة صغيرة لها
اغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب الظالم منها اخذته تلك الخطاطيف ولا تفارقه
حتى يقر بظلمه ويخرج منه لخصمه ومنها صنم من كذان اسود سماه عبد زحل كانوا يتحاكمون
اليه فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه ولم يقدر على الخروج منه حتى ينصف من نفسه
ولو اقام سنة ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر الى الكوكب وتضرع وذكر اسم عرباق
فاذا اصبح وجد حاجته على بابه وعمل شجرة من حديد ذات اغصان ولها بد وامد
فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش اليها حتى يتمكن من صيدها
وكان اذا غضب على اهل اقليم سلط عليهم الوحوش والسباع وتارة يجعل ماهم مر
الابذاق ويقال ان هاروت وماروت كانا في زمانه وانه بنا جنة عظيمة واغتصب
النسا الحسان واسكنهن فيها فحملت عليه امراة منهن وسمته فهلك وملك بعده

لوجيم ابن نقراوس ويقال بل هو من بنى نقراوش الجبار ويعرف
بلوحيم الفتى وهو الذى اخذ الملك من عرباق بن عبقام الكاهن ورده لبنى نقراوش بعد
ما خرج عنهم بلا حرب ولا قتل وكان عالما بالكهانة والطلسمات فعمل اعمالا عجيبه منها ان
الغداف والغراب كثر فى ايامه واتلف الزرع فعمل اربع منارات من جوانب مدينه
امسوس الاربعه وعلى كل منارة صورة غراب وفى فمه حية قد التوت عليه فنفرت
عنهم الطيور المضره من حينيذ ولم تقربهم حتى زالت المنارات بالطوفان وكان حسن
السيرة منصفا للرعيه عادلا مقربا للكهنة ولما مات دفن فى ناوس ومعه كنوزه وعمل
عليه طلسم يمنعه وملك بعده **خصليم** وكان فاضلا عالما كاهنا فعمل اعمالا
عجيبة وهو اول من عمل مقيا سا لزيادة ما النيل بان جمع ارباب العلوم والهندسة
فقدروا وبينا رخام على حافة النيل وفى وسطه بركه صغيره من نحاس فيها ما موزون
وعليها من جانبيها عقابان من نحاس احدهما ذكر والاخر انثى فاذا كان اول الشهر الذى
يزيد فيه النيل فتح هذا البيت وجمع الكهان فيه بين يديه وزمزم الكهان بكلامهم حتى
يصفر احد العقابين فان صفر الذكر كان الما تاما وان صفرت الانثى كان الما ناقصا
فيستعدون عند ذلك لغلا الاسعار بما يصلحون به شانهم وهو الذى بنا القنطره
ببلاد النوبة على النيل ولما مات عمل فى ناووس ومعه كنوزه وعليه طلسم وملك بعده
ابنه **هوصال** ويقال هرصال ومعناه خادم الزهرة ويقال سوماك بن لوخيم
الملك النقراوشى من بنى نقراوش الجبار ويقال ان نوحا عليه السلام ولد فى ايامه
وكان فاضلا كاهنا عالما بالسحر والطلسمات فعمل عجايب منها انه بنا مدينة وعمل فى وسطها
صنم للشمس يدور بدورانها وبيت مغربا ويصبح مشرقا وعمل سربا تحت النيل يشق الارض
وخرج منه متنكرا حتى بلغ مدينه بابل وكشف اعمال الملوك وكان نوح عليه السلام فى
زمانه وولد له عشرون ولدا فجعل مع كل ولد منهم قاطر وهو راس الكهنه واقام فى الملك
مايه وسبع عشرة سنة ثم لزم الهيا كل واقام اولاده على حالهم كل منهم فى قسمه الذى اعطاه
اياه ابوه مدة سبع سنين ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه بردشال وقيل
تدرسان فلما ملك نفى جميع اخوته الى المداين الداخلة فى الغرب واقتصر على
امراة من بنات عمه وكانت ساحره وعمل له قصرا من خشب منقوش فيه صور الكواكب
وبسطه باحسن الفرش وحمله على الماوصار يجلس فيه فبينا هو فيه ذات يوم اذ هبت
ريح شديده اضطرب منها الما فانقلب القصر وتكسر فغرق هو ومن كان معه فى القصر
وملك بعده اخوه نمرود الجبار ويقال **شمرود** ابن هوصال فاحسن السيرة
وانصف الرعية وبسط العدل وجمع اخوته وفرق عليهم كنوز اخيهم فسر الناس به

وطلب امراة اخيه الساحرة ففرت بابنها الى مدينه ببلاد الصعيد وامتنعت عليه
بسحرها واقامت مدة فاجتمعت السحرة الى ابنها وكان اسمه توميدون وحملوه على
طلب الملك فسار وخرج اليه شمرود واخوته فاقتتلوا قتالا عظيما كان فيه الظفر لتوميدون ون
فقتله وملك من بعده فقام **توميدون** ابن تدرسان بالملك فى مدينه امسوس
وكان عالما فاضلا فقوى بسحر امه وعملت له اعمالا عجيبة منها قبه من زجاج على هيئة
الكرة تدور بدوران الفلك وصورت فيها صور الكواكب فكانوا يعرفون بها اسرار الطبايع
وعلوم العالم فلما ماتت امه الساحره بعد سنين من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه
النتن والحشرات ودفن تحت صنم القمر ويقال انها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت
بعض الارواح وتخبرهم بعجايب وتجيب عما يسال عنه ولما مات توميدون بعد مايه سنه
من ملكه عمل له صوره من زجاج مقسومه بنصفين وادخل فيها بعد ما طلى بالادويه
المانعه من النتن واطبقت الصورة عليه حتى التحمت واقيم فى هيكل الاصنام ودفنت
كنوزه عنده وصار يعمل له فى كل سنه عيد وملك بعده ابنه **شرياق** وكان
كابيه فى علم الكهانة والسحر والطلسمات فعمل اعمالا عجيبه منها على باب مدينة امسوس
هيبه بطه من نحاس قايمة على اسطوانه اذا دخل غريب من ناحية من النواحى صفقت
بجناحيها وصرخت فيوخذ ذلك الغريب ويكشف امره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل
نهرا يمر الى مداين الغرب وبنا عليه اعلاما ومدنا ومتنزهات وسار ملكه من بنى مرايس
ابن ادم ويقال من بنى صوا ثيق بن ادم خرج من ناحية العراق فى ايامه وغلب على بلاد
الشام وقصد مصر لياخذ ملكها فقيل له انك لا تقدر عليها لسحر اهلها فتنكر ودخل فى جماعة
من خواصه ليكشف حال اهل مصر فلما وصل الى اول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن
معه حتى يامر الملك فيهم بامره وبعثوا اليه بصفتهم وكان قد راى فى منامه كانه على منار عال وكان
طايرا عظيما انقض عليه ليختطفه فحاد عنه حتى كاد يسقط من المنار فجاوزه الطاير وسلم منه فانتبه
مذعورا وقص روياه على كبير الكهنة فقال يطلبك ملك ولا يقدر عليك ونظر فى نجومه فراى الملك
الذى يطلب ملكه قد دخل الى مصر وكان ذلك هو الوقت الذى قدم عليه فيه الرسل بصفات
الذين وصلوا الى حد مصر فامر باحضارهم اليه بعد ما يطاف بهم على عجايب مصر كلها
ليروها فاوقفوهم وساروا بهم واوقفوهم على عجايب ارض مصر وما فيها من الطلسمات حتى
بلغوا الى الاسكندريه ثم الى امسوس ثم الى الجنة التى عملها مصرام وكان الملك شرناق مقيما
بها فعندما وصلوا اليها اظهرت السحرة التماثيل العجيبه فدخلوا عليه وحوله الكهنة وبين
يديه نار لا يصل اليه احد حتى يخوضها فمن كان بريا لم تضره ومن كان يريد بالملك سوا او ضمر
له مكروها اخذته النار فشق القوم فى وسط النار واحدا بعد واحد من غير ان تضرهم حتى

انتهى الامر الى ملك العراق فعند ما دنا من النار اخذته بحرها فولى هاربا واتبعوه حتى
اخذوه واوقفوه بين يدى شرياق فلم يزل به حتى اعترف فامر بصلبه فصلب على الحصن الذى
اخذ منه ونودى عليه هذا جزا من طلب ما لا يصل اليه ونفى عن الباقين فساروا من مصر
وتحدثوا بما راوه من العجايب فانقطع طمع ملوك الارض عن طلب ملك مصر ومات شرياق
فعمل فى ناووس ومعه امواله وطلسم يحفظه ممن يقصده وملك بعده ابنه **شهلوق**
وكان عالما بالكهانة والطلسمات فقسم ما النيل موزونا مصرف الى كل ناحية قسطها ورتب
الدوله وعمل بيت نار وهو اول من عبد النار وعمل بامسوس عجايب منها شجره على اعالى
الجبال تشم بها الرياح التى تمنع من اراد مصر باذا او فساد من جنى او انسى او سبع او طاير
وعمل بالمدينه قبة مركبة على سبعة اركان ولها سبعة ابواب على كل ركن باب وفى وسط
القبه قبه من صفر وفى اعلاها صور الكواكب السبعه وتحت القبة قبة اخرى معلقة على
سبع اساطين وعلى الباب الاول من القبة اسد ولبوه من صفر وهما رابضان كان يذبح
لهما جروا اسود ويبخرهما بشعره وعلى الباب الثانى ثور وبقره يذبح لهما عجلا ويبخرهما
بشعره وعلى الباب الثالث خنزير وخنزيره يذبح لهما خنوصا ويبخرهما بشعره وعلى الباب
الرابع كبش وشاه يذبح لهما سخله ويبخرهما بشعرها وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبه يذبح
لهما فرخ ثعلب ويبخرهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب واناه يذبح لهما فرخ عقاب
ويبخرهما بريشه وعلى الباب السابع نسر وانثاه يذبح لهما فرخ نسر ويبخرهما بريشه ويلطخ كلا
منهما بدم ما ذبح له ويحرق ساير القرابين ويضع رمادها تحت عتبات ابواب القبه
وجعل لهذه القبه سدنه يشعلون المصابيح ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر سبع مراتب لكل رتبة
منهم باب من ابواب تلك القبة فكان الخصم اذا انقدم الى شى من تلك الصور وكان ظالما فانه
يلتصق بها ولا يتخلص حتى يخرج من الحق الذى عليه الذكر للذكر والانثى للانثى فيعرفون
الظالم من المظلوم ولم تزل هذه القبة بامسوس حتى ازالها الطوفان ويقال انه راى اباه فى
النوم وهو يامره ان ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر فان فيه كوة صفتها كذا على بابها
افعى لها راسان اذا اقبل اليها لشرت فى وجهه فخذ معك طايرين صغيرين ذكرا وانثى فاذبحهما
لها والقهما اياها فانها تاخذ براسيهما وتنحى بهما الى سرب فاذا غابت ادخل الكوة تجد فيها
امراة عظمه من نور حار يابس فانها تسطع لك وتحس بحرارتها فلا تدن منها تحترق ولكن
اقعد حذاها وسلم عليها فانها تخاطبك فافهم ما تقول لك واعمل به فانك تشرف بذلك وتدلك
على كنوز جدك مصرام فانها حافظة لها فلما انتبه عمل ما امره ابوه فلما قعد بجانب المراه
وسلم قالت له اتعرفنى قال لا قالت انا صورة النار المعبوده فى الامم الخاليه وقد اردت
ان تحيى ذكرى وتجدد لى بيتا تقدم فيه نارا دايمة بعدد واحد وتتخذ لها عيدا فى كل

نحضره

نحضره انت وقومك فانك تتخذ بذلك عندى يدا انيلك بها شرفا وملكا الى ملكك وامنع
عنك من يطلبك بسوء ادلك على كنوز جدك مصرام فضمن لها ان يفعل كلما امرته به فدلته
على الكنوز التى تحت المداين المعلقه وعلمته كيف يصير اليها وكيف يحترس من الارواح الموكله
بها وما ينجيه منها ثم قال لها كيف لى بان اراك فى وقت اخر قالت لا تعد فان الافعى لا تمكنك
ولكن بخر فى بيتك بكذا فانى اتيك ففرح بذلك وغابت عنه وخرج ففعل ما امرته به من عمل بيت
النار واخذ كنوز مصرام ولما مات عمل فى ناووس ومعه ساير كنوزه وجعل عليه طلسم
يحفظه ممن يقصده وملك بعده ابنه **سوريد** وكان حكيما فاضلا وهو اول من
جبا الخراج بمصر واول من امر بالانفاق على المرضى والزمنى من خزاينه واول من سن رقعه
الصباح وعمل اعمالا عجيبه منها مراة من اخلاط كان ينظر فيها الى الاقاليم فيعرف ما حدث فيها
من الحوادث وما يخصب منها مما يجدب واقام هذه المراة فى وسط مدينة امسوس وكانت
من نحاس وعمل فى امسوس صورة امراة جالسة وفى حجرها صبى ترضعه وكانت المراة من
نسا مصر اذا اصابتها علة فى موضع من جسمها اتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من
جسدها بمثل ذلك الموضع من الصورة فيزول عنها العلة وان قل لبنها مسحت ثديها بثدى
الصورة فيغزر لبنها وان قل حيضها مسحت فرجها بفرج الصورة فيكثر حيضها وان كثر دمها
مسحت اسفل ركبها بمثل ذلك من الصورة وان عسرت ولادة امراة مسحت راس الصبى الذى
فى حجر الصورة فتضع حملها وان ارادت التحبب الى زوجها مسحت وجهها وتقول افعل
كذا وكذا واذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تتوب ولم تزل هذه الصورة الى
ان ازالها الطوفان وفى كتب القبط انها وجدت بعد الطوفان وان اكثر الناس عبدوها
وعمل سوريد صنما من اخلاط كثيره فكان من اصابته علة فى موضع من جسده غسل ذلك
الموضع من الصنم بما وشرب الما فانه يبرا وسوريد هذا هو الذى بنا الهرمين العظيمين بمصر
المنسوبين الى شداد بن عاد والقبط تنكر ان يكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم ولما
مات سوريد دفن فى الهرم ومعه كنوز ويقال انه كان قبل الطوفان بثلاث ماية سنه
وان ملكه مدة ماية وتسع وتسعين سنه وملك بعده ابنه **هرجيب** وكان كابيه
حكيما فاضلا فى علم السحر والطلسمات فعمل اعمالا عجيبة واستخرج معادن كثيره واظهر علم
الكيميا وبنى اهرام دهشور وحمل اليها اموالا عظيمة وجواهر نفيسه وعقاقير وسمومات
وجعل عليها روحانيات تحفظها ولما مات دفن فى الهرم ومعه جميع امواله وذخايره وملك
بعده ابنه **مناوس** ويقال منقاوش وكان كابيه فى الحكمة الا انه كان جبارا فاسقا
سفاكا للدما ينتزع النسا من ازواجهن ويبيح ذلك لخواصه وعمل اعمالا عجيبة واستخرج
كنوزا وبنا قصورا من ذهب وفضة واجرى فيها الانهار وجعل حصاها من اصناف

الجواهر النفيسه وسلط رجلا جبارا اسمه قرنابن على الناس ووجهه لمحاربة الامم العرسه
فقتل منهم خلايق وطلسمات دفن في بعض قصوره ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه
ويمنعه من كل طالب وملك بعده ابنه **افروس** وكان كابايه في العلم والحكمة ولما ملك
اظهر العدل واحسن في السيرة ورد النسا اللاتي غصبت في ايام ابيه على ازواجهن وعمل
قبة طولها خمسون ذراعا في عرض مايه ذراع وركب في جوانبها طيورا من صفر تصوت باصوات
مطربة مختلفه لا تفتر ساعة وعمل في وسط مدينه امسوس منارا عليه راس انسان من صفر
كلما مضى من النهار او الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضي ساعة وعمل منارا عليه قبه
من صفر مذهب ولطخها بلطوخات فاذا غربت الشمس في كل ليلة اشتعلت القبة نورا يضي
له مدينة امسوس طول الليل حتى تصير مثل النهار لا تطفيها الرياح ولا الامطار فاذا
طلع النهار خمد ضوها واهدى لبعض ملوك بابل مدهنا من زبرجد قطره خمسة اشبار
ويقال انه وجد بعد الطوفان وعمل في الجبل الشرقي صنما عظيما قايما على قاعدة وهو مصبوغ
مصبوغ بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب ثم يدور ليلا حتى يحاذي المشرق مع
الفجر فاذا اشرقت الشمس استقبلها بوجهه وبنى بصحرا الغرب مدنا كثيرة واودعها كنوزا عظيمه
ونكح ثلثمانه امراة ولم يولد له ولد فان الله تعالى كان قد اعقم الارحام لما يريد من اهلاك العالم
بالطوفان ووقع الموت في الناس والبهايم وطلسمات وضع في ناووس بالجبل الشرقي ومعه امواله
وطلسم عليه وملك بعده ابنه **ارماليوس** فعمل اعمالا عجيبه وساهدنا ومصانع وجدد الطلسمات
وكان له ابن عم يسمى فرعان وكان جبارا فابعده وجعله على جيش سار به عنه فقهر ملوكا
وقتل امما عظيمة وغنم اموالا كثيرة وعاد فشغفت به امراة من نسا الملك ومازالت به حتى اجتمع
بها ونالها واقاما على ذلك مدة فخافا الملك ان يفطن بهما فعملت المراة لارماليوس سما في شرابه
فهلك منه وملك بعده **فرعان** ابن مسور فلم ينازعه احد لشجاعته وسياسته ولم تطل
اعوامه حتى راى فليمون الكاهن كان طيورا بيضا قد نزلت من السما وهي تقول من اراد النجا
فليلحق بصاحب السفينه وكان عندهم علم بحدوث الطوفان من ايام سوريد وبنايه
الاهرام لاجل ذلك فاتخذ الناس سراديب تحت الارض مصفحة بالزجاج قد حبسا الرياح
فيها بتدبير وعمل منها فرعان لنفسه ولاهل عده فلما كذب ان جمع اهله وولده وتلاميذه ولحق
بنوح عليه السلام وامن به واقام معه حتى ركب في السفينه وجا الطوفان في ايام فرعان فاغرق
ارض مصر كلها وخرب عمايرها وازال تلك المعالم كلها واقام الما عليها ستة اشهر ووصل الى
انصاف الهرمين العظيمين وسياتي خبر ذلك ان شا الله تعالى عند ذكر تحرير مصر من هذا
الكتاب ويقال ان فرعان كان عاتيا متجبرا يغصب الاموال والنسا وانه كتب الى الدرمشيل
ابن محويل بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام وانه استخف بالكهنة والهياكل فقصدت

ايام

ايامه ارض مصر ونقص الزرع واجدبت النواحي لانهماكه في ضلاله وظلمه
واقباله على لهوه ولعبه وان الناس قد دوابه ففشا ظلم بعضهم لبعض وانه لما اتيل
الطوفان وسحت الامطار قام سكرانا يريد الهروب الى الهرم فتخلخلت الارض به
وطلب الابواب لحانه رجلاه وسقط نحو رجه فهلك وهلك من دخل الاسراب
بالغرق والله اعلم **ذكر مدينة منف وملوكها** هذه المدينه كانت
في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلا من مدينة فسطاط مصر وهي اول
مدينه عمرت بارض مصر بعد الطوفان وصارت دار المملكة بعد مدينة امسوس
التي تقدم ذكرها الى ان خربها بخت نصر وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله
تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري
في كتاب جامع البيان في تفسير القران عن السدي انه قال كان موسى عليه السلام حين
كبر يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى ابن فرعون ثم ان فرعون
ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جا موسى عليه السلام قيل له ان فرعون قد ركب
فركب في اثره فادركه المقيل في ارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد
تغلقت اسواقها وليس في طرقها احد وهي التي يقول الله تعالى ذكره ودخل المدينة على
حين غفلة من اهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة اول من سكن مصر
بعد ان اغرق الله قوم نوح عليه السلام بيصر بن حام بن نوح فسكن منف وهي اول
مدينه عمرت بعد الغرق هو وولده وهم ثلثون نفسا منهم اربعة اولاد له قد
بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وماح وياح بنو بيصر وكان مصر اكبرهم فبذلك
سميت مافه ومافه بلسان القبط ثلثون وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا
هناك منازل كثيره وقال ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك ومدينة منف
هي مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذ لها سبعين بابا من حديد وجعل حيطان المدينة
من الحديد والصفر وفيها كانت الانهار تجري من تحت سريره وهي اربعه ويروي ان
مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى ان الما يجري تحت منازلها وافنيتها
يحبسونه كيف شاوا ويرسلونه كيف شاوا فذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون اليس لي
ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون وكان بها كثير من الاصنام لم تزل
بها الى ان سقطت فيما سقط من الاصنام في الساعة التي اشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم
الى الاصنام يوم فتح مكة بقضيب في يده وهو يطوف حولها ويقول جا الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا فما اشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا اشار
لقفاه الا وقع لوجهه فلم يبق منها صنم الا وقع وفي تلك الساعة سقطت فيها اصنام الارض

من المشرق الى المغرب وبقى اصحابها متعجبين لا يعلمون لها سببا اوجب سقوطها وبقيت
اصنام مدينة منف ساقطة من ساعتئذ ومنها الصنمان الكبيران المجاوران للبيت الاخضر
الذى كان به صنم العزيز وكان من ذهب وعيناه ياقوتتان لا تنقد وعلى مثلها ثم قطع
الاصنام والبيت الاخضر من بعد سنة ستمائة ويقال كان منف ثلاثين ميلا طولا فى
عشرين ميلا عرضا وان بعض بنى يافث بن نوح عمل فى ايام مصرايم الة تحمل الماء حتى تلقيه
على اعلا سور مدينة منف وذلك انه كلما وصل الماء الى درجة امتلأت الاخرى حتى يصعد
الماء الى اعلا السور ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة ثم يخرج من موضع الى خارج المدينة
وكان بمنف بيت من الصوان الاخضر المانع الذى لا يعمل فيه الحديد الا قطعة واحدة وفيه
صور منقوشة وكتابة وعلى وجه بابه صور حيات ناشرة صدورها لو اجتمع الف من الناس على
تحريكه ما قدروا لعظمه وثقله والصابية تقول انه بيت القمر وكان هذا البيت من جملة سبعة
بيوت كانت بمنف للكواكب السبعة وهذا البيت الاخضر هدمه الامير سيف الدين شيخو
العمرى بعد سنة خمسين وسبعمائة ومنه شىء فى خانكاته وجامعه اللذين بخط الصليبة خارج
القاهرة وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسى وكانت دار الملك بمصر فى قديم
الدهر مدينة منف وهى فى غربى النيل على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط فلما بنى الاسكندر
مدينة الاسكندرية رغب الناس فى عمارتها وكانت دار العلم ومقر الحكمة الى ان فتحها المسلمون
فى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط
فانتزح اهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها
الى وقتنا هذا وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر اخبار مدينة
امسوس وخراب عامر ارض مصر بطوفان نوح عليه السلام ولما نزل الماء كان اول من ملك
مصر بعد الطوفان **بيصر** بن حام بن نوح وكان معه ثلاثون من الجبابرة من اهله
وولده فاجتمعوا وبنوا مدينة منف ونزلوا بها وكان فليمون الكاهن الذى تقدم ذكره
فى خبر مدينة امسوس من جملتهم وكان قد زوج ابنته بيصر المذكور وجامعه الى مصر فولدت
منه ولدا سماه مصرايم فلما مات بيصر دفن فى موضع دير ابى هرميس ويقال دير ابى هرمس
غربى الاهرام ويقال انها اول مقبرة دفن بها بارض مصر وكان موته بعد الف وثمانى
مائة وست سنين مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بنى مصر مدينة سماها باسمه
فجاءه رجل من بنى يافث فعمل له سورا قاطعا وصنع درجا واجرى الماء الى ان يرتقى يصعد الى اعلا
السور بحكمة اتقنها ثم ينزل ذلك ثم تحول الماء من اعلا السور الى المدينة فينتفع به من غير
مشقة ولا كلفة ثم يخرج من ناحية اخرى وكتب على السور هذه صنعة من يموت لا صنعة
من يدوم وملك بعد بيصر ابنه **مصرايم** بن بيصر فاظهره فليمون الكاهن على كنوز
مصر

مصر وعلمه قراة خطهم واطلعه على حكمهم وبنا مصرايم المدن وشق الانهار وغرس
الاشجار وبنى مدينة عظيمة سماها درسان وهى العريش ونكح امراة من اولاد الكهنة
فولدت له ابنا سماه قفطيم وبنا مدينة رقوده مكان الاسكندرية ولما مات مصرايم
جعل له سرب طوله مائة وخمسون ذراعا وبسط بالمرمر الابيض وعمل فى وسطه مجلس
مصفح بصفائح الذهب وله اربعة ابواب على كل باب تمثال من ذهب على راسه تاج من ذهب
وهو جالس على كرسى من ذهب قوايمه من زبرجد ونقش فى صدر كل تمثال ايات مانعة
وجعلوا جسده فى جسد من زبرجد اخضر شبه تابوت طوله اربعون ذراعا
ودفن فيه ومعه جميع ما كان فى خزائنه من ذهب وفضة وجوهر منها الف قطعة من
زبرجد مخروط والف تمثال من جوهر نفيس والف برنية من ذهب مملوة درا نفيسا
والف انية من ذهب وعدة سبائك من فضة وعمل عليه طلسم مانع من الوصول اليه
وزبروا عليه مات مصرايم بن حام بن نوح بعد الفين وستمائة عام وقيل بعد سبعمائة
سنة مضت من الطوفان ولم يعبد الاصنام فصار الى جنة لا هرم فيها ولا سقم ولا
هم ولا حزن وكتب اسم الله الاعظم عليه حتى لا يصل اليه احد الا ملك يأتى فى اخر الزمان
يدين بدين الملك الديان ويؤمن بالبعث والفرقان والنبى الداعى الى الايمان فى اخر
الزمان وسقفوا فوق السرب بالصخور العظام وهالوا عليه الرمال حتى سدوا بين
جبلين متقابلين ويقال كان مصر بن بيصر مع جد ابيه نوح عليه السلام فى السفينة
فدعا له ان يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التى هى ام البلاد وغوث العباد
ونهرها افضل الانهار ويجعل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذللها
ويقويهم عليها فساله عنها فوصفها له واخبره بها وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف
فساقه ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وملك بعده
ابنه **قبطيم** بن مصرايم وهو اول من عمل العجايب بعد الطوفان واستخرج
المعادن وشق الانهار ونصب الاعلام والمنارات وعمل الطلسمات ويقال ان مصرايم
لما مات اختلف اولاده من بعده وكان قبط اصغرهم فاجتمعوا عند الاهرام ورضوا
بان من غلب منهم اخاه اخذ الملك فتحارب اشموم واتريب فغلب اتريب ثم تحارب
صا هو واشموم فغلب اشموم ثم تحارب قبط وصا فغلب قبط فاخذ قبط الملك بعد
ابيه واطاعه اخوته وسكن مدينة منف دار ملك ابيه وتزوج امراة ولدت له اربعة
اولاد قفطريم واشمون واتريب وصا فتناسلوا وكثروا وعمروا البلاد ثم انه قسم
الارض بين اولاده الاربعة عند وفاته فجعل لولده قفطريم من اسوان الى قفط
وجعل لولده اشمون من مدينة قفط الى مدينة منف وجعل لولده اتريب الحوف

كله وجعل لولده صا من ناحية البحيرة الى المغرب وجعل امرهم الى قفطريم وامر كل
واحد منهم ان يبني لنفسه مدينة في حيزه وجعل لنفسه سربا تحت الجبل الكبير وصفحه
بالمرمر وجعل فيه منافذ للريح فصارت تخرق فيه بدوي عظيم واقام في السرب
روسا من نحاس مطلية تضي كالسرج ليلا ونهارا ولما مات وضع جسده في هذا السرب
جرن من ذهب بعد ما البس ثيابا منسوجة بالدر والمرجان واقيم عند راسه عمود من
مرمر عليه جوهرة تضي وعمل حول الجرن توابيت من حجارة ملونة حولها مصاحف الحكمة
وجعلت عنده امواله وكنوزه وذخايره وزبروا عليه كما زبروا على ابيه واستقل كل من
اولاده في حيزه فاشتغل صا باهله واولاده وسكن مدينته صا الاتي ذكرها ويقال
كانت البلبلة في ايام قبط وانما الهمه الله تعالى اللغة القبطية وانه اقام ملكا اربعمائة
وثمانين سنه ومات فدفن بارض الواحات وملك بعده اخوه اشمن بن مصر وقيل
بل اسكن في جبانة ابنه قفطريم في حيزه فشرع في العمارة وكان جبارا عظيم
الخلق فاثار من المعادن ما لم يثره احد قبله وبنا مدينة دندره وعمل في جبل قفط
منارا عاليا يرى منه البحر الشرقي ووجد هناك معادن من الزيبق وعمل البركة التي
سماها صيادة الطير واقام ملكا اربعماية وثمانين سنة ومات البودسير
وكان من الجبابرة العظام عمل اعمالا عظيمة منها منارا فوقه قبة لها اربعة اركان في كل
ركن كرة يخرج منها في يوم معلوم عندهم من كل سنة دخان ملتف في الوان شتى لون
بكل لون على شي فان خرج الدخان اخضر دل على العمارة والخصب في تلك السنة
وان خرج ابيض دل على الجدب وقلة الخير وان خرج احمر دل على الحروب وقصد
الاعدا وان خرج اصفر دل على النيران وافات تحدث من الملك وان خرج اسود
دل على الامطار والسيول وفساد بعض الارض وان خرج مختلطا دل على كثرة الظلم
وبغي الناس بعضهم على بعض وعمل شجرة من نحاس تجذب ساير الوحوش حتى تصل اليها
فلا تستطيع الحركة الى ان تؤخذ فشبع اهل مصر من لحوم الوحوش واتفق ان غرابا
نقر عين صبي من اولاد الكهنة قلعها فعمل شجرة من نحاس عليها غراب منشور الجناح
وفي منقاره حية وعلى ظهره اسطر فكانت الغربان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح
حتى تموت وكانت الرمال قد كثرت في ايامه على ارض مصر من ناحية الغرب فعمل
صنما من صوان اسود على قاعدة منه وفوق كتفه قفة فيها مسحاه ونقش على وجهه
وصدره وذراعيه كتابة وجعل وجهه الى الغرب فانكشفت الرمال ورجعت
بها الرياح الى ورايها وصارت تلالا عالية وبعث هرمس الحكيم الى جبل القمر الذي
يخرج منه النيل فعمل تماثيل النحاس وعدل جانبي النيل وكان قبله يفيض في مواضع

وذكر ابن عبد الحكم بعد مصر بن
بيصر قفط بن مصر وان الذي
ملك بعد قفط اخاه اشمن ثم اترب
ابن مصر ثم صا بن مصر ثم ابنه تدراس
ابن صا ثم ابنه ماليق بن تدراس ثم
ابنه خربتا بن ماليق ثم ابنه كلكن بن
خربتا ويقال ان اشمن لما ملك بعد
اخيه سار اليه شداد بن مرادس
شداد بن عاد وملك ارض مصر
وهدم مبانيها وبني اهراما وبقي
في الموضع الاسكندرية فبناها
واقام دهرا ثم خرجت العادية
من ارض مصر فعاد اشمن الى الملك
وانه ملك بعده اخوه صا ثم ملك
بعده صا ابنه تدادس وفي
ايامه بعث الله صالحا الى ثمود
ومات فملك ابنه ماليق ثم

وينقطع في مواضع وسار مغربا لينظرها وراء ذلك فوقع على ارض واسعة تخرق
فيها المياه والاشجار فبنى فيها متنزهات واقام بها وحول اليها عدة من اهله فعمروا
تلك النواحي حتى صارت ارض الغرب كلها معمورة ثم خالطتهم البربر وجرت بينهم حروب
كثيرة افنتهم فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان البودسير احتجب عن الناس
وصار لا يرونه وجهه من مقعده في النادر وربما خاطبهم من حيث لا يرونه وذكر ابو الحسن
المسعودي في كتاب اخبار الزمان انه اول من تحقق بالكهانة وعلم الدين وعبد الكواكب
البودسير وزعم القبط ان الكواكب كانت تخاطبه وان له عجايب كثيرة منها انه استتر
عن الناس عدة سنين من ملكه وكان يظهر لهم وقتا دون وقت مرة في كل سنة وهو وقت
حلول الشمس برج الحمل وتدخل الناس اليه فيخاطبهم وهم يرونه فيامرهم وينهاهم ويحذرهم
مخالفة امره وكان يجلس في بعض اوقات السنة فيخاطبهم من حيث لا يرونه ثم بنيت له قبة
من فضة مطلية بذهب فيجلس في اعلاها وله وجه عظيم فيخاطبهم وكان يجلس في السحاب
بوجه اخر في صورة انسان كما قام كذلك مدة ثم غاب عنهم فلم يروه واقاموا برهة بغير ملك
ثم راوا صورته في هيكل الشمس عند حلولها برج الحمل فامرهم ان يقلدوا الملك عديم بن
قفطيم واعلمهم بانه لا يعود اليهم ففعلوا ذلك فلما مات ملك بعده ابنه ارقليمون
وكان كاهنا ساحرا فعمل اعمالا عظيمة منها انه كان يجلس في السحاب فيروه في صورة انسان
عظيم واقام مدة على ذلك ثم انه غاب عن اهل مصر وصاروا بغير ملك ثم راوا صورته تحاذي
جرم الشمس عند حلولها اول برج الحمل فامرهم ان يقلدوا الملك عديم بن قفطيم واعلمهم
انه مانع يعود اليهم فولوا عليهم ملك مصر عديم بن قفطيم وكان جبارا عظيما
وهو اول من صلب بمصر وذلك ان امراة ورجلا زنيا فصلبهما وجعل ظهر كل منهما الظهر
الاخر وبنا اربع مداين واودعها كنوزا عظيمة وجعل عليها طلسمات وعدة عجايب وعمل
منارا على البحر الشرقي وعليه صنم الى الشرق حتى لا يغلب البحر على ارض مصر وعمل قنطرة على
النيل في ارض النوبة واقام ملكا مايه واربعين سنة ومات وعمره سبعماية وثلاثون سنة وملك
بعده ابنه شدات بن عديم وهو الذي تسميه العامة شداد بن عاد وكان عالما كاهنا
ساحرا ويقال انه هو الذي بنى الاهرام الدهشورية وعمل اعمالا عظيمة وطلسمات
عظيمة وبنى في الجانب الشرقي مداين وفي ايامه بنيت قوص وغزا الحبشة وسباهم واقام
ملكا تسعين سنة وهو اول من اتخذ الجوارح وصاد بها وولد الكلاب السلوقية وعمل
في بركة سيوط تماسيح منصوبة تنصب اليها التماسيح من النيل انصبابا فيقتلها ويعمل من
جلودها الى السفن واتفق انه طرد صيدا فكبا به فرسه في وهدة فهلك وكان قد غضب
على بعض خدمه فرماه من جبل عال فتقطع فراى انه يصيبه مثل ذلك ولما هلك

وضع فى ناوس ودفن معه امواله وعمل عليه طلسم يمنعه من يقصده وكتب عليه لا
ينبغى لذى القدرة ان يخرج عن الواجب ولا يفعل ما لا يجوز له فعله ففعله هذا ناوس
شداث بن عديم فعل ما لا يحل له فعله فكوفى عليه بمثله وملك بعده ابنه منقاوش
كان حكيما فاضلا كاهنا عمل اعمالا عجيبة وبنا اشيا معجبه منها انه عمل هيكلا للصور الكواكب
على ثمانية فراسخ من منف وكنز من الاموال ما لا يحصى وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح
به على غيره وسار فى الجنوب يوما ثم سار مغربا يوما وبعض اخر فانتهى فى اليوم الثالث
الى جبل اسود فعمل تحته اسرابا ومغاير ودفن فيها امواله وزبر عليها حتى انه من كثرتها
يقال انه دفن حمل اثنى عشر الف عجلة ذهبا وجواهر واقام اربع سنين يرسل فى كل سنة
عجلا كثيرة يدفنها وبقيت اثار العجل ترى فيما بين منف والمغرب زمانا طويلا وبنا
هيكلا للقمر ويقال انه هو الذى بنا مدينة منف لبناته وكن ثلثين بنتا وانه الزم الناس
بعمل الكيميا فكانوا لا يفترون من عملها ليلا ولا نهارا حتى اجتمع عنده مال عظيم وجوهر
كثير وهو الذى بنى مدينة عين شمس وقسم خراج مصر ارباعا جعل الربع للملك والربع
للجند والربع ينفق فى مصالح الارض والربع الرابع يدفن لحادثة تحدث وهو الذى
قسم ارض مصر على ماية وثلاث كور واقام ملكا احدى وتسعين سنة ومات فملك بعده
عديم بن منقاوش وكان جبارا لا يطاق وفى ايامه كان نزول الملكين اللذين يعلمان
الناس السحر والقبط تزعم انهما نزلا بارض مصر ثم نقلا الى بابل ثم ملك بعده اخوه
مناوش بن منقاوش وكان عالما كاهنا فاضلا كابيه بنا مواضع كثيرة فى الجبال
والصحارى وكنز فيها كنوزا عظيمة واقام عليها اعلاما وبنى فى صحرا الغرب مدينة
واقام لها منارا وكنز حولها كنوزا عظيمة وجعل فيها شجرة تطلع كل لون من الفاكهة
وهو اول من عبد البقر بمصر وكان يطلب الحكمة ويستخرج كتبها وكذا كان كل من ملك
منهم يجتهد فى ان تعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وتثبت فى كتبهم وتزبر
على الحجارة ولما مات ملك بعده ابنه هرمس وكان قليل الحكمة فلم يعمل شيا مما عمل
اباوه ومات وقد اقام احدى عشرة سنة فملك بعده اشمون ابن قبطيم بن مصر
ابن بيصر بن حام بن نوح وكان حيزه من اشمون الى منف فى الغرب وحيزه فى الشرق
الى حد البحر الملح مما يحاذى برقة وهو اخر حد مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود
اخميم وكانت منزلته بمدينة الاشمونين وكان طولها اثنى عشر ميلا فى مثلها وبنى فى شرقى
النيل مدينة انصنا وبنا بها قصرا عظيما واتخذ بها ابنية وملاعب وعجايب كثيرة وفى
مدينة طهواطيس وهو اول من لعب بالكرة والصولجان ويقال انه بنا مدنا كثيرة
عمل فيها عجايب منها مدينة فى سفح الجبل لها اربعة ابواب من كل ناحية باب فعلى

الباب

الباب الشرقى صورة عقاب وعلى الباب الغربى صورة ثور وعلى الباب الشمالى صورة
اسد وعلى الباب الجنوبى صورة كلب وفى هذه الصور روحانيات تنطق فاذا اقدم غريب
لا يقدر على الدخول اليها الا باذن الموكلين بها ودفن تحت كل شكل من هذه الاشكال
الاربعة صنفا من الكنوز وغرس فى هذه المدينة شجرة مولده تثمر كل لون من الفاكهة
ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضى سبعة ايام ثم
تعود الى اللون الاول فكانت تلك المدينة تكسا من تلك الالوان شعاعا مثل لونها واجرى
حول المنار ماء شقه من النيل وجعل فيه سمكا من كل لون واقام حول المدينة طلسمات
فى هيئة اناس روسها كالقردة واسكن هذه المدينة السحرة فعرفت بمدينة السحرة وكانوا
يعملون فيها اصناف السحر وبنا بالقرب منها مدينة عرفت بذات العجايب وبنا
مجالس مصفحة بزجاج ملونة فى وسط النيل وبنا سربا تحت الارض من الاشمونين الى
انصنا وقيل انه هو الذى بنا مدينة عين شمس وانه ملك ثمانى ماية سنة وان قوم عاد
انتزعوا منه الملك بعد ستماية سنة واقاموا بمصر تسعين سنة فاصابهم وبا فخرجوا
منه الى الدثنه بطريق الحجاز الى وادى القرى فعاد اشمون بعد خروج العادية الى ملك
مصر وهو اول من عمل النوروز بمصر وفى زمانه بنيت مدينة البهنسى ولما مات جعل
له ناوس فى اخر حد الاشمونين ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة وعجايبه الكثيرة ومنها
الف بربية من العقاقير المدبرة لفنون الاعمال وزبر واعلى ناووسه اسمه ونسبه
وجعل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده وملك بعده ابنه صا ثم بعد صا ابنه تدارس وقيل
ملك منافيوش كان شجاعا فاضلا فاستانف العمارة وبنا القرى ونصب الاعلام
وعمل العجايب الهايلة وبنا مداين منها مدينة اخميم وحول الكهنة اليها واقام ملكا نيفا
واربعين سنة ومات فدفن فى الهرم الشرقى ومعه كنوزه وملك بعده ابنه وقد اختلف فى
اسمه وكان فاضلا حازما معظما عند اهل مصر وهو اول من عمل المارستان واول من عمل
الميدان للرياضة وفى ايامه بنيت مدينة سنتريه فى صحرا الواحات ثم ان نساه تغايرن
عليه فقتله احداهن بسكين فدفن فى ناوس ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه وملك
بعده ابنه مرقونس وكان حكيما كاهنا وهو اول من ذلل السباع وركبها وبنا المدن
وعمل الهياكل واقام الاصنام ولما مات جعل له ناوس فى صحرا الغرب ودفن معه ماله وملك
بعده ابنه بلاطس وكان صبيا فدبرت امه امر الملك وكانت حازمة فاجرت الامور على
احسن ما يكون واظهرت العدل ووضعت عن الناس الخراج فاحبوها ولما كبر ابنها احب
الصيد فعملت له امه اعمالا عجيبة واقام ملكا ثلاث عشرة سنه ووجد ميتا واتصل
الملك الى اعمامه فملك بعده اتريب بن قبطيم بن مصرايم وهو الثالث عشر من ملوك

مصر بعد الطوفان وهو الذى بنا مدينة اتريب وعاش خمسماية سنه منها مده ملكه ثلثماية وستين سنه ويقال ان النيل وقف فى ايام اتريب مائة واربعين سنة حتى اكلت البهايم بارض مصر ولم يبق لها بعد ويروى ان اتريب ما شيا وهو يبسط يديه ويقبضها من الجوع ومات عامة اهل مصر جوعا ثم اغيثوا بعد ذلك وكثر الرخا ودام مدة مائة سنه وابيع كل اردب بدانق ولما مات اتهم اخوه صا بقتله وحاربه اهل مصر تسع سنين وقتلوه فملكت بعده ابنته ٥

تدوره وكانت كاهنه ساحره فساست الملك احسن سياسه ودبرت المملكة احود تدبير وعملت طلسمات عجيبه منها طلسم منع الوحش والطير ان تشرب من النيل حتى مات اكثرها عطشا ووقعت فى زمانها صيحه ارتجت لها الارض فهلكت وملك بعدها اخوها قليمون بن اتريب وكان حكيما فاضلا فبنا البنيان وعمل الطلسمات وفى ايامه بنيت مدينة تنيس الاولى وبنيت مدينة دمياط واقام ملكا تسعين سنه ومات فدفن فى نادوس وملك بعده ابنه قرسون وكان فاضلا كاهنا بنا المداين وجدد الهياكل وكان حدثا فقصده بعض الملوك حمير فى جموع عظيمه فخرج اليه ولقيه بايلة وقاتله قتالا شديدا فنى فيه ناس من الفريقين معظمها واظهر المصريون اشيا من سحرهم فانهزم الحميرى فى طايفه يسيره وقتل قرسون عامة اصحابه واخذ ما كان معهم وعاد مظفرا الى مدينه منف وعمل منارا على بحر القلزم فى راسه مراه يجذب المراكب الى الساحل حتى يوخذ منها ما هو معشر عليها من المال واقام ملكا مائتى سنه وستين سنه ومات فدفن نادوس خلف الجبل الاسود الشرقى وعمل فيه قبه تحتوى على اثنى عشر بيتا فى كل بيت اعجوبه ودفن معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه وملك بعده نحو اربعه وصار الملك الى صا بن قبطيم وكان اصغر ولد ابيه واجمعهم اليه ولما مات ملك بعده ٥

نونيه الكاهنه وكانت ساحره فكانت تجلس على سرير من نار فاذا تحاكم اليها احد وكان صادقا شق تلك النار من غير ان تضره وان كان كاذبا اخذته النار وكانت تتصور كل يوم فى صوره كثيره الاشكال ثم بنت قصرا واحتجبت فيه وجعلت فى سوره انابيب من نحاس مجوف وكتبت على كل انبوب فنا من الفنون التى يتحاكم الناس لها اليها فكان من اتاها فى محاكمة وقف عند الانبوب الذى فيه محاكمته وتكلم بما يريده ويساله عنه بصوت خفى فاذا فرغ جعل اذنه فى الانبوب فياتيه منه جواب ما ساله ولم يزل هذا القصر والانابيب حتى اتلفه بخت نصر وملك بعدها مرقونس وكان فاضلا حكيما وكانت امه ابنة ملك النوبه فعملت عجايب وصنع فى ايامه كل غريبه وملك ثلاثا وسبعين سنه ومات وعمره مايتان واربعون سنة فملك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس واربعين سنة وكان جبارا طامح العين فاتى امراة ابيه وانكشف امره معه

د كان

وكان اكبر همه اللهو واللعب فجمع كل ملة فى مملكته ورفض العلوم واهمل امر الهياكل والكهنه وترك النظر فى احوال الناس وبنى قصورا على النيل ليتنزه فيها واتلف اكثر الاموال فى اللعب فكرهه الناس وكرهوه الى ان سموه فمات عن مايه وعشرين سنه وملك بعده ابنه

وعمل

صا ويقال ان صا هو ابن مرقونس وهو اخو ايساد ولما ملك سكن منف ووعد الناس بخير وملك الاحياز كلها وعمل بها عجايب وطلسمات ورد الكهنه الى مراتبهم ونفى الملهيين واهل الشر ونصب العقاب الذى عمله ابوه وشرف هيكله ودعا اليه وبنى بداخل الواحات مدينه ونصب قرب البحر اعلاما كثيره وجعل على الاطراف اصحاب اخبار يرفعون اليه ما يجرى فى حدودهم وعمل على حافتى النيل منابر يوقد عليها اذا حزبهم امر او قصدهم احد وجعل بجانب بحر الملح منارا يعلم به امر البحر ويقال انه بنى اكثر مدينه منف وكل بنيان عظيم بالاسكندريه وكان لما ملك البلد باسره جمع الحكما ونظر فى النجوم وكان بها حاذقا فراى ان مصر لا بد ان تغرق من نيلها وانها تخرب على يد رجل ياتى من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبنى مدينه فى الواح الاقصى وقصده ملك الافرنجه وملك منه مدينه منف وقدم معه الف مركب وهدم اكثر الاسكندريه ودخل الى النيل من رشيد حتى اخذ منف وفر منه صا الى المداين الداخله وتحصن بها من عدوه وامتنعت بالطلسمات ايام كثيره ثم كانت العاقبة له وعاد عدوه منهزما ورجع الى منف فتتبع الكهنة وكثيرا منهم واقام ملكا سبعا وستين سنه وعاش مايه وسبعين سنه وملك

ملا

ابنه تدارس واستولى على الاحياز كلها وصفا له ملك مصر وكان محنكا مجربا ذا ايد وقوه ومعرفه بالامور فاظهر العدل واقام الهياكل واهلها قياما حسنا وبنى بيتا للزهرة على نحو شهر من ارض مصر فيما يلى النوبة وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالقه الشام ودخل الى فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض اهلها الى مصر وغزا السودان من الزنج والحبشه فوجه فى النيل بثلثماية سفينه فلقى السودان وكانوا زهاء الف الف فهزمهم وقتل اكثرهم واسر منهم خلقا وساق الفيلة والنمور الى مصر وعمل على حدود بلده منارات زبر عليها اسمه ومسيره وظفره وفى ايامه بعث الله نبيه صالح الى ثمود ويقال انه هو الذى انزل النوبة حيث هى وذلك انه لما اوغل فى ارض الحبشه وقتل امم السودان وجد فيهم امة تقرا صحف ادم وشيث وادريس فمن عليها وتركها ومات بمنف فملك ابنه مالبق وكان عاقلا كريما حسن الوجه مجربا مخالفا لابيه واهل مصر فى عبادة الكواكب والبقر ويقال انه كان موحدا على دين اجداده قبطيم ومصرايم وكانت القبط تذمه لذلك وامر الناس باتخاذ كل نادره من الجبل واتقنا السلاح والالات الاسفار وانشا فى بحر الغرب مائتى سفينه وخرج فى جيش عظيم فى البر والبحر ولقى البربر فهزمهم واستاصل اكثرهم وبلغ افريقيه وسار الى الاندلس يريد الافرنجه فلم يمر بامة الا اباد ها فحشد له ملك الافرنجه وحاربه شهرا ثم طلب صلحه واهدى اليه فسار عنه ودوخ الامم المتصلة بالبحر

الاخضر والقبط تذكر انه راى سبعين اعجوبه وعمل اعلاما على البحر زبر عليها اسمه وسيره
وخرب مدن البربر ورجع فتلقاه اهل مصر باصناف الرياحين وانواع اللهو وفرشت
له الطرقات فهابته الملوك وحملوا اليه الهدايا ومازال موحدا حتى مات فملك ابنه ٥
خربتا وكان لينا سهل الخلق قد عرفه ابوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاصنام
فرجع عن ذلك بعده الى دين قومه وغزا الهند والسودان بعدما عمل ماية سفينة في
عمل سفن الهند وتجهز وحمل معه امراته ووجوه اصحابه واستخلف ابنه كلكن على مصر
وكان صبيا وجعل معه وزيرا وكاهنا فمر على ساحل اليمن وعاث في مداينه وبلغ سرنديب
واوقع باهلها وبلغ جزيره بين الهند والصين فاذعن له اهلها وعمل في تلك الجزاير سنين
فيقال انه اقام في سفره سبع عشرة سنه ورجع غانما فهابه الملوك وبنا عدة هياكل
واقام بها الاصنام للكواكب ثم غزا نواحي الشام فاطاعه اهله ورجع فغزا النوبه
والسودان وضرب عليهم خراجا يحملونه اليه ورفعوا قدر الكهنة ومصاحفهم وكان
يرى ان هذا الظفر بمعونة الكواكب له ومات وقد ملك خمسا وسبعين سنة فقام ابنه
كلكن وعقد له بالاسكندريه فاقام بها شهرا ثم قدم الى منف وكان اصنامها
فسر به اهل مصر وكان يحب الحكمة واظهار العجايب وتقرب اهلها فعجزهم وعمل
الكيميا وخزن اموالا عظيمة بصحاري الغرب وهو اول من اظهر علم الكيميا بمصر وكان
عليها مكتوبا وكان من تقدمه من الملوك امروا بترك صنعتها فعملها كلكن وملا دور
الحكمة منها حتى لم يكن الذهب في زمن بمصر اكثر منه في وقته ولا الخراج لانه كان ماية
الف الف وبضعة عشر الف الف مثقال فاستغنوا عن اثارة المعادن وعمل ايضا من
الحجارة الملونة التي تشف شيا كثيرا وعمل من الغبر وزج وغيره اشيا واخترع امورا تخرج
عن حد العقل حتى سمي حكيم الملوك وغلب جميع الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم
وكان نمرود ابراهيم عليه السلام في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره
وكان النمرود جبارا مشوه الخلق يسكن السواد من العراق واتاه الله قوة وقدرة
وبطشا فغلب على كثير من الامم فتقول القبط ان النمرود لما استزار كلكن وجه اليه ان
يلقاه بموضع كذا فصار الى الموضع على اربعة افراس تحمله ذوات اجنحة وقد احاط به نور
كالنار وحوله صور هايلة قد جلل بها وهو متوشح بثعبان متحزم ببعضه وقد فغر فاه وهو
يضربه بقضيب آس اخضر فلما راه النمرود هاله واقر له بجليل الحكمة وساله ان يكون
ظهيرا له وتقول انه كان يرتفع ويجلس على الهرم الرزني في قبة تلوح على راسه فاذا ادهم
اهل البلد امر اجتمعوا حول الهرم فيقيم اياما لا ياكل ولا يشرب ثم استتر منه حتى توهموا
انه هلك فطمع فيه الملوك وقصده ملك من الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادي هبيب

فاقبل

فاقبل حتى جللهم من سحره بشي كالغمام شديد الحر فاقاموا تحته اياما متحيرين ثم طار الى مصر
وامرهم بالخروج الى الجيش فوجدوهم قد ماتوا هم ودوابهم فهابته الكهنة مهابة لم يهابوها
احدا قبله وعمر طويلا وغاب فلم يعرف خبره وقال ابن عبد الحكم ان كلكن بن خربتا ملكهم نحو
مايه سنه ثم مات ولا ولد له فملك اخوه ماليا بن خربتا وقال ابن وصيف شاه وقام ابنه
ماليا وكان شرها كثير الاكل والشرب منفردا بالرفاهية غير ناظر في شي من الحكمة
وجعل امر البلد الى وزيره واشتغل بالنسا وكانت له من النسا ثمانين امراة فهجم عليه ابنه
طوطيس وهو سكران فقتله وقيل امراة كانت عنده وملك بعده ابنه **طوطيس**
ويقال انه عمرو بن امرى القيس بن بابليون بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
ويقال الوليد بن الريان وانه احد فراعنة مصر من ولد دان بن فلوج بن امراز بن اشود
ابن سام بن نوح وقيل فراعنة مصر من ولد عملاق الاول بن لاوذ بن سام بن نوح وكان
جبارا جريا شديد الباس مهابا والقبط تزعم انه اول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم
عليه السلام وان الفراعنة سبعة هو اولهم وحفر نهرا في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهي الى مرقا السفن
في البحر الملح وكان يحمل الى هاجر ام اسمعيل التي اعطاها ابراهيم عليه السلام الحنطة واصناف الغلات
فيصل الى جدة فاحيا بلد الحجاز مدة ويقال ان كل ما حليت به الكعبة من ذلك العصر مما اهداه
ملك مصر ولكثرة ما حمل الى الحجاز سمته العرب من جرهم الصادوق وفي كتاب هروشيش
ان سلطان المصريين في زمن ابراهيم الخليل كان بايدي قوم يدعون بني قاليق بن دارش ودام
ملكهم عصر ماية وعشرين سنة وقال ابن اسحق عن بعضهم ان فراعنة مصر من ولد دان بن
فلوج بن امراز بن اشود بن سام بن نوح قال والمشهور انهم من العماليق منهم الريان بن الوليد
ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد بن المصعب فرعون موسى ومنهم سنان بن
ابن علوان وقال ابن وصيف شاه وانما قيل له فرعون لانه اكثر القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت
عاقلة فخافت لكثرة قتله الناس وقتلته بسم وله في الملك مدة سبعين سنة وملكت بعده ٥
خرويا فوعدت الناس الاحسان وجمعت الاموال وقدمت الكهنة واهل الحكمة
ورؤسا السحرة ورفعت اقدارهم وجددت الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب
وملكوا رجلا من ولد اتريب وقد تقدم خبره في الاسكندريه وخرويا اول امراة
ملكت مصر من ولد نوح عليه السلام وماتت فملك بعدها ابنة عمها **زالفا** بنت مامون
وكانت عذرا عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها ايمن الاتريبي واستنصر بملك
العمالقة فسير معه قايدا فاخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واقتتلوا حتى فني منهم كثير
من الناس ثم انهزم اصحاب دليفة الى منف وهم في اقفيتهم فخرجت زالفا الى الصعيد ونزلت
الاسمونين فكانت بينها وبين عساكر العمالقة حروب انهزموا فيها وخرجوا عن منف بعد

ماعاثوا فيها وعدوا الى الحوف فاستعوا به وصارت مصر بينهم نصفين ثم ان ذالفا عاودت
الحرب فاستمرت ثلاثه اشهر حتى انهزمت الى قوص وايمن خلفها فلما ايقنت انها توخذ
سمت نفسها فهلكت وقال ابن عبد الحكم ثم توفى طوطيس بن ماليا فاستخلف ابنته
حرويا ابنه طوطيس ولم يكن له ولد غيرها ثم توفيت حرويا فاستخلفت ابنة عمها ذالفا
ابنت ماموم بن ماليا فعمرت دهرا طويلا وكثروا ونموا وملوا ارض مصر كلها فطمعت فيهم
العمالقه فغزاهم الوليد بن دومغ فقاتلهم قتالا شديدا ثم رضوا ان يملكوه عليهم فملكهم
نحوا من مايه سنه فطغا وتكبر واظهر الفاحشة فسلط الله عليه سبعا فافترسه واكل لحمه
والذى ملك مصر من الفراعنه خمسه وملك اسمن وتجبر وقتل خلقا ممن حاربه
وكان الوليد بن دومغ العمليقى قد خرج فى جيش كثيف فبعث غلاما يقال له عون الى مصر
ففتحها ثم قدم بعده واستباح اهل مصر واخذ اموالهم ثم خرج ليقف على مصب النيل فرأى
جبل القمر واقام فى غيبته اربعين سنه ورجع الى مصر وقد خالفه عون وفر منه فاستعبد
اهل مصر وملكهم مايه وعشرين سنين حتى هلك وملك ابنه الريان ابن الوليد بن
دومغ احد العمالقه وكان اقوى اهل الارض فى زمانه واعظمهم ملكا والعمالقه ولد عمليق
ابن لاوذ بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسميه نهراوش وقيل
فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد بن ليث بن فاران بن عمرو بن عمليق بن يلقع بن عابر
ابن اشليخا بن لوذ بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى ابو ابيه
واسمه برخوا وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا فوعد الناس الجميل واسقط عنهم الخراج
ثلاث سنين وفرق المال فيهم وملك رجلا من اهل بيته يقال له اطفين وهو الذى يقال
له العزيز وكان عاقلا اديبا مستعملا للعدل والعمارة فامر ان ينصب له سرير من فضة فى
قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع الكتاب والوزرا بين يديه فكفا نهراوش ما خلف ستره
وقام بجميع اموره وخلا للذاته فاقام على قصفه مدة والبلد عامر فقصده رجل من العمالقه
وسار الى مصر وهزم جيوشه فخرج اليه وقاتله وهزمه وسار خلفه ودخل الشام وعاث
هنالك فهابته الملوك ولاطفته وقيل انه بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وحج
لغزو بلاد المغرب فى نحو مايه الف ومر بارض البربر وجلا كثيرا منهم ومر الى البحر الاخضر
وسار الى الجنوب فقدم النوبه وعاد الى مدينة منف وكان من خبر يوسف معه ما ذكر
عند ذكر النبوم وملك بعده ابنه دكريوس ويقال له دارم بن الريان وهو الفرعون
الرابع فخالف سنة ابيه وكان يوسف خليفته فيقبل منه تارة ويخالفه تارة وظهر فى ايامه
معدن فضه فاثار منه شيا عظيما وفى ايامه مات يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا
حمله على اذى الناس واخذ اموالهم فبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما ثم زاد فى التجبر حتى اخذ كل

امراة جميلة بمدينة منف من اهلها وكان لا يسمع بامراة حسناء فى موضع الا وجه فحملت
اليه فاضطرب الناس وشغبوا عليه وعطلوا الصنايع والاعمال والاسواق
فعدا عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمه وزاد الامر حتى اجتمعوا على خلعه فبرز لهم
واسقط عنهم خراج ثلاث سنين وانفق فيهم مالا فسكنوا وفى ايامه ثار القبط على
بنى اسرايل وطلبوا من الوزير ان يخرجهم من مصر فما زال بهم حتى امسكوا وبلغ الملك ذلك
وكان قد خرج الى الصعيد فتوعد اهل مصر فشغبوا عليه وحشد واله وحاربوه
فقتل بينهم خلق كثير وظفر بمن بغى فقتلهم وصلبهم على حافتى النيل وعاد الى اعظم ما كان
عليه من اخذ الاموال والنسا واستخدام اشراف القبط وبنى اسرايل فاجمع الكل على ذمه
فركب النيل للنزهة وثارت به ريح عاصف فغرق فلم يوجد الا بناحية شطنوف وقيل فيما
بين طرا وحلوان فقدم الوزير ابنه معاذيوس وكان صبيا ويقال له معدان فاسقط
عن الناس ما اسقطه ابوه من الخراج ووعد بالاحسان فاستقام له الامر ورد نسا الناس وهو
خامس الفراعنة وحدث فى زمانه طوفان مصر وكثر بنو اسرايل وعابوا الاصنام
فافردوا ناحية من البلد بحيث لا يخلطهم غيرهم واقطعوا موضعا فى قبلى منف فاجتمعوا
فيه وبنوا به معبدا وغلب بعض الكنعانيين على الشام ومنع من الضريبة التى كانت على
اهل الشام لملك مصر فاجتمع الناس الى معدان وحثوه على المسير لحربه فامتنع من المسير
ولزم الهيكل فزعموا انه قام فى هيكل زحل للعبادة فتجلى له زحل وخاطبه وقال له قد جعلتك
ربا على اهل بلدك وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم وسارفعك الى فلا تخل من ذكرى
فعظم عند نفسه وتجبر وامر الناس ان يسموه ربا وترفع عن ان ينظر فى شى من امر الملك وجعل
ابنه اكساس فقام ابنه اكسامس فى الملك ويقال كاشم بن معدان فرتب الناس مراتب
وقسم الكور والاعمال وامر باستنباط العمارات واظهار الصناعات ووسع على الناس فى ارزاقهم
وامر بتنظيف الهياكل وتجديد لباسها واوانيها وزاد فى القرابين وهو الذى يقال له كاسم
ابن معدان بن دارم بن الريان بن الوليد بن دومغ العمليقى وهو خامس الفراعنه وسموا فراعنه
بفرعان الاول فصار اسما لكل من تجبر وعلا امره فطال ملكه واقام اعلاما كثيرة حول
منف وعمل مدنا كثيرة ومنايرا للوقودات وطلسمات واقام سبع سنين باجمل امر فلما مات
وزير ابيه استخلف رجلا من اهل بيت المملكة يقال له ظلا بن قومس كان شجاعا ساحرا كاهنا
كاتبا حكيما متصرفا فى كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك فاصلح امر الملك وبنى مدنا من الجانبين
ورأى فى نجومه انه سيكون حدث فبنا بناحية رقوده والصعيد ملاعب ومصانع وشكا
اليه القبط من الاسرايليين فقال هم عبيدكم فاذلوهم من حينئذ وخرج الى ناحية البربر فعاث
وقتل وسبى وفى ايامه بنيت منارة مدينة الاسكندرية وهاج البحر الملح فغرق كثيرا من القرى

والاجنه والمصانع ومات اكسامس وكان ملكه احدى وثلاثين سنه منها احدى عشرة
سنه يدبر امره طلما فلما مات اضطرب الناس واتهموا طلما انه سمه فقام وولي ٥
لاطيس بن اكسامس وكان جربا معجبا صلفا فامر ونهى والزم الناس اعمالهم
وقال انا مستقيم ما استقمتم وان ملتم عن الواجب ملت عنكم وحط جماعة عن مراتبهم
وصرف طلما عن خلافته واستخلف غيره وانفذ طلما الى الصعيد في جماعه من
الاسرائيليين وجدد بنا الهياكل وبنى القرى واثار معادن كثيره وكنز في صحرا
الشرق عدة كنوز وكان يحب الحكمة ثم تجبر وعلا امره وامر ان لا يجلس احد في
مجلسه ولا في قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على ارجلهم حتى يمضون
وزاد في اذى الناس والعنف بهم ومنع فضول ما بايديهم وقصرهم على القوت
وجمع اموالهم وطلب النسا وابتز كثيرا منهن وفعل اكثر مما فعله من تقدم قبله
واستعبد بني اسرايل وقتل جماعة من الكهنة فابغضه الخاص والعام فثار طلما
بالصعيد وكاتب وجوه الناس فكتب لاطيس يصرفه عن العمل فامتنع وحارب
عساكره وزحف حتى دخل منف **طلما** بن قومس فرعون موسى يقال ان اسمه
الوليد بن مصعب بن اراهون بن الهلوث بن فاران بن عمرو بن عمليق بن يلمع بن
عابر بن اسليحا بن لوذ بن سام بن نوح وانه من العمالقه وكان قصيرا طويل اللحيه
اشهل العين صغير العين اليسرى اعرج وزعم قوم انه من القبط وان نسبه ونسب
اهل بيته مشهور عندهم وقيل غير ذلك وكان من خبره ما ذكر في كتبه دمو
وقال ابن عبد الحكم ولما اغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف
اهلها احد ولم يبق الا العبيد والاجرا والنسا فاعظم اشراف من بمصر من النسا ان
دلوكه
يولين منهن احدا واجمع رايهن ان يولين امراة يقال لها دلوكه فملكت
ابنت ريا ويقال دلوكه بنت زباء وكان لها عقل ومعرفه وتجارب وكانت في شرف
منهن وهي يوميذ بنت مايه وستين سنة فبنت جدارا احاطت به على جميع ارض مصر
كله في ستة اشهر وهو حايط العجوز وفي ايامها بنت تدوره الساحره البرابي
وسط منف فملكتهم دلوكه عشرين سنه حتى بلغ صبي من ابنا اكابرهم يقال له
دركون بن بلاطس ثم مات واستخلف ابنه بودس ثم توفي بودس بن دركون
فاستخلف اخاه لقاس بن تدارس فلم يلبث الا ثلاث سنين حتى مات فاستخلف اخاه
مرينا بن مرينوس ثم توفي فاستخلف ابنها استمارس بن مرينا فطغا وتكبر وسفك الدم
واظهر الفاحشة فخلعوه وقتلوه وبايعوا رجلا من اشرافهم يقال له بلوطس بن
مناكيل فملكهم اربعين سنة ثم توفي فقام ابنه مالوس ثم توفي مالوس فاستخلف اخاه

مينا

ميناكيل بن بلوطس بن مناكيل فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه نوله بن ميناكيل
فملكهم مايه وعشرين سنه وهو الاعرج الذي سبى ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر
وكان قد تمكن وطغا وبلغ مبلغا لم يبلغه احد ممن قبله بعد فرعون فصرعته دابته فمات
وقيل له الاعرج لانه لما غزا بيت المقدس ونهبها وسبى ملكها يوشيا بن امون بن منشا
ابن حزقيا هم ان يصعد على كرسي نبي الله سليمن بن داود وكان بلولب لا يمكن احد ان
يصعد عليه الا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي اليمنى فدار اللولب على ساقه
الاخرى فاندقت ولم يزل يجمع بها الى ان مات فلذلك سمي الاعرج فاستخلف بيوس
ابن نوله فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه قرقوره فملكهم ستين سنة ثم توفي واستخلف
اخاه نقاس بن مرينوس وانهدم البرابي في زمنه فلم يقدر احد على اصلاحه ثم توفي
نقاس واستخلف ابنه قوميس بن نقاس فملكهم دهرا وحاربه بخت نصر وقتله وخرب
مدينه منف وغيرها من المداين وسبى اهل مصر ولم يترك بها احدا حتى بقيت ارض مصر
اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن وذكر في ترجمة كتاب هروشيش الاندلسي في وصف
الدول والحروب ان فيما بين غرق فرعون موسى الى مايه وسبع سنين كان بمصر ملك
يسمى نوشروش كان يقتل الغربا والاضياف ويذبحهم لاوثانه ويجعل دماهم قربانا
لها وان بعد غرق فرعون الى ثلثمايه وثمان وعشرين سنه كان بمصر ملك يسمى بروريه
وكان عظيم الملك قوي السلطان اخذ بالحرب اكثر نواحي الجنوب برا وبحرا وهو اول من
حارب الروم الذين قيل لهم بعد ذلك القوط وكان قد ارسل اليهم يدعوهم الى طاعته ويخوفهم
حربهم فجاوبوه ليس من الراي المحمود للملك الغني محاربة قوم فقرا لكثرة نوازل الحرب
واختلاف حوادثها بالظفر والهلاك وانا لا ننتظر مجيك بل نسرع لقاءك واتبعوا قولهم عملا
وخرج فرعون اليهم فخرجوا اليه مسرعين وهزموا جيوشه وانتهبوا عساكره واموالهم وعدده
وجميع ذخايره ومضوا فانتهبوا ارض مصر حتى كادوا يغلبون عليها لولا وحول عرضت لهم
منعتهم مما خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب متصلة حتى انزلوا اهلها وجعلوهم يودون
اليهم المغارم واقاموا محاربين لمن خالفهم في غزوتهم خمس عشرة سنة ولم ينصرفوا الى
بلادهم حتى اتتهم من نسايهم يقلن لهم اما ان تنصرفوا واما ان نتخذ الازواج ونطلب النسل
من عند المجاورين لنا فعند ذلك انصرفوا الى بلادهم وقد امتلات ايديهم اموالا واوقارا
حتى قد خلفوا وراهم ذكرا مفزعا ويقال ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسماية عام بعد غرق
فرعون وهلاك دلوكه حتى اخرجهم منها نبي الله سليمن بن داود فعاد الملك بعدهم الى القبط
وان جالوت بن بالوذ لما قتله داود سار ابنه جالوت الى مصر وبها ملوك مدين فانزله
ملك مصر بالجانب الغربي فاقام بها مدة ثم سار الى بلاد المغرب ويقال ان القبط

ملكوا مصر بعد دلوكه وابنها مدة ستماية وست وعشرين سنة وعدتهم سبعة وعشرون ملكا هم دنوسقوليطا ومدته ثمان وسبعون سنة وقيل ثمان وثمانون سنة ثم ملك بعده سمانادروس ستا وعشرين سنة وقام بعده سوماناس مدة ماية وسنة ثم ملك مغراس اربع سنين ثم ايمانا قوناس تسع سنين ثم اسحوريس ست سنين ثم فسيناخس تسع سنين ثم فسوسانس خمسا وثلاثين سنة ثم ملك سموناخرسيس احدى وعشرين سنة ثم اساريلون خمس عشرة سنة ثم فطافانا سطلس خمسا وعشرين سنة ثم اسادانون تسع سنين ثم ملك فساموس عشر سنين ثم اوفانيواس اربعا واربعين سنة ثم ساباقور ثنتي عشرة سنة ثم سيلنحس الحبشي ثنتي عشرة سنة ثم طراخوس الحبشي عشرين سنة ثم ملك امراس الحبشي ثنتي عشرة سنة ثم اسطافيناس سبع سنين ثم ناخفاسوس ست سنين ثم ملك ناحوماني سنتين ثم فساماملطيقوس اربعا واربعين سنة ثم ملك نخوفا ست سنين ثم فساموثاس سبع عشرة سنة ثم وافرس خمسا وعشرين سنة ثم اماسلس اثنتين واربعين سنة وملك بعد هولا مصر خمسة ملوك من ملوك بابل وهم امرطيوش ست سنين ثم مانعرطاس سبع سنين ثم اوحرس اثنتي عشرة سنة ثم فساموت مدة سنتين ثم ملك موثاطوس سبع سنين ثم ملك ثلاثة ملوك من اثوروهم الجرامقة الذين ملكوا الموصل وسنوا الجزيرة وهم بافاطانيحوس ثلث عشرة سنة ثم طوس سبع سنين ثم نافاطابيناس ثماني عشرة سنة ثم انتقل ملك مصر منهم الى الاسكندر ابن فلبس اليوناني وهذه اسما رومية ولعلها او بعضها تداخل فيما تقدم ذكره ممن ملك بعد دلوكه وبين بخت نصر وبين الطوفان الفا سنة وثلثماية وستة وخمسون سنة واشهر وجمع من حساب ما وقع في التوراة ان بين الطوفان وبين خراب بيت المقدس على يد بخت نصر من السنين الف وستماية واربع وثمانون سنة وهذا اختلاف ما نقله المسعودي

ذكر مدينة الاسكندرية

هذه المدينة من اعظم مداين الدنيا واقدمها وضعا وقد بنيت غير مرة فاول ما بنيت بعد كون الطوفان في زمان مصر ابن بيصر بن نوح وكان يقال لها اذ ذاك مدينة رقوده ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان في ايام اليونانيين جددها الاسكندر بن فلبس الجد وهو الذي قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد تخريب بخت نصر مدينة منف ثمانية وعشرين سنين تسميه فعرفت به ومنذ جددها الاسكندر بن فلبس الجد وهو المذكور انتقل تخت الملك من مدينة منف الى الاسكندرية فصارت دار الملكة بديار مصر فلم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندرية وصارت ديار مصر ارض اسلام فانتقل تخت الملك حينيذ من الاسكندرية ذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان اللوكه وهي امة في غابر الدهر من اهل

ايله

ايله ملكوا الارض وقسموها على ثلاثين كوره واربعة اقسام كل قسم عمل وبنوا في كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب وله بربا وهي بيت الحكمة وله هيكل على اسم كوكب فيه اصنام من ذهب وجعلوا الاسكندرية واسمها رقوده خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا فيها من اصنام الذهب اكثر مما نصبوا في غيرها فكان بها ماية صنم من ذهب وقسموا الصعيد ثمانين كورة على اربعة اقسام وثلاثين مدينة فيها جميع العجايب وذكر بطليموس في كتاب الاقاليم ووصف الجزاير والبحار والمدن ان مدينة الاسكندرية لبرج الاسد ودليلها المريخ وساعاتها اربع عشرة ساعة وطولها ستون درجة ونصف درجة يكون ذلك اربع ساعات مستوية وثلث عشر ساعة عن الفسطاط مصر فصار الفسطاط من بعد الاسكندرية دار مملكة ديار مصر وساقص من اخبار الاسكندرية ما وصل اليه علمي ان شا الله وقال ابن وصيف شاه في ذكر اخبار مصرايم ابن بيصر بن نوح وعلومهم ايضا علم الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زروعهم واجنتهم وبنيانهم فعملوا لها الطلسمات فغابت ولم تعد وبنوا على عبر البحر مدنا منها مدينة رقوده مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على اساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها مراة من اخلاط شتى قطرها خمسة اشبار وارتفاع القبة ماية ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التي حولهم فان كان مما يهمهم وكان من البحر عملوا لتلك المراة عملا فالقت شعاعها على ذلك الشي فاحرقته فلم تزل الى ان غلب البحر عليها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة تشبيها بها وكان عليها ايضا مراة يرى فيها من يقصدهم من بلد الروم فاحتال عليهم بعض ملوكهم ووجه اليها من ازالها وكانت من زجاج مدبر قال وذكر بعض القبط ان رجلا من بقايا الكهنة الذين قتلهم ايساد ملك مصر صار الى ملك كان في بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجايبها وضمن له ان يوصله الى ملكها واموالها ويرفع عنه اذى طلسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد فلما اتصل بصا بن برقونس اخي ايساد وهو ملك مصر يوميذ ان صاحب بلاد الافرنجة يتجهز اليه عمد الى جبل بين البحر الملح وشرقي النيل فاصعد اليه اكثر كنوزه وبنى عليها قبابا مصفحة بالرصاص فظهر صاحب بلاد الافرنجة في الف مركب فكان لا يمر بشي من اعلام مصر ومنازله الا هدمه وكسر الاصنام بمعونة ذلك الكاهن حتى اتى الاسكندرية الاولى فعاث فيما حولها وهدم اكثر معالمها الى ان دخل النيل من ناحية رشيد وصعد الى منف واهل النواحي يحاربونه وهو ينهب ما مر به ويقتل ما قدر عليه الى ان طلب المداين الداخلة لاخذ كنوزها فوجدها ممتنعة بالطلسمات الشداد والمياه العميقة والخنادق والشداخات فاقام عليها اياما

كثيرة فلم يمكنه الوصول اليها وغضب على الكاهن فقتله من اجل ان جماعة من اصحابه
هلكوا فاجتمع اهل النواحي وقتلوا من اصحابه الذين بالمراكب خلقا واحرقوا بعض المراكب
وقام اهل مصر بسحرهم وتهاويلهم فاتت رياح غرقت اكثر مراكبه حتى نجا بنفسه وقد
جرح فعاد الناس الى منازلهم وقراهم ورجع الملك صا الى منف واقام بها وتجهز لغزو
بلدان الروم وبعث اليها وخرب الجزاير فهابته الملوك وتتبع الكهنة فقتل منهم خلقا كثيرا واقام
ملكا سبعا وستين سنه ومات وعمره مايه وسبعون سنة ودفن بمنف في وسطها تحت
الارض ومعه الاموال والجواهر والتماثيل والطلسمات كما فعل اباوه وبها اربعة الاف
مثقال ذهبا على صور حيوانات بريه وبحريه وهناك عقاب من حجر اخضر وتمثال تنين
من ذهب وزبر عليه اسمه وغلبته للملوك وسيرته وعهد الى ابنه تدارس فالسلم ولما
جلست حوريا ابنة طوطيس اول فراعنة مصر وهو فرعون ابراهيم الخليل عليه السلام
على سرير الملك بعد قتلها لابيها وعدت الناس بالاحسان واخذت في جمع الاموال فاجتمع
لها ما لم يجتمع لملك وقدمت الكهنه واهل الحكمة وروسا السحرة ورفعت اقدارهم وامرت
بتجديد الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد اتريب يقال
له انداخس فعقد على راسه تاجا واجتمع اليه جماعة فانفذت اليه جليشا من هو وبتلو
اكثر اصحابه فهرب الى الشام وبها الكنعانيون فاستغاث بملكهم فجهزه بجيش عظيم فنحت
حوريا الخزاين وفرقت الاموال وقوت السحرة فعملوا اعمالهم وقدم انداخس بجيوش الكنعانيين
وعليهم قايد منهم يقال له جبرون فلما نزلوا ارض مصر بعثت ظيرا لها من عقلا النسا الى العابد
سرا من انداخس تعرفه رغبتها في تزويجه وانها لا تختار احدا من اهل بيتها وانه ان عمل انداخس
تزوجت به وسلمت ملك مصر ففرح بذلك وسم انداخس بسم انفذته اليه فقتله وبعثت
اليه بعد قتل انداخس انه لا يجوز ان اتزوجك حتى تظهر قوتك في بلدي وتبني لي مدينة عجيبة
وكان افتخارهم حينيذ بالبنيان واقامة الاعلام وعمل العجايب وقالت انتقل من موضعك
غربي بلدي فثم اثار لنا كثيرة فاقتف تلك الاعمال وابن عليها ففعل وبنى مدينة في صحرا الغرب
يقال لها قندومة وجر اليها من النيل نهرا وغرس حولها غروسا كثيرة واقام بها منارا عاليا
فوقه منظر مصفح بالذهب والفضة والزجاج والرخام وهي تمده بالاموال وتكاتب صاحبه
عنه وتهاديه وهو لا يعلم فلما فرغ منها قالت له ان لنا مدينة اخرى حصينة كانت لاوايلنا
وقد خربت منها امكنة وتشعث حصنها فامض اليها واعمل في اصلاحها حتى انتقل انا الى هذه
المدينة التي بنيتها فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة فانفذ الي جيشك حتى اصير اليك
وابعد عن مدينتي واهل بيتي فاني اكره ان تدخل علي بالقرب منهم فمضى وجد في عمل الاسكندرية
الثانية واهل التاريخ يذكرون ان الذي قصدها الوليد بن دومع العمليقي ثاني الفراعنة

وكان

وكان سبب قصدها انه كانت به علة فتوجه الى الاقطار ليحمل اليه من مايها حتى يرى ما
يلايمه فتوجه الى مملكة مصر غلاما فوقف على كثرة خيراتها وحمل اليه من مايها والطافها وعا
اليه فعرفه حال مصر فسار اليها في جيش كثيف وكانت الملكة تخطبها لنفسه فاجابته
والطفته وشرطت عليه ان يبني لها مدينة يظهر فيها ايده وقوته ويجعلها مهرا لها فاجا
وشق مصر الى ناحية الغرب فبعثت اليه اصناف الرياحين والفواكه وخلفت وجوه
الدواب فمضى الى الاسكندرية وقد خربت بعد خروج العادية منها فنقل ما كان من
حجارتها ومعالمها وعمدها ووضع اساس مدينة عظيمة وبعث اليها مايه الف فاعل
واقام في بنايها مدة وانفق جميع ما كان معه من المال وكلما بنا شيا خرج من البحر دواب
تقلعه فاذا اصبح لم يجد من البنا شيا فاهتم لذلك وكانت حوريا قد انفذت اليه
الف راس من المعز اللبون يستعمل البانها في مطبخه وكانت مع راع يثق به يرعاها
هناك فكان اذا اراد ان ينصرف عند المسا خرجت اليه من البحر جارية حسنا فتشوق نفسه
اليها فاذا كلمها شرطت عليه ان تصارعه فان صرعها كانت له وان صرعته اخذت من
المعزى راسين فكانت طول الايام تصرعه وتاخذ الغنم حتى اخذت اكثر من نصفها وتغير
باتها لشغله بحب الجاريه عن رعيها وعن جسمه فمر به صاحبه وساله عن حاله فاخبره
الخبر خوفا من سطوته فلبس ثياب الراعي وتولى رعية الغنم يومه فلما المسا خرجت الجارية
وشرطت عليه الشرط فاجابها وصارعها فصرعها وشدها فقالت له ان كان لا بد من اخذي
فسلمني لصاحبي الاول فانه الطف بي وقد عذبته مدة فردها اليه وقال له سلها عن هذا
البنيان الذي نبنيه ويزال من ليلته ومن يفعل ذلك وهل في ثباته من حيلة فسالها الراعي
عن ذلك فقالت ان دواب البحر التي تنزع بنيانكم قال فهل من حيلة قالت نعم تعملون توابيت من
زجاج كثيف باغطية وتجعلون فيها قوما يحسنون التصوير ويكون معهم صحف وانفاس وزاد
يكفيهم اياما وتحمل التوابيت في المراكب بعدما تشد بالحبال فاذا توسطوا الما امروا المصورين ان
يصوروا جميع ما يمر بهم ثم ترفع تلك التوابيت فاذا وقفتم على تلك الصور فاعملوا لها اشباها من
صفر وحجارة او رصاص وانصبوها قدام البنيان الذي تبنونه من جانب البحر فان تلك
الدواب اذا خرجت ورات صورها هربت ولم تعد فعرف الراعي صاحبه ذلك ففعله وتم
البنيان وبنا المدينه وقال قوم ان صاحب البنا والغنم جيرون المؤتفكي كان قصدهم قبل الوليد
وانما ايام الوليد بعد حوريا وقهرهم وملك مصر وذكروا ان الاموال التي كانت مع جيرون
نفدت كلها في تلك المدينه ولم يتم فامر الراعي ان يخبر الجارية فقالت ان في المدينه التي خربت ملعبا
مستديرا حوله سبعة عمد على رووسها تماثيل من صفر قيام تقرب لكل تمثال منها ثورا اعميا والطخ
العمود الذي تحته من دم الثور وبخره بشعر من ذنبه وشي من نحاته قرونه واظلافه

وقل له هذا قربانك فاطلق ما عندك ثم قس من كل عمود في الجهة التي يتوجه اليها وجه
التمثال مائة ذراع واحفر عند امتلاء القمر واستقامة زحل فانك تنتهي بعد خمسين ذراعا
الى بلاطة عظيمة فالطخها بمرارة الثور واقلعها فانك تنزل في سرب طوله خمسون ذراعا
في آخره خزانة مقفلة ومفتاح القفل تحت عتبة الباب فخذه والطخ الباب ببقية المرارة
ودم الثور وبخره بنحاتة قرونه واظلافه وشعر ذنبه وادخل فانه يستقبلك صنم في عنقه
لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزانة فخذ ما شئت ولا تعترض فيما تجده ولا ما عليه كذلك
بكل عمود وتمثاله فانك تجد مثل تلك الخزانة وهذه نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم فلما
سمع ذلك سريبوا امتثله فوجد ما لا يدرك وصفه ووجد من العجائب شيا كثيرا فتمم بنا المدينة وبلغ
ذلك حوريا فساها وكانت قد ارادت اتعابه وهلاكه بالحيلة ويقال انه وجد فيها وجد
دمجا من ذهب مختوما فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور اخضر ومعها عرق احمر فاكتحل من
ذلك الذرور بالعرق وكان اشيب فعاد شابا واسود شعره واضا بصره حتى يدرك
الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا ظهر غيمت السما وامطرت ومثال غراب من حجر
اذا سيل عن شي صوت واجاب عنه ووجد في كل خزانة عشر اعجوبات فلما فرغ من بنا
المدينة وجه الى حوريا تحثها على القدوم اليه فحملت اليه فرشا تأخذ لتبسطه في المجلس الذي
تجلس فيه وقالت له اقسم جيشك اثلاثا فانفذ الي ثلثهم حتى اذا بلغت ثلث الطريق فانفذ
الثلث الاخر فاذا جزت نصف الطريق فانفذ الثلث الباقي ليكونوا من ورائي لئلا يراني
احد اذا دخلت عليك ولا يكون عندك الا صبية تثق بهم يخدمونك فاني اوافيك في جوار
يكفينك الخدمة ولا احتشمهن ففعل واقامت تحمل اليه الجهاز والاموال حتى علم بمسيرها
توجه اليها ثلث جيشه فعملت لهم الاطعمة والاشربة المسمومة وانزلهم جوارها وحشمها
وقدموا اليهم الاطعمة والاشربة والطيب وانواع اللهو فلم يصبح منهم احد حيا وسارت
فلقيها الثلث الاخر ففعلت به مثل ذلك وهي تتوجه اليه الى ان انفذت جيشه الى قصرها
وملكتها يحفظونها وسارت حتى دخلت عليه هي وظيرها وجواريها فنفخت ظيرها في
وجهه نفخة بعثت اليها ورشت عليه ما كان معها فارتعدت اعضاؤه وقال من ظن انه
يغلب النسا فقد كذبته نفسه وغلبته النسا ثم انها فصدت عروقه وقالت دما الملوك
شفا واخذت راسه فوجهت به في قصرها ونصبته عليه وحولت تلك الاموال الى
مدينة منف وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ
الوقت فلما بلغ خبرها الملوك هابوها واطاعوها وهادوها وعملت بمصر عجائب كثيرة وبنت
على حد مصر من ناحية النوبة حصنا وقنطرة يجري ما النيل من تحتها واعتلت فقلدت ابنة
عمها دليفة بنت ماموم ومات وقال ابن عبد الحكم وكان الذي بنا الاسكندرية واسمه

بناها

بناها ذو القرنين الرومي واسمه الاسكندروس وبه سميت الاسكندرية وهو اول من عمل
الوشي وكان ابوه اول القياصرة وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبا بن مرزبة اليوناني
من ولد يونان بن يافث بن نوح صلى الله عليه وقيل كان من اهل لوبيه كورة من كور مصر
الغربية قال ابن لهيعة واهلها روم ويقال هو رجل من حمير قال تبع

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ... ملكا تدين له الملوك وتحشد
بلغ المغارب والمشارق يبتغي ... اسباب علم من حكيم مرشد
فراى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين ذي خلب وثاط حرمد

ويروى قد كان ذو القرنين قبلي مسلما وحدثني عثمن بن صالح حدثني عبد الله بن وهب عن
عبد الرحمن بن زياد بن انعم عن سعد بن مسعود التجيبي عن شيخين من قومه قال كنا
بالاسكندرية فاستطلنا يومنا فقلنا لو انطلقنا الى عقبة بن عامر نتحدث عنده فانطلقنا
اليه فوجدناه جالسا في داره فاخبرناه انا استطلنا يومنا فقال وانا مثل ذلك انما خرجت
حين استطلته ثم اقبل علينا فقال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اخدمه فاذا
انا برجال من اهل الكتاب معهم مصاحف او كتب فقالوا استاذن لنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانصرفت اليه فاخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي ولهم يسلوني عما
لا ادري انما انا عبد لا علم لي الا ما علمني ربي ثم قال ابلغني وضوا فتوضا ثم قام الى مسجد بيته
فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ثم انصرف فقال ادخلهم ومن
وجدت بالباب من اصحابي فادخله قال فادخلتهم فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهم ان شئتم اخبرتكم عما اردتم ان تسلوني قبل ان تكلموا وان احببتم تكلمتم واخبرتكم
قالوا بل اخبرنا قبل ان نتكلم قال جيتم تسلوني عن ذي القرنين وساخبركم كما تجدونه مكتوبا
عندكم ان اول امره انه غلام من الروم اعطي ملكا فسار حتى اتى ساحل البحر من ارض مصر فابتنا
عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنايها اتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه
فقال انظر ما تحتك فقال ارى مدينتي وارى مداين معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد
اختلطت مدينتي مع المداين فلا اعرفها ثم زاد فقال انظر فقال ارى مدينتي وحدها ولا
ارى غيرها قال له الملك انما تلك الارض كلها والذي ترى يحيط بها هو البحر وانما اراد ربك
ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فيها وسوف تعلم الجاهل وتثبت العالم فسار حتى
بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم اتى السدين وهما جبلان لينان يزلق
عنهما كل شي فبنا السد ثم اجاز ياجوج وماجوج فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب
يقاتلون ياجوج وماجوج ثم قطعهم فوجد امة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم
وجوه الكلاب ووجد امة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار ثم مضى فوجد امة من

الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ثم افضنا الى البحر المدير بالارض فقالوا نشهد
ان امره هكذى كما ذكرت وانا نجده هكذا في كتابنا وعن خالد بن معدان الكلاعي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب
قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا
اما رضيتم ان تسموا بالانبيا حتى تسميتم بالملايكة وقال قتادة عن الحسن كان ذو القرنين ملكا
وكان رجلا صالحا قال وانما سمى ذو القرنين ان عليا رضى الله عنه سيل عن ذى القرنين فقال
لم يكن ملكا ولا نبيا ولكن كان عبدا صالحا احب الله فاحبه الله ونصح لله فنصحه الله بعثه الله عز
وجل الى قومه فضربوه على قرنه فمات فاحياه الله ثم بعثه الى قومه فضربوه على قرنه فمات
فسمى ذا القرنين ويقال انما سمى ذا القرنين لانه جاوز قرب الشمس من المغرب والمشرق
ويقال انما سمى ذا القرنين لانه كان له غديرتان من راسه من شعر يطا فيهما وقيل بل كان له
قرنان صغيران تواريهما العمامة وعن ابن شهاب انما سمى ذا القرنين انه بلغ قرن الشمس من مغربها
وقرن الشمس من مطلعها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال كان اول شان الاسكندرية
ان فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس وكان اول من عمرها وبنا فيها فلم تزل على بنايه ومصانعه
ثم تداولها الملوك ملوك مصر بعده فبنت دلوكه بعده ابنة زبا منارة الاسكندرية ومنارة
بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمن بن داود عليهما السلام على الارض اتخذ بها مجلسا
وبنا فيها مسجدا ثم ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من بنا الملوك والفراعنه وغيرهم
الا بنا سليمن لم يهدمه ولم يغيره واصلح ما كان رث منه واقر المنارة على حالها
ثم بنا الاسكندرية من اولها بنا يشبه بعضه بعضا ثم تداولتها الملوك بعده من
الروم وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بها بنا يصنعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه
قال ابن لهيعة وبلغني انه وجد بالاسكندرية حجر مكتوب فيه انا شداد بن عاد وانا
الذى نصب العماد وحيد الاحياد وسد بذراعه الواد بنيتهن اذ لا شيب ولا موت
واذا الحجارة في اللين مثل الطين وفي رواية وكنزت في البحر كنزا على اثنى عشر ذراعا
لن يخرجه احد حتى تخرجه امة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن لهيعة والاحياد كالمغار وقال
ابن على القالي في كتاب الامالي وانشد ابن الاعرابي وغيره

تسالني عن السنين كم لي ... فقلت لو عمر الحسل
او عمر نوح زمن الفطحل ... وفي روايه
لو انني اوتيت علم الحكل ... علم سليمن كلام النمل
وعشت دهرا زمن الفطحل ... ايام كان الصخر مثل الوحل
لكنت رهن هرم او قتل

وقال اخر زمن الفطحل اذ السلام رطاب وعندهم ان زمن الفطحل
زمان كان بعد الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت احوال اهله وقال بعضهم
زمن الفطحل زمن لم يخلق بعد قوله علم الحكل الحكل ما لا يسمع صوته من الحيوان وسال ابا
بكر بن دريد عن زمن الفطحل فقال تزعم العرب انه زمان كانت فيه الحجارة رطبه قال
ابن عبد الحكم ويقال ان الذى بنا الاسكندرية شداد بن عاد والله اعلم وكانت الاسكندرية
ثلث مدن بعضها الى جنب بعض منة وهي موضع المنارة وما والاها والاسكندرية
وهي موضع قصبة الاسكندرية اليوم ونقيطة وكان على كل واحدة منهن سور وسور
من خلف ذلك على الثلث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على الاسكندرية سبعة حصون
منيعة وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها
وارضها فكان لباسهم فيها السواد والحمرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع
بياض الرخام ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر ادخل الرجل
الذى يخيط بالليل في ضوء القمر مع بياض الرخام الخيط في حجر الابرة ويقال بنيت الاسكندرية
في ثلثمائة سنة وسكنت ثلثمائة سنة وخربت ثلثمائة سنة ولقد مكثت سبعين سنة ما يدخلها احد الا وعلى
بصره خرقة سودا من بياض جصها وبلاطها ولقد مكثت سبعين سنة ما يسرج فيها قال وكانت
الاسكندرية بيضا تضي بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس لم يخرج احد منهم من بيته
ومن خرج اختطف وكان منهم راع يرعى على شاطي البحر فكان يخرج من البحر شي فياخذ من غنمه
فكمن له الراعي في موضع حتى خرج فاذا جارية فتشبث بشعرها ومانعته نفسها فقوى عليها
فذهب بها الى منزله فانست بهم فراتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس فسالتهم فقالوا من
خرج منا اختطف فهيات لهم الطلسمات فكانت اول من وضع الطلسمات بمصر في الاسكندرية
وقيل كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من اول النهار بمنزلة العجين فاذا انتصف النهار اشتد
وقال المسعودى ذكر جماعة من اهل العلم ان الاسكندر المقدونى لما استقام ملكه
في بلاده سار حتى يختار ارضا صحيحة الهوا والتربة والما حتى انتهى الى موضع الاسكندرية
فاصاب فيها اثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند
وهو القلم الاول من اقلام حمير وملوك عاد انا شداد بن عاد سددت بساعدى الواد
وقطعت عظيم العماد وشوامخ الجبال والاطواد وبنيت ارم ذات العماد التي لم يخلق
مثلها في البلاد واردت ان ابني هنا مدينه كارم وانقل اليها كل ذى قدم وكرم من جميع العشاير
والامم وذلك اذ لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابني ما اعجلني وعما اردت قطعني ومع
وقوعه طال همي وشجني وقل نومي وسكني فارتحلت بالامس عن دارى لا لقهر ملك جبار
ولا لخوف جيش جرار ولا عن رغبه ولا عن صغار ولكن لتمام المقدار وانقطاع

الاثار وسلطان العزيز الجبار فمن راى اثرى وعرف خبرى وطول عمرى و
بصرى وشدة حذرى فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غراره غداره تاخذ منه
ما تعطى وتسترجع منه ما تولى وكلام كثير يرى فنا الدنيا ويمنع من الاغترار بها
والسكون اليها ونزل الاسكندر مفكرا يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث فحشر
الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها اميالا وجمع اليها العمد
والرخام واتته المراكب فيها انواع الرخام وانواع المرمر والاحجار من جزيرة صقليه
وبلاد افريقيه واقريطش واقاصى بحر الروم مما يلى مصبه بحر اقنابس وحمل اليه ايضا من
جزيرة رودس وامر الفعلة والصناع ان يدوروا بما رسم لهم من اساس سور المدينة
وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قايمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة
بعضها ببعض واوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان امام مضربه وعلق على العمود
جرسا عظيما مصوتا وامر الناس والقوام على البنايين والفعلة والصناع انهم اذا سمعوا
صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها جرسا صغيرا حرسوا
على ان يضعوا اساس المدينة دفعة واحدة من ساير اقطارها واحب الاسكندر ان
يجعل ذلك فى وقت يختاره وطالع سعد فخفق الاسكندر براسه واخذته نعسة فى حال
ارتقابه الوقت المحمود فجا غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذى فوق العمود فحركه
وخرج صوت الجرس وتحركت الحبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان
ذلك معمولا بحركات هندسيه وحيل حكميه فلما راى الصناع تلك الحبال قد تحركت
وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد والتقديس
فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسال عن الخبر فاخبر بذلك فاعجب وقال اردت امرا
واراد الله غيره ويابا الله الا ما يريد اردت طول بقاها واراد الله سرعة فنايها
وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر لما احكم بناها وثبت اساسها وجن
الليل عليهم خرجت دواب البحر فاتت على جميع البنيان فقال الاسكندر حين اصبح هذا
بدو الخراب فى عمارتها وتحقق مراد البارى سبحانه فى زوالها وتطير من فعل
الدواب فلم تزل البناة فى كل يوم تبنى وتحكم وتوكل من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر
فيصبحون وقد خرب البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما راى فاقبل يفكر ما الذى
يصنع واية حيلة تنفع فى ذلك حتى يدفع الاذية عن المدينة فسنحت له الحيلة عند
خلوه بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما اصبح دعا بالصناع فاتخذ والده تابوتا
من الخشب طوله عشرة اذرع فى عرض خمسة اذرع وجعلت فيه جامات من الزجاج
قد احاط بها خشب التابوت باستدامتها وقد امسك ذلك بالقار والزفت وغيره

من الاطلية الدافعة للما حذرا من دخول الماء الى التابوت وقد جعل فيها مواضع
للحبال ودخل الاسكندر فى التابوت ورجلان من كتابه ممن له علم باتقان التصوير
وامر ان تسد عليه الابواب وان تطلا بما ذكرنا من الاطلية وامر بمركبين عظيمين فاخرجا
الى لجة البحر وعلق فى التابوت من اسفله مثقلات الرصاص والحديد والحجارة لتهوى
بالتابوت سفلا وجعل التابوت بين المركبين والصقهما بخشب بينهما ليلا يفترقا
وشد حبال التابوت الى المركبين وطول حبالها فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار
البحر فنظر الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشاف فى صفا ما البحر فاذا بصور
الشياطين على مثال الناس وفيهم من له مثل روس السباع وفى ايديهم الفوس مع بعضهم
وفى ايدى بعضهم المناشير والمقامع يحكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما فى ايديهم
من الات البنا فاثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها بالتصوير فى القراطيس
على اختلاف انواعها وتشوه خلقها وقدودها ثم حرك الحبال فلما احس بذلك من فى المركبين
مدوا الحبال واستقوا التابوت فخرج الاسكندر وامر صناع الحديد والنحاس والحجارة
فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما صور فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطى البحر
ثم امرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت الدواب والافات من البحر فنظرت الى صورها
على العمد مقابلة الى البحر فرجعت ولم تفسد بعد ذلك فبنيت الاسكندرية وشيدت
وامر الاسكندر ان تكتب على ابوابها هذه الاسكندرية اردت ان ابنيها على الفلاح
والنجاح واليمن والسعاده والسرور والثبات فى الدهور ولم يرد البارى عز وجل
ملك السموات والارض ومفنى الامم ان ابنيها كذلك فبنيتها واحكمت بنيانها وشيدت
سورها واتانى الله عز وجل من كل شى علما وحكمة وسهل لى وجوه الاسباب فلم يتعذر على
فى العالم شى مما اردته ولا امتنع عن شى مما طلبته لطفا من الله عز وجل وصنعا لى
وصلاحا لعباده من اهل عصرى والحمد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل شى ورسم
بعد هذه الكتابة كلما يحدث ببلده من الاحداث بعده فى مستقبل الزمان من الافات
والعمران والخراب وما يوول امرها اليه الى وقت دثور العالم وكان بنا الاسكندرية
طبقات وتحتها قناطر مقنطرة فكانت تدور المدينة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا
يضيق به حتى يدور جميع تلك الازاج والقناطر التى تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود
والازاج مخاريق ومتنفسات للضيا ومنافذ للهوا وقد كانت الاسكندرية تضى بالليل
بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر وكانت اسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة
كلها لا يصيب اهلها شى من المطر وكان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة
اللون بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما تعلق فى المدينة شقاق الحرير

الاخضر لاختطاف بياض الرخام ابصار الناس لشدة بياضه فلما احكم بناها وسكنها
اهلها كانت افات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندرانيين
تختطف بالليل اهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد الكثير فلما علم بذلك الاسكندر
اتخذ الطلسمات على اعمدة هنالك تدعا المسال وهى باقية الى هذه الغاية كل واحد من
هذه الاعمدة على هية السرو وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد نحاس وجعل
تحتها صورا واشكالا وكتابة قال كاتبه فيما تقدم من حكاية ابن وصيف شاه
ما يتبين به وهم ما نقله المسعودى من ان الاسكندر هو الذى عمل التابوت حتى صور
اشكال حيوانات البحر فان ابن وصيف شاه اعرف باخبار اهل مصر وكذلك ما ذكر
المسعودى من ان المسال من عمل الاسكندر وهم ايضا بل هذه المسال هى المناير التى كان
ينو رعليها والاعلام التى كانت ملوك مصر القدما تنصبها وهى من اعمال ملوك القبط

ذكر الاسكندر

الاول ومن اعمال الفراعنة الذين ملكوا مصر من قديم الزمان
هو الاسكندر بن فلبش بن امنيه بن هركلش الجبار الذى هو ابن الاسكندر الاعظم ولى
ابوه فلبش الملك فى بلد بحذونيه خمسا وعشرين سنة استنبط فيها ضروبا من المنكر وبدع
انواعا من الشر تقدم فيها كل من ولى الملك بها قبله وكان فى اول امره قد جعله اخوه الاسكندر
رهينة عند امير من الروم فاقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفا فتعلم عنده ضروب
الفلسفة فلما قتل اخوه الاسكندر اجتمع الناس على تولية فلبش فولوه اميرا فقام فى السلطان
مقاما عظيما يحارب الروم وغلب عليهم ومضى الى الهرية فقتل بها من الناس الافا وغلب
على مداين فاجتمع له جمع لا ينقاد وجيش لا يرام فاذل جميع الروم وذهبت عينه فى بعض الحروب
وعم البلدان والمداين غارة وهدما وسبيا وانتهابا ثم حشد جميع اهل بلد الروم وعبا
عسكرا فيه مايتا الف راجل وخمسون الف فارس سوى من كان فيه من اصحابه الجند وغيرهم
غيرها من اجناس اليونانيين يريد غزوا الفرس فبيناه بجمع هذا الجمع نظر فى تزويج ابنة له
يقال لها فلوبطره من ختنه اخى امراته وخال ولده الاسكندر وجلس قبل العرس يوما
يحدث قواده اذ سيل اى الميتات احق ان يتمناها الانسان فقال الواجب على الرجل الشريف
الفوك الظافر المجرب يريد نفسه الا يتمنى الموت الا بالسيف فجاة ليلا يعذبه
المرض ويحل قوته الاوجاع فعجل له ما تمنى به فى تلك العرس وذلك انه حضر لعبا
كان على الخيل بين ولده الاسكندر وختنه الاسكندر فبيناه فى ذلك غافصه احد
احداث الروم بطعنة فقتله بها ثايرا بابيه عند ما تمكن منه منفردا وولى الاسكندر
الملك بعد ابيه فلبش وكان اول شى اظهر فيه قوته وعزمه فى بلد الروم وكانوا قد
خرجوا عن الطاعة الجزونين الى طاعة الفرس فدرسهم واستاصلهم وخرب مدنهم

وجعلهم

وجعلهم سبيا مبيعا وجعل ساير بلادهم فكورهم يودى اليه الخراج ثم قتل جميع
اخوانه واكثر اقاربه فى وقت تعبيته لمحاربة الفرس وكان جميع عسكره اثنين وثلاثين
الف فارس وستين الف راجل وكانت مراكبه خمسماية مركب وثمانين مركبا تحرك
هذه العدة كان لملوك الدنيا وسار الى الاسكندرية ودخل بيت المقدس وقرب فيه
لله تعالى قربانا وخرج يريد محاربة دارا وكان فى عسكره دارا ملك الفرس فى اول
ملاقاته اياه ستماية الف مقاتل فغلبه الاسكندر وكانت اذ ذاك على الفرس وقيعة
شنعا ونكبة دهيا قتل فيها منهم عدد لا يحصى ولم يقتل من عسكر الاسكندر الا
ماية وعشرون فارسا وتسعون راجلا ومضى الاسكندر ففتح مداين وانتهب ما
فيها فبلغه ان دارى قد عبا واقبل نحوه بجمع عظيم فخاف ان يلحقه فى ضيق الجبال التى
كان فيها فقطع نحوا من ماية ميل فى سرعة عجيبة حتى بلغ مدينة طرسوس وكاد يهلك لفرط
البرد حتى انقبض عصبه فلاقاه دارى فى ثلثماية الف راجل وماية الف فارس فلما التقيا هم
كاد الاسكندر يفزع لكثرة ما كان فيه دارى وقلة كان فيها واستحر القتال بينهما وباشر اهله
القواد الحرب بانفسهم وتنازل الابطال واختلف الطعن والضرب وضاق الفضا بما
فباشر كلا الملكين الحرب بانفسهما دارى والاسكندر وكان الاسكندر اكمل اهل زمانه فروسية
واشجعهم واقواهم جسما فباشرا حتى جرحا جميعا وتمادت الحرب حتى انهزم دارى ونزلت
الوقيعة بالفرس فقتل من رجلهم نحو من ثمانين الفا ومن فرسانهم نحو من عشرة الاف
واسر منهم نحو من اربعين الفا ولم يسقط من عسكر الاسكندر الا ماتان وثلاثون راجلا
وماية وخمسون فارسا فانتهب الاسكندر جميع عسكر الفرس واصاب فيه من الذهب والفضة
والامتعة الشريفة ما لا يحصى كثره واصيب من جملة الاسارى ام دارى وزوجه واخته
وابنتاه فطلب دارى فديتهن من الاسكندر بنصف ملكه فلم يجبه الى ذلك فعبى دارا
مرة ثالثة وحشد الفرس من عند اخرهم واستجاش بكل من قدر عليه من الامم فبعث
الاسكندر قايدا فى اسطول للغاره على بلد الفرس ومضى الاسكندر الى الشام فتلقاه
هنالك ملوك الدنيا خاضعين له فعفا عن بعض ونفى بعضا وقتل بعضا ومضى الى احواز
طرسوس وكانت مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشان واهلها قد وثقوا بعون اهل
افريقية لهم لصهر كان بينهم فحاصرهم فيها حتى افتتحها ومضى منها الى رودس والى مصر
فانتهب الجميع وبنا مدينة الاسكندرية بارض مصر قال هروشيوش وله فى بنيانها
اخبار طويلة وسياسات كرهنا تطويل كتابنا بها ثم ان دارا لما ييس من مصالحته اقبل
فى اربعماية الف راجل وماية الف فارس فتلقى الاسكندر مقبلا من اعماله بمصر فى اعمال
مدينة طرسوس فكانت بينهما معركة عجيبة شنيعة اجتهد الروم على ما كانوا ضروه

واعتادوه من الغلبة والظفر واجتهاد من الفرس بالتوطين على الهلاك وتفضيل
الموت على الرق والعبودية فقلما يحكى عن معركة كان القتل فيها اكثر منه في تلك المعركة
فلما نظر دارا الى اصحابه يتغلب عليهم ويهزمون عزم على استعجال الموت في تلك الحرب
بالمباشرة لها بنفسه والصبر حتى يقتل معترضا للقتل فلطف به بعض قواده حتى سلوه
فانهزم وذهبت قوة الفرس وعزهم وذل بعدها سلطانهم وصار بلد المشرق كله في
طاعة الروم وانقطع ملك الفرس مدة اربعماية عام وخمسين عاما واشتغل الاسكندر بتحصيل
ما اصاب في عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته على اهل عسكره ثلاثين يوما ثم مضى الى
مدينة الفرس التي كانت راس ملكهم والتي اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها وانتهب
ما فيها فبلغه عن دارا انه صار عند قوم مكبلا في كبول من فضة منهيا وخرج في ستة الاف
فوجده بالطريق مجروحا جراحات كثيرة فلم يلبث ان هلك منها فاظهر الاسكندر الحزن
عليه والمرثية له وامر بدفنه في مقابر الملوك وكان في امر هذه الثلاث المعارك عبرة لمن
اعتبر ووعظ لمن اتعظ انه قتل فيها من اهل مملكة واحد نحو من خمسة عشر الف الف بين
راكب وراجل من اهل بلد اشيا وهي العراق وقد كان قتل من اهل تلك المملكة قبل ذلك بنحو من
ستين سنه نحو تسعة عشر الف الف الى الف الف ما بين راكب وراجل من اهل بلد العراق
والشام وطرسوس ومصر وجزيرة رودس وجميع البلدان الذين درسهم الاسكندر
اجمعين وكان سلطان الدنيا مقسوما بين قواده بعد ما زلزل بدواهيه العظيمة العالم
كله وعمت اهله بعضا بالمنايا الفظيعة وبعضا بالتوطين عليها والمباشرة لاهوالها
واوصى عند وفاته ان يلقب كل قايم في اليونانيين بعده ببطلميوس تهويلا للاعداء لان
معناه الحربي فهذا هو الصحيح من خبر الاسكندر فلا تلتفت الى ما خالفه ويقال انه كان اشقر
ازرق وهو اول من سمر بالليل وكان له قوم يضحكونه ويحكون له الخرافات يريد بذلك
حفظ ملكه وحراسة نفسه لا اللذة وبه اقتدى الملوك في السمر واتخاذ المضحكين والمخرفين

ذكر تاريخ الاسكندر قال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني تاريخ
الاسكندر اليوناني الذي يلقبه بعضهم بذي القرنين على سني الروم وعليه تعمل اكثر الامم
لما خرج من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنه لقتال دارا ملك الفرس ولما ورد بيت المقدس
امر اليهود بترك تاريخ موسى وداود عليهما السلام والتحول الى تاريخه فاجابوه وانتقلوا الى تاريخه
واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد ان عملوه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو اول
وقت تحركه لتتموا الف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ومستعملين
له وعليه عمل اليونانيين وكانوا قبله يورخون بخروج يونان بن نورس عن بابل الى المغرب
واول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول تشرين الاول ويوافقه اليوم الرابع من بابه ومبدا

الايام عندهم من وقت طلوع الشمس الى وقت غروبها والى ان يصبح الصباح وتطلع الشمس
فتعد كل يوم بليلته ومبادي الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجري عليه دايما وعدد
شهور سنتهم اثنى عشر شهرا تخالف بعضها بعضا في العدد وهذه اسماوها وعدد
ايام كل منها تشرين الاول واحد وثلاثون يوما تشرين الثاني ثلاثون يوما كانون الاول
واحد وثلاثون يوما كانون الثاني واحد وثلاثون يوما • شباط ثمانية وعشرون يوما
وربع • اذار واحد وثلاثون يوما • نيسان ثلاثون يوما • ايار واحد وثلاثون يوما •
حزيران ثلاثون يوما • تموز واحد وثلاثون يوما • اب واحد وثلاثون يوما • ايلول ثلاثون يوما
فسبعة اشهر كل شهر منها واحد وثلاثون يوما واربعة اشهر كل شهر منها ثلاثون يوما
وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما وربع يوم وذلك انهم جعلوا شباط كل ثلث سنين متواليات
ثمانية وعشرين يوما وجعلوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما فيكون عدد
ايام سنتهم ثلاثماية وخمسة وستين يوما ويجعلون السنة الرابعة ثلاثماية وستة وستين يوما
ويسمونها السنة الكبيسة وانما زادوا الربع يوم في كل سنه ليقرب عدد ايام سنتهم من عدد
ايام السنة الشمسية حتى يبقى امورهم على نظام واحد فيكون شهور البرد وشهور الحر واوان
الزرع ولقاح الشجر وجنا الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شي من ذلك البته
وكان ابتدا الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من
تاريخ الاسكندر هذا وبين يوم الخميس اول شهر المحرم من السنة التي هاجر نبينا محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعماية
وثلاث وثلاثون سنه وماية وخمسة وخمسون يوما وبينه وبين يوم الجمعة اول يوم من
الطوفان الفا سنه وسبعماية سنه واثنتان وتسعون سنه وماية وثلاث وتسعون
يوما وبينه وبين ابتدا ملك بخت نصر وبين اول تاريخ الاسكندر اربعماية وخمس وثلاثون
سنه شمسية ومايتا يوم وثمانية وثلاثون يوما وقال ابو بكر احمد بن علي بن قيس بن وحشية في
كتاب الفلاحة النبطية الشهر المسمى تموز فيما ذكر النبط بحسب ما وجدت في كتبهم
اسم رجل كانت له قصة عجيبة طويلة وهو انه دعا ملكا الى عبادة الكواكب السبعة
والبروج الاثنى عشر وان الملك قتله وعاش بعد القتلة له ثم قتله قتلات بعد ذلك
قبيحة في كلها يعيش ثم مات في اخرها وان شهورهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل
عالم كان في القديم من النبط الذين كانوا سكان اقليم بابل قبل الكسدانيين وذاك ان تموز هذا
ليس من الكسدانيين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين ولا الجرامقة وانما هو من الجنباسين
الاولين وكذلك يقولون في كل شهورهم انها اسما رجال مضوا وان تشرين الاول وتشرين
الثاني اسما اخوين كانا فاضلين في العلوم كذلك وكان كانون الاول وكانون الثاني

وان شباط اسم رجل نكح الف امراة ابكارا كلهن ولم يبسل نسلا ولا ولد ولدا فجعلوه في
اخر الشهور لنقصانه عن النسل فصار النقصان من العدد فيه والصابيون من البابليين
والحرنانيين جميعا الى وقتنا هذا ينوحون ويبكون على تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم
فيه منسوب الى تموز ويعددون تعديدا عظيما وخاصة النسا فانهن يجتمعن ههنا جميعا
وينحن ويبكين على تموز ويهذون في امره هذيانا طويلا وليس عندهم علم من امره اكثر من
ان يقولوا هكذا وجدنا اسلافنا ينوحون ويبكون على تموز في هذا العيد المنسوب الى تموزى
وللنصارى ذكران لرجل يعملونه يسمى جورجيس احد حوارى عيسى عليه السلام دعا
ملكا من الملوك الى دين النصرانية فعذبه الملك بتلك العذابات فلا ادرى وقع الى النصارى
قصة تموز فابدلوا مكانها اسم جورجيس وخالفوا الصابيين في الوقت لان الصابيين يعملون
ذكران تموز اول يوم من شهر تموز والنصارا يعملونه لجورجيس في اخر نيسان ويقال ان بعض
ملوك روميه زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط فان شهورهم كانت في زمانه عشرة
اشهر كل شهر ستة وثلاثين يوما

ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهما رجلان

اعلم ان المحقق عند علما الاخبار ان ذا القرنين الذى ذكره الله
عز وجل في كتابه العزيز فقال ويسلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا
له في الارض واتيناه من كل شيء سببا الايات عربى قد كثر ذكره في اشعار العرب وان
اسمه الصعب بن ذى مراثد بن الحرث الرايش بن الهمال ذى شدد بن عاد ذى منح بن
عامر الملطاط بن سكسك بن وايل بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن
هود بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وانه ملك من ملوك حمير
وهم العرب العاربه ويقال لهم ايضا العرب العربا وكان ذو القرنين تبعا متوجا
ولما ولى الملك تجبر ثم تواضع لله واجتمع بالخضر وقد غلط من ظن ان الاسكندر بن فيلبس
هو ذو القرنين الذى بنى السد فان لفظة ذو عربيه وذو القرنين ملوك اليمن وذاك
رومى يونانى قال ابو جعفر الطبرى كان الخضر في ايام افريدون الملك بن اثغيان
في قول عامة علما اهل الكتاب الاول وقبل موسى بن عمران عليه السلام وقيل انه كان
على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان ايام ابراهيم الخليل عليه السلام وان الخضر
بلغ مع ذى القرنين ايام سيره في البلاد نهر الحياة فشرب من مايه وهو لا يعلم به ذو القرنين
ولا من معه فخلد وهو حى عندهم الى الان وقال اخرون ذو القرنين الذى في عهد ابراهيم
الخليل عليه السلام هو افريدون بن اثغيان وعلى مقدمته كان الخضر وقال ابو محمد عبد الملك
ابن هشام في كتاب التيجان في معرفة ملوك الازمان بعد ما ذكر نسب ذى القرنين الذى
قلناه وكان تبعا متوجا لما ولى الملك تجبر ثم تواضع واجتمع بالخضر ببيت المقدس وسار معه

مشارق الارض ومغاربها واوتى من كل شى سببا كما اخبر الله تعالى وبنى السد على
ياجوج وماجوج ومات بالعراق واما الاسكندر فانه يونانى ويعرف بالاسكندر
المجدونى سيل ابن عباس رضى الله عنه عن ذى القرنين ممن كان فقال من حمير هو الصعب
ابن ذى مراثد الذى مكنه الله في الارض واتاه من كل شى سببا فبلغ قرنى الشمس وراس
الارض وبنى السد على ياجوج وماجوج قيل له فالاسكندر قال كان رجلا روميا
صالحا حكيما بنى على البحر في افريقيه منارا واخذ ارض رومه واتى بحر الغرب
واكثر عليه الاثار في الغرب من المصانع والمدن وسيل كعب الاحبار عن ذى
القرنين فقال الصحيح عندنا من احبارنا واسلافنا انه من حمير وانه الصعب بن ذى
مراثد والاسكندر كان رجلا من بنى يونان من ولد عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل
صلوات الله عليه ورجال الاسكندر ادركوا المسيح بن مريم منهم جالينوس وارسطاطاليس
وقال الهمدانى في كتاب الانساب وولد كهلان بن سبا زيدا فولد زيد عريبا ومالكا
وغالبا وعميكرب وقال الهيثم عميكرب بن سبا اخو حمير وكهلان فاولد عميكرب ابا
مالك فدرح ومهيلا ابنى عميكرب فولد غالب جنادة بن غالب وقد ملك بعد مهيل بن
عميكرب بن سبا وولد عريب عمرا فولد عمرو زيدا والهميسع ويكنا ابا المصعب وهو
ذو القرنين الاول وهو المساح والبنا وفيه يقول النعمان بن بشير ٥

قد كان ذو القرنين جدى مسلما ٥ ملكا علا في الارض غير مفند

...

من ذا يعاديننا من الناس معشر ٥ كرام فذو القرنين منا وحاتم

وفيه يقول الحارثى ٥ سموا لنا واحدا منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملا

كالتبعين وذى القرنين يقبله ٥ اهل الحجى فاحق القول ما قيلا

وفيه يقول ابن ابى ذيب الخزاعى

ومنا الذى بالخافقين تغربا ٥ واصعد في كل البلاد وصوبا

فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا ٥ وفى ردم ياجوج بنا ثم نصبا

بعسكر قيل البين نحصا فيحسبا ٥ وذلك ذو القرنين مفخر كهلان

قال الهمدانى وعلما همدان تقول ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحرث الاعلا
ابن ربيعه بن الخيار بن مالك وفي ذى القرنين اقاويل كثيره وقال الامام فخر الدين
محمد بن عمر الرازى في كتاب تفسير القران الكريم ومما يعترض به على من قال ان الاسكندر
هو ذو القرنين ان معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس يامره ياتمر وينهيه ينتهى
واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبى فكيف يقتدى نبى بامر كافر
في هذا اشكال وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت امه قيرى
ادميه وابوه عبرى من الملايكه ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا

ينادي يا ذا القرنين قال افزعتم من اسما الملايكة فارتفعتم الى اسما الانبيا وروى
المختار بن ابي عبيد ان عليا رضي الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك
الامرط

ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر

قال في كتاب هروشيوش ان الاسكندر ملك الدنيا اثنتي عشرة سنه
فكانت الدنيا ماسورة بين يديه طول ولايته فلما مات تركها بين يدي قواده مختلفين
تحته فكان مثله معهم كمثل الاسد الذي القى صيده بين يدي اشباله فتقاتلت عليه
تلك الاشبال بعده وذلك انهم اقتسموا البلاد فصارت مصر وافريقيه كلها وبلاد
الغرب الى قايده وصاحب خيله الذي ولي مكانه وهو بطليموس بن لاوي
ويقال بطليموس بن ارنبا المنطقي وذكر ممالك بقية القواد من اقصى بلاد الهند الى
اخر بلاد المغرب وذكر ممالك بقية القواد من اقصى بلاد الهند الى اخر بلاد المغرب
ثم قال فثارت بينهم بعده حروب وسببها رسالة كانت خرجت من عند الاسكندر بان
يرجع جميع الغربا المنفيين الى بلادهم ويسقط عنهم الرق والعبوديه فاستثقل ذلك
ملك بلد الروم اذ خافوا ان يكون الغربا والمنفيون اذا رجعوا الى بلدانهم ومواطنهم
يطلبون النقمة لانفسهم فكان هذا الامر سبب خروجهم عن طاعة سلطان المجذونيين
وقال غيره وبطليموس هذا سبا بني [اسراييل] بعدما غزا فلسطين ثم اطلقهم وحباهم بانية
جوهر وضعت في بيت المقدس وملك عشرين سنه وبطليموس بن لاوي وقال
غيره ولي اربعين سنة وقيل ثمانيا وثلاثين سنه وقيل ان اسمه فيلذلفوس وهو محب الاب
قال وكان بجذونيا وهو الذي غنم اليهود واستقل كثيرا منهم الى مصر وفي زمانه كان
زينون الفيلسوفي وكان هذا الملك فيلسوفا واقبل بردبقا احد قواد الاسكندر
الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرموم فتفرق سلطان بجذونيه الى بلد بجذونيه على
قسمين ثم ان بطليموس جمع عساكر مصر وافريقيه فلاقا بردبقا فهزمه واصاب عسكره
ثم قتله واصاب ما كان معه وحارب عدة من قواد الاسكندر وقال غيره وكان
بطليموس هذا حكيما عالما شابا مدبرا وهو اول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها
وكان من قبله من الملوك لا يلعب بها ولما مات ملك الاسكندرية بعده بطليموس
الثاني واسمه فلذلفيش ويقال له محب الاخ وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنه وهو
الذي اطلق اليهود الذين كانوا ماسورين بارض مصر ورد الاواني المقدسة على
عزير النبي وهو الذي تخير السبعين مترجما من علما اليهود الذين ترجموا كتب التوراة
والانبيا من اللسان العبراني الى اللسان الرومي اليوناني واللطيني وكان فيلسوفا
منجما ومات فولي بعده ابنه بطليموس انظربطش المعروف بمحب الاب ستا وعشرين
سنة

ثمنية ثم ولي بعده اخوه بطليموس فليا طر سبع عشرة سنة وهو الذي قتل
من اليهود نحوا من ستين الفا وتغلب عليهم ويقال انه صاحب علم الفلك والنجوم
وكتاب المجسطي ثم ملك بعده ابنه بطليموس فلوماطر وهو الصانع خمسا وثلاثين
سنة وهو الذي غلب ملك الشام وحمل على اليهود انواع البلا والعذاب ثم ملك
الاسكندرية بعده ابنه بطليموس ابرياطش وهو الاسكندراني تسعا وعشرين
سنة وفي زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحترقت مدينة قرطاجنه بالنار
واقامت النار فيها سبعة عشر يوما فهدمت وحولت اساساتها حتى صار رخام
اسوارها غبارا وذلك في تسع ماية سنة من وقت بنيانها وسبي جميع اهلها رقيقا
الا قليلا من خيارهم واشرافهم وكان المتولي لتخريبها قواد رومه ثم ولي بعده ابنه
بطليموس شوطارا الذي يقال له الحديد سبع عشرة سنة وكان قبيح السيرة
تزوج باخته ثم فارقها على اقبح حال مما تزوجها عليه في خبر له ثم تزوج ربيبته
التي كانت بنت اخته ثم زوجها من ابنه المولود له من اخته وكثرت فواحشه حتى
نفاه اهل الاسكندريه فمات منفيا وولي اخوه بطليموس الاسكندر وهو الجوال
عشر سنين ثم ولي بعده ابنه بطليموس ديونيشيش ثمان وثلاثين سنه وفي زمانه
غلب قايد الرومانيين على بيت المقدس وجعل اليهود يودون اليه الجزية وظهرت
في ذلك الزمان علامات في السما مهولة منها انه ظهر في السما بناحية مطلع الشمس
من مدينة رومة مما يلي ناحية الجنوب نار عظيمة ملتهبة وكسر قوم خبزا في
صنيع لهم فانبجس من الخبز دم سايل ونزل بمدينة رومة مدة سبعة ايام متوالية برد
كان يوجد في داخله حجارة وشقاف وانفتحت الارض فصار فيها غور عظيم
وخرج منه لهب اشتعل حتى ظنوه بلغ السما ونظر اهل رومة يوميذ الى عمود من
الارض الى السما لونه لون الذهب وكان من عظمه تكاد الشمس ان تغيب منه
ثم ولي الاسكندرية بعده كلوبطرة سنتين فدامت مملكة الاسكندرية
وهي الدولة المجذونية الى اول ملك قيصر الذي هو اول ملوك الرومانيين
ماتين واحدى وثمانين سنه فبعث قيصر قايدين بعساكر كثيرة لفتح مصر
فتزوج احدهما كلوباطره ابنة ذيونيشيش الملقب بطليموس وقبل القايد الاخر
وخالف قيصر فسار اليه قيصر بنفسه وجرت امور آلت الى فتح الاسكندرية
بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر وقتل كلوبطره وولديها وقتل
القايد الذي تزوجها ويقال بل سمت نفسها عندما تيقنت غلب قيصر لها
ويقال كانت ذات حزم ومعرفة وتدبير وانها حفرت خليج الاسكندرية واجرت

فيه الما من مصر وبنت بالاسكندرية ابنيه عجيبه منها هيكل زحل وعملت فيه صنما
من نحاس اسود فكان اهل الاسكندريه ومصر يعملون له عيد في اليوم الثاني عشر من
هاتور ويحج اليه اليونان من ساير الاقطار ويذبحون له ذبايح لا تحصى لكثرة فلما ظهرت
ملة النصارا في الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسة ولم تزل الى ان هدمها جيوش المعز
لدين الله عند قدمهم من المغرب الى ارض مصر في سنة ثمان وخمسين وثلثماية من سني
الهجرة ويشبه ان يكون هذا غير صحيح ويقال انها بنت مقياسا بمدينة اخميم ومقياسا
اخر بانصنا ويقال كانت مدة ملكها ثلثين سنة وليس بصحيح وبموت كلوباطره انقطعت
مملكة مصر وصارت تحت يد ملوك الروم من اهل مدينة رومة ثم تحت يد ملوك الروم
من اهل قسطنطينية فلم تزل تحت ايديهم يولون فيها من قبلهم من شاوا فيصير الى الاسكندرية
ويقيم بها الى ان قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يديه الحصن والاسكندرية
وجميع ارض مصر ويقال معنى كلوباطره الباكية وكان جميع المدة التي ما بين ذهاب دولة
البطالسة من الاسكندرية وبين قدوم عمرو بن العاص الى مصر وفتحها ستماية
وبضعا وسبعين سنة وفي خلال هذه المدة قوى جانب ملوك الفرس على القياصرة
وملكوا منهم بلاد الشام واستولوا على ارض مصر والاسكندرية في ايام كسرى ابرويز بن هرمز
فبعث قايدا الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم واقاموا بالاسكندرية مدة عشر
سنين فلما استبد هرقل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينية بجمع الاموال من ساير مملكته
واخذ حماه ودمشق وصار الى بيت المقدس وقد خربها الفرس امر ببنايها وسار
منها الى ارض مصر ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس واقام بها بطريقا ثم عاد
الى القسطنطينية فاستمرت مصر بعده تحت ايالة الروم حتى ملكها المسلمون ويقال ان كل
بنا بمصر من اجر فهو للفرس وما فيها من بنا حجر فهو للروم والله اعلم ٥

ذكر منار الاسكندريه

قال المسعودي فاما منار الاسكندرية فذهب الاكثر من المصريين والاسكندرانيين
ممن عني باخبار بلدهم ان الاسكندر بن فيلبس المقدوني هو الذي بناها ومنهم من راى
ان دلوكة الملكة بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومن الناس من راى
ان العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها ومنهم من راى ان الذي بنى مدينة رومية
هو الذي بنى مدينة الاسكندرية ومنارها والاهرام بمصر وانما اضيفت الاسكندرية
الى الاسكندر لشهرتها باستيلايه على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا
في ذلك اخبارا كثيرة يدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه في هذا البحر عدو
ولا هاب ملكا يرد اليه في بلده ويغزوه في داره فيكون هو الذي جعلها مرقبا

وان

وان الذي بناها جعلها على كرسي من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف
اللسان الذي هو داخل في البحر من البر وجعل على اعلاها تماثيل من النحاس وغيره
فيها تمثال قد اشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس اين ما كانت من الفلك واذا علت
في الفلك فاصبعه مشير بها نحوها فاذا انخفضت صارت يده سفلا يدور معها حيث
دارت ومنها تمثال يشير بيده في البحر اذا صار العدو على نحو من ليلة فاذا دنى وجاز
ان يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هايل يسمع من مسيرة ميلين
او ثلاثة فيعلم اهل المدينة ان العدو قد دنا منهم فيرمقونه بابصارهم ومنها تمثال كلما
مضى من الليل او النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها
وصوته مطرب وقد كان ملك الروم في ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان انفذ
خادما من خواص خدمه ذا راي ودها جاسوسا الى بعض الثغور فورد بالة
حسنة ومعه جماعة فجا الى الوليد فاخبره انه من خواص الملك وانه اراد قتله
لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها اصل وانه استوحش ورغب في الاسلام
فاسلم على يدي الوليد وتقرب من قلبه ونصح اليه في دفاين استخرجها له من بلاد
دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفاين فلما صارت
الى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم
يا امير المومنين ان ها هنا اموالا وجواهر ودفاين للملوك فساله الوليد عن الخبر
فقال تحت منار الاسكندرية اموال الارض وذلك ان الاسكندر احتوى على الاموال
والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك مصر فبنى لها الازاج تحت الارض وقنطر
لها الاقبا والقناطر والسراديب واودعها تلك الذخاير من العين والورق والجواهر
وبنى فوق ذلك هذا المنار وكان طوله في الهوا الف ذراع والمراة في علوه والربادبة
جلوس حوله فاذا نظروا الى العدو في البحر في ضو تلك المراة صوتوا لمن قرب منهم ونشروا
اعلاما فيراها من بعد منهم فيحذر الناس وينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل
فبعث الوليد مع الخادم بجيش واناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف المنارة من
اعلاها وازيلت المراة فضج الناس من هذا وعلموا انها مكيدة وحيلة في امرها ولما علم
الخادم استفاضة ذلك وانه سينهى الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل
في مركب كان قد اعده وواطا على ذلك فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا في
هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثماية وكان حول منار الاسكندرية
في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص للخواتيم انواعا من الجوهر
يقال ان ذلك من الات اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها امه ورمت

بها فى تلك المواضع من البحر ومنهم من راى ان الاسكندر اتخذ ذلك النوع من
الجواهر وغرقه حول المنار لكيلا تخلو من الناس حولها لان من شان الجوهر ان يكون
مطلوبا ابدا فى كل عصر ويقال ان هذا المنار انما جعلت المراة فى اعلاه لان ملوك الروم
بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية
من الملوك تلك المراة ترى من يرد فى البحر من عدوهم وكان من يدخلها يتيه فيها الا ان
يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها وقد ذكر ان
المغاربة حين وافوا فى خلافة المقتدر فى جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على
خيولهم فى المنار فتاهوا فيها وفى طرق توصل الى مهاوى تهوى فى السرطان الزجاج
وفيه مخارق فى البحر فتهورت دوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان
تهورهم كان على كرسى لها قدامها وفى المنار مسجد فى هذا الوقت مرابط فيه مطوعة
المصريين وغيرهم وفى سنة تسع وسبعين ومائة سقط راس المنار من زلزلة ويقال
ان منار الاسكندرية كان مبنيا بحجارة مهندمة مضببة برصاص على قناطر الزجاج
وتلك القناطر على ظهر سرطان وكان فى المنار ثلثماية بيت بعضها فوق بعض وكانت
الدابة تصعد بحملها الى سائر البيوت من داخل المنار ولهذه البيوت طاقات تشرف
على البحر وكان على الجانب الشرقى من المنار كتابة عربت فاذا هى بنت هذه المنظرة مرسا
بنت مرتيوس اليونانية لرصد الكواكب وقال ابن وصيف شاه وقد ذكر اخبار
مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وبنوا على عبر البحر منارا منها رقوده مكان الاسكندرية
وجعلوا فى وسطها قبة على اساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا
فوقها مراة من اخلاط شتى قطرها خمسة اشبار وكان ارتفاع القبة ماية ذراع
فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التى حولهم فان كان مما يهمهم او من البحر عملوا لتلك
المراة عملا فالقت شعاعها على ذلك الشى فاحرقته فلم تزل على حالها الى ان غلب عليها
البحر فنسفها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنار الذى كان تشبيها بها وقد كان ايضا
عليه مراة يرى فيها من يقصدهم من بلد الروم فاحتال بعض ملوك الروم فوجه من
ازالها وكانت من زجاج مدبر وقال المسعودى فى كتاب التنبيه والاشراف وقد كان
وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما امر المستعين بنفيه الى برقه فى سنة
ثمان واربعين ومائتين صار الى الاسكندرية من بلاد مصر فراى حمرة الشمس على
علو المنارة التى بها وقت المغيب فقدر انه يلزمه ان لا يفطر اذا كان صايما او تغرب الشمس
من جميع اقطار الارض فامر انسانا ان يصعد الى اعالى منارة الاسكندرية ومعه حجر
وان يتامل موضع سقوط الشمس فاذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر

بلا

الى قرار الارض بعد صلاة العشا الاخيرة فجعل افطاره فيما بعد اذا صام فى مثل
ذلك الوقت وكان عند رجوعه الى سر من راى لا يفطر الا بعد عشا الاخرة وعنده
ان هذا فرضه وان الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ومجارى
الشرق والغرب وقد ذكر ارسطاطاليس فى كتاب الاثار العلوية ان بناحية المشرق
الصينى جبل شامخ جدا وان من علامة ارتفاعه ان الشمس لا يغيب عنه الى ثلاث
ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح بثلاث ساعات ومنارة الاسكندرية احد
بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن
فيلبس الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب فى البر والبحر فجعلوا هذه
المنارة مرقبا فى اعاليها مراة عظيمة من نوع الاحجار المشفة لتشاهد منها مراكب البحر
اذا اقبلت من رومة على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فكانوا يراعون ذلك فى تلك
المراة فيستعدون لهم قبل ورودهم وطول المنارة فى هذا الوقت على التقريب مايتان
وثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحوا من اربعماية ذراع فتهدمت على طول الازمان
وترادف الزلازل والامطار لان بلد الاسكندرية يمطر وليس سبيلها سبيل فسطاط
مصر اذ كان الاغلب عليها الا تمطر الا اليسير وهى ثلاثة اشكال فقريب من النصف
واكثر من الثلث مربع الشكل بناؤه باحجار بيض يكون نحوا من ماية ذراع وعشرة
الاذرع على التقريب ثم من بعد ذلك مثمن الشكل مبنى بالاجر والجص نحو من نيف وستين
ذراعا وحواليه فضاء يدور فيه الانسان واعلاها مدور وكان احمد بن طولون رم
منه شيا وجعل فى اعلاه قبة من الخشب المصعد اليها من داخلها وهى مبسوطة
موربة بغير درج وفى الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يونانى
يكون طول كل حرف ذراعا فى عرض شبر ويكون مقدارها على وجه الارض نحوا من
ماية ذراع وماء البحر قد بلغ اصلها وقد كان تهدم احد اركانها الغربية مما يلى البحر
فبناها ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وبينها وبين الاسكندرية فى هذا الوقت
نحو ميل وهى على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبيه وهى مبنية على فم مينا
الاسكندرية وليس بالمينا القديم لان القديم فى المدينة العتيقة لا ترسى فيه المراكب
لبعده عن العمران والمينا هو الموضع الذى ترسى فيه مراكب البحر واهل الاسكندرية
يخبرون عن اسلافهم انهم شاهدوا بين المنار وبين البحر نحوا مما بين المدينة والمنار فى
هذا الوقت فغلب عليه ماء البحر فى المدة اليسيرة وان ذلك فى زيادة قال وتهدم فى
شهر رمضان سنة اربع واربعين وثلثماية نحو من ثلاثين ذراعا من اعاليها بالزلزلة
التى كانت ببلاد مصر وكثير من الشام والغرب فى ساعة واحدة على ما وردت به علينا

الاخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر وكانت عظيمة جدا مهولة نطبعه اقامت نحو
نصف ساعة زمانية وذلك لنصف يوم السبت لثمان عشرة خلت من هذا الشهر وهو
الخامس من كانون الاخر والتاسع من طوبه وكان العيد والمنارة يجتمع في يوم خميس
العدس تخرج ساير اهل الاسكندرية الى المنارة كلهم ولا بد ان تكون فيها عدس
فيفتح باب المنارة ويدخله الناس فمنهم من يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا
يزالون الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم
العدو وكان في المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل فيقصد ركاب السفن
تلك النار على بعد فاذا راى اهل المنارة ما يريبهم اشعلوا النار من جهة المدينة فاذا
راها الحرس ضربوا الابواق والاجراس فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو ويقال
ان المنار كان بعيدا عن البحر فلما كان في ايام قسطنطين بن قسطنطين هاج البحر وغرق
مواضع كثيرة وكنايس عديده بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها بعد ذلك
وياخذ منها شيا بعد شي وذكر بعضهم انه قاسه فكان مايتي ذراع وثلاثة وثلثين ذراعا
وهي ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعه وهي مايه واحدى وعشرون ذراعا
ونصف ذراع والطبقة الثانية مثمنه وهي احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع
والطبقة الثالثة مدورة وهي احدى وثلاثون ذراعا ونصف ذراع وذكر ابن جبير
في رحلته ان منار الاسكندرية يظهر على ازيد من سبعين ميلا وانه ذرع احد جوانبه
الاربع في سنة ثمان وسبعين وخمسماية فاناف على خمسين باعا وان طول المنار ازيد
مايه وخمسين قامة وفي اعلاه مسجد يتبرك الناس بالصلاة فيه وقال ابن عبد الحكم ويقال
ان الذي بنا منارة الاسكندرية كلوبطره الملكه وهي التي ساقت خليجها حتى ادخلته
الاسكندرية ولم يكن يبلغها الماكان يعدل من قومه تعالى لها كبسا قبالة الكريون فحفرته حتى
ادخلته الاسكندرية وهي التي بلطت قاعته ولما استولى احمد بن طولون على الاسكندرية بنى
في اعلا المنار قبة من خشب فاخذتها الرياح وفي ايام الملك الظاهر بيبرس تداعى بعض
اركان المنار وسقط فامر ببنا ما انهدم في سنة ثلاث وسبعين وستماية وبنى مكان
هذه القبة مسجدا وهدم في ذي الحجة سنة اثنين وسبعماية عند حدوث الزلزلة
ثم بني في شهور سنة ثلاث وسبعماية على يد الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو
باق الى يومنا هذا ولله در الوجيه الذروي حيث يقول في منار الاسكندرية وشاميه

وسامية الارجا تهدى اخا السرى ... ضيا اذا ما حندس الليل اظلما
لبست بها بردا من الانس ضافيا ... فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظللتني من ذراها بقبة ... الاحظ فيها من صحابي انجما

نخيل

نخيل ابن البحر فيها غمامة ... واني قد خيمت في كبد السما

وقال ... ابن ظافر منه ابيات

ومنزله جاوز الجوزا مرتقيا ... كانما فيه للنسرين اوكار
رواسي الغزالة ... في بحره للنون والنور اخبار واخبار
اطلعت فيه عنان النظم فاطردت ... تخيل لها في بديع الشعر مضمار

وقال ... الوزير ابو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد ربه

لله در منار اسكندرية كم ... يسموا اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف في عرنينه شمم ... كانه باهت في دارة الافق
للمنشات الجواري عند رويته ... كموقع النوم في اجفان ذي ارق

وقال عمر بن عمر الكندي في فضايل مصر وذكر اهل العلم ان المنار كان في وسط
الاسكندرية حتى غلب عليها البحر فصارت في جوفه الا ترى الابنية والاساسات
في البحر الى الان عيانا وقال عبد الله بن عمرو عجايب الدنيا اربعة مراة كانت معلقه
بمنارة الاسكندرية وكان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض
البحر وذكر الثلاثة

ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية وغيره من العجايب

قال القضاعي ومن عجايب مصر الاسكندرية وما بها من العجايب فمن عجايبها
المنارة والسواري والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بالكرة
فلا تقع في حجر احد الا ملك مصر وحضر عبد الله من اعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة
في حجره فملك البلد بعد ذلك في الاسلام ثم يحضر هذا الملعب الف الف من الناس فلا
يكون فيهم احد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قرى كتاب سمعوه جميعا ولعب
لون من اللعب راوه عن اخرهم لا يتظالمون فيه باكثر من مراتب العلية والسفلة وقال
ابن عبد الحكم فلما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة وقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية
خلا به عمرو بن العاص فاستاذنه في المسير الى مصر وكان عمرو قد دخل في الجاهلية مصر
وعرف طرقها وراى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها انه قدم الى بيت المقدس
لتجارة في نفر من قريش فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة
في بيت المقدس فخرج في بعض جبالها يسيح وكان عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد
اصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له
فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها
حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد
انجاه الله منها فقال لعمرو ما هذه فاخبره عمرو انه رماها فقتلها فاقبل الى عمرو فقبل راسه
وقال قد احياني الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما اقدمك هذه
البلاد قال قدمت مع اصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا فقال له الشماس وكم تراك ترجوا
ان تصيب في تجارتك قال رجاي ان اصيب ما اشتري به بعيرا فاني لا املك الا بعيرين

فاما ان اصيب بعيرا اخر فيكون ثلاثة ابعرة فقال له الشماس اريت دية احدكم بينكم كم هي قال مائة من الابل قال له الشماس لسنا اصحاب ابل انما نحن اصحاب دنانير قال تكون الف دينار فقال له الشماس اني رجل غريب في هذه البلاد وانما قدمت اصلي في كنيسة بيت المقدس واسيح في هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسي وقد قضيت ذلك وانا اريد الرجوع الى بلادي فهل لك ان تتبعني الى بلادي ولك عهد الله وميثاقه ان اعطيك ديتين لان الله عز وجل احياني بك مرتين فقال له عمرو واين بلادك قال مصر في مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا اعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال عمرو وتفي لي بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم لك الله علي بالعهد والميثاق ان افي لك وان اردك الى اصحابك فقال له عمرو وكم يكون مكثي في ذلك قال شهرا تنطلق معي ذاهبا وعشرا تقيم عندنا عشرا وترجع في عشر ولك علي ان احفظك ذاهبا وان ابعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو انظرني حتى اشاور اصحابي في ذلك فانطلق عمرو الى اصحابه فاخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم تقيموا علي حتى ارجع اليكم ولكم علي العهد ان اعطيكم شطر ذلك على ان يصحبني رجل منكم انس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس الى مصر حتى انتهى الى مصر فراى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها من الاموال والخير ما اعجبه ذلك فقال الشماس ما رايت مثل عمرو ومضى الى الاسكندرية فنظر عمرو الى كثرة ما فيها من الاموال والعمارة وجودة بنائها وكثرة اهلها فازداد عجبا ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم واشرافهم ولهم اكرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها باكمامهم وفيما اختبروا من تلك الاكرة على ما وضعها من مضى منهم انها من وقعت الاكرة في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم فلما قدم عمرو الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج البسه اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالاكرة وهم يتلقونها باكمامهم فرمى بها رجل منهم فاقبلت تهوي حتى وقعت في كم عمرو فتعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الاكرة قط الا هذه المرة اترى هذا الاعرابي يملكنا هذا ما لا يكون ابدا وان ذلك الشماس مشى في اهل الاسكندرية واعلمهم ان عمرا احياه مرتين وانه قد ضمن له الفي دينار وسالهم ان يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما واكرمهما حتى رجع وصاحبه الى اصحابهما بذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها وراى منها ما علم انها افضل البلاد واكثره مالا فلما رجع عمرو الى اصحابه دفع اليهم فيما بينهم الف دينار وامسك لنفسه الفا قال عمرو وكان اول مال اعتقدته وتاملته ٥

ذكر عمود السواري

قال المسعودي وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل عظيم رخام كانت الاوايل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يحملون ما عملوا بعد النقر فاما العمد والقواعد والروس فى

تسميه

تسميها اهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بعيش من السنين ومنها العمد التي بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رايت في جبل اسوان اخا هذا العمود قد هندس ونقر ولم ينفصل من الجبل ولم يخل ما ظهر منه وانما كانوا ينتظرون به ان ينفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى وكان بالاسكندرية من العمد العظام وانواع الاحجار الرخام الذي لا تقل القطعة منه الا بالوف ناس قد علقت بين السما والارض على فوق المائة ذراع وفوق روس اساطير داخل الاسطوان ما بين الخمس عشرة ذراعا الى عشرين ذراعا والحجر فوقه عشرة اذرع في عشرة اذرع في سمك عشرة اذرع بغرايب الالوان وكان بالاسكندرية قصر عظيم لا نظير له في معمور الارض على ربوة عظيمة بازا باب البلد طوله خمسماية ذراع وعرضه على النصف من ذلك وبابه من اعظم بنا واتقنه كل عضادة منه حجر واحد وعتبته حجر واحد وكان فيه نحو مائة اسطوانة وبازايه اسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلها غلظها ستة وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك اعلاها قاذف حجر وعليها راس محكم الصناعة يدل على انه كان من فوق ذلك بنا وتحتها قاعدة حجر احمر محكم الصناعة عرض كل ضلع منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانية اشبار والاسطوانة منزلة في عمود من حديد قد خرق به الارض فاذا اشتدت الرياح رايتها تتحرك وربما وضع تحتها الحجارة فتطحنها لشدة حركتها وكانت هذه الاسطوانة احدى عجايب الدنيا وقد زعم قوم انها مما عمله الجن لسليمن بن داود عليهما السلام كما هي عادتهم في نسبة كل ما يستعظموا عمله الى انه من صنيع الجن وليس كذلك بل كانت مما عمله القدما من اهل مصر وكانت في وسط قبة ومن حولها اساطين وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام ابيض كاحسن ما انت راء من الصنايع ويقال ان بعض من ملك مصر دخل الاسكندرية فاعجبه هذا القصر واراد ان يبني مثله فجمع الصناع والمهندسين ليقيموا له قصرا على هيئته فما منهم الا من اعترف بعجزه عن عمل مثله الا شيخ منهم فانه التزم ان يصنع مثله فسر الملك ذلك واذن له في طلب ما يحتاج اليه من الالات والمون والرجال فقال اتوني بثورين مطبقين وعجل كبيرة فلما اتي بذلك مضى الى المقابر القديمة وحفر منها قبرا اخرج منه جمجمة عظيمة رفعها عدة من الرجال على العجلة فما جرها الثوران مع قوتهما الا بعد جهد وعنا فلما وقف بها بين يدي الملك قال اصلح الله سيدنا انا ايتني بقوم روسهم مثل هذا الراس عملت لك مثل هذا القصر فتيقن الملك عند ذلك عجز اهل زمانه عن اقامة مثل ذلك القصر وقد ذكر انه كان بالاسكندرية ضرس انسان عند قصاب يزن به اللحم زنته ثمانية ارطال ويقال ان عمود السواري الموجود الان خارج مدينة

الاسكندرية احد سبعة اعمدة اتى باحدها الثبوت بن مرة العادى وهو يحمله
تحت ابطه من جبل بريم الاحمر قبلي اسوان الى الاسكندرية فانكسر ضلعه لانه كان
ضعيف القوى في قومه فشق ذلك على نعمرشداد بن عاد وقال ليتني فديته بنصف
ملكي وجا بعمود اخر جحدر بن سنان الثمودي وكان قويا فحمله من اسوان تحت ابطه
وجا بقية رجالهم كل رجل بعمود فاقام العمد السبعة الجارود بن قطن المو تفكي وكان
بنا بعد ما اختار دوالها طالعا سعيدا كما هي عادتهم في عامة اعمالهم وقد ذكر غير واحد ان
الصخور في القديم من الدهر كانت تلين فعمل منها اعمده ناعط ومارب وبينون وما ثر
اليمن واعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر وان كل شى كان يتكلم قال امرى القيس
واذهم لابوس لحم عراة   واذ صخر السلام لهم رطاب
وقال قوم عمود السوارى من جملة اعمدة كانت تحمل رواقا يقال له بيت الحكمة وذلك حيث
انتهت علوم اهل العرب الى خمس فرق وهم اصحاب الرواق هذا واصحاب الاسطوان
وكانوا ببعلبك واصحاب المظال وهم بانطاكيه واصحاب البرابى وكانوا بصعيد مصر
والمشاوون وكانوا بمقدونيه وكانى بمن قل علمه ينكر على ايراد هذا الفصل ويراه من قبيل
المحال ومما وضعه القصاص ويجزم بكذبه فلا توحشنك حكايته له واسمع قول الله سبحانه
عن عاد قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة اي
طولا وعظم جسم قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم
ستين ذراعا وكانت على خلق ابايهم وقيل على خلق قوم نوح وقال وهب بن منبه كان هذه الزيادة
راس احدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم
وروى شهر بن حوشب عن ابي هريرة ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراعين
لو اجتمع خمس مائة من هذه الامة لم يطيقوه وان كان احدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل
فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافرى عن ابن حجيرة قال استظل سبعون
رجلا من قوم موسى عليه السلام في قحف رجل من العماليق وعن زيد بن اسلم بلغني ان
الضبعة واولادها ربضن في حجاج عين رجل من العماليق وقد ذكر غير واحد انه وجد
في خلافة المعتمد بالله ابي الفضل جعفر بن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله
اربعة عشر شبرا في عرض واعلم ان اعين بني ادم ضيقة وقد نشات نفوسهم في محل صغير
فاذا حدثت القوم منهم بما يتجاوز مقدار عقولهم او مبلغ احساسهم مما ليس عندهم اصل
يقيسونه عليه الا ما يشاهدونه بادروا الى الارتياب فيه وسارعوا الى الشك
في الخبر عنه الا من كان معه علم وفهم فانه يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلا على
قبوله او رده وكيف يرد مثل هذه الاخبار وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال خلق الله ادم ستون ذراعا في السما ثم لم تزل الخلق تنقص حتى الان وذكر محمد بن
عبد الرحيم بن سليمن بن ربيع القيسي الغرناطي في كتاب تحفة الالباب قال
نقل الشعبي في كتاب سير الملوك ان الضحاك بن علوان لما هرب منه لامر ابن عامر الى
ناحية الشمال ارسل في طلبه امير بن مع كل امير طايفة من الجبابرة فخرج احدهما قاصدا
الى بلغار والاخر الى ماشغرد فاقام اوليك الجبابرة في ارض بلغار وفي باشغرد قال
الاقليشي وقد رايت صورهم في باشغرد ورايت قبورهم بها فكان مما رايته ثنية
احدهم طولها اربعة اشبار وعرضها شبران وقد كان عندي في باشغرد نصف اصل
الثنية اخرجت لي من فكه الاسفل فكان عرضها شبرا ووزنها الف مثقال ومايتا مثقال
انا وزنتها بيدي وهي الان في داري في باشغرد وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر
ذراعا في بيت بعض اصحابي في باشغرد عضد احدهم طوله ثمانيه وعشرون ذراعا
واضلاعه كل ضلع عرضه ثلاثة اشبار واكثر كاللوح الرخام واخرج الي نصف رسع يد
احدهم فكنت لا اقدر ان ارفعه بيد واحده حتى ارفعه بيدي جميعا قال ولقد
رايت في بلد بلغار سنه ثلاثين وخمسمائه من نسل العاديين رجلا طوالا كان طوله اكثر
من سبعة اذرع وكان يسمى دنقى وكان ياخذ الفرس تحت ابطه كما ياخذ الانسان
الطفل الصغير وكان اذا وقع القتال بتلك الناحية يقاتل بشجرة من خشب البلوط
يمسكها كالعصا في يده لو ضرب بها الفيل قتله وكان خيرا متواضعا كلما القاني يسلم
على ورحب بي واكرمني وكان راسي لا يصل الى حقوه وكان له اخت على طوله رايتها في
بلغار مرارا عدة قال لي القاضي يعقوب بن النعمان يعني قاضي بلغار ان هذه المراة الطويلة
العادية قتلت زوجها وكان اسمه ادم وكان من اقوى اهل بلغار ضمته الى صدرها
فكسرت اضلاعه فمات من ساعته قال ولم يكن في بلغار حمام تسعهم الا حمام واحد واسعه
الابواب انتهى وقد حدث الحافظ ابو عبد الله محمد المعروف محمد الزبانى عن ابيه انه شاهد
قبرا احتفر بمدينة قرطاجنة من افريقيه فاذا جثة رجل قدر عظم راسه كثور عظيم وفي
ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحروفه مقطعه ما نصه انا كوش
ابن كنعان بن الملوك من ال عاد ملكت بهذه الارض الف مدينه وبنيت بها على الف بكر
وركبت من الخيل العتاق سبعة الاف حمر وصفر وشهب وبيض ودهم ثم لم يغن عني
ذلك شيا وجاني صايح فصاح بي صيحة اخرجني من الدنيا فمن كان عاقلا فمن جا بعدي
فليعتبر بي وانشد   يا واقفا برسم ربع قد وهى   قف واعتبر ان كنت من
اهل النهى
بالامس كنا فوقها واليوم صرنا تحتها   فلكل حد غاية ولكل اس
منتهى

قال فامر السلطان ابو بكر يحيى الحفصي صاحب تونس بطمه فطم القبر قال كاتبه
وانا ادركت شيا من ذلك وهو انه ترافع في بعض الايام طايفة من الحجارين الى السلطان
الملك الظاهر برقوق اعوام بضع وتسعين وسبع مايه وقد اختلفوا على مال وجدوه
بجبل المقطم وهو انهم كانوا يقطعون الحجارة من مغاير فيما يلي قلعة الجبل من جهة شرقيها
فانكشف لهم حجر اسود عليه كتابة فاجتمعوا على قطع ما بين يدي هذا الحجر طمعا في
وجود مال فانتهى بهم القطع الى عمود عظيم قايم في قلب الجبل فلعجلتهم اقبلوا بمعاولهم
عليه حتى تكسر قطعا فاذا هو مجوف وانسان قايم على قدميه بطوله وتناثر لهم من جهة
راسه دنانير كثيرة فاقتسموها وتنازعوا في قسمتها واختلفوا حتى اشتهر امرهم وارتفعوا
الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد الحجر والعمود وقد تكسر فاخذ منهم ما وجد
بايديهم من الدنانير ولم يجد من يعرف ما قد كتب على الحجر وتسامع الناس بالخبر فاقبلوا
الى المغار وعبثوا برمة الميت فاخبرني من شاهد سنا من اسنان هذا الميت انه اسود
بقدر الباذنجانة وانه عظم ساقه فيما بين قدمه الى ركبته خمسة اذرع فيجي هذا الحساب
عشرين ذراعا طوله وازيد وذلك سن واحد من اسنانه في قدر الباذنجانة ما هو
الا كالقبة الكبيرة فاخبرني السيد الشريف قاضي القضاه بدمشق شهاب الدين احمد بن علي
ابن ابراهيم الحسيني المعروف بابن عدنان وبابن ابي الجن انه وقف في سنه اربع عشرة
وثماني مايه بمقبرة باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم فلما نقبوا القبر ولم يبق
الا ان يدليا فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذباب كثير كبار زرق الالوان حتى
كادت تظلهم فنزل الحفار في الخسف فاذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعا وفيه
بطوله ميت قد صار كالرماد واخبرني ايضا انه شاهد بهذه المقبرة ضرس انسان وله
ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعه وهو في قدر البطيخة وانه وزن بحضرته فبلغ
رطلين وتسع اواق بالرطل الشامي وان القطعة التي انكسرت منه نحو اوقيتين بالشامي
فيكون على هذا زنة هذا الضرس نحوا من عشر رطلا بالمصري

ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية

قال عمر بن عمر الكندي اجمع الناس انه ليس في الدنيا مدينة على مدينة ثلاث طبقات
غير الاسكندرية ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سال رجلا من علما الروم
عنها وعن عدد اهلها فقال والله ايها الامير ما ادرك علم هذا احد من الملوك والذي
اخبرك كم كان فيها من اليهود فان ملك الروم امر باحصايهم فكانوا ستماية الف قال
فما هذا الخراب الذي في اطرافها قال بلغني عن بعض ملوك فارس حين ملكوا مصر انه
امر بفرض دينار على كل محتلم لعمران الاسكندرية فاتاه كبرا اهلها وعلماوهم وقالوا ايها

الملك لا تتعب فان الاسكندر اقام على بنايها ثلثماية سنه وعمرت ثلثماية سنه وانها
لخراب منذ ثلثماية سنه ولقد اقام اهلها سبعون سنة لا يمشون فيها نهارا الا بخرق
سود في ايديهم خوفا على ابصارهم من شدة بياضها ومن فضايلها ما قال بعض المفسرين
من اهل العلم انها المدينة التي وصفها الله عز وجل في كتابه الكريم فقال ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد وقال احمد بن صالح قال لي سفين بن عيينه يا مصري اين تسكن
قلت اسكن الفسطاط فقال اتاتي الاسكندرية قلت نعم قال تلك كنانة الله يجعل
فيها خيار سهامه وقال عبد الله بن مرزوق الصدفي لما نعي الي ابن عمي خالد بن يزيد
وكان توفي بالاسكندرية لقيني موسى بن علي بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث بن
سعد متفرقين كلهم يقول اليس مات بالاسكندرية فاقول نعم فيقولون هو حي عند الله
يرزق ويجري عليه اجر رباطه ما قامت الدنيا وله اجر شهيد حتى يحشر على ذلك وقال
الذين ينظرون في الاهوية والبلدان وترب الاقاليم والامصار انه لم تطل اعمار الناس
في بلد من البلدان طولها بمريوط من كورة الاسكندرية ووادي فرغانه وقال ابو الحسن
رضوان واما الاسكندرية وتنيس واشباه هذه فقربها من البحر وسكون الحرارة والبرد
عندهم وظهور ريح الصبا فيهم مما يصلح امرهم ويرق طباعهم ويرفع هممهم وليس يعرض
لهم ما يعرض لاهل البشمور من غلظ الطبع والجاريه وقد وصف اهل الاسكندرية
بالبخل قال جلال الدين مكرم بن ابي الحسن بن احمد بن حبقة الخزرجي ملك الحفاظ

نزيل اسكندرية ليس يقرا	بغير الما او نعت السوار
وذكر البحر والامواج فيه	ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبز	ويتحف حين يكرم بالهوا
فلا تطمع برويه لون خبز	فما فيها بذاك الحرف قاري

وقال ابن خرداذبة من الفسطاط الى ذات الساحل اربعة وعشرون ميلا
مع النيل ثم الى قرطسا ثلاثون ميلا ثم الى كريون اربعة وعشرون ميلا ثم الى
الاسكندرية اربعة وعشرون ميلا وقال لغيره طريق الاسكندرية اذا نضب ما
النيل ياخذ بين المداين والضياع وذلك اذا اخذت من شطنوف الى سبك العبيد
فهو منزل فيه منيه لطيفه وبينهما اثنا عشر سقسا ومن سبك الى مدينة منوف
وهي كبيره فيها حمامات واسواق وبها قوم تنا فيهم يسار ووجوه من الناس وبينهما
ستة عشر سقسا ومن منوف الى محلة صرد وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق
صالح ستة عشر سقسا ومن محلة صرد الى سخا وهي مدينه كبيره ذات حمامات
واسواق وعمل واسع واقليم جليل له عامل بعسكر وجند وبه الكتان الكثير وزيت

النجل الى قوح عظيمه سته عشر سقسا ومن سخا الى شبرهلد وهي مدينه كبيره
بها جامع واسواق سته عشر سقسا ومن سبير الى سنهور وهي مدينه بها جامع
واسواق ستة عشر سقسا ومن سبير الى سنهور وهي مدينه ذات اقليم كبير ولها
حمامات واسواق وعامل كبير سته عشر سقسا ومن سنهور الى البجوم وهو اقليم
وبها حمامات وفنادق واسواق سته عشر سقسا ومن البجوم الى نسترا وكانت
مدينه حسنه على بحيرة البشمون عشرون سقسا ومن نسترا ميلا البرلس وهي
مدينه كثيرة الصيد من البحيره وبها حمامات عشر سقسات ومن البرلس الى اخنا
وهي حصن على شط بحر الملح عشر سقسات ومن اخنا الى رشيد وهي مدينه على النيل
ومنها مصب النيل في البحر من فوهه تعرف بالاشتوم وهي المدخل ثلاثون سقسا
وكان بها اسواق صالحه وحمام ولها نخيل

ذكر فتح الاسكندرية

قال ابو بكر الكندي لما حاز المسلمون الحصن بما فيه اجمع عمرو على المسير الى الاسكندريه
فسار اليها في ربيع الاول سنة عشرين وقال غيره بل سار في جمادى الاخرة منها
وذكر سيف بن عمر ان عمرو بن العاصي بعث الى الاسكندريه وهو على عين شمس عوف
ابن مالك فنزل عليها وبعث يقول لاهلها ان شيتم ان تنزلوا فلكم الامان فقالوا
نعم فراسلوهم وتربصوا اهل عين شمس وسبا المسلمون ما بين ذلك وقال ابن عبد
الحكم ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص على الروم وهو محاصر الاسكندرية
قال الليث بن سعد ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندريه حاصر اهلها ثلاثة اشهر
والح عليهم وخافوه وساله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على ان يستنظر راي
الملك فحدثنا يزيد بن ابي حبيب ان مقوقس الرومي الذي كان ملكا على مصر صالح
عمرو بن العاص على ان يسير من الروم من اراد المسير ويقر من اراد الاقامه من
الروم على امر قد سماه فبلغ ذلك هرقل ملك الروم فتسخطه اشد السخط وانكره اشد
الانكار وبعث الجيوش فاغلقوا الاسكندريه واذنوا عمرا بالحرب فخرج اليه
المقوقس فقال اسالك ثلاثا قال ما هن قال لا تبذل للروم ما بذلت لي فاني قد
نصحت لهم فاستغشوني ولا تنقض بالقبط فان النقض لم يات من قبلهم وان انا مت
فامر ان ادفن في ابي يحنس فقال عمرو هذه اهون علينا قال فخرج عمرو بالمسلمين
حين امكنهم الخروج وخرج معه جماعة من روسا القبط وقد اصلحوا لهم الطرق
واقاموا لهم الجسور والاسواق وصارت لهم القبط اعوانا على ما اراد وامن قتال الروم
وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب كثيرة من
ارض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح فخرج عليهم عمرو من الفسطاط

متوجها

متوجها الى الاسكندريه فلم يلق منهم احدا حتى بلغ ترنوط فلقي بها طايفة من الروم
فقاتلوه قتالا خفيفا فهزمهم الله تعالى ومضى عمرو بمن معه حتى لقي جمع الروم
بكوم شريك فاقتتلوا به ثلاثة ايام ثم فتح الله على المسلمين وولى الروم اكتافهم
ويقال بل ارسل عمرو بن العاص شريك بن سمي في اثارهم فادركهم عند الكوم
الذي يقال له كوم شريك فقاتلهم شريك فهزمهم وكان على مقدمة عمرو وعمرو
بترنوط فالجوه الى الكوم فاعتصم به واحاطت الروم به فلما راى ذلك شريك بن سمي
امر ابا ناعمة مالك بن ناعمة الصدفي وهو صاحب الفرس الاشقر الذي يقال له
اشقر صدف وكان لا يجارى سرعة فانحط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى
اتى الى عمرو فاخبره فاقبل عمرو متوجها وسمعت به الروم فانصرفت ثم التقوا بسلطيس
فاقتتلوا قتالا شديدا ثم هزمهم الله ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر
يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللوا يوميذ وردان مولى عمرو فاصاب
عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة فقال يا وردان لو تقهقرت قليلا نصيب الروح
فقال وردان الروح تريد الروح امامك وليس هو خلفك فتقدم عبد الله فجاء
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يساله عن جراحه فقال اقول

اذا جشأت وجاشت رويدك تحمدي او تستريحي

فرجع الرسول الى عمرو فاخبره بما قال فقال عمرو هو ابني حقا وصلى عمرو يوميذ
صلاة الخوف ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلا عظيما واتبعوهم حتى
بلغوا الاسكندريه فتحصن بها الروم وكانت عليهم حصون مبنيه لا ترام حصن
دون حصن فنزل المسلمون ومعهم روسا القبط يمدونهم بما احتاجوا اليه من
الاطعمة والعلوفه فاقام بالحصن شهرين ثم تحول فاخرجت عليه الخيل من ناحية
البحيرة مستترة بالحصن فواقعوه فقتل يوميذ من المسلمين اثني عشر رجلا وارسل
ملك الروم تختلف الى الاسكندريه في المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول
لين ظهرت العرب على الاسكندريه ان ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لانه
ليس للروم كنايس اعظم من كنايس الاسكندريه وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب
على الشام بالاسكندريه فقال الملك لين غلبونا على الاسكندريه لقد هلكت الروم
وانقطع ملكها فامر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندريه حتى يباشر قتالها بنفسه
اعظاما لها وامر ان لا يتخلف عنه احد من الروم وقال ما بقا الروم بعد الاسكندرية
فلما فرغ من جهازه صرعه الله فاماته وكفى المسلمين موته وكان موته في سنة تسع
عشرة فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه الى الاسكندريه

مقتلة عظيمة

وقال الليث مات هرقل في سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام قال
واستاسدت العرب عند ذلك والحت بالقتال على اهل الاسكندرية فقاتلوهم
قتالا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على
الناس فقتلوا رجلا رجلا من مهرة واحتزوا راسه ومضوا به فجعل المهريون
يتغضبون ويقولون لا ندفنه ابدا الا براسه فقال عمرو تتغضبون كانكم
تتغضبون على من يبالي بغضبكم احملوا على القوم اذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ثم
ارموا براسه يرموكم براس صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقتتلوا فقتل من الروم
رجل من بطارقتهم فاحتزوا راسه ورموا به الروم فرمت الروم براس المهري
اليهم فقال دونكم الان فادفنوا صاحبكم وكان عمرو يقول ثلاث قبائل من مضر اما
مهرة فقوم يقتلون ولا يقتلون واما غافق فقوم يقتلون ولا يقتلون واما بلي
فاكثرها رجلا صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضلها فارسا وقال رجل لعمرو
لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم منه حايطهم فقال اتستطيع ان تغني مقامك
من الصف وقيل له ان العدو قد غشوك ونحن نخاف على رابطة يريدون امرانه
فقال اذا تتخذوا ارباطا كثيرة ولما استحر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد
فصرعه الرومي والقاه عن فرسه وهوا اليه ليقتله حتى حماه رجل من اصحابه وكان
مسلمة لا يقام لسبيله ولكنها مقادير ففرحت بذلك الروم وشق على المسلمين وغضب
عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو عند ذلك ما
بال الرجل المستة الذي يشبه النسا يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب
من ذلك مسلمة ولم يراجعه ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلهم
العرب في الحصن ثم جاست عليهم الروم حتى اخرجوهم جميعا من الحصن الا اربعة نفر
تفرقوا في الحصن واغلقوا عليهم باب الحصن احدهم عمرو بن العاص والاخر مسلمة
ولم يحفظ الاخرين وحالوا بينهم وبين اصحابهم ولا يدري الروم من هم فلما راى
ذلك عمرو بن العاص واصحابه التجوا الى ديماس من حماماتهم فدخلوا فيه فاحترزوا
به فامروا روميا ان يكلمهم بالعربية فقال لهم انكم قد صرتم بايدينا اسارى
فاستاسروا ولا تقتلوا انفسكم فامتنعوا عليهم ثم قال لهم ان في ايدي اصحابكم منا
رجالا اسروهم ونحن نعطيكم العهود نفاديكم باصحابنا ولا نقتلكم فابوا عليه
فلما راى ذلك الرومي منهم قال لهم هل لكم في خصلة وهي نصف فان غلب صاحبنا
صاحبكم استاسرتم لنا وامكنتمونا من انفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خلينا
سبيلكم الى اصحابكم فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمرو ومسلمة وصاحباهما في الحصن

ع

١٢٧

في الديماس فتداعوا الى البراز فبرز رجل من الروم قد وثقت الروم بنجدته
وشدته وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فاراد عمرو ان يبرز فمنعه مسلمة وقال
يا هذا تخطي مرتين تشذ من اصحابك وانت امير وانما قوامهم بك وقلوبهم معلقة
نحوك لا يدرون ما امرك وما لا ترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل فان قتلت كان
ذلك بلاء على اصحابك مكانك وانا اكفيك ان شا الله تعالى فقال عمرو دونك فربما فرجها
الله بك فبرز مسلمة والرومي فتجاولا ساعة ثم اعانه الله عليه فقتله فكبر مسلمة
واصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا
تدري الروم ان امير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فاسفوا على ذلك واكلوا
ايديهم تغيظا على ما فاتهم فلما خرجوا استحيا عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب
فقال عمرو عند ذلك استغفر لي ما كنت قلت لك فاستغفر له وقال عمرو ما افحشت
قط الا ثلاث مرار مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما منهن مرة الا وقد ندمت
واستحييت وما استحييت من واحدة منهن اشد مما استحييت مما قلت لك
والله اني لارجو ان لا اعود الى الرابعة ما بقيت قال واقام عمرو محاصر الاسكندرية
اشهرا فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما ابطوا بالفتح الا لما احدثوا
وكتب الى عمرو بن العاص اما بعد فقد عجبت لابطايكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم
منذ سنتين وما ذاك الا لما احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم فان الله
تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك اربعة
نفر واعلمتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكونوا غيرهم
ما غير غيرهم فاذا اتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم
ورغبهم في الصبر والنية وقدم اوليك الاربعة في صدور الناس ومر الناس جميعا
ان تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها
ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسالونه النصر على
عدوهم فلما اتى عمرو بن العاص الكتاب جمع الناس وقرا عليهم كتاب عمر رضي الله عنه
ثم دعا اوليك النفر فقدمهم امام الناس وامر الناس ان يتطهروا ويصلوا ركعتين
ثم يرغبوا الى الله جل وعز ويسالونه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم ويقال ان عمرو
ابن العاص استشار مسلمة بن مخلد قال اشر علي في قتال هولا فقال له مسلمة
ارى ان تنظر الى رجل له معرفة وتجارب من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتعقد له على الناس فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيكه فقال
عمرو من ذلك قال عبادة بن الصامت فدعا عمرو عبادة فاتاه وهو راكب على

فرسه فلما دنا منه اراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت ولتنى سنان
رمحك فناوله اياه فنزع عمرو عمامته عن راسه وعقد له وولاه قتال الروم
فتقدم عبادة مكانه فصاف الروم وقاتلهم ففتح الله عليه على يديه الاسكندرية
من يومهم ذلك وكان حصار الاسكندرية بعد موت هرقل بتسعة اشهر وخمسة اشهر
قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين وقال ابو عمر الكندي
وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة اشهر ثم افتتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها
عمرو لمستهل سنة احدى وعشرين قال القضاعي عن الليث اقام عمرو بالاسكندرية في
حصارها وفتحها ستة اشهر ثم تحول الى الفسطاط فاتخذها دارا في ذي القعدة وقال
ابن عبد الحكم فلما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية هرب الروم في
البر والبحر فخلف عمرو بالاسكندرية الف رجل من اصحابه ومضى ومن معه في طلب
من هرب من الروم في البر فرجع من كان هرب من الروم في البحر الى الاسكندرية فقتلوا
من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرو فكر راجعا ففتحها واقام بها وكتب
الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولا
عهد فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبح رايه ويامره الا يجاوزها قال ابن
لهيعة وهو فتح الاسكندرية الثاني وكان سبب فتحها هذا ان رجلا يقال له ابن بسامة
كان بوابا فسال عمرو بن العاص ان يؤمنه على نفسه وارضه واهل بيته ويفتح له الباب
فاجابه عمرو الى ذلك ففتح له ابن بسامة الباب فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من
امر الاسكندرية ما كان الى ان فتحت اثنان وعشرون رجلا وبعث عمرو بن العاص معوية
ابن حديج وافدا الى عمر بن الخطاب بشيرا له بالفتح فقال له معاوية الا تكتب معي فقال له
عمرو وما اصنع بالكتاب الست رجلا عربيا تبلغ الرسالة وما رايت وحضرت فلما قدم
على عمر اخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقال معاوية بن حديج بعثني
عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة في الظهيرة
فانخت راحلتي بباب المسجد ثم دخلت المسجد فبينا انا قاعد فيه اذ خرجت جارية من
منزل عمر بن الخطاب فراتني شاحبا على ثياب السفر فاتتني فقالت من انت قال فقلت
انا معوية بن حديج رسول عمرو بن العاص فانصرفت عني ثم اقبلت تشتد اسمع حفيف
ازارها على ساقيها حتى دنت مني فقالت قم فاجب امير المؤمنين يدعوك فتبعتها فلما
دخلت فاذا بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد ازاره بالاخرى فقال ما عندك
فقلت خير يا امير المؤمنين فتح الله الاسكندرية فخرج معي الى المسجد فقال للمؤذن اذن
في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لي قم فاخبر اصحابك فقمت فاخبرتهم ثم

صلى

صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام
فاتت بخبز وزيت فقال كل فاكلت على حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فاتت بتمر في طبق
فقال كل فاكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معوية حين اتيت المسجد قال قلت امير المؤمنين
قائل قال بئس ما قلت او بئس ما ظننت لئن نمت النهار لاضيعن الرعية ولئن نمت الليل
لاضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى
عمر بن الخطاب اما بعد فاني فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير اني اصبت فيها اربعة
الاف منية باربعة الاف حمام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك
وعن ابي قبيل ان عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر الف بقال يبيعون البقل الاخضر
وترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو او في الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون
الف يهودي وكان بالاسكندرية فيما احصي من الحمامات اثنا عشر ديماسا اصغر ديماس
منها يسع الف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي
الف من الرجال فلحق بارض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من
المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون الف مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقي من بقي
من الاسارى ممن بلغ الخراج فاحصي يومئذ ستمائة الف سوى النساء والصبيان فاختلف
الناس على عمرو في قسمهم وكان اكثر الناس يريدون قسمها فقال عمرو لا اقدر على قسمها
حتى اكتب الى امير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشانها ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمها
فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم
فاقرها عمرو واحصى اهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين
دينارين على كل رجل لا يزاد على احد منهم في جزية راسه اكثر من دينارين الا انه يلزم بقدر
ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية
على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح
ولا ذمة وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية
يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم
عمر بن الخطاب الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة وعن يزيد بن ابي حبيب
ان عمرا سبا اهل بلهيب وسلطيس وقرطسا وسخا فتفرقوا وبلغ اولهم المدينة حين
نقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو يردهم فرد من وجد منهم وفي
رواية ان عمر بن الخطاب كتب في اهل سلطيس خاصة من كان منهم في ايديهم يخير
بين الاسلام فان اسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه خلوا بينه
وبين قريته فكان البلهيبي خير يومئذ فاختار الاسلام وفي رواية ان اهل سلطيس

ومصيل وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم
وقالوا هولا لنا فى مع الاسكندرية فكتب عمرو بذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر
ان يجعل الاسكندرية وهولا الثلاث قريات ذمة للمسلمين ويضربوا عليهم الخراج
ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلوا فيا ولا عبيدا
ففعلوا ذلك ويقال انما ردهم عمر رضى الله عنه لعهد كان تقدم لهم وقال ابن لهيعة جبا عمرو
جزية الاسكندرية ستماية الف دينار لانه وجد ثلاث ماية الف من اهل الجزية فقدر
عليهم دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر الف
دينار فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين الف دينار ويقال
ان عمرو بن العاص استبقى اهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كاهل
النوبة

ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتقاض الروم

قال ابن عبد الحكم فاما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت اخايذ من اخذ
منزلا نزل فيه هو وبنو ابيه وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية اقبل هو وعبادة بن
الصامت حتى علوا الكوم الذى فيه مسجد عمرو بن العاص فقال معاوية بن خديج ننزل
فنزل عمرو القصر ونزل ابو ذر منزلا كان غربى المصلى الذى عند مسجد عمرو مما يلى
البحر وقد انهدم ونزل معوية بن حديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت بها
فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ويقال ان ابا الدرداء كان معه والله اعلم قال
فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من اصحابه لرباط الاسكندرية
ربع الناس وربع فى السواحل والنصف مقيمون معه وكان يصير بالاسكندرية
خاصة الربع فى الصيف بقدر ستة اشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة اشهر وكان
لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من اصحابه واتخذوا فيه اخايذ وعن يزيد بن
حبيب ان المسلمين لما سكنوا الاسكندرية فى رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا ابتدروا فكان
الرجل ياتى المنزل الذى كان صاحبه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه فلما غزوا قال عمرو
انى اخاف ان تخربوا المنازل الذى كان ~~صاحبه قبل ذلك~~ اذا كنتم تعاورونها فلما كان
عند الكريون قال لهم سيروا على بركة الله فمن ركز منكم رمحه فى دار فهى له ولبنى ابيه
فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى منزل منها ثم ياتى الاخر فيركز رمحه فى
بعض بيوت الدار فكانت الدار تكون لقبيلتين وثلاث وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا
سكنها الروم وعليهم مرمتها فكان يزيد بن ابى حبيب يقول لا يحل من كرايها شى ولا يباع
ولا يورث منها شى انما كانت لهم يسكنونها فى رباطهم وعن ابن ابى حبيب ان عمرو بن
العاص

العاص لما فتح الاسكندرية وراى بيوتها وبناها مفروغا منها هم ان يسكنها وقال
مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستاذنه فى ذلك فسال
عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ما قال نعم يا امير المومنين اذا جرى النيل
فكتب عمر الى عمرو انى لا احب ان تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتا ولا
صيف فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب
الى سعد بن ابى وقاص وهو نازل بمداين كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن
العاص وهو نازل بالاسكندرية ان لا تجعلوا بينى وبينكم ما متى ما اردت ان اركب
اليكم راحلتى حتى اقدم عليكم قدمت فتحول سعد بن ابى وقاص من مداين كسرى الى الكوفة
وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص
من الاسكندرية الى الفسطاط وكان عمر بن الخطاب يبعث فى كل سنة غازية من
اهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكانت على الولاة لا تغفلها وتكثف رابطتها ولا
تامن الروم عليها وكتب عثمن رضى الله عنه الى عبد الله بن سعد بن ابى سرح قد علمت كيف
كان هم امير المومنين بالاسكندرية وقد نقضت الروم مرتين فالزم الاسكندرية
رابطتها ثم اجر عليهم ارزاقهم واعقب بينهم فى كل ستة اشهر قال وقد كانت
الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصى فى المراكب حتى ارسوا
بالاسكندرية فاجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث وقد
كان عثمن رضى الله عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن ابى سرح
فلما نزلت الروم سال اهل مصر عثمن ان يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فان
له معرفة بالحرب وهيبة فى العدو ففعل وكان على الاسكندرية سورها
فحلف عمرو بن العاص لين اظفره الله عليهم ليهدمن سورها حتى يكون مثل بيت
الزانية يوتى من كل مكان فخرج اليهم عمرو فى البر والبحر وضوى الى المقوقس من
اطاعه من القبط فاما الروم فلم يطعه منهم احد فقال خارجة بن حذافة لعمرو
ناهضهم قبل ان يكثر مددهم ولا امن ان تنتقض مصر كلها فقال عمرو لا ولكن
ادعهم حتى يسيروا الى فانهم يصيبون من مروا به فيخزى الله بعضهم ببعض فخرجوا
من الاسكندرية ومعهم من نقض من اهل القرى فجعلوا ينزلون القرية
فيشربون خمورها وياكلون اطعمتها وينتهبون ما مروا به فلم يعرض لهم عمرو
حتى بلغوا نقيوس فلقوهم فى البر والبحر فبدات الروم والقبط فرموا بالنشاب
فى الماء رميا شديدا حتى اصابت النشاب يوميذ فرس عمرو فى لبته وهو فى البر
فعقر فنزل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين فى البر فنضحوا

المسلمين ما لشاب فاستناخ المسلمون عنهم شيا وحملوا على المسلمين حمله ولا المسلمون
منها واقصرم شريك بن سمي في خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف
صفوف وبرز يوميذ بطريق ممن جا من ارض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب
فدعا الى البراز فبرز اليه رجل من زبيد يقال له حومل يكنا ابا مذحج فاقتتلا
طويلا برمحين يتطاردان ثم القى البطريق الرمح واخذ السيف والقى حومل رمحه
واخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة وجعل عمرو يصيح ابا مذحج فيجيبه لبيك
والناس على شاطي النيل في البر على تعبيتهم وصفوفهم فتجاولا ساعه بالسيفين
ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفا ويخترط حومل خنجرا كان في منطقته او
في ذراعه فضرب به نحر العلج او ترقوته فاثبته ووقع عليه فاخذ سلبه ثم مات
حومل بعد ذلك بايام رحمة الله عليه فروي عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه حتى دفنه
بالمقطم ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى الحقوهم بالاسكندرية
ففتح الله عليهم وقتلهم عمرو حتى امعن في مدنتهم فكلم في ذلك فامر برفع السيف عنهم وبنا
في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجدا وهو المسجد الذي بالاسكندرية الذي
يقال له مسجد الرحمة سمي بذلك لرفع عمرو السيف هنالك وهدم سورها كله وجمع ما
اصاب منهم فجاءه اهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كنا على صلحنا وقد مر علينا
هولا اللصوص فاخذوا متاعنا ودوابنا وهو قايم في يديك فرد عليهم عمرو ما كان لهم
من متاع عرفوه واقاموا عليه البينه وقال بعضهم لعمرو ما حل لك ما صنعت بنا كان
لنا ان تقاتل عنا لانا في ذمتك ولم ننقض فاما من نقض فابعده الله فندم عمرو وقال يا ليتني
كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية هذا ان طلما
صاحب اخنا قدم على عمرو فقال اخبرنا ما على احدنا من الجزية فنصبر لها فقال عمرو وهو
يشير الى ركن كنيسة لو اعطيتني من الركن الى السقف ما اخبرتك انما انتم خزانة لنا ان كثر
علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخنا وخرج الى الروم
فقدم بهم فهزمهم الله واسر فاتي به الى عمرو فقال له الناس اقتله فقال لا بل انطلق فجيا
بجيش اخر وسوره وتوجه وكساه برنس ارجوان فرضي باداء الجزية فقيل له لو اتيت
ملك الروم فقال لو اتيته لقتلني وقال قتلت اصحابي وعن ابي قبيل ان عتبة بن ابي سفين
عقد لعلقمة بن يزيد الغطيفي على الاسكندرية وبعث معه اثني عشر الفا فكتب علقمة الى
معوية بن ابي سفين يشكوا عتبة حين غرر به وبمن معه فكتب اليه معوية اني قد
امددتك بعشرة الاف من اهل الشام وبخمسة الاف من اهل المدينه فكان في الاسكندرية
سبعة وعشرون الفا وفي رواية ان علقمة بن يزيد كان في الاسكندرية ومعه اثنى عشر الف

فكتب

فكتب الى معوية انك خلفتني بالاسكندرية وليس معي الا اثنا عشر الفا ما يكاد بعضنا
يرى بعضا من القلة فكتب اليه معوية اني قد امددتك بعبد الله بن مطيع في اربعة
الاف من اهل المدينه وامرت معن بن يزيد السلمي ان يكون بالرملة في اربعة الاف ممسكين
باعنة خيولهم حتى يبلغهم عنك فزع فيعبروا اليك قال ابن لهيعة وكان عمرو بن العاص يقول
ولاية مصر جامعة تعدل الخلافه وكان عمرو حين توجه الى الاسكندرية خرب القرية
التي تعرف اليوم بخربة وردان واختلف علينا السبب الذي خربت له فحدثنا سعيد بن
عفير ان عمرا لما توجه الى نقيوس لقتال الروم عدل وردان لقضا حاجته عند الصبح
فاختطفه اهل الخربة فغيبوه ففقده عمرو وسال عنه وقفا اثره فوجدوه في بعض
دورهم فامر باخرابها واخراجهم منها وقيل كان اهل الخربة رهبانا كلهم فغدروا بقوم
من ساقة عمرو فقتلوهم بعد ان بلغ عمرو الكريون فاقام عمرو ووجه اليهم وردان فقتلهم
وخربها فهي خراب الى اليوم وقيل كان اهل الخربة اهل توثب وخبث فارسل عمرو الى
ارضهم فاخذ له منها جراب فيه تراب من ترابها ثم دعاهم فكلمهم فلم يجيبوه الى شي
فامر باخراجهم ثم امر بالتراب ففرش تحت مصلاه ثم قعد عليه ثم دعاهم فكلمهم
فاجابوه الى ما احب ثم امر بالتراب فرفع ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شي فعل ذلك مرارا
فلما راى عمرو ذلك قال هذه بلدة لا تصلح الا ان توطا فامر باخرابها فلما هزم الله الروم
اراد عثمن رضي الله عنه عمرو بن العاص ان يكون على الحرب وعبد الله بن سعد على
الخراج فقال عمرو انا اذا كماسك البقرة بقرنيها واخر يحلبها فابا عمرو وكان فتح عمرو هذا
عنوة قسرا في خلافه عثمن سنه خمس وعشرين بينه وبين الفتح الاول اربع سنين
وقال الليث كان فتح الاسكندرية الاول سنة اثنتين وعشرين وكان فتحها الاخر سنة
خمس وعشرين واقامت الخيل من البيما يقاتلون الناس سبع سنين بعد فتحت مصر
مما يمتحون عليهم من تلك المياه والغياض قال ثم غزا عبد الله بن ابي سرح ذا الصواري
في سنة اربع وثلثين وكان من حديث هذه الغزوة ان عبد الله بن سعد لما نزل ذا
الصواري انزل نصف الناس مع بسر بن ارطاة في البر فلما مضوا اتى ات الى عبد الله بن سعد
فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل في الف مركب فافعله الساعة وكانت مراكب
المسلمين يوميذ مايتي مركب ونيفا فقام عبد الله بن سعد بين ظهري الناس فقال قد بلغني
ان ابن هرقل قد اقبل اليكم في الف مركب فاشيروا علي فما كلمه رجل من المسلمين فجلس قليلا
لرجع اليهم افيدتهم ثم قال الثانية فكلمهم فما كلمه احد فجلس ثم قام الثالثة فقال
انه لم يبق شي فاشيروا علي فقام رجل من اهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد
فقال ايها الامير ان الله جل ثناوه يقول كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله

مع الصابوني فقال عبد الله اركبوا فركب واما في كل مركب نصف شحنته قد خرج
النصف الاخر في البر مع بسر يلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتاخر ابن هرقل ليلا
تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار فقال ما فعلوا قالوا قد اقتتلوا
بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم اتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذ النبل والنشاب
فهم يرمون بالحجارة قال غلبت الروم ثم اتوه قال ما فعلوا قالوا قد نفذت الحجارة وربطوا
المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف قال غلبت الروم وكانت السفن اذ ذاك تقرن
بالسلاسل عند القتال فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الامير بمركب من مراكب العدو
فكاد مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد الغطيفي وكان مع عبد الله
ابن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسال عبد الله امراته بعد ذلك
بُسَيْسَةَ ابنة حمزة بن ليشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم
من رايت اشد قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسيسة
الى ابيها فقال له ان علقمة قد خطبها وله علي فيها وا ي وان يتركها افعل فكلم عبد الله علقمة
فتركها فتزوجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فتزوجها بعده علقمة بن يزيد
ثم هلك عنها علقمة فتزوجها بعده كريب بن ابرهة وماتت تحته وقيل مشت الروم
الى قسطنطين بن هرقل في سنة خمس وثلاثين فقالوا اتترك الاسكندرية في ايدي العرب
وهي مدينتنا الكبرى فقال ما اصنع بكم ما تقدرون ان تمالكوا ساعة اذا لقيتم العرب
قالوا اخرج فانا نموت فتبايعوا على ذلك فخرج في الف مركب يريد الاسكندرية فسار
في ايام غالبة من الريح فبعث الله عليهم ريحا فغرقهم الا قسطنطين نجا بمركبه فالقته الريح
بصقلية فسالوه عن امره فاخبرهم فقالوا شمت النصرانية وافنيت رجالها لو دخل
العرب علينا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فاصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا
عليه فقال ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كانه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا
من كان معه في المراكب قال ابو عمر الكندي وانما سميت غزوة ذي الصواري لكثرة صوار
المراكب واجتماعها

ذكر بحيرة الاسكندرية

قال ابن عبد
الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كرما كلها لامراة المقوقس فكانت تاخذ خراجها
منهم الخمر بفريضة عليهم فكثر الخمر عليها حتى ضاقت ذرعا فقالت لا حاجة لي في الخمر اعطوني
دنانير فقالوا ليس عندنا فارسلت عليهم الماء فغرقتها فصارت بحيرة يصاد فيها
الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بني العباس فسدوا جسورها وزرعوها ثم صارت
بحيرة طولها اثنا عشر يوما في عرض يوم ويصب اليها الماء من اشتوم في البحر الرومي ويخرج
منها الى بحيرة دمياط خليج عليه مدينتان احداهما الجديدة والاخرى انكو وهي كثيرة

صح
هامش يصحح

المانى والنخل وكلها في الرمل ويصب في هذه البحيرة خليج من النيل يسمى الحافر وطوله نصف
يوم اقلاعا وهو كثير الطير والسمك والعشب وكان السمك يوجد بهذه البحيرة في الاسكندرية
غاية في الكثرة يباع باقل القيم وارخص الاثمان ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ

ذكر خليج الاسكندرية

يقال ان كلوبطرة الملكة هي التي ساقت خليج الاسكندرية حتى ادخلته اليها ولم يكن يبلغها الماء فحفرته
حتى ادخلته الاسكندرية وبلطت قاعته بالرخام من اوله الى اخره ولم يزل يوجد ذلك فيه وقال
ابو الحسن المخزومي في كتاب المنهاج اما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بوكرزه
وليس على شي منها سد بو منجوح محله سوك اسفيرا ودين محله قرنوا محله حسن منيه طراد وتوف
بالقاعة محلتا نصر ومسروق فاما ترعة نقانه فانها تفتح بعد سبعة ايام من توت والترعة
الجديدة تفتح في السادس عشر من توت وترعة بوكرزه تفتح بعد سبعة ايام من توت وترعة
بو يحيى وترعة بو السحا وترعة القهوقيه ليس على شي من ذلك سد وترعة الشراك تفتح بعد تسعة
ايام من توت وترعة بو خراشه وترعة الوسط شرب منها دبسو وسخاط ومرنوبه ومنيه حماد
وسناده وبعض محله ماريه وترعة فيشه بلجا تفتح في ثاني عشر توت وجرت العادة بان تفتح في
النوروز ترعة بيوبيط ومقطع سهدية تفتح في الثاني والعشرين من توت ومقطع باطس تفتح
في تاسع عشر توت ولما سد المقطع المذكور عملت بعد ذلك ترعة تروي الصفقة القبلية منها
تفتح في يوم النوروز ولما استجدت ترعة افلاقه وخجت في ارض باطس جرت العادة اذا رويت
الصفقة القبلية من افلاقه تطلق الترعة المذكورة على القسم البحري من باطس الى ان تروى وترعة
القارورة بحد شو وترعة تقوها تفتح في ثاني عشر توت وترعة افلاقة تفتح في عاشر توت وترعة
اسكيده تفتح في سادس توت وتراع نحرد منهور تفتح في العشرين من مسرى الى سادس توت وترو
منه بعض طاموس وبعض كنيسة الغيط وبعض قرطساو دمنهور ترعة القواديس منها
شرب شبرا النخله وكوم الملتون وتراع شبرا النخله تفتح على اعاليها في اول توت وترعة
سطا تفتح في خامس عشر مسرى وترعة قبيل تفتح في ثامن توت وترعة بسنتويه تفتح في ثامن
عشر توت ونحر دمشويه تفتح في العشرين من مسرى ومنه يشرب منية زرقون وسفط كرداسه
ودمشويه ومحلة الشيخ ومصيل وترعة دمشويه تفتح في تاسع توت ويقيم الماء عليها سبعة
عشر يوما وتفتح الى محلة الشيخ ومصيل يقيم عليها الماء ثلاثين يوما ويسد بعد ذلك على دمشويه سبعة
ايام وعلى سفط ومنية زرقون وترعة برسيق كانت تفتح في اول توت محلة برسيق ليس عليها
سد محلة الكروم تفتح في ثامن توت ومنها يشرب عدة اماكن وهي محلة الكروم وكفورها وهي دمسيه
وكوم الولايد وكوم الصخره وديرامس والصفاصف وما يخرج عن كفورها وهو تلمسا والجلمون
ومرحقوق ومحله كيل ومنها يشرب الجهة الغربية شبرا بار ليس عليها سد والشرابع ليس عليها سد وترعة
قانله كانت تفتح في ثامن توت وليس عليها الان سد وترعة بلقطر وكفورها كانت تفتح في تاسع
توت وليس عليها الان سد ترعة الراهب ليس عليها سد وترعة دسونس المقاريضي تسقى
الحلفايه وتفتح في ثامن توت وكذلك ترعة مرحنا والمعلقيه وترعة بنبا الهم وحشاى ٥
والخر تراع الحجاجيه وترعة الكريون تفتح في ثامن توت وترعة البسلقون كانت تفتح في سادس

توت وليس عليها الان سد وترعة [illegible] ارمياح تفتح في ثاني عشر توت وترعة ابلوق تفتح في
سادس توت واما حوف رمسيس فان بحر رمسيس كان يضرب السد فيه على تراع رمسيس
من اول النيل الى سابع عشر توت والذي يشرب على السد المذكور من النواحي والكفور رمسيس ومحلة
جعفر وقليشان وبعض منية النقيدي وبعض خربتا وبعض البلكوس وبعض بولين وبعض محلة
وادى والبيضا وبعض طيلاس ثم تفتح على سد دكدوكة وهو محدث تقيم الما عليه عشرة ايام ويشرب
منه دكدوكة ومحلة معن ومنية اسابي وبعض صيفيه ثم تقطع على سد العطاي وهو محدث
ومنه يشرب بعض جنبويه وتلبانة البحرية والسرو وابو جارو والبهوات ثم يقطع سد دسونس وابو دينا
وترعة طبرنه فتشرب منه دنشال وطلوس تقيم عليها الما ستة ايام ومنه يشرب منية عطية و[illegible]
واما نحو دمنهور فانه تسد على سلطليس الى سابع عشر توت ومنه تشرب سلطليس و[illegible] وبعض
قرطسا وبعض كنيسة الغيط ودمنهور ثم تقطع سد ندبيه وهو محدث فيقيم ثمانية ايام ومنه يشرب
ندبيه ودفوس والعميريه والسرين ثم تفتح وتسد على محلة حفص ومحلة كيل ومحلة نمير ثم تقطع
على سد سلطليس وهو محدث فيقيم عشرة ايام بعد اختلاط الماين بحر دمنهور ورمسيس ثم
تقطع على جسر ملوله ومنه شرب تروجة وارسيس والمرابي وعاية الاعساس وبعض سمرد
ومحلة نمير ويبقى هناك الى انقضا النيل واما ترعة طبرينة فهي محدثة واذا رويت طبرينة
تطلق على دسونس ام دينار ثم تقطع على طاموس بمقدار ريها ثم تطلق في النيل العالي على ارض
فراقش وتطلق الما على قرطسا وكنيسة الغيط وخليج الطبرية اذا خرج الما منه تسقى منه اول
نيل ويلان يضرب جسر شبراوسيم فيسقى منه شبراوسيم وبعض البلكوس وحنيرة الزعفران
وبعض بولين ومسجد غانم والصواف وكوم شريك ومنية معنين ودير العطاي ومحلة واقد
ثم تقطع على جسر دلنجة ومنه يشرب بعض خربتا وبعض قليشان وبعض بولس والبيضا و
وتلبانة الابراج وتل بقا والخدين واليهودية وابسوم وابو صماده والحصن وقلاوة بني
عبيد وطوخ دخاية ودرشاو وسفرا ودلنجة وقحه وطيبه ثم تقطع على منية وزرافة
المحروق وبعض جاريس وافريم وابوسما رواوم الصروح خليج ابن زلوم ويعرف
خليج ابن ظلوم وسد بحر النقيدي لا تفتح الى عشرة ايام من توت ومنه يشرب شابور و
مباكل وبعض سنسفا وبعض دموشه وجمنيس يزيد وحوض الماصلي ومحلة سلمون وبعض
وبعض سنت وبعض النقيدي وبعض قلبشان ثم تفتح فتشرب منه امليط وبعض ابناي وبعض
كنيسة عبد الملك وبعض ارمسه وميلسنا وبعض محلة عبيد وسفط خالد وبرنامه وشبرانوبه وكمان
شراس وبعض دمشوه وتقام الحراس على جسر سفط خالد الى ان يتكامل شرب سفط خالد ثم تقطع
حينئذ جسر سفط ويشرب من خليج الاسكندرية وما يفيض منه اهل الباطن واهل البحيرة من خليج
واوديه فيكون ذلك لماصلة وهم قبيل من زناتة ولواتة ومزاتة وبني يزال وقبايل البربر يزرعون ما فيه
فيستوفى منهم الخراج وبين مشارق الزما وناحية جرجير وفانوق وبين اخر ما يشرب من خليج الاسكندرية
مسيرة شهر كان عامرا كله في خلول ومعقود الى بعد الخمسين وسبعمائة من سني الهجرة وقد خرب معظم
ذلك وقال ابو بكر الطرطوشي عن حدثه من شايخ الاسكندرية قال شاهدت الاسكندرية والصيد في الخليج
مطلق للرعية والسمك فيه يغطي الما به كثرة تصيده الاطفال بالخرق من حجرات الوالي ومع الناس من صيده

تذهب

تذهب حتى كاد لا يجري فيه الا الواحد بعد الواحد الى يومنا هذا وقال
ابو الحكم في كتاب الولاة عن الحرث بن مسكين انه تقلد قضا مصر من قبل امير المومنين
الواثق بالله في سنة سبع وثلاثين ومايتين فذكر سيرته وقال وحفر خليج الاسكندرية وورد
الكتاب بحفرته في ربيع الاخر سنة خمس واربعين ومايتين وقال في جامع السيره الطولونيه
وفي ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومايتين امر احمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية
وقال المسعودي وذكر ان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة
في [illegible] الاسكندرية [illegible] الاسكندرية في هذا الخليج من النيل وكان عليها عظم ما النيل وكانت
تسقي الاسكندرية وبلاد مريوط وكانت بلاد مريوط في نهاية العمارة والجنان المتصلة بارض
برقة وكانت السفن تجري في النيل تتصل باسواق الاسكندرية وقد بلط ارض خليجها وبلغت
في المدينة بالاحجار والرخام وانقطع الما عنها لعوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصارت
شربهم من الابار وصار النيل على يوم منهم وذكر المسبحي ان الحاكم بامر الله اطلق على منصور بن العزيز
لحفر خليج الاسكندرية في سنة اربع واربعمائة خمسة عشر الف دينار لحفره كله وفي سنة اثنتين
وستين وستمائة بعث الملك الظاهر بيبرس الامير علم الدين امير جاندار لحفر خليج الاسكندرية
وقد امتلات فوهته بالطين وقل الما في الاسكندرية فابتدا بالحفر من النقيدي وبنى
هناك مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر العلم ابن سيف ناظر الدواوين ثم بعث السلطان
في سنة اربع وستين وستمائة لحفر هذا الخليج الامير علم الدين شيخو المسروري ثم سار
بعامة الامرا والاجناد وباشر الحفر بنفسه وعمل فيه الامرا وجميع الناس الى ان زال الرمال
التي كانت على الساحل بين النقيدي وفم الخليج ثم عدى الى ماريا وغرق مراكب هناك ورمى
عليها بالحجاره فلما تم الغرض عاد الى قلعة الجبل ثم تعطل استمرار جريان الما فيه بطول السنة
وصار يجف سريعا بعد شهرين او نحوهما من دخول الما اليه واحتاج اهل الاسكندرية في طول
السنة الى الشرب من الصهاريج التي يخزن فيها الما الى ان كانت سنة عشر وسبعمائة فقدم
الامير بدر الدين بكتوت الخزندار المعروف بامير شكار متولي الاسكندرية الى قلعة الجبل
وحسن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حفره وذكر له ما في ذلك من المنافع ولها حمل
الغلال واصناف المتجر الى الاسكندرية في المراكب وفي ذلك توفير الكلف وزيادة في مال
الديوان وثانيها عمارة ما على حافتي الخليج من الاراضي بانشا الضياع والسواقي فينمو الخراج
ويزداد نموا كثيرا وثالثها انتفاع الناس به في عمارة ساسهم وشرب ما به دايما فاعجب السلطان
ذلك وندب الامير بدر الدين محمد بن كند غدى بن الوزيري مع بكتوت لعمله وتقدم
الى جميع امرا الدولة باخراج مباشريهم لاحضار رجال النواحي الجارية في اقطاعاتهم للعمل في الحفير
وكتب الى ولاة الاعمال بالوقوف في العمل فاجتمع من النواحي نحو الاربعين الف راجل

جمعت في نحو العشرين يوما ووقع العمل في شهر رجب من السنة المذكورة وافرد لكل اهل ناحية قطعة يحفرونها فجعل قياس الحفر من فم بحر النيل الى ناحية شنبار ثمانية الاف قصبة حاكمية ومن شنبار الى الاسكندرية مثلها وكان الخليج الاعظم يدخل الما اليه من حد شنبار فجعل فم هذا البحر يجري اليه وعمل عمقه ست قصبات في عرض ثماني قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول حفروا ايضا على نظير الخليج المستجد فصار بحرا واحدا وركبت عليه السدود والقناطر ووجد في الخليج الاول عند حفره من الرصاص المبني تحت الصهاريج شي كثير جدا فلم يتعرض السلطان لشي منه وانعم به على الامير بكتوت وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج فان الذي يجاور البحر منه غلب عليه الما فصارت الرجال تغطس فيه وترفع الطين من اسفله ثم كثر الما فركبت السواقي حتى نزحته الا ان عظيم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن جرت فيه طول السنه واستغنى اهل الاسكندرية عن شرب ما الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جانبي الخليج فلم يمض غير قليل حتى استجد عليه ما يزيد على ماية الف فدان زرعت بعدما كانت سباخا وما ينيف على ستماية ساقيه برسم القلقاس والبيلة والسمسم وفوق الاربعين ضيعة وازيد من الف غيط بالاسكندرية وعمرت منه عدة بلاد كثيرة وتحول عالم عظيم الى سكنى ما استجد عليه ومنه ولما فرغ العمل في الخليج شرع الامير بكتوت في عمل جسر من ماله فان الناس كانوا في وقت هيجان البحر يجدون مشقة عظيمة لغلبة الما على اراضي السباخ فاقام ثلاثة اشهر حتى بنى رصيفا ركب اساسه بالحجر والرصاص واعلاه بالحجر والكلس وعمل فيه ثلاثين قنطرة وانشا خانا تنزله الناس ورتب به الخفرا ووقف على مصالحه رزقة فبلغ مصروفه نحو الستين الف دينار مصرية سوى ما اخذ من الحجارة التي نقضها من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجده من الرصاص في سرب باسفل هذا القصر يمشى فيه الى قربه وسوى ما انعم به عليه من الرصاص الموجود بالخليج ولم يزل الخليج فيه الما طول السنة الى بعد سنه سبعين وسبعماية فانقطع الما منه وصار الما لا يدخل اليه الا في ايام زيادة ما النيل فقط ثم يجف عند نقصه فتلف من اجل هذا اكثر بساتين الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير من القرى التي كانت على هذا الخليج وسبب انقطاع الما عنه غلبة الرمل على الاشتوم الذي كان يعبر منه ما بحر الملح الى بحيرة الاسكندرية حتى جفت وصار الرمل يلقيه الرياح في الخليج فانطم فمه وعلا قاعه وقصد جماعة من ملوك مصر حفر هذا الخليج غير مرة فلم يتهيا ذلك الى ان كانت سلطنة الملك الاشرف برسباي ندب لحفره الامير جرباش الكريمي المعروف بقاشق فتوجه اليه وجمع له من قدر عليه من رجال النواحي فبلغت عدتهم ثمانماية وخمسة وسبعين رجلا ابتدوا في حفره في حادي عشر جمادى الاولى سنه ست وعشرين وثمانماية الى الحادي عشر شعبان لتمام تسعين يوما فانتهى عملهم ومشى الما في

الخليج

الخليج حتى انتهى الى احد مدينة الاسكندرية وجرت فيه السفن فسر الناس به سرورا كثيرا وجبي ما انفق على العمال في الحفر من ارباب النواحي التي على الخليج ومن ارباب البساتين بالاسكندرية ولم يكن في حفره كبير شناعة مما جرت عادة الولاة في مثل ذلك ولله الحمد وعندما قدم الامير جرباش الى قلعة الجبل خلع السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب الحجاب فلم يستمر ذلك الا قليلا حتى انطم بالرمل وتعذر سلوك الخليج بالمراكب الا في ايام النيل فقط

ذكر جمل حوادث الاسكندريه

وفي سنة تسع وتسعين ومايه عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعي امير مصر وبين عبد العزيز بن الوزير الجروي الثاير بتنيس فعقد المطلب على الاسكندرية لمحمد بن هبيرة بن هاشم بن حديج فاستخلف محمد خاله عمر بن عبد المطلب بن محمد بن عبد الرحمن بن معوية ابن حديج الذي يقال له عمر بن ملاك ثم عزله المطلب بعد ثلاثة اشهر باخيه الفضل بن عبد الله بن مالك وكانت بالاسكندرية مراكب الاندلسيين قد قفلوا من غزوهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ما جرى لاهل قرطبة بوقعة الربض مع الحكم بن هشام في سنة اثنين وثمانين ومايه فاخرج جماعة منهم فوصلوا الى ثغر الاسكندرية زيادة على عشرة الاف وكان سبب ثورتهم ان قصابا من الاسكندرية رمى وجه رجل منهم بكرش فثاروا من ذلك وصاروا الى ما صاروا اليه وذلك انهم لما نزلوا رمل الاسكندرية لبثوا اعواما بصلحهم وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامرا تابى عليهم دخول الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيما يبيعونهم فلما عزل عمر بن ملاك كتب اليه عبد العزيز الجروي يامره بالوثوب على الاسكندرية والدعا له بها فبعث عمر بن ملاك الى الاندلسيين فدعاهم الى القيام معه في اخراج الفضل عنها فساروا معه واخرجوا الفضل ودعا الى الجروي فثار اهل الاسكندرية على الاندلسيين واخرجوهم وردوا الفضل وقتل من الاندلسيين نفر فانهزم الباقون الى مراكبهم فعزل المطلب اخاه وولى عليها اسحق بن ابرهة بن الصباح في شهر رمضان سنه تسع وتسعين ثم عزله بابي ذكر بن جناده المعافري فلما اسر السري ابن الحكم هو والمطلب بن عبد الله وغلب السري على مصر وثب عمر بن ملاك على ابي ذكر واخرجه الى الاسكندرية ودعا للجروي واقبل الاندلسيون اليه فافسدوا فامرهم بالخروج الى مراكبهم فشق ذلك عليهم وظهرت بالاسكندرية طايفة يسمون بالصوفيه يامرون بالمعروف ويعارضون السلطان في اموره فتوامر عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفي فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة واعتضدوا بلخم وكانت لخم اعز من ناحيه الاسكندرية فخرج ابو عبد الرحمن الصوفي فوجد في نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين فالف بينهم وبين لخم ورجا اهل الاندلس ان يدركوا ثارا من عمر بن ملاك فساروا

الى عمر بن ملاك وهم زها عشرة الاف فحصروه في قصره وخشى ان القصر لا يمنعه
منهم وخاف ان يدخلوا عليه عنوة فيفضح في حرمه فاغتسل وتحنط وتكفن وامر اهله
ان يدلوه اليهم فدلى فاخذته السيوف فقتل ثم دلى اخوه محمد بن عبد الملك الذى
يلقب حيوس فقتل ثم دلى اليهم عبد الله البطال بن عبد الواحد بن محمد بن عبد
الرحمن بن معوية بن حديج فقتل ثم دلى اليهم اخوه ابو هبيرة الحرث فقتل ثم دلى اليهم
حديج بن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك في ذى القعدة ثم فسد ما بين لخم والازد ليعد
عند مقتل ابن ملاك واقتتلوا فانهزمت لخم فظفر الاندلسيون بالاسكندرية في ذى
الحجة وولوها ابا عبد الرحمن الصوفي فبلغ من الفساد والنهب والقتل ما لم يسمع بمثله فعزله
الاندلسيون وولوا رجلا منهم يعرف بالكناني ثم حاربت بنو مدلج الاندلسيون فظفر
بهم الاندلسيون ونفوهم عن البلاد فلم يقدر بنو مدلج على الرجوع الى ارض الاسكندرية
حتى طلب السرى من الاندلسيين ان يردوهم فاذنوا لهم ورجعوا وكان ابو قبيل يقول
اما ان الاسكندرية من اربعين مركبا مسلمين وليسوا مسلمين تاتى في اخر الصيف اخوف
عليها من الروم فيقال له ما هذه الاربعون مركبا في هذا الحلق لو كانت نيرانا
تضطرم فقال اسكت وتملكها وتمن فيها تكون خراب الاسكندرية وما حولها وبلغ عبد العزيز
الجروى قتل ابن ملاك فسار في خمسين الفا حتى نزل على حصن الاسكندرية وحصرها حتى
اجهد من فيها فبلغه ان السرى ابن الحكم بعث الى تنيس بعثا فكر راجعا في المحرم سنة احدى
ومائتين فدعا الاندلسيون للسرى ثم لما خلع اهل مصر المامون ودعوا لابراهيم بن المهدى
وقام الجروى بذلك سار الى الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها صلحا ودعى له بها
ثم سار عنها الى الفسطاط فحارب السرى وقتل ابنه ثم انصرف فثار الاندلسيون بعامل
الجروى واخرجوه من الاسكندرية وخلعوا الجروى ودعوا للسرى فسار اليهم الجروى في شهر
رمضان سنة ثلاث ومائتين فعارضته القبط بسخا وامدتهم بنو مدلج وهم في نحو من مائتى
الف فهزمهم وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها وكانت بين السرى وبينه اعنى الجروى
الصعيد حروب ثم ان الجروى سار الى الاسكندرية مسيرة الرابع وحاصرها ونصب
عليها المجانيق سبعة اشهر من اول شعبان سنة اربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس
فاصاب الجروى فلقه من حجر منجنيقه فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين وقام من بعده
ابنه على فلم تزل الفتن بالاندلسيين في الاسكندرية متصلة الى ان قدم عبد الرحمن بن طاهر
الى مصر من قبل امير المومنين المامون واخرج عبيد الله بن السرى من مصر وسار الى الاسكندرية
في قواد العجم من اهل خراسان مستهل صفر سنة اثنتى عشرة ومائتين فحاصرها بضع عشرة ليلة
حتى خرج اليه اهلها بامان وصالحه الاندلسيون على ان يسيرهم من الاسكندرية حيث احبوا

على ان لا يخرجوا في مراكبهم احدا من اهل مصر ولا عبدا ولا ابقا فان فعلوا فقد
حلت له دماوهم ونكث عهدهم وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم فوجد فيها
جمعا من الذين اشترط عليهم الا يخرجوهم فامر باحراق مراكبهم فسالوه ان يردهم الى شرطهم ففعل
وساروا الى جزيرة اقريطش وملكوها وكان الامير منهم ابو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها
ولده من بعده وعمرها الاندلسيون الى ان غزاها الروم سنة خمس واربعين وثلثماية
وملكها بعد حصار طويل وولى على الاسكندرية الياس بن اسد بن سامان ورجع الى الفسطاط
في جمادى الاخرة ثم سار الى العراق ولما انتقض اسفل الارض في جمادى الاولى سنة ست
عشرة ومائتين وحاربهم الافشين ومعه عيسى بن منصور الرافقى امير مصر وبعث بالجند
ابن يزيد بن يزيد الشيبانى الى الغربية فانهزم الى الاسكندرية واستغاثت عليه بنو مدلج
وحصروه في شوال فسار الافشين واوقع بمن في طريقه حتى قدم الاسكندرية في جنوده
فلقيته طايفة من بنى مدلج فهزمهم وقتل واسر منهم وتلوه دخل الاسكندرية لعشر بقين
من ذى الحجة ففر منه روساوها وكان عليها معوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن
معوية بن حديج فاصلح امرها ثم خرج الى اهل البشرود فامتنعوا عليه حتى قدم المامون الى مصر
فسار الى البشرود والافشين قد اوقع بالقبط بها كما تقدم ذكره ولما ولى ابراهيم بن احمد بن
ابن الاغلب افريقية في سنة احدى وستين ومائتين حصنت سيرته فكانت القوافل والتجار
تسير في الطرق وهى امنة وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كان يوقد النار من
مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة وبينهما
مسيرة اشهر وفي سنة اثنتين وثلثماية دخل حباسة في جيوش افريقية الى الاسكندرية
في المحرم ومعه مائة الف او زيادة عليها وقدمت الجيوش من الشرق مددا لتكين امير مصر
وسار حباسة من الاسكندرية ونودى بالنفير في الفسطاط لعشر بقين من جمادى
الاخرة فلم يتخلف عن الخروج الى الجيزة احد من الخاصة والعامة الا من عجز عن الحركة لمرض او عذر
وابام حباسة فلقوه وهزموه ثم دال عليهم فقتل من اهل مصر نحو من عشرة الاف ومر حباسة الى
افريقية واقاموا بمصر مصطربين فاقبل مونس الخادم من العراق في رمضان بجيوش كثيرة
فصرف في ذى القعدة وولى ذكا الاعور في صفر سنة ثلاث وثلثماية فخرج في جيوشه الى الاسكندرية
وتتبع كل من يومى اليه بمكاتبة صاحب افريقية فنجح منهم وقتل ونفى اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية
في شوال سنة اربع وثلثمائة خوفا من صاحب برقة وفي سنة سبع وثلثماية سارت مقدمة
المهدى عبيد الله من افريقية مع ابنه الى القسم الى لوبية فهرب اهل الاسكندرية وجلوا عنها
وخرج منها مظفر بن ذكا الاعور في جيشه ودخلت اليها العساكر يوم الجمعة لثمان خلون
من صفر واهل القوة من الفسطاط الى الشام فخرج ذكا امير مصر الى الجيزة وعسكر بها

ثم مرض ومات على مصافه بالجيزه في ربيع الاول فولي تكين بعده ولايته الثانيه من
قبل المقتدر ونزل الجيزه واقبلت مراكب صاحب افريقيه الى الاسكندريه عليها سليمن
الخادم فقدم ثمل الخادم صاحب مراكب طرسوس والتقيا برشيد في شوال واستيلا
فبعث الله ريحا على مراكب سليمن القيتها في البر فتكسر اكثرها واخذ من فيها اخذا باليد
وقتل اكثرهم واسر من بقي وسبقوا الى الفسطاط فقتل منهم نحو سبعمايه رجل وسار ابو القسم
ابن المهدي من الاسكندريه الى الفيوم وملك جزيرة الاشمونين والفيوم وازال عنها جند
مصر فمضى ثمل الخادم في مراكبه الى الاسكندريه فقاتل من بها من اهل افريقيه فظفر بهم
ونقل اهل الاسكندريه الى رشيد وعاد الى الفسطاط ومضى في مراكبه الى اللاهون ولحقه
العساكر فدخلوا الى الفيوم في صفر سنه تسع وثلثمايه فخرج ابو القسم بن المهدي الى برقه ولم
يكن بينهما قتال ورجعت العساكر الى الفسطاط وما زالت الاسكندريه واعمالها في اضطراب
الى ان قدمت جيوش المعز لدين الله مع القايد جوهر في سنه ثمان وخمسين وثلثمايه فملكتها وما
برحت الى ان قام بها نزار بن المستنصر وكان من امره ما قد ذكر عند ذكر خزاين القصر وفي
سنه احدى وسبعين وستمايه ورد الخبر بحركة الفرنج الى ثغر مصر فاهتم الملك الظاهر
بيبرس بامر الشواني ونصب على اسوار الاسكندريه نحو مايه منجنيق وفي يوم الخميس خامس شهر
رجب سنه سبع وعشرين خرج بعض تجار الفرنج الى ظاهر باب البحر فتجمع العامه
للفرجه وتعرض الى صبي امرد يراوده عن نفسه فانكر ذلك بعض من هناك من المسلمين وقال
وقال هذا ما يحل فاخذ الفرنجي ما كان بيده وضرب به على وجهه فصاح بالناس فاتوه فقام الفرنج
مع صاحبهم واتسع الخرق الى ان ركب متولي الثغر واغلق ابواب المدينه وطلب من اثار الفتنة
فنزوا وعاد الى داره وترك الابواب مغلقه وكان بظاهر المدينه خلق كثير قد توجهوا على عادتهم
في حوايجهم فحيل بينهم وبين بيوتهم وجا الليل وهم قيام على الابواب يضجون ويصيحون فمضى
اعيان البلد الى المتولي وما زالوا به حتى فتح لهم فدخلوا مبادرين وهم يزدحمون فمات منهم زياده
على عشرة انفس وتلفت اعضا جماعه وذهب من عمايم الناس ومناديلهم وغير ذلك شي كثير
وعظم البكا والصراخ طول الليل فلما كان من الغد ركب الوالي لكشف احوال الناس فتكاثروا
عليه ورجموه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقاتلوه فقاتلهم من اعلا الدار حتى سفكت بينهما دما
كثيرة واحرقوا بابه ونهبوا دوراً بجانبه فكتب يستنجد بوالي دمنهور ومن حوله من العربان
فاتوه واحاطوا بالمدينه وسرح الطاير الى السلطان بخروج اهل الاسكندريه عن الطاعه
فاشتد غضبه وخشي من اطلاقهم الامرا المسجونين وبعث الى القضاه فجمعهم واستفتاهم في
قتالهم فكتبوا بما يجب وخرج اليهم الوزير مغلطاي الجمالي وطوغان شاد الدواوين
والامرا امير جندار وعده من المماليك السلطانيه وناظر الخاص ومع الوزير تذكره بما رافقه

دما

دما اهل الفساد ومصادرة جماعه واخذ اموال اهل البلد والقبض على الاسلحه المعده
بها للغزاة ومسك القاضي والشهود وحمل الامرا المسجونين الى القاهره فساروا في عاشره
وقدموا الثغر بعد ثلاثة ايام ونزل الوزير بالخمس وفرض على الناس خمسمايه الف دينار
مصريه واحضر قاضي القضاه عماد الدين ونايبه في الحديد وانكر عليهما كونهما شهدا الى كذا
في البلد بالغزاة في سبيل الله فانكرا وقوع هذا منهما وانما كان من غيرهما وانهما لم يكن في قدرتهما
رد السواد الاعظم فضرب نايبه بن المقسي ضربا مبرحا والزمه بحمل ستمايه الف درهم والزم
القاضي بخمسمايه الف درهم وكان قد رسم بشنقه فلطف في مكاتبة السلطان واعتذر عنه
وراه حتى عفي عنه وتتبع العامه فوسط منهم ثلاثين رجلا في يوم الجمعه ثالث عشره فتسارع
الناس الى ورهم من الخوف فذهبت عدة عمايم واشتد الخوف مدة عشرين يوما وكتب السلطان
سولا بالايقاع باهل الثغر واخذ اموالهم والوزير يحسن في الجواب الى ان جهز الامرا المسجونين
وسار من الثغر وقد استعرض ما به من السلاح فوجد ستة الاف عده كامله جعلها جميعها في
قاعه وختم عليها وبلغت الجبايه من الناس ما ينيف عن مايتين وستين الف دينار فكانت
هذه من المحن العظيمه والحوادث الشنعه **ذكر مدينة اتريب**
هذه المدينه بناها اتريب بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح قال ابن وصيف شاه
وكان اتريب قد استعمل الجيزه بعد موت ابيه قبطيم وهي المدينه التي كان ابوه بناها له وكان
طولها اثني عشر ميلا ولها اثنا عشر بابا وجعل في شارعها الاعظم ثلاث قباب عاليه على عمد
بعضها فوق بعض منها قبه في وسط المدينه وقبتان في طرفيها وجعل على كل باب مرقبا كبيرا وفي
كل ناحيه منها ملعبا ومجالس ومنتزهات تشرف وشق في غربيها نهرا وعقد قناطر عليه وجعل
من فوقها مجالس متصله وحولها المنازل تدور بالخليج متصله بالقناطر على دياميس مزروعه من
خلفها الاجنه والبساتين وعلى كل باب من الابواب اعجوبه من تماثيل واصنام متحركه واصنام
تمنع من يوذي وجعل في داخل كل باب صورة شيطانين من صفر فاذا قصدها احد من اهل الخير
لقيه الشيطان الذي عن يمنة الباب وان كان من اهل الشر لقيه الشيطان الذي عن يسرة الباب
وجعل في كل منتزه منها من الوحوش الالفه والطيور المغرده كل مستحسن وفوق قباب المدينه صورا
تصفر اذا هبت الرياح ونصب مرايا ترى البلاد البعيده وما يحاذيها في الشرق والمغرب وجعل
فيها ملاعب واصناما بارزه في صور مختلفه وفي وسطها بركه اذا مر بها الطير سقط عليها فلا
يبرح حتى يوخذ وجعل له حصنا باثني عشر بابا على كل باب تمثال يعمل اعجوبه وعمل حواليها اجنه
وجعل بالقرب منها في ناحية الشرق مجلسا منقوشا على ثماني اساطين وفوقه قبه عليها
طاير منشور الجناحين يصفر كل يوم ثلاث تصفيرات بكره ونصف النهار وعند غروب الشمس
واقام فيها اصناما وعجايب كثيره وبنى هياكل كثيره واقام رجلا يقال له برسان يعمل الكيميا وضرب

مهاد نانير فى كل دينار سبعة مثاقيل عليها صورته وعاش اتريب ملكا بلثمايه وستين
سنه وبلغ من العمر خمسمايه سنة وعمل له ناووس فى جبل بالشرق حفر له تحته سرب
بطن بالزجاج والمرمر وجعل على سرير من ذهب موصع وحمل اليه جايره وجعلوا على
بابه صورة تنين لا يدنوا منه احد الا اهلكه وسفوا عليه الرمال وزبروا عليه اسمه
وتاريخ وقته وقال ابن الكندى اربع كور بمصر ليس على وجه الارض افضل منها ولا تحت
السما لهن نظير كورة الفيوم وكورة اتريب وكورة سمنود وكورة اصنا وكورة اتريب فى
جملة كور اسفل الارض وهى مايه وثمانى قرى وكان يقال مداين السحرة من ديار مصر فى
وهى ارمنت وساو بوصير وانصنا وصا واتريب وصا ذكر مدينه تنيس

تنيس بكسر التا المعوطه باثنتين من فوقها وكسر النون المشدده ويا اخر الحروف وسين
مهملة بلدة من بلاد مصر فى وسط الما وهى من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن نوح ويقال
بناها قليمون بن ولدا تريب بن قبط احد ملوك القبط فى القديم قال ابن وصيف شاه
وملكت بعد اتريب ابنته فدبرت الملك وساسته بايد وقوة خمسا وثلاثين سنة وماتت
فقام بالملك من بعدها ابن اختها قليمون الملك فرد الوزرا الى مراتبهم واقام الكهان على
مواضعهم ولم يخرج الامر عن رايهم وجد فى العمارات وطلب الحكم وفى ايامه بنيت
تنيس الاولى التى غرقها البحر وكان بينها وبينه شى كثير وحولها الزروع والشجر والكروم
وقرى ومعاصر للخمر وعماره لم يكن احسن منها فامر الملك ان يبنى له وسطها مجالس وينصب
له عليها قباب وتزين باحسن الزينه والنقوش وامر بفرشها واصلاحها وكان اذا بدا
النيل يجرى انتقل الملك اليها فاقام بها الى النوروز ودجع وكان للملك بها امنا يقسمون البلاد
ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور بها ناطر وكان كل ملك ياتى يامر
بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له منتزها ويقال ان الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى فى
كتابه العزيز اذ يقول واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما
بنخل الايات كانتا لاخوين من اهل بيت الملك اقطعهما ذلك الموضع فاحسنا عمارته وهندسته
وبنيانه وكان الملك يتنزه عليهما ويوتى بغرايب الفواكه والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة
ما يستطيبه فيعجب بذلك المكان احد الاخوين وكان كثير الضيافة والصدقة ففرق ماله فى
وجوه البر وكان الاخر ممسكا يسخر من اخيه اذا فرق ماله وكلما باع من قسمه شيا اشتراه منه
حتى بقى لا يملك شيا وصارت تلك الاجنه لاخيه واحتاج الى سواله فانتهره وطرده وعيره
بالتبذير وقال قد كنت انصحك وامرك بصيانة مالك فلم تفعل ونفعنى امساكى فصرت اكثر
منك مالا وولدا وولى عنه مسرورا بماله وجنته فامر الله عز وجل البحر فركب تلك القرى وغرقها
جميعا فاقبل صاحبها يولول ويدعوا بالثبور ويقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا قال الله

جل

جل جلاله ولم تكن له فيه ينصرونه من دون الله وفى زمان قليمون الملك بنيت دمياط
وملك قليمون تسعين سنة وعمل لنفسه ناووسا فى الجبل الشرقى وحول اليه الاموال
والجواهر وساير الذخاير وجعل من داخله تماثيل تدور بلوالب فى ايديها سيوف من دخل
تقطعه وجعل عن يمينه ويساره اسدين من نحاس مذهب بلوالب من اتاه حطماه وزبر عليه
هذا قبر قليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصريم عمر دهرا واتاه الموت فما استطاع له دفعا فمن
وصل اليه فلا يسلبه ما عليه وليا خذ مما بين يديه ويقال ان تنيس اخ لدمياط وقال المسعودى
فى كتاب مروج الذهب وبحيرة تنيس كانت ارضا لم يكن بمصر مثلها استوا وطيب تربه وكانت
جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض ولم ير الناس بلدا
احسن من هذه الارض ولا احسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها
تشبهها الا الفيوم وكان الما منحدرا اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتا يسقون جنانهم اذا شاوا
وكذلك زروعهم وسايره ينصب الى البحر من جميع خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد
كان بين البحر وبين هذه الارض مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق سلوك
فى قبرس يسلكه الدواب يبسا ولم يكن بين العريش وجزيرة قبرس فى البحر سير طويل حتى علا
الما الطريق الذى كان بين العريش وبين قبرس فلما مضت لدقلطيانوس من ملكه مايتان واحدى
وخمسون سنة هجم الما من البحر على بعض المواضع التى تسمى اليوم بحيرة تنيس فاغرقته وتزيد فى
كل عام حتى اغرقها باجمعها فما كان من القرى التى فى قرارها غرق واما الذى كان منها على ارتفاع
من الارض فبقيت منها تونه وبورا وغير ذلك مما هى باقية فى هذا الوقت والما محيط بها وكان
اهل القرى التى فى هذه البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيعبونهم واحدا فوق واحد وكان
استحكام غرق هذه الارض باجمعها قبل ان تفتح مصر بماية سنه قال وقد كان للملك من ملوك
الامم التى كانت داره الفرما مع ارکون من اراكنه البليينا وما اتصل بها من الارض حروب عملت فيها
خنادق وخلجانا فتحت من النيل الى البحر يمنع كل واحد من الاخر وكان ذلك داعيا لتشعب
الما من النيل واستيلايه على هذه الارض وقال فى كتاب اخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة لها
مائة باب وقال ابن بطلان تنيس بلد صغير على جزيرة فى وسط البحيره فى الجنوب عن وسط
الاقليم الرابع خمس درج وارضه سبخه وهواوه مختلف وشراب اهله من مياه مخزونة فى صهاريج
تملا فى كل سنة عند عذوبة ما البحيرة بدخول ما النيل اليها وجميع حاجاتها مجلوبة اليها فى المراكب
واكثر اغذية اهلها السمك والجبن والبان البقر فان ضمان الجبن السلطانى سبعماية دينار
حسابا عن كل الف قالب دينار ونصف وضمان السمك عشرة الاف دينار واخلاق اهلها
سهلة منقاده وطباعهم مايلة الى الرطوبه والانوثه قال ابو السرى الطبيب انه كان يولد بها
فى كل سنة مايتا مخنث وهم يحبون النظافه والدماثه والغنا واللذه واكثرهم يبيتون سكارا

وهم قليلون الرياضه لضيق البلد وابدانهم ممتليه اخلاطا وحصل بها مرض يقال له
الغواق التنيسي اقام باهلها ثلاثين سنه وقال جامع تاريخ دمياط وكان في تنيس رجل
يقال له ابو ثور من العرب المتنصره فلما فتحت دمياط سار اليها المسلمون فبرز اليهم في عشرين
الفا من العرب المتنصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب الت في وقوع ابي ثور في
ايدي المسلمين وانهزم اصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيستها جامعا وقسموا الغنايم
وساروا الى الفرما فلم تزل تنيس بيد المسلمين الى ان كانت امرة بشر بن صفوان الكلبي على مصر
من قبل يزيد بن عبد الملك في رمضان سنه احدى ومايه فنزل الروم تنيس فقتل مزاحم بن سلمة
المرادي امير ها في جمع من الموالي ولهم يقول الشاعر

الم تربع فتخبرك الرجال ... بما لاقت بتنيس الموالي

ولما مات هرون الرشيد وقام من بعده ابنه محمد الامين واراد الغدر والنكث بالمامون
كان على مصر حاتم بن هرثمه بن اعين من قبل الامين فلما ثار عليه اهل تنو وتمي بعث اليهم بالسري
ابن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي فغلبا اليا بيه في شوال سنة اربع وتسعين
ومايه ثم ولي الامير جابر لينا فلما تباعد ما بين محمد الامين وبين اخيه عبد الله المامون
وخلع محمد اخاه من ولاية العهد وترك الدعا له على المنابر وعهد الى ابنه موسى ولقبه بالناطق محمد غضبا بن
ودعى له تكلم الجند بمصر بينهم في خلع محمد غضبا للمامون فبعث اليهم جابر ينهاهم عن ذلك
ويخوفهم عواقب الفتن واقبل السري بن الحكم يدعوا الناس الى خلع محمد وكان ممن دخل الى
مصر في ايام الرشيد من جند الليث بن الفضل وكان خاملا فارتفع ذكره بقيامه في خلع محمد
الامين وكتب المامون الى اشراف مصر يدعوهم الى القيام بدعوته فاجابوه وبايعوا المامون
في رجب سنه ست وتسعين ومايه ووثبوا بجابر فاخرجوه وولوا عباد بن محمد فبلغ ذلك محمد
الامين فكتب الى روسا الحوف بولاية ربيعة بن قيس الجرشي وكان رئيس قيس الحوف فانقاد
اهل الحوف كلهم معه عربها وقيسها واظهروا دعوة الامين وخلع المامون وساروا الى الفسطاط
لمحاربة اهلها واقتتلوا فكانت بينهما قتلى ثم انصرفوا وعادوا مرارا الى الحرب فعقد عباد بن محمد
لعبد العزيز الجروي وسيره في جيش ليحارب القوم في دارهم فخرج في ذي القعده سنه
سبع وتسعين ومايه وحاربهم بعريط فانهزم الجروي ومضى في قومه من لخم وجذام الى فاقوس
فقال له قومه لم لا تدعوا لنفسك فما انت بدون هولا الذين غلبوا في الارض فمضى فيهم الى
تنيس فنزلها ثم بعث عماله يجبون الخراج من اسفل الارض فبعث ربيعه بن قيس يمنعه
من الجباية وسار اهل الحوف في المحرم سنه ثمان وتسعين الى الفسطاط فاقتتلوا وقتل جمع
من الفريقين وبلغ اهل الحوف قتل الامين فتفرقوا وولي امرة مصر مطلب بن عبد الله
الخزاعي من قبل المامون فدخلها في ربيع الاول وولى عبد العزيز الجروي شرطته ثم عزله وعقد

له على حرب اسفل الارض ثم صرف المطلب وولي العباس بن موسى بن عيسى في شوال
تولى عبد العزيز الشرطه فلما ثار الجند واعادوا المطلب في المحرم سنه تسع وتسعين هرب الجروي
الى تنيس واقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة الى الحوف فنزل بلبيس ودعا قيسا الى نصرته
ثم مضى الى الجروي بتنيس فاشار عليه ان ينزل دار قيس فرجع الى بلبيس في جمادى الاخرة وبها
مات مسموما في طعام دسه اليه المطلب في يد قيس فدانا اهل الاحواف للمطلب وبايعوه
وساروا الى الجب عميره وسالموه عند القوه وبعث الى الجروي يامره بالشخوص الى الفسطاط
فامتنع من ذلك وسار في مراكبه حتى نزل شطنوف فبعث اليه المطلب بالسري بن الحكم في جمع من
الجند يسلونه الصلح فاجابهم اليه ثم اجتهد في الغدر بهم فتيقظوا له فمضى راجعا الى بنا فاتبعوه
وحاربوه ثم عاد فدعاهم الى الصلح ولاطف السري فخرج اليه في زلاج وخرج الجروي في مثله
فالتقيا في وسط النيل مقابل سندفا وقد اعد الجروي في باطن زلاجه الحبال وامر اصحابه
بسنفا اذا الصق بزلاج السري ان يجروا الحبال اليهم فلصق الجروي بزلاج السري فربطه
في زلاجه وجر الحبال فاسر السري ومضى به الى تنيس فسجنه بها وذلك في جمادى الاولى ثم
كر الجروي وقاتل فلقيته جموع المطلب بسفط سليط في رجب فظفر ولما عزل عمر بن ملاك عن
الاسكندرية ثار بالاندلسيين ودعا الى الجروي فاقبل عبد الله بن موسى بن عيسى الى مصر
طالبا بدم اخيه العباس في المحرم سنه مايتين فنزل على عبد العزيز الجروي فسار معه في
جيوش كثيرة العدد في البر والبحر حتى نزل الجيزة فخرج اليه المطلب في اهل مصر فحاربوه
في صفر فرجع الجروي الى شرقيون ومضى عبد الله بن موسى الى الحجاز وظهر المطلب على ان ابا
حرملة فرج الاسود هو الذي كاتب عبد الله بن موسى وحرضه على المسير فطلبه ففر الى الجروي
وجد المطلب في امر الجروي فاخرج الجروي السري بن الحكم من السجن وعاهده وعاقده على ان
يثور بالمطلب ويخلعه فعاهده السري على ذلك فاطلقه والقى الى اهل مصر ان كتابا ورد
بولايته فاستقبله الجند من اهل خراسان وعقد واله عليهم وامتنع المصريون من ولايته
فنزل داره بالحمرا وامده قيس بجمع منهم وحارب المصريين فهزمهم وقتل منهم فطلب المطلب منه
الامان فامنه وخرج من مصر واستبد السري بن الحكم بامر مصر في مستهل شهر رمضان فلما
قتل الاندلسيون عمر بن ملاك بالاسكندرية سار اليها الجروي في خمسين الفا فبعث السري
الى تنيس بعثا فكر الجروي راجعا الى تنيس في محرم سنه احدى ومايتين فلما ثار الجند بالسري
في ربيع الاول وبايعوا سليمن بن غالب قام عباد بن محمد عليه وخلعه وقام بالامر على
ابن عزيز بن جعفر بن سليمن بن علي بن عبد الله بن عباس في مستهل شعبان فامتنع عباد ان
يبايعه ولحق بالجروي ثم لحق به ايضا سليمن بن غالب فكان معه وعاد السري الى ولاية
مصر في شعبان وقوى سلطانه فلما كان في المحرم سنة اثنتين ومايه ورد كتاب المامون

اليه يامره بالبيعة لولى عهده على بن موسى الرضا فبويع له بمصر وقام فى فساد ذلك ابراهيم
ابن المهدى ببغداد وكتب الى وجوه الجند بمصر يامرهم بخلع المامون وولى عهده وبالوثوب
بالسرى فقام بذلك الحرث بن زرعة بن محزم بالفسطاط وعبد العزيز بن الوزير الجروى
باسفل الارض وسلمة بن عبد الملك الطحاوى الازدى بالصعيد وخالفوا السرى ودعوا
الى ابراهيم بن المهدى وعقدوا على ذلك الامر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الازدى لمحاربة
السرى وظفر به فى صفر ولحق كل من كره بيعة على الرضا بالجروى لمنعته بتنيس وشدة سلطانه
فسار الى الاسكندرية وملكها ودعى له بها وببلاد الصعيد ثم سار فى جمع كثير لمحاربة السرى
واستعد كل منهما لصاحبه باعظم ما قدر عليه فبعث اليه السرى ابنه ميمون فالتقيا بشطنوف
فقتل ميمون فى جمادى الاولى سنة ثلاث ومائتين واقبل الجروى فى مراكبه الى الفسطاط
ليحرقها فخرج اليه اهل المسجد وسالوه الكف فانصرف عنها وحارب الاسكندرية غير
مرة وقتل بها من حجر اصابه من منجنيقه فى اخر صفر سنة خمس ومائتين ومات السرى بعده
بثلاثة اشهر فى اخر جمادى الاولى وقام بعد الجروى ابنه على بن عبد العزيز الجروى فحارب
ابا نصر محمد بن السرى امير مصر بعد ابيه بشطنوف ثم التقيا بدمنهور فيقال ان القتلى
يومئذ كانوا سبعة الاف وانهزم ابن السرى الى الفسطاط فتبعته مراكب ابن الجروى ثم
عادت فدخل ابو حرملة فرج سفينة حتى اصطلحا ومات ابن السرى فى شعبان سنة ست ومائتين
فولى بعده اخوه عبيد الله بن السرى فكف عن ابن الجروى وبعث المامون بخالد بن يزيد
ابن مزيد الشيبانى الى مصر فى جيش من ربيعة فامتنع عبيد بن السرى من التسليم له ومانعه
فاقتتلوا بفاقوس وانضم على الجروى الى خالد بن يزيد واقام له الانزال واعانه وسار حتى نزل
على احد وعبيد بن السرى فاقتتلا فى شهر ربيع سنة سبع ومائتين وجرت بينهما حروب بعد
ذلك الت الى ان توقع خالد الى ارض الحوف فكره ذلك ابن الجروى ومكر به حتى اخرجه من عمله
الى ارض النيل فنزل نهيا وانصرف ابن الجروى الى تنيس فصار خالد فى ضر وجهد وعمل
ابن السرى فى شهر رمضان واسره واخرجه من مصر الى مكة فى البحر وبعث المامون بولاية
عبيد بن السرى على ما بيده وهو فسطاط مصر وصعيدها وغربيها وبولاية على بن عبد العزيز
الجروى تنيس مع الحوف الشرقى وضمنه خراجه واقبل ابن الجروى على استخراج خراجه من اهل
الحوف فمانعوه وكتبوا الى ابن السرى يستمدونه عليه فامدهم باخيه فالتقيا بكورة بنا
فى بلقينه فاقتتلوا فى صفر سنة تسع ومائتين وامتدت الحرب بينهما الى انتاربيع الاول
وهم متصافون فانصرف ابن الجروى فيمن معه الى دمياط فسار ابن السرى الى محلة
شريقون ونهبها وبعث الى تنيس ودمياط فملكها ولحق ابن الجروى بالفرما وسار منها
الى العريش فنزل فيما بينها وبين غزة ثم عاد واغار على الفرما فى جمادى الاخرة فغزا اصحاب

ابن

ابن السرى من تنيس وسار ابن الجروى الى شطنوف فخرج اليه ابن السرى واقتتلا
فكانت لابن الجروى اول النهار ثم اتاه كمين ابن السرى فانهزم وذلك فى رجب فمضى الى
العريش وسار ابن السرى الى تنيس ودمياط ثم اقبل ابن الجروى فى المحرم سنة عشر ومائتين
وملك تنيس ودمياط بغير قتال فبعث اليه ابن السرى البعوث فحاربهم فبينما هم فى ذلك
اذ قدم عبد الله بن طاهر فتلقاه ابن الجروى بالاموال والانزال وانضم اليه ونزل معه
بلبيس فامتنع ابن السرى ودافع ابن طاهر فتراخى له وبعث فجبا المال ونزل زفتا وبعث
الى شطنوف بعيسى الجلودى على جسر عقده من زفتا وجعل ابن الجروى على سفنه التى
جاته من الشام لمعرفته بالحرب فهزم مراكب ابن السرى فى المحرم سنة احدى عشرة وصالح
ابن طاهر عبيد بن السرى فى صفر وخلع عليه واجازه بعشرة الاف دينار وامره بالخروج
الى المامون فسكنت فتن مصر بعبد الله بن طاهر قال ابو عمر الكندى حدثنى ابو نصر احمد
ابن على قال حدثنى ياسين بن عبد الاحد قال سمعت ابى يقول لما دخل عبد الله بن طاهر
مصر كنت فيمن دخل عليه فقال حدثنا عبد الله بن لهيعة عن ابى قبيل عن تبيع قال يا اهل
مصر كيف بكم اذا كان فى بلدكم فتن فوليكم فيها الاعرج ثم الاصفر ثم الامرد ثم ياتى رجل
من ولد الحسين لا يدفع ولا يمنع تبلغ راياته البحر الاخضر يملاها عدلا فقد كانت تلك
كانت الفتنة فوليها السرى وهو الاعرج والاصفر ابنه ابو نصر والامرد عبيد الله بن
السرى واتت عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم ان عبد الله بن طاهر سار الى الاسكندرية
واصلح امرها واخرج ابن الجروى الى العراق ثم قدم به الافشين الى مصر فى ذى الحجة سنة
خمس عشرة وقد امر الافشين ان يطالبه بالاموال التى عنده فان دفعها اليه والا قتله
فطالبه فلم يدفع اليه شيا فقدمه بعد الاضحى بثلاث فقتله وفى جمادى الاخرة سنة تسع
عشرة ومائتين ثار يحيى بن الوزير فى تنيس فخرج اليه المظفر بن كند امير مصر فقاتله فى
بحيرة تنيس واسره وتفرق عنه اصحابه وفى سنة احدى وسبعين وخمسماية وصل الى
تنيس من شوانى صقلية نحو اربعين مركبا فحصروها يومين واقلعوا ثم وصل اليها من
صقلية فى سنة ثلاث وسبعين ايضا نحو اربعين مركبا وقاتلوا اهل تنيس حتى ملكوها
وكان محمد بن اسحق صاحب الاسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فتحيز فى طايفة من المسلمين
الى مصلى تنيس فلما جنهم الليل هجم بمن معه البلد على الفرنج وهم فى غفلة فاخذ منهم مائة
وعشرين فقطع رؤوسهم فاصبح الفرنج الى المصلى وقاتلوا من بها من المسلمين فقتل من المسلمين
نحو السبعين وصار من فى منهم الى دمياط فمال الفرنج على تنيس والقوا فيها النار فاحرقوها
وساروا وقد امتلات ايديهم بالغنايم والاسرى الى جهة الاسكندرية بعدما اقاموا
بتنيس اربعة ايام ثم لما كان فى سنه   وخمساية نزل فرنج عسقلان فى عشر حراريق

على اعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له الغرفاس جماعة وكان على مصر الملك العادل
من قبل اخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف عند ما سار الى بلاد الشام ثم مضى الغر
وعاد فاسر ونهب فثار به المسلمون وقاتلوه فظفرهم الله به وقبضوا عليه وقطعوا يديه
ورجليه وصلبوه وفى سنة سبع وسبعين وخمسماية انتدب السلطان لعمارة قلعة تنيس
وتجديد الالات بها عند ما اشتد خوف اهل تنيس من الاقامة بها فقدر لعمارة سورها
القديم على اساساته الباقية مبلغ ثلاثة الاف دينار عن ثمن اصناف واجر وفى سنة ثمان وثمانين
وخمسماية كتب باخلا تنيس ونقل اهلها الى دمياط فاخليت فى صفر من الدرارى والاثقال
ولم يترك بها سوى المقاتلة فى قلعتها وفى شوال من سنة اربع وعشرين وستماية امر الملك الكامل
محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب بهدم مدينة تنيس وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب
السرية وتصنع بها كسوة الكعبة قال الفاكهى فى كتاب اخبار مكة ورايت كسوة مما يلى الركن الغربى
يعنى من الكعبة مكتوب عليها مما امر به السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى بامر
الفضل بن سهل ذى الرياستين وطاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين ومائة ورايت شقة
من قباطى مصر فى وسطها الا انهم كتبوا فى اركان البيت بخط دقيق اسود مما امر به امير المومنين
المامون سنة ست ومائتين ورايت كسوة من كسا المهدى مكتوب عليها بسم الله بركة من الله
لعبد الله المهدى محمد امير المومنين اطال الله بقاه مما امر به اسمعيل بن ابراهيم من يصنع فى طراز
تنيس على يدى الحكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة ورايت كسوة من قباطى مصر
مكتوب عليها بسم الله بركة مما امر به عبد الله المهدى محمد امير المومنين اصلحه الله محمد بن
سليمان ان يصنع فى طراز تنيس كسوة للكعبة على يدى الخطاب بن مسلمة عامله سنة تسع
وخمسين ومائة قال المسبحى فى حوادث سنة اربع وثمانين وثلثماية وفى ذى القعدة ورد يحيى
ابن اليمان من تنيس ودمياط والفرما بهديته وهى اسفاط وتخوت وصناديق مال وخيل
وبغال وحمير وثلاث مظال وكسوتين للكعبة وفى ذى الحجة سنة اربعين واربعماية وردت
هدية تنيس الواردة فى كل سنة منها خمس نوق مزينة ومائة راس من الخيل بسروجها ولجمها
وتجافيف وصياغات حلية وثلاث قباب ديبقى بمراتبها ومحمولات وبنود وما جرى
الرسم بحمله من المتاع والمال والبز ولما فقد الحاكم استدعت اخته السيدة ست الملك الى
عامل تنيس عن الحاكم بان يحمل ما كان اجتمع قبله ويعجل توجيهه وقيل انه كان الف الف دينار
والفى الف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد لثلاث سنين وامره الحاكم بتركها عنده فحمل
ذلك اليها وبه استعانت على ما دبرت وفى سنة خمس عشرة واربعماية ورد الخبر على الخليفة
الظاهر لاعزاز دين الله ابى هاشم على بن الحاكم بامر الله ان السودان وغيرهم ثاروا بتنيس
وطلبوا ارزاقهم وضيقوا على العامل حتى هرب وانهم عاثوا فى البلد وافسدوا ومدوا

ايديهم الى الناس وقطعوا الطرقات واخذوا من المودع الفا وخمسماية دينار فقام
الجرجراى وقعد وقال كيف يفعل هذا بخزانة السلطان وبيت المال وسير خمسين فارسا للقبض على الجناة وما زالت تنيس مدينة عامرة
ليس بارض مصر مدينة احسن منها ولا احصن من عمارتها الى ان خربها الملك الكامل
محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب فى سنة اربع وعشرين وستماية واستمرت خرابا ولم يبق منها الا
رسومها فى وسط البحيرة وكان من جملة كورة تنيس بورا ومنها ها وابوان وشطا وبحيرة
الان يصاد منها السمك وهى قليلة العمق يسار فيها بالمعادى ولا يبلغ السفينتان فيها
صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة ولا يملا كل واحدة منها مملو بالريح سير ها فى البركة وفى
وسط البحيرة عدة جزاير تعرف اليوم بالعزب جمع عزبة بضم العين المهملة وزاى ثم با
موحدة يسكنها طايفة من الصيادين وفى بعضها ملاحات يوجد منها ملح عذب لا يكاد
يلوحه وماوها ملح وقد يحلوا ايام النيل

ذكر مدينة صا

قال ابن وصيف شاه ولما قسم قبطيم بن مصرايم الارض بين اشمن واتريب وقفط
وصا استقل كل واحد الى قسمه وحيزه فخرج صا باهله وولده وحشمه الى حيزه وهو
بلد البحيرة والاسكندرية حتى ينتهى الى برقة ونزل مدينة صا قبل ان تبنى الاسكندرية
وكان صا اصغر ولد ابيه واحبهم اليه فلما ملك حيزه امر بالنظر فى العمارات وبنا المداين
والبلدان والهياكل واظهار العجايب كما صنع اخوته وطلب الزيادة فى ذلك وكان هرهون
المهندس صاحب بابه فبنى له من حد صا الى حد لوبيه ومراقيه على البحر اعلاما وجعل
على روس تلك الاعلام مرايا من اخلاط شتى فكان منها ما يمنع من دواب البحر واذاهم
ومنها ما اذا قصدهم عدو من الجزاير واصابها الشمس القت شعاعها على مراكبهم فاحرقتها
ومنها ما يرى المداين التى تحاذيهم من عدوة البحر وما يعمله اهلها ومنها ما ينظر فيها الى اقليم
مصر فيعلم منه ما يخصب وما يجدب فى كل سنة وجعل فيها حمامات تتقد من نفسها وجعل
مستشرفات ومتنزهات وكان يكون فى كل يوم فى موضع منها بمن يخصه من حشمه وخدمه
وجعل حوالها بساتين وسرح فيها الطيور المغردة والوحش المستانس والانهار
المطردة والرياض المونقة وجعل شرفات قصوره من حجارة ملونة تلمع اذا اصابها
الشمس فتنتشر شعاعها على ما حولها ولم يدع شيا من الة النعمة والرفاهية الا استعمله
فكانت العمارة ممتدة فى رمال رشيد ورمال الاسكندرية الى برقة وكان الرجل يسافر
فى ارض مصر لا يحتاج الى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا فى ظلال تستره
من الشمس وعمل فى تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل
انهارا فكان يسلك من الجانب الغربى الى حد الغرب فى عمارة متصلة فلما انقرض

اوليك القوم بقيت اثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وباد اهلها ولا يزال
من دخل تلك الصحارى يحكي ما راه فيها من الاثار والعجايب قال كاتبه حدثني لمعه عمن
دخل الى مدينه صا ومشى في خرابها قال اهو بلسنه رمل الغرابى وما يتصل به من
حد العريش الى ارض العباسه حادث وذكر في سبب كونه خبر فيه معتبر وهو ان شداد
ابن هداد بن شداد بن عاهر احد الملوك العاديه قدم الى ارض مصر وغلب بكثره جيوشه
اشمن بن مصرين بيصر بن حام بن نوح ملك مصر وهدم ما بناه هو واباه وبنى لنفسه
اهراما ونصب اعلاما زبر عليها الطلسمات واختط موضع الاسكندريه واقام هناك دهرا
الى ان نزل به وبقومه ما اخرجوا من ارض مصر الى جهة وادى القرى فيما بين المدينه
النبوية وارض الشام وعمروا الملاعب والمصانع لحبس المياه التي تجتمع من الامطار والسيول
فكان سعة كل مصنع ميلا في ميل وغرسوا النخل وغيره وزرعوا اصناف الزراعات فيما بين
راية وايلة الى البحر الغربي وامتدت منازلهم من الدثنة الى العريش والجفار في ارض سهلة
ذات عيون تجرى واشجار مثمرة وزروع كثيرة فاقاموا بهذه الارض دهرا طويلا حتى
عتوا وبغوا وتجبروا وطغوا وقالوا نحن الاكثر ونحن الاشدون الاغلبون فسلط الله
عليهم الريح فاهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى سحلتها رملا فما تراه من هذه الرمال
التي بارض الجفار وما بين العباسه حيث المنزلة التي تعرف اليوم بالصالحية الى العريش من رمل
مصانع العادية وسحاله صخورهم لما اهلكهم الله بالريح ودمدم تدميرا واياك وانكار ذلك
لغرابته ففي القران الكريم ما يشهد لصحته قال تعالى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما
تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم اى كالشيء الهالك البالى وقيل الرميم نبات الارض
اذا يبس وديس وقيل الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم والرميم الخلق البالي من كل شيء

مراقيه مدينه مراقيه كوره من كور مصر الغربيه اخر حد ارض مصر وبين
اخر ارض مراقيه تلقا ارض انطابلس وهي برقه وبعدها من مدينه سنتريه نحو من بريد
وكان قطرا كبيرا به نخل كثير ومزارع وبه عيون جاريه وبها الى اليوم بقية وثمرها جيد الى
الغاية وزرعها اذا ابدا زبت من الحبة الواحدة من القمح ماية سنبلة واقل ما تنبت تسعين
سنبله وكذلك الارز بها فانه جيد زاكى وبها الى اليوم بساتين متعدده وكانت مراقيه في
القديم من الزمان يسكنها البربر الذين نفاهم داود عليه السلام من ارض فلسطين فنزلها
منهم خلايق ومنها تفرقت البربر فنزلت زناته ومغيله وضريسه الجبال ونزلت لواته
ارض برقه ونزلت هوارة اطرابلس المغرب ثم انتشرت البربر الى السوس فلما كان شوال سنه
اربع وثلثماية من سني الهجرة المحمدية جلا اهل لوبيه ومراقيه الى الاسكندريه خوفا من
صاحب برقه ولم يزل في اختلال الى ان تلاشت في زمننا وبها بعد ذلك بقيه جند

كوم شريك هذا المكان بالقرب من الاسكندرية له ذكر في الاخبار
عرف بشريك بن سمى بن عبد يغوث بن جزء المرادى ثم الغطيفى من الصحابه رضى الله عنهم
وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح الاسكندرية الثاني فعند ما كثرت جمايع الروم
انحاز شريك الى هذا الكوم باصحابه ودافع الروم حتى ادركه عمرو وكوم شريك هذا من حله
حوف رمسيس **عيفا** وعيفا قرية تقارب مدينة بلبيس من الفسطاط اليها
مرحلتان كانت منزلة قافلة الحاج ويقال ان صواع الملك الذي فقد من مدينه مصر
وجد في رحال اخوه يوسف عليه السلام بعيفا هذه **سمنود** كان بها بربا عليه هيئة
درقة فيها كتابة حكى ابن زولاق عن ابي القسم مامون العدل انه نسخ هذه الكتابة في
قرطاس وصوره على درقه قال فما كنت استقبل به احدا الا ولى هاربا وكان بها ايضا
تماثيل وصور من ملك مصر فيهم قوم عليهم شاشيات وبايديهم الحراب وعليهم مكتوب
هولا يملكون مصر

ذكر مدينه بلبيس قال ابن سعيد بلبيس واليها
يصل حكمه الى الوراده وهي اخر حد مصر واليها تنتهي المعاملة بفضه السواد ويصير الناس
يتعاملون بالفلوس وبعدها الى العريش وهي اول الشام وقيل هي اخر مصر وقال ابو عبيد
البكرى بلبيس بفتح اوله واسكان ثانيه بعده با مثل الاولى مفتوحة ايضا وياء ساكنة
وسين مهمله وهو موضع قرب مصر معروف وذكر ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك
ان بين بلبيس ومدينة فسطاط مصر اربعة وعشرون ميلا وذكر الواقدي ان
المقوقس زوج ابنته ارمانوسه من قسطنطين بن هرقل وجهزها باموالها وجواريها
وغلمانها وحشمها لتسير اليه حتى يبني عليها من مدينه قيساريه بساحل البحر من الشام
فلما بلغها بعد ما سارت اليه ان العرب قد نزلوا على قيسارية وهم محاصرون لها رجعت الى
بلبيس واقامت بها وبعثت حاجبها الكبير في الف فارس الى الفرما لحفظ الطريق ولا يدع
احدا من الروم ولا غيرهم يعبر الى مصر ونفذ المقوقس رسله الى اطراف بلاده بما يلى
الشام ان لا يتركوا احدا يدخل ارض مصر مخافة ان يتحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل
الرعب في قلوب عساكره فلما قدم عمر بن الخطاب الجابيه وسار عمرو بن العاص الى مصر
نزل على بلبيس وبها ارمانوسه ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زهاء الف واسر ثلاثة
الاف وانهزم من بقي الى المقوقس واخذت ارمانوسه وجميع مالها وساير ما كان للقبط في
بلبيس فاحب عمرو ملاطفة المقوقس وسير اليه ابنته ارمانوسه مكرمة في جميع مالها
مع قيس بن ابي العاص السهمي فسر بقدومها ثم سار عمرو الى القصر ولم تزل من مدائن مصر
الكبار حتى نزل عليها مري ملك الفرنج واخذها عنوة بعد حصار طويل وقتل فيها واسر
ولها اخبار كثيره وقد خربت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنه ستين و

مايه بعدما ادركناها وبها عمارة كبيرة وفيها عدة بساتين تين واهلها اصحاب
يسار ونعم سنيه

ذكر بلد الوراده

الوراده من جملة الجفار
قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض
والطريق من الرملة الى ازدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى
العريش اربعة وعشرون ميلا فيه رمل ثم الى الوراده ثمنية عشر ميلا ثم الى العريب عشرون
ميلا ثم الى الفرما اربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المامون

للملك كان بالميدان اقصر منه بالفرما
غرس نوى مصر يقاسي الهم والسدما

ثم الى جرير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة اربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة
ثمنية عشر ميلا ثم الى بلبيس احد وعشرون ميلا ثم الى الفسطاط مدينة مصر اربعة
وعشرون ميلا وقال جامع تاريخ دمياط ولما افتتح المسلمون الفرما بعد ما افتتحوا دمياط
وتنيس ساروا الى البقاره فاسلم من بها وساروا منها الى الوراده فدخل اهلها في الاسلام
وما حولها الى عسقلان وقال القاضي الفاضل في حوادث محرم سنه سبع وستين وخمسماية
وصابحنا الوراده فبتنا على مينا الوراده ودخلنا الوراده فرايت تاريخ منارة جامعها
سنة ثمان واربعماية واسم الحاكم بامر الله عليها والوراده من جملة الجفار ويقال اخذ
اسمها من الورود ولم يزل جامعها عامرا تقام به الجمعة الى بعد السبع مايه وبلد الوراده
القديم في شرقي المرحلة التي يقال لها اليوم الوراده وبها اثار عماره ونخل قليل الصالحيه
هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن
ايوب بن شادي بارض السباخ والعلاقمه في اول الرمل الذي بين مصر والشام وانشا
بها قصورا وجامعا وسوقا ليكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك في سنة اربع
واربعين وستماية وبنزلها

ذكر مدينه ايله

وايله
بفتح اوله على وزن فعله مدينه على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بايلة بنت
مدين بن ابراهيم عليه السلام وايله اول حد الحجاز وقد كانت مدينة جليلة القدر على
ساحل البحر الملح بها التجارة الكبيرة واهلها اخلاط من الناس وكانت الروم في الزمن الغابر
وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كان مسلحه ياخذون المكس وبين ايلة وبين المقدس
ست مراحل والطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام على يوم وليله من ايلة وكانت في
الاسلام منزلا لبني امية واكثرهم موالي عثمن بن عفان كانوا سقاة الحاج وكان بها علم كبير
واداب ومتاجر واسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزرع وعقبة ايلة لا يصعد اليها
من هو راكب واصلحها فايق مولى خمارويه بن احمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما

حد مملكه

استرم

استرم منها وكان بايلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود يزعمون ان عندهم برد
النبي صلى الله عليه وسلم وانه بعثه اليهم امانا وكانوا يخرجونه رداء عدنيا ملفوفا في الثياب
قد ابرز منه قدر شبر فقط ويقال ان ايلة هي القرية التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز
حيث قال واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقد اختلف في
تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة والسدي هي ايلة وعن ابن
عباس ايضا انها مدين بين ايلة والطور وعن الزهري انها طبرية وقال قتادة وزيد بن
اسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونة يقال لها مقناه وسئل الحسين بن الفضل
هل تجد في كتاب الله الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جزفا جزفا قال نعم في قصة
ايلة اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وكان من خبر اهل
القرية انهم كانوا من بني اسرايل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم ابليس الحيلة
وقال انما نهيتم عن اخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان
اليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فياخذونها يوم الاحد وقيل كان
الرجل ياخذ خيطا ويضع فيه وهقة ويلقيها في ذنب الحوت وفي الطرف الاخر من الخيط
وتد ويتركه كذلك الى الاحد ثم تطرق الناس حين راوا من صنع هذا لا يبتلى حتى كثر
الصيد للحيتان ومشي به في الاسواق واعلن الفسقة بصيده فقامت طايفة من بني اسرايل
وجاهرت بالنهي واعتزلت وقالت لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار فاصبح الناهون
ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس لشانا فعلوا على الجدار
فاذا هم قردة فدخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس فجعلت تاتيهم فتشم
ثيابهم وتبكي فيقول الناهون للقردة الم ننهكم فتقول براسها نعم قال قتادة صار الشباب
قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سايرهم وقيل ان ذلك كان في زمن
نبي الله داود عليه السلام وقد قيل ان ايله اصلها ايلت ايله وقد وقع ذكرها في التوراة
كذلك وقال الشريف محمد بن سعد الجواني ذكا له من البربر بطن من المصامده وقالت طايفة
انه كان لذي ولد ايله ويقال ايل الذي سميت به عقبة ايلة واخوتهم دغفل بن ايله وانهم
يعرفون في الغرابين ويقولون نحن من ربيعة الفرس وفي ذلك خلاف عظيم وذكر المسعودي
ان يوشع بن نون عليه السلام حارب السميدع بن هوبر بن مالك العمليقي ملك الشام
بلاد ايلة نحو مدين وقتله واحتوى على ملكه وفي ذلك يقول عوف بن سعيد الجرهمي

الم تر ان العلقمي بن هوبر ... بايلة امسى لحمه قد تمزعا
تداعت عليه من يهود جحافل ... ثمانون الفا حاسرين ودرعا

وهي ابيات كثيرة وقال ابن اسحق فلما انتهى رسول الله الى تبوك اتاه يحنه بن روبة صاحب ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا واذرح فاعطوه الجزية وكتب لهم كتابا فهو عندهم وكتب ليحنه بن روبة بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي ورسوله ليحنه بن روبة واهل ايلة اساقفتهم وسايرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة

وادي هبيب

هذا الوادي بالجانب الغربي من ارض مصر فيما بين مريوط والفيوم يجلب منه الملح والنطرون عرف بهبيب بن محمد بن معقل بن الواقعة بن حرام بن غفار الغفاري احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر وروى عنه ابو تميم الجيشاني واسلم مولى تجيب وسعيد بن عبد الرحمن الغفاري وكان قد اعتزله عند فتنة عثمان رضي الله عنه بهذا الوادي فعرف به وكان يقول لا يفرق بين قضا دين رمضان ويجمع بين الصلاتين في السفر ويقال لهذا الوادي ايضا وادي الملوك ووادي النطرون وبرية شيهات وبرية الاسقيط وميزان القلوب وكان به ماية دير للنصارى وبقي به سبعة اديرة قد ذكرت عند ذكر الديارات من هذا الكتاب وهو واد كثير الفوايد فيه النطرون ويتحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندراني والملح السلطاني وهو على هية الواح الرخام وفيه الوكت والكحل الاسود ومعمل الزجاج وفيه الماسكة وهو طين اصفر في داخل حجر اسود يحل في الما ويشرب لوجع المعدة وفيه البردي لعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ما في هية البركة وطولها نحو خمسة عشر ذراعا في عرض خمسة اذرع في مغار بالجبل لا يعلم من اين ياتي ولا الى اين يذهب وهو ما حلو رايق ويذكر انه خرج منه سبعون الف راهب بيد كل واحد عكاز فتلقوا عمرو بن العاص بالطرانة مرجعه من الاسكندرية يطلبون امانه لهم على انفسهم ودياراتهم فكتب لهم بذلك امانا بقي عندهم وكتب لهم ايضا بجراية الوجه البحري فاستمرت بايديهم وان جرايتهم جات في سنة زيادة على خمسة الاف اردب وهي الان لا تبلغ ماية اردب ولم تزل مدينة ايلة عامرة اهله وفي سنة خمس عشرة واربع ماية طرق عبد الله بن ادريس الجعفري ايلة ومعه بعض بني الجراح ونهبها واخذ منها ثلاثة الاف دينار وعدة غلال وسبي النسا والاطفال ثم انه صرف عن ولاية وادي القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحاربته قال القاضي الفاضل وفي سنة ست وستين وخمسماية انشا الملك الناصر صلاح يوسف مراكب

مفصله وحملها على الجمال وسار بها من القاهرة في عسكر كثير لمحاربة قلعة ايلة وكانت قد ملكها الفرنج وامتنعوا بها فاوصلها في ربيع الاول وانزل المراكب واصلحها وطرحها في البحر وشحنها بالمقاتلة والاسلحة وقاتل قلعة ايلة في البر والبحر حتى فتحها في العشرين من شهر ربيع الاخر وقتل من بها من الفرنج واسرهم واسكن بها جماعة من ثقاته وقواهم بما يحتاجون اليه من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة في اخر جمادى الاولى وفي سنة سبع وسبعين وصل كتاب النايب بقلعة ايلة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم وصل الابرنس لعنه الله الى ايلة وربط العقبة وسير عسكره الى ناحية تبوك وربط جانب الشام لخوفه من عسكر يطلبه من الشام او مصر فلما كان في شعبان من السنة المذكورة كثر المطر بالجبل المقابل للقلعة بايلة حتى صارت به مياه استغنى بها اهل القلعة عن ورود العين مدة شهرين وتاثرت بيوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف اساسها فتدارك اصحابها واصلحوها وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ومن اباده الحدثان الكوكب وهم امة لهم اربعة املاك ملكوا ارض ايلة والحجاز وبنى كل واحد منهم مدينة سماها باسمه وجعلوا ساير الارض حمات وقسموها على ثلاثين كورة وجعلوها اربعة اعمال لكل عمل ملك يجلس على منبر ذهب في مدينته وعمل بربا وهي بيت الحكمة وعمل هيكلا لاحد الكواكب وجعل فيه اصناما من ذهب كل صنم له مرتبة وكانت الاسكندرية واسمها رقوده فجعلوا لها خمسة عشر كورة وجعلوا فيها كبار المهنة ونصبوا في هياكلها من اصنام الذهب اكثر مما في غيرها فكان فيها ماتينا صنم من ذهب وقسموا الصعيد على ثمانين كورة وجعلوه اربعة اقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجايب وقيل ان حميرا الاكبر واسمه العرنجج بن سبا الاكبر واسمه عامر ويعرف بعبد شمس ابن يشجب بن يعرب بن قحطان لما ملك بعد ابيه جمع جيوشه وسار يطا الامم ويدرس الممالك كما فعل ابوه فامعن في الشرق حتى ابعد ياجوج وماجوج الى مطلع الشمس ثم قتل نحو الغرب فجاء قبايل من اهل اليمن من بني هود بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح يشكون من ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وما نزل بهم من ظلمهم وامر برفعهم من ارض اليمن وانزلهم ايلة فعمروها من الجبال ذات الاصاد الى اطراف جبل نجد فقطعت ثمود هناك الصخور ونحتوا من الجبال البيوت وتكبروا وطغوا فبعث الله فيهم صالحا نبيا ورسولا فكذبوه وسالوه ان يخرج لهم ناقة من صخرة فاخرجها لهم فعقروها فاهلكهم الله بالصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين

مريوط كوره من كور الاسكندرية كانت لشدة بياضها لا تكاد تبين فيها دخول الليل الا بعد وقت وكان الناس يمشون فيها وفي ايديهم خرق سود خوفا على ابصارهم ومن شدة بياضها لبس الرهبان السواد وكانت بلاد

مربوط في نهاية العمارة والجنان المتصلة بارض برقه وهي اليوم من بعض قرى الاسكندرية يزرع بها الفواكه وغيرها وقد وقفها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير على جهات بر بالجامع الحاكمي من القاهرة وبها جامع عمر سنه ست وستين وستماية ثم استاجرها الملك المويد شيخ المحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانماية وجدد عمارة بستانها وقد تخرب لترداد لبيد عرب برقه اليه فاستمرت في ديوان السلطان

ذكر مدينة مدين

اعلم ان مدين امة شعيب هم بنو مدين بن ابراهيم عليه السلام ومنهم قنطورا ابنة يقطان الكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم امم ومدين على بحر القلزم تحاذي تبوك على نحو ست مراحل وهي اكثر من تبوك وبها البير التي استقى منها موسى لسايمة شعيب وعمل عليها بيت قال الفرا مدين اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة سميت باسم ابيها مدين ويقال مديان بن ابراهيم قاله مقاتل وغيره والجمهور على ان مدين اعجمي وقيل عربي فان كان عربيا فانه يحتمل ان يكون فعيلا من مدن بالمكان اقام به وهو بنا نادر وقيل مهملا ومفعلا من دان فتصححه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل حال سوا كان اسم الارض واسم القبيلة عجميا او عربيا وقال المسعودي وقد تنازع اهل الشرايع في قوم شعيب بن نوفل بن رعويل بن مر ابن عنقا ابن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان لسانه العربية فمنهم من راى انهم من العرب الداثرة والامم البايدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الخالية ومنهم من راى انهم من ولد المحض ابن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم الخليل وان شعيبا اخوهم في النسب وقد كان عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصله فمنهم المسمي بابي جاد وهوز وحطي وكلمن وصعفص وقريشات وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل واحرف الجمل هي اسما هولا الملوك وهي الاربعة والعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه الحروف غير ما ذكرنا من الوجوه فكان ابجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وج وهي ارض الطايف وما اتصل بذلك من ارض نجد وكلمن وصعفص وقريسات ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك مدين ومن الناس من راى انه كان ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كلمن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه فتوعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم بابا من السما من نار ونجا شعيب بمن امن معه الى الموضع المعروف بايلة وهي غيضة نحو مدين فلما احس القوم بالبلا واشتد عليهم الحر وايقنوا بالهلاك طلبوا شعيبا ومن امن معه وقد اظلهم سحابه بيضا طيبة النسيم والهوا لا يجدون فيها الم العذاب فاخرجوا شعيبا ومن امن معه من مواضعهم وازالوهم عن اماكنهم وتوهموا ان ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فاتت

عليهم

عليهم ورثت جارية بنت كلمن اباها وكانت بالحجاز فقالت

كلمن هد ركني هلكه وسط المحله
سيد القوم اتاه الحتف نارا وسط ظله
كونت نارا فاضحت دار قومي مضمحله

وقال المنتصر بن المنذر المديني

الا يا شعيب قد نطقت مقالة اتيت بها عمرا وحي بني عمرو
هم ملكوا ارض الحجاز باوجه كمثل شعاع الشمس في صورة البدر
وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا قطورا وفازوا في المكارم والفخر
ملوك بني حطي وصعفص ذي الندى وهوز ارباب الثنية والحجر

قال المسعودي ولهولا الملوك اخبار عجيبه من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها واباديهم من كان فيها وعليها قبلهم من الامم وقيل ان الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الايكة المرسلين وفي قوله تعالى وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم هي مدين وقيل من ساحل البحر الى مدين وقيل هي غيضه نحو مدين وقيل بل اصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا بتبوك بين الحجر واول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال ابو عبيد البكري الايكة المذكورة في كتاب الله سبحانه التي كانت منازل قوم شعيب روي عن ابن عباس رضي الله عنه فيها روايتان احديهما ان الايكة من مدين الى شغب وبدا والثانية انها من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المقل والايكة عند اهل اللغة الشجر الملتف وكانوا اصحاب شجر ملتف وقال قوم الايكة الغيضة وليكة اسم البلد حولها كما قيل مكة وبكة وقال ابو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم بلد وقال ابن قتيبة وكان بعضهم يزعم بان بكة هو موضع المسجد وما حوله مكة كما فرق بين الايكة وليكة فقيل الايكة الغيضة وليكة البلد حولها وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقا غزة وهو المذكور في كتاب الله تعالى وهذا وهم بل مدين من ارض مصر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى مدين اميرهم زيد بن حارثة رضي الله عنه فاصاب سبيا من اهل مينا قال ابن اسحق وميناهي السواحل فبيعوا وفرق بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم فاخبر خبرهم فقال لا تبيعوهم الا جميعا ومدين من منازل جذام ابن علي بن الحارث بن مره بن ادد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي.

المبعوث الى اهل مدين احد بنى وايل بن جذام وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لوفد جذام مرحبا بقوم شعيب واصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم
المسيح ويولد له ولد وقال محمد بن سهل الاحول مدين من اعراض المدينة ايضا مثل فدك والفرع
ورهاط قال كابيه وكان بارض مدين عدة مداين كثيرة قد باد اهلها وخربت وبقى
منها الى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمانى مائة نحو الاربعين مدينة قايمة منها
ما يعرف اسمه ومنها ما قد جهل اسمه فمما يعرف له اسم فيما بين ارض الحجاز وبلاد فلسطين
وديار مصر ست عشرة مدينة منها فى ناحية فلسطين عشر مداين وهى الخلصه والسبيطة
والمدرة والمنية والاعوج والخويرق والبيرين والماابن والسبع والمعلق واعظم هذه
المداين العشر مدينتى الخلصه والسبيطة وكثيرا ما تنقل حجارتها الى غزة ويبنا بها هناك
ومن مدن مدين بناحية بحر القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقيم ومدينة القلزم
ومدينة ايلة ومدينة مدين وبمدينة مدين الى الان اثار عجيبه وعمد عظيمه ووجد فى مدينة
الاعوج اعوام بضع وستين وسبع مائة جب بقلعتها بعيد المهوى يبلغ عمقه نحو ماية باع
وبقاعه عدة اسفار فى رفوف فحمل منها سفر طوله ذراعان وازيد قد غلف بلوحين من
خشب وكتابته بالقلم المسند طول الالف واللام نحو شبر فوجد ببلاد الكرك من قراء
فاذا هو سفر من عدة اسفار قد ابتداه بحمد الله ثم قال خروج موسى من ارض مصر الى بلاد
مدين وملوك بنى مدين فيما بعد شعيب فذكر لموسى عليه السلام عدة اسما منها اسمه
بالعربية موسى بن عمران وبالعبرانية موشى وبالفارسية داران وبالقبطية هرو هيلي
وذكر انه تزوج ابنة شعيب وانه اقام بمدين ثمانى حجج ثم قال لابن شعيب فلما تممت لك
شرطك وسازيدكم من عندى

ذكر مدينة فاران

هذه المدينة بساحل بحر القلزم
وهى من مدن العماليق على تل بين جبلين وفى الجبلين نقوب كثيرة لا تحصى مملوة امواتا ومن
هناك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هناك ساحل بحر فاران وهو البحر الذى اغرق الله
فيه فرعون وبين مدينة فاران وبين التيه مرحلتان ويذكران فاران اسم جبال مكة وقيل
اسم لجبال الحجاز وهى التى ذكرت فى التورية والتحقيق ان فاران والطور كورتان من كور مصر
القبلية وهى غير فاران المذكورة فى التورية وقيل ان فران بن عمرو بن عمليق هو الذى نسب
اليه جبال الحرم فقيل جبال فاران وبعضهم يقول جبال فران والمشهور ان فران هو فران
ابن بلى بن عمرو بن الحاف اليه ينسب سعد بن فران وكانت مدينة فاران من جملة مداين مدين
وبها الى اليوم نخل كثير مثمر اكلت من ثمره وبها نهر عظيم وهى خراب تمر بها العربان ٥

ذكر ارض الجفار

اعلم ان الجفار اسم لخمس مداين وهى الفرما والبقارة
والوراده والعريش ورفح والجفار كله رمل وسمى بالجفار لشدة المشى فيه على الناس والدواب

من كثرة رمله وبعد مراحله والجفار تحفر فيه الابل فاتخذ له هذا الاسم كما قيل للحبل الذى
يجر به البعير بجار والذى يجر به تجار والذى يعقل به عقال والذى يبطن به بطان
والذى يخطم به خطام والذى يزم به زمام واشتقت البقاره من البقر والوراده من الورد
والعريش اخذ من العرش وقيل ان رفح اسم رجل وكان يسكن الجفار فى القديم جذام من
العربان ويقال ان ارض الجفار كانت فى الدهر الاول والزمن الغابر متصلة العمارات
كثيرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة اهلها الزعفران والعصفر وقصب السكر
وكان ماوها غزيرا عذبا ثم صار بها نخل يحمل قوت من كل النواحى الى ان دمرها الله تدميرا
فصارت الى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الى العريش والى رفح كله قفر يعرف بعضه
برمل الغرابى قليل الماء عديم المرعى لا انيس به فسبحن محيل الاحوال ٥

ذكر صعيد مصر

الصعيد المرتفع من الارض وقيل الارض المرتفعة من الارض المنخفضة وقيل ما لم يخالطه
رمل ولا سبخه وقيل هو وجه الارض وقيل الارض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسميه
هذه الجهة من ارض مصر بهذا الاسم انما حدث فى الاسلام سماها العرب بذلك لانها جهة
مرتفعة عما دونها من ارض مصر ولذلك يقال فيها اعلا الارض ولانها ارض ليس بها رمل
ولا سباخ بل كلها ارض طيبة مباركة ويقال للصعيد ايضا الوجه القبلى قال الاستاذ ابراهيم
ابن وصيف شاه ولما حضر مصرايم الوفاه عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم ارض مصر
بين بنيه فجعل لقفطيم من بلد قفط الى اسوان ولاشمون من بلد اشمون الى منف ولاتريب
الحوف كله ولصا من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة وقال لاخيه فارق لك من برقه
الى الغرب فهو صاحب افريقيه وولده الافارق وامر كل واحد من بنيه ان يبنى لنفسه مدينه
فى موضعه وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر واولاده واولادهم قطع مصر لكل
واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط
فسكنها وبه سميت قفط فقفط وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون فى الشرق والغرب
وقطع لاشمن من اشمون فما دونها فى الشرق والغرب الى منف فسكن اشمن اشمون فسميت
به وقطع لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى
البحر فسكن صا فسميت به وكانت مصر كلها على اربعة اجزا جزئين بالصعيد وجزئين باسفل
الارض وقال ابو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الادفوى فى كتاب الطالع السعيد
فى تاريخ الصعيد مسافة اقليم الصعيد الاعلى مسيرة اثنى عشر يوما بسير الجمال وعرضه
ثلاث ساعات واكثر بحسب الاماكن العامرة ويتصل عرضه فى الكورة الشرقية بالبحر
الملح واراضى البجه وفى الغربية بالواح وهو كورتان شرقيه وغربيه والنيل بينهما فاصل

فاول الشرقية من مرج بني هميم المتصلة ارضها باراضي جرجا من عمل اخميم واخرها
من قبلي البحر ويليها اول اراضي النوبة وفي هذه الكورة بيج وقفط وقوص واول
الكورة الغربية برديس يتصل ارضها بارض جرجا وفي هذه الكورة الغربية سمهود
واخر الكورة الغربية اسوان ومحاسنه كثرة النخل من الجانبين يكون مساحة الاراضي
التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين الف فدان والمستولي على اقليم الصعيد
المشتري ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب تمرا فغصبها بعض الولاة فلم
تحمل في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي وابيع منها
الغلا كل ويبة بدينار ويقال لما صورت الدنيا لامير المومنين هرون بن محمد
الرشيد لم يستحسن الا كورة سيوط من صعيد مصر فان فيها ثلاثين الف فدان في استوا
من الارض لو وقعت فيها قطرة ما لانتشرت في جميعها وبالصعيد بقايا سحر قديم حكى
الامير طقصبا والي قوص في الايام الناصرية محمد بن قلاوون قال امسكت امراة
ساحرة فقلت لها اريد ان ابصر شيا من سحرك فقالت اجود علي انا سحر العقرب على
اسم شخص بعينه فلا بد ان تقع عليه وتصيبه سمها فتقتله فقلت اريني هذا واقصدي
بسحرك فاخذت عقربا وعملت ما احبت ثم ارسلت العقرب فتبعني وانا اتنحى عنه وهو
يقصدني فجلست على تخت وضعته على بركة ما فاقبل العقرب الى ذلك الما واخذ في
التوصل الا فلم يطق ذلك فمر الى الحايط وصعد فيه وانا اشاهده حتى وصل الى السقف
ومر فيه الى ان صار فوقي والقى نفسه صوبي وسعى نحوي حتى قرب مني فضربته فقتلته
ثم قتلت الساحرة ايضا وارض الصعيد كثيرة المواشي من الضان وغيره لكثرة ساجه
حتى ان الراس الواحد من نعاج الضان تتولد عنه في عشر سنين الف واربع وعشرون
راسا وذلك بتقدير السلامة وان تلد كلها الاناث وتلد مرة واحدة في كل سنه ولا تلد في
كل بطن غير راس واحد والان ولدت في السنة مرتين وكان في كل بطن راسان تضاعف
العدد وتامل حساب ما قلنا تجده صحيحا وقد شوهد كثيرا ان من اغنام الصعيد ما يلد
في السنة ثلاث مرات ويلد في البطن الواحد ثلاثة وثلاثين روس وكانت الكثرة والغلبة
ببلاد الصعيد لستة قبايل وهي بنو هلال وبلي وجهينة وقريش ولواتة وبنو كلاب وكان
ينزل مع هولا عدة قبايل سواهم من الانصار ومن مزينة وبني دراج وبني كلاب وثعلبة
وجذام وبلغ من عمارة الصعيد ان الرجل في الايام الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها
كان يمر من القاهرة الى اسوان فلا يحتاج الى نفقة بل يجد بكل بلد وناحية عدة دور للضيافة
اذا وطن دارا منها احضر لدابته علفها وجي له بما يليق به من الاكل ونحوه والان امره الا انه
لا يجد الرجل احدا فيما بين القاهرة واسوان يضيفه لضيق الحال ثم تلاشى امر بلاد الصعيد

منذ

منذ سنة الشراقي في الايام الاشرفية شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون سنة ست
وسبعين وسبعماية وتزايد تلاشيه في الايام الظاهرية برقوق لجور الولاة ولم يزل
في ادبار الى ان كانت سنة ست وثمانماية وشرقت ارض مصر بقصور مد النيل دهي اهل
الصعيد من ذلك بما لا يوصف حتى انه مات من مدينة قوص سبعة عشر الف انسان
ومات من مدينة سيوط احد عشر الف انسان ممن غسل وكفن ومن مدينة هو خمسة
عشر الف انسان وذلك كله سوى المطرحين على الطرقات ومن لا يعرف من الغربا ونحوهم
ثم في الايام المويدية شيخ فلم يبق منها الا رسوم بتبدل الولاة الجهد في محوها

ذكر الجنادل ولمع من اخبار ارض النوبة

الجندل ما يقل الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله الواحدة جندلة والجندل الجنادل
قال سيبويه وقالوا جندل يعنون الجنادل وصرفوه لنقصان البناء عما لا ينصرف
وارض جندلة ذات جندل وقيل الجندل المكان الغليظ فيه حجارة ومكان جندل كثير
الجندل قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبة والمقرة وعلوة
والبجة والنيل واول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر من اسوان اليها خمسة اميال
واخر حصن للمسلمين جزيرة تعرف ببلاق بينها وبين قرية النوبة ميل وهو ساحل بلد
النوبة ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل في البحر لا يسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة
من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك لان هذه الجبال متقطعة وشعاب
معترضة في النيل ولانصبابه فيها خرير عظيم ودوي يسمع من بعد وبهذه القرية
مسلحة وباب الى بلد النوبة ومنها الى الجنادل الاول من بلد النوبة عشر مراحل وهي
الناحية التي يتصرف فيها المسلمون ولهم فيها قرب املاك ويتجرون في اعلاها وفيها جماعة
من المسلمين قاطنون لا يفصح احدهم بالعربية وهي ناحية ضيقة سطعة كثيرة الجبال
وما يخرج عن النيل وقراها منتشرة على شاطيه وشجرها النخل والمقل واعلاها اوسع من
ادناها وفي اعلاها الكروم والنيل لا يروي مزارعها لارتفاع ارضها وزرعها الفدان
والفدانان والثلاثة على اعناق البقر بالدواليب والقمح عندهم قليل والشعير اكثر والسلت
ويعتقبون الارض لضيقها فيزرعونها في الصيف بعد تطريتها بالزبل والتراب
الدخن والذرة والجاورس والسمسم واللوبيا وفي هذه الناحية بجراش مدينة المريس وقلعة
ابريم وقلعة اخرى دونها ولها مينا تعرف بادوا ينسب اليها لقمان الحكيم وذو النون وبها
بربى عجيب ولهذه الناحية وال من قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل من اجل ولاتهم
لقربه من ارض الاسلام ومن يخرج الى بلد النوبة من المسلمين فمعاملته معه في تجارة او
هدية اليه او الى مولاه فيقبل الجميع ويكافي عليه بالرقيق ولا يطلق لاحد الصعود الى

مولاه لا لمسلم ولا لغيره واول الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف سعوى هي ساحل
واليها تنتهي مراكب النوبة المصعدة من القصر اول بلدهم ولا تتجاوزها المراكب
ولا يطلق لاحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود منها الا باذن من صاحب جبلهم
ومنها الى المقس الاعلا ست مراحل وهي جنادل كلها واشر ناحية رايتها لصعوبتها
وضيقها ومشقة مسالكها اما بحرها فجنادل وجبال معترضة منه حتى ان النيل ينصب
شعابا ويضيق في مواضع حتى يكون سعة ما بين الجانبين خمسين ذراعا وبرها
مجاوب ضيقة وجبال شاهقة وطرقات ضيقة حتى لا يمكن الراكب ان يصعد منها
والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها ورمال في غربها وشرقيها وهذه الجبال حصنهم
واليها يفزع اهل الناحية التي قبلها المتصلة بارض الاسلام وفي جزايرها نخل يسير
وزرع حقير واكثر اكلهم السمك ويدهنون بشحمه وهي من ارض مريس وصاحب
الجبل واليهم والمسلحة بالمقس الاعلا صاحبه من قبل كبيرهم شديد الضبط لها حتى
ان عظيمهم اذا جاز بها وقف به المسلحي واوهم انه يفتش عليه حتى يجد الطريق الى
ولده ووزيره فمن دونهما ولا يجوزها دينار ولا درهم اذ كانوا لا يتبايعون بذلك
الا دون الجنادل مع المسلمين وما فوق ذلك فلا بيع بينهم ولا شرا وانما هي معاوضة
بالرقيق والمواشي والجمال والحديد والحبوب ولا يطلق لاحد ان يجوزها الا باذن
الملك ومن خالف كان جزاوه القتل كاينا ما كان وبهذا الاحتياط تنكتم اخبارهم حتى
ان العسكر منهم يهجم في البلد الى البادية وغيرهم فلا يعلمون به والسنباذج الذي يحط
به الجوهر يخرج من النيل في هذه المواضع يغطس عليه فيوجد جسمه باردا مخالفا
للحجارة فاذا اشكل عليه نفخ فيه بالفم فيعرق ومن هذه المسلحة الى قرية تعرف بساي حد
ايضا وهي احد كراسيهم ولهم فيها اسقف وفيها بربا ثم ناحية سقلوذا وتفسيرها السبع
ولاة وهي اشبه الارض بالارض المتاخمة لارض الاسلام في السعة والضيق في مواضع
والنخل والكرم والزرع وشجر المقل وفيها شي من شجر القطن ويعمل منه ثياب وخشنة وبها
شجر الزيتون ووالينا من قبل كبيرهم وتحت يده ولاة متصرفون وفيها قلعة تعرف
باصطنون وهي اول الجنادل الثالثة وهي اشد الجنادل صعوبة لان فيها جبلا معترضا
من الشرق الى الغرب في النيل والما ينصب من ثلاثة ابواب وربما رجع الى ما بين عند
الخسارة شديد الخرير عجيب المنظر لتحدر الما عليه من علو الجبل وقبليه فرش حجارة في
النيل نحو ثلاثة ابرد في اولها قرية تعرف بستو وهي اخر قرى مريس واول بلد مقرة ومن
هذا الموضع الى حد المسلمين لسانهم مريسي وهو اخر عمل متملكهم ثم ناحية بقون وتفسيرها
العجب وهو عند اسمها لحسنها وما رايت في النيل اوسع منها وقدرت ان سعة النيل

فيها من الشرق الى الغرب مسيرة خمس مراحل الجزاير تقطعه والانهار منه تجري بينها
في ارض منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة بابرجة حمام ومواش وانعام واكثر
ميرة مدينتهم منها وطيورها النغنبط والنوبى والبنغ وغير ذلك من الطيور الحسان
واكثر نزهة كبيرهم في هذه الناحية قال وكنت معه في بعض الاوقات فكان سيرنا
تحت ظل شجر من الحافتين في الخلجان الضيقة وقيل ان التمساح لا يضر هناك ورايتهم يعبرون
اكثر هذه الانهار سباحة ثم سقد بقل وهي ناحية ضيقة شبيهة باول بلادهم
الا ان فيها جزايرحسانا وفيها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالابنية الحسان
والكنايس والديارات والنخل الكثير والكروم والبساتين والزرع ومروج كبار فيها
ابل وجمال صهب مرسلة للنتاج وكبيرهم يكثر الدخول اليها لان طرفها القبلي يحاذي
دنقلة مدينتهم ومن مدينة دنقلة دار المملكة الى اسوان خمسون مرحلة وذكر صفتها
ثم قال انهم يسقفون مجالسهم بخشب السنط وبخشب الساج الذي ياتي به النيل في وقت
الزيادة استقالات منحوتة لا يدرى من اين تاتي ولقد رايت في بعضها علامة غريبة
ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد علوه اكثر مما بينها وبين اسوان وفي ذلك من القرى
والضياع والجزاير والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم اضعاف ما في الجانب الذي
يلي ارض الاسلام وفي هذه الاماكن جزاير عظام مسيرة ايام فيها الجبال والوحش والسباع
ومفاوز يخاف فيها العطش والنيل ينعطف من هذه النواحي الى مطلع الشمس والى
مغربها مسيرة ايام حتى يصير المصعد كالمنحدر وهي الناحية التي يبلغ العطوف من النيل
الى المعدن المعروف بالشنكه وهي بلد تعرف بشنقير ومنه خرج العمري وتغلب على هذه
الناحية الى ان كان من امره ما كان وفرس البحر يكثر في هذا الموضع ومن هذا الموضع طرق الى
سواكن وباضع ودهلك وجزاير البحر ومنها عبر من نجا من بني امية عند هربهم الى النوبة
وفيها حلوم من البجه يعرفون بالزنافج انتقلوا الى النوبة قديما وقطنوا هناك وهم على جملتهم في
الرعي واللغة لا يخالطون النوبة ولا يسكنون قراهم وعليهم وال من قبل النوبة

ذكر شعب النيل من بلاد علوه ومن يسكن عليه من الامم

اعلم ان النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة وهم المريس المجاورون
لارض الاسلام وبين اول بلدهم وبين اسوان خمسة اميال ويقال ان سلها جد النوبة
ومقرى جد المقرة من اليمن وقيل ان النوبة ومقرى من حمير واكثر اهل الانساب على انهم
جميعا من ولد حام بن نوح وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية واول ارض المقرة
قرية تعرف سافنة على مرحلة من اسوان ومدينة ملكهم يقال لها نخراش على اقل من عشر مراحل

من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاهم قبل مبعثه في ايام فرعون فاخرب
بلادهم وكانوا صابيه يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا النوبه
والمقره ومدينه دنقله هي دار مملكتهم واول بلاد علوه قرى في الشرق على شاطى النيل
تعرف بالابواب ولهذه الناحية والٍ من قبل صاحب بلد علوه يعرف بالوحواح والنيل
يتشعب من هذه الناحية على سبعة انهار فمنه نهر ياتي من ناحية المشرق كدر الما
يجف في الصيف حتى يسكن بطنه فاذا كان وقت زيادة النيل نبع فيه الما وزادت البرك
التي فيه واقبل المطر والسيول في ساير البلد فوقعت الزيادة في النيل وقيل ان اخر هذا
النهر عين عظيمه تاتي من جبل قال مورخ النوبه وحدثني سيمون صاحب عهد بلد علوه
انه يوجد في بطن هذا النهر في الطين حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما في النيل يحفر عليه
قامة واكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه جنس مولد بين العلوة والبجه يقال لهم الدكيون
وجنس يقال لهم نازه ياتي من عندهم طير يعرف بحمام نازه ثم بعد هولا اول بلاد الحبشه
ثم النيل الابيض وهو نهر ياتي من ناحية الغرب شديد البياض مثل اللبن قال وقد
سالت من طرق بلد السودان من المغاربه عن النيل الذي عندهم وعن لونه فذكروا انه
يخرج من جبال الرمل او جبل الرمل وانه يجتمع في بلاد السودان في برك عظام ثم ينصب الى
ما لا يعرف وانه ليس بابيض فاما ان يكون ذلك اللون مما يمر عليه او من نهر اخر ينصب الى
هذا وعليه اجناس من جانبيه ثم النيل الاخضر وهو نهر ياتي من القبلة مما يلي الشرق شديد
الخضرة صافي اللون جدا يرى ما في قعره من السمك وطعمه مخالف لطعم النيل يعطش الشارب
منه بسرعة وحيتان الجميع واحده غير ان الطعم يختلف وياتي فيه وقت الزيادة خشب
الساج والبقم والقنا وخشب له رايحة كرايحة اللبان وخشب غلاظ ينحت ويعمل منه
معدا وعلى شاطيه ينبت هذا الخشب ايضا وقيل انه وجد فيه عود البخور قال ورايت
في بعض السقا لات المنحوته الساج التي ياتي فيه وقت الزيادة علامة عربيه ويجتمع
هذان النهران الابيض والاخضر عند مدينة متملك بلد علوه ويبقيان على الوانهما
قريبا من مرحله ثم يختلطان بعد ذلك وبينهما امواج كبار عظيمه بتلاطمها قال واخبرني
من حمل النيل الابيض وصبه في النيل الاخضر فبقي فيه مثل اللبن ساعه قبل ان يختلطا وبين
هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية وكذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية فاولها يعرف
عرضه ثم يتسع فيصير مسافة شهر ثم لا يدرك سعتها لخوف من يسكنها بعضهم من بعض
لان فيها اجناسا كثيرة وخلقا عظيما قال وبلغني ان بعض متملكي بلد علوه سار فيها يريد
اقصاها فلم يات عليه بعد سنين وان في طرفها القبلي جنسا يسكنون ودوابهم في بيوت
تحت الارض مثل السراديب بالنهار من شدة حر الشمس ويسرحون في الليل وفيهم

مكتسب

قوم عراة والاربعة الانهار الباقيه تاتي ايضا من القبله مما يلي الشرق ايضا في وقت
واحد ولا يعرف لها نهاية ايضا وهي دون النهرين الابيض والاخضر في العرض وكثرة
الخلجان والجزاير وجميع الاربعة الانهار تنصب في الاخضر وكذلك الاول الذي تقدمت
ذكره ثم يجتمع مع الابيض والجميع مسكونة عامرة مسلوك فيها بالسفن وغيرها وواحد هذه
الاربعة ياتي من بلد الحبشه قال ولقد اكثرت السوال عنها وكشفتها من قوم عن قوم فما
وجدت مخبرا يقول انه وقف على نهاية جميع هذه الانهار والذي انتهى اليه علم من عرفني
عن اخرين الى الخراب وانه ياتي في وقت الزيادة في هذه الانهار آلة مراكب وابواب وغير
ذلك فيدل على عمارة بعد الخراب فاما الزيادة فيجمعون انها من الامطار مع مادة تاتي من
ذاتها والدليل على ذلك النهر الذي يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجايبه
ان زيادته في انهاره مجتمعة وساير النواحي والبلدان في مصر وما يليها والصعيد بين
اسوان وبلدي النوبة وعلوه وما وراء ذلك في زمان واحد ووقت واحد واكثر ما وقف
عليه من هذه الزيادة انه ربما وجدت مثلا باسوان ولا توجد بقوص ثم تاتي بعد
فاذا كثرت الامطار عندهم واتصلت السيول علم انها سنة ري واذا قصرت الامطار علم
انها سنة ظما قال واما من طرق بلد الزنج فانهم اخبروا في عظم سيرهم في بحر الصين الى بلد
الزنج بالريح الشمال مساحلين للجانب الشرقي من جزيرة مصر حتى ينتهوا الى موضع يعرف
براس حفري وهو عندهم اخر جزيرة مصر فينتظرون كوكبا يعتدون به فيقصدون
الغرب ثم يعودون الى البحر وتصير الشمال في وجوههم حتى ياتوا الى قبله من بلاد
الزنج وهي مدينة متملكهم وتصير قبلتهم للصلاة الى جده قال وبعض الانهار الاربعة
ياتي من بلاد الزنج لانه ياتي فيه الخشب الزنجي وسويه مدينة العلوي من الجزيرة
الكبرى التي بين البحرين الاخضر والابيض في الطرف الشمالي منها عند مجتمعهما وشرقيها
النهر الذي يجف ويسكن بطنه وفيها ابنيه حسان ودور واسعه وكنايس كثيرة
الذهب وبساتين ولها ربض فيه جماعة من المسلمين ومتملك علوه اكثر مالا من متملك
المقرة واعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقري وبلده اخصب واوسع والنخل
والكرم عنده يسير واكثر حبوبهم الذرة البيضا التي مثل الارز منها خبزهم ومزرهم
واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى انه لا يوصل الى
الجبل الا في ايام وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب ودينهم النصرانيه يعاقبه
واساقفهم من قبل صاحب الاسكندريه كالنوبة وكتبهم بالرومية يفسرونها
بلسانهم وهم اقل فهما من النوبة وملكهم يسترق من شا من رعيته بجرم وبغير جرم ولا
ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له ولا يعصون امره على المكروه الواقع بهم وينادون

الملك بعيش وليكل امره وهو متتوج والذهب في بلده ومما في بلده من العجايب ان في
الجزيرة الكبرى التي بين البحرين جنسا يعرف بالكرسا لهم ارض واسعه مزدرعة من النيل
والمطر فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار
ما معه وزرع في اربعة اركان الخطة يسيرا وجعل البذر في وسط الخطة وشيا من المزر
وانصرف عنه فاذا اصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد
حصد يسيرا منه ووضعه في موضع ارادته ومعه مزر وينصرف فيجد الزرع قد حصد
باسره وجرن فاذا اراد دراسه وتذريته فعل به كذلك وربما اراد احدهم ان ينقي زرعه من
الحشيش فيغلط بقلع شي من الزرع فيصبح وقد قلع جميع الزرع وهذه الناحية التي فيها ما
ذكرته بلدان واسعه مسيرة شهرين يزرع جميعه في وقت واحد ومن بلد علوة وتملكهم
من هذه الناحية يوجهون المراكب فتوسق وربما وقع بينهم حرب قال وهذه الحكاية صحيحة معروفة
مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق تلك البلاد من تجار المسلمين لا يشكون فيه ولا يرتابون
به ولولا اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطو على مثله لما ذكرت شيا منه لشناعته
فاما اهل الناحية فيزعمون ان الجان تفعل ذلك وانها تظهر لبعضهم وتخدمهم بجاره ونطا
لهم بها ويعمل لهم عجايب وان السحاب تطيعهم قال ومن عجايب ما حدثني به ملك
المقرة للنوبة انهم يمطرون في الجبال ويلتقطون منه للوقت سمكا على وجه الارض وسالتهم
عن جنسه فذكروا انه صغير القدر باذناب حمر قال وقد رايت جماعة واجناسا ممن تقدم
ذكره اكثرهم يعترفون بالباري سبحانه ويتقربون له بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا
يعرف الباري ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كلما استحسنه من شجرة او بهيمة
وذكر انه راى رجلا في مجلس عظيم المقرة ساله عن بلده فقال مسافته الى النيل ثلاثه اشهر
وساله عن دينه فقال ربي وربك ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فاين
يكون قال في السما وحده سبحانه وقال انه اذا ابطا عنهم المطر او اصابهم الوبا او وقع
بدوابهم افة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابوا للوقت وتقضى حاجتهم قبل ان ينزلوا وسالته
هل ارسل فيهم رسول قال لا فذكرت له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله
عليهم وسلامه وما ايدوا به من المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا ثم قال
قد صدقتهم ان كانوا فعلوا قال كان قد غلب اولاد كنز الدولة على النوبة وملكوها
من سنة واعلم ان على صفة النيل ايضا الكلام وملكها مسلم وبينه وبين بلاد مالي مسافة بعيدة
جدا وقاعدة ملكه بلدة اسمها جيمي اول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زلا واخرها طولا
بلدة يقال لها كاكا وبينهما نحو ثلاثة اشهر وهم مسلمون وملكهم متحجب لا يرى الا يوم العيدين
بكرة وعند العصر وطول السنة لا يكلمه احد الا من وراء حجاب وغالب عيشهم الارز
وهو

وهو ينبت من غير بذر وعندهم القمح والذرة والتين والليمون والباذنجان واللفت
والرطبه ويتعاملون بقماش ينسج عندهم اسمه دندي طول كل ثوب عشرة اذرع يشترون
به من ربع ذراع فاكثر ويتعاملون ايضا بالودع والخرز والنحاس المكسر والورق وجميع ذلك
بسعر ذلك القماش وفي جنوبها شعاري وصحاري فيها اشخاص متوحشة كالغول قريبة من
شكل الادمي لا يلحقها الفارس تؤذي الناس ويظهر في الليل ايضا شبه قلل نار تضي فاذا
مشى احد ليلحقها بعدت عنه ولو جرى اليها لا يصل اليها بل لا تزال امامه فاذا رماها
بحجر فاصابها تنشظى منها شرر وتحفظ عندهم اليقطينه حتى يصنع منها مركب يعبر فيه في
النيل وهذه البلاد بين افريقيه وبرقه ممتدة في الجنوب الى سمت المغرب الاوسط
وهي بلاد قحط وشظف وسو مزاج واول من نشر بها الاسلام الهادي العثماني ادعى انه
من ولد عثمن بن عفان رضي الله عنه وصارت بعده لليزنيين من بني سيف بن ذي يزن
وهم على مذهب الامام مالك بن انس رحمه الله والعدل قايم بينهم وهم يابسون في الدين
لا يلينون وبنوا بمدينة مصر مدرسة للمالكيه عرفت بمدرسة ابن رشيق في سني بضع
وستمايه وصارت وفودهم تنزل بها وسنرد ذكرها في المدارس ان شا الله

ذكر البجه

ويقال انهم من البربر اعلم ان اول بلد البجه من قرية
تعرف بالخربه معدن الزمرد في صحرا قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو ثلاث مراحل
وذكر الجاحظ ان ليس في الدنيا معدن للزمرد غير هذا الموضع وهو يوجد في مغار بعيدة
مظلمة يدخل اليها بالمصابيح وحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر عليه
بالمعاول فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ والجوهر واخر بلاد
البجة اول بلاد الحبشة وهم في بطن هذه الجزيرة اعني جزيرة مصر الى سيف البحر الملح على
جزاير سواكن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلا حيث ما كان الرعي باخبية من
جلود وانسابهم من جهة النسا ولكل بطن منهم رييس وليس عليهم متملك ولا لهم دين ويورثون
ابن الاخت وابن البنت اصح وان يكون من زوجها او من غيره فهو ولدها على كل حال وكان
لهم قديما رييس يرجع جميع روسايهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هي اقصى جزيرة البجه ويركبون
البخت الصهب وتنتج عندهم وكذلك الجمال العراب كثيرة عندهم ايضا والمواشي من البقر
والغنم والضان غاية في الكثرة عندهم وبقرهم حسان ملمعة بقرون عظام ومنها جم
وكباشهم كذلك مثمرة ولها اليات وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن واكلهم الخبز قليل وفيهم من ياكله
وابدانهم صحاح وبطونهم خماص والوانهم مشرقة الصفرة ولهم سرعة في الجري يسابقون بها
الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو وصبورة عليه وعلى العطش يسابقون عليها الخيل
ويقاتلون عليها وتدور لهم كما يشتهون ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره

ويطاردون نعليها ونبغ منهم في بعض الاوقات رجل يعرف بكلاز شديد مقدام وله حملها
سمع عليه في السرعة وكان اعور وصاحبه كذلك التزم لقومه انه يشرف على مصلى مصر يوم العيد
وقد قرب العيد وربما لا يكون للبلوغ اليها في مثله حقيقة نوفا بذلك واشرف على المقطم
وصربت الخيل خلفه فلم يلحق وهذا هو الذي اوجب ان يكون في الفج طليعة يوم العيد
فكان الطولونية وغيرهم من امرا مصر يوقفون من سفح جبل المقطم مما يلي الموضع المعروف
بالحبش جيشا كثيفا مراعيا للناس حتى ينصرفون من عيدهم في كل عيد وهم اصحاب رومة
فاذا غدر احدهم رفع المغدور به ثوبا على حربة وقال هذا عرش فلان يعنى ابا
الغادر فتصير سبة عليه الى ان يترضوه وهم يبالغون في الضيافة فاذا طرق احدهم
الضيف ذبح له فاذا تجاوز ثلاثة نحر لهم من اقرب الانعام اليه سوا كانت له او لغيره
وان لم يكن شي نحر راحلة الضيف وعوضه ما هو خير وسلاحهم الحراب عريضة مقدار
طول الحديدة ثلاثة اذرع والعود اربع اذرع وبذلك سميت سباعية والحديدة في عرض
السيف لا يخرجونها من ايديهم الا في بعض الاوقات لان في اخر العود شبيها بالفلكة
يمنع خروجها عن ايديهم وصناع هذه الحراب نسا في موضع لا يختلط بهن رجل الا
المشترى منهن فاذا ولدت احداهن من الطارقين لهن جارية استحينها وان ولدت غلاما
قتلنه ويقلن ان الرجال بلا وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة
تعرف بالاكسومية من جلود الجواميس وكذلك الدهلكية ومن دابة في البحر وقسيهم
عربية كبار غلاظ من السدر والشوحط يرمون عنها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من
عروق شجر الغلفة يطبخ على النار حتى يصير مثل الغرا فاذا اراد وا تجربته شرط احدهم
وسيل الدم ثم شممه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم ليلا يرجع الى
جسمه فيقتله فاذا اصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحجام وليس له عمل في غير
الجرح والدم وان شرب منه لم يضر وبلدانهم كلها معادن وكلما تصاعدت كانت
اجود الذهب واكثر وفيها معادن للفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس
والمرقشيثا والجمست والزمرد وحجارة تتشظا فاذا بلت الشظية منه بزيت وقدت
مثل الفتيلة وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه والبجة لا تتعرض لعمل شي
من هذه المعادن وفي اوديتهم شجر المقل والاهليلج والاذخر والشيح والسنا والحنظل
وشجر البان وغير ذلك وباقصى بلدهم النخل وشجر الكرم والرياحين وغير ذلك مما يزرعه
احد وبها ساير الوحش من السباع والفيلة والنمور والفهود والقردة وعناق الارض
والزباد ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقا
اذا صيدت ومن الطيور الببغا والنغتبط والنوبي والقماري ودجاج الحبش

وحمام

وحمام بازين وغير ذلك وليس بينهم رجل الا منزوع البيضة اليمنى واما النسا فمقطوع
اشفار فروجهن وانه يلتحم حتى يشق عنه للمزوج بمقدار ذكر الرجل ثم قل هذا الفعل عندهم
وقيل ان السبب في ذلك ان ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم وشرط عليهم قطع ثدايا ما
يولد لهم من النسا وقطع ذكور ما يولد من الرجال اراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط
وقلبوا المعنى في ان جعلوا قطع الثدايا للرجال والفروج للنسا وفيهم جنس يقلعون ثناياهم
ويقولون لا نتشبه بالحمير وفيهم جنس اخر في اخر بلد البجة يقال لهم البازة نسا جميعهم
يتسمون باسم واحد وكذلك الرجال وطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم
بعضا وقالوا هذا الله قد نزل من السما وهو جالس تحت الشجرة فجعلوا ينظرون اليه من بعد
وتعظم الحيات ببلدهم ويكثر اصنافها ورويت حية في غدير ما قد اخرجت ذنبها
والتفت على المراة ووردت فقتلتها فروي شحمها قد خرج من دبرها من شدة الضغطة
وبها حية ليس لها راس وطرفاها سوا نقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على
اثرها مات واذا قتلت وامسك القاتل ما قتلها به من عود او حربة في يده ولم يلقها
من ساعته مات وقتلت حية منها بخشبة بالسقف الخشبة واذا تامل هذه الحية عدو في
بيته او حيه اصابه ضررها وفي البجة شرو تسرع اليه ولهم في الاسلام وقبله اذية على
شرق صعيد مصر خربوا هناك قرى عديدة وكانت فراعنة مصر تغزوهم وتوادعهم
احيانا لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم لما ان ملكوا مصر ولهم في المعدن اثار مشهورة
وكان اصحابهم بها وقد فتحت مصر قال عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحكم وبعث لعبد الله بن سعد
ابن ابي سرح في انصرافه من النوبة على شاطي النيل البجة فسال عن شانهم فاخبر انه ليس لهم
ملك يرجعون اليه فهان عليه امرهم وتركهم ولم يكن لهم عهد ولا صلح وكان اول من
هادنهم عبيد الله بن الحبحاب السلولي وذكر انه وجد في كتاب ابن الحبحاب لهم ثلثماية
بكر في كل عام حتى ينزلوا الريف مجتازين تجارا غير مقيمين على ان لا يقتلوا مسلما ولا ذميا
فان قتلوه فلا عهد لهم ولا يوووا عبيد المسلمين وان يردوا اباقهم اذا وقعوا اليهم ويقال
انهم كانوا يوخذون بهذا وبكل شاة اخذها كاوي فعليه اربعة دنانير وللبقرة عشرة
وكان وكيلهم مقيما بالريف رهينة بيد المسلمين ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوهم
وتزوجوا فيهم واسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب اسلاما ضعيفا وهم شوكة القوم
ووجوههم وهم يلي صعيد مصر منا ولحد فيما يلي العلاقي وعيذاب المعبر منه الى جدة
وما ورا ذلك ومعهم جنس اخر يعرف بالزنافج هم اكثر عددا من الحدارب غير انهم تبع
لهم وخفرا وهم يحمونهم ويحوطهم المواشي ولكل رئيس من الحدارب قوم من الزنافج في حكمه
فهم كالعبيد يتوارثونهم بعد ان كانت الزنافج قديما اظهر عليهم ثم كثرت اذيتهم على

المسلمين وكانت ولاة اسوان من العراق فرفع الى امير المومنين المامون خبرهم فاخرج اليهم الذي
عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقايع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير
يكون بقريتهم هجر المقدم ذكرها كتابا نسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى امير المومنين
صاحب جيش الغزاة عامل الامير ابي اسحق بن امير المومنين الرشيد ابقاه الله في شهر ربيع الاول
سنة ست عشرة ومايتين لكنون بن عبد العزيز عظيم البجه باسوان انك سالتني وطلبت الي ان اومنك
واهل بلدك من البجه واعقد لك ولهم امانا علي وعلى جميع المسلمين فاجبتك الى ان عقدت لك علي وعلى
جميع المسلمين امانا ما استقمت واستقاموا على ما اعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا وذلك ان يكون سهل
بلدك وجبلها من منتهى حد اسوان من ارض مصر الى حد ما بين دهلك وباضع ملكا للمامون عبد الله
ابن هرون امير المومنين اعزه الله وانت وجميع اهل بلدك عبيد لامير المومنين الا انه يترك في
بلدك ملكا على ما انت عليه في البجه وعلى ان تودي اليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجه
وذلك مائة من الابل او ثلثماية دينار وازنة داخلة في بيت المال والخيار في ذلك لامير المومنين
ولولاته وليس لك ان تخرم منه شيا عليك من الخراج وعلى ان كل احد منكم ان ذكر محمدا رسول
الله صلى الله عليه وسلم او كتاب الله او دينه بما لا ينبغي ان يذكره به او قتل احدا من المسلمين حرا او عبدا
فقد بريت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة امير المومنين اعزه الله ودمه
جماعة المسلمين حلال دمه كما يحل دم اهل الحرب وذراريهم وعلى ان احدا منكم ان اعان المحاربين على
اهل الاسلام بمال او دلهم على عورة من عورات المسلمين او اثر لغرتهم فقد نقض ذمة عهده وحل دمه
وعلى ان احدا منكم ان قتل احدا من المسلمين عمدا او خطا حرا او عبدا او احدا من اهل ذمة المسلمين او
اصاب لاحد من المسلمين او اهل ذمتهم مالا ببلاد البجه او في بلاد الاسلام او ببلاد النوبة
او في شي من البلدان برا او بحرا فعليه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد المسلم عشر قيم وفي
قتل الذمي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال اصبتموه للمسلمين واهل الذمة عشرة اضعافه وان
دخل احد من المسلمين بلاد البجه تاجرا او مقيما او مجتازا او حاجا فهو آمن فيكم كاحدكم حتى يخرج من
بلادكم ولا تاووا احدا من اباق المسلمين فان اتاكم آت فعليكم ان تردوه الى المسلمين وعلى ان تردوا
اموال المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا موونة تلزمهم في ذلك وعلى انكم ان نزلتم ريف
صعيد مصر لتجارة او مجتازين لا تظهرون سلاحا ولا تدخلوا المداين والقرى بحال ولا تمنعوا
احدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق
على احد من المسلمين ولا اهل الذمة ولا تسرقوا المسلم ولا الذمي مالا وعلى ان لا تهدموا شيا من المساجد
التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وبساير بلادكم طولا وعرضا فان فعلتم شيا من ذلك فلا عهد
لكم ولا ذمة وعلى ان كنون بن عبد العزيز يقيم بريف صعيد مصر وكيلا يوفي المسلمين ما شرط لهم
من دفع الخراج ورد ما اصابه البجه للمسلمين من دم ومال وعلى ان احدا من البجه لا يعترض حد

القصر الى قرية يقال لها قبان من بلد النوبة حدا لا يعدوه عقد عبيد الله بن الجهم مولى امير
المومنين لكنون بن عبد العزيز كبير البجه الامان على ما سمينا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى ان
يوافي به امير المومنين فان لم يفعل كنون او عاث فلا عهد له ولا ذمة وعلى كنون ان يدخل
عمال امير المومنين بلاد البجه لقبض صدقات اموال من اسلم من البجه وعلى كنون الوفا بما شرط
لعبيد الله بن الجهم واخذ بذلك عهد الله عليه باعظم ما اخذ على خلقه من الوفا والميثاق ولكنون
ابن عبد العزيز ولجميع البجه عهد الله وميثاقه وذمة امير المومنين وذمة الامير ابي اسحق
ابن امير المومنين الرشيد وذمة عبيد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفا بما اعطاه عبيد الله بن
الجهم ما وفى كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فان غير او بدل احد من البجه فذمة الله جل
اسمه وذمة امير المومنين وذمة الامير ابي اسحق بن امير المومنين الرشيد وذمة عبيد الله
ابن الجهم وذمة المسلمين بريه منهم وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا حرفا زكريا بن صالح المخزومي
من سكان جدة وعبد الله بن اسمعيل القرشي ثم سمى جماعة ممن شهدوا باسوان فاقام البجه على
ذلك برهة ثم عادوا الى الغزو والعيث من صعيد مصر وكثر الضجيج منهم الى امير المومنين جعفر
المتوكل على الله فندب لحربهم محمد بن عبد الله القمي فسال ان يختار من الرجال من احب ولم يرغب في
الكثرة لصعوبة المسالك فخرج اليهم من مصر في عدة قوية ورجال منتخبة وسارت المراكب في
البحر فاجتمع البجه له في عدد كثير عظيم قد ركبوا الابل فهابهم المسلمون فشغلهم بكتاب طويل
كتبه في طومار ولفه بثوب فاجتمعوا لقراته فحمل عليهم وفي اعناق الخيل الاجراس فنفرت
الجمال بالبجه ولم تثبت لصلصلة الاجراس فركب المسلمون اقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة
وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن اخيه وبعث يطلب الهدنة فصالحهم على ان يطا بساط امير
المومنين فسار الى بغداد وقدم على المتوكل بسر من راى في سنة احدى واربعين ومايتين
فصولح على اداء الاتاوة والبقط واشترط عليهم ان لا يمنعوا المسلمين من العمل في المعدن واقام
القمي باسوان مدة وترك في خزاينها ما كان معه من السلاح والة الغزو فلم تزل الولاة تاخذ
منه حتى لم يبقوا شيا فلما كثر المسلمون في المعادن واختلطوا بالبجه قل شرهم وظهر التبر
لكثرة طلابه وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان وقدم عليهم ابو عبد الرحمن عبد الله بن
محمد بن عبد الحميد العمري بعد محاربته النوبة في سنة خمس وخمسين ومايتين ومعه ربيعة
وجهينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمارة في البجه حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم
من اسوان ستين الف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب ومالت البجه الى ربيعة
وتزوجوا اليهم وقيل ان كهان البجه قبل اسلام من اسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة
لربيعة والكون معها فهم على ذلك فلما قتل العمري استولت ربيعة على الجزيرة وولوا الامر على
البجه فاخرجت رجال ربيعة من العرب وتصاهروا الى روسا البجه وبذلك كف ضررهم عن المسلمين

والبجة الداخلة في صحرا بلد علوة مما يلي البحر الملح الى اول الحبشة وحالهم في الظعن والمواشي
واتباع الرعي والمعيشة والمراكب والسلاح كحال الحدارب الا ان الحدارب اشجع واهدى
والداخلة على كفرهم من عبادة الشيطان والاقتدا بكهانهم ولكل بطن كاهن يضرب قبة
من ادم يتعبد هو فيها فاذا ارادوا استخباره عما يحتاجون اليه تعرى ودخل الى القبة مدبرا
ويخرج اليهم وبه اثر جنون وصراع فيقول الشيطان يقريكم السلام ويقول لكم ارحلوا عن
هذه الرحلة فان الرهط الفلاني يقع بكم وسالتم عن الغزو الى بلد كذا فسيروا فانكم تظفرون
وتغنمون كذا وكذا والجمال التي تاخذونها من موضع كذا هي لي والجارية الفلانية التي تجدونها
في الخبا الفلاني والغنم التي من صفتها كذا ونحو هذا القول فيزعمون انه يصدقهم في اكثر ذلك
فاذا غنموا اخرجوا له من الغنيمة ما ذكر ووقفوه الى الكاهن يتموله ويحرمون الباقي ونونها
على من لم يقبل واذا ارادوا الرحيل حمل الكاهن هذه القبة على جمل مفرد فيزعمون ان ذلك
الجمل لا يثور الا بجهد وكذلك سيره ويتصبب عرقا والخيمة فارغة لا شي فيها وقد بقي في
الحدارب من هو على هذا المذهب ومنهم من يتمسك بذلك مع اسلامه قال مورخ النوبة
ومنه لخصت ما تقدم ذكره وقد قرات في خطبة الاجناس لامير المومنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ذكر البجة والكجة ويقول عنهم شديد كلبهم قليل سلبهم فالبجة كذلك واما
الكجة فلا اعرفهم انتهى ما ذكره عبد الله بن احمد مورخ النوبة وقال ابو الحسن المسعودي
فاما البجة فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفي ارضهم
معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد ويتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى
بلاد النوبة فيغزون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك اشد من البجة الى ان قوي الاسلام
وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب وسكن في تلك الديار
خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجة
فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة فقويت ربيعة بالبجة على من ناواها وجاورها
من قحطان وغيرهم ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين
وثلثين وثلثماية بشر بن مروان بن اسحق بن ربيعة يركب في ثلاثة الاف من ربيعة واحلافها
من مضر واليمن وثلاثين الف حراب على النجب من البجة بالحجف البجاوية وهم الحداربة وهم
مسلمون من بين ساير البجة والدخلا من البجة كفار يعبدون صنما لهم ثم بوادي البجة المالكة
لمعدن الزمرد تتصل ديارها بالعلاقي وهو معدن الذهب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة
مرحلة واقرب العمارة اليه مدينة اسوان وجزيرة سواكن اقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر
الحبشي قصير مخاض واهلها طايفة من البجة تسمى الخاسة وهم مسلمون ولهم بها ملك
وقال الهمداني نكح كنعان بن حام ارتيب بنت بتاويل بن ترس بن يافث فولدت له حقا

والاساود

١٦١

والاساود ونوبة وفزان والزنج والزغاوة واجناس السودان وقيل البجة ولد حام بن نوح
وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجة قبيلة من الحبش والبجة اصحاب اخبية من شعر
والوانهم اشد سوادا من الحبشة ويتزيون بزي العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم
ما ينقل اليهم من ارض الحبشة وارض مصر والنوبة وكانت البجة تعبد الاصنام ثم اسلموا في
امارة عبد الله بن سعد بن ابي سرح وفيهم كرم وسماحة وهم قبايل ولاحاد كل محد رييس وهم
اهل نجعة وطعامهم اللحم واللبن فقط

ذكر مدينة اسوان

اسوان من قولهم اسي الرجل ياسي اسى اذا حزن ورجل اسيان واسوان اي حزين واسوان
في اخر بلاد الصعيد وهي ثغر من ثغور الاقليم متصل بين النوبة وبين ارض مصر وكانت
كثيرة الحنطة وغيرها من الحبوب والفواكه والخضراوات والبقول وكانت كثيرة الحيوانات من
الابل والبقر والغنم ولحامها هناك غاية في الطيب والسمن وكانت اسعارها ابدا رخيصة وبها
تجارات وبضايع تحمل منها الى بلاد النوبة ويتصل باسوان من شرقيها بلد اسلاي وفي جنوبها
جبل به معدن الزمرد وهو في برية منقطعة من العمارة وعلى خمسة عشر يوما من اسوان معدن
الذهب ويتصل باسوان من غربيها الواحات وتلك من اسوان الى عيذاب ويتوصل من عيذاب
الى الحجاز والى اليمن والهند قال المسعودي ومدينة اسوان يسكنها خلق من العرب
من قحطان ونزار من ربيعة ومضر وخلق من قريش واكثرهم من الحجاز والبلد كثير النخل خصيب
كثير الخير تودع النواة الارض فتنبت نخلة ويوكل من ثمرها بعد سنتين ولمن باسوان ضياع
كثيرة داخلة بارض النوبة يودون خراجها الى ملك النوبة وابتيعت هذه الضياع من النوبة
في صدر الاسلام في دولة بني امية وبني العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المامون حين
دخل مصر على هولا القوم بوفد وفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناسا من اهل مملكته
وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من اهل اسوان وانها ضياعه والقوم عبيده
لا املاك لهم وانما تملكهم في هذه الضياع تملك العبيد العامرين فيها فرد المامون امرهم الى الحاكم
بمدينة اسوان ومن بها من اهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من اهل اسوان انها
ستنتزع من ايديهم فاحتالوا على ملك النوبة بان تقدموا الى من ابتاعوا منهم من النوبة انهم اذا
حضروا حضرة الحاكم ان لا يقروا لملكهم بالعبودية وان يقولوا سبيلنا معاشر النوبة
سبيلكم مع ملككم يجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم انتم عبيدا لملككم واموالكم له فنحن
كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك اتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما اوقفوهم عليه
من هذا المعنى فمضى البيع لعدم اقرارهم بالرق لملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك
الضياع بارض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة اهل مملكة هذا الملك نوعين نوع من
وصفنا احرار غير عبيد والنوع الاخر من اهل مملكته عبيد وهم من سكن من النوبة في غير

هذه البلاد المجاورة لاسوان وهي بلاد مريس قال واما النوبة فافترقت فرقتين فرقة
في شرق النيل وغربه فاناخت على شاطيه واتصلت ديارهابديار القبط من ارض صعيد
مصر واتسعت مساكن النوبة على شاطى النيل مصعدة ولحقوا بقرب من اعاليه وبنوا دار
مملكة وهي مدينة عظيمة تدعا دمقله والفريق الاخر من النوبة يقال لهم علوه بنوا مدينة
عظيمة سموها سوبه والبلد المتصل مملكته بارض اسوان يعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسي
وعمل هذا الملك متصل باعمال مصر من ارض الصعيد ومدينة اسوان قال وفي
الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل عظيم رخام كانت الاوايل تقطع منه العمد وغيرها
فاما العمد والقواعد والروس التي تسميها اهل مصر الاسوانيه ومنها حجارة الطواحين
فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانيه بمئين من السنين ومنها العمد الذي بالاسكندرية
وقال القاضي الفاضل ان متحصل ثغر اسوان في سنه خمس وثمانين وخمسماية بلغ خمسة
وعشرين الف دينار وقال الكمال جعفر الادفوي وكان باسوان ثمانين رسوما رسل
الشرع وتحصل من اسوان في سنة واحده ثلاثين الف اردب تمر واخبرنا من وقف على
مكتوب كان فيه اربعين شريفا خاصه وان مكتوبا اخر راى فيه ستين شريفا دون
من عداهم قال ووقفت انا على مكتوب فيه نحو من اربعين موزخ بما بعد العشر وستماية
من الهجرة وكان بثغر اسوان بنوا الكنز ربيعه امراء محمد وحون مقصودون صنع لهم الفاضل
الشديد ابو الحسن بن عرام سيرة ذكر فيها مناقبهم واسامي مدحهم ومن ورد عليهم ولما
ارسل السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب جيشا الى كنز الدوله واصحابه نزحوا من
البلاد فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصايد من مدحهم منها قصيدة ابي محمد الحسن بن
الزبير قال فيها

ونجده ان خانه الدهر او سطا اناس اذا ما انجد الذل اتهموا
اجاروا فما تحت الكواكب خايف اجازوا فما فوق البسيطة معدم

وانه اجازه عليها بالف دينار ووقف عليه ساقية تساوي الف دينار وكان
باسوان رجال من العسكر مستعدون بالاسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبه والسودان
عليه فلما زالت الدولة الفاطمية اهمل ذلك فسار ملك النوبه في عشرات الالاف
ونزل تجاه اسوان في جزيرة واسر من كان فيها من المسلمين ثم تلاشى بعد ذلك امر الثغر
واستولى عليه اولاد الكنز من بعد سنة تسعين وسبعماية فافسدوا وافسدوا اكثره
وكانت لهم مع ولاة اسوان عدة حروب الى ان كانت المحن منذ سنة ست وثمانماية
وخرب اقليم الصعيد ارتفعت يد السلطنة عن ثغر اسوان ولم يبق للسلطان في مدينة

اسوان وال واتضع حاله عدة سنين ثم زحفت هواره في محرم سنة خمس عشرة وثمان
ماية الى اسوان وحاربت اولاد الكنز وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ما هناك
من النسا والاولاد واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة اسوان ومضوا بالسبي وقد
تركوها خرابا يبابا لا ساكن بها فاستمرت على ذلك بعدما كانت بحيث يقول عنها عبد الله
بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبة ان ابا عبد الرحمن عبد الله بن عبد
الحميد العمري لما غلب على المعدن كتب الى اسوان يسال التجار الخروج اليه بالجهاز من
طريق المعدن فخرج اليه رجل يعرف بعثمن بن حنظله التميمي في الف راحلة فيها الجهاز
والبر وذكر ان العمري لما عاد الى بلاد البجة بعد حربه للنوبة كثرت العمارة حتى صارت
الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين الف راحله غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى
عيذاب قال ومما شاهده جماعة من شيوخنا الثقات باسوان نخلة تدعا اشانتي
هي من اسوان على مرحلتين ونصف انهم راوا شرقيها من جانب النيل قرية بسور وخارج
بابها جميزه وناس يدخلون ويخرجون فاذا عبروا الى الموضع لم يجدوا شيا وهذا
يكون في الشتا دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس يجتمعون على رويتها وصحة
هذا الخبر وكان بها انواع من التمر وانواع من الرطب منها نوع من الرطب في اشد ما يكون من
خضرة السلق وامر هرون الرشيد ان يجمع له الوان تمر اسوان من كل صنف تمرة واحده
فجمع له ستين لونا ولا يعرف في الدنيا بسر يتمر قبل ان يصير رطبا الا باسوان

ذكر بلاق

بلاق اخر حصن للمسلمين وهي جزيرة تقرب من الجنادل يحيط بها النيل فيها بلد كبير يسكنه
خلق كثير من الناس وبها نخل عظيم ومنبر في مسجد جامع واليها ينتهي سفن النوبة وسفن
المسلمين من اسوان وبينها وبين القرية التي تعرف بالقصر وهي اول بلد النوبة ميل واحد
وبينها وبين اسوان اربعة اميال ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل في الجبال لا تسلكها
المراكب الا بالحيلة وبدلالة من يعرف ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك وبالقصر
مسلحة وباب الى بلد النوبه

ذكر حايط العجوز

هذا الحايط كان حصنا الارض
مصر يحدق بجميعها وكان فيه محارس ومسالح ومن ورايه خليج يجري فيه الما معقود عليه
القناطر عملته دلوكة بنت زبا وقد درس وتلاشى ولم يبق منه الا يسير في شط النيل الشرقي
ينتهي الى اسوان قال ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر فبقيت
مصر بعد غرقهم يعني فرعون وجنوده ليس فيها من اشراف اهلها احد ولم يبق بها العبيد
والاجرا والنسا فاعظم اشراف من بمصر من النسا ان يولين منهم احدا واجمع رايهن ان يولين
امراة منهن يقال لها دلوكة ابنة زبا وكان لها عقل ومعرفه وتجارب وكانت في شرف
منهن وموضع وهي يوميذ بنت ماية سنة وستين سنة فملكوها فخافت ان تتناولها

ملوك الارض فجمعت نسا الاشراف فقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها احد ولا
يمد عينه اليها وقد هلك اكابرنا واشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نتقوى بهم وقد
رايت ان ابني حصنا احدق به جميع بلادنا فاضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نامن
ان يطمع فينا الناس فبنت جدارا احاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع والمداين
والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الما واقامت القناطر والترع وجعلت فيه
محارس ومسالح على كل ثلاثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل
وجعلت في كل محرس رجالا واجرت عليهم الارزاق وامرتهم ان يحرسوا بالاجراس
فاذا اتاهم احد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فاتاهم الخبر من اى
وجه كان في ساعة واحدة فنظر وا في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن اراداها وفرغت من
بنايه في ستة اشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد
منه بقايا كثيره

ذكر البقط

البقط ما يقبض من سبى النوبة في كل عام
ويحمل الى مصر ضريبة عليهم قال كاتب هذه الكلمة عربية فهى اما من قولهم في الارض بقط من
بقل وعشب اى نبذ مونع فيكون معناه على هذا نبذة من المال او يكون من قولهم ان
في بنى تميم بقطا من ربيعة اى فرقة او قطعة فيكون معناه على هذا فرقة من المال وقطعة
منه ومنه بقط الارض فرقها وبقط الشى فرقه والبقطان تعطا الحبة على الثلث او الربع
والبقط ايضا ما سقط من التمر اذا قطع فاخطاه المخلب فيكون معناه على هذا بعض ما في
ايدى النوبة وكان يوخذ منهم في قرية يقال لها القصر مسافتها من اسوان خمسة اميال
فيما بين بلاق وبلد النوبة وكان القصر فرضة لقوص واول ما تقرر هذا البقط
على النوبة في امارة عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن ابى سرح بعد فتح مصر
الى النوبة سنة عشرين وقيل سنة احدى وثلاثين وحصرهم بمدينة دمقلة حصارا شديدا
ورماهم بالمنجنيق ولم يكن النوبة تعرفه وخسف بهم كنيستهم بحجر فبهرهم ذلك فطلب ملكهم
قليدروت الصلح وخرج الى عبد الله وابدى ضعفا ومسكنة وتواضعا فتلقاه عبد الله ورفعه
وقربه ثم قرر الصلح معه على ثلثمائة وستين راسا في كل سنة ووعده عبد الله بحمل قمح
اليه لما شكاه قلة الطعام ببلده وكتب لهم كتابا نسخته بعد البسملة عهد من الامير عبد الله
ابن سعد بن ابى السرح لعظيم النوبة ولجميع اهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة
من حد ارض اسوان الى حد ارض علوة ان عبد الله بن سعد جعل لهم امانا وهدنة جارية
بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من اهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين واهل الذمة
انكم معاشر النوبة امنون بامان الله وامان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم على ان
لا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما اقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم على ان
تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلادكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم

حفظ

حفظ من نزل من بلادكم او تطرقه من مسلم او معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم رد
كل ابق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى ارض الاسلام وعليكم رد من لجا اليكم من مسلم
محارب للمسلمين وان تخرجوه من بلادكم الى ارض الاسلام ولا تستحلوا عليه ولا تمنعوا منه
وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفنا مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا ولا تعرضوا لمسلم
قصده وجاور فيه الى ان ينصرف عنه وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته وعليكم في كنسه
واسراجه وتكرمته وعليكم في كل سنة ثلثمائة وستون راسا تدفعونها الى امام المسلمين من اوسط
رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران واناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل
لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والى الاسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه
منكم من حد ارض علوة الى ارض الاسوان فان انتم او يتم عبد المسلم او قتلتم مسلما او معاهدا
او عرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفنا مدينتكم بهدم او منعتم شيا من الثلثمائة راس
والستين راسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وانتم على سواء حتى يحكم
الله بيننا وهو خير الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله
محمد صلى الله عليه وسلم ولنا عليكم بذلك اعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة
الحواريين وذمة من تعظمونه من اهل دينكم وملتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك
وكتب عمر بن شرحبيل في رمضان سنة احدى وثلثين وكانت النوبة دفعت الى عمرو بن
العاص ما صولحوا عليه من البقط قبل نكثهم واهدوا الى عمرو اربعين راسا من الرقيق فلم
يقبلها ورد الهدية الى كبير القبط ويقال له سمقوس فاشترى لهم بذلك جهازا وخمرا
ووجهه اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من الحبوب قمحا وشعيرا وعدسا
وثيابا وخيلا ثم تطاول الرسم على ذلك فصار رسما ياخذونه عند دفع البقط في كل سنة
وصارت الاربعون راسا التى اهديت الى عمرو ياخذها والى مصر وعن ابى خليفة حميد
ابن هشام البحترى ان الذى صولح عليه النوبة ثلثمائة وستون راسا لفي المسلمين ولصاحب
مصر اربعون راسا ويدفع اليهم الف اردب قمحا ولرسله ثلثمائة اردب ومن الشعير كذلك
ومن الخمر الف اقنيز للملك ولرسله ثلثمائة اقنيز وفرسين من نتاج خيل الامارة ومن
اصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطى اربعة اثواب للملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية
ثمانية اثواب ومن المعلمة خمسة اثواب وجبة مجملة للملك ومن قمص ابى بقطر عشرة اثواب
ومن احاصى عشرة اثواب وهى ثياب غلاظ قال ابو خليفة ليس في كتاب عبد الله بن وهب
ولا في كتاب الواقدى تسمية ينتهى اليها وانما اخذت التسمية عن ابى زكريا قال ابو زكريا
سمعت والدى عثمن بن صالح يقول هذا الخبر فحصلت منه ما وقفت عليه وقال
حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وهو على مصر فقال انت عثمن بن صالح الذى حدثنا

اليك في كتاب بقط النوبة قلت نعم فاقبل على محفوظ بن سليمن فقال ما اعجب امر علما
هذه البلده وجهنا اليهم نطلب علما من علومهم والى هذا الشيخ فما شفانا احد منهم فقلت
اصلح الله الامير ان الذي طلبت من خبر النوبة عندي قد حفظه شيوخ عن الشيوخ الذين
حضروا هناك والهدنة والصلح الذي جرى بين عبد الله بن سعد وبين النوبه ثم حدثته
عن اخبارهم كما سمعت وانكر عطية الخمر فقلت قد انكره عبد العزيز بن مروان وكان هذا
المجلس بفسطاط مصر سنة احدى عشرة ومايتين بعد ان تم الصلح بينه وبين عبيد الله
السري بن الحكم التميمي الامير كان قبله قال عثمن بن صالح فوجه الامير الى الديوان بظهر
المسجد الجامع بمصر فاستخرج منه خبر النوبه فوجده كما ذكرت فسره ذلك وعن مالك بن انس
انه كان يرى ان ارض النوبة الى حد علوة صلح وكان لا يجيز شرى رقيقهم وكان اصحابه مثل
عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله بن وهب والليث بن سعد ويزيد بن ابي حبيب وغيرهم
من فقها مصر يرون خلاف ذلك قال الليث بن سعد نحن اعرف بارض النوبة من
مالك بن انس انما صولحوا على ان لا نغزوهم ولا نمنع منهم عدوا فما استرقه متملكهم او غزا
بعضهم بعضا فشراه جايز وما استرقه بغاة المسلمين وسراقهم فغير جايز وكان عند
جماعة منهم جوار نوبيات لفرشهم ولم تزل النوبه يردون البقط في كل سنة ويدفع
اليهم ما تقدم ذكره الى ايام امير المومنين المعتصم بالله ابي اسحق بن الرشيد وكبير النوبه
يوميذ زكريا بن يحنس وكانت النوبة ربما عجزت عن دفع البقط فتشعث عليهم ولاة
المسلمين ما قرب من بلادهم ومنع من اخراج الجهاز اليهم فانكر فيرقى ولد كبيرهم زكريا
على ابيه بذله الطاعة لغيره واستعجزه فيما يدفع فقال له ابوه فما تشا قال عصيانهم ومحاربتهم
قال ابوه هذا سيراه السلف من ابايناصوابا واخشى ان يفضي هذا الامر اليك فتقدم على
محاربة المسلمين غير انا وجهك الى ملكهم رسولا فانت ترى حالنا وحالهم وان رايت لنا
بهم طاقة حاربناهم على خبره وان لم يكن سالته الاحسان الينا فشخص فيرقى الى بغداد
وكانت البلدان تزين له ويسير على المدن واغدر باخداره رئيس البجه باسبابه ولقيا
المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من جلالة العراق في كثرة الجيوش وعظم العمارة مع ما شاهداه
في طريقهما فقرب المعتصم فيرقى وادناه واحسن اليه احسانا تاما وقبل هديته وكانت
باصعا فيها وقال له تمن ما شيت فساله في اطلاق المحبسين فاجابه الى ذلك وكبر في
عين المعتصم ووهب له الدار التي نزلها بالعراق وامر ان يشترى له في كل منزل من طريقه
دار لتكون لرسلهم لانه امتنع من دخول دار لاحد في طريقه فاخذ له بمصر دار بالجيزة
واخرى ببني وايل واجرى لهم في ديوان مصر سبع ماية دينار وفرسا وسرجا ولجاما
وسيفا بحلى وسيفا ثوبا مثقلا وعمامة من الخز وقميص شرب ورداء شرب وثيابا

لرسله غير محدوده عند وصول البقط الى مصر ولهم حملان وخلع على المتولي لقبض البقط و
عليهم رسوم معلومة لقابض البقط والمتصرفين معه وما يهدى اليهم بعد ذلك فغير محدود
وهو عندهم هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجده اكثر من
البقط وانكر عطية الخمر واسر الحبوب والثياب التي تقدم ذكرها وقرر دفع البقط بعد انقضا
كل ثلاث سنين وكتب لهم كتابا بذلك في يد النوبه وادعى النوبة على قوم من اهل اسوان انهم
اشتروا املاكا من عبيده فامر المعتصم بالنظر في ذلك فاحضروا الى البلد والحاكم فيه
والبايعين من النوبة وسالاهما عما ادعاه صاحبهم من بيعهم فانكروا ذلك وقالوا نحن رعيته
وزال ما ادعاه وطلب اشيا غير ذلك من ازالة المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد
الذي بينهم وبين المسلمين لان المسلحة على ارضهم فلم يجبه الى ذلك ولم يزل الرسم جاريا بدفع
البقط على هذا التقرير وتدفع اليهم ما اجراه المعتصم الى ان قدمت الدولة الفاطمية الى مصر
ذكر ذلك مؤرخ النوبة وقال ابو الحسن المسعودي والبقط هو ما يقبض من السبي في كل سنة
ويحمل الى مصر ضريبة عليهم وهو ثلثماية راس وخمسة وستون راسا لبيت المال لشرط الهدنة
بين النوبة وبين المسلمين وللامير بمصر غير ما ذكرنا اربعون راسا ولخليفته المقيم باسوان
وهو المتولي لقبض البقط عشرون راسا وللحاكم المقيم باسوان الذي يحضر مع امير اسوان
قبض البقط خمسة اروس ولاثني عشر شاهدا عدولا من اهل اسوان يحضرون مع الحاكم قبض
البقط اثني عشر راسا من السبي على حسب ما جرى فيه الرسم في صدر الاسلام في بدو ابتياع
الهدنة بين المسلمين وبين النوبة وقال البلاذري في كتاب الفتوحات ان المعقود على
النوبة اربع ماية راس ياخذون بها طعاما اي غلة والزمهم امير المومنين المهدي محمد بن
ابي جعفر المنصور ثلثماية وستين راسا وزرافة وفي سنة اربع وسبعين وستماية كبس
جيش داود متملك النوبة واقبل الى ان قرب من مدينة اسوان وحرق عدة سواقي فبعث
الوالي بعيذاب فمضى اليه والي قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الجبل في عدة من النوبة
وحملهم الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم وقدم شكنده
ابن اخت متملك النوبة متظلما من خاله داود فجرد السلطان معه الامير شمس الدين
اقسنقر الفارقاني الاستادار والامير عز الدين ايبك الافرم امير جاندار في جماعة
كثيرة من العسكر ومن اجناد الولايات وعربان الوجه القبلي والزراقين والرماة
ورجال الحراريق فساروا في اول شعبان من القاهرة حتى وصلوا الى ارض النوبة
فخرجوا الى لقايهم على النجب بايديهم الحراب وعليهم دكادك سود فاقتتل الفريقان
قتالا كثيرا انهزم فيه النوبة واغار الافرم على قلعة الدو وقتل وسبا واوغل الفارقاني
في ارض النوبة برا وبحرا يقتل وياسر فحاز من المواشي ما لا يعد ونزل بجزيرة ميكايل

بواس الجنادل وتعذر المراكب من الجنادل ففر النوبة الى الجزاير وكبس لقر الدولة نات
داود متملك النوبه امانا تحلف لشكنده على الطاعة واحضر رجال المريس ومن فرو خاص
الاثرم الابوح في الما وحصره حتى اخذه وقتل به ما يتتي واسرا خا لداود ونهب داود العسكر
في اثره مدة ثلاثة ايام وهم يقتلون ويأسرون حتى اذعن القوم واسرت ام داود واخت
ولم يقدر على داود فسير شكنده عوضه وقرر على نفسه القطيعه في كل سنه ثلاث
فيله وثلاث زرافات وخمس فهود من اناثها وماية نجب اصهب واربع مايه راس من
البقر المنتجه على ان تكون بلاد النوبه نصفين نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد
وحفظها ما خلا بلاد الجبال فانها كلها للسلطان لقربها من اسوان وتكون نحو الربع من بلاد
النوبة وان تحمل ما بها من التمر والقطن والحقوق الجارى بها العادة من قديم الزمان وان
يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم في السنة دينارا عينا وكتبت
نسخة يمين بذلك حلف عليها الملك شكنده ونسخة يمين اخرى حلفت بها الرعية وخرب
الامير ان كنايس للنوبة واخذ ما فيها وقبض على نحو عشرين اميرا من امرا النوبة وافرج عن
كان بايدى النوبة من اهل اسوان وعيذاب من المسلمين في اسرهم والبس شكنده تاج الملك
واقعده على سرير المملكة بعد ما حلف والتزم ان يحمل جميع مال داود ولكل من قتل واسر من مال
ودواب الى السلطان مع البقط القديم وهو اربع مايه راس من الرقيق في كل سنه وزرافه
من ذلك ما كان للخليفه ثلثماية وستون راسا وللنايبه بمصر اربعون راسا على ان يطلق
لهم اذا وصلوا بالبقط تماما من القمح الف اردب لمتملكهم وثلثماية اردب لرسله . . .

ذكر صحرا عيذاب

اعلم ان حجاج مصر والمغرب اقاموا زيادة على مايتى سنة لا يتوجهون الى مكة شرفها الله
تعالى الا من صحرا عيذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم
يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحرا الى عيذاب ثم يركبون البحر في الجلاب الى جده
ساحل مكة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر الى عيذاب ثم يسلكون هذه
الصحرا الى قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحرا لا تزال عامرة اهلها بما يصدر
ويرد من قوافل التجار والحجاج حتى ان كانت احمال البهار كالقرفا والفلفل ونحو ذلك
لتوجد ملقاة بها والقفول صاعده وهابطه لا يعترض لها احد الى ان ياخذها
صاحبها فلم تزل مسلكا للحجاج في ذهابهم وايابهم زيادة على مايتى سنه من اعوام بضع وخمسين
واربع مايه الى اعوام بضع وستين وستماية وذلك منذ كانت الشدة العظمى في ايام
الخليفه المستنصر بالله ابى تميم معد بن الظاهر وانقطاع الحج في البر الى ان كسا السلطان
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مفتاحا ثم اخرج قافلة

الحاج في البر من سنه وستين وستماية فقل سلوك الحجاج لهذه الصحرا واستمرت
بضايع التجار تحمل من عيذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبع ماية وثلاثين
امر قوص من حينيذ وهذه الصحرا مسافتها من قوص الى عيذاب سبعة عشر يوما ويفقد
فيها الما ثلاثة ايام متواليه وتارة يفقد اربعة ايام وعيذاب مدينة على ساحل بحر جدة وهي
غير مسورة واكثر بيوتها الخصاص وكانت في اعظم مراسي الدنيا بسبب ان مراكب الهند
واليمن تحط فيها البضايع ثم تقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة فلما انقطع ورود
مراكب الهند واليمن اليها صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى ان كانت اعوام بضع
وعشرين وثمانماية صارت جدة اعظم مراسي الدنيا وكذلك هرمز فانها مرسا جليل
وعيذاب في صحرا لا نبات فيها وكل ما يوكل بها مجلوب اليها حتى الما وكان لاهلها من الحجاج
والتجار فوايد لا تحصى وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون
الحجاج الجلاب التى تحملهم في البحر الى جدة ومن جدة الى عيذاب فيجتمع لهم من ذلك مال
عظيم ولم يكن في اهل عيذاب الا من له جلبه فاكثر على قدر يساره وفي بحر عيذاب
مغاص اللولو في جزاير قريبة منها يخرج اليه الغواصون في وقت معين من كل سنة في
الزوارق حتى يوافوا مثلك الجزاير فيقيمون هنالك اياما ثم يعودون بما قسم لهم من الحظ
والمغاص فيها قريب القعر وعيش اهل عيذاب عيش البهايم وهم اقرب الى الوحش في اخلاقهم
من الانس وكان الحجاج يجدون في ركوبهم الجلاب على البحر اهوالا عظيمة لان الرياح تلقيهم في
الغالب بمراسي في صحاري بعيدة مما يلي الجنوب فينزل اليهم البجاه من جبالهم فيكاروهم
الجمال ويسلكون بهم على غير ما فربما هلك اكثرهم عطشا واخذ البجاة ما كان معهم ومنهم من
يضل ويهلك عطشا والذى يسلم منهم يدخل الى عيذاب كانه نشر من كفن قد استحالت
هياتهم وتغيرت صفاتهم واكثر هلاك الحجاج بهذه المراسي ومنهم من تساعده الريح فتحطه
بمرسى عيذاب وهو الاقل وجلاباتهم التى تحمل الحجاج في البحر لا يستعمل فيها مسمار البته انما تخيط
خشبها بالقنبار وهو يتخذ من شجر النارجيل ويخللونها بدسر من عيدان النخل ثم يسقونها
بسمن او دهن الخروع او دهن القرش وهو حوت عظيم في البحر يبلع الغرقى وقلاع هذه
الجلاب من خوص شجر المقل ولاهل عيذاب في الحجاج احكام الطواغيت فانهم يبالغون في
اشحان الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصا على الاجرة ولا يبالون بما
يصيب الناس في البحر يقولون دايما علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح واهل عيذاب
من البجاة ولهم ملك منهم وبها وال من قبل سلطان مصر وادركت قاضيهم عندنا بالقاهرة
اسود اللون والبجاة قوم لا دين لهم ولا عقل ورجالهم ونساوهم ابدا عراة وعلى عوراتهم
خرق وكثير منهم لا يسترون عوراتهم وعيذاب حرها شديد بسموم محرق ۝

ذكر مدينه الاقصر

هذه المدينه مداين الصعيد العظيمه يقال ان اهلها المريس ومنها الحير المريسيه

ذكر البلينا

وذكر الكمال الادفوى انه وقع بين اهل البلاد وبين والى قوص فتوجهوا الى القاهره وصرفوه وولى غيره وطلع الخطيب بالبلينا صحبته وكان اقطاعه بها تنت فلما وصل اليها اضافه اهلها بستين منسفا من طعام اللبن فقال للخطيب فى بلادكم مثل هذا فقال الخطيب حلوى فلما وصل الى اخميم تقدم الخطيب الى البلينا فعندما وصل الوالى اليها اخرجوا له ستين منسفا حلوى وستين منسفا شوى قال وبعض الحكام بها فى عيد من الاعياد امتدحه من اهلها خمسة وعشرون شاعرا وفيها من لا يرضى بمدح القاضى وفيها من يقصر رتبته عن ذلك قال وكان بها عدة مسابك للسكر ويوصف اهلها بالمكارم

ذكر سمهود

هذه المدينه بالجانب الغربى من النيل قال الادفوى كان بسمهود سبعة عشر حجر الاعتصار قصب السكر ويقال ان الفار لا ياكل قصبها

ذكر ارجنوس

هذه المدينة من جملة عمل البهنسا بها كنيسة بظاهرها فيها بير يقال لها بير بسوس صغيرة لها عيد يعمل فى اليوم الخامس والعشرين من بشنس احد شهور القبط بمصر فيفور بها الما عند مضى ست ساعات من النهار حتى يطفو ثم يعود الى ما كان عليه ويستدل النصارى على زيادة النيل فى كل سنه بقدر ما علا الما من الارض فيزعمون ان الامر فى النيل وزيادته يكون موافقا لذلك

ذكر ابويط

هذه المدينه ايضا من جملة البهنسا وبه كان بها منارة محكمة البنا اذا هزها الرجل تحركت يمينا وشمالا فيرى ميلها روية ظاهرة بانفعالها عن موضعه

ذكر ملوى

هذه المدينة بالجانب الغربى من النيل وارضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان بها عدة احجار لاعتصاره واخر من كان بها اولاد فضيل بلغت زراعتهم فى الايام الناصرية محمد بن قلاوون الفا وخمس ماية فدان من القصب فى كل سنة فاوقع المشد ناظر الخاص الحوطة على موجودهم فى سنة ثمان وثلاثين وسبع ماية فوجد من جملة مالهم اربعة عشر الف قنطار من القند حملها الى دار القند بمصر سوى العسل الذى يحمل ثمانية الاف قنطار بعد ذلك وافرج عنهم فوجد والهم حاصلا لم تعتد له المشد فيه عشرة الاف قنطار قند سوى مالهم من عبيد وغلال وغير ذلك

ذكر مدينه انصنا

اعلم ان مدينة انصنا احد مداين صعيد مصر القديمة وفيها عدة عجايب منها الملعب ويقال انه كان مقياس النيل وانه من بنا دلوكة احد من ملك مصر وكان كالطيلسان

وبنا

ساحوا ارىعه عشر طاحله

ملاسط

هشروا طر

هينا ورقه بيضه

فى دايره عمد على عدة ايام السنة الشمسية كلها من الصوان الاحمر المانع ومسافة ما بين كل عمودين مقدار خطوة انسان وكان ما النيل يدخل الى هذا الملعب فوهد عند زيادة الما فاذا بلغ ما النيل الحد الذى كان اذ ذاك يحصل منه رى ارض مصر وكفايتها جلس الملك عند ذلك فى مشرف له وصعد القوم من خواصه الى روس الاعمدة المذكورة يتعادون عليها ما بين ذاهب وات ويتساقطون من الاعمدة الى الملعب وهو ممتلى بالما وقال ابو عبيد البكرى انصنا بفتح اوله واسكان ثانيه بعده صاد مهملة مكسورة ونون والف كورة من كور مصر معروفة منها كانت مارية سرية النبى صلى الله عليه وسلم ام ابيه ابراهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه الكورة ويقال ان سحرة فرعون كانوا منها وانه جلبهم منها يوم الموعد للقا موسى عليه السلام ويقال ان التمساح لا يضر بساحل انصنا لطلاسم وضعت لها وانه اذا حاذى برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال ان الذى بنى مدينه انصنا اشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وهى واقعة فى شرقى النيل وكانت حسنة البساتين والمتنزهات كثيرة الثمار والفواكه وهى الان خراب وقال ابو حنيفة الدينورى ولا ينبت اللبخ الا بانصنا وهو عود ينشر منه الواح للسفن وربما ارعف ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا او نحوها واذا شد لوح منها بلوح وطرح فى الما سنة التاما وصارا لوحا واحدا وكان لانصنا سور عتيق بمدينه السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وجعل على كل مركب منحدر فى النيل حجرا من حجارته الى القاهرة فنقل باسره اليها

ذكر القيس

اعلم ان القيس من البلاد التى تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا قال ابن عبد الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحرث الى الصعيد فسار حتى اتى القيس فنزل بها فسميت به وقال ابن يونس قيس بن الحرث المرادى ثم الكعبى شهد فتح مصر وروى عن عمر بن الخطاب وكان يفتى الناس فى زمانه روى عنه سويد بن قيس وقيل سويد بن قيس بن ثعلبة وروى عنه بكر بن سواد وهو الذى فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت اليه وقال ابن الكندى ولهم الثياب الصوف والالسية المرعز وليس هى بالبلد الا بمصر وذكر بعض اهل مصر ان معوية بن ابى سفيان لما كبر كان لا يدفا فاجمعوا على انه لا يدفيه الا اكسيه تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلى الغير مصبوغ فعمل له منها عدد فما احتاج منها الا الى واحد ولهم طراز القيس والبهنسا فى الستور والمضارب يعرفون به ومنه طراز اهل الدنيا وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب فى ايام السلطان الملك الكامل محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب فامر متولى البهنسا ويه بكشفه فجمع له اهل المعرفة بالعوم والغطس فكانوا ما ينيف عن مايتى رجل ما فيهم الا من نزل السرب فلم يجد له قرارا ولا جوانب فامر بعمل مركب طويل رقيق بحيث امكن ادخاله من راس السرب وشحنه بالازواد والرجال

وركب فيه حبالا مربوطه في خوازيق عند راس السرب وعلم مع الرجال الات يعرفون منها اوقات الليل والنهار وعدة شموع وغيرها مما يستخرج به النار ويشتعل به وامرهم ان يسلكوا بالمركب في السرب حتى ينفذ نصف ما معهم من الزاد فساروا بالمركب في ظلمة وهم يرخون الحبال ولا يجدون لما هم سايرون فيه من الما جوانب فما زالوا كذلك حتى قلت ازوادهم فابطلوا حركة المركب بالمجاذيف في داخل السرب وجروا الحبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى انتهوا الى راس السرب فكانت مدة غيبتهم في السرب ستة ايام اربعة منها دخولا في جوفه وتطواف جوانبه ويومان رجوعا الى راس السرب ولم يقفوا في هذه المدة على نهاية السرب فكتب بذلك الامير علا الدين الطنبغا والي البهنسا الى الملك الكامل فتعجب تعجبا كثيرا واشتغل عنه ذلك بمحاربة الفرنج على دمياط فلما رحلوا عن دمياط وعاد الى القاهرة خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

ذكر دروط بلهاشه

اعلم ان دروط وهي بفتح الدال المهملة وضم الرا وسكون الواو وطا اسم لثلاث قرى دروط اشمو من الاشمونين ودروط سربان من الاشمونين ايضا ودروط بلهاسه من ناحية البهنسي بالصعيد وبها جامع انشاه زياد بن المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي ومات في المحرم سنة احدى وتسعين ومائة فدفن به وقال فيه الشاعر

حلف الجود حلفه بر فيها ... ما براالله واحدا كزياد
كان غيثا لمصر اذ كان حيا ... واما نامن السنين الشداد

ومات ابنه ابراهيم بن المغيرة سنه تسع وتسعين ومائة فقال الشاعر فيه

ابن المغيرة ابراهيم من هيكه ... يزداد حسنا على طول الدهار
لوكان يملك ما في الارض عجله ... الى العفاه ولم يهمم بتاخير

ومات احمد بن زياد بن المغيرة في المحرم سنه ست وثلاثين ومائتين فقال الشاعر فيه

احمد مات ماجدا مفقودا ... ولقد كان احمد محمودا
ورث المجد عن ابيه ثم عم مثله ليس بعده موجودا

اسكر من الاطفيحيه تجاهها واد به الى وقتنا هذا شكل جمل من الحجر كاكبر ما يرى من الجمال واحسنها هيئة وهو قايم على اربعته وقد استقبل بوجهه المشرق وعلى فخذه الايمن كتابة بقلمهم وهي احرف مقطعة في ثلاثة اسطر ثم على نحو مائة وخمسين خطوة منه جمل

اخر مثله سوآ ووجهه الى وجه الجمل الاول وليس عليه كتابة وفيما بين الجملين المذكورين هيئة اعدال قد مليت قماشا عدتها اربعون ركبة موضوعة بالارض عشرين تجاه عشرين وجميعها من حجارة لا يشك من راها انها احمال قماش وبعد مائة وخمسين خطوة منها جمل ثالث على هيئة الجملين المذكورين وهو ايضا قايم وظهره الى ظهر الجمل الثاني ووجهه الى الجبل وهنالك اخر الوادي وليس على هذا الجمل ايضا كتابة كما اخبرني من لا اتهم برويته ذلك

ذكر منيه الخصيب

وهذه البلدة تنسب الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل امير المومنين هرون الرشيد

ذكر منية الباسك

هذه بلدة من جملة الاطفيحيه عرفت بالباساك اخي الوزير بهرام الارمني في ايام الخليفة الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد بن محمد وليا من قبل اخيه مدينة قوص سنه تسع وعشرين وخمسمائة وولاية قوص يوميذ اجل ولايات مصر فجار على المسلمين واشتد عسفه واذاه لهم فعندما وصل الخبر بقيام رضوان بن ولخشي على بهرام وهزيمته منه وتقلده الوزارة بعده ثار اهل قوص بالباساك في جمادى الاخرة سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وقتلوه وربطوا كلبا ميتا في رجله وسحبوه حتى القوه على مزبلة وكان نصرانيا

ذكر الجيزة قال ابن سيدة الجيزة الناحية والجانب وجمعها جيز وجيز والجيز جانب الوادي وقد يقال فيه الجيزة واعلم ان الجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربي تجاه مدينة فسطاط مصر لها في كل يوم احد سوق عظيم يجي اليه من النواحي اصناف كثيرة جدا ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد جامعه وقد روى الحافظ ابو بكر بن ثابت الخطيب من حديث نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزاين الله في ارضه ويقال ان مسجد القرية الذي بالجيزة كان فيه تابوت موسى الذي قذفته امه فيه بالنيل وبها النخلة التي ارضعت مريم تحتها عيسى فلم تثمر غيرها وقال ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابي حبيب فاستحبت همدان ومن والاها الجيزة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا في خططهم وما استحبت همدان من النزول بالجيزة فكتب اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له كيف رضيت ان تفرق اصحابك لم يكن ينبغي لك ان ترضى لاحد من اصحابك ان يكون بينهم وبينك بحر لا تدري ما يفجوهم فلعلك لا تقدر على غياثهم حتى ينزل بهم ما تكره فاجمعهم اليك فان ابوا عليك واعجبهم موضعهم بالجيزة واحبوا ما هنالك فابن عليهم من في المسلمين حصنا فعرض عمرو ذلك عليهم فابوا واعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها واحبوا ما

هنالك بنا لهم عمرو بن العاص الحصن بالجيزة فى سنه احدى وعشرين وفرغ من بنايه
فى سنة اثنين وعشرين ويقال ان عمرو بن العاص لما سال اهل الجيزة ان ينضموا الى الفسطاط
قالوا متقدم قدمناه فى سبيل الله ما كنا لندخل منه الى غيره فنزلت يافع الجيزه فيها مبرح بن
شهاب وهمدان وذو اصبح منهم ابو شمر بن ابرهه وطايفه من الحجر وقالوا القضاعى ولما رجع
عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط جعل طايفة من جيشه بالجيزة خوفا من
عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل ال ذى اصبح من حمير وهم كثير ويافع بن زيد بن رعين وجعل
فيها همدان وجعل فيها طايفه من الازد بن الحجر بن الهنو من الازد وطايفة من الحبشة
وديوانهم فى الازد فلما استقر عمرو فى الفسطاط امر الذين خلفهم بالجيزة ان ينضموا اليه
فكرهوا ذلك وقالوا هذا متقدم قدمناه فى سبيل الله واقمنا به ما كنا بالذى نرغب عنه ونحن
به منذ اشهر فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك ويخبره ان همدان
وال ذى اصبح ويافعا ومن كان منهم احبوا المقام بالجيزة فكتب اليه كيف رضيت ان تعرق
عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدرى ما يفجوهم فلعلك لا تقدر على غياثهم فاجمعهم
اليك ولا تفرقهم فان ابوا واعجبوا بمكانهم فابن عليهم حصنا من فى المسلمين فجمعهم عمرو واخبرهم
بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزه فامر عمرو ببنا الحصن عليهم فكرهوا ذلك وقالوا لا حصن
احصن لنا من سيوفنا وكرهت ذلك همدان ويافع فاقرع عمرو بينهم فوقعت القرعة على يافع
فبنى فيهم فى سنه احدى وعشرين وفرغ من بنايه فى سنه اثنين وعشرين وامرهم عمرو بالخطط
بها فخطط ذى اصبح من حمير فى الشرق ومضوا فى الغرب حتى بلغوا ارض الحرث والزرع
وكرهوا ان بنى الحصن فيهم وخطط يافع بن الحرث من رعين توسطت الجيزه وبنى الحصن فى
خطهم وخرجت طايفة منهم عن الحصن انفة منه واختطت بكيل بن جشم بن نوف بن
همدان فى مهب الجنوب من الجيزة فى شرقيها واختطت حاشد بن جشم بن نوف فى مهب
الشمال من الجيزة فى غربيها واختطت الحجاوية بنوا عامر بن بكيل فى قبلى الجيزة واختطت بنو
عو بن ارحب من بكيل فى قبلى الجيزة وخطط بنى كعب بن مالك بن الحجر بن الهنو بن الازد فيما بين
بكيل ويافع والحبشة اختطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع بالجيزة بناه محمد بن عبد الله
الخازن فى المحرم سنه خمسين وثلثماية بامر الامير على بن الاخشيد فتقدم كافور الى الخازن ببنايه
وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة فى مسجد همدان وهو مسجد
مراحو بن عامر بن بكيل كان يجمع فيه الجمعة فى الجيزة وشارف بنا هذا الجامع مع الخازن
ابو الحسن بن ابى جعفر الطحاوى واحتاجوا الى عمد الجامع فمضى الخازن فى الليل الى الكنيسة باعمال
الجيزه فقلع عمدها ونصب بدلها اركانا وحمل العمد الى الجامع فترك ابو الحسن بن الطحاوى
الصلاة فيه منذ ذاك تورعا قال اليمنى وقد كان ابن الطحاوى يصلى فى جامع الفسطاط العتيق

وبعض

وبعض عمده او اكثرها ورخامه من كنايس الاسكندرية وارياف مصر وبعضه بناه قرة
ابن شريك عامل الوليد بن عبد الملك ويقال ان بالجيزة قبر الاحبار وانه كان بها احجار حلم
قد صورت فيها التماسيح فكانت لا تظهر فيما يلى البلد من النيل مقدار ثلاثة اميال علوا وسفلا
وفى سنه اربع وعشرين وسبع ماية منع الملك الناصر محمد بن قلاوون الوزير ان يتعرض الى
شى مما يتحصل من مال الجيزة فصار جميعه يحمل اليه

ذكر سجن يوسف عليه السلام

سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة اجمع اهل المعرفة من اهل مصر على صحة هذا المكان
وفيه اثر نبيين احدهما يوسف سجن به المدة التى ذكر انه لبث فيها سبع سنين وكان الوحى ينزل
عليه فيه وسطح السجن موضع معروف باجابة الدعا يذكر ان كافور الاخشيدى سال ابا بكر
ابن الحداد عن موضع معروف باجابة الدعا ليدعو فيه فاشار عليه بالدعا على سطح السجن
والنبى الاخر موسى عليه السلام وقد بنى على اثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى واخبرنا
ابو الحسن على بن ابراهيم الشرفى بالشرف قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن الورد وكان قد ملكت
اخته وورث منها موروثا وكنا نسمع عليه دايما وكان لسجن يوسف وقت يمضى الناس اليه يتنزهون
فقال لنا يوما يا اصحابنا هذا اوان السجن ونريد ان نذهب اليه واخرج عشرة دنانير وناولها
لاصحابه وقال لهم ما اشتهيتموه فاشتروه فمضى اصحاب الحديث واشتروا ما ارادوا وعدينا
يوم احد الجيزة كلنا وبتنا فى مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتى جينا الى مسجد موسى
وهو الذى فى السهل ومنه يطلع الى السجن وبينه وبين السجن تل عظيم من الرمل فقال الشيخ
من يحملنى ويطلع بى الى هذا السجن حتى احدثه بحديث لا احدثه لاحد بعده حتى تفارق
روحى الدنيا قال الشرفى فاخذت الشيخ وحملته حتى صرت فى اعلاه فنزل وقال معكم ورق
قلت لا قال ابصر لى بلاطة فاخذ فحمه وكتب حدثنى يحيى بن ابو ... عن يحيى بن بكير عن زيد
ابن اسلم عن بشير بن يسار عن ابن عباس قال ان جبريل اتى الى يوسف فى هذا السجن
فى هذا البيت المظلم فقال له يوسف من انت الذى مذ دخلت السجن ما رايت احسن وجها
منك فقال له انا جبريل فبكى يوسف فقال ما يبكيك يا نبى الله فقال ايش يعمل جبريل
فى مقام المذنبين فقال اما علمت ان الله تعالى يطهر البقاع بالانبيا والله لقد طهر الله
بك السجن وما حوله فما قام الا اخر النهار حتى اخرج من السجن قال القضاعى سقط بين يحيى
وزيد رجل وقال الفقيه ابو محمد احمد بن محمد بن سلامة الطحاوى وذكر سجن يوسف لو
سافر الرجل من العراق ليصلى فيه وينظر اليه لما عنفته فى سفره وقال الفقيه ابو اسحق المروزى
لو سافر الرجل من العراق لينظر اليه ما عنفته وذكر المسبحى فى حوادث شهر ربيع الاخر
سنه خمس عشرة واربع مائة ان العامة والسوقة طافت الاسواق بمصر بالطبول والبوقات
يجبون من التجار وارباب الاسواق ما ينفقونه فى مضيهم الى سجن يوسف فقال لهم التجار

شغلنا بعدم الاقوات ممتنعا من خبزه اذ كان قد اشتد الغلا وانتهوا حالهم الى الحضرة
المطهرة يعني امير المومنين الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحسن علي بن الحاكم بامر الله فرسم
لنساي الدولة ابي طاهر بن كان في متولي الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتى يدفعوا اليهم ما
جرت به رسومهم ورسم لهم الخروج الى سجن يوسف ووعدوا ان يطلق لهم من الحضرة ضعف
ما اطلق لهم في السنة الماضية من الهبة فخرجوا في يوم السبت لتسع خلون من جمادى الاولى
وركب القايد الاجل عز الدولة وسناها معضاد الخادم الاسود في ساير الامرا الاتراك
ووجوه القواد وشق البلد ونزل في الصناعة الى الجيزة ومعه ثم خرج من هناك
ولحق في ساير عساكره الى الجيزة حتى ترتب لامير المومنين عساكر يكون معه بقية هناك
لحفظ لانه عدا يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت منه في اربع عشاريات واربع عشرة
بغلة من بغال النقل وفي جميع من معه من خاصته وحرمه الى سجن يوسف واقام هناك
يومين وليلتين الى ان عاد الرماديه الخاتم حونه في السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات
والسماجات تضحك منهم واستطرفهم وعاد الى قصره بكرة يوم الاربعا لثلاث عشرة خلت
منه واقام اهل الاسواق نحو الاسبوع حتى يطوفون الشوارع بالخيالة والسماجات والتماثيل
ويطلعون في القاهرة بذلك ليشاهدهم امير المومنين ويعودون ومعهم سجل قد كتب لهم
الا يعارض احد منهم في ذهابه وعوده وان يعتمد اكرامهم وصيانتهم ولم يزالوا على ذلك الى
ان تكامل جميعهم وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لاربع عشرة بقيت من جمادى
الاولى وشقوا الشوارع بالحكايات والسماجات والتماثيل فتعطل الناس في ذلك اليوم عن
اشغالهم ومعايشهم واجتمع في الاسواق خلق كثير لنظرهم وظن الناس انه اكثر من هذا اليوم في
ذلك واطلق لجميعهم ثمانية الاف درهم وكانوا اثني عشر سوقا ونزلوا سيوريش وبخارج
مدينة الجيزة موضع يعرف بابي هريرة فيظن من لا علم له انه ابو هريرة الصحابي وليس كذلك
بل هو منسوب الى ... ذكر قرية ترسا في الاصل بياض
قال القضاعي وذكر ان القسم بن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك على
خراج مصر بنى في الجيزة قرية تعرف بترسا والقسم هذا خرج الى مصر في خلافة ابيه
عبيد الله بن الحبحاب السلولي على الخراج في خلافة هشام بن عبد الملك ثم امره هشام على
خراج مصر حين خرج ابوه الى امارة افريقية في سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى سنة اربع
وعشرين ومائة فنزع عن مصر وجمع لحفص بن الوليد غربها وحمها فصار في الخراج والصلاة
معا وترسا هذه كانت وقفة صفوان مروان بن محمد الجعدي

ذكر مدينة اندونة

احد قرى الجيزة عرفت باندونة كاتب احمد المادرائي الذي كان يتقلد ضياع موسى بن ... بها

الى

الى عصر فكتب احمد فقبض احمد بن طولون على اندونة هذا وكان نصرانيا فاخذ منه خمسين
الف دينار

ذكر وسيم

قال ابن عبد الحكم وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان
امير مصر الى وسيم وكانت لرجل من القبط فسال عبد الله ان ياتيه الى منزله ويجعل له
مائة الف دينار فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك وقيل انما خرج عبد الله الى قرية ابي
النمرس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة فاتى عبد الله العزل وولاية قرة بن شريك
وهو هناك فلما بلغه ذلك قام ليلبس سراويله فلبسه منكوسا وقيل ان عبد الله لما بلغه
العزل رد المال على صاحبه وقال قد عزلنا وكان عبد الله قد ركب معه الى المعدية
وعدى اصحابه قبله وتاخر هو فورد الكتاب بعزله فقال صاحب المال والله لا بد ان تشرف
منزلي وتكون ضيفي وتاكل طعامي والله لا عاد لي شي من ذلك وودعه منصرفا فتغدى معه

ذكر منية عقبة

هذه القرية بالجيزة عرفت بعقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه
قال ابن عبد الحكم كتب عقبة بن عامر الى معوية بن ابي سفين رضي الله عنهما يسال له ارضا
يسترفق بها عند قرية عقبة فكتب له معوية بالف ذراع في الف ذراع فقال له مولى له كان
عنده انظر اصلحك الله ارضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطا ستة
لا يوخذ من انفسهم شي ولا من نسايهم ولا من اولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم
موضع الخوف من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك وفي رواية كتب عقبة الى معاوية يساله
بقيعا في قرية يبني فيه منازل ومساكن فامر له معاوية بالف ذراع في الف ذراع فقال
له مواليه ومن كان عنده انظر الى ارض تعجبك فاختط فيها وابتن فقال انه ليس لنا ذلك
لهم في عهدهم ستة شروط منها الا يوخذ من ارضهم شي ولا يزاد عليهم ولا يكلفوا غير طاقتهم
ولا تواخذ ذراريهم وان يقاتل عنهم عدوهم من ورايهم قال ابو سعيد بن يونس وهذه
الارض التي اقطعها عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن
مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه ابو عمر
الكندي وقال الحافظ ابو عمر بن عبد البر عقبة بن عامر بن عبس الجهني من جهينة بن زيد
ابن سود بن اسلم بن عمرو بن الحاف من قضاعة وقد اختلف في هذا النسب يكنى ابا حماد
وقيل ابا اسيد وابا اسد وقيل ابا عمرو وابا سعاد وقيل ابا الاسود وقال خليفة بن
خياط وقتل ابو عامر عقبة بن عامر الجهني يوم النهروان شهيدا وذلك سنة ثمان
وثلاثين وهذا غلط منه وفي كتابه بعد وفي سنة ثمان وخمسين توفي عقبة بن عامر
الجهني قال سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وابتنى بها دارا وتوفي في اخر
خلافة معاوية روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وابو امامة ومسلمة بن مخلد
وله رواية من التابعين فكثير وقال الكندي ثم وليها عقبة بن عامر من قبل

معونة وجمع له صلاتها وخراجها فجعل على شرطها جادا وكان عقبة قاريا فقيها مفوضا شاعرا
له الهجرة والصحبة والسابقة وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء
الذي يقودها في الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسلمة بن مخلد لعشر بقين من
ربيع الاول سنة اربعين فكانت ولايته سنتين وثلاثة اشهر وقال ابن يونس توفي بمصر
سنة ثمان وخمسين ودفن في مقبرتها بالمقطم وكان يخضب بالسواد ذكر حلوان
قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون قد وقع بالفسطاط فخرج عبد العزيز بن مروان
من الفسطاط فنزل حلوان داخلا في الصحراء في موضع منها يقال له ابو قرقورة وهو
راس العين التي احتفرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخله التي غرسها بحلوان فكان
ابن حديج يرسل الى عبد العزيز في كل يوم بخبر ما يحدث في البلد من موت وغيره فارسل
اليه ذات يوم رسولا فاتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال ابو طالب فثقل ذلك
على عبد العزيز وغاظه فقال له عبد العزيز اسالك عن اسمك فتقول ابو طالب ما اسمك
فقال مدرك فتفاءل بذلك ومرض في مخرجه ذلك ومات هناك فحمل في البحر يراد
به الفسطاط حتى تغير فانزل في بعض خصوص ساحل مريس فغسل فيه واخرجت من هنالك
جنازته وخرج معه بالمجامر فيها العود لما كان تغير من ريحه فلما وصى عبد العزيز ان
يحمل جنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد بن زيد بن هانئ الرعيني صاحب حرسه
وكان صديقا له وقد توفي قبل عبد العزيز فحملت جنازته على باب جناب وقد خرج عيال
جناب ولبسوا السواد ووقفن على الباب صائحات ثم اتبعنه الى المقبرة وكان لنصيب
من عبد العزيز ناحية فقدم عليه في مرضه فادخله فلما راى شدة مرضه انشا يقول

ونحن نسيدنا صيد عيونا ... ليت اشتكى كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته ... بالمصطفى من طارفي وتلادي

فلما سمع صوته فتح عينيه وامر له بالف دينار واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفرحوا
به ثم مات وقال ابن ... الكندي ووقع الطاعون بمصر في سنة سبعين فخرج عبد العزيز
ابن مروان منها الى الشرقية متبديا فنزل حلوان فاعجبته فاتخذها وسكنها وجعل
بها الحرس والاعوان والشرط فكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان وبنى عبد العزيز بحلوان
الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة واحكمها وغرس نخلها وكرمها فقال ابن قيس الرقيات

سقيا لحلوان ذي الكروم وما ... صنف من تينه ومن عنبه
نخل مواقير بالفناء من البرني ... يهتز ثم في سربه
اسود سكانه الحمام فما ... تنفك غربانه على رطبه

ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان واطعم دخله والجند معه فجعل يطوف فيه ويقف

في

في غروسه ومساقيه فقال يزيد بن عروة الحجلي الا قلت ايها الامير كما قال العبد الصالح
ما شاء الله لا قوة الا بالله فقال اذكرتنيها شكرا يا غلام ولا يفوتنا سر يزيد في عطايه عشرة دنانير
عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد
مناف القرشي الاموي ابو الاصبغ امه ليلى ابنة زبان بن الاصبغ الكندي روى عن ابي
هريرة وعقبة بن عامر الجهني وروى عنه علي بن رباح وبحر بن داخر وعبيد الله بن
مالك الخولاني وكعب بن علقمة ووثقه النسائي وابن سعد ولما سار ابوه مروان الى مصر بعثه
في جيش الى ايلة ليدخل مصر من تلك الناحية فبعث اليه ابن جحدم امير مصر بجيش عليهم
زهير بن قيس البلوي فلقي عبد العزيز بنصاف وهي سطح عقبة ايلة فقاتله فانهزم زهير
ومن معه فلما غلب مروان على مصر في جمادى سنة خمس وستين جعل صلاتها وخراجها
الى ابنه عبد العزيز بعد ما اقام بمصر شهرين فقال عبد العزيز يا امير المؤمنين كيف المقام
ببلد ليس به احد من بني ابي فقال له مروان يا بني عمهم باحسانك يكونوا كلهم بني ابيك واجعل
وجهك طلقا تصفو لك مودتهم واوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عينا
على غيره وينقاد قومه اليك وقد جعلت معك اخاك بشرا مونسا وجعلت لك موسى بن نصير
وزيرا ومشيرا وما عليك يا بني ان تكون اميرا باقصى الارض اليس ذلك احسن من اغلاق بابك
وخمولك في منزلك واوصاه عند مخرجه من مصر الى الشام فقال اوصيك بتقوى الله في سر امرك
وعلانيته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون واوصيك ان لا تجعل لداعي الله عليك سبيلا
فان المؤذن يدعو الى فريضة افترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
واوصيك ان لا تعد الناس موعدا الا انفذته لهم وان حملت على الاسنة واوصيك الا تعجل
في شيء من الحكم حتى تستشير فان الله لو اغنى احدا عن ذلك لاغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
عن ذلك بالوحي الذي ياتيه قال الله عز وجل وشاورهم في الامر وخرج مروان من مصر لهلال
رجب سنة خمس وستين فوليها عبد العزيز على صلاتها وخراجها وتوفي مروان لهلال رمضان
وبويع ابنه عبد الملك بن مروان فاقر اخاه عبد العزيز ووفد على عبد الملك في سنة سبع
وستين وجعل على الحرس والخيل والاعوان جناب بن مرثد الرعيني فاشتد سلطانه وكان
الرجل اذا اغلظ لعبد العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه فضربوه وجلدوه وعبد
العزيز اول من عرّف بمصر في سنة احدى وسبعين قال يزيد بن ابي حبيب اول من احدث
القعود يوم عرفة في المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان وفي سنة اثنتين وسبعين
صرف بعث البحر الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وجعل عليهم مالك بن شراحيل الخولاني
وهم ثلاثة الاف رجل فيهم عبد الرحمن بن كلس مولى ابن ابي ... وهو الذي قتل ابن الزبير
وخرج الى الاسكندرية في سنة اربع وسبعين ووفد على اخيه عبد الملك في سنة خمس وسبعين

وهدم جامع الفسطاط كله وزاد فيه من جوانبه كلها في سنة سبع وسبعين وامر بضرب
الدنانير المنقوشة وقال ابن عفير كان لعبد العزيز الف جفنة كل يوم تنصب حول داره
وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل وكتب عبد الملك اليه ان ينزل له
عن ولاية العهد ليعهد الى الوليد وسليمن فابى ذلك وكتب اليه ان يكن لك ولد فلنا اولاد
ويقضي الله ما يشا فغضب عبد الملك فبعث اليه عبد العزيز بن يحيى بن رباح يترضاه فلما قدم
على عبد الملك استعطفه على اخيه فشكاه عبد الملك وقال فرق الله بيني وبينه فلم يزل به حتى
رضي فقدم على عبد العزيز فاخبره عن عبد الملك وعن حاله ثم اخبره بدعوته فقال
افعل انا والله مفارقه والله ما دعا دعوة قط الا اجيبت وكان عبد العزيز يقول
قدمت مصر في امرة مسلمة بن مخلد فتمنيت بها ثلاث اماني فادركتها تمنيت ولاية مصر
وان اجمع بين امراتي مسلمة وتحجبني قيس بن كليب حاجبه فتوفي مسلمة وقدمت مصر فوليتها وحجبه
قيس وتزوج امراتي مسلمة وتوفي ابنه الاصبغ بن عبد العزيز لتسع بقين من ربيع الاخر سنة
ست وثمانين فمرض عبد العزيز وتوفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى
سنة ست وثمانين فحمل في النيل من حلوان الى الفسطاط فدفن بها وقال ابن ابي مليكة رايت
عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول الا ليتني لم اك شيا مذكورا الا ليتني كنابتة
من الارض او كراعي ثلة بطرف الحجاز ولما مات لم يوجد له مال ناض الا سبعة الاف دينار
وحلوان والقيسارية وثياب بعضها مرقوع وخيل ورقيق وكانت ولايته على مصر عشرين
سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوما ولم يلها في الاسلام قبله اطول ولاية منه وكان بحلوان
في النيل معدية من صوان تعدى بالجبل تحمل فيها الناس وغيرهم من البر الشرقي بحلوان الى
البر الغربي فلما كان
وهذا من الاسرار التي في الخليقة فان جميع الاجسام المعدنية كالحديد والنحاس والفضة
والرصاص والذهب والقصدير اذا عمل من شي منها انا يسع من الما اكثر من وزنه فانه يعوم
على وجه الما ويحمل ما يمكنه ولا يغوص وما برح المسافرون في بحر الهند اذا اظلم عليهم الليل ولم
يروا ما يهديهم من الكواكب الى معرفة الجهات يعملون حديدة مجوفة على شكل سمكة ويبالغون
في ترقيق جسمها جهد القدرة ثم يجعل في فم السمكة شي من مغناطيس جيد او يحك فيها بالمغناطيس
فان السمكة اذا وضعت في الما دارت واستقبلت القطب الجنوبي بفيها واستدبرت القطب
الشمالي وهذا ايضا من اسرار الخليقة فاذا عرفوا جهتي الجنوب والشمال تبين منها المشرق
والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال وصار المغرب عن يمينه والمشرق
عن يساره فاذا تحددت الجهات الاربع عرف مواقع البلاد منها فيقصدون حينيذ
جهة الناحية التي يريدونها

ذكر مدينة العريش

فلسطين

فلسطين واقليم مصر وهي مدينة قديمة من جملة المداين التي اختطت بعد الطوفان
قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام
وكان غلاما مترفا فلما قرب من مصر بنى له عريشا من اغصان الشجر وستره بحشيش الارض
ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان اي باب الجنة فزرعوا وغرسوا
الاشجار والاجنة من درسان الى البحر فكانت كلها زروع واجنة وعمارة وقال اخر انما سميت
بذلك لان بيصر بن حام بن نوح تحمل في ولده وهم اربعة ومعهم اولادهم فكانوا ثلاثين ما بين
ذكر وانثى وقدم ابنه مصر بن بيصر امامه نحو ارض مصر حتى خرج من حد الشام فقال
فتاهوا وسقط مصر في موضع العريش وقد اشتد تعبه ونام فراى قايلا يبشره بحصوله في ارض
ذات خير ودر وملك وفخر فانتبه فزعا فاذا عليه عريش من اطراف الشجر وتحته عيون ما
فحمد الله وساله ان يجمعه بابيه واخوته وان يبارك له في ارضه فاستجيب له واقادهم الله اليه
فنزلوا معه في العريش واقاموا به فاخرج الله لهم من البحر دواب ما بين خيل وحمر وبقر وغنم
وابل فساقوها حتى اتوا موضع مدينة منف فنزلوه وبنوا فيه قرية سميت بالنبطية مافه
بلغة موهم الارض فنمت ذرية بيصر حتى عمروا الارض وزرعوا وكثرت مواشيهم وظهرت لهم المعادن
فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يعمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما
يكون القطعة منه مثل الاسطوانة وكالبعير الرابض وقال ابن سعيد عن البيهقي كان دخول
اخوة يوسف عليه السلام وابويه عليه بمدينة العريش وهي اول ارض مصر لانه خرج اليها
تلقيهم حتى نزل بطرف سلطانه وكان له هناك عرش وهو سرير السلطنة فاجلس ابويه
عليه وكانت تلك المدينة تسمى في القديم بمدينة العرش لذلك ثم سمتها العامة بمدينة
العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس في اطراف ارض مصر
من جميع جوانبها فلما اصاب الشام القحط وسارت اخوة يوسف لتمتار من مصر اقاموا
بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان اولاد يعقوب الكنعاني يريدون البلد لقحط
نزل بهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عريشا يستظلون به من الشمس حتى يعود الجواب
فسمي الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم فكان من شانهم ما قد ذكر في موضعه ويقال
للعريش ايضا بهذا كما ترى وابن وصيف شاه اعرف باخبار مصر وفي سنة خمس عشرة واربع
مائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفري العريش بعادية بني الجراح واحرقها واخذ جميع ما فيها
وقال القاضي الفاضل في جمادى الاخرة سنة سبع وسبعين وخمسماية ورد الخبر بان نحل
العريش قطع الفرنج اكثره وحملوا جذوعه الى بلادهم وخليت منه ولم يجدوا مخاطبا
على ذلك ونقل عن ابن عبد الحكم ان الجفار باجمعه كان ايام فرعون موسى في غاية العمارة
بالمياه والقرى والسكان وان قول الله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه

وما كانوا يعرشون عن هذه المواضع وان العمارة كانت متصلة منه الى اليمن ولذلك سميت
العريش عريشا وقيل انها نهاية التخوم من الشام وانه اليه كان ينتهى رعاة ابراهيم الخليل
عليه السلام اتخذ به عريشا كان يجلس فيه حتى تحلب مواشيه بين يديه فسمى العريش من
اجل ذلك وقيل ان مالك بن ذعر بن حجر بن جديلة بن لخم كان له اربعة وعشرون ولدا منهم
العريش بن مالك وبه سميت العريش لانه نزل بها وبنا بها مدينة وعن كعب الاحبار
ان بالعريش قبور عشرة انبيا

ذكر مدينة الفرما

قال البكرى الفرما بفتح اوله وثانيه ممدود على وزن فعلا وقد تقصر مدينة تلقا
مصر وقال ابن خالويه فى كتاب ليس الفرما هذه سميت باخ الاسكندر وكان يسمى الفرما وكان
كافرا وهى قرية ام اسمعيل بن ابراهيم انتهى ويقال اسمه الفرما بن فيلقوس ويقال فيه ابن
ويقال بليس وكانت الفرما على شط بحيرة تنيس وكانت مدينة خصبة وبها قبر جالينوس
الحكيم وبنى بها المتوكل حصنا على البحر تولى بناه عنبسة بن اسحق بن مصر فى سنة تسع وثلاثين
ومائتين عندما بنى حصن دمياط وحصن تنيس وانفق فيها مالا عظيما ولما فتح عمرو بن العاص
عين شمس انفذ الى الفرما ابرهة بن الصباح فصالحه اهلها على خمسماية دينار هرقلية واربعماية
ناقة والف راس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة وفى سنة ثلاث واربعين وثلثماية نزل الروم
عليها فنفر الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا فى جماد الاول سنة تسع واربعين وثلثماية
فخرج اليهم المسلمون واخذوا منهم مركبا وقتلوا من فيه واسروا عشرة وقال اليعقوبى
الفرما اول مدن مصر من جهة الشمال وبها اخلاط من الناس وبينها وبين البحر الاخضر
ثلاثة اميال وقال ابن الكندى ومنها الفرما وهى اكثر عجايب واقدم اثارا ويذكر اهل مصر
انه كان منها طريق الى جزيرة قبرس فى البر فغلب عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب
عليه البحر مقطع الرخام الابلق وان مقطع الابيض بلوبية وقال يحيى بن عثمن كنت ارابط
فى الفرما وكان بينها وبين البحر قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون فى اخصاص على الساحل
ثم علا البحر على ذلك كله وقال ابن قديد وجه ابن المدبر وكان بتنيس الى الفرما فى هدم
ابواب من حجارة شرقى الحصن احتاج ان يعمل منها جيرا فلما قلع منها حجرا وحجرين خرج اهل الفرما
فى السلاح فمنعوا من قلعها وقالوا هذه الابواب التى قال الله تعالى فيها على لسان يعقوب
عليه السلام يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وبالفرما نخل
النخل العجيب الذى يثمر حين ينقطع البسر والرطب من ساير الدنيا فيبتدى هذا الرطب
حين يلد النخل فى الكوانين فلا ينقطع اربعة اشهر حتى يجى البلح فى الربيع وهذا لا يوجد فى
بلد من البلدان الا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان وهو يكون فى
هذا البسر ما وزن البسرة الواحدة فوق العشرين درهما وفيه ما طول البسرة نحو الشبر

والفتر

والفتر وقال ابن المامون البطايحى فى حوادث سنة تسع وخمسماية ووصلت النجابون من
والى الشرقية تخبر بان بغدوين ملك الفرنج وصل الى اعمال الفرما فسير الافضل بن امير
الجيوش لوقته الى والى الشرقية بان يسير المركزيه والمقطعين بها ويسير الراجل من
العطوفية وان يسير الوالى بنفسه بعد ان يتقدم الى العربان باسرهم بان يكونوا فى
الطوالع ويطاردوا الفرنج ويسايروهم بالليل قبل وصول العساكر اليهم فاعتمد ذلك
ثم امر باخراج الخيام وتجهيز الاصحاب والحواشى فلما تواصلت العساكر وتقدمها
العربان وطاردوا الفرنج وعلم بغدوين ان العساكر متواصلة اليه وتحقق ان الاقامة
لا تمكنه امر اصحابه بالنهب والخراب والاحراق وهدم المساجد فاحرق جامعها
ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فاخذه الله تعالى وعجل بنفسه الى النار
فكتم اصحابه موته وساروا بعد ان شقوا بطن بغدوين وملوه ملحا حتى يبقى الى
بلاده فدفنوه بها واما العساكر الاسلامية فانهم شنوا الغارات على بلاد العدو
وعادوا بعد ان خيموا على ظاهر عسقلان وكتب الى الامير ظهير الدين طغدكين صاحب
دمشق بان يتوجه الى بلاد الفرنج فسار الى عسقلان وحملت اليه الضيافات وطولع
بخبر وصوله فامر بحمل الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبنود والاعلام
وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب وبدلة طيم وخيمة كبيرة مكملة ومرتبة
ملوكية وفرشها وجميع الاتها وما يحتاج اليه من الات الفضة وسير برسم شمس الخواص
وهو مقدم كبير خلعة مذهبة ومنطقة ذهب وسيف ذهب وسير برسم المميزين
من الواصلين خلع وسيوف وسلم ذلك جميعه لاحد الحجاب وسير معه فراشين برسم
الخيام وامر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها وان يركب والى عسقلان وظهير الدين
وشمس الخواص وجميع الامرا الواصلين والمقيمين بعسقلان الى باب الخيمة ويقبلوه ثم
الى بساطها والمرتبة المنصوبة ثم يجلس الوالى وظهير الدين وشمس الخواص والمقدمون
ويقف الناس باجمعهم اجلالا وتعظيما ويخلع على الامير ظهير الدين وشمس الخواص ويشد
المناطق فى اوساطهما ويتقلدا بالسيوف ويخلع بعدهما على المميزين ثم يسير ظهير الدين
والمقدمون بالتشريف والاعلام والرايات المسيرة اليهم الى ان يصلوا الى الخيام التى
ضربت لهم فاذا كان كل يوم يركب الوالى والاميران والمقدمون والعساكر الى الخيمة
الملوكية ويتفاوضوا فيما يجب من تدبير العساكر فامتثل ذلك وواصلت العساكر
الغارات على بلاد العدو واسروا وقتلوا فسيرت اليهم الخلع ثانيا وحصل لشمس الخواص
خاصة فى هذه السفرة عشرة الاف دينار وتسلم ظهير الدين الخيمة الكبيرة بما فيها وكان
تقدير ما حصل له ولاصحابه ثلاثين الف دينار وبلغ المنفق فى هذه النوبة وعلى ذهاب

بعد وبين وهلاكه مايه ألف دينار وقال ابن الكندي وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذي
ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال وجعل بين
البحرين حاجزا وهما بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم والفرما
وليس يقارب في بلد من البلدان اقرب منهما بهذا الموضع وبينهما في المعمور مسيرة شهر
مدينة القلزم القلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي وميم بلدة كانت في
ساحل بحر اليمن في اقصاه من جهة مصر وهو كورة من كور مصر واليها ينسب بحر القلزم وبالقرب
منها غرق فرعون وبينها وبين مدينة مصر ثلاثة ايام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها
بالسويس تجاه عجرود ولم يكن بالقلزم ما ولا شجر ولا زرع وانما يحمل الما اليها من ابار بعيدة
وكان بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل الحمولات الى الحجاز واليمن ولم يكن بين القلزم
وفاران قرية ولا مدينة ومن على سيره فيه صيادون للسمك وكذلك من فاران وجبالن
الى ايله قال ابن الطوير والبلد المعروف بالقلزم اكثرها باق الى اليوم ويراها
الركب السائر من مصر الى الحجاز وكانت في القديم ساحلا من سواحل الدولة المصرية
ورايت شيا من حسابه من جهة مستخدميه في حواصل القصر وما ينفق في اليوم وقاضيه
وداعيه وخطيبه والاجناد المركزين بحفظه وقربه وجامعه ومساجده وكان
مسكونا ماهولا وقال المسبحي في حوادث سنة سبع وثمانين وثلثماية وفي شهر رمضان
سامح امير المومنين الحاكم بامر الله اهل مدينة القلزم بما كان يوخذ من مكوس المراكب وقال
ابن خرداذبه عن التجار فيركبون في البحر الغربي ويخرجون بالفرما ويحملون تجاراتهم على
الظهر الى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى الجار
وجده ثم يمضون الى السند والهند والصين ومن القلزم ينزل الناس في بريه وصحرا
ست مراحل الى ايله ويتزودون من الما لمده الست المراحل ويقال ان بين القلزم وبين
بحر الروم ثلاث مراحل وان ما بينهما هو البرزخ الذي ذكره الله تعالى بقوله بينهما
برزخ لا يبغيان التيه ارض بالقرب من ايله بينهما عقبة لا يكاد الراكب
يصعدها لصعوبتها الا انها مهدت من زمن خمارويه بن احمد بن طولون وبين
الراكب مرحلتين في فحص التيه هذا حتى يوافي ساحل بحر فاران حيث كانت مدينة
فاران وهناك غرق فرعون والتيه مقدار اربعين فرسخا في مثلها وفيه تاه بنو اسرايل
اربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا اووا الى بيت ولا بدلوا ثوبا وفيه مات موسى عليه السلام
ويقال ان طول التيه نحو من ستة ايام واتفق ان المماليك البحرية لما خرجوا من القاهرة
هاربين في سنة اثنتين وخمسين وستماية مر طايفة منهم بالتيه فتاهوا فيه خمسة ايام
ثم تراى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه فاذا مدينة عظيمة لها سور

وابواب

وابواب كلها من رخام اخضر فدخلوها وطافوا بها فاذا قد غلب عليها الرمل حتى
طم اسواقها ودورها ووجدوا بها اواني وملابس فكانوا اذا تناولوا منها شيا تناثر
من طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزازين تسعة دنانير ذهبا عليها صورة غزال
وكتابة عبرانية وحفروا موضعا فاذا حجر على صهريج ما فشربوا منه ما ابرد من الثلج
ثم خرجوا ومشوا اليه فاذا بطايفة من العربان حملوهم الى مدينة الكرك فدفعوا الدنانير
لبعض الصيارفة فاذا عليها انها ضربت في ايام موسى عليه السلام ودفع لهم في كل دينار
مايه درهم وقيل لهم ان هذه المدينة الخضرا من مدن بني اسرايل ولها طوفان رمل
يزيد تارة وينقص اخرى لا يراها الا تايه

ذكر مدينة دمياط

اعلم ان دمياط كورة من كور ارض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت
بدمياط من ولد اشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ويقال ان
ادريس عليه السلام كان من اول ما انزل عليه ذو القوة والجبروت انا الله مدين
المداين الفلك بامري وصنعي اجمع بين العذب والمالح والنار والثلج وذلك بقدرتي
ومكنون علمي الدال والميم والالف والطا فيل هم بالسريانية دمياط فيكون دمياط
كلمة سريانية اصلها دمط اي القدرة اشارة الى مجمع العذب والمالح وقال الاستاذ ابراهيم
ابن وصيف شاه دمياط بلد قديم بني في زمان قليمون من ترب بن قبطيم بن مصرايم
على اسم غلام كانت امه ساحرة لقليمون ولما قدم المسلمون الى ارض مصر كان على دمياط
رجل من اخوال المقوقس يقال له الهاموك فلما افتتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهاموك
بدمياط واستعد للحرب فانفذ اليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود في طايفة من المسلمين
فحاربهم الهاموك وقتل ابنه في الحرب فعاد الى دمياط وجمع اليه اصحابه فاستشارهم في
امره وكان عنده حكيم قد حضر الشورى فقال ايها الملك ان جوهر العقل لا قيمة له وما
استغنى به احد الا هداه الى سبيل النجاة والفوز من الهلاك وهولا العرب من بدو امرهم
لم ترد لهم راية وقد فتحوا البلاد واذلوا العباد وما لاحد عليهم قدرة ولسنا باشد من جيوش
الشام ولا اعز وامنع وان القوم قد ايدوا بالنصر والظفر والراي ان يعقد مع القوم
صلحا ينال به الامن وحقن الدما وصيانة الحرم فما انت باكثر رجالا من المقوقس فلم
يعبا الهاموك بقوله وغضب منه فقتله وكان له ابن عارف عاقل وله دار ملاصقة
للسور فخرج الى المسلمين في الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وتمكنوا
منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد وقد
ملكوه فعندما راى شطا بن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بالمسلمين ومعه عدة
من اصحابه فهد ذلك في عضد ابيه واستامن للمقداد فتسلم المسلمون دمياط

واستخلف المقداد عليها وسير بخبر الفتح الى عمرو بن العاص وخرج شطا وقد
اسلم الى البرلس والدميره واشموم طناح فحشد اهل تلك النواحي وقدم بهم مددا
للمسلمين وعونا لهم على عدوهم وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس فبرز الى اهلها وقاتلهم قتالا
شديدا حتى قتل رحمه الله في المعركة شهيدا بعدما انكا فيهم وقتل منهم فحمل من المعركة ودفن
في مكانه المعروف به الان خارج دمياط وكان قتله في ليله الجمعة النصف من شعبان فلذلك
صارت هذه الليلة من كل سنة موسما يجتمع الناس فيها من النواحي عند شطا ويحيونها
وهم على ذلك الى اليوم وما زالت دمياط بيد المسلمين الى ان نزل عليها الروم في سنة تسعين
من الهجرة فاسروا خالد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم فانفذه الى
امير المومنين الوليد بن عبد الملك من اجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم فلما كانت
خلافة هشام بن عبد الملك نازل الروم دمياط في ثلثمايه وستين مركبا فقتلوا وسبوا
وذلك في سنه احدى وعشرين ومايه ولما كانت الفتنة بين الاخوين محمد الامين وعبد الله
المامون وكانت الفتن بارض مصر طمع الروم في البلاد ونازلوا دمياط في اعوام بضع
ومايتين ثم لما كانت خلافة امير المومنين المتوكل على الله وامير مصر يوميذ عنبسة بن
اسحق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومايتين فملكوها وما فيها وقتلوا
بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النسا والاطفال واهل الذمة فنفر اليهم عنبسة بن اسحق
يوم النحر في جيشه ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ومضى الروم الى تنيس فاقاموا
باشتومها فلم يتبعهم عنبسة فقال يحيى بن الفضيل للمتوكل

اترضى بان يوطا حريمك عنوة ... وان يستباح المسلمون ويحربوا
حمار اتى دمياط والروم وثب ... بتنيس راي العين منه واقرب
مقيمون بالاشتوم يبغون مثل ما ... اصابوه من دمياط والحرب ترتب
فما رام من دمياط شيا ولا درا ... من العز ما ياتي وما يتجنب
فلا تنسنا انا بدار مضيعه ... بمصر وان الدين قد كاد يذهب

فامر المتوكل ببنا حصن دمياط فابتدى في بنايه يوم الاثنين لثلث خلون من شهر رمضان
سنه تسع وثلاثين وانشى من حينيذ الاسطول بمصر فلما كان في سنة تسع طرق الروم دمياط
في نحو مايتي مركب فاقاموا يعيثون في السواحل شهرا وهم يقتلون وياسرون وكانت
للمسلمين معهم معارك ثم لما كانت الفتن بعد موت كافور الاخشيدي طرق الروم
دمياط لعشر خلون من رجب سنه سبع وخمسين وثلثمايه في بضع وعشرين مركبا فقتلوا
واسروا مايه وخمسين من المسلمين وفي سنة ثمان واربعمايه ظهر بدمياط سمكه عظيمه
طولها مايتان وستون ذراعا وعرضها مايه ذراع وكانت حمر الملح يدخل في جوفها

موسوقة

موسوقه فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال في فكها ومعهم المجاريف يجرفون الشحم
ويناولوه الناس واقام اهل تلك النواحي مدة طويله ياكلون من لحمها وفي ايام الخليفه
الفايز بنصر الله عيسى والوزير حينيذ الصالح طلايع بن رزيك نزل على دمياط نحو
ستين مركبا في جمادى الاخره سنه خمسين وخمسمايه بعث بها الوحيد بن رجا وصاحب
صقليه فعاثوا وقتلوا ونزلوا بتنيس ورشيد والاسكندرية فاكثروا فيها الفساد
ثم كانت خلافة العاضد لدين الله في وزارة شاور بن مجير السعدي الوزارة الثانية
عندما حضر مري ملك الافرنج الى القاهره وحصرها وقرر على اهلها المال واحرقت
مدينة الفسطاط فنزل على تنيس واشموم ومنية عمرو صاحب اسطول الفرنج في عشرين
شينيا فقتل واسر وسبا وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب للعاضد
وصل الافرنج الى دمياط في شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وخمسمايه وهم فيما يزيد
على الف ومايتي مركب فخرجت العساكر من القاهره وقد بلغت النفقه عليهم زياده على
خمسمايه الف وخمسين الف دينار فاقامت الحرب مده خمسة وخمسين يوما وكانت
نوبه صعبه شديده واتهم في هذه النوبه عدة من اعيان المصريين بممالاة الفرنج
ومكاتبتهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم وكان سبب هذه النوبة ان الغز لما قدموا
الى مصر من الشام صحبة اسد الدين شيركوه تحرك الفرنج لغزو ديار مصر خشية
تمكن الغز بها فاستمدوا اخوانهم اهل صقلية فامدوهم بالاموال والسلاح وبعثوا اليهم
بعده وافره فساروا بالدبابات والمجانيق ونزلوا على دمياط في صفر وهم في العدة
التي ذكرنا من المراكب واحاطوا بها برا وبحرا فبعث السلطان صلاح الدين بابن اخيه
تقي الدين عمر واتبعه بالامير شهاب الدين الحارمي في العساكر الى دمياط وامدهما
بالاموال والميرة والسلاح واشتد الامر على اهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج
فسير صلاح الدين الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستنجده ويعلمه بانه
لا يمكنه الخروج من القاهرة الى لقا الفرنج خوفا من قيام المصريين عليه فجهز اليه العساكر
شيا بعد شي وخرج نور الدين من دمشق بنفسه الى بلاد الفرنج التي بالساحل واغار
عليها واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط فخافوا على بلادهم من نور الدين
ان يتمكن منها ورحلوا عن دمياط في الخامس والعشرين من ربيع الاول بعدما غرق لهم
نحو الثلثماية مركب وقلت رجالهم بفنا وقع فيهم واحرقوا ما ثقل عليهم حمله من المنجنيقات
وغيرها وكان صلاح الدين يقول ما رايت اكرم من العاضد ارسل الي مده مقام الفرنج
على دمياط مايه الف الف دينار سوى ما ارسله الي من الثياب وغيرها وفي سنه
سبع وسبعين وخمسمايه رتبت المقاتله على البرجين وشدت مراكب الى السلسله لتقاتل

عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين ورم شعث سور المدينه وسدت ثلمه
وابعت السلسلة في البرجين فبلغت النفقه في ذلك الف دينار واعتبر السور فكان
قياسه اربعة الاف وستماية وثلاثين ذراعا وفي سنة ثمان وثمانين وخمسماية امر
السلطان بقطع اشجار بساتين دمياط وحفر خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج
وفي سنة خمس عشرة وستماية كانت واقعة دمياط العظمى وكان سبب هذه الواقعة
ان الفرنج في سنة اربع عشرة وستماية تتابعت امدادهم من رومية الكبرى مقر
البابا ومن غيرها من بلاد الفرنج وساروا للامدينه عكا فاجتمع بها عدة من ملوك
الفرنج وتعاقدوا على قصد القدس واخذه من ايدي المسلمين فصاروا بعكا في جمع
عظيم وبلغ ذلك الملك العادل ابو بكر ابن ايوب فخرج من مصر في العساكر الى الرمله
فبرز الفرنج من عكا في جموع عظيمه فسار العادل الى بيسان فقصده الفرنج فخافهم
لكثرتهم وقلة عسكره فاخذ على عقبه فبق يريد دمشق وكان اهل بيسان وما حولها
قد اطمانوا لنزول السلطان هناك فاقاموا في اماكنهم وما هو الا ان سار السلطان
واذا بالفرنج وضعوا السيف في الناس ونهبوا البلاد فحازوا من اموال المسلمين مالا
يحصى كثرة واخذوا بيسان وبانياس وسايروا القرى التي هناك واقاموا ثلاثة ايام ثم
عادوا الى مرج عكا بالغنايم والسبي وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج بالمرج
اياما ثم اغاروا ثانيا ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى مرج عكا فاقاموا به وكان
ذلك كله فيما بين النصف من شهر رمضان وعيد الفطر والملك العادل مقيم بمرج
الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر الى نابلس ليمنع الفرنج من طروقها والوصول
الى بيت المقدس فنازل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر يوما ثم عادوا الى عكا وعزموا
على قصد الديار المصرية فركبوا بجموعهم البحر وساروا الى دمياط في صفر فنزلوا عليها
يوم الثلاثا رابع شهر ربيع الاول سنه خمس عشرة وستماية الموافق لثامن حزيران
وهم نحو السبعين الف فارس واربعماية الف راجل فخيموا تجاه دمياط في البر الغربي وحفروا
على عسكرهم خندقا واقاموا عليه سورا وشرعوا في قتال برج دمياط فانه كان برجا
منيعا فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد في النيل لتمنع المراكب الواصلة في البحر الملح من الدخول
في ديار مصر في النيل وذلك ان النيل اذا انتهى الى فسطاط مصر مر عليه في ناحية الشمال
الى شطنوف فاذا صار الى شطنوف انقسم قسمين احدهما يمر في الشمال الى رشيد فيصب في
البحر الملح والشط الاخر يمر من شطنوف في الى جوجر ثم تفرق من عند جوجر فرقتين فرقة تمر
الى اشموم فتصب في بحيرة تنيس وفرقة تمر من جوجر الى دمياط فتصب في البحر الملح هناك
وتصير هذه الفرقه من النيل فاصلة بين مدينة دمياط وبين البر الغربي وهذا

البر

البر الغربي من دمياط وهو جزيرة يحيط بها ماء النيل والبحر الملح وفي مدة اقامة الفرنج
بهذا البر الغربي عملوا الالات والمرمات واقاموا ابراجا يزحفون بها في المراكب الى برج
السلسلة ليملكوه فانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة ومصر وكان هذا
البرج مشحونا بالمقاتله فتحيل الفرنج عليه وعملوا برجا من الصواري على بطسه كبيرة
واقلعوا بها حتى اسندوها اليه وقاتلوا من به حتى اخذوه فبلغ نزول الفرنج على
دمياط الملك الكامل وكان يخلف اباه الملك العادل على ديار مصر فخرج بمن معه من
العساكر في ثالث يوم من وقوع الطاير بخبر نزول الفرنج لخمس خلون منه وامر والي
الغربية بجمع العربان وسار في جمع كبير وخرج الاسطول فاقام تحت دمياط ونزل
السلطان بمنزله العادليه قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط ليمنع الفرنج
من العبور والقتال مستمر والبرج ممتنع مدة اربعة اشهر والعادل يسير العساكر
من البلاد الشامية شيا بعد شي حتى تكاملت عند الملك الكامل واهتم الملك العادل
لنزول الفرنج على دمياط واشتد خوفه ورحل من برج الصفر الى عالقين فنزل به
المرض ومات في سابع جمادى الاخرة فكتم الملك المعظم عيسى موته وحمله في محفة
وجعل عنده خادما وطبيبا راكبا الى جانب المحفة والشراب دار يصلح الشراب
ويحمله الى الخادم فيشربه ويوهم الناس ان السلطان شربه الى ان دخلوا به الى
قلعة دمشق وصارت اليها الخزاين والبيوتات فاعلم بموته وتسلم ابنه الملك المعظم
جميع ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله الى المدرسة العادلية بدمشق وبلغ
الملك الكامل موت ابيه وهو بمنزلة العادليه قرب دمياط فاستقل بمملكة ديار
مصر واشتغل الفرنج والحوا في القتال حتى استولوا على برج السلسله وقطعوا السلاسل
المتصلة به لتجوز مراكبهم في بحر النيل ويتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل
السلاسل جسرا عظيما لمنع الفرنج من عبور النيل فقاتلت الفرنج عليه قتالا كثيرا الى ان
قطعوه وكان قد انفق على البرج والجسر ما ينيف على سبعين الف دينار وكان الكامل
يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيله في
مكايدة الفرنج فامر الملك الكامل ان يغرق عدة من المراكب في النيل حتى تمنع الفرنج من
سلوك النيل فعمد الفرنج الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه قديما فحفروه
وعمقوا حفره واجروا فيه الماء الى البحر الملح واصعدوا مراكبهم فيه الى بوره على ارض جيزه
دمياط مقابل المنزلة التي بها السلطان ليقاتلوه من هناك فلما صاروا في بورة حاذوه
وقاتلوه في الما وزحفوا اليه عدة مرار فلم يظفروا منه بطايل ولم يتغير على اهل دمياط
شي لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج وابواب المدينه

مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة
بحيث امتنعوا الرقاد خوفا من غاراتهم فلما قوي طمع العرب في الفرنج حتى صاروا يختطفونهم
نهارا و ياخذون الخيمة بمن فيها الكمن الفرنج لهم عدة كمنا و قتلوا منهم خلقا وادرك الناس الشتا
وهاج البحر على مخيم المسلمين وغرقهم فعظم البلاء وتزايد الغم والح الفرنج في القتال وكادوا
ان يملكوا فبعث الله ريحا قطعت مراسي برمة الفرنج وكانت من عجائب الدنيا فمرت الى بر
المسلمين فاخذوها فاذا هي مصفحة بالحديد لا تعمل فيها النار ومساحتها خمسماية ذراع
فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا وبعث الكامل الى
الافاق سبعين رسولا يستنجد اهل الاسلام لنصرة المسلمين ويخوفهم من غلبة الفرنج
على مصر فساروا في شوال واسر الحراقات من حماه وحلب ومنا الناس في ذلك اذ طمع الامير
عماد الدين احمد بن الامير سيف الدين ابي الحسن علي بن احمد الهكاري المعروف بابن
المشطوب في الملك الكامل عندما بلغه موت الملك العادل وكان له لفيف ينقادون
اليه ويطيعونه وكان اميرا كبيرا معتقدا ما عظيما في الاكراد الهكارية وافر الحرمة عند
الملوك معدودا بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك عالي الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعا
ابي النفس تهابه الملوك وله الوقايع المشهورة وهو من امرا الدولة الصلاحية يوسف
فاتفق مع جماعة من الجند والاكراد على خلع الملك الكامل واقامة اخيه الملك الفايز ابراهيم
ليصير له الحكم ووافقه الامير عز الدين الحميدي والامير اسد الدين الهكاري والامير
مجاهد الدين وجماعة من الامرا فلما بلغ ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم مجتمعون
والمصحف بين ايديهم ليحلفون للفايز فلما راوه انفضوا فخشي على نفسه وخرج فاتفق
وصول الصاحب صفي الدين بن شكر من آمد الى الكامل فانه كان استدعاه بعد موت ابيه
فتلقاه واكرمه وذكر له ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان في الليل ركب الملك الكامل
وتوجه من العادلية جريدة الى اشموم طناح فنزلها واصبح العسكر بغير سلطان فركب كل
منهم هواه ولم يعطف الاخ على اخيه وتركوا اثقالهم وخيامهم واموالهم واسلحتهم ولحقوا
بالسلطان فبادر الفرنج في الصباح الى مدينة دمياط ونزلوا البر الشرقي يوم الثلثا
سادس عشر ذي القعدة بغير منازع ولا مدافع واخذوا سائر ما كان في معسكر المسلمين
وكان شيا لا يحيط به الوصف وداخل السلطان وهم عظيم وكاد ان يفارق البلاد
فانه تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج في ارض مصر كلها وظنوا انهم قد ملكوها الا
ان الله سبحانه اغاث المسلمين وثبت السلطان ووافاه اخوه الملك المعظم باشموم طناح
فاشتد به ازره وقوي جاشه واطلعه على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة
ما يكره ثم ان المعظم ركب الى خيمة ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسايرته

فاستمهله

فاستمهله حتى يلبس خفيه وثياب الركوب فلم يمهله واعجله فركب معه وسايره حتى
خرج به من العسكر الكامل ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك واشتهي ان تهبها
لنا واعطاه نفقة وسلمه الى جماعة من اصحابه يثق بهم وقال لهم اخرجوه من الرمل ولا تفارقوه
حتى يخرج الى الشام فلم يسع ابن المشطوب الا ما قال المعظم لانه معه بمفرده ولا قدرة له على
ممانعته فسار وابعد الى حماه ثم مضى منها الى الشرق ولما شيع الملك المعظم ابن المشطوب
رجع الى الملك الكامل وامر اخاه الفايز ابراهيم ان يسير الى ملوك الشام في رسالة عن اخيه
الملك الكامل لاستدعايهم الى قتال الفرنج فمضى الى دمشق وخرج منها الى حماه فمات بها
مسموما على ما قيل فثبت للملك الكامل امر الملك وسكن روعه هذا والفرنج قد احاطوا
بدمياط برا وبحرا واحدقوا بها وضيقوا على اهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم
وحفروا على عسكرهم المحيط بدمياط خندقا وبنوا عليه سورا واهل دمياط يقاتلونهم
اشد القتال ويمانعوهم وقد غلب عندهم الاسعار لقلة الاقوات ثم ان المعظم فارق
الملك الكامل وسار الى بلاد الشام واقام الكامل لمحاربة الفرنج وانتدب شمايل احد
الجاندارية في الركاب للدخول الى دمياط وكان يسبح في الما ويصل الى اهل دمياط فيعدهم
بوصول النجدات فحظي بذلك عند الكامل وتقرب منه حتى جعله والي القاهرة واليه تنسب
خزانة شمايل بالقاهرة فلم يزل الحال على ذلك الى ان دخلت سنة ست عشرة فجهز الملك
المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماه ابن عم ابيه المظفر تقي الدين محمود الى مصر
نجدة لخالة الملك الكامل على الفرنج في جيش كثيف فوصل الى العسكر وتلقاه الملك الكامل
وانزله في ميمنة العسكر منزلة ابيه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف فالح الفرنج
في القتال وكان بدمياط نحو العشرون الف مقاتل فنهكتهم الامراض وغلت عندهم الاسعار
حتى بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة دنانير قال الحافظ عبد العظيم المنذري سمعت
الشيخ ابا الحسن علي بن فضل يقول كان لبعض بني حمار بقرة فذبحوها وباعوها في الحصار بنيف و
ثمانماية دينار وقال في المعجم المترجم سمعت الامير ابا بكر بن حسن بن حسام يقول كنت بدمياط
في حصار الغزو لها فابيع السكر بها بماية واربعين دينارا الرطل والدجاجة بثلاثين دينارا
قال واشتريت الثلاث دجاجات بتسعين دينارا والراوية باربعين درهما والعمر باربعين
شعالا واخذت اخرى جملا فشققت جوفه وملاته دجاجا وفاكهة وبقلا وغير ذلك وخطته
ورميته في البحر وكتبت الى تقول قد فعلت كذا فاذا رايتم جملا ميتا فخذوه فوقع لنا ليلا
فاخذناه وكان فيه ما يساوي جملة فغرقته على الناس ثم عملت بعد ذلك ثلاثة جمال
على هيئته ففطن لها الفرنج فاخذوها وامتلات مساكنهم وطرقات البلد من الموتى
وعدمت الاقوات وصار السكر كعزة الياقوت وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها

والت بهم الحال الى ان لم يبق بها سوى قليل من القمح والشعير فقطع فتسور الفرنج السور
واخذوا منه البلد في يوم الثلاثا لخمس بقين من شعبان وكانت مدة الحصار ستة
عشر شهرا واثنى وعشرون يوما ولما اخذوا البلد وضعوا السيف في الناس فتجاوزوا
الحد في القتل واسرفوا في مقدار القتلى فبلغ ذلك السلطان فرحل بعد اخذ دمياط بيومين
ونزل المنصوره وحصن الفرنج اسوار دمياط وجعلوا الجامع كنيسه وسوا سراياهم
في القرى فقتلوا ونهبوا وسير السلطان الكتب الى الافاق يستحث الناس على الحضور
لدفع الفرنج عن ملك مصر وشرع العسكر في بنا الدور والفنادق والحمامات والاسواق
بمنزلة المنصوره وجهز الفرنج من اسر عندهم من المسلمين في البحر الى عكا وخرجوا من دمياط
ونازلوا السلطان تجاه المنصوره وصار بينهم وبينه بحر اشموم وبحر دمياط وكان الفرنج
في مايتي الف راجل وعشرة الاف فارس فقدم المسلمون شوانيهم امام المنصورة وعدتها
مايه قطعه واجتمعوا الناس من القاهره ومصر وساير النواحي من اسوان الى القاهره
ووصل الامير حسام الدين يونس والفقيه تقي الدين ابو الطاهر محمد بن الحسين بن عبد الرحمن
المحلي فاخرج الناس من القاهره ومصر ونودي بالنفير العام وخرج الامير علاي الدين
جلدك وجمال الدين بن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهره الى اخر الحوف الشرقي فاجتمع
عالم لا يقع عليه حصر وانزل السلطان على ناحيه سارمساح الفي فارس في الاف من العربان
ليحولوا بين الفرنج وبين دمياط وصارت السواني ومعها حراقه كبيره على راس بحر المحله
وعليها الامير بدر الدين بن حسون وانقطعت الميره على الفرنج من البر والبحر وسارت
عساكر المسلمين من الشرق والشام الى الديار المصريه وكان قد خرج الفرنج من داخل البحر
لمدد الفرنج على دمياط فقدم منهم امم لا تحصى يريدون التوغل في ارض مصر فلما تكاملوا
بدمياط خرجوا منها في حدهم وحديدهم ونزلوا تجاه الملك الكامل كما تقدم فقدمت النجدات
فقويها الملك الاشرف موسى بن العادل وعلى ساقها الملك المعظم عيسى فتلقاه الملك الكامل واكرمه
عنده بالمنصوره في ثالث عشر من جمادى الاخره سنه ثمان عشره وتتابع مجي الملوك حتى بلغت
عدة فرسان المسلمين نحو اربعين الف فارس فحاربوا الفرنج في البر والبحر واخذوا منهم
ستة شواني وجلاسه وبطسه واسروا من الفرنج الفين ومايتين ثم ظفر المسلمون بثلاث
قطايع اخر فتضعضع الفرنج لذلك وضاق بهم المقام وبعثوا يطلبون الصلح فقدم عند
رسلهم اهل الاسكندريه في ثمانية الاف مقاتل وكان الذي طلب الفرنج القدس وعسقلان
وطبريه وجبله واللاذقيه وساير ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف من الساحل لم يرحلوا
عن ديار مصر فبذل المسلمون لهم ساير ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك
فامتنع الفرنج من الصلح وقالوا لا بد من اخذهم الكرك والشوبك ومبلغ ثلاثماية الف دينار

عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من اسوار القدس وكان المعظم لما
مات ابوه العادل واستولى الفرنج دمياط ونازلوا الملك الكامل قبالة المنصورة خاف
ان يصل منهم في البحر من ياخذ القدس ويتحصنوا به فامر بتخريب اسواره وكانت اسواره
وابراجه في غاية العظمة والمنعة فاتى الهدم على جميعها ما خلا برج داود واستعمل اكثر الناس
من القدس ولم يبق به الا القليل ونقل المعظم ما كان بالقدس من الاسلحة والالات فامتنع
المسلمون من اجابة الفرنج الى ذلك وقاتلوهم وعبر جماعة من المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي
عليها الفرنج وفجروا مكانا عظيما من النيل وكان في قوة الزياده فركب الما اكثر تلك الارض
وصار حايلا بين الفرنج وبين مدينه دمياط وانحصروا فلم يبق لهم سوى طريق ضيقه
فامر السلطان للوقت بنصب الجسور عند اشموم طناح وعبرت العساكر عليها وملكت
الطريق التي يسلكها الفرنج الى دمياط اذا ارادوا الوصول اليها فاضطروا وضاقت عليهم
الارض واتفق مع ذلك وصول مرمه عظيمه للفرنج في البحر حولها عده حراقات تحميها وقد
مليت كلها بالميرة والاسلحة فقاتلتهم شواني المسلمين وظفرهم الله بهم فاخذها المسلمون
وعندما علم الفرنج ذلك ايقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون على
اطرافهم فهدموا حينيذ خيامهم ومجانيقهم والقوا فيها النار وهموا بالزحف على المسلمين
ومقاتلتهم ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه الراكبه على الارض
وخشوا من الاقامة لقلة اقواتهم فذلوا وسالوا الامان على ان يتركوا دمياط للمسلمين فشاور
السلطان في ذلك فاختلف الناس عليه فمنهم من امتنع في تامين الفرنج وراى ان يوخذوا
عنوة ومنهم من جنح الى اعطايهم الامان خوفا ممن وراهم من الفرنج في الجزاير وغيرها
ثم اتفقوا على الامان وان يعطي كل من الفريقين رهاين فتقرر ذلك في تاسع شهر رجب
سنه ثمان عشرة وسير الفرنج عشرين ملكا رهنا عند الملك الكامل وبعث الكامل بابنه
الملك الصالح نجم الدين ايوب وجماعة من الامرا الى الفرنج وجلس السلطان مجلسا
عظيما لقدوم ملوك الفرنج وقد وقف اخوته واهل بيته بين يديه وصار في ابهة وناموس
مهاب وخرج قسوس الفرنج ورهبانهم الى دمياط فسلموها للمسلمين في تاسع عشره وكان
يوم تسليمها يوما عظيما وعندما تسلم المسلمون دمياط وصارت بايديهم قدمت نجده
في البحر للفرنج فكان من جميل صنع الله تاخرها حتى ملكت دمياط بايدي المسلمين فانها لو قدمت
قبل ذلك لقوي بها الفرنج فان المسلمين وجدوا مدينه دمياط قد حصنها الفرنج وصارت
بحيث لا ترام ولما تم الامر بعث الفرنج بولد السلطان ومن معه اليه وسير اليهم السلطان
من كان عنده من الملوك في الرهن وتقررت الهدنة بين الفرنج والمسلمين مدة ثماني سنين
وكان مما وقع الصلح عليه ان كلا من المسلمين والفرنج يطلق ما عنده من الاسرى وحلف

السلطان واخوته وخلعت ملوك الفرنج وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك الكامل
الى دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام المذكورة ورحل الفرنج الى
بلادهم وعاد السلطان الى مقر ملكه واطلقت الاسرى من ديار مصر وكان فيهم من اسر من
ايام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت ملوك الشام بعساكرها الى بلادها وعمت
بشارة اخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج ساير الافاق فان الفرنج كانوا قد استولوا على
ممالك المشرق واشرف الفرنج على اخذ ديار مصر من ايدي المسلمين وكانت مدة نزول الفرنج
على دمياط الى ان اقلعوا عنها سايرين الى بلادهم ثلاث سنين واربعة اشهر وتسعة عشر يوما
مدة استيلايهم على مدينة دمياط سنة وعشرة اشهر واربعة وعشرون يوما فلما كان
في سنة ست واربعين وستماية حدث بالسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك
الكامل محمد ورم في مابضه تكون منه ناصور فتح وعسر برؤه فمرض من ذلك وانضاف
اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش الا ان علو همته اقتضت مسيره من بلاد مصر الى الشام
فسار في محفة ونزل بقلعة دمشق فورد عليه رسول الانبرطور ملك الفرنج الالمانية
بجزيرة صقلية في هيئة تاجر واخبره سرا ان بواش الذي يقال له ريدافرنس عازم على
المسير الى ارض مصر واخذها فسار السلطان من دمشق وهو مريض في محفة ونزل
باشموم طناح في المحرم سنة سبع واربعين وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والازواد
والاسلحة والالات القتال شيا كثيرا خوفا ان يجري على دمياط ما جرى في ايام ابيه فاخذت
بغير ذلك ولما نزل السلطان باشموم كتب الى الامير حسام الدين ابي علي بن ابي علي الهذباني
نايبه بديار مصر ان يجهز الاسطول من صناعة مصر فشرع في الاهتمام بذلك وشحن
الاسطول بالرجال والسلاح وساير ما يحتاج اليه وسيره شيا بعد شي وجهز السلطان الامير
فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ومعه الامرا والعساكر فنزل بجيزة دمياط من برها
الغربي وصار النيل بينه وبينها فلما كان في الساعة الثانية من نهار الجمعة لتسع بقين من
صفر وردت مراكب الفرنج البحرين وفيها جموعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل
وارسوا بازا المسلمين وبعث ملكهم الى السلطان كتابا نصه اما بعد فانه لم يخف عنك اني
امين الامة العيساوية كما انه لا يخفى علي انك امين الملة المحمدية وغير خاف عنك ان
عندنا اهل جزاير الاندلس وما يحملوا الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق
البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستاسر البنات والصبيان ونخلي منهم الديار
وانا قد ابديت لك ما فيه الكفاية وبذلت لك النصح الى النهاية فلو حلفت لي بكل
الايمان ودخلت على الاقسا والرهبان وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان لكنت
واصلا اليك وقاتلك في اعز البقاع اليك فاما ان تكون البلاد لي فيا هدية حصلت

في

تك

يدي واما ان تكون البلاد لك والغلبة علي فيدك العليا ممتدة الي وقد عرفتك وحذرتك
من عساكر حضرت في طاعتي تملا السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك
باسياف القضا فلما قرى الكتاب على السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكتب
القاضي بها الدين زهير بن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد
رسول الله واله وصحبه اجمعين اما بعد فانه وصل كتابك وانت تهدد فيه بكثرة جيوشك
وعدد ابطالك فنحن ارباب السيوف وما قتل منا قرن الا جددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه
ولو رات عينك ايها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل
وتخريبنا ديار الاواخر منكم والاوايل لكان لك ان تعض على اناملك بالندم ولا بد ان تزل
بك القدم في يوم اوله لنا واخره عليك فهنالك تسي بك الظنون وسيعلم الذين ظلموا اي
منقلب ينقلبون فاذا قرات كتابي هذا فتكون فيه على اول سورة النحل اتى امر الله فلا
تستعجلوه ويكون على اخر سورة ص ولتعلمن نباه بعد حين ونعوذ الى قول الله تبارك وتعالى
وهو اصدق القايلين كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول
الحكما ان الباغي له مصرع وبغيك يصرعك والى البلا يقلبك والسلام وفي يوم السبت غد
ورود الفرنج ضربوا خيامهم في البر الذي فيه عساكر المسلمين وكانت خيمة الملك ريدافرنس
حمرا فناوشهم المسلمون القتال واستشهد يوميذ الامير نجم الدين بن شيخ الاسلام والامير
صارم الدين ازبك الوزيري فلما امسى الليل رحل الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ
بعساكر المسلمين جبنا وهلعا وصار بهم في بر دمياط وسار الى جهة اشموم طناح فخاف من
كان في مدينة دمياط وخرجوا منها على وجوههم في الليل لا يلتفتون الى شي وتركوا المدينة
خالية من الناس ولحقوا بالعسكر في اشموم وهم حفاة عراة جياع حيارى بمن معهم من النسا
والاولاد ومروا هاربين الى القاهرة فاخذ منهم قطاع الطريق ما عليهم من الثياب
وتركوهم عريا فشنعت القالة على الامير فخر الدين من كل احد وعد جميع ما نزل بالمسلمين
من البلا بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد العظيمة والاسلحة
وغيرها خوفا ان يصيبها في هذه المدة ما اصابها في ايام الكامل فانه ما اتي عليها اذ ذاك
الا من قلة الاقوات بها ومع ذلك امتنعت من الفرنج اكثر من سنة حتى فني اهلها كما تقدم
ولكن الله يفعل ما يريد ولما اصبح الفرنج يوم الاحد لسبع بقين من صفر قصدوا دمياط
فاذا ابواب المدينة مفتحة ولا احد يدفع عنها فظنوا ذلك مكيدة وتمهلوا حتى ظهر لهم
خلوها فدخلوا اليها من غير مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحة العظيمة
والات الحرب والاقوات الخارجة عن الحد في الكثرة والاموال والامتعة صفوا بغير
كلفة فاصيب الاسلام والمسلمون ببلا لولا لطف الله لمحى اسم الاسلام ورسمه بالكلية وانزعج

الناس في القاهرة ومصر انزعاجا عظيما لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض السلطان
وعدم حركته واما السلطان فانه اشتد حنقه على الامير فخر الدين وقال اما قدرتانت
والعساكر ان تقفوا ساعة بين يدي الفرنج واقام عليه القيامة لكن الوقت لم يكن يسع
غير الصبر والاغضا وغضب على الكنانيين الذي كانوا بدمياط ووبخهم فقالوا ما نعمل اذا
كانت عساكر السلطان باجمعهم وامراوه هربوا واحرقوا الزردخانا فكيف لا نهرب نحن
فامر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير اذن وكانت عدة من شنق من الامرا الكنانية
زيادة على خمسين اميرا في ساعة واحدة ومن جملتهم امير حشم له ابن جميل سال ان يشنق قبل
ابنه فامر السلطان ان يشنق ابنه قبله فشنق الابن ثم الاب ويقال ان شنق هولا كان بفتوى
الفقها فخاف جماعة من الامرا وهموا بالقيام على السلطان فاشار عليهم الامير فخر الدين
ابن شيخ الشيوخ بان السلطان على خطه فان مات فقد كفيتم امره والا فهو بين ايديكم واخذ
السلطان في اصلاح سور المنصورة واستقل اليها لخمس بقين من صفر وجعل الستاير على السور
وقدمت الشواني الى تجاه المنصورة وفيها العدد الكاملة وشرع العسكر في تجديد الابنية
هناك وقدم من العربان واهل النواحي ومن المطوعة خلق لا يحصى عددهم واخذوا
في الاغارة على الفرنج فملا الفرنج اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والالات فلما كان اول
ربيع الاول قدم الى القاهرة من اسرا الفرنج الذين تخطفهم العربان ستة وثلاثون منهم
فارسان وفي خامس ربيع الاخر ورد منهم تسعة وثلاثون وفي سابعه ورد اثنان
وعشرون اسيرا وفي سادس عشره ورد خمسة واربعون اسيرا منهم ثلاثة خيالة وفي
ثامن عشر جمادى الاولى ورد خمسون اسيرا هذا ومرض السلطان يتزايد وقواه
تتناقص حتى ايس الاطبا منه وفي ثالث عشر رجب قدم الى القاهرة سبعة واربعون اسيرا
واحد عشر فارسا وظفر المسلمون بمسطح للفرنج في البحر فيه مقاتلة بالقرب من نستراوة فلما
كان ليلة الاحد لاربع عشرة مضت من شعبان مات السلطان الملك الصالح بالمنصورة
فلم يظهروا موته وحمل في تابوت الى قلعة الروضة وقام بامر العسكر الامير فخر الدين بن شيخ
الشيوخ فان شجر الدر زوجة السلطان لما مات احضرت الامير فخر الدين والطواشي
جمال الدين محسن واليه امر المماليك البحرية والحاشية واعلمتهما بموته فكتما ذلك خوفا
من الفرنج لانهم كانوا قد اشرفوا على تملك ديار مصر فقام الامير فخر الدين بالتدبير وسيروا
الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا الفارس اقطاي لاحضاره واخذ الامير
فخر الدين في تحليف العسكر للملك الصالح ولابنه الملك المعظم بولاية العهد من بعده وللامير
فخر الدين باتابكية العسكر والقيام بامر الملك حتى حلفهم كلهم بالمنصورة وبالقاهرة في دار
الوزارة عند الامير حسام الدين بن ابي علي في يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من شعبان

وكانت

وكانت العلامات تخرج من الدهليز السلطاني بالمنصورة الى القاهرة بخط خادم يقال له
سهيل لا يشك من راها انها خط السلطان ومشى ذلك على الامير حسام الدين بالقاهرة
مدة ولم يتفوه احد بموت السلطان الى ان كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد
الامر الى القاهرة بدعا الخطبا في الجمعة الاتية للملك المعظم بعد الدعا للسلطان وان
ينقش اسمه على السكة فلما علم الفرنج بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم
وشوانيهم تحاذيهم في البحر ونزلوا فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان ثم ورد في يوم
الجمعة من الغد كتاب الى القاهرة من المعسكر اوله انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم
وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ بليغة في الحث على الجهاد فقرى على منبر
جامع القاهرة وقد جمع الناس لسماعه فارتجت القاهرة ومصر وظواهرهما بالبكا والعويل
وايقن الناس باستيلا الفرنج على البلاد لخلو الوقت من ملك يقوم بالامر لكنهم لم يصلوا وخرجوا
من القاهرة ومصر وساير الاعمال فاجتمع عالم عظيم فلما كان يوم الثلاثا اول شهر رمضان
اقتتل المسلمون والفرنج فاستشهد العلاي امير مجلس وجماعة ونزل الفرنج شارمساح
وفي يوم الاثنين ثامنه نزلوا البرمون فاضطرب الناس وزلزلوا زلزالا شديدا لقربهم من
العسكر وفي يوم الاحد ثالث عشره وصلوا تجاه المنصورة وصار بينهم وبين المسلمين بحر
اشموم وخندقوا عليهم وادار وا على خندقهم سورا ستروه بكثير من الستاير ونصبوا
المناجنيق ليرموا بها على المسلمين وصارت شوانيهم بازايهم في بحر النيل وشواني المسلمين
بازا المنصورة والتحم القتال برا وبحرا وفي سادس عشره نفر الى المسلمين ستة خيالة اخبروا
بمضايقة الفرنج وفي يوم عيد الفطر اسر من الفرنج كند من اقارب الملك وابلى عوام المسلمين في
قتال الفرنج بلا كثيرا وانكوهم نكاية عظيمة وصاروا يتغفلون منهم في كل وقت وياسرون
ويلقوا انفسهم في الما ويعبروا فيه الى الجانب الذي فيه الفرنج ويتحيلوا في اختطاف الفرنج بكل
حيلة ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قور بطيخة وادخل فيها راسه وغطس في الما حتى
حاذى بر الفرنج فظنه بعضهم بطيخة ونزل حتى ياخذها فخطفه واتى به الى المسلمين وفي
يوم الاربعا سابع شوال اخذ المسلمون شينيا للفرنج فيه كند وماية رجل وفي يوم الخميس
النصف منه ركب الفرنج الى بر المسلمين واقتتلوا فقتل منهم اربعون فارسا وسير في غده
الى القاهرة بسبعة وستين اسيرا منهم ثلاثة من اكابر الداوية وفي يوم الخميس ثاني عشرينه
احرقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر واستظهر المسلمون عليهم وكان بحر اشموم فيه مخايض
فدل بعض من لا دين له ممن يظهر الاسلام الفرنج عليها فركبوا سحر يوم الثلاثا خامس ذي
القعدة اورابعه ولم يشعر المسلمون الا بهم وقد هجموا على العسكر وكان الامير فخر الدين قد
عبر الحمام فاتاه الصريخ بان الفرنج قد هجموا على العسكر فركب دهشا غير معتد ولا متحفظ

وساق قليل من الامرا والاجناد بالركوب في طايفة من مماليكه فلقيه عدة من الفرنج الداوية
وحملوا عليه ففر اصحابه واتته طعنة في جنبه واخذته السيوف من كل جانب حتى قتلوه رحمه الله تعالى
وفي الحال عدا مماليكه في طايفة الى داره وكسروا صناديقه وخزاينه ونهبوا امواله وخيوله
وساق الفرنج عند قتل الامير فخر الدين الى المنصورة فتفرق المسلمون خوفا منهم وتفرقوا يمنة
ويسرة وكادت الكسرة ان تكون ومحوا الفرنج كلمة الاسلام من ارض مصر ووصل الملك ريد
افرنس بنفسه الى باب قصر السلطان ولم يبق الا ان يملكه فاذن الله سبحانه ان الطايفة
المماليك البحرية والجمدارية الذين استجدهم الملك الصالح ومن جملتهم بيبرس البندقداري
حملوا على الفرنج حملة صدموا بها اللقاحتي ازاحوهم عن مواقفهم وابلوا في مكافحتهم بالسيوف
والدبابيس فانهزموا وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الخيالة في هذه النوبة الفا
وخمسماية فارس واما الرجالة فانها كانت وصلت الى الجسر لتعدي فلو تراخى الامر حتى صاروا
مع المسلمين لاعضل الداء على ان هذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال
لما افلت من الفرنج احد فنجا من نجا منهم وضربوا عليهم سورا وحفروا خندقا وصارت
طايفة منهم في البر الشرقي ومعظمهم في الجزيرة المتصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكسرة
قد سرحت على جناح الطاير الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما ووردت السوقة
وبعض العسكر ولم تغلق ابواب القاهرة ليلة الاربعا وفي يوم الاربعا سقط الطاير
بالبشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزينت القاهرة وضربت البشاير بقلعة الجبل
وسار المعظم تورانشاه الى دمشق فدخلها يوم السبت اخر شهر رمضان واستولى على بابها
ولاربع مضين من شوال سقط الطاير بوصوله الى دمشق فضربت البشاير في العسكر
بالمنصورة وفي قلعة الجبل وسار من دمشق لثلاث بقين منه فتواترت الاخبار بقدومه
وخرج الامير حسام الدين بن ابي علي الى لقايه فوافاه بالصالحية لاربع عشرة بقين من
ذي القعدة ومن يومئذ اعلن بموت الملك الصالح بعد ما كان قبل ذلك لا ينطق احد بموته في القعدة
البتة بل الامور على حالها والدهليز السلطاني بحاله والسماط على العادة وشجر الدر ام خليل
زوجة السلطان تدبر الامور وتقول السلطان مريض ما اليه وصول ثم سارت الصالحية
فتلقاه الامرا والمماليك واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثا تاسع عشر ذي
القعدة وفي اثنا هذه المدة عمل المسلمون مراكب وحملوها على الجمال الى بحر المحلة والقوها فيه
وشحنوها بالمقاتلة فعندما حاذت مراكب الفرنج بحر المحلة وتلك المراكب فيه مكمنة خرجت
عليهم ووقعت الحرب بينهما وقدم الاسطول الاسلامي من جهة المنصورة واحاط بالفرنج
فظفر باثنين وخمسين مركبا للفرنج وقتلوا واسروا منهم نحوا الالف رجل فانقطعت الميرة عن الفرنج
واشتد عندهم الغلا وصاروا محصورين فلما كان اول يوم من ذي الحجة اخذ الفرنج من

المراكب

المراكب التي في بحر المحلة سبع حراريق وفر من كان فيها من المسلمين وفي يوم عرفة برزت
الشواني الاسلامية الى مراكب قدمت للفرنج فيها ميرة فاخذت منها اثنين وثلاثين مركبا
منها تسعة شواني فوهنت قوة الفرنج وتزايد الغلا عندهم وشرعوا في طلب الهدنة
من المسلمين على ان يسلموا دمياط وياخذوا بدلا منها القدس وبعض بلاد الساحل فلم يجابوا
الى ذلك فلما كان اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة احرق الفرنج اخشابهم كلها واتلفوا
مراكبهم يريدون التحصن بدمياط ورحلوا في ليلة الاربعا لثلاث مضين من المحرم سنة ثمان
واربعين وستماية الى دمياط واخذت مراكبهم في الانحدار قبالتهم فركب المسلمون اقفيتهم
بعدما عدوا الى برهم وطلع الفجر من يوم الاربعا وقد احاط المسلمون بالفرنج وقتلوا
واسروا منهم كثيرا حتى قيل ان عدد من قتل من الفرسان على فارسكور ما يزيد على عشرة
الاف واسر من الخيالة والرجالة والصناع والسوقة ما ينيف عن ماية الف ونهب من المال
والذخاير والخيول والبغال ما لا يحصى وانحاز الملك ريدافرنس واكابر الفرنج الى تل ووقفوا
مستسلمين وسالوا الامان فامنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالحي ونزلوا على امانه
واحيط بهم وسيقوا الى المنصورة فقيد ريدافرنس واعتقل في الدار التي كان ينزل فيها
القاضي فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشا ووكل به الطواشي صبيح المعظمي واعتقل
معه اخوه ورتب له راتب يحمل اليه في كل يوم ورسم الملك المعظم لسيف الدين يوسف
ابن الطودي احد من وصل صحبته من الشرق ان يتولى قتل الاسرى فكان يخرج منهم كل
ليلة ثلثماية رجل ويقتلهم ويلقيهم في البحر حتى فنوا ولما قبض على الملك ريدافرنس رحل
الملك المعظم من المنصورة ونزل بالدهليز السلطاني على فارسكور وعمل له برجا من
خشب وتراخى في قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال الدين بن يغمور نايبه
بدمشق ولده تورانشاه الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وما النصر الا من عند الله
ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله واما بنعمة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
نبشر المجلس العالي الجمالي بل نبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين
فانه كان قد استفحل امره واستحكم شره وييس العباد من البلاد والاهل والاولاد
فنودوا لا تياسوا من روح الله فلما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة وهي سنة
ثمان واربعين وستماية تمم الله على الاسلام بركتها فتحنا الخزاين وبذلنا الاموال وفرقنا
السلاح وجمعنا العربان والمطوعة وخلقا لا يعلمهم الا الله وجاوا من كل فج عميق ومكان
سحيق فلما راى العدو ذلك ارسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل
فابينا ولما كان ليلة الاربعا تركوا خيامهم واموالهم واثقالهم وقصدوا دمياط هاربين
فسرنا في اثارهم طالبين وما زال السيف يعمل في ادبارهم عامة الليل وقد حل بهم الخزي

والويل فلما اصبحنا يوم الاربعا قتلنا منهم ثلاثين الفا غير من القى نفسه في اللجج واما
الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجا الفرنسيس الى المنية وطلب الامان فامناه واخذناه
واكرمناه وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته وجلاله وعظمته وبعث مع الكتاب غفارة
الملك فرنسيس فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهي اشكر لاط احمر بفرو سنجاب فقال
الشيخ نجم الدين بن اسرائيل ان غفارة الفرنسيس التي جاءت حبا لسيد الامرا

كبياض القرطاس لونا ولكن صبغتها سيوفنا بالدما وقال

اسيد املاك الزمان باسرهم بجرت من نصر الاله وعوده

فلا زال مولانا يبيح حمى العدى ويلبس اسلاب الملوك عبيده

واخذ الملك المعظم يتهدد زوجة ابيه شجر الدر ويطالبها بمال ابيه فخافته وكاتبت
مماليك الملك الصالح تحرضهم عليه وكان المعظم لما وصل اليه الفارس اقطاى الى حصن
كيفا وعده ان يعطيه امرة فلم يف له واعرض مع ذلك عن مماليك ابيه واطرح امراه
وصرف الامير حسام الدين بن ابى على عن نيابة السلطنة واحضره الى العسكر ولم
يعبا به وابعد غلمان ابيه واختص بمن وصل معه من المشرق وجعلهم في الوظايف
السلطانية فجعل الطواشى مسرور خادمه استادارا وعمل صبيح وكان عبدا
حبشيا فحلا امير جاندار وامر ان يكون له عصا من ذهب واعطاه مالا جزيلا
واقطاعات جليلة وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب روسها بالسيف حتى ينقطع ويقول
هكذا افعل بالبحرية فانه كان فيه هوج وخفة واحتجب على العكوف بملاذه فنفرت
منه النفوس وبقى كذلك الى يوم الاثنين تاسع عشر من المحرم وقد جلس على السماط
فتقدم اليه احد المماليك البحرية وضربه بسيف قطع اصابع يده ففر الى البرج فاقتحموا
عليه وسيوفهم مصلتة فصعد اعلا البرج الخشب فرموه بالنشاب واطلقوا النار
في البرج فالقى بنفسه ومر الى البحر وهو يقول ما اريد ملككم دعوني ارجع الى الحصن
يا مسلمين ما فيكم من يصطنعني ويجيرني وساير العساكر واقفة فلم يجبه احد
والنشاب ياخذه من كل ناحية وادركوه فقطع بالسيوف ومات حريقا غريقا
قتيلا في يوم الاثنين المذكور وترك على الشاطى ثلاثة ايام ثم دفن ولما قتل الملك
المعظم اتفق اهل الدولة على اقامة شجر الدر والدة خليل في مملكة مصر وان يكون
مقدم العسكر الامير عز الدين ايبك التركمانى الصالحى وحلف الكل على ذلك
وسيروا اليها عز الدين الرومى فتقدم عليها فى قلعة الجبل واعلمها بما اتفق فرضيت
به وكتبت على المواقيع علامتها وهي والدة خليل وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة
وجرى الحديث مع الملك ريدافرنس فى تسليم دمياط وتولى مفاوضته فى ذلك

الامير

الامير حسام الدين بن ابى على الهذبانى فاجاب الى تسليمها وان يخلى عنه بعد
ما دارت رسل الى الفرنج بدمياط يامرهم بتسليمها الى المسلمين فتسلموها بعد جهد
جهيد من كثرة المراجعات فى يوم الجمعة ثالث صفر ورفع العلم السلطانى على سورها
واعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعد ما اقامت بيد الفرنج احد عشر شهرا
وتسعة ايام وافرج عن الملك ريدافرنس وعن اخيه وزوجته ومن بقى من اصحابه
الى البر الغربى وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر واقلعوا الى عكا وفى هذه
النوبة تقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جيته مقال صدق عن قوول نصيح
اجرك الله على ما جرى من قتل عباد يسوع المسيح
اتيت مصر تبتغى ملكها تحسب ان الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين الى ادهم ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفا لا يرى منهم الا قتيلا او اسيرا وجريح
وفقك الله لامثالها لعل عيسى منكم يستريح
ان كان باباكم بذا راضيا فرب غش قد اتى من نصيح
قل لهم ان اضمروا عودة لاخذ ثار او لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشى صبيح

وقدر الله ان الفرنسيس هذا بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد
تونس فقال شاب من اهلها يقال له احمد بن اسمعيل الزيات يا فرنسيس هذه اخت مصر

فتاهب لما اليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكير

وكان هذا فالا حسنا ومات وهو على محاصرة تونس ولما تسلم الامرا دمياط وردت
البشرى الى القاهرة فضربت البشاير وزينت القاهرة ومصر وقدمت العساكر
من دمياط يوم الخميس تاسع صفر فلما كان فى سلطنة الملك الاشرف موسى بن الملك
المسعود اقسيس بن الملك الكامل والملك المعز عز الدين ايبك التركمانى وكثر
الاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف بن العزيز على دمشق اتفق ارباب
الدولة بمصر وهم المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط خوفا من مسير الفرنج
اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفعلة فوقع الهدم فى اسوارها يوم
الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان واربعين وستماية حتى خربت كلها.

ومحوا اثارها ولم يبق منها سوى الجامع وصار في قبلتها اخصاص على النيل سكنها
الناس الضعفا وسموها المنشيه وهذا السور هو الذى بناه امير المومنين المتوكل على الله
كما تقدم ذكره فلما استبد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى
بمملكة مصر بعد قتل الملك المظفر قطز اخرج من مصر عدة من الحجارين فى سنة تسع
وخمسين وستماية لردم فم بحر دمياط فمضوا وقطعوا كثيرا من القرابيص والقوها فى
بحر النيل الذى يصب من شمال دمياط فى بحر الملح حتى ضاق وتعذر دخول المراكب منه
الى دمياط وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب البحر الكبار ان تدخل منه وانما ينقل
ما فيها من البضايع فى مراكب نيليه تعرف عند اهل دمياط بالجروم واحدها جرم وتصير
مراكب بحر الملح واقفة باخر البحر قريبا من ملتقى البحرين ويزعم اهل دمياط الان ان سبب
امتناع دخول مراكب البحر جبل فى فم البحر او رمل تترى هناك وهذا قول باطل حملهم
عليه ما يجدونه من تلاف المراكب اذا هجمت على هذا المكان وجهلهم باحوال الوجود
وما مر من الوقايع والى يومنا هذا يخاف على المراكب عند ورودها فم هذا البحر ولكثرة
ما يتلف فيه وقد سرت اليه حتى شاهدته ورويته من اعجب ما يراه الانسان واما
دمياط الان فانها حدثت بعد تخرب مدينة دمياط وعمل هناك اخصاص وما برحت
تزداد الى ان صارت بلدة كبيرة ذات اسواق وحمامات وجوامع ومدارس ومساجد
ودورها تشرف على النيل الاعظم ومن ورايها البساتين وهى احسن بلاد الله منظرا
وقد اخبرنى الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمى رحمه الله انه لم ير فى
البلاد التى سلكها من سمرقند الى مصر احسن من دمياط هذه فظننت انه يغلو في مدحها
الى ان شاهدتها فاذا هى احسن بلد وانزهه وفيها اقول

سقى عهد دمياط وحياه من عهد … فقد زادنى ذكراه وجدا على
وجد

ولا زالت الانوا تسح سحابها … ديارا حكت من حسنها جنة الخلد
فيا حسن ما تبدى الديار وطيبها … فكم قد حوت حسنا يجل عن العد
فسه انهار تحف بروضها … لكالمرهف المصقول او صفحة
الخد

وبينهما الريان يحكى متيما … تبدل من وصل الاحبه بالصد
فقام على رجليه فى الدمع غارقا … يراعى نجوم الليل من وحشة
الفقد

وظل على الاقدام تحسب انه … لطول انتظار من حبيب على وعد

ولاسيما تلك النواعير انها … تجدد حزن الواله المدنف
الفرد

اطارحها شجوى وصارت كانما … تطارح شكواها بمثل الذى
ابدى

فقد خلقها الافلاك فيها نجومها … تدور بمحض النفع منها وبالسعد
وفى البرك الغرا ياحسن نورج … وغدى بالزهو يسطو على الورد
سما من البلور فيها كواكب … عجيبة صبغ اللون محكمة النضد
وفى شاطئ النيل المقدس نزهة … تعيد شباب الشيب فى العيش
الرغد

وينشى ارتياحا يطرد الهم والاسى … وينسى ليالى الوصل من طيبها عند
وفى مرج البحرين جم عجايب … تلوح وتبدو امن قريب ومن بعد
كان التقا النيل بالبحر اذ غدا … مليكين سارا فى الجحافل من جند
وقد نزلا للحرب واحتدم اللقا … ولا طعن الا بالمثقفه الملد
فظلا كما باتا وما برحا دهرا … كذا من جليل الخطب فى اعظم الجهد
فكم قد مضى لى من افانين لذة … بشاطيها العذب الشهى لذى
الورد

وكم قد نعمنا فى البساتين برهة … بعيش هنئ فى امان وفى
سعد

وفى البرزخ المانوس كم لى خلوة … وعند شطا عن ايمن العلم
الفرد

هناك ترى عين البصيرة ما ترى … من الفضل والافضال
والخير والجد

فيا رب هيى يا بفضلك عودة … ومن بها فى غير بلوى ولا
جهد

وبدمياط حيث كانت المدينة التى هدمت جامع من اجل مساجد المسلمين تسميه العامة
مسجد فتح وهو المسجد الذى اسسه المسلمون عند فتح دمياط اول ما فتح الله ارض مصر
على يد عمرو بن العاص وعلى بابه مكتوب بالقلم الكوفى انه عمر بعد سنة خمسماية من الهجرة
وفيه عدة من العمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وانما عرف بجامع فتح لنزول شخص
يقال له فاتح به فقالت العامه جامع فتح وانما هو فاتح بن عثمن الاسمر التكرورى
قدم من مراكش الى دمياط على قدم التجريد وسقاها الماء فى الاسوار واحتسابا من غير
ان ينال ولا من احد شيا ونزل فى ظاهر الثغر ولزم الصلاة مع الجماعه وترك الناس جميعا

ثم اقام بناحية تونه من بحيرة تنيس وهي خراب نحو سبع سنين ورم مسجدها ثم انتقل
من تونه الى جامع دمياط واقام في وكر باسفل المنارة من غير ان يخالط احدا الا اذا اقيمت
الصلاة خرج وصلى فاذا سلم الامام عاد الى وكره فان عارضه احد بحديث كلمه وهو قايم بعد
انصرافه من الصلاة وكانت حاله ابدا اتصال في انفصال وقرب في ابتعاد وانس في نفار وخرج
فكان يفارق اصحابه عند الرحيل فلا يرونه الى وقت النزول ويكون سيره منفردا عنهم
لا يكلم احدا الى ان عاد الى دمياط فاخذ في ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقى ما كان فيه
من الوطواط بسقوفه وساق الما الى صهاريجه وبلط صحنه ونسك سطحه بالجبس واقام
فيه وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا تفتح الا في يوم الجمعة فقط فرتب به اماما يصلي
الخمس وسكن في بيت الخطابة وواظب على اقامة الاوراد به وجعل فيه قرا يتلون القران
بكرة واصيلا وقرر فيه رجلا يقرا ميعادا يذكر الناس ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط
مكانا افضل من الجامع لاقمت به ولو علمت في الارض بلدا يكون الفقير فيه اخمل من دمياط
لرحلت اليه واقمت به وكان اذا ورد عليه احد من الفقرا ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه ما
يضيفه به وكان يبيت ويصبح وليس له معلوم ولا ما تقع عليه العين او تسمعه الاذن وكان
يوثر في السر الفقرا والارامل ولا يسال احدا شيا ولا يقبل غالبا واذا قبل ما يفتح الله عليه اثر به
وكان يبذل جهده في كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك
وعرفت له عدة كرامات وكان سلوكه على طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة والنفور
عن الفتنة وترك الدعاوى واطراحها وستر حاله والتحفظ في اقواله وافعاله وكان لا
يرافق احدا في الليل ولا يعلم احد يوم صومه من يوم فطره ويجعل دايما قول ان شا الله مكان
قول غيره والله ثم ان الشيخ عبد العزيز الدميري اشار عليه بالنكاح وقال له النكاح من السنة
فتزوج في اخر عمره بامراتين لم يدخل على واحدة منهما بنهار البتة ولا اكل عندهما ولا شرب قط
وكان ليله ظرفا للعبادة لكنه ياتي اليها احيانا وينقطع احيانا للاستغراق زمنه كله في القيام
بوظايف العبادات وايثار الخلوة وكان خواص خدمه لا يعلمون بصومه من فطره وانما
يحمل اليه ما ياكل ويوضع عنده بالخلوة فلا يرى قط اكلا وكان يحب الفقر ويوثر حال المسكنة
ويتطارح على الخمول والخفا ويتواضع مع الفقرا ويتعاظم على العظما والاغنيا وكان يقرا في
المصحف ويطالع الكتب ولم يره احد يخط بيده شيا وكانت تلاوته القران بخشوع وتدبر
ولم يجعل له سجاده قط ولا اخذ على احد عهدا ولا لبس طاقية ولا قال انا شيخ ولا انا
فقير ولكن قال في كلامه انا نفطن لما وقع منه واستعاذ بالله من قول انا ولا احضر قط سماعا
ولا انكر على من يحضره وكان سلوكه صلاحا من غير اصطلاح ويبالغ في الترفع عن ابنا الدنيا
ويترامى على الفقرا ويقدم لهم الاكل ولم يقدم لغني اكلا البتة واذا اجتمع عنده الناس قدم
الفقير على الغني واذا مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حاف

بغير نعل ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى عنه ومن كان من الفقرا يشار اليه
بمشيخة جلس بين يديه بادب مع امانته وتقدمه في الطريقة ويقول ما اقول لاحد
افعل ولا تفعل من اراد السلوك يكفيه ان ينظر الى افعالي فان من لم يتسلك بنظره لا يتسلك
بسمعه وقال له شخص من خواصه يا سيدي ادع لي ان يفتح الله علينا فنحن فقرا فقال له
ان اردتم فتح الله فلا تبقوا في البيت شيا ثم اطلبوا فتح الله بعد ذلك فتجد الانسان لله وله
خاتم من حديد ومن كلامه الفقير كالبكر اذا سال زالت بكارته وساله بعض خواصه
ان يدعو له بسعة وشكا له الضيق فقال انا ما ادعو لك بسعة بل اطلب لك الافضل والاكمل
وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق اوقاته فيها لا يغفل عن صاحبه ولا ينسى حاجة حتى
يقضيها ويلازم الوفا لاصحابه ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم
العلم ويكرم الايتام ويشفق على الضعفا والارامل ويبذل شفاعته في قضا حوايج الخاص
والعام من غير ان يملو ولا يتبرم بكثرة ذلك ويكثر من الايثار في السر ولا يمسك لنفسه شيا
ويشتغل بامنه مع كثرة احسانه ويستكثر ما يدفع اليه وان كان يسيرا ويكافي عليه باحسن
منه ولم يصحب قط اميرا ولا وزيرا بل كان في سلوكه وطريقته يرفع في تواضع ويعز في مسكنة
وقرب في ابتعاد واتصال في انفصال وزهد في الدنيا واهلها وكان اكبر من خبره ومن
دعايه لنفسه ولمن يساله الدعا اللهم بعدنا عن الدنيا واهلها وبعدها عنا وما زال
على ذلك الى ان مات اخر ليلة تسفر عن الثامن من شهر ربيع الاخر سنه خمس وتسعين وستماية
وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ الف درهم دينا ودفن بجوار الجامع وقبره
يزار الى يومنا هذا **ذكر شطا** شطا مدينه عند تنيس ودمياط واليها ينسب
الثياب الشطويه ويقال انها عرفت بشطا بن الهاموك وكان ابوه خال المقوقس وكان
على دمياط فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص واستولى على ارض مصر جهز بعثا لفتح
دمياط فنازلوها الى ان ملكوا سور المدينة فخرج شطا في الفين من اصحابه ولحق بالمسلمين
وقد كان قبل ذلك يحب الخير ويميل الى ما يسمعه من سيرة اهل الاسلام ولما ملك المسلمون
دمياط امتنع عليهم صاحب تنيس فخرج شطا الى البرلس والديرة واشموم طناح يستنجد
فجمع الناس لقتال اهل تنيس وسار بهم مع من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم مددا
من عند عمرو بن العاص الى قتال اهل تنيس فالتقى الفريقان وابلى شطا فيهم بلا حسنا وقتل
من ابطال تنيس اثني عشر رجلا واستشهد في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة احدى
وعشرين من الهجرة فقبر حيث هو الان خارج دمياط وبني على قبره وصار الناس يجتمعون
هناك في ليلة النصف من شعبان كل عام ويحضرون للحضور من القرى وهم على ذلك الى
يومنا وكانت تعمل كسوة الكعبة بشطا قال الفاكهي ورايت فيها كسوة من كسا امير المومنين

هرون الرشيد من قباطي مصر مكتوب عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون امير
المومنين اطال الله بقاه مما امر الفضل بن الربيع مولى امير المومنين بصنعته في طراز شطا كسوة
للكعبة سنة احدى وتسعين ومايه ومن المواضع المشهورة بدمياط البرزخ وهو
مسجد بجيزة دمياط تسميه العامة البرزخ ولا اعرف مستندهم في ذلك وشاهدت
فيه عجبا وهوان به منارة كبيرة مبنية من الاجر اذا هزها احد اهتزت فلما صعدت
اعلاها حيث يقف الموذن وحركتها رايت ظلها قد تحرك بتحريكي لها ويوجد حول هذا
المسجد رمم اموات يشبه ان يكون ممن استشهد في وقايع الفرنج والله يعلم وانتم لا تعلمون
دبيق قرية من قرى دمياط ينسب اليها الثياب المثقل والعمايم الشرب الملونه والدبيقي
المعلم المذهب وكانت العمايم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مايه ذراع
وفيها رقمات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسماية دينار سوى الحرير
والغزل وحدثت هذه العمايم وغيرها في ايام العزيز بالله بن المعز من سنة خمس وستين
وثلثماية الى ان مات في رمضان سنة ست وثمانين وثلثماية البحيرة قرية من الاعمال
الغربية اسم حكرها الامير شمس الدين سنقر السعدي نقيب الجيش في الايام
الناصرية محمد بن قلاوون وبالغ في عمارتها فبلغت في ايامه عشرين الف درهم فضه
ثم خرج عنها فعمرت للسلطان واتسع امرها حتى انشي فيها رماد ومعاصر وبستانا ووصل
حكورها لكثرة سكانها الى الف درهم فضه كل فدان وصارت بلدا كبيرا تغل في السنة ما
بين خراجي وهلالي ثلثماية الف درهم فضه عنها خمسة عشر الف دينار ذهبا ومات
سنقر هذا في سنة ثمان وعشرين وسبعماية واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حدرة
البقر خارج باب زويلة

ذكر الطرق فيما بين مدينة مصر ودمشق

اعلم ان البريد اول من رتب دوابه الملك دارا بن بهمن بن كي يستاسف ابن لهراسف احد ملوك
الفرس واما في الاسلام فاول من اقام البريد امير المومنين المهدي محمد ابي جعفر المنصور
اقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وحوله بغالا وابلا وذلك في سنة ست وستين ومايه
واصل هذه الكلمة بريد ذنب فان دارا اقام في سكك البريد دوابا محذوفة الاذناب
سميت بريد ذنب ثم عربت وحذف منها نصفها الاخير فقيل بريد وهذا الدرب الذي
تسلكه العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ليس هو الدرب
الذي كان يسلك في القديم من مصر الى الشام ولم يحدث هذا الدرب الذي يسلك
فيه من الرمل الا بعد الخمسماية من سني الهجرة عندما انقرضت الدولة الفاطمية
وكان الدرب اولا قبل استيلا الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا قال
ابو القسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض

والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلا ثم الى جاسم اربعة وعشرون ميلا ثم الى
فيق اربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة اميال ومن طبرية الى اللجون
عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين اربعة وعشرون ميلا
والطريق من الرملة الى ازدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش اربعة
وعشرون ميلا في رمل ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى ام العرب عشرون ميلا ثم الى
الفرما اربعة وعشرون ميلا ثم الى جرجير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة اربعة وعشرون ميلا ثم الى
مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس احد وعشرون ميلا ثم الى الفسطاط مدينة مصر
اربعة وعشرون ميلا فهذا كما ترى انما كان الدرب المسلوك من مصر الى دمشق على غير ما
هو الان فيسلك من بلبيس الى الفرما في البلاد التي تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف
ويسلك من الفرما وهي بالقرب من قطيا الى ام العرب وهي بلد خراب على البحر فيما بين قطيا
والورادة ويقصدها قوم من الناس ويحفرون في كيمانها فيجدون دراهم من فضه
خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار ويسلك من ام العرب الى الورادة وكانت بلده في غير
موضعها الان قد ذكرت في هذا الكتاب فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينيه في سنة تسعين
واربعماية لاخذ البلاد من ايدي المسلمين واخذ بغدوين الشوبك وعمره في سنة تسع
وخمسماية وكان قد خرب من تقادم السنين واغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل
السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب لخفارة الفرنج الى ان
استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بيت المقدس من ايدي الفرنج في سنة ثلاث
وثمانين وخمسماية واكثر من الايقاع بالفرنج وافتتح منهم عدة بلاد بالساحل صار يسلك هذا
الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حينئذ الى ان ولي ملك مصر الملك الصالح نجم الدين
ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب فانشا بارض السابح على طرف الرمل بلدة عرفت
الى اليوم بالصالحية وذلك في سنة اربع واربعين وستماية وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزلها
من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري رتب البريد في ساير
الطرقات حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى دمشق في اربعة ايام ويعود في مثلها فصارت
اخبار الممالك ترد اليه في كل جمعة مرتين ويحكم في ساير ممالكه بالعزل والولاية وهو مقيم
بالقلعة وانفق في ذلك مالا عظيما حتى تم ترتيبه وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستماية
وما زال امر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من
الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عده سواس وللخيل رجال يعرفون
بالسواقين واحدهم سواق يركب مع من يرسم بركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويخدمه
مدة مسيره ولا يركب احد خيل البريد الا بمرسوم سلطاني فتارة يمنع الناس من ركوبه

لا واسطة في الطر

الامن اشتد به السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطاني
وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف
وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن ادركنا المراة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها
راكبة او ماشية لا تحمل زادا ولا ما فلما اخذ تيمورلنك دمشق وسبا اهلها وحرقها في سنة
ثلاث وثماني مائة خربت مراكز البريد واشتغل اهل الدولة بما نزل من البلاد من المحن
وما دهوا به من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختل بانقطاع طريق الشام خللا
فاحشا والامر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثماني عشرة وثماني مائة

ذكر مدينة حطين

هذه المدينة اثارها الى اليوم باقية فيما بين جبوه والعاقوله بارض العاقوله فيما بين
قطيه والعريش تجاهها ثمد ماء عذب تسميه العرب ابو العروق وهو شرقيها وهذه
المدينة تنسب الى حطين ويقال حطي بن الملك ابوجاد المديني واهل قطيه اليوم يسمون
تلك الارض بلاد حطين والمعز وملك حطين هذا ارض مصر بعد موت ابيه وكان
صاحب حرب وبطش وكان ينزل بقلعة في جبال الاردن قريبا من طبرية واليه
تنسب قرية حطين التي بها الان قبر شعيب بالقرب من صفد

ذكر مدينة الرقه

هذه المدينة من جملة مداين مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عند ما
خرج موسى عليه السلام ببني اسرايل من مصر قوم من لخم آل فرعون يعبدون البقر وايام
عنا الله تعالى بقوله وجاوزنا ببني اسرايل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم الاية
قال قتادة اوليك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقه وقيل كانت اصنامهم تماثيل البقر
ولهذا اخرج لهم السامري عجلا واثار هذه المدينة باقية الى اليوم فيما بقي من مدينة
فاران والقلزم ومدين وايله تنزلها الاعراب

ذكر عين شمس

وكان بعين شمس هيكلا تحج الناس اليه وتقصده من اقطار الارض في جملة ما كانت تحج اليه
من الهياكل التي كانت في قديم الدهر ويقال ان الصابية اخذت هذه الهياكل عن عاذيمون
ويزعمون انه هو شيث بن ادم وعن هرمس الاول وهو ادريس وان ادريس هو اول من
تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية وبنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها ويقال
ان الهياكل كان عدتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكلا وهي هيكل العلة الاولى وهيكل
العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت هذه الهياكل الخمسة
مستديرات والهيكل السادس هيكل زحل وهو مسدس وبعده هيكل المشتري وهو
مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو ايضا مربع وهيكل الزهره وهو مثلث

مستطيل وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن وعللوا عبادتهم
الهياكل بان قالوا لما كان صانع العالم مقدسا عن صفات الحدوث وجب العجز عن ادراك
جلاله وتعين ان يتقرب اليه عباده بالمقربين لديه وهم الروحانيون ليشفعوا لهم ويكونوا
وسايط لهم عنده وعنوا بالروحانيين الملايكة وزعموا انهم المدبرات للكواكب السبعة
السيارة في افلاكها وهي هياكلها وانه لابد لكل روحاني من هيكل ولابد لكل هيكل من فلك
وان نسبة الروحاني الى الهيكل نسبة الروح الى الجسد وزعموا انه لابد من رويه المتوسط
بين العباد وبين باريهم حتى يتوجه اليه العبد ويستفيد منه ففزعوا الى الهياكل التي هي
السيارات فعرفوا بيوتها من الفلك وعرفوا مطالعها ومغاربها واتصالاتها وما لها من
الايام والليالي والساعات والاشخاص والصور والاقاليم وغير ذلك مما هو معروف في
موضعه من العلم الرياضي وسموا هذه السبعة السيارة اربابا والهة وسموا الشمس الاه
الالهة ورب الارباب وزعموا انها المفيضة على الستة انوارها والمظهرة فيها اثارها
فكانوا يتقربون الى الهياكل تقربا الى الروحانيين لتقربهم الى الباري لزعمهم ان الهياكل ابدان
الروحانيين وكل من تقرب الى الشخص فقد تقرب الى روحه وكانوا يصلون لكل كوكب يوما
يزعمون انه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم في ثلاثة اوقات الاولى عند طلوع الشمس
والثانية عند استوايها في الفلك والثالثة عند غروبها فيصلون لزحل يوم السبت وللمشتري
يوم الاحد وللمريخ يوم الاثنين وللشمس يوم الثلاثا وللزهرة يوم الاربعا ولعطارد يوم
الخميس وللقمر يوم الجمعة ويقال انه كان ببلخ هيكل بناه منوجهر على اسم القمر يعارض
به الكعبة فكانت الفرس تحجه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوبهار فلما تمجست الفرس عملته
بيت نار وقيل للموكل بسدانته برمك يعني والى مكة وانتهت البرمكة الى جد خالد جد جعفر
ابن يحيى بن خالد فاسلم على يد هشام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرب هذا الهيكل
قيس بن الهيثم في اول خلافة معوية سنة احدى واربعين وكان بناء عظيما حوله اروقة
وثلثمايه وستون مقصورة لسكن خدامه وكان بصنعا قصر غمدان من بنا الضحاك وكان
هيكل الزهرة وهدم في خلافة عثمن بن عفان وكان بالاندلس في الجبل الفارق بين جزيرة
الاندلس والارض الكبيرة هيكل الزهرة من بناكلا وبطره بيت بطليموس وكان بفرغانه
بيت يقال له كاوسان هيكل للشمس بناه بعض ملوك فارس الاول خربه المعتصم قد
اختلف فيمن بنا هيكل عين شمس وسا قص من اخباره ما الرارة مجموعا في كتاب قال
ابن وصيف شاه وقد كان الملك منقاوش اذا ركب عملوا بين يديه التماثيل العجيبة فيجتمع
الناس ويعجبون من اعمالهم وامر ان يبنا له هيكل للعبادة يكون له خصوصا ويجعل
فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها اصناما وعجايب فكان الملك يركب

اليه ويقيم فيه سبعة ايام وجعل فيه عمودين زبرعليهما تاريخ الوقت الذى عمله فيه
وهما باقيان الى اليوم وهو الموضع الذى يقال له عين شمس ونقل الى عين شمس كنوزا وجواهر
وطلسمات وعقاقير وعجايب ودفنها بها وبنواحيها واقام ملكا احدى وتسعين سنة
ومات من الطاعون وقيل من سم وعمل له ناووس في صحرا الغرب وقيل في غربى قوص ودفن
معه مصاحف الحكمة والصنعه وتماثيل الذهب والجوهر ومن الذهب المضروب شي
كثير ودفن معه تمثال روحانى الشمس من ذهب يلمع وله جناحان من زبرجد وصنم على
صورة امراته وكان يحبها فلما ماتت امر ان يعمل صورتها فى الهياكل كلها وعمل صورتها
من ذهب بذوابتين سود وعليها حلة من جواهر منظومة وهى جالسة على كرسى وكان
يجعلها بين يديه فى كل موضع يجلس فيه يتسلى بذلك عنها فدفنت هذه الصورة معه
تحت رجليه كانها تخاطبه وقال الحكيم الفاضل احمد بن خليفة فى كتاب عيون الانبا فى
طبقات الاطبا واشتاق فيثاغورش الى الاجتماع بالكهنة الذين كانوا بمصر فورد على
اهل مدينة الشمس المعروفة فى زماننا بعين شمس فقبلوه قبولا كريما وامتحنوه زمانا
فلم يجدوا عليه نقصا ولا تقصيرا فوجهوا به الى كهنة منف كى يبالغوا فى امتحانه فقبلوه
على كراهيه واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيبا ولا اصابوا له عثرة فبعثوا به الى
اهل ديوسيولس ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقا ولا الى ادحاضه سبيلا فعرضوا
عليه فرايض صعبة كيما يمتنع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبته مخالفة لفرايض
اليونانيين فقبل ذلك وقام به فاشتد اعجابهم منه وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى
اماسيس ملك مصر فاعطاه سلطانا على ضحايا الرب وعلى ساير قرابينهم ولم يعط ذلك
لغريب قط ويقال انه كانت للكواكب السبعة السيارة هياكل يحج الناس اليها من ساير
اقطار الدنيا وضعها القدما فجعلوا على اسم كل كوكب هيكلا فى ناحيه من نواحى الارض
وزعموا ان البيت الاول هو الكعبة وانه مما اوصى ادريس الذى يسمونه هرمس
الاول المثلث ان يحج اليه وزعموا انه منسوب لزحل والبيت الثانى بيت المريخ وكان
بمدينة صور من الساحل الشامى والبيت الثالث للمشترى وكان بدمشق بناه
جيرون بن سعد بن عاد وموضعه الان جامع بنى اميه والبيت الرابع بيت الشمس
بمصر ويقال انه من بناه هو شنك احد ملوك الطبقه الاولى من ملوك الفرس وهو
المسمى بعين شمس والبيت الخامس بيت الزهرة وكان بمنبج والبيت السادس بيت
عطارد وهو بصيدا من ساحل البحر الشامى والبيت السابع بيت القمر وكان بحران
ويقال انه قلعتها وتسمى المدور ولم يزل عامرا الى ان خربه التتر ويقال انه كان
هو هيكل الصابية الاعظم وقال شافع بن على فى كتاب عجايب البلدان وعين شمس

مدينه صغيره تشاهد سورها محدقا بها مهدوما ويظهر من امرها انها
كانت بيت عباده وفيها من الاصنام الهايلة العظيمة الشكل من نحيت الحجاره ما
يكون طول الصنم بقدر ثلاثين ذراعا واعضاوه على تلك النسبة من العظم وكل
هذه الاصنام قايمه على قواعد وبعضها قاعد على نصبات عجيبه واتقانات
محكمه وباب المدينة موجود الى الان وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير على شكل
الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيره بالقلم المجهول وقلما ترى حجرا غفلا
من كتابه او نقش او صوره وفى هذه المدينة المسلتان المشهورتان ويسميان
مسلتى فرعون وصفة المسلة قاعده مربعه طولها عشرة اذرع فى مثلها عرضا
فى نحوها سمكا قد وضعت على اساس ثابت فى الارض ثم اقيم عليها عمود مثلث
مخروط ينيف طوله على مايه ذراع يبتدى من قاعده يعل قطرها خمسة اذرع
وينتهى الى نقطه وقد لبس راسها بقلنسوه نحاس الى نحو ثلاثه اذرع منها كالقمع وقد
تزنجر بالمطر وطول المدة واخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة وكلها عليها
كتابات بذلك القلم وكانت المسلتان قايمتين ثم خرت احدهما وانصدعت من
نصفها لعظم الثقل واخذ النحاس من راسها ثم ان حولها من الاصنام شى كثير لا
يحصى عددها على نصف تلك العظمى او ثلثها وقلما يوجد فى هذه المسال الصغار
ما هو قطعه واحده بل فصوصها بعضها على بعض وقد تهدم اكثرها وانما بقيت
قواعدها وقال محمد بن ابراهيم الجزرى فى تاريخه وفى رابع شهر رمضان يعنى من
سنه ست وخمسين وستماية وقعت احدى مسال فرعون التى باراضى المطريه
من ضواحى القاهره فوجد واداخلها ما يقارب مايتى قنطار من نحاس واخذ
من راسها عشرة الاف دينار ويقال ان عين شمس بناها الوليد بن دومغ من
الملوك العماليق وقيل بناها الريان بن الوليد وكانت سرير ملكه والفرس تزعم
ان هرسيك بناها ويقال طول العمودين ماية ذراع وقيل اربعة وثمانون
ذراعا وقيل خمسون ذراعا ويقال ان بخت نصر هو الذى خرب عين شمس لما
دخل الى مصر وقال القضاعى وعين شمس وهى هيكل الشمس بها العمودان
اللذان لم ير اعجب منهما ولا من شانهما طولهما فى السما نحو من خمسين ذراعا وهما
محمولان على وجه الارض وبينهما صورة انسان على دابة وعلى راسها شبه الصومعتين
من نحاس فاذا جا النيل قطر من راسيهما ما تستبينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى
يجرى من اسافلهما فينبت فى اصلهما العوسج وغيره واذا دخلت الشمس دقيقة من
الجدى وهو اقصر يوم فى السنة انتهت الى الجنوبى منهما فطلعت عليه على قمة راسه

ثم اذا دخلت دقيقة من السرطان وهو اطول يوم في السنة انتهت الى الشمالي منهما فطلعت على قمة راسه وهما منتهى الميلين وخط الاستوا في الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبة وجايية ساير السنة كذا يقول اهل العلم بذلك وقال ابن سعيد في كتاب المغرب وكانت عين شمس في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة البنا بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط الان وقال جامع السيرة الطولونية كان بعين شمس صنم مقدار الرجل المعتدل الخلق من كذان ابيض محكم الصنعة يتخيل من استعرضه انه ناطق فوصف لاحمد بن طولون فاشتاق الى تامله فنهاه ندوسه عنه وقال ما راه وال قط الا عزل فركب اليه وكان هذا في سنة ثمان وخمسين ومايتين وتامله ثم دعا بالقطاعين وامرهم باحتثاثه من الارض ولم يترك منه شيا ثم قال لندوسه خازنه يا ندوسه من صرف منا صاحبه فقال انت ايها الامير وعاش بعدها احد عشرة سنة اميرا وقال ابو عبيد البكري عين شمس بفتح الشين واسكان ثانيه بعده سين مهملة عين ما معروفة قال محمد بن حبيب عين شمس حيث بنى فرعون الصرح وزعم قوم ان عبد شمس الى هذا الما اضيف واول من سمي بهذا الاسم سبا بن يشجب وذكر الكلبي ان شمسا الذي تسموا به صنم قديم وقال ابن خرداذبه واسطوانتين بعين شمس من ارض مصر ومن بقايا اساطين كانت هناك في راس كل اسطوانه طوق من نحاس يقطر من احدهما ما من تحت الطوق الى نصف الاسطوانه لا يجاوزه ولا ينقطع قطره ليلا ولا نهارا فموضعه من الاسطوانة اخضر رطب ولا يصل الما الى الارض وهو من بنا اوشهنك وبعين شمس شجر مزروع كالقضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الارض الا هناك ويوكل لحا هذه القضبان فيكون له طعم وفيه حرارة وحرومه لذيذه وبناحية المطرية من حاضرة عين شمس البلسان وهو شجر قصار يسقى من ما بير هناك وهذه البير تعظمها النصارا وتقصدها وتغتسل بمايها وتستسقى به وتخرج لاعتصار البلسان اوان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك ويحفظه ويحمل الى الخزانه السلطانيه ثم ينقل منه الى قلاع الشام والمارستانات لمعالجة المبرودين ولا يوخذ منه شي الا من خزانة السلطان بعد اخذ مرسوم بذلك ولملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهادونه من صاحب مصر ويرون انهم لا يصح عند هم احد ان يتنصر الا ان ينغمس في ما المعمودية ويعتقدون انه لا بد ان يكون من ما المعموديه شي من دهن البلسان ويسمونه الميرون وكان في القديم اذا وصل من الشام خبر انتهى الى صاحب عين شمس ثم يرد من عين شمس الى الحصن الذي عرف بقصر الشمع

بقصر الشمع

187

بقصر الشمع حيث الان مدينة مصر ثم يرد من الحصن الى مدينة منف حيث كان تخت الملك المنصوره هذه البلدة على راس بحر اشموم تجاه ناحية طلخا بناها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب في سنة ست عشرة وستمايه عند ما ملك الفرنج مدينة دمياط فنزل في موضع هذه البلدة وخيم به وبنى قصرا لسكناه وامر من معه من الامرا والعسكر بالبنا فبنى هنالك عدة دور ونصبت الاسواق وادار عليها سورا مما يلي البحر وستره بالالات الحربية والستاير وسمى هذه المنزله المدينة المنصورة ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط كما تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كتابنا هذا فصارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق ولما استنقذ الملك الكامل دمياط من الفرنج ورحل الفرنج الى بلادهم جلس بقصره في المنصورة وبين يديه اخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق وعدة من اهله وخواصه فامر الملك الاشرف جاريته فغنت على عودها قولها طغى فرعون عكا وقومه وجاوا الى مصر ليفسدوا في الارض

اتى نحوهم موسى وفي يده العصا ... فاغرقهم في اليم بعضا على بعض

فطرب الاشرف وقال لها باسه كرري فشق ذلك على الملك الكامل واسكتها وقال لجاريته غني انت فاخذت العود وغنت

ايا اهل دين الكفر قوموا لتنظروا ... لما قد جرى في وقتنا وتجددا

اعباد عيسى ان عيسى وقومه ... وموسى جميعا ينصران محمدا

فاعجب ذلك الملك الكامل وامر لكل من الجاريتين بخمسماية دينار فنهض القاضي الاجل الصدر الرييس هبة الله بن محاسن قاضي غزة وكان من جملة الجلسا على قدميه وانشد

هنيا فان السعد جا مخلدا ... وقد انجز الرحمن بالنصر موعدا

حبانا الاه الخلق فتحا لنا بدا ... مبينا وانعاما وعزا موبدا

تهلل وجه الارض بعد قطوبه ... واصبح وجه الشرك بالظلم اسودا

ولما طغى البحر الخضم باهله الطغاة واضحى بالمراكب مترابدا
اقام لهذا الدين من سل عزمه صقيلا كما سل الحسام المهندا
فلم يبق الا كل شلو مجدل ثوى منهم او من تراه معقيدا
ونادى لسان الكون في الارض رافعا عقيرته في الخافقين ومنشدا
اعباد عيسى ان عيسى وحزبه وموسى جميعا ينصران محمدا

فكانت هذه الليلة بالمنصورة من احسن ليلة مرت لملك من الملوك وكان عند انشاده نسيرا اذا قال عيسى الى عيسى المعظم واذا قال موسى الى موسى الاشرف واذا قال محمدا الى السلطان الملك الكامل وقد قيل ان الذى انشد هذه الابيات انما هو راجح الحلي الشاعر العباسة هذه القرية فيما بين بلبيس والصالحية من ارض السدير لم تزل منتزها للملوك مصر وبها ولد العباس بن احمد بن طولون فسماه لذلك ابوه العباس وولد بها ايضا الملك الامجد تقي الدين عباس بن العادل ابي بكر بن ايوب وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيرا ويقول هذه تقل مصر اذا اقمت بها اصطاد الطير من السما والسمك من الما والوحش من الفضا ويصل الخبز من قلعتي الي بها وهو سخن وبنى بها ادر ومناظر وبساتين وبنى امراوه بها ايضا عدة مساكن في البساتين ولم تزل العباسة على ذلك حتى انشا الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل المنزلة الصالحية فتلاشى حينيذ امر العباسة وخربت المناظر في سلطنة الملك المعز ايبك فلما كانت سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مر على السدير وهو في الوادى فاعجب به وبنى في موضع اختاره منه قرية سماها الظاهرية وانشا بها جامعا وذلك في سنة ست وستين وستماية وسميت بالعباسة بنت احمد بن طولون فانها خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت اخيها قطر الندا بنت خمارويه بن احمد بن طولون لما حملت الى المعتضد وضربت هناك فساطيطها ثم بنيت قرية فسميت باسمها

في اطلاق سلطان ... ساس

بداية كتاب ... الاعمال

ذكر مدينة قفط

بصعيد مصر هذه المدينة عرفت بقفطيم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح

علي

عليه السلام وكانت في الدهر الاول مدينة الاقليم وانما بدا خرابها بعد الاربعماية من تاريخ الهجرة واخر ما كان فيها بعد السبعماية من سني الهجرة اربعين مسبكا للسكر وست مقاصير للقصب ويقال كان فيها قباب باعالي دورها تكون اشارة من ملك من اهلها عشرة الاف دينار ان يجعل في داره قبة وبالقرب منها معدن الزمرد ولم يبطل الا من قريب قال قفطريم ولي الملك بعد ابيه قبطيم قال ابن وصيف شاه كان اكبر ولد ابيه وكان جبارا عظيم الخلق وهو الذى وضع اساسات الاهرام بالدهشورية وغيرها وهو الذى بنا مدينة دندرة ومدينة الاصنام وهلكت عاد بالريح في اخر ايامه واثار من المعادن مالم يثيره غيره وكان يجد من الذهب مثل حجر الرحى ومن الزبرجد مثل الاسطوانة ومن الاسباذشم في صحرا الغرب كالقلة وعمل من العجايب شيا كثيرا وبنى منارا عاليا على جبل قفط يرى منه البحر الشرقي ووجد هناك معدن زيبق فعمل منه تمثالا كالعمود لا ينحل ولا يذوب وعمل البركة التي سماها صيادة الطير اذا مر عليها طاير سقط فيها ولم يقدر على الحركة حتى يوخذ وهذه البركة يقال انها هناك الى الان واما المنار فسقط وعمل عجايب كثيرة وفي ايامه اثار عبادة التي كان الطوفان غرقها وزين الشياطين امرها وعبادتها ويقال انه بنى المداين الداخلة وعمل فيها عجايب وبنى غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجايب كثيرة ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها فما يستطيع احد ان يدنوا اليها ولا يدخلها الا ان يعمل قرابين لاوليك الروحانيين واقام قفطريم ملكا اربعماية وثمانين سنة واكثر العجايب عملت في وقته ووقت ابنه البودسير ولذلك كان الصعيد اكثر عجايب من اسفل الارض لان حيز قفطريم فيه ولما حضرت قفطريم الوفاة عمل ناووس في الجبل الغربي قرب مدينة الكهان في سرب تحت الارض معقود على ازاج الى الارض ونقرت تحت الجبل دارا واسعة وجعل دورها خزاين منقورة وفي سقفها مسارب للرياح وبلط السرب وجميع الدار بالمرمر وجعل في وسط الدار مجلسا على ثمانية اركان مصفحا بالزجاج الملون المسبوك وجعل في سقفه جواهر تسرج وجعل في كل ركن من اركان المجلس تمثالا من الذهب بيده كالبوق الذى يبوق به وتحت القبة دكة مصفحة بذهب ولها حواف من زبرجد وفوق الدكة فرش من حرير وجعل عليها جسده بعد ان لطخ بالادوية المجففة ووضع من جوانبه الات كافور وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف وعلى راسه تاج مكلل وعن جوانب الدكة اربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبوك في صور النسا بايديهن مراوح من ذهب وعلى صدره من فوق الثياب سيف

فاخر قايمه من زبرجد وجعل في تلك الخزاين من الذخاير وسبايك الذهب والتيجان
والجوهر وبرانى الحكم واصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف العلوم ما لا يحصى
كثرة وجعل على باب المجلس ديكا من ذهب على قاعدة من زجاج اخضر منشور الجناحين
مزبور عليه ايات مانعة وجعل على مدخل كل ازج صورتين من نحاس بايديهما سيفان
وقدامهما بلاطة تحتها لوالب من وطيها ضرباه باسيافهما فقتلاه وفى سقف كل ازج كرة
عليها لطوخ مدبر يسرج فيتقد طول الزمان وسد باب الازج بالاساطين المرصصة
ورصوا على سقفه البلاط العظام وردموا فوقها الرمال وزبروا على باب الازج
هذا المدخل الى جسد الملك العظيم المهيب الكريم الشديد قفطريم ذى الايد والفخر
والغلبة والقهر افل نجمه وبقى ذكره وعلمه فلا يصل احد اليه ولا يقدر بحيلة عليه
وذلك سبعماية وسبعين ودورات مضت من السنين وقال ـــــ المسعودي
ومعدن الزمرد في عمل الصعيد الاعلا من اعمال مدينة قفط ومنها يخرج الى هذا
المعدن والموضع الذى هو فيه يعرف بالخربة وهى مفازة وجبال والبجه تحمى هذا
المكان المعروف بالخربة واليها يودى الخفارات من يرد الى حفر الزمرد ووجدت
جماعه من صعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف
هذا النوع من الجوهر يخبرون انه يكثر ويقل في فصول السنة فيكثر في قوة من مواد
الهوا وهبوب نوع من الرياح الاربع وتقوى الخضرة فيه والشعاع النورى في
اوايل الشهور والزيادة في نور القمر وبين الموضع المعروف بالخربة الذى فيه معدن
الزمرد وبين ما اتصل من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة ايام وهى
قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر وقوص راكبة النيل وبين النيل وقفط
نحو من ميلين ولمدينتى قفط وقوص اخبار عجيبه فى بدو عمارتهما وما كان في ايام
القبط من اخبارهما الا ان مدينة قفط في هذا الوقت متداعية للخراب وقوص
اعمر والناس فيها اكثر وكان بقفط بربا موكل بها روحانى فى صورة جارية سودا
تحمل صبيا اسود صغيرا حكى انها رئيت بها مرارا ومعدن الزمرد في البر المتصل
باسوان وكان له ديوان فيه شهود وكتاب وينفق على العمال به وتقام لهم المون
لحفره واستخراج الزمرد منه وهو فى جبال مرمله يحفر فيه وربما سقط على الجماعة
به فماتوا وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل الى السلطان ومنه يحمل الى البلاد وقد كان
الناس يسيرون من قوص الى معدن الزمرد في ثمانية ايام بالسير المعتدل وكانت
البجاه تنزل حوله وقريبا منه لاجل القيام بحفره وحفظه وهذا المعدن في الجبل الاخذ
على شرقى النيل في بحرى قطعه عظيمه من هذا الجبل تسمى قرشنده وليس فيما هنالك

من الجبال اعلا منها وهو في منقطع من البر لا عمارة عنده ولا حوله ولا قريبا
منه والما عنه مسيرة نصف يوم او ازيد وهو ما يتحصل من المطر ويعرف بغدير
اعين يكثر بكثرة المطر ويقل بقلته وهذا المعدن في صدر مغاره طويله في حجر
ابيض يستخرج منه الزمرد وهذا الحجر الابيض ثلاثه انواع احدها يقال له
طلق كافورى والثانى يقال له طلق نصى والثالث يقال له حجر حروى ويضرب
في هذه الحجارة حتى تخرج الزمرد وهو كالعروق فيه وانواعه الذبابى وهو اقل
من القليل لا يخرج الا في النادر واذا استخرج القى في الزيت الحار ثم يحط في قطن
ويصير ذلك القطن في خرق خام او نحوها وكان الاحتراز على هذا المعدن كثيرا جدا
وتفتش الفعلة عند الخروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ومع ذلك يختلسون منه
بصناعات لهم في ذلك ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرد الى ان ابطل العمل
منه الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زنبور في ايام الملك الناصر حسن بن محمد بن
قلاوون في سنه بضع وستين وسبع مايه

ذكر مدينه دندره

احد مدن الصعيد الاعلا القديمة بناها قفطريم بن مصرايم بن بيصر بن حام
ابن نوح وكان فيها بربا عظيمه فيها مايه وثمانون كوة تدخل الشمس في كل يوم من
كوة حتى تاتى على اخرها ثم تكر راجعة الى حيث بدات وكانت روحانيتها الموكلة بها
تظهر في هيئة انسان له راس اسد بقرنين وكان لها ايضا شجرة تعرف بشجرة
العباس متوسطة واوراقها خضر مستديرة اذا قال الانسان عندها يا شجرة
العباس جاك الفاس تجتمع اوراقها وتحترق لوقتها ثم تعود كما كانت وبين دندرة
وبين قوص بريد واحد وكانت بربا دندرة اعظم من بربا اخميم ه

ذكر الواحات الداخله

الواحات منقطعة ورا الوجه القبلى فى معارسه ولا تعد في الولايات ولا في الاعمال
ولا حكم عليها من قبل السلطان وال وانما يحكم عليها من قبل مقطعها وبلاد الواحات
بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبه والحبشة بعضها داخل بعض وهو
بلد قايم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر الى سواه وفى ارضها شبيه وزاجيه
وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخل وعيون مختلفة الطعوم من الحامض
والقابض والملح ولكل نوع منها منفعة وخاصية وهى على قسمين واحات داخله
وواحات خارجه جملتها اربع واحات ويقال ان الواحات ولد واحو بلابن كوش
ابن كنعان بن حام بن نوح وانه اخو شبا بن كوش ابو الحبش وابو شفتا بن كوش
ابو زغاوه وابو شخنتا بن كوش ابو الدمدم قال ـــــ ابن وصيف شاه ويقال

ان قفطريم بنى المداين الداخلة وعمل فيها عجايب منها الما القايم كالعمود لا ينحل ولا
يذوب والبركة التى تسمى فلسطين اى صيادة الطير اذا مر عليها الطير سقط فيها
ولم يمكنه ان يبرح منها حتى يوخذ وعمل ايضا عمودا من نحاس عليه صورة طاير اذا قرب
الاسد او الحيات او غيرها من الاشيا المضرة من تلك المدينه صفر تصفيرا عاليا
فترجع تلك الدواب هاربة وعمل على اربعة ابواب هذه المدينة اربعة اصنام من
نحاس لا تقرب منها غريب الا القى عليه النوم والسبات فينام عندها ولا يبرح حتى
ياتيه اهل المدينه وينفخون فى وجهه فيقوم وان لم يفعلوا ذلك لا يزال نايما عند
الاصنام حتى يهلك وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس وعلى راس
المنار صورة صنم من اخلاط كثيره وفى يده كالقوس كانه يرى عنها فان عاينه غريب
وقف فى موضعه ولم يبرح حتى ينحيه اهل المدينه وكان ذلك الصنم يتوجه الى
مهب الرياح الاربع من نفسه وقيل ان هذا الصنم على حاله الى الان وان الناس تحاموا
تلك المدينه على كثره ما فيها من الكنوز والعجايب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم ان
يقع غير انسان عليه فلا يزال قايما حتى يتلف وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما امكنه
وهلك لذلك خلق كثير ويقال انه عمل فى بعض المداين الداخلة مراآه يرى فيها جميع ما
يسال الانسان عنه وبنى غربى النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجايب
كثيره ووكل الروحانيين بها الذين يمنعون منها فما يستطيع احد ان يدنوا اليها ولا
يدخلها او يعمل قرابين اوليك الروحانيين فيصل اليها حينيذ وياخذ من كنوزها ما
احب من غير مشقه ولا ضرر وبنا الملك صا بن ابسا دو قيل صا بن مرقونس بداخل
الواحات مدينة وغرس حولها نخلا كثيرا وكان يسكن منف وملك الاحياز كلها وعمل
عجايب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم ونفى المهينين واهل الشر ممن كان يصحب ابساد
ابن مرقونس وجعل على اطراف مصر اصحاب اخبار يرفعون اليه ما يجرى فى حدودهم
وعمل على غربى النيل منابر توقد عليها اذا حزبهم امر او قصدهم قاصد وكان للملك
البلد باسره جمع الحكما اليه ونظر فى نجومه وكان بها حاذقا فراى ان بلده لا بد ان تغرق
بالطوفان من نيلها وراى انها تخرب على يد رجل ياتى من ناحية الشام فجمع كل فاعل
بمصر وبنى فى الواح الاقصى مدينة جعل طول حصنها فى الارتفاع خمسين ذراعا
واودعها جميع الحكم والاموال وهى المدينة التى وقع عليها موسى بن نصير فى زمن
بنى امية لما قدم من الغرب فلما دخل مصر اخذ على الواح الاقصى وكان عنده علم منها
فاقام سبعة ايام يسير فى رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينه عليها
حصن وابواب من حديد فلم يمكنه فتح الابواب وكان اذا اصعد اليها الرجال

دعلوا

دعلوا الحصن واشرفوا على المدينة القوا انفسهم فيها فلما اعياه امرها مضى وهلك
من اصحابه عدة قال وفى تلك الصحارى كان اكثر متنزهات القوم ومدنهم العجيبه
وكنوزهم الا ان الرمال غلبت عليها ولم يبق بمصر ملك الا وقد عمل للرمال طلسما
لدفعه ففسدت طلسماتها لقدم الزمان قال ولا ينبغى لاحد ان ينكر كثرة بنيانهم ولا
مداينهم ولا ما نصبوه من الاعلام العظام فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وان
اثارهم لبينه مثل الاهرام والاعلام والاسكندرية وما فى صحارى الشرق والجبال
المنحوتة التى جعلوا كنوزهم فيها والاودية المنحوتة ومثل ما بالصعيد من البرابى
وما نقشوه عليها من حكمهم فلو تعاطى جميع ملوك الارض ان يبنوا مثل الهرمين ما
تهيا لهم وكذلك ان ينقشوا البربا لطال بهم الامد ولم يمكنهم وحكى عن قوم من التنا فى
ضياع الغرب ان عاملا عندهم عنف بهم ففروا فى صحرا الغرب ومعهم زاد الى ان يصلح
احوالهم ويرجعوا فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض اخر قد لجوا الى سفح جبل فوجدوا ١
عيرا اهليا قد خرج من بعض الشعاب فتبعه بعضهم فانتهى الى مساكن واشجار
ونخل ومياة تطرد وقوم هناك يزرعون ولهم مساكن فكلمهم واعجبهم فجا الى اصحابه
وقدم بهم على اوليك القوم فسالوهم عن حالهم فاخبروهم واقاموا عندهم حتى صلحت
احوالهم وخرجوا ليا توا باهاليهم ومواشيهم ويقيموا عندهم فساروا مدة وهم لا يعرفون
الطريق ولا يتاتى لهم العود فاسفوا على ما فاتهم وضل قوم اخرون عن الطريق فى
الغرب فوقعوا على مدينه عامرة كثيرة الناس والمواشى والنخل والشجر فاضافوهم
واطعموهم وسقوهم وباتوا فى طاحونه فسكروا من الشراب وناموا فلم ينتبهوا الا من
حر الشمس فاذاهم فى مدينه خراب ليس فيها احد فخافوا وخرجوا فظلوا يومهم سايرين
الى المسا فظهرت لهم مدينة اكبر من الاولى واعم واكثر اهلا وشجرا ومواشى فانسوا
بهم واخبروهم بخبر المدينه الاولى فجعلوا يعجبون منهم ويضحكون وانطلقوا بهم الى
وليمة لبعض اهل المدينه فاكلوا وشربوا وغنوهم حتى سكروا فلما كان من الغد انتبهوا
فاذاهم فى مدينه عظيمه ليس فيها احد وحولها نخل قد تساقط ثمره وتكدس فخرجوا
وهم يجدون ريح الشراب ومعانى الخمار فساروا يوما الى المسا واذا راع يرعى غنما
فسالوه عن الطريق فدلهم فساروا بعض يوم من الغد فوصلوا مدينة الاشمونين
بالصعيد قال وهذه مداين القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجان ومنها
ما سترته عن العيون فلا ينظر اليها احد وقال ان البودسير بن قفطريم بن قبطيم بن
مصريم بن بيصر بن حام بن نوح فى ايامه بنيت بصحرا الغرب منابر ومتنزهات
وحول اليها جماعة من اهل بيته فعمروا تلك النواحى وبنوا فيها حتى صارت ارض

الغرب عمارة كلها واقامت على ذلك مدة كثيرة فخالطهم البربر ونكحوا منهم ثم
تحاسدوا فكانت بينهم حروب خربت فيها تلك الجهات وبادت الا بقيه منازل
تسمى الواحات

ذكر مدينة سنتريه

ومدينة سنتريه من جملة الواحات
بناها ابن مناقيوش باني مدينة اخميم كان احد ملوك القبط القدما قال ابن
وصيف شاه وكان في حزم ابيه وحنكته فعظم في اعين اهل مصر وهو اول
من عمل الميدان وامر اصحابه برياضة انفسهم فيه واول من عمل البيمارستان
لعلاج المرضى والزمنا واودعه العقاقير ورتب فيه الاطبا واجرى عليهم ما
يسعهم واقام الامنا على ذلك وصنع لنفسه عيدا فكان الناس يجتمعون اليه
فيه وسماه عيد الملك في يوم من السنة فياكلون ويشربون سبعة ايام وهو
مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب والنسب فاخر الثياب
المنسوجة بالذهب وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج والذهب
وفي ايامه بنيت سنتريه في صحرا الواحات عملها من حجارة بيض مربعة وفي كل
حايط باب في وسطه شارع الى حايط يحاذي له وجعل في كل شارع يمنه
ويسره ابوابا تنتهي طرقاتها الى داخل المدينه وفي وسط المدينة ملعب يدور به
من كل ناحية درج سبع وعليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام
وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من صوان اسود يدور مع الشمس بدورانها
وبساير نواحي القبة صور معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة فكان الملك
يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وقراباته وابنا الملوك وعلى
الدرجة الثانية روسا الكهنة والوزرا وعلى الثالثة روسا الجيش وعلى
الرابعة الفلاسفة والمنجمون والاطبا وارباب العلوم وعلى الخامسة اصحاب
العمارات وعلى السادسة اصحاب المهن وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف
منهم انظروا الى من دونكم ولا تنظروا من فوقكم فانكم لا تلحقونهم وهذا ضرب
من التاديب وقتلته امراته بسكين فمات وكان ملكه ستين سنه وسنتريه
الان بلد صغير يسكنه نحو ستماية رجل من البربر يعرفون بسيوه ولغتهم تعرف
بالسيوية تقرب من لغة زناته وبها حدايق نخل واشجار من زيتون وتين وغير
ذلك وكرم كبير وبها الان نحو العشرين عينا تسيح بما عذب ومسافتها من الاسكندرية
احد عشر يوما ومن جيزه مصر اربعة عشر يوما وهي وبية يصيب اهلها
الحما كثيرا وتمرها غاية في الجوده وتعبث الجن باهلها كثيرا وتخطف من انفرد
منهم وتسمع الناس بها عزيف الجن

ذكر الواحات الخارجة

بناها

بناها احد ملوك القبط الاول ويقال له البودسير بن قفطيم بن قبطيم بن مصرايم بن
بيصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وامر البودسير ان تنحى
مغربا بالنظر الى ما هناك فوقع على ارض واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب
فبنى فيها منايرو منتزهات واقام فيها جماعة من اهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا
بها حتى صارت ارض الغرب عمارة كلها واقامت كذلك مدة كبيرة وخالطهم البربر فنكح
بعضهم من بعض ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض وكانت بينهم حروب
خرب ذلك البلد وباد اهله الا بقيه منازل تسمى الواحات وقال المسعودي
واما بلاد الواحات فهي بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والغرب
وارض الاحابش من النوبة وغيرهم وبها ارض شبية وزاجية وعيون حامضة
وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات في وقتنا هذا وهو سنه اثنتين وثلاثين
وثلثماية عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواته الا انه مرواني المذهب
ويركب في الوف من الناس خيلا ونجبا وبينه وبين الاحابش نحو من ستة ايام
وكذلك بينه وبين ساير ما ذكرنا من العماير هذا المقدار من المسافة وفي ارضه
خواص وعجايب وهو بلد قايم بنفسه غير متصل بغيره ولا مفتقر اليه ويحمل من ارضه
التمر والزبيب والعناب وحدثني وكيل ابي الشيخ المعمر حسام الدين عمر بن محمد بن زنكي
الشهرزوري انه سمع ببلاد الواحات ان فيها شجرة نارنج يقطف منها في سنه واحده
اربع عشرة الف حبه نارنج صفرا سوى ما تناثر وسوى ما هو اخضر فلم اصدق
ذلك لغرابته وقمت حتى شاهدت الشجرة المذكورة فاذا هي كاعظم ما يكون من شجر الجميز
بمصر واكبر وسالت مستوفي البلد عنها فاحضر لي جرايد حسباناته وتصفحتها حتى
اوقفني منها في سنه كذا قطف من النارنجة الفلانية اربع عشرة الف حبه نارنج مستويه
صفرا سوى ما بقي عليها من الاخضر وسوى ما تناثر منها وهو صغير وبالواحات
الشب الابيض بواد تجاه مدينة ادفو كان في زمن الكامل محمد بن العادل ابي بكر
وفي زمن ابنه الصالح نجم الدين ايوب على مقطعي الواحات حمل الف قطعة شب ابيض
في كل سنه الى القاهرة ويطلق لهم في نظير ذلك حوالي الواحات ثم اهمل هذا ابطل

ذكر مدينة قوص

اعلم ان قوص اعظم مداين الصعيد وهي على النيل بنيت بعد قفط في ايام ملك من ملوك
القبط الاول يقال له شداث بن عديم بن البودسير بن قفطريم قيل سميت
باسم قوص بن قفط بن اخميم بن سيفاف بن اشمن بن مصر قال ابن وصيف شاه
شداث بن عديم هو الذي بنى الاهرام الدهشورية من الحجارة التي قطعت في
زمن ابيه وعمل مصاحف النيرنجات وعمل هيكل ارمنت وعمل في المداين
الداخلة من انصنا هيكلا واقام قبة في اتريب وهيكلا في شرقي الاسكندرية

وبالجانب الشرقي مداين وفي ايامه بنيت قوص العالية واسكن فيها قوما من اهل
الحكمة واهل الصناعات وكانت الحبش والسودان قد عاثوا في بلده فاخرج لهم ابنه
منقاوش في جيش عظيم فقتل فيهم وسبى واستعبد الذين سباهم فصار ذلك سنة
لهم واقتطع مدن الذهب من ارضهم واقام ذلك السبي يعملون فيه ويحملون الذهب اليه
وهو اول من احب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقيه من الذياب والكلاب
الاهلية وعمل من العجايب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثره وقال الادفوي في تاريخ
الصعيد وقوص بجانب قفط في الخراب من سنه اربعمايه قيل انه حضر مره قاضي قوص
فخرج من اسوان اربعماية راكب بغلة الى لقايه وفي شهر رمضان سنة احدى وستين
وستماية احضر الى الملك الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونة بقوص واحد
منها فلس فاذا على احد وجهيه صورة ملك واقف وفي يده اليمنى ميزان وفي اليسرى
سيف وعلى الوجه الاخر راس فيه اذن كبيره مفتوحه وعين مفتوحه وبدائر الفلس
كتابه فقراها راهب يوناني فكان تاريخه الى وقت قراته الفين وثلثماية سنة وفيه
انا غلياث الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن اطاع والسيف في يساري لمن عصى
وفي الوجه الاخر انا غلياث الملك اذني مفتوحه لسماع المظلوم وعيني مفتوحة انظر بها
مصالح ملكي وقوص كثيرة العقارب والسام ابرص وبها صنف من العقارب القتاله
حتى انه كان يقال لها اكلة العقرب لانه كان لا يرجى لمن لسعته حياه واجتمع بها مره في
يوم صايف على حايط الجامع سبعون سام ابرص صفا واحدا وكان الواحد من اهلها
اذا مشى في الصيف ليلا خارج داره ياخذ باحدى يديه مسرجة تضى له وبالاخرى
مشك من حديد يشك بها العقارب ثم انها تلاشت بعد سنة ثماني مايه فلما كانت
الحوادث والمحن مات بها سبعة عشر الف انسان في سنة ست وثماني مايه وكانت من
العمارة بحيث انه تعطل منها في سائر البلاد سنه ست وسبعين وسبع مايه مايه
وخمسون مغلقا والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا وله ساقيه باربعة
وجوه وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك وهو كثير جدا **ذكر مدينة اسنا**
قال الادفوي وذكر ان اسنا في سنة حصل منها اربعين الف اردب تمر واثنى عشر
الف اردب زبيب واسنا تشتمل على ما يقارب ثلاثه عشر الف منزل وقيل انه كان بها
في وقت سبعين شاعرا **ذكر مدينة ادفو** ومدينة ادفو يقال بالدال
المهملة ويقال ايضا بالتا المثناه من فوق قال الادفوي اخبرني الخطيب العدل ابو بكر
خطيب ادفو ان جاره طرحت ثلاثة شماريخ في كل شمروخ تمر واحد وانه قلع
الجارة باصلها ووزنها فجاءت خمسة وعشرين درهما كلها بجريدها وخشبها وذلك
بادفو ولما كان بعد سنة سبعماية حفر صناع الطوب فظهرت صورة شخص من حجر
شكل امراة متربعة على كرسي وعليها مثال شبله وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم البربائي

رايتها

رالامكطران

رايتها على هذه الحالة في مدينة ادفو **اهناس** كوره من كور الصعيد يقال ان
عيسى بن مريم عليه السلام ولد بها وان نخلة مريم عليها السلام التي ذكرت في
قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا لم تزل باهناس الى
اخر ايام بني امية والذي عليه الجادة ان عيسى عليه السلام انما ولد بقريه بيت لحم
من مدينه بيت المقدس وباهناس شجر اللبخ **ذكر مدينة البهنسا**
هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية وتنسج الطرز
والمقاطع السلطانيه والمضارب الكبار والصغار والثياب المخيره وكان يعمل بها
من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثون ذراعا وفي الزوج ما يتنا مثقال
ذهبا واذا صنع بها شي من الستور والاكسيه والثياب من الصوف او القطن
لا بد ان يكون فيها اسم المتخذ له مكتوبا على ذلك مصنوا جيلا بعد جيل وقبط
مصر يجمعون على ان المسيح وامه مريم كانا بالبهنسى انتقلا عنها الى القدس
وقال بعض المفسرين في قوله تعالى عن المسيح وامه واويناهما الى ربوة ذات قرار
ومعين المربوة البهنسا وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش
ابن منقاوش قال ابن وصيف شاه واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة
مثل ابيه واستخرج كتبها واكرم اهلها وبذل فيهم الجوايز وطلب الاغراب في
عمل العجايب وكان كل من ملوكهم يجهد جهده في ان تعمل له غريبة من الاعمال لم
تعمل لمن كان قبله وتثبت في كتبهم وتزبر على الحجاره في تواريخهم وهو اول من عبد
البقر من اهل مصر وكان السبب في ذلك انه اعتل علة ييس منه فيها فراى في منامه
صورة روحاني عظيم يقول له انه لا يخرجك من علتك الا عبادتك البقر لان الطالع
كان وقت حلولها بك صورة ثور بقرنين ففعل ذلك وامر باخذ ثور ابلق حسن
الصورة وعمل له مجلسا في قصره وسقفه بقبه مذهبه فكان يبخره ويطيب موضعه
ووكل به سادنا يقوم به ويكنس تحته وتعبده سرا من اهل مملكته فبرا من علته
وهو اول من عمل العجل في علته فكان يركب عليها البيوت من فوقها قباب الخشب
وعمل ذلك من احب من نسايه وخدمه الى المواضع والمنزهات وكانت البقر تجره
فاذا امر بمكان نزه اقام فيه واذا امر بمكان خراب امر بعمارته فيها فيقال انه نظر
الى ثور من البقر التي تجر عجلته ابلق حسن الشية فامر بترفيهه وسوقه بين يديه
اعجابا به وجعل عليه جلا من ديباج فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار اليه
وقد انفرد عن عبيده وخدمه والثور قايم اذ خاطبه الثور وقال له لو رفهنى
الملك عن السير معه وجعلني في هيكل وعبدني وامر اهل مملكته بعبادتي كفيته

جميع ما يريد وعاونته على امره وقويته في ملكه وازلت عنه جميع علله فارتاع
لذلك وامر بالثور فغسل ونظف وطيب وادخل في هيكل وامر بعبادته فاقام
ذلك الثور يعبد مدة وصار فيه اية وهو انه لا يبول ولا يروث ولا ياكل الا اطراف
ورق القصب الاخضر في كل شهر مرة فافتتن الناس به وصار ذلك اصلا
لعبادة البقر وبنى مواضع كنز فيها كنوزا واقام عليها اعلاما وبنى في صحرا الغرب
مدينة يقال لها داديماس واقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا ويقال ان هذه
المدينة قايمة وان قوما جازوا بها من نواحي الغرب وقد اضلوا الطريق فسمعوا
بها عزيف الجن وراوا اضوا يترااى بها وفي بعض كتبهم ان ذلك الثور بعد مدة من
عبادتهم له امرهم ان يعملوا صورته من ذهب اجوف ويوخذ من راسه شعرات
ومن ذنبه ومن نحاتة قرونه واظلافه ويجعل في التمثال المذكور وعرفهم انه
يلحق بعالمه وامرهم ان يجعلوا جسده في جرن من حجر احمر ويدفن في الهيكل وينصب
تمثاله عليه وزحل في شرفه والشمس ينظر اليه من تثليث والقمر زايد النور
وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكللوه بجميع الاصناف
من الجواهر وجعلوا عينيه جزعتين وغرسوا في الهيكل عليه شجرة بعد ما دفنوه في
في الجرن الاحمر وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا على راسه قبة تتلون كل يوم لونا
حتى تمضي سبعة ايام ثم تعود الى اللون الاول وكسوا الهيكل الوان الثياب وشقوا
نهرا من النيل الى الهيكل وجعل حوله طلسمات روسها روس القرود على ابدان الناس
كل واحد منها لدفع مضرة او جلب منفعة واقام عند الهيكل اربعة اصنام على اربعة
ابواب ودفن تحت كل صنم صنفا من الكنوز وكتب عليها قربانها وبخورها وسكنها
الشجرة فكانت تعرف بمدينة الشجرة ومنها كانت اصناف الشجر تخرج وهو اول
من عمل النوروز بمصر وفي زمانه بنيت البهنسا واقام بها اسطوانات وجعل
فوقها مجلسا من زجاج اصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس القت شعاعها
على المدينة ويقال انه ملكهم ثماني ماية وثلاثين سنة ودفن في احد الاهرام الصغار
القبلية وقيل في غربي الاشمونين ودفن معه من المال والجوهر والعجايب شي كثير
واصنام الكواكب السبعة التي تري الدفين والخبية والف سرج ذهبا وفضة وعشرة
الاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج والف عقار لفنون الاعمال وزبر
عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته وفي سنة اربع وثلثين وسبعماية ظهر بالاشمونين
في واد بين جبلين فسا في مربعة مملوة ماعز باصا فيا فمشى شخص على حافتها طول
يوم وليلة فلم يبلغ اخرها ويقال انها من عمل سوريد باني الاهرام لتكون عدة لما

كانوا

كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان ناري فردم هذا الوادي بعد ذلك
خوفا من تلاف الناس

ذكر مدينة الاشمونين

كانت
من عظام مدن الصعيد يقال انها من بنا اشمون بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح
وقال ابن وصيف شاه كان اشمون اعدل ولد ابيه وارغبهم في صنعة تبقى
وبقي ذكرها وهو الذي بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون في وسط النيل وتقول
القبط انه بنى سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا تحت النيل وقيل انه حفره
وعمله لبناته لانهن كن يمضين الى هيكل الشمس وكان هذا السرب مبلط الارض
والحيطان والسقف بالزجاج الثخين الملون وقيل ان اشمون كان اطول اخوته ملكا
وقال اهل الاثر انه ملك ثماني ماية سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستماية
من ملكه واقاموا تسعين سنة واستوبوا البلد فانتقلوا الى الدثنه من طريق الحجاز
الى وادي القرى فعمروها واتخذوا المنازل والمصانع وسلط الله عليهم الذر فاهلكهم
وعاد ملك مصر الى اشمون ويقال انه عمل على باب الاشمونين اوزة من نحاس فكانت
الغريب اذا جا ليدخل المدينة صاحت الاوزة وصفقت بجناحيها فيعلم به فان
احبوا منعوه وان احبوا تركوه وكثرت الحيات في وقته فكانوا يصيدونها ويعملون
من لحومها ادوية وترياقات ثم ساقوها بسحرهم الى وادي الحيات في جبال لوبية
ومراقية فسجنوها هناك وقال في كتاب هروشيش ان اشمون بن قبطا اول ملوك
المصريين وانه كان في زمان شاروخ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشذ
ابن سام بن نوح وان سني الدنيا صارت الى زمان شاروخ الفين وتسع ماية وخمس
سنين يكون ذلك بعد الطوفان بستماية وثلاث وستين سنة وبها كانت فرهة
الخيل والبغال والحمير وكان يعمل بها الفرش القرمز الذي يشبه الارمني وكان
ينزل بارض الاشمونين عدة بطون من بني جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وكانوا
بادية اصحاب شوكة وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان حلفا لهم ومعهم
بطن اخر يقال لهم بنو عسكر يقال ان اباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان ويزعمون
انهم من بني امية صليبة وكان معهم ايضا حلفا لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن
ابي سفيان ينزلون بارض دلجة عند اشمون

ذكر مدينة اخميم

احد ملوك القبط الاول قال ابن وصيف شاه كان رجلا محنكا فاستانف العمارة
وبنى القرى ونصب الاعلام وجمع الحكم ومصاحف العلوم الملوك والحكما وعمل
العجايب وبنى لنفسه مدينة انفرد بها وعمل عليها حصنا ونصب عليه اربعة اعلام
في كل ركن من اركانه علم وبين تلك الاعلام ثمانون صنما من نحاس واخلاط في ايديها

السلاح وزبر على صدورها اياتها وكان بمنف رجل من اولاد الكهنة من اعلم الناس
بالسحر وابصرهم باخذ التماسيح والسباع وكان يعلم الغلمان السحر فاذا احدقوا
على غيرهم فامر الملك ان يبنى له مدينه ويحول اليها وهى اخميم فملكهم منا قيوس نيفا
واربعين سنة ومات فدفن فى الهرم المحاذى لاطفيح ومعه شى كثير من المال والجوهر
والانية والتماثيل وزبر عليه اسمه والوقت الذى هلك فيه قال وذكر اهل اخميم
ان رجلا اتى من المشرق وكان يلزم البربا وياتى اليه كل يوم بالبخور والخلوق فيبخر
ويطيب صورة فى عضادة الباب فيجد تحتها دينارا فياخذه فتفطن لذلك مدبر
حتى وشى به غلام له الى عامل البلد فقبض عليه فبذل لهما لا وخرج عن البلد وكان
بربا اخميم من اعجب البرابى واعظمها قد بنيت لخزن دخايرهم فانهم قضوا على
اهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرابين لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم يكون نارا
فتحرق جميع ما على وجه الارض وقال اخرون بل يكون ما فعملوا هذه البرابى قبل
الطوفان وكان فى هذه البربا صور الملوك الذين يملكون مصر وكانت مبنية بحجر
المرمر وطول كل حجر منها خمسة اذرع فى سمك ذراعين وهى سبعة دهاليز سقوفها
حجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا فى عرض خمسة اذرع مدهونة باللازورد
وغيره من الاصباغ التى يحسبها الناظر كانما فرغ الدهان منها لجدتها وكان كل
دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة وجدران هذه الدهاليز
منقوشة بصور مختلفة الهيات والمقادير فيها رموز علوم القبط من الكيميا
والسيميا والطلسمات والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك اودعوها تلك
الصور وذكر ابن جبير فى رحلته ان طول هذه البربا مايتان وعشرون ذراعا
وسعتها مايه وسبعون ذراعا وانها قايمة على اربعين سارية سوى الحيطان
دور كل سارية خمسون شبرا وبين كل ساريتين ثلاثون شبرا وروسها فى نهاية
العظم كلها منقشة من اسفلها الى اعلاها وبين راس كل سارية الى الاخرى لوح عظيم
من الحجر المنحوت فيها ما ذرعه ستة وخمسون شبرا طولا فى عرض خمسة اشبار وارتفاع
ثمانية اشبار وسطحها من الواح الحجارة كانها فرش واحد فيه التصاوير البديعة
والاصبغة الغريبة كهية الطيور والادميين وغير ذلك فى داخلها وخارجها
وعرض حايط البربا ثمانيه عشر شبرا من حجاره مرصوصه كذا قاسها ابن جبير فى
سنة ثمان وسبعين وخمسمايه ويقال ان ذا النون عرف منها علم الكيميا ومازالت
هذه البربا قايمة الى سنة ثمانين وسبعماية فهدمها رجل من اهل اخميم يعرف بالخطيب
كمال الدين ابى بكر بن الخطيب علم الدين على ونال منها مالا فلم تطل حياته ومات ومن

حينئذ

حينئذ تلاشى امر اخميم الى ان خربت وقد ذكر ان روحانية بربا اخميم كانت فى
هيئة غلام امرد عريان وان قوما دخلوها مرة فتبعهم واخذ يضربهم ضربا
وجيعا حتى خرجوا هاربين وحكى مثل ذلك عمن دخل الاهرام ايضا وحكى ان رجلا
العق على صورة من بربا اخميم شمعا فكان اذا تركها فى موضع انحاشت العقارب
اليها واذا وضع الشمعة فى تابوت اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان فى بربا
اخميم شيطان قايم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الى الهوا وفى جبهته
وحواليه كتابة وله احليل ظاهر ملتصق بالحايط وكان يذكر ان من احتال حتى
يثقب على ذلك الاحليل حتى يخرجه من غير ان ينكسر ويعلقه على وسطه فانه لا يزال
منعظا الى ان ينزعه ويجامع ما احب ولا يفتر مادام معلقا عليه وان بعض من
ولى اخميم اقتلعه فوجد منه شيا عجيبا من ذلك وكانت الانطاع تجلب من اخميم
وبها تعمل ويقال انه كان بها اثنى عشر الف عريف على السحرة وكان بها شجر
اللبخ ويقال ان الذى بنى بربا اخميم اسمه دومريا وانه جعل هذه البربا مثلا
للامم الاتية بعده وكتب فيها تواريخ الامم والاجيال ومفاخرهم التى يفتخرون بها
وصور فيها الانبيا والحكما وكتب فيها من ياتى من الملوك الى اخر الدهر وكان بنا ون
ايا ها والنسر براس الحمل والنسر عندهم يقيم فى كل برج ثلاثة الاف سنه قلت والنسر
فى زمننا باخر درجات برج الجدى فيكون على ذلك لهذه البربا منذ بنيت نحو الثلاثين
الف سنه وذكر ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسى فى كتاب تحفة الالباب ان
هذه البربا مربعة من حجارة منحوتة ولها اربعة ابواب يفضى كل باب الى بيت له
اربعة ابواب كلها مظلمة ويصعد منها الى بيوت كالغرف على قدرها ن

ذكر مدينة العقاب

قال المسعودى مدينة العقاب غربى اهرام بوصير الجيزة على مسيرة خمسة
ايام بلياليها للراكب المجد وقد عور طريقها وعمى المسلك اليها والسمت الذى يودى
نحوها وفيها عجايب البنيان والجواهر والاموال وقال ابن وصيف شاه وكان الوليد
ابن دومع العمليقى قد خرج فى جيش كثيف يتنقل فى البلدان ويقهر ملوكها فلما صار
بالشام وجه غلاما له يقال له عون فسار الى مصر وفتحها ثم سار فتلقاه عون ودخل
مصر فاستباح اهلها ثم سنح له ان يقف على مصب النيل فخرج فى جيش كثيف واستخلف
عونا على مصر واقام فى غيبته اربعين سنة وان عونا بعد سبع سنين من مسيره تجبر
بمصر وادعى انه الملك وانكر ان يكون غلام الوليد وانما هو اخوه وغلب بالسحر وبما
الجوايز فمال الناس اليه ولم يدع امراة من بنات ملوك مصر الا نكحها ولا مالا الا

اخذه وقتل صاحبه وهو مع ذلك يكرم الكهنة ويعظم الهيا كل فاتفق انه رآ
الوليد في منامه وهو يقول له من امرك ان تتسمى باسم الملك وقد علمت انه من فعل
ذلك استحق القتل ونكحت بنات الملوك واخذت الاموال بغير واجب ثم امر بقدر
مليت زيتا واحميت حتى غلت ونزع ثيابه ليلقيه فيها فاتاه عقاب اختطفه
وحلق به في الجو وجعله في هوه على راس جبل فسقط الى واد فيه حماة فتنبه
فانتبه مرعوبا وقص ذلك على كهنته فقالوا نحن نخصك منه بان تعمل عقابا وتعبده
فانه الذي خلصك في نومك فقال اشهد لقد قال لي اعرف لي هذا المقام ولا تنسه
فعمل عقابا من ذهب وجعل عينيه جوهرتين ووشحه بالجوهر وعمل له هيكلا
لطيفا وارخى عليه ستور الحرير واقبلوا على تبخيره وقربانه حتى نطق لهم فاقبل
عون على عبادته ودعا الناس الى ذلك فاجابوه ثم امر فجمع له كل صانع بمصر واخرج
اصحابه الى صحرا الغرب لطلب ارض سهلة حسنة الاستوا يدخل اليها من مواضع
صعبة وجبال وعرة بحيث يقرب من مغيض الما التي هي اليوم الفيوم وكانت مغيضا
لما النيل حتى اصلحها يوسف عليه السلام ليجري الما منها الى المدينة فخرجوا واقاموا اشهرا
يطوفون حتى وجدوا بغيته فلم يبق بمصر فاعل ولا مهندس ولا احد له بصر بالبنا
وقطع الصخور ونحتها الا وجه به وانفذ الف رجل من الجيش وسبعماية ساحر
لمعاونتهم وانفذ معهم الالات والازواد على العجل وطريق هذه العجل الى الفيوم في
صحرا الغرب واضحة من خلف الاهرام فلما تكامل لهم ما اراد من نحت الحجارة خطوا
المدينة فرسخين في مثلها وحفر وا في الوسط بيرا جعلوا فيها تمثال خنزير من نحاس
باخلاط ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الى الشرق وذلك بطالع بيت زحل
واستقامته وسلامته وكان في شرفه وذبحوا خنزيرا ولطخوا التمثال بدمه
في وجهه ونحروه بشي من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه
ومرارته وجعلوا في اذنيه من مرارته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوا رماده في
قله من نحاس بين يدي التمثال ونقشوه بايات زحل ثم شقوا في البير من الجهات
الاربع في كل جهة سربا الى حيطان المدينة وعملوا على افواهها منافس تجتذب الهوا
وسدوا البير وعقدوا فوقها قبة على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا
فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من ابواب المدينة وفصلوها بالطرقات
والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بايديها حراب ووجوهها
تجاه الابواب وجعلوا اساس المدينة من حجر اسود وفوقه حجر احمر عليه حجر اصفر من
فوقه حجر اخضر وفوق الجميع حجر ابيض يشف وكلها مبنية بالرصاص المصبوب بين

الحجاره

الحجارة وفي قلوبها اعمده من حديد على بنا الاهرام وجعلوا طول حصنها
ستين ذراعا في عرض عشرين وعلى راس كل باب حصن باعلاه عقاب كبير من
صفر واخلاط قد نشر جناحيه وهو اجوف وعلى كل ركن فارس بيده حربة ووجهه
الى خارج المدينة وساق الما الى الباب الشرقي ينحدر في صبب الى الباب الغربي
ويخرج الى صهاريج وكذلك من الباب الجنوبي الى الشمالي وقرب للعقاب
عقبانا ذكورا واجتلب الرياح الى افواه التماثيل فصار يسمع لها اصوات هايلة
ووكل بها ارواحا تمنع الداخل اليها الا ان يكون من اهلها ونصب العقاب
الذي يتعبد له تحت القبه في وسط المدينه على قاعدة باربعة اركان على كل
ركن وجه شيطان وجعلها على عمود يديرها فكان العقاب يدور الى الجهات
فيقيم في كل جهة ربع السنة فلما تم ذلك نقل الى المدينه الاموال والجواهر التي بمصر
من عهد الملوك والتماثيل والحكم وتراب الصنعة والعقاقير والسلاح وحول
اليها كبار السحرة والكهنة واصحاب الصنايع والتجار وقسم المساكن بينهم فلا
يختلط اهل صناعة بسواهم وعمل لها ربضا لاصحاب المهن والزراعة وعقد على
تلك الانهار قناطر يمشي عليها الداخل الى المدينة وجعل المايد وحول الربض
ونصب عليها اعلاما وحرسا ثم غرس ورا ذلك مما يتصل بالبرية النخل والكرم
وجميع اصناف الشجر على اقسام مقسومة ومن ورا ذلك كله مزارع الغلات في كل
جهة كل ذلك بامر الوليد قال وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة
ايام فكان يخرج اليها ويقيم فيها ثم يعود الى منف وكان لها اربعة اعياد في السنة
وهي الاوقات التي يتحول العقاب فيها فلما تم لعون ذلك اطمان قلبه الى ان وافا
اليه كتاب الوليد من النوبة يامره بحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه في
البر والبحر بما اراد وحول اهله ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبرا الى المدينة
فلما قرب الوليد خرج اليها وتحصن فيها واستخلف على منف فقدم الوليد وقد
سمع بما فعله عون فغضب وهم ان يبعث اليه بجيش فعرف بخبر المدينه ومنعتها
وخبر السحرة فكتب اليه ان يقدم عليه ويحذره عاقبة التخلف فاجابه بما على
الملك مني مونة ولا تعرض ولا عيث في بلده لاني عبده وانا له ردو في هذا المكان
من كل عدو ياتيه من الغرب ولا اقدر على المصير اليه لخوفي منه فليقرني الملك
عامل كاحد عماله واوجه اليه ما يلزمني من خراجه وهداياه وبعث اليه باموال
جليلة وجوهر نفيس فكف عنه واقام الوليد بمصر حتى مات

ذكر مدينة الفيوم

لاد اسلوم الاصل

اعلم ان موضع الفيوم كان مغيض ما النيل فلما ولي يوسف الصديق عليه السلام
تدبير امور مصر عمرها فالــــــ ابن وصيف شاه ثم ملك الريان بن الوليد وهو
فرعون يوسف والقبط تسميه نهراوش فجلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق
جميل الوجه عاقلا متمكنا فوعد بالجميل واسقط عن الناس خراج ثلاث سنين
وفرق المال في الخاص والعام وملك في البلد رجلا من اهل بيته يقال له
اطفين وهو الذي سميه اهل الاثر العزيز فامر ان ينصب له في قصر الملك
سرير من فضة يجلس عليه ويغدو ويروح الى باب الملك وتخرج العمال والكتاب
بين يديه فكفا نهراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذته فانغمس
نهراوش في لهوه ولم ينظر في عمل ولا ظهر للناس حينا والبلد عامر وهو لا يسال عن شي
وعمل له مجالس من زجاج ملون وحولها ما فيه اسماك مقرطه وبلور ملون فكان
اذا وقعت عليه الشمس ظهر له شعاع عجيب وعملت له عدة متنزهات على عدة
ايام السنة فكان لكل يوم في موضع منها وعمل له في كل موضع من الانية والفرش
ما ليس لغيره فاتصل بملوك النواحي تشاغله بلذته وتدبير اطفين فسار ملك من
العماليق يقال له ابو قابوس عاكن بن تحوم الى مصر ونزل على حدودها فجهز
اليه العزيز جيشا عليه قايد يقال له بريانس فاقام يحاربه ثلاث سنين فظفر به
العمليق وقتله وهدم الاعلام والمصانع وقوي طمعه في البلد فاجتمع الناس الى قصر
الملك فاستغاثوا فخرج اليهم وعرض جيوشه وخرج في ستماية الف مقاتل سوى الاتباع
فالتقوا من وراء الحوف وكان بينهما قتال شديد فانهزم العمليق وتبعه نهراوش
الى حد والشام وقتل خلقا من اصحابه وافسد زروعهم واشجارهم وحرق وصلب ونصب
اعلاما في الاماكن التي وصلها وزبر عليها اني لم اتجاوز هذا المكان بالمرصاد وقيل انه
بلغ الموصل وضرب على اهل الشام خراجا وبنى عند العريش مدينة لطيفه وشحنها
وتلك الناحية بالجمال والرجال ورجع الى مصر فحشد من جميع الاعمال جنودا واستعد لغزو
ملك الغرب وخرج في سبعماية الف فمر بارض البربر وجلا كثيرا منهم وجهز قايدا في
سفن من ناحية رقوده الى جزاير بني يافث فعاث فيها وخرج من ناحية رقوده في
جزاير بني يافث فعاث فيها وخرج من ناحية ارض البربر فقتل وصالح بعضهم على مال
حملوه اليه ومضى في افريقية وقرطاجنه فصالحوه على مال ومر حتى بلغ مصب البحر
الاخضر في بحر الروم وهو موضع الاصنام النحاس فاقام هناك صنما زبر عليه اسمه
وتاريخ خروجه وضرب على اهل تلك النواحي الخراج وعدا الى الارض الكبيرة وسار في
الاندلس فحارب ملكها اياما ثم صالحه على مال وان يمنع من يغزو مصر من ناحيته وانصرف

على

على عبر البحر مشرقا في بلاد البربر فلم يمر بامة الا ودخلت في طاعته ومر في الجنوب فقتل
خلقا وبعث قايدا الى مدينة في البحر الاسود فخرج اليه ملكها وذكر له حال الريان ومصالحة
الملوك له فقال ما بلغنا احد قط وساله القايد عن البحر هل ركبه احد فقال ما يقدر احد على
ركوبه وربما اظله غمام فلا يرى اياما وقدم الريان فحملوا الهدايا وفاكهة اكثرها الموز وجاز
سودانا جعلت في الماء صارت بيضا ثم سار الملك على امم السودان في مملكة الدمدم الذين
ياكلون الناس فخرجوا اليه عراة فهزمهم وظفر بهم ومر على البحر المظلم فغشيهم منه غمام فرجع
شمالا حتى انتهى الى تمثال من حجر احمر يومي بيده ارجعوا وفي صدره مزبور ما وراي احد
فسار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها ومضى الى الوادي المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة
عظيمة ولا يرون احدا لشدة ظلمته وسار الى وادي الرمل فراى في عبره اصناما عليها
اسما الملوك فاقام عليه صنما زبر عليه اسمه فلما اسبت الرمل جاز عليه الى الخراب المتصل
بالبحر الاسود فراى سباعا يهز بعضها على بعض فعلم انه لا مذهب له من وطيها فرجع وعدا
وادي الرمل ومر بارض العقارب فهلك بعض اصحابه وود فعوا عن انفسهم اذاها بالرقا
وجازها الى مدينة الحكما وتعرف بمدينة الكند فقربوا منه الى جبل فاقام عليها اياما حتى
كاد يهلك جيشه عطشا فنزل اليه من الجبل رجل من افاضل الحكما وقد لبس شعره حتى جز
فقال للملك اين تريد ايها المغرور المدود له في الاجل المرزوق فوق الكفاية اتعبت نفسك
وجيشك الا اجتزات بما تملكه واتكلت على خالقك وربحت الراحة وتركت العنا والغرور
بهذا الخلق فعجب من قوله وساله عن الماء فدله عليه وساله عن موضعهم فقال موضع
لا يصل اليه احد ولا بلغه قبلك احد فقال ما عيشكم قال من اصول النبات تقنع به نفوسنا
اليسير قال فمن اين تشربون قال من الامطار والثلج قال فلم هربتم منا قال زهادة في حطامكم
والاقليل لنا ما نخافكم عليه قال فكيف بكم اذا حميت الشمس قال ناوي الى غيران تحت هذا
الجبل قال فهل لكم في مال اخلفه لكم قال انما يريد المال اهل الترف ونحن لا نستعمل منه شيا
استغنا عنه بما قد اكتفينا به وعدنا منه ما لو رايته لاحتقرت ما عندك قال فارنيه
فانطلق بنفر من اصحابه الى ارض في سفح جبلهم فيها قضبان ذهب نابتة وارام وواديا لهم
في حافتيه حجاره زبرجد وفيروزج فامر نهراوس اصحابه ان يحملوا من كبار تلك الحجارة
وراى الحكيم جماعة الملك يصلون الى صنم يحملونه معهم فسال الملك الا يقيم بارضهم وخوفه
من عبادة الاصنام فودعه وسار فلم يمر بامة الا اثر فيها حتى بلغ النوبة فصالحهم على مال
واقام على حد مقله صنما وزبر عليه اسمه ومسيره وسار يريد مدينة منف فكان اهل
كل مدينة من مداين مصر يتلقونه بالفرح والسرور والرياحين والطيب الى ان بلغ منف
فخرج اهلها اليه مع العزيز باصناف الرياحين والطيب وكان العزيز قد بنى له مجلسا

من زجاج ملون وفرشه باحسن فرش وغرس حوله الاشجار والرياحين وجعل
فيه بحرة من زجاج سماوي وفي ارضه شبه السمك من زجاج ابيض فنزل الملك فيه
واقام الناس ياكلون ويشربون اياما كثيرة وتفقد جلسته فتفقد منهم سبعين الفا ووجد
فيهم من اسره نيفا وخمسين الفا وكانت مدة غيبته عن مصر في مسيرة هذا احدى
عشرة سنة فلما بلغ الملوك قدومه هابوه واشتد باسه وتجبر وبنى من الجانب الشرقي
قصورا من رخام ونصب عليها اعلاما وامر بالعمارة واصلاح الجسور واستنباط الاراضي
حتى زاد الخراج على ماية الف الف دينار ودخل في البلد في ايامه غلام من اهل الشام احتال
عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعرض بناحية الموقف اليوم فوقف الغلام
ونودي عليه وهو يوسف بن يعقوب بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم فاشتراه
اطفير العزيز لينهد به الى الملك فلما اتى به قصره راته امراته زليخا وهي ابنة عمه فقالت
اتركه لنا نربيه لينفعنا ففعل وكان من امرها ما قصه الله سبحانه في القران فكانت تكتم حبه
حتى غلبت فخلت به وتزينت له وعرفته انها تحبه وانه ان واتاها على ما تريده منه حبته
بمال عظيم فامتنع من ذلك ورامت ان تغلبه فما زالت تعاركه وهو يمتنع عليها الى ان وافا
زوجها وراه وهو هارب منها وكان العزيز عنينا لا ياتي النسا فجعل يوسف يعتذر
اليه وقالت اني كنت نايمة فاتاني يراودني على نفسي وتبين من شاهد اهلها ان الامر من قبل
امراته فقال يوسف اعرض عن هذا اي عن اعتذارك وقال لها استغفري لذنبك
وقد كان خبر اطفير والغلام بلغ الملك وكان يهراوش عاود العكوف على اللهو والاحتجاب
عن الناس واتصل خبر زليخا ويوسف بنسا الخاصة فعيرنها بذلك فدعت جماعة
منهن وصنعت لهن طعاما وشرابا وعملت مجلسين مذهبين وفرشتهما بديباج اصفر
مذهب وارخت عليهما ستور الديباج وامرت المواشط بتزيين يوسف واخراجه
من المجلس الذي يحاذي المجلس الذي كانت مع النسوة فيه وكان المجلس يحاذي الشمس
فاخذته المواشط ونظمن شعره باصناف الجواهر والبسنه ثوب ديباج اصفر قد نسج
بدارات حمر مذهبة فيها اطيار صغار خضر مبطن ببطانة خضرا ومن تحته غلالة
حمرا وعلى راسه تاج قد نظم بالدر والجوهر واخرجن من تحت التاج اطرار شعره
على جبهته ورددت ذوايبه على صدره وجعلن جمته مكشوفة والتاج يحيط بها
وفي اذنيه قرطا جوهر ومن خلف طوق القبا شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك
بالذهب والجوهر وفي عنقه طوق منظوم بذهب مشذر بجوهر احمر ودر فاخر
وفي وسطه منطقة ذهب فيها كواكب جوهر ملون ولها معاليق منظومة والبسنه
خفين ابيضين منقوشين باخضر على نقوش ذهب وجعل للقبا الذي عليه وشاحين

على كتفيه وفرد وزخوط باسفله وكميه من جوهر اخضر وعقرب من صدغيه على خديه
وكحلن عينيه ودفعن اليه مذبة شعرها اخضر فلما فرغ النسا من طعامهن وشربن
اقداحا قدمت اليه سكاكين نصبهن من جوهر ليقطعن بها الفاكهة فبينما الهن
اخذن اترجا وهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغني حد يثكن في امري مع عبدي
فقلن لها الامر كما بلغك لانك اعلى قدرا من هذا ومثلك يرتفع عن اولاد الملوك
لحسنك وشرفك فكيف رضيتي بغلامك قالت لم يبلغكن الصدق ولا هو عندي
بهذا واومات الى المواشط ان يخرجن يوسف فرفعن الستور عن المجلس الذي يحاذي
مجلسها وبرز يوسف منه محاذيا بوجهه الشمس فاشرق المجلس وما فيه من وجه
يوسف واقبل بالمذبة وهن يرمقنه فوقف على راس زليخا يذب عنها فاشتغل
النسا برويته وجعلن يقطعن ايديهن من موضع الفاكهة التي كانت معهن ولا يعين
الكلام ذهولا منهن بما بهرهن من حسن يوسف فقالت لهن زليخا ما لكن قد اشتغلتن
عن خطابي بالنظر الى عبدي فقلن معاذ الله ما هذا عبد ان هذا الا ملك كريم
ولم يبق منهن امراة الا حاضت وانزلت شهوة من محبته فقالت زليخا عند ذلك فهذا
الذي لمتنني فيه فقلن ما ينبغي لاحد ان يلومك في هذا ومن لامك فقد ظلمك فذونكه
قالت قد فعلت فابى علي فخاطبنه لي فكانت كل واحدة منهن تخاطبه وتدعوه سرا الى
نفسها وتبذل له وهو يمتنع عليهن فاذا ايست منه ان يجيبها لنفسها خاطبته من جهة
زليخا وقالت مولاتك تحبك وانت تكرهها ما ينبغي ان تخالفها فقال ما لي بذلك حاجة
فلما راين ذلك اجمعن على اخذه غصبا فقالت زليخا لا يجوز هذا لكنه ان لم يفعل لامنعنه
اللذات ولاسجننه وانتزع جميع ما اعطيته فقال يوسف رب السجن احب الي مما
تدعونني اليه فاقسمت بالاهها وكان صنما من زبرجد اخضر باسم عطارد انه ان لم
يفعل لتعجلن له ذلك ثم امرت بنزع ثيابه والبسته الصوف وسالت العزيز حبسه
لتزول ما قرفها به فامر به فحبس وراى الملك في منامه كان اتيا اتاه فقال له ان فلانا
وفلانا قد عزما على قتلك يريد صاحب طعامه وشرابه فلما اصبح قررهما فاعترفا له
وقيل اعترف احدهما وانكر الاخر فامر بحبسهما وكان اسم صاحب الطعام راسان واسم
صاحب الشراب مرطس وكان يوسف وهو في السجن يواسيهم فيه ويعدهم الفرج
فاخبره صاحبا طعام الملك وشرابه بروياهما التي قصها الله في كتابه فوقع كما قصه
يوسف وراى الملك البقرات والسنابل فعرفه الساقي خبر يوسف فمضى اليه وقصها
عليه فلما عاد الى الملك قال جيوني به فقال يوسف ما اخرج او يكشف امر النسوة اللاتي
من اجلهن حبست فكشف عن ذلك واعترفت زليخا بالقصة ووجها اليه فخرج

وغسل من درن السجن والبس ما يليق بالدخول على الملوك فلما راه امتلا قلبه من حبه
واكباره وساله عن الرويا ففسرها كما قال الله تعالى فقال الملك ومن يقوم لي بذلك
قال انا فخلع عليه خلع الملوك والبسه تاجا وامران يطاف به وركب الجيش معه ورد
الى قصر الملك وجلس على سرير العزيز واستخلفه الملك على ملكه مكانه ويقال ان العزيز
اطفير كان قد مات فازوجه امراته وقال لها يوسف هذا اصلح مما اردت فقالت اعذرني
ان زوجي كان عنينا ولم تترك امراة الاصبا قلبها اليك من حسنك وجات سني خصب
في مصر فجمع يوسف الغلال وخزنها واكثر منها فلما جات سني الجدب بدا النيل في النقصان
فكان ينقص كل سنة اكثر من التي قبلها فقحط البلد حتى بيع القمح بالمال والجوهر والدواب
والثياب والانية والعقار وكاد اهل مصر يرحلون عنها لولا تدبير يوسف وقحط
الشام ايضا فكان من مجي اخوة يوسف ما قصه الله تعالى ووجه الى ابيه فحمل الى مصر
وجميع اهله وخرج في وجوه اهل مصر فتلقاه وادخله على الملك وكان يعقوب مهيبا
فاعظمه الملك وساله عن سنه وصناعته وعبادته فقال سني عشرون ومائة سنة واما
صناعتي فلنا غنم ننتفع بها واعبد رب العالمين الذي خلقني وخلقك وهو الاه ابائي
والاهك والاه كل شي وكان في مجلس الملك كاهن جليل القدر فقال للملك اني اخاف ان
يكون خراب مصر على يد ولد هذا فقال له الملك فاسل لنا خبره فقال الكاهن ليعقوب
ارني الهك ايها الشيخ قال الهي اعظم من ان يرى قال فانا نرى الهتنا قال ان الهتكم من ذهب
وفضة وحجارة وجوهر ونحاس وخشب مما يعمل بنو ادم وهم عبيد الاهي الذي لا اله الا
هو العزيز الحكيم قال الكاهن ان كل شي لا تراه العيون ليس بشي فغضب يعقوب وكذبه
وقال ان الله شي لا كالاشيا وهو خالق كل شي لا اله الا هو قال فصفه لنا قال انما توصف
المخلوق لكنه خالق واحد قديم مدبر ازلي يرى ولا يرى وقام يعقوب مغضبا فاجلسه
الملك وامر الكاهن فكف عنه فقال الكاهن انا نجد في كتبنا ان خراب مصر يجري على ايدي
هولا فقال الملك هذا يكون في ايامنا قال لا ولا الى مده كبيره والصواب ان يقتله الملك
ولا يبقي من ذريته احدا فقال الملك ان كان الامر كما تقول فلا يمكننا ان ندفعه ولا نقدر
على قتل هولا وانزل يعقوب ومن معه بوادي السدير الى ان مات فحمل الى قرية ابراهيم
عليه السلام ودفن عنده ويقال ان نهراوش الملك امن وكتم ايمانه خوفا من فساد امره
واقام ملكا مائة وعشرين سنة وفي وقته عمل يوسف الفيوم فان اهل مصر كانوا وشوا به
الى الملك وقالوا قد كبر ونقص نفعه فاخبره فقال له اني وهبت هذه الناحية لابني
وكانت مغايض للما فدبرها لها فعملها يوسف واحتال للمياه حتى اخرجها وقلع ادغالها
وساق المنهى وبنى اللاهون وجعل الما فيها مقسوما موزونا وفرغ منها في شهور اربعه

فحجوا

فحجبوا من حكمته ويقال انه اول من هندس بمصر ومات نهراوش فخلفه ابنه
درنموش وتسميه اهل الاثر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم فخالف
سنة ابيه وكان يوسف خليفته فيقبل منه بعضا ويخالفه في البعض فمات يوسف
في ايامه وله مائة وعشرون سنة فكفن وعمل في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي
فاخصب ونقص الشرقي فحول اليه فاخصب ونقص الغربي فاتفقوا على ان جعلوه في
الشرقي عاما وفي الغربي عاما ثم حدث لهم من الراي ان يجعلوا له حلقا وثاقا وشدوا
التابوت في وسط النيل فاخصب الجانبان كلاهما وقال ابن عبد الحكم فملكهم الريان
ابن الوليد بن دومع وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فلما راى الملك روياه
التي راى وعبرها يوسف ارسل اليه الملك فاخرجه من السجن قال ابن عباس رضي الله عنه
فاتاه الرسول فقال الق عنك ثياب السجن والبس ثيابا جددا وقم الى الملك فدعا لاهل
اهل السجن وهو يوميذ ابن ثلاثين سنه فلما اتاه راى غلاما حدثا فقال ايعلم هذا رويای ولا
تعلمها السحرة والكهنة واقعده قدامه وقال له لا تخف فلما استنطقه وسايله عظم في
عينه وجل امره في قلبه فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف بابه والبسه طوقا من ذهب
وثياب حرير واعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك وضرب بالطبل بمصر ان يوسف
خليفة الملك وعن عكرمة ان فرعون قال ليوسف قد سلطتك على مصر غير اني اريد ان
اجعل كرسي اطول من كرسيك باربع اصابع قال يوسف نعم قال واجلسه على السرير
ودخل الملك بيته مع نسايه وفوض امر مصر كلها اليه فبسبب عبارة رويا الملك ملك يوسف
مصر وعن الليث بن سعد قال حدثني مشيخة لنا قال اشتد الجوع على اهل مصر فاشتروا
الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا فاشتروا بالفضة حتى لم يجدوا فضة فاشتروا باغنامهم
حتى لم يجدوا غنما فلم يزل يبيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهب ولا شاه ولا بقر في
تلك السنين فاتوه في الثالثة فقالوا والله لم يبق لنا الا انفسنا واهلونا وارضونا فاشترى
يوسف ارضهم كلها لفرعون ثم اعطاهم يوسف طعاما يزرعونه على ان لفرعون الخمس قال وفي ذلك
الزمان استنبطت الفيوم وكان سبب ذلك ان يوسف لما ملك مصر وعظمت منزلته من فرعون
وجاوزت سنه مائة سنة قال وزرا الملك له ان يوسف قل علمه وتغير عقله ونفدت حكمته فعنفهم
فرعون ورد عليهم مقالتهم واسا اللفظ لهم فكفوا ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين فقال
لهم هلموا ما شيتم من اي شي اختبره به وكان بلد الفيوم يوميذ تدعى الجوبة وانما كانت لمصالة
ما الصعيد وفضوله فاجتمع رايهم على ان تكون هي المحنة التي يمتحنون بها يوسف فقالوا لفرعون
سل يوسف ان يصرف ما الجوبة عنها ويخرجه منها فيزداد بلدا الى بلدك وخراجا الى خراجك
فدعا يوسف فقال قد تعلم مكان ابنتي فلانة مني وقد رايت اذا بلغت ان اطلب لها بلدا

واني لم اصب لها الا الجوبة وذلك انه بلد بعيد قريب لا يوتا من وجه من الوجوه الا
من غابة او صحرا وكذلك هي ليست توتا من ناحية من النواحي من مصر الا من مغازه وصحرا
فالفيوم وسط مصر كمثل مصر في وسط البلاد لان مصر لا توتا من ناحية من النواحي الا
من صحرا او مفازه قال وقد قطعتها اياها فلا تتركن وجها ولا نظرا الا بلغته فقال يوسف
نعم ايها الملك متى اردت ذلك فابعث الي فاني ان شا الله فاعل قال ان احبه الي واوفقه
اعجله فاوحى الله الى يوسف ان يحفر ثلاثة خلج خليجا من اعلا الصعيد من موضع كذا الى
موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من موضع كذا الى
موضع كذا فوضع يوسف العمال فحفر خليج المنهى من اعلا اشمون الى اللاهون وامر البنايين
ان يحفروا اللاهون وحفر خليج الفيوم وهو الخليج الشرقي وحفر خليجا بقرية يقال لها تنهمت
من قرى الفيوم وهو الخليج الغربي فخرج ماوها من الخليج الشرقي فصب في النيل وخرج من الخليج
الغربي فصب في صحرا تنهمت الى الغرب فلم يبق في الجوبه ما ثم ادخلها الفعلة فقطع
ما كان فيها من القصب والطرفا واخرجه منها وكان ذلك ابتدا جري النيل وقد
صارت الجوبة ارضا نقية برية وارتفع ما النيل فدخل في راس المنهى فجرا فيه حتى انتهى الى
اللاهون فقطعه الى الفيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت لجة من النيل واخرج
اليها الملك ووزراه وكان هذا كله في سبعين يوما فلما نظر اليها الملك قال لوزرايه
اوليك هذا عمل الف يوم فسميت الفيوم واقامت تزرع كما تزرع غوايط مصر قال
وقد سمعت في استخراج الفيوم غير هذا ان يوسف عليه السلام لما ملك مصر وهو ابن ثلاثين
فاقام يدبرها اربعين سنة فقال اهل مصر قد كبر يوسف واختلف رايه فعزلوه وقالوا
اختر لنفسك من الموات ارضا نقطعكها لنفسك وتصلحها ونعلم رايك فيها فان رايناه من
رايك وحسن تدبيرك ما نعلم انك في زيادة من عقلك رددناك الى ملكك فاعترض البرية
في نواحي مصر فاختار موضع الفيوم فاعطيها فشق اليها خليج المنهى من النيل حتى ادخله
الفيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله في سنة قال يزيد بن ابي حبيب وبلغنا انه انما عمل ذلك
بالوحي وقوي على ذلك بكثرة الفعلة والاعوان فنظروا فاذا الذي احياه يوسف من
الفيوم لا يعلمون له بمصر كلها مثلا ولا نظيرا فقالوا ما كان يوسف قط افضل عقلا ولا رايا
ولا تدبيرا منه اليوم فردوا اليه الملك فاقام ستين سنه اخرى تمام مايه سنه ثم مات
وهو ابن ثلاثين ومايه سنه قال ثم بلغ يوسف قول وزرا الملك وانه انما كان ذلك
منهم على المحنة منهم له فقال للملك عندي من الحكمة والتدبير غير ما رايت فقال له
الملك وما ذاك قال انزل الفيوم من كل كوره من كور مصر اهل بيت وامر اهل كل بيت
ان يبنوا لانفسهم قرية وكانت قرى الفيوم على عدد كور مصر فاذا فرغوا من بنا قراهم
صيرت

صيرت لكل قرية من الما بقدر ما اصير لها من الارض لا يكون في ذلك زيادة ولا نقص
واصير لكل قرية شربا في زمان لا ينالهم الما الا فيه واصير مطاطيا للمرتفع ومرتفعا
للمطاطي باوقات من الساعات في الليل والنهار واصير لها قبضات فلا يقصر باحد
دون حقه ولا يزاد فوق قدره فقال له فرعون هذا من ملكوت السما قال نعم فبدا
يوسف فامر ببنيان القرى وحد لها حدودا وكانت اول قرية عملت عمرت بالفيوم قرية
يقال لها سانه وهي القرية التي كانت تنزلها بنت فرعون ثم امر بحفر الخليج وبنيان
القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الارض ووزن الما ومن يوميذ حدثت الهندسة
ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك وكان اول من قاس النيل بمصر يوسف ووضع
مقياسا بمنف وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر
وهم ثلاثه وسبعون نفسا بين رجل وامراه فانزلهم يوسف ما بين عين شمس الى الفرما
وهي ارض ريفيه بريه وكان يعقوب لما دنا من مصر ارسل يهوذا الى يوسف فلقيه
فالتزمه وبكا فلما دخل يعقوب على فرعون كلمه وكان يعقوب شيخا كبيرا حليما حسن
الوجه واللحية جهير الصوت فقال له فرعون ايها الشيخ كم اتا عليك قال عشرون ومايه
وكان بمين ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله
عليهم في كتبه واخبر ان خراب مصر وهلاك اهلها يكون على ايديهم ووضع البربابات
وصفات من يخرب مصر على يديه فلما راى يعقوب قام الى مجلسه فكان اول ما ساله
عنه ان قال من تعبد ايها الشيخ قال له يعقوب اعبد الله الاه كل شي فقال كيف نعبد
من لا نرى قال يعقوب انه اعظم واجل من ان يراه احد قال فنحن نرى الهتنا قال
يعقوب ان الهتكم من عمل ايدي بني ادم من يموت ويبلى وان الهي اعظم وارفع وهو
اقرب الينا من حبل الوريد فنظر بمين الى فرعون فقال هذا الذي يكون هلاك بلادنا
على يديه قال فرعون افي ايامنا او في ايام غيرنا قال ليس في ايامك ولا في ايام بنيك
قال الملك فهل تجد هذا فيما تقضي به الالهة قال نعم قال فكيف نقدر ان نقتل من
يريد الاهه هلاك قومه على يديه فلا نعبا بهذا الكلام وعن كعب ان يعقوب عاش
في ارض مصر ست عشرة سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفني بمصر واذا
مت فاحملوني فادفنوني في مغارة جبل حبرون وحبرون مسجد ابراهيم الخليل عليه
السلام وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا قال فلما مات لطخوه بمر وصبر بمروصبر
وجعلوه في تابوت من ساج فكانوا يفعلون به ذلك اربعين يوما حتى كلم يوسف فرعون
واعلمه ان اباه قد مات وانه ساله ان يقبره في ارض كنعان فاذن له وخرج معه
اشراف اهل مصر حتى دفنه وانصرف وقيل قبر يعقوب بمصر فاقام بها نحوا من

ثلاث سنين ثم حمل الى بيت المقدس اوصاهم بذلك عند موته قال ثم مات الريان
ابن الوليد فملكهم من بعده ابنه دارم بن الريان وفي زمانه توفي يوسف عليه السلام
فلما حضرته الوفاة قال انكم ستخرجون من ارض مصر الى ارض ابايكم فاحملوا عظامي
معكم فمات فجعلوه في تابوت ودفنوه في احد جانبي النيل فاخصب الجانب الذي
كان فيه واجدب الجانب الاخر فحولوه الى الجانب الاخر فاخصب الجانب الذي
حولوه اليه واجدب الاخر فلما راوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها في صندوق من حديد
وجعلوا فيه سلسلة واقاموا عمودا على شاطي النيل وجعلوا في اصله سكة من حديد
وجعلوا السلسلة في السكة والقوا الصندوق في وسط النيل فاخصب الجانبان جميعا
وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر الى الشام ان سارح ابنة اشر بن يعقوب عمرت حتى
صارت عجوزا كبيرة ذاهبة البصر فلما سرى موسى عليه السلام ببني اسرايل غشيتهم ضبابة
حالت بينهم وبين الطريق ان يبصروه وقيل لموسى لن تعبر الا ومعك عظام يوسف
قال ومن يدري اين موضعها قالوا عجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها في الديار فرجع
موسى فلما سمعت حسه قالت ما ردك قال امرت ان احمل عظام يوسف قالت ما كنتم
لتعبروا الا وانا معكم قال دليني على عظام يوسف فدلته عليها فاخذ عظام يوسف معه
الى التيه يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله
عليهم احد الاسباط الاثني عشر ولد بارض كنعان من بلاد الشام وراى الاحد عشر
كوكبا والشمس والقمر له ساجدين وعمره سبع عشرة سنة وكاده اخوته على ذلك وباعوه
من قوم مدينين فصار وابه الى مصر وباعوه لقايد فرعون فاقام في منزله اثني عشر شهرا
ثم راودته امراة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت عليه الى ان حبس ومكث في السجن
عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل في السجن الى ان راى الساقي والخباز ذينك المنامين
وفسرهما يوسف وخرجا فانسي الساقي يوسف سنتين الى ان راى الملك البقر والسنابل
فذكره واتاه فقص عليه الرويا وعبرها فاخرج من السجن وله حينيذ ثلاثون سنة
فاستوزره الملك ومن ذلك الوقت والى ان صار يعقوب الى مصر تسع سنين منها سبع
من سني الشبع وسنتان من سني الجوع وكان ليعقوب في السنة التي صار فيها الى مصر
ماية سنة وثلاثون سنة وكان اهل بيته حينيذ سبعين نفسا ومنذ صار الى مصر والى
ان ولد موسى عليه السلام ماية وثلاثون سنة اخرى ولما مضى له بمصر سبع عشرة سنة
توفي وعمره ماية وسبع واربعون سنة فخاف الاسباط حينيذ مقابلة يوسف اياهم فقالوا
له ان اباك اوصى ان تغفر ذنب اخوتك فانك وهم عبيد الله الاه ابيك فبكا يوسف وقال
لهم لا تحتاجون الى ذلك ووعدهم بخير تممه لهم ومات يوسف وله ماية سنة وعشر سنين

ذكر ما قيل في الفيوم وخلجانه وضياعه
قال

ذكر ما قيل في الفيوم وخلجانه وضياعه

قال القضاعي الفيوم وهي مدينة دبرها يوسف النبي عليه السلام بالوحي وكانت
ثلثماية وستين ضيعة تميز كل ضيعة منها مصر يوما واحدا فكانت ميرة مصر لسنة وكانت
تروى من اثني عشرة ذراعا ولا تستبحر مما زاد على ذلك فان يوسف عليه السلام اتخذ لهم
مجرى وزنة ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنضدة وسماه اللاهون وقال
ابن رضوان الفيوم يخزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات في السنة حتى انك ترى هذا الماء
اذا خلط تغير لون النيل وطعمه واكثر ما يحس هذه الحال في البحيرة التي تكون في ايام
القيظ بسفط ونهيا وصاعدا الى ما يلي الفيوم وهذه حالة تزيد في رداة اهل المدينة يعني
مصر وسيما اذا هبت ريح الجنوب فان الفيوم في جنوب مدينة مصر على مسافة بعيدة
من ارضها وقال القاضي السعيد ابو الحسن علي بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة ابي عمرو عثمن
ابن يوسف القرشي المخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج وهذه الاعمال من احسن الاشيا
تدبيرا واوسعها ارضا واجودها قطرا وانما غلب على بعضها الخراب لخلوها من اهلها واستيلا
الرمل على كثير من ارضها وقد وقفت على دستور عمله ابو اسحق ابراهيم بن جعفر بن الحسن
اسحق لذكر خلجان الاعمال المذكورة وما عليها من الضياع وقفا وردته ههنا وان كان فيه
ما قد دثر ومنه ما تغيرت اسماوه ومنه ما جهلت مواضعه بالدثور ولكن اوردته
ليعلم منه حال العامر الان ويستضي به من له رغبة في عمارة ما يقدر عليه من العامر
في ابراده مصلحة ليعلم شرب كل موضع من موضعه ونسخته دستور يشتمل على ما
اوضحه الكشف من حال الخلج الامهات بمدينة الفيوم وما لها من الرواضع وشرب
كل ضيعة منها ورسمها في السد والفتح والتعديل والتحرير وزمان ذلك عمل في جمدى
الاخرة سنة اثنتين وعشرين واربعماية مبتدي بعون الله وحسن توفيقه بذكر حال
البحر الاعظم الذي منه هذا الخليج فنذكر مادته التي صلاحه بصلاحها ۵

۵ خليج الفيوم الاعظم ۵

يصل الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالمنهى ذى الحجر اليوسفي وفوقه هذا
البحر عند الجبل المعروف بكرسي الساحرة من اعمال الاشمونين ومنه شرب بعض الضياع
الاشمونيه والقبسيه والاهناسية وعلى جانبيه ضياع كثيرة شربها منه وشرب
كروم ما له كروم منها قال ۵ الحجر اليوسفي ۵ والحجر اليوسفي جدار مبني بالطوب
والجير المعروف عند المتقدمين بالصاروج وهو الجير والزيت وبناوه من جهة
الشمال الى الجنوب ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناوه مثل بنايه على استقامة
من الغرب الى الشرق وبحصره ميلان منه في نهايته وطوله ماينا ذراع بذراع العمل

ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعا منه من جهة الغرب نهاية الجدار الاعظم
رد الما اذا انتهى الى حدود اثنى عشر ذراعا على الى مدينة الفيوم وطول ما يتصل منه
الجدار الذى من جهة الغرب الى الشرق ثم يتصل بالميل ثم ينخفض من حد وهذا
الميل الى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خمسون ذراعا وبعد ما بين هذين الميلين
وهو المنخفض ماية ذراع وعشرة اذرع ومقدار المنخفض منه اربعة اذرع وهذا
المنخفض هو الذى يسد بجسر من حشيش يسمى اللمشا وعرض ما يجرى عليه الما وقت
النيل وهو موضع اللمش وما قابله الى جهة الشرق اربعون ذراعا وعليه تجرى المراكب في
وقت النيل ويحصر موضع اللمش ميلان فاذا تهاسك اللمش الثانى ويتصل بهذا الميل الى جهة
الشمال با طوله ثلثماية اثنان وسبعون ذراعا ثم يتصل به على نهاية هذا الطول جدار
مر على استقامة الى المشرق مبنى بالحجر طوله على استقامة الى جهة المشرق ماية ذراع ثم
ينخفض ايضا من حيث يتصل بهذا الجدار منه طوله عشرون ذراعا وقدر المنخفض منه
ذراعان وهذا المنخفض يسد ايضا بجسر حشيش يسمى الكند وطول بقية الجدار الى
نهايته من جهة الشمال ماية ستة وثلاثون ذراعا وبباله هذا طوله منه مبلط وفيه
قناطر مبنية بالحجر كانت قديما ترد الما الى الفيوم في الخليج القديم الذى عندها المسدود
اليوم وكان عليها ابواب وعدتها عشر قناطر قديمة فيكون جميع ذرع الجدار الاعظم من
نهايته ستماية اثنان وسبعون ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب
الى الشرق ويمر هذا الجدار الاعظم من كلتا جنبيه جميعا حتى يتصل بالجبل فوجدنا سان
في الغيط مرورا على غير استقامة وعرضه مختلف وكلما انتهى الى سطحه قل عرضه وعرض
اعلاه مع الظاهر من اسفله جميعا ستة عشر ذراعا وفيه منافس يخرج منها الما وهى براج
زجاج ملونة تشبه المينا وازرق وسليمانى وهو من العجايب الحسنة في عظم البنا واتقانه
لانه من الابنية اللاحقة بمنارة الاسكندرية وبنا الاهرام فى معجزه ان النيل يمر عليه
من عهد يوسف عليه السلام الى هذه الغاية وما يعجز عن مستقره ويدخل الما من هذا البحر
في هذا الزمان الى مدينة الفيوم من خليجى الاعظم ما بين حوض الضيعتين المعروفتين
بدموية واللاهون ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سيحا ومنه شرب
كرومها بالدواليب على اعناق البقر وان قصر النيل عن الصعود الى سوادها سقيت
منه على اعناق البقر وزرعت وينتهى في الخليج الاعظم الى خليج يعرف بخليج
الاواسى وليس عليه رسم في سد ولا فتح ولا تعديل وينتهى الى الضيعة المعروفة بباض
فيملا بركها وغيرها من البرك وللبرك مقاسم يصل الى كل مقسم منها كفايته ومقدار
شرب ما عليه وينتهى الى الضيعة المعروفة بالاوسية الكبرى فمنه شربها من مقسمين لها

ودرسمها

ودرسمها باب ومنه يشرب نخلها وشجرها وفي هذا الحد طاحون يعلو بالما ثم ينتهى الى
ثلاث مقاسم اخرها الضيعة المعروفة بربطيته منها مقسم لها ومقسم لقبالات عدة
والمقسم الثالث يسقى احدا حيا النخل ولهذا الحى سولية وبساتين قد خربت وجميز داير به
وكان لها بيوت في افنية النخل ثم ينتهى الى حى ثانى في صفة الاول ثم ينتهى الى الضيعة المعروفة
بالخزبة فيملا بركها وينتهى الى ثلاث مقاسم في صف وفوقها خليج معطل ويشرب من هذه
المقاسم عدة ضياع ثم ينتهى الما من هذا الخليج الى البطس وهو نهايته وعلى الخليج الاعظم بعد
هذا البلد شربها منه من افواه لها سيحا فاذا انصب النيل نصب في افواهها برسم صيد
السمك شباك ثم ينتهى الخليج الاعظم على يمنة من يريد الفيوم الى خليج يعرف بخليج
سمسطوس ومنه شرب سمسطوس وغيرها وابار كثيرة تجاور الصحرا من الشرق منه
ومن قبليه وهى ما بين هذا الخليج وخليج الاواسى ثم ينتهى الخليج الاعظم ايضا الى خليج
دهاله ومنه شرب عدة ضياع وعليه يزرع الارز وغيره ثم ينتهى الخليج الاعظم
الى ثلاث خلج ثم ينتهى الى خليج سنيطاوه ولهذا الخليج ثلاثة ابواب قديمة يوسفية
سعة كل باب منها ذراعان بذراع العمل ويمر فيه الما وينتهى ايضا الى بابين يوسفيين
ورسم هذا الخليج ان يسد هو وساير المطاطيه على استقبال عشر يخلوا من هتور الى
سلخه ويفتح على استقبال كيهك الى عشر يبقى منه ثم يسد الى عشر يخلوا من طوبه ثم يفتح
ليلة الغطاس الى سلخ طوبة ثم يسد على استقبال امشير الى عشر يبقى منه ثم يفتح لعشر
يبقى منه الى عشر يخلوا من برمهات ثم يفتح الى عشر يخلوا من برمودة ثم يعدل في موضعه
وقد خرب ما على جريه من الضياع ويشرب منه عدة ضياع ولهذا الخليج مغيض معمول
تحت الجبل بقبو يخرج منه الما فى زمان تكاثره ثم ينتهى الخليج الاعظم الى خليج دله
وهو من المطاطيه وحكمه في الفتح والسد والتعديل والتحجير كما تقدم وهو على يسرة من
يريد المدينة وله بابان يوسفيان مبنيان بالحجر سعة كل منهما ذراعان وربع ومنه شرب
عدة ضياع امهات وغيرها وفى وسطه مغيض لزمان الاستبحار يفتح فيغيض الما
الى البركة العظمى وفي اقصى هذه البركة ايضا مغيض له ابواب يقال انها كانت من
حديد فاذا زادت فتحت الابواب فيمضى الما الى الغرب وقيل انه يمر الى سنترية
وكان على هذين الخليجين بساتين وكروم كثيرة تشرب على اعناق البقر وينتهى الخليج الاعظم
الى خليج المجنونة سمى بذلك لعظم ما يصير اليه من الما وحكمه فى السد وغيره على ما ذكر
ومنه شرب ضياع كثيرة وبه تدار طواحين واليه ينصرف فضلات مياه الضياع
القبلية والى بركة فى اقصى مدينة الفيوم تجاور الجبل المعروف بابى قطران وبلتقى ما
ينصب من فضلات الضياع البحرية به فيها وهى البركة العظمى ثم ينتهى الخليج الاعظم الى

خليج بتلاله وله بابان يوسفيان سعة كل واحد منهما ذراعان وثلثا
ذراع وليس فيه رسم سد ولا فتح ولا تعديل ولا تعبير الا في تقصير النيل فانه
بحر كشيش ومنه شرب طوايف المدينه وعدة اراضي وضياع وفيه فوهة
خليج البطش الذي تصير اليه فواضل المياه وفيه ابواب تسد حتى يصعد الماء الى
من نفعه بقدر معلوم واذا احدث فالخدحة تستعيد كانت النفقة
عليه من الضياع التي تشرب منه بقدر استحقاقها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خليجان
من جانبيه في قبليه وبحريه ثم تنتهي الى خليج بمنوم وهو على جنبه من يريد مدينة
الفيوم وهو من المطاطيه وله بابانه يوسفيان سعة كل منهما ذراعان ونصف
وحكمه حكم ما تقدم ومنه شرب طوايف كثيره وعدة ضياع وينتهي الماء الى بعد
مقاسم بابواب والى خليج فيه شاذروان ينزل عليه الماء وينتهي الخليج الاعظم الى
خليجانات يسقي ضياعا كثيرة منها خليج سد ودنيه عين حلوه فاذا سد هذا
الخليج يسقي منها اراضي ما جاورها وظهرت هذه العين لما عدم هذا الماء وحفر
هذا الموضع ليعمل بيرا فظهرت منه هذه العين فاكتفي بها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى
خليجانات بها شاذروانات ومقاسم قديمه يوسفيه وبها ابواب يوسفيه لها
رسوم في السد والفتح يشرب منها عدة ضياع كثيره ورسم البلاد ان تسد جميعها
على استقبال عشرة ايام تخلوا من هتور الى سلخه وتفتح على استقبال كيهك مدة
عشرين يوما وتسد لعشر تبقى منه الى الغطاس وتفتح يوم الغطاس الى سلخ طوبه
وتسد على استقبال امشير عشرين يوما ثم تفتح لعشر تبقى منه الى عشرين من برمهات
وتفتح عشرة ايام تخلوا من برموده ثم تعدل فيهم بعادتها ولهم في التعديل قسم
يعطى منه كل ناحية شربها بالعدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت اسما
الضياع التي ذكرها لخراب اكثرها الان والله اعلم

ذكر فتح الفيوم
ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق

قال ابن عبد الحكم فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرايد الخيل الى
القرى التي حولها فاقامت الفيوم سنة لا يعلم المسلمون مكانها حتى اتاهم رجل
ذكرها لهم فارسل عمرو معه ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفي فلما سلكوا في
المجابه لم يروا شيا فهموا بالانصراف فقالوا لا تعجلوا سيروا فان كان كذب
فما اقدركم على ما اردتم فلم يسيروا الا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها
فلم يكن عندهم قتال والقوا بايديهم قال ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدفي
وهو صاحب الاشقر على فرسه ينفض المجابه ولا علم له بما خلفها من الفيوم
فلما

فلما راى سوادها رجع الى عمرو فاخبره ذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس
ابن الحرث الى الصعيد فسار حتى اتى القيس فنزل بها وبه سميت القيس وراث على عمرو
خبره فقال ربيعة بن حبيش كفيت فركب فرسه فاجاز عليه البحر وكانت انثى فاتاه الخبر
ويقال انه اجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى الى الفيوم وكان يقال لفرسه الاعمى والله اعلم
وقال ابن الكندي في كتاب فضايل مصر ومنها كورة الفيوم وهي ثلثماية وستون قرية
دبرت على عدد ايام السنة لا تنقص عن الري فان قصر النيل في سنة من السنين مار بلد
مصر كل يوم قرية وليس في الدنيا بنا بالوحي غير هذه الكورة ولا بالدنيا بلد انفس منه
ولا اخصب ولا اكثر خيرا ولا اغزر انهارا ولو قايسنا بانهار الفيوم انهار البصرة
ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ولقد عد جماعة من اهل العقل والمعرفة مرافق الفيوم
وخيرها فاذا هي لا تحصى فتركوا ذلك وعدوا ما فيها من المباح مما ليس عليه ملك لاحد
من مسلم ولا معاهد يستعين به القوي والضعيف فاذا به فوق السبعين صنفا وقال
ابن زولاق في كتاب الدليل على امر نصر الكندي وعقدت لكافور الاخشيدي الفيوم
في هذه السنة يعني سنة ست وخمسين وثلثماية ستماية الف دينار ونيفا وعشرين
الف دينار وقال القاضي الفاضل في كتاب متجددات الحوادث ومن خطه
نقلت ان الفيوم بلغت في سنة خمس وثمانين وخمسماية مبلغ ماية الف دينار واثنين
وخمسين الف دينار وسبع ماية وثلاثة دنانير وقال البكري والفيوم معروف هنالك
يغل كل يوم الف مثقال ذهبا
مدينة النحريرية
كانت ارضا مقطعة لعشرة من اجناد الحلقة من جملتهم شمس الدين سنقر السعدي
فاخذ قطعة من اراضي زراعتها وجعلها اصطبلا لدوابه وخيله فشكاه شركاوه الى
السلطان الملك المنصور قلاوون فساله عن ذلك فقال اريد ان اجعله جامعا تقام فيه
الخطبة فاذن له السلطان في ذلك فابتدا عمارته في اخريات سنه ثلاث وثمانين وستماية
حتى كمل في سنه خمس وثمانين فعمل له السلطان منبرا واقيمت به الجمعة واستمرت الى يومنا
وانشا السعدي حوانيت حول الجامع فلم يزل بيده حتى مات وورثها ابناه غرس الدين
خليل وركن الدين عمر فباعوها بعد مدة للامير شيخو العمري فجعلها مما وقفه على
الخانكاه والجامع الذين انشاهما بخط صليبة جامع ابن طولون خارج القاهرة فعمرت
هذه الارض بعمارة الجامع وسكنها الناس فصارت مدينة من مدين اراضي مصر بحيث
بلغت اموال الفدادين فيها وترقى سنقر السعدي في الخدم حتى صار من الامرا وولي
نقيب المماليك السلطانية وانشا المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حدرة
البقر فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل في سنة خمس عشرة وسبعماية وبنى ايضا رباطا للنسا

وكان شديد الرغبة في العماير محبا للزراعة كثير المال ظاهر الغنا ثم انه اخرج الطرابلس
وبهامات سنة ثمان وعشرين وسبع ماية

ذكر تاريخ الخليقة

اعلم انه لما كانت الحوادث لا بد من ضبطها وكان لا ينضبط ما بين العصور وبين ازمنة
الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذي لا تنكره الجماعة او اكثرها وذلك ان التاريخ
المجتمع عليه لا يكون الا من حادث عظيم يملو ذكره الاسماع وكانت زيادة ما النيل
ونقصانه انما يعتبرها اهل مصر ويحسبون ايامها باشهر القبط وكذلك خراج اراضي مصر
انما يحسبون اوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضي انما يعتمدون في اوقاتها ايام
الاشهر القبطية عادة سلكوا فيها سبيل اسلافهم واقتفوا مناهج قدمايهم وما برح الناس
من قديم الدهر اسرى العوايد احتيج في هذا الكتاب الى ايراد جملة من تواريخ
الخليقة ليتبين موقع تاريخ القبط منها فان بذكر ذلك يتم الغرض فاقول
التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما ياتي بعده ويقال ايضا التاريخ عبارة
عن مدة معلومة تعد من اول زمن مفروض ليعرف بها الاوقات المحدودة ولا
غنا عن التاريخ في جميع الاحوال الدنياوية والامور الدينية ولكل امة من امم البشر
تاريخ يحتاج اليه في معاملاتها وفي معرفة اوقات ازمنتها تنفرد به دون غيرها
من بقية الامم واول الاوايل القديمة واشهرها هو كون مبدا البشر ولاهل الكتاب
من اليهود والنصارا والمجوس في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله
في التواريخ وكلما تعلق معرفته ببدء الخلق واحوال القرون السالفة فانه مختلط
بتزويرات واساطير لبعد العهد وعجز المعتني به عن حفظه وقد قال الله جل جلاله
الم ياتكم نبوا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله
فالاولى ان لا يقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب انزل من عند الله يعتمد على صحته
لم يرد فيه نص نسخ ولا طرقه تبديل او خبر ينقله الثقات واذا نظرنا في التاريخ
وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وسانلو عليك من ذلك ما لا اظنك تجده مجموعا في
كتاب واقدم بين يدي هذا القول ما قيل في مدة بقا الدنيا

ذكر ما قيل

في مدة ايام الدنيا ماضيها وباقيها • اعلم ان الناس قد اختلفوا قديما وحديثا
في هذه المسلة فقال قوم من القدما الاول بالاكوار والادوار وهم الدهرية وهو الا
هم القايلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد الوف من السنين معدودة وهم
في ذلك غالطون من جهة طول ادوار النجوم وذلك انهم وجدوا قوما من الهند
والفرس قد عملوا ادوارا للنجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا
ان العدد المشترك لجميعها هو عود سني العالم او ايام العالم وانه كلما مضى ذلك العدد

عادت

عادت جميع الاشيا الى حالها الاولى وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل ابي
معشر وغيره وتبع هولا خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من
العدد شيا ما وذلك انك اذا طلبت عددا مشتركا تعده اعداد معلومة فانك
تقدر ان تضع لكل نجم اياما معلومة كالذي وضعه الهند والفرس فهولا حيث
جهلوا صورة الحال في هذه الادوار ظنوا انها عدد ايام العالم فتفطن ترشد
وعند هولا ان الدور هو اخذ الكواكب من نقطة وهي سايرة حتى تعود الى تلك
النقطة وان الكور هو استيناف الكواكب في ادوارها سيرا اخر الى ان تعود الى
مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل هذه المقالة ان الادوار منحصرة في انواع خمسة
الاول ادوار الكواكب السيارة في افلاك تداويرها الثاني ادوار مراكز افلاك
التداوير في افلاكها الحاملة الثالث ادوار افلاكها الحاملة في فلك البروج الرابع
ادوار الكواكب الثابتة في فلك البروج الخامس ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان ن
الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون في كل زمان طويل مرة واحدة ومنها
ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة فاقصر هذه الادوار ادوار الفلك المحيط بالكل
حول الاركان الاربعة فانه يدور في كل اربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقي
الادوار يكون في ازمنة اخر اطول من هذه لا حاجة بنا في هذه المسلة الى ذكرها
قالوا وادوار الكواكب الثابتة في فلك البروج يكون في كل ستة وثلاثين الف سنة شمسية
مرة واحدة وحينيذ تنتقل اوجات الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها
وتنوبهراتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها على ما كانت عليه
من الاحوال في الزمان والمكان والاشخاص والاوضاع بحيث لا تخالف ذرة
واحدة وهم مع ذلك يختلفون في كمية ما مضى من ايام العالم وما بقي فقال البراهمة
من الهند في ذلك قولا غريبا وهو على ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيروني ني
في كتاب القانون المسعودي انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له براهيم وبرهم وعمره
انه محدث محصور الموت بين مبدا وانتها عمر كعمرها في مقدار ماية سنة برهمنوية
كل سنة منها ثلثماية وستون يوما زمان النهار منها بقدر مدة دوران الافلاك
والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب
السبعة في اول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها اربعة الاف الف سنة
وثلثماية الف الف سنة وعشرون الف الف سنة شمسية وهو زمان اثني عشر الف
دورة للكواكب الثابتة على ان زمان الدورة الواحدة ثلثماية الف سنة وستون
الف سنة شمسيه واسم هذا النهار بلغتهم الكلية وزمان الليل عندهم كزمان النهار

وفي الليل تسكن المتحركات وتستريح الطبيعة عن اثارة الكون والفساد ثم تثور في
مبدا اليوم الثاني بالحركة والتكوين فيكون زمان اليوم بليلته من سني الناس ثمانية
الاف الف سنه فاذا ضربنا ذلك في ثلثمايه وستين بلغ سني ايام السنة البرهموية
ثلاثة الاف الف الف الف سنه ومايه الف الف الف سنه وعشرة الاف الف الف سنه
واربع مايه الف الف سنه شمسيه فاذا ضربناها في مايه بلغ عمر الملك الطبيعي البرهموي
~~من سني الناس ثلثماية الف الف الف سنه واربع مايه الف الف الف سنه شمسيه فاذا~~
ضربناها في مايه بلغ عمر الملك واحدى عشر الف الف الف سنه واربعين الف الف سنه
شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ما شا الله ثم يستانف
من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور على تسع وعشرين قطعة
سموا كل اربع عشرة قطعة منها نوبا وسموا الخمس عشرة قطعة الباقيه فصولا وجعلوا
كل نوبه محصورة بين فصلين وكل فصل محصورا بين نوبتين وقدموا زمان الفصل
على النوبه الى تمام المدة وزمان الفصل هو خمسا الدور والدور جزو من الف جزو
من المدة فاذا قسمنا المدة على الف يحصل زمان الدور اربعة الاف الف سنه وثلثماية
الف سنه وعشرين الف سنه وخمساه اعني زمان الفصل الف الف سنه وسبع
مايه الف سنه وثمانية وعشرين الف سنه وزمان النوبة عندهم احد وسبعون دورا
مقدارها من السنين ثلثماية الف الف سنه وستة الاف الف سنه وسبع مايه الف
سنة وعشرين الف سنه وقد قسموا الدور ايضا باربع قطع اولها اعظمها وهي مدة
الفصل المذكور وثانيها ثلاثة ارباع الفصل ومدتها الف الف سنه ومايتا الف
سنه وست وتسعون الف سنه وثالثها نصف الفصل ومدتها ثمانماية الف سنة
واربع وستون الف سنه ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدته اربع
ماية الف سنة واثنتان وثلاثون الف سنه ولكل واحدة من هذه القطع الاربع اسم
تعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كلكال لانهم يزعمون انهم في زمانها وان الذي
مضى من عمر الملك الطبيعي على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عندهم براهموت ثماني سنين
وخمسة اشهر واربعة ايام ونحن الان في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من
السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة
وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلاث قطع من الدور المذكور اعني تسعة
اعشاره ومضى من القطعة الرابعة اعني من اول كلكال الى هلاك شكال عظيم
ملوكهم الواقع في اخر سنة ثمان وثمانين وثلثماية للاسكندر ثلاثة الاف سنة ومايه
سنه وتسع وسبعون سنه وقال انما عرفنا هذا الزمان عن علم الاهي وقع الينا عن

عظا

عظا انبيائنا المتالهين بزواياتهم جيل بعد جيل على ممر الدهور والازمان وزعموا
ان في مبدا كل دور او فصل او قطعه او نوبة تتجدد ازمنه العوالم وتنقل من حال
الى حال وان الماضي من اول كلكال الى شكال ثلاثة الاف ومايه وتسع وسبعون
والماضي من النهار المذكور الى اخر سنة ثمان وثمانين وثلثماية للاسكندر الف الف سنة
وتسع مايه الف الف سنه وسبع واربعين الف سنه ومايه سنه وتسع وسبعين
فيكون الماضي من عمر الملك الطبيعي الى اخر هذه السنة ستا وعشرين الف الف الف
سنة وثلثماية الف الف سنه وخمس عشرة الف الف سنه وسبع مايه
الف سنه واثنتين وثلاثين الف الف سنه وتسع مايه الف سنه وسبعا واربعين
الف سنه ومايه سنه وتسعا وسبعين سنة فاذا زدنا عليها الباقي من تاريخ
الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه يحصل الماضي من عمر الملك للوقت المفروض
والله اعلم بحقيقة ذلك وقال الخطا والايغر في ذلك قولا اعجب من قول
الهند واغرب على ما نقلته من زيج ادوار الانوار وقد لخص هذا القول من كتب اهل
الصين وذلك انهم جعلوا مبادي سنيهم مبنية على ثلاثة ادوار الاول يعرف
بالعشري مدته عشر سنين لكل سنة منها اسم تعرف به والثاني يعرف بالدور الاثنا
عشري وهو اشهرها وخاصة في بلاد الترك يسمون سنيه باساميوانات بلغة الخطا والايغر
والثالث مركب من الدورين جميعا ومدته ستون سنة وبه يورخون سني العالم
واياميه ويقوم عندهم مقام ايام الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنة منه
مركب من اسميهما في الدورين جميعا وكذلك كل يوم من ايام السنة ولهذا الدور ثلاثة
اسما وهي شانكون وجونكون وخاون ويصير بحسبه مرة اعظم ومرة اوسط
ومرة اصغر فيقال دور شانكون الاعظم ودور جونكون الاوسط ودور خاون
الاصغر وبهذه الادوار يعتبرون سني العالم واياميه وجملتها مايه وثمانون سنة
ثم تدور الادوار الثلاثه عليها مرة اخرى واتفق وقوع مبدا الدور الاعظم في الشهر
الاول من سنة ثلاث وثلثين وستماية ليزدجرد واسمها بلغتهم كاره وبلغة العرب
سنه الفاو كان اول دخول فروردين هذه السنه من سني العرب يوم الخميس وهو
بلغتهم سنجن ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادي سنيهم واياميهم في
الماضي والمستقبل وشهورهم اثنا عشر شهرا لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغة الايغر
لا حاجة بنا هنا الى ذكرها ويقسمون اليوم بليلته اثني عشر قسما كل قسم منها يقال
له جاغ وكل جاغ ثمانية اقسام كل اسم منها يقال له كه ويقسمون اليوم بليلته ايضا
عشرة الاف فنك كل فنك مايه ميا ويصيب كل جاغ ثمانماية وثلاثه وثلاثين فنك وثلث

فنك وكل كذ ماية واربعة افناك وسدس فنك ويبسون كل جاغ الى صورة من
الصور الاثني عشر ومبدا اليوم بليلته عندهم من نصف الليل وفي منتصف
جاغ كيسكو تتغير اول النهار واخره بحسب الطول والقصر من قبل ان كل جاغ
ساعتان مستويتان وفي منتصف النهار بنتصف جاغ يو ندوهم يكبسون في كل
ثلاث سنين قمرية شهرا واحدا يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادي سني الشمس
في زمان واحد من سنة اخرى ويكبسون احد عشر شهرا في كل ثلاثين سنة قمرية
ولا يقع عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنة بل يقع في كل موضع
منها وكل شهر عدة ايامه اما ثلاثون يوما وتسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم
اكثر من ثلاثة اشهر متوالية تامة ولا اكثر من شهرين ناقصين ومبادي شهورهم
يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان اول الشهر
في اليوم الذي بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب ارصادهم ثلثماية
وخمسة وستون يوما والفان واربع ماية وستة وثلاثون فنك والسنة اربعة
وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما والفان وماية واربعة وثمانون
فنك وخمسة اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة اقسام منها
فصل من فصول السنة فاسم اول قسم من فصولها ايخن واوله ابدا حيث يكون
الشمس في ست عشرة درجة من برج الدلو وهكذا اوايل كل فصل انما يكون في
حدود اواسط البروج الثابتة وكان بعد مدخل ايخن من اول الدور السنيني في
السنة المذكورة احد عشر يوما وسبعة الاف وستماية وستين فنك واسم مدخله
يحاييني وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوما ويبعد
مدخله عن اول الدور في كل سنة بعد ر فضل سنة الشمس على سنة الذر وهو خمسة
ايام واربعة وعشرون فنك فان زادت الايام على ستين يوما كان الباقي بعد ايخن
في تلك السنة عن اول الدور السنيني ويتفاضل البعد بينهما في كل سنة بقدر فضل
سنة الشمس على سنة القمر التي هي ثلثماية واربعة وخمسون يوما وثلاثة الاف و
واثنان وسبعون فنك ومقدار الفصل بينهما عشرة ايام وثمانية الاف وسبع
واربعة وستون فنك فان زادت الايام على زمان الشهر القمري الاوسط الذي هو
تسعة وعشرون يوما وخمسة الاف وثلثماية وستة افناك نقص منها هذا
العدد واحتسب بالباقي واذا عرفت هذا من حسابهم فاعلم ان عمر العالم عندهم
ثلثماية الف دور وستون الف دور كل دور عشرة الاف سنة مضى من ذلك الى
اول سنة ثلاث وثلاثين وستماية ليزدجرد وهي دور شانكوت الاعظم ثمانية

الالف

الاف دور وثمانماية دور وثلاثة وستون دورا وتسعة الاف وسبع ماية واربعون سنة
فتكون المدة العظمى على هذا ثلاثة الاف الف الف وستماية الف الف الف سنة بهذه
الصورة .:. ٣٦٠٠٠٠٠٠٠٠ .:. والماضي منها الى السنة المذكورة ثمانية وثمانون الف الف
سنة وستماية الف سنة وتسعة وثلاثون الف سنة وسبع ماية سنة واربعون سنة بهذه
الصورة .:. ٨٨٦٣٩٧٤٠ .:. ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
وانما ذكرت طرفا من حساب سني البراهمة وطرفا من حساب سني الخطا والايغر المستخرج
من حساب الصين ليعلم المصنف ان ذلك لم يضعه حكماؤهم عبثا ولا مما جلع تصير
انفه فكم من جاهل بالتعاليم اذا سمع اقوالهم في مدة سني العالم ربما دريه الى تكذيبهم من
غير علم بدليلهم عليه وطريق الحق ان يتوقف فيما لا يعلم حتى يتبين احد طرفيه فيرجحه على
الاخر والله يعلم وانتم لا تعلمون وقال اصحاب السند هند ومعناه الدهر الداهر
ان الكواكب واوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها في اول برج الحمل عند كل اربعة الاف
الف سنه وثلثماية الف الف سنه وعشرين الف الف سنه شمسية وهذه مدة سني
العالم قالوا واذا اجتمعت براس الحمل فسدت المكونات الثلاث التي يحويها عالم الكون
والفساد المعبر عنه بالحياة الدنيا وهذه المكونات هي المعدن والنبات والحيوان
فاذا فسدت بقي العالم السفلي خرابا دهرا طويلا الى ان يتفرق الكواكب والاوجات
والجوزهرات في بروج الفلك فاذا تفرقت فيها بدا الكون بعد الفساد فعادت
احوال العالم السفلي الى الامر الاول وهكذا يكون عودا بعد بدء بلا غير نهاية قالوا ولكل
واحد من الكواكب والاوجات والجوزهرات عدة ادوار في هذه المدة بدليل كل دور منها
على شي من المكونات كما هو مذكور في كتبهم مما لا حاجة بنا هنا الى ذكره وهذا القول منتزع
من قول البراهمة التي تقدم ذكره وقال اصحاب الهازروان من قدماء الهند ان كل
ثلثماية الف سنه وستين الف سنه شمسية يهلك العالم باسره ويبقى مثل هذه المدة ثم
الف وثمانون الفا
يعود بعينه ويعقبه البدل وهكذا ابدا يكون الحال الى لا نهاية قالوا ومضى من ايام
العالم المذكور من الطوفان نوح ماية سنه شمسيه ومضى من الطوفان الى سنة الهجرة
المحمديه ثلاثة الاف وسبع ماية وثلاث وعشرون سنه واربعة اشهر وايام وبقي من
العالم بعد ويفني ماية الف وبضع وسبعون الف سنه شمسيه اولها تاريخ الهجرة الذي
يورخ به اهل الاسلام وقال اصحاب الارجهبر مدة العالم التي تجتمع فيها الكواكب
براس الحمل هي واوجاتها وجوزهراتها جزو من الف جزو من مدة السند هند وهذا
ايضا منتزع من قول البراهمة وقال ابو معشر وابن نوبخت ان بعض الفرس يرى ان
عمر الدنيا اثنا عشر الف سنه بعدة البروج لكل برج الف سنه فكان ابتدا امر الدنيا في

اول الف الحمل لان الحمل والثور والجوزا تسمى اشرف الشرف وينسب الى اكمل الفصول وفيها
تكون الشمس في شرفها ثم في علوها وطول نهارها وكذلك الدنيا كانت في ثلاثة الالاف
سنه علويه روحانيه طاهره ولان السرطان والاسد والسنبله منتقصة فان الشمس تنحط
من علوها في اول دقيقه من السرطان فكان قدر الدنيا وابنايها منحطا في الثلاثة
الالاف الثانية ولان الميزان اهبط الهبوط وبيت الادبار وضد البرج الذى فيه شرف
الشمس دل على افة اصابت الدنيا واكبحت اهلها المعصيه والميزان والعقرب والقوس
اذا نزلتها الشمس لم تزدد الا انحطاطا والايام الا انتقاصا فلذلك دلت على البلايا
والضيق والشده والشر وحيث بلغ الالف الى اول الجدى الذى فيه اول ارتفاع
الشمس وانشرافها على شرفها وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان تزداد
الشمس فيهما صعودا حتى تتصل لشرفها فدل على ظهور الخير وضعف الشر وثبات
الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب في تلك الثلاثة
الالاف السنه وما يكون في ذلك فعلى قدر صاحب الالف والماية والعشرات وعلى
حسب اتفاق الكواكب في اول سلطان صاحب الالف فلا يزال ذلك في زيادة حتى
يعود امر الدنيا في اخرها الى مثل ما كان عليه ابتداوها وهي في الف الحمل وكلما تقارب
اخر كل الف من هذه الالوف اشتد الزمان وكثرت البلايا لان اواخر البروج في
حدود النحوس وكذلك اخر المبيض والعشرات فعلى هذا الانقضا للدنيا اذ كان الزمان
يعود الى الحمل كما بدا اول مرة وزعموا ان ابتدا الخلق بالتحرك كان والشمس في ابتدا الحمل
فدار الفلك وجرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحرك ساير الخلايق بما هم عليه
من خير وشر والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان وفيه المشترى
وفي السابع الرابع الذى هو بيت العاقبة وهو برج الميزان زحل وكان الذنب في القوس
والمريخ في الجدى والزهرة وعطارد في الحوت ووسط السما برج الحمل وفي اول دقيقه منه
الشمس وكان القمر في الثور وفي بيت السعادة وكان الراس في برج الجوزا وهو بيت الشقا
وفي تلك الدقيقه من الساعة كان استقبال امر الدنيا فكان خيرها وشرها وانحطاطها
وارتفاعها وساير ما فيها على قدر مجارى البروج والنجوم وولاية اصحاب الالوف
وغير ذلك من احوالها فلان المشترى كان في السرطان في شرفه وزحل في الميزان في
شرفه والمريخ والشمس والقمر في اشرافها دلت على كاينه جليله فكان نشو العالم وانه زحل
فتولى الالف هو والميزان وكان المشترى في الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت
مقبولة فدل على نما العالم وحسن نشوه وكان زحل هو المستولى والعالى في الفلك والعوج
طويل المطالع فطالت اعمار تلك الالف وقويت ابدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان

نحـ

تحت الارض دل على خفا اول حدوث العالم وعلى ان اهل ذلك الزمان ينظرون في
عمارة الارضين وتشييد البنيان ثم ولى الالف الثاني العقرب والمريخ وكان في الطالع
المريخ فدل على القتل في تلك الالف وسفك الدما والسبي والظلم والجور والخوف والهم
والاحزان والفساد وجور الملوك وولى الالف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة
بطلوعهما وكان الذنب في القوس فدل المشترى على النجدة في تلك الالف والشدة
والجلد والباس والرياسة والعدل وتقسم الملوك الدنيا وسفك الدما بسبب ذلك
ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبيا ودل عطارد على ظهور العقل
والادب والكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشر في تلك الالف سنين
وعلى ظهور الوان من ايات الحق والعدل والجور ثم ولي الالف الرابع الجدى وكان
فيه المريخ فدل على ما كان في تلك الالف من اهراق الدما ودلت الشمس على ظهور الخير
والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وطاعة انبيايه والرغبة في الدين مع
الشجاعة والجلد وكون البرج منقلبا والبرج الذى فيه الشمس دل على انقلاب
ذلك في اخرها وظهور الشر والتفرق والغشم والقتل وسفك الدما والغصب في
اصناف كثيره وتحول ذلك وتلونه وكون الجدى مختلطا دل على انه يظهر في اخر تلك
الالف الجنس الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظما وبوارهم وارتفاع
السفله وخراب العالم وعمارة الخراب وكثرة تلون الاشيا وولي الالف الخامس
الدلو بطلوع القمر وكان القمر في الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظما
وعطلة امرهم وارتفاع السفل والعبيد ومحبة البخلا وظهور الجنس الاسود والسواد
وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام في الاديان ومحبة الخصومات وكون
القمر في شرفه يدل على قهر الملوك وظهور ولاة الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة
والكف عن الدما والراحة والسعادة في العامة وسا يكون من العدل والخير
وطول المدة فيه وكون البرج مايا يدل على كثرة الامطار والغرق وافة من البرد
يهلك فيها الكثير وولي الالف السادس برج الحوت بطلوع المشترى والراس فيدل
على المحمدة في الناس عامة وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش
ولكل واحد من الكواكب ولاية الف سنه فصار عطارد خاتما في برج السنبلة وزعم
ابن نوبخت ان من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين سنه من ملك انوشروان ثلاثة
الاف وثماني مايه وتسع وستون سنه وذلك في الف الجدى وتدبير الشمس ومنه الى اليوم
الاول من الهجرة سبع وثمانون سنه شمسيه وسته وعشرون يوما ومن الهجرة الى قيام يزدجرد
تسع سنين ولمانه وسبعة وثلاثون يوما فذلك الجميع الى يزدجرد ثلاثة الاف وتسع مايه

وست وستون سنة وقال ابو معشر زعم قوم من الفرس ان عمر الدنيا سبعة
الاف سنه بعدة الكواكب السبعة وزعم ابو معشر ان عمر الدنيا ثلاثماية الف وستون
الف سنه وان الطوفان كان في النصف من ذلك على راس ماية الف وثمانين الف سنه
وقال قوم عمر الدنيا تسعة الاف سنه لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة الف سنه
وللراس الف سنه وللذنب الف سنه وشرها الف الذنب وان الاعمار طالت في تدبير
الاف الثلاثه العلويه وقصرت في الاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسع
عشرة الف سنه بعدد البروج الاثني عشر لكل برج الف سنة وبعدد الكواكب
السبعة السيارة لكل كوكب الف سنة وقال قوم عمر الدنيا احدى وعشرون
الف سنه بزيادة الف للراس والف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانية وسبعون الف
سنه منها في تدبير برج الحمل اثنا عشرة الف سنة وفي تدبير برج الثور احدى عشرة
الف سنة وفي تدبير الجوزا عشرة الاف سنه فكانت الاعمار في هذا الربع اطول
والزمان اجدم ثم يدبر الربع الثاني مدة اربع وعشرين الف سنه فتكون الاعمار دون
ما كانت في الربع الاول ويدبر الربع الثالث خمس عشرة الف سنه ويدبر الربع الرابع
سته الاف سنه وقال قوم كانت المدة من ادم الى الطوفان الفين وثمانين سنه
واربعة اشهر وخمسة عشر يوما وكانت المدة من الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسع
ماية واثنين واربعين سنه وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلاثة الاف ومايتين
وثلاث وعشرين سنه وقال قوم من اليهود عمر الدنيا سبعون الف سنه محصورة في
الف جيل ولفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام في صلاته ان الجيل سبعون سنه
ومن قوله في الزبور ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقا الى الف
جيل فجا من ذلك ان مدة الدنيا سبعون الف سنه واستظهروا القولهم بعد ابما في التوراه
من قوله واعلم ان الله الاهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحافظي
وصاياه لالف جيل وذكر ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي في كتاب اخبار الزمان عن
الاوايل انهم قالوا كان في الارض ثماني وعشرين امة ذوات ارواح وايد وبطش وصور
مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة امة مفردة تعرف بها تلك الامة ويزعمون ان تلك
الامم كانت الكواكب الثابتة تدبرها وكانوا يعبدونها ويقال لما خلق الله تعالى البروج
الاثنى عشر قسم دواهل في سلطانها فجعل للحمل اثنى عشر الف عام وللثور احد عشر الف
عام وللجوزا عشرة الاف عام وللسرطان تسعة الاف عام وللاسد ثمانية الاف عام
وللسنبله سبعة الاف عام وللميزان ستة الاف عام وللعقرب خمسة الاف عام
وللقوس اربعة الاف عام وللجدي ثلاثه الاف عام وللدلو الفي عام وللحوت الف عام

فصار

فصار الجميع ثمانية وسبعين الف عام فلم يكن في عالم الحمل والثور والجوزا حيوان وبعد
ثلاثه وثلاثون الف عام فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الما وهوام الارض فلما
كان عالم الاسد تكونت ذوات الاربع من الوحش والبهايم وذلك بعد تسعة الاف
عام من خلق دواب الما والهوام فلما كان عالم السنبله تكون الانسانان الاولان
وهما انما نوس وحيوانوس وذلك لتمام سبعة عشر الف عام لخلق دواب الما وهوام
الارض ولتمام ثمانية الاف عام من خلق ذوات الاربع وخلقت الارض في عالم الميزان
ويقال بل خلقت الارض اولا واقامت خالية ثلاثا وثلاثين الف عام ليس فيها حيوان
ولا عالم روحاني ثم خلق الله تعالى دواب الما وهوام الارض وما بعد ذلك على ما
تقدم ذكره فلما تم اربعة وعشرون الف عام لخلق دواب الما وهوام الارض ولتمام
خمسة عشر الف عام من خلق ذوات الاربع ولتمة سبعة الاف عام من لدن تكون
الانسانين خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهما في الارض ماية
الف وثلاثه وثلاثون الف عام منها لزحل سته وخمسون الف عام وللمشتري اربعة
واربعون الف عام وللمريخ ثلاثه وثلاثون الف عام ويقال ان الامم المخلوقات
قبل ادم هي كانت الجبلة الاولى وهي ثمان وعشرون امة بازا منازل القمر خلقت من امزجة
مختلفه اصلها الما والهوا والارض والنار فتباين خلقها فمنها امة خلقت طوالا زرقا
ذوات اجنحه كلامهم قرقعه على صفة الاسود ومنها امة ابدانهم ابدان الاسود
وروسهم روس الطير لهم شعور واذناب طوال وكلامهم دوي ومنها امة لها وجهان
وجه امامها ووجه خلفها ولها ارجل كثيرة وكلامهم كلام الطير ومنها امة
ضعيفه في صور الكلاب لهم اذناب وكلامهم همهمة لا يفهم ومنها امة تشبه بني ادم
افواههم في صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنها امة يشبهون نصف انسان
لهم عين واحدة وذراع واحدة ورجل يقفزون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير
ومنها امة لها وجوه كوجوه الناس واصلاب كاصلاب السلاحف في روسهم قرون
طوال لا يفهم كلامهم ومنها امة مدورة الوجوه لهم شعور بيض واذناب كاذناب
البقر وروسهم في صدورهم لهم شعور وثدي وهم اناث كلهن ليس فيهن ذكر يلقحن
من الريح ويلدن امثالهن ولهن اصوات مطربه يجتمع اليهن كثير من هذه الامم لحسن
اصواتهن ومنها امة على خلق بني ادم سود وجوههم وروسهم كروس الغربان ومنها
امة في خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمة الاجسام تاكل وتشرب مثل الانعام
ومنها امة كوجوه ذوات البحر لها انياب كانياب الخنازير واذان طوال ويقال ان
هذه الثمانية والعشرين امة تناتجت فصارت ماية وعشرين امة وسيل امير المومنين

علي بن ابي طالب رضي الله عنه هل كان في الارض خلق قبل ادم يعبدون الله تعالى
فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله ويقدسونه لا يفترون
وكانوا يطيرون الى السما ويلقون الملايكه ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر ما في
السما ثم ان طايفه منهم تمردت وعتت عن امر ربها وبغت في الارض بغير الحق وعدا
بعضهم على بعض وجحدوا الربوبية وكفروا بالله وعبد واما سواه وتغا بروا على الملك
حتى سفكوا الدما واظهروا في الارض الفساد وكثر بقاتلهم وعلا بعضهم على بعض واقام
المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطايفه المطيعه لله تعالى والمسبحين له
وكان يصعد الى السموات ولا يحجب عنها لحسن طاعته ويروى ان الجن كانت تفترق
على احدى وعشرين قبيله وان بعد خمسة الاف سنه ملكوا عليهم ملكا يقال له
شملال بن آرس ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك واقاموا على ذلك دهرا طويلا ثم
اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقايع كثيرة فاهبط الله تعالى اليهم
ابليس واسمه بالعربية الحارث وكنيته ابو مرة ومعه عدد كثير من الملايكه فهزمهم
وقتلهم وصار ابليس ملكا على الارض فتجبر وطغا وكان من امتناعه من السجود لادم
ما كان فاهبطه الله الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الما فالقيت عليه شهوة
الجماع وجعل لقاحه لقاح الطير وبيضه ويقال ان قبايل الجن الشياطين خمس
وثلاثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير في الهوا وعشر قبايل مع لهب النار وثلاث عشر
قبيله يسترقون السمع من السما ولكل قبيله ملك موكل بدفع شرها ومنهم صنف
السعالي يتصورون في صور النسا الحسان ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم
ومنهم صنف على صور الحيات اذا قتل احد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت
صغيرة هلك ولده او عزيز عنده وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان الكلاب
من الجن فاذا اتاكم وهم ياكلون فالقوا اليهم من طعامكم فان لهم انفسا يعني انهم ياخذون
بالعين وقد روي ان الارض كانت معمورة بامم كثيرة وقال ابو بكر احمد بن علي
ابن وحشيه في كتاب الفلاحة انه عرب هذا الكتاب ونقله من لسان الكسدانيين
الى اللغة العربية وانه وجد من وضع ثلاثة حكما قدماء وهم صغريث وينبوشاد
وقوثامي ابتداه الاول وكان ظهوره في الالف السابعه من سبعة الاف سني زحل
وهي الالف التي يشارك فيها زحل القمر وتممه الثاني وكان ظهوره في اخر هذه الالف
والحمله الثالث وكان ظهوره بعد مضي اربعة الاف سنه من دور الشمس الذي هو
سبعة الاف سنه وانه نظر الى ما بين زمان الاول والثالث فكان ثمان عشر
الف سنه شمسيه وبعض الالف التاسعه عشر وقد اختلف اهل الاسلام في

هذه

هذه المسلة ايضا فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
الدنيا جمعة من جمع الاخرة واليوم الف سنه فذلك سبعة الاف سنه وروى
سفين عن الاعمش عن ابي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة الاف سنه
وعن وهب بن منبه انه قال قد خلا من الدنيا خمسة الاف سنه وستمايه سنه
اني لاعرف كل زمان منها من كان فيه من الانبيا فقيل له فكم الدنيا قال ستة
الاف سنه وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة
العصر الى مغرب الشمس وفي حديث ابي هريرة الحقب ثمانون عاما اليوم منها
سدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحا وضمها قال ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب
الهمداني في كتاب الاكليل وكان الدنيا جزء من اربعة الاف وسبع مايه وثلاثه
وعشرين جزوا وثلث جزء من الحقب على ان السنه القمرية ثلاثمايه واربعة وخمسون
يوما وخمس وسدس يوم فاذا كانت الدنيا سته الاف سنه واليوم الف سنه
تكون سنين قمريه ستة الاف الف سنه فاذا جعلناه جزا وضربناه في اجزا الحقب
وهي اربعة الاف وسبع مايه وثلاث وعشرون وثلث خرج من السنين ثمانية
وعشرون الف الف وثلاثمايه الف واربعون الف الف واذا كانت
جمعه من جمع الاخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الحقب وقال
ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الصواب من القول ما دل على صحته الخبر الوارد
بذلك قوله عليه السلام اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس
وقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابه والوسطى وقوله عليه السلام
بعثت انا والساعة جميعا ان كادت لتسبقني بانت فمعلوم اذ كان اليوم اوله
طلوع الشمس واخره غروب الشمس وكان صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله
اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت انا
والساعة كهاتين واشار بالسبابه والوسطى وكان قدر ما بين اوسطا وقت
صلاة العصر وذلك اذا صار ظل كل شي مثليه على التحري انما يكون قدر نصف سبع
اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة انما يكون
نحوا من ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله عليه السلام لن يعجز الله ان يوخر هذه الامة
نصف يوم يعني من نصف يوم الذي مقداره الف سنه فاولى القولين الذين
احدهما عن ابن عباس والاخر عن كعب قول ابن عباس الدنيا جمعة من جمع الاخرة
سبعة الاف واذا كان كذلك وكان منه عليه السلام ان الباقية من ذلك في حياته

نصف يوم وذلك خمسمائة عام اذ كان ذلك نصف يوم من الايام التي قدر الواحد
منها الف عام كان معلوما ان الماضي من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة
الاف سنه وخمسمايه سنه او نحو ذلك وقد جا عنه عليه السلام خبر يدل على
صحة قول من قال الدنيا كلها سته الاف سنه لو كان صحيحا لم نعد القول به الى
غيره وهو حديث ابي هريره يرفعه الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا
فتبين في هذا الخبر ان الدنيا كلها ستة الاف سنه وذلك ان اليوم الذي هو من
ايام الاخرة مقداره الف سنة من سني الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك سدس
الدنيا كان معلوما ان جميعها ستة ايام من ايام الاخرة وذلك ستة الاف سنه
وقال ابو القسم السهيلي وقد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى اليوم
سيف عليها وليس في قوله لن يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم ما يعطي الزيادة
على النصف ولا في قوله بعثت انا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تاويله يعني
الطبري فقد نقل في تاويله غير هذا وهو انه ليس بينه عليه السلام وبين الساعة نبي
ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقتربت الساعة وقال
اتى امر الله فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث في الالف الاخير
بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى الحروف المقطعة في اوايل السور وجدناها
اربعة عشر حرفا يجمعها قولك الم يسطع نص حق كره ثم ناخذ العدد على حساب
ابي جاد فنجي تسع مايه وثلاثه ولم يسم الله تعالى في اوايل السور الا هذه الحروف
فليس ببعيد ان يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوايدها الاشارة الى هذا
العدد من السنين لما قدمناه من حديث الالف السابع الذي بعث عليه السلام
فيه غير ان الحساب يحتمل ان يكون من مبعثه او من وفاته او من هجرته وكل قريب
بعضه من بعض فقد جا اشراطها ولكن لا تاتيكم الا بغتة وقد روى انه عليه السلام
قال ان احسنت امتي فبقاها يوم من ايام الاخرة وذلك الف سنه وان اسات
فنصف يوم ففي هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له اذ قد انقضت
الخمسمايه والامة باقية وقال شاذان البلخي المنجم مدة ملة الاسلام ثلثمايه وعشر
سنين وقد ظهر كذب قوله ولله الحمد وقال ابو معشر يظهر بعد المايه وخمسين
من سني الهجرة اختلاف كثير وقال حراش ان المنجمين اخبروا كسرى انو شروان بتملك العرب
وظهور النبوة فيهم وان دليلهم الزهره وهي في شرفها والزهرة دليل العرب فيكون
مدة ملك نبوتهم الفا وستين سنه ولان طالع القران الدال على ذلك برج الميزان
والزهرة صاحبته في شرفها قال وسال كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فاعلمه ان الملك

يخرج

يخرج من فارس وينتقل في العرب ويكون ولادة القايم بامر العرب لخمس واربعين سنه
من وقت القران وان العرب تملك المشرق والمغرب من اجل ان المشتري دليل فارس
قد قبل تدبير الزهره دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة الهوائية الى المثلثة
المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب ايضا وهذه الادلة تقتضي بقا
الملة الاسلامية بعدد دور الزهره وهو الف وستون سنه شمسيه وقال نوفيل
الرومي وكان في ايام بني امية تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القران الكبير وهي تسع مائة
وستون سنه شمسيه فاذا عاد القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان
في ابتدا الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته في الابتدا فحينئذ اما تعمر العمل او
تتجدد ما يوجب خلاف الظن قال واتفقوا على ان خراب العالم يكون باستيلا الما
او النار حتى تهلك المكونات باسرها وذلك اذا قطع قلب الاسد اربعا وعشرين درجة
من برج الاسد الذي هو حد المريخ بعد تسع مايه وستين سنه شمسيه من قران الملة
ويقال ان ملك زابلستان وهي غزنه بعث الى عبد الله امير المومنين المامون بحكيم
اسمه دوبان في جملة هديه فاعجب به المامون وساله عن مدة ملك بني العباس
فاخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب اخيه وان العجم تغلبهم في الخلافة
فتغلب الديلم ولا تزال تسو حالهم حتى تظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات
والروم والشام وقال يعقوب بن اسحق الكندي مدة ملة الاسلام ستمايه وثلاث
وتسعون سنة وقال الفقيه الحافظ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم واما اختلاف
الناس في التاريخ فان اليهود يقولون للدنيا اربعة الاف سنه والنصارى يقولون
للدنيا خمسة الاف سنه واما نحن نعني اهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف
عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة الاف سنه او اكثر او اقل فقد قال ما لم يات قط عن
بلغ مع — رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على ان
للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله عز وجل ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم ما انتم في الامم قبلكم الا كالشعرة البيضا في الثور الاسود
او الشعرة السودا في الثور الابيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد اهل
الاسلام ونسبة ما بايديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم ان للدنيا عددا لا يحصيه
الا الله تعالى وكذلك قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين وضم اصبعيه المقدستين
السبابة والوسطى وقد جا النص بان الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا احد سواه
فصح انه صلى الله عليه وسلم انما عنى شدة القرب لا فضل السبابة على الوسطى اذ لو اراد
فضل ذلك لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسبة طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم

الساعة وهذا باطل ايضا فكان يكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا
بانه كالشعرة فى الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصح انه عليه السلام انما اراد شدة
القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث اربع مائة عام ونيف فالله اعلم بما بقى للدنيا
واذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ما سلف لقلته وتناهيه بالاضافة
الى الماضى فهو الذى قاله صلى الله عليه وسلم من انا فيمن مضى كالشعرة فى الثور او الرقمة
فى ذراع الحمار وقد رايت بخط الامير ابى محمد عبد الله بن الناصر قال حدثنى محمد بن معوية
القرشى انه راى بالهند بلدا له اثنان وسبعون الف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين
بالهند مدينة يورخون باربع مائة الف سنة قال ابو محمد الا ان لكل ذلك اول ولا بد
ونهاية لم يكن شى من العالم موجودا قبلها ولله الامر من قبل ومن بعد

الامر من قبل ومن بعد

ذكر التواريخ التى كانت
للامم قبل تاريخ القبط

التاريخ كله فارسية اصلها ماه روز تعريبه قال محمد بن احمد بن محمد بن يوسف
البلخى فى كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا اشتقاق بعيد لولا ان
الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج تاريخ كل شى اخره وهو فى الوقت
غايته يقال فلان تاريخ قومه اى اليه ينتهى شرفهم ويقال ورخت الكتاب توريخا
وارخته تاريخا اللغة الاولى لتميم والثانية لقيس ولكل مملكة واهل ملة تاريخ وكانت
الامم تورخ اولا بتاريخ الخليقة وهو ابتدا كون النسل من ادم عليه السلام ثم ارخت
بالطوفان وارخت ببخت نصر وارخت بفيلبش وارخت بالاسكندر ثم باغسطس
ثم بانطنينس ثم بدقلطيانوس وبه تورخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط الا تاريخ
الهجرة ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس تواريخ اخر قد انقطع
ذكرها واما تاريخ الخليقة ويقال له ابتدا كون النسل وبعضهم يقول بدو
الخلق فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس فى كيفيته وسياقة التاريخ منه
خلاف كبير قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر الف عام على عدد بروج الفلك
وشهور السنة وزعموا ان زرادشت صاحب شريعتهم قال ان الماضى من الدنيا
الى وقت ظهوره ثلاثة الاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادشت واول
تاريخ الاسكندر مائتا سنة وثمان وخمسون سنة تامة فيكون الماضى من اول العالم
الى الاسكندر ثلاثة الاف ومائتى سنة وثمان وخمسين سنة واذا حسبنا من اول كيومرت
الذى هو عندهم الانسان الاول وجمعنا مدة كل من ملك بعده فان الملك متسق
فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر ثلاثة الاف وثلثمائة واربع وخمسين
سنة

سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجملة وقال قوم الثلاثة الالاف الماضية انما هى
من خلق كيومرث فانه مضى قبله الف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبايع
غير مستحيلة والامهات غير متمازجة والكون والفساد غير موجود فيها والارض
غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاول فى معدل النهار وتولد الحيوان
وتوالد وتناسل الانس فكثروا وامتزجت اجزا العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا
وانتظم العالم وقالت اليهود الماضى من ادم الى الاسكندر ثلاثة الاف واربعمائة وثمان
واربعون سنة وقالت النصارى المدة بينهما خمسة الاف ومائة وثمانون سنة
وزعموا ان اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى بن مريم عليه السلام فى الالف الرابع
وسط السبعة الالاف التى هى مقدار مدة العالم عندهم حتى يخالف ذلك الوقت الذى
سبقت البشارة من الانبيا الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح
عيسى واذا جمع ما فى التورية التى بيد اليهود من المدة التى بين ادم عليه السلام وبين
الطوفان كانت الفا وستمائة وستا وخمسين سنة وعند النصارى فى توراتهم المدة
الفان ومائتا سنة واثنتان واربعون سنة وتزعم اليهود ان توراتهم بعيدة عن
التخاليط وتزعم النصارى ان توراة السبعين التى هى بايديهم لم يقع فيها تحريف ولا
تبديل ويقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرة بان توراتهم هى الحق وما
عداها باطل وليس فى اختلافهم ما يزيل الشك بل تقوى الجالبة له وهذا الاختلاف
بعينه بين النصارى ايضا فى الانجيل وذلك ان له عند النصارى اربع نسخ مجموعة فى
مصحف واحد احدها انجيل متى والثانى لمارقوس والثالث للوقا والرابع
ليوحنا قد الف كل من هولا الاربعة انجيلا على حسب دعوته فى بلاده وهى مختلفة
اختلافا كثيرا حتى فى صفات المسيح عليه السلام وايام دعوته ووقت الصلب بزعمهم
وفى نسبه ايضا وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقيون
واصحاب ابن ديصان انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولاصحاب مانى انجيل
على حدة يخالف ما عليه النصارى من اوله الى اخره ويزعمون انه هو الصحيح وما عداه
باطل ولهم ايضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى بلامس والنصارى وغيرهم
تنكره واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل الكتاب كما قد رايت ولم يكن للقياس
والراى مدخل فى تمييز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم
ولم يعول على شى من اقوالهم فيه واما غير اهل الكتاب فانهم ايضا مختلفون فى ذلك
قال اثينوش بين خلق ادم وبين ليلة الجمعة اول الطوفان الفا سنة ومائتا سنة
وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما واربع ساعات وقال ما شاء الله واسمه

منشا بن اثرى منجم المنصور والمامون في كتاب القرانات اول قران وقع بين زحل
والمشترى في بدو التحرك يعني ابتدا النسل من ادم كان على مضى خمسماية وتسع سنين
وشهرين واربعة وعشرين يوما مضت من الف المورخ فوقع القران في برج الثور من
المثلثه الارضيه على سبع درج واثنتين واربعين دقيقه وكان انتقال الممر من برج
الميزان ومثلثه الهوائية الى برج العقرب ومثلثه المائية بعد ذلك بالفي سنه
واربعماية سنه واثني عشرة سنه وستة اشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان في
الشهر الخامس من السنة الاولى من القران الثاني من قرانات هذه المثلثه المائية وكان
بين وقت القران الاول الكاين في بدو التحرك وبين الشهر الذي كان فيه الطوفان الفين
واربعماية وثلاث وعشرين سنه وستة اشهر واثني عشر يوما قال وفي كل سبعة الاف
سنه وستين وعشرة اشهر وستة ايام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذي
كان في بدو التحرك وهذا القول اعزك الله هو الذي اشتهر ظن كثير من اهل الملل ان مدة
بقا الدنيا سبعة الاف سنه فلا تغتر به وتنبه الى اصله تجده اوهى من بيت العنكبوت
فاطرحه واما تاريخ الطوفان فانه يتلوا تاريخ الخليقه وفيه من الاختلاف
ما لا يطمع في حقيقته من اجل الاختلاف فيما بين ادم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر
فان اليهود عندهم ان بين الطوفان وبين الاسكندر الف وسبعماية واثنتان وتسعون
سنه وعند النصارى بينهما الفا سنه وتسعماية وثمان وثلاثون سنه والفرس وساير
المجوس والكسدانيون اهل بابل والهند واهل الصين واصناف الامم المشرقيه ينكرون
الطوفان واقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان سوى بالشام والمغرب
ولم يعم العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ ممالك
المشرق قالوا ووقع في زمان طهمورث وان اهل المغرب لما انذر حكماوهم بالطوفان
اتخذوا المباني العظيمه كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ
طهمورث الانذار بالطوفان قبل كونه بماية واحدى وثلثين سنه امر باختيار موضع
في مملكته صحيحة الهوا والتربة فوجد ذلك باصبهان فامر بتجليد العلوم ودفنها
فيها في اسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثماية من سني الهجرة في جي من مدينة
اصبهان من التلال التي انشقت عن بيوت مملوة اعدالا عدة كثيرة قد ملئت من
لحا الشجر التي تلبس بها القسي وتسمى التوز مكتوبة بكتابة لم يدر احد ما هي واما
المجوس فانهم صححوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل
والمشترى التي اثبت علما اهل بابل والكلدانيين امثلتها اذ كان الطوفان بظهوره في
ناحيتهم فان السفينة استقرت على جبل الجودى وهو غير بعيد من تلك النواحي قالوا

وكان هذا القران قبل الطوفان بمايتين وعشرين سنه ومايه وثمانية ايام واعتنوا بامرها
وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين اول ملك بخت نصر الاول الفي سنه
وستماية واربع سنين وبين بخت نصر هذا وبين الاسكندر اربعماية وست وثلاثين
سنه وعلى ذلك بنا ابو معشر اوساط الكواكب في زيجه وقال كان الطوفان عند
اجتماع الكواكب في اخر برج الحوت واول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين
تاريخ الاسكندر قدر الفي سنه وسبعماية وتسعين سنه مكبوسة وسبعة اشهر وستة
وعشرين يوما وبينه وبين يوم الخميس اول المحرم من السنة الاولى من سني الهجرة النبوية
الف الف يوم وثلثماية الف يوم وتسعة وخمسون الف يوم وتسعماية يوم وثلاثة
وسبعون يوما تكون من السنين الفارسيه المصرية ثلاثة الاف سنه وسبعماية سنة
وخمسا وعشرين سنة وثلثماية يوم وثمانيه واربعين يوما ومنهم من يرى ان الطوفان
كان يوم الجمعة وعند ابي معشر انه كان يوم الخميس ولما تقرر عنده الجملة المذكورة
وخرجت له المدة التي تسمى ادوار الكواكب وهي بزعمهم ثلثماية الف وستون الف سنه
شمسيه واولها متقدم لوقت الطوفان بماية الف وثمانين الف سنه شمسيه حكم
بان الطوفان كان في ماية الف وثمانين الف سنه وسيكون فيما بعد كذلك ومثل هذا
لا يقبل الا بحجه او من معصوم واما تاريخ بخت نصر فانه على سني القبط وعليه
يعمل في استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطي ثم ادوار قالليس واول ادواره
في سنه ثمان عشرة واربعماية لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنه شمسية
وكان قالليس من جلة اصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو بالذي خرب بيت
المقدس وانما هو اخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس بماية وثلاث واربعين سنه
وهو اسم فارسي اصله بخت نرسي ومعناه كثير البكا والانين ويقال له بالعبرانيه نصار
وقيل تفسيره عطارد وهو منطق وذلك لتحننه على الحكمة وتقرب اهلها ثم عرب فقيل
بخت نصر واما تاريخ فيلبس فانه على سني القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من
موت الاسكندر البنا المقدوني وكلا الامرين سوا فان القايم بعد البنا هو فيلبس
فسوا كان من موت الاول او من قيام الاخر فان الحالة المورخة هي كالفصل المشترك
بينهما وفيلبس هذا هو ابو الاسكندر المقدوني ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندر اسن
وعليه بنا ثاون الاسكندراني زيجه المعروف بالقانون واما تاريخ الاسكندر
فانه على سني الروم وعليه يعمل اكثر الامم الى وقتنا هذا من اهل الشام واهل بلاد الروم
واهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندر
من هذا الكتاب واما تاريخ اغشطش فانه لا يعرف اليوم احد يستعمله

واغطشطش هذا هو اول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية شق عنه فان اغشطش هذا لما حملت به امه ماتت في المخاض فشق بطنها حتى اخرج منه فقيل له قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم وتزعم النصارا ان المسيح عليه السلام ولد لاربعين سنة من ملكه وفي هذا القول نظر فانه لا يصح عند سياقه السنين والتواريخ بل يجي تعديل ولادته عليه السلام في السنة السابعة عشر من ملكه واما تاريخ انطينس فان بطليموس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف بالمجسطي لاول ملكه على الروم وسني هذا التاريخ رومية

ذكر تاريخ القبط

اعلم ان السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكل الى اي نقطة فرضت ابتدا حركتها وذلك انها تستوفي الازمنة الاربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتا وتحوز طبايعها الاربع وتنتهي الى حيث بدات وفي هذه المدة تستوفي القمر اثنتي عشرة عوده واقل من نصف عوده وتهل اثنتي عشرة مرة فجعلت المدة التي فيها عودات القمر الاثنى عشرة في فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح واسقط الكسر الذي هو احد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم اخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر فالاخذون بسير الشمس خمس امم هم اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس والاخذون بسير القمر خمس امم هم الهند والعرب واليهود والنصارا والمسلمون فاهل قسطنطينيه والاسكندريه وساير الروم والسريانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل براي المعتضد اخذوا بالسنة الشمسية التي هي ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثماية وخمسة وستين يوما والحقوا الارباع بها في كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسموا تلك السنة كبيسة لانكباس الارباع فيها واما قبط مصر القدما فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها ايام سنة تامه وذلك في كل الف واربعماية وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحده ويتفقون حينيذ في اول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينيه واما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثماية وخمسة وستين يوما من غير كسر حتى اجتمع لهم من الربع يوم في ماية وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة التي تتبع الربع يوم عندهم يوما واحدا فالحقوا الشهر التام بها في كل ماية وست عشرة سنة واقتفى اثرهم في هذا اهل خوارزم القدما والصغد ومن دان بدين فارس وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها يعملون السنة ثلثماية وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سوا وكانوا يكبسون السنة كل ستة

بيوم ويسمونها كبيسه وكل ماية وعشرين سنة بشهرين احدهما بسبب الخمسة الايام والثاني بسبب ربع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركه واما قدما القبط واهل فارس في الاسلام واهل خوارزم والصغد فتركوا الكسورا على الربع وما تبعه اصلا واما العبرانيون وجميع بني اسرايل والصابيون والحرانيون فانهم اخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر ليكون اعيادهم وصيامهم على حساب قمري ويكون مع ذلك حافظه لاوقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر ووافقهم النصارا في صومهم وبعض اعيادهم لان مدار امرهم على فصح اليهود وخالفوهم في الشهور الى مذهب الروم والسريانيين وكانت العرب في جاهليتها تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة ايام واحدى وعشرون ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفي ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون ساعه وكان يتولى ذلك النساة من بني كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو البحر الغزير وهم ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية بن قلع واول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد فقيم واخر من فعله ابو ثمامة واخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجي دين الاسلام بنحو المايتي سنة وكانوا يكبسون في كل اربع وعشرين سنة تسعة اشهر حتى بقي اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتاخر عن اوقاتها ولا تتقدم الى ان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله سبحانه عليه انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطيوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوا اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين فخطب صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والارض فبطل النسي وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت اسماوها غير دالة على معانيها واما اهل الهند فانهم يستعملون روية الاهلة في شهورهم ويكبسون كل تسعماية وستة وسبعين شهرا قمريا ويجعلون ابتدا تاريخهم اتفاق اجتماع في اول دقيقة من برج ما واكثر طلبهم لهذا الاجتماع ان يتفق في احدى نقطتي الاعتدالين ويسمون السنة الكبيسة بذماسه فهذه ادوار الطبيعة في السنة واما اليوم فانه عبارة عن عودة الشمس بدوران الكل الى دايرة قد فرضت وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد من اجل ان شهور العرب مبنية على مسير القمر واوايلها مقيدة برويه الهلال والهلال يرى لدن غروب الشمس فصارت الليلة عندهم قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم بليلته من طلوع الشمس بارزة

من افق المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا
على قولهم بان النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا
عدم وحياه لا موت والسما افضل من الارض والعامل والشاب اصح والما الجاري
لا يقبل عفونة كالراكد واحتج الاخرون بان الظلمة اقدم من النور والنور طار
عليها فالاقدم يبدا به وفضلوا السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة اليه وقالوا
الحركة انما هي للحاجة والضرورة والتعب يتبعه الحركة والسكون اذا دام في الاستقصا
مده لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة في الاستقصات واستحكمت افسدت
وذلك كالزلازل والعواصف والامواج وشبهها وعند اصحاب التنجيم ان اليوم
بليلته من موافاة الشمس فلك نصف النهار الى موافاتها اياه في الغد وذلك من
وقت الظهر الى وقت الظهر وبنوا على ذلك حساب ازياجهم وبعضهم ابتدا باليوم
من نصف الليل وهو صاحب زيج شهرياران الشاه وهذا هو حد اليوم على
الاطلاق اذا اشترط الليلة في التركيب فاما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار
بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه
وحد بعضهم اول النهار بطلوع الفجر واخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى
الليل وقالت هذان الحدان هما طرفا النهار وعورض بان الاية انما فيها
بيان طرفي الصوم لا تعريف اول النهار وبان الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من
جهة المشرق وهما متساويان في العلة فلو كان طلوع الفجر اول النهار لكان غروب
الشفق اخره وقد التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقرر ذلك فنقول تاريخ
القبط يعرف عند نصارى مصر الان بتاريخ الشهدا وتسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس

ذكر دقلطيانوس
الذي يعرف تاريخ القبط به

اعلم ان دقلطيانوس هذا احد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك في
منتصف سنه خمس وتسعين وخمسماية من سني الاسكندر وكان من غير بيت
المملكة فلما ملك تجبر وامتد ملكه الى مداين الاكاسرة ومدينه بابل فاستخلف
ابنه على مملكة رومية واتخذ تخت ملكه مدينه انطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام
ومصر الى اقصى المغرب فلما كان في السنه التاسعة عشر من ملكه وقيل الثانيه
عشر خالف عليه اهل مصر والاسكندرية فبعث عليهم اليهم وقتل منهم خلقا
كثيرا واوقع بالنصارا فاستباح دماهم وغلق كنايسهم ومنع من دين النصارا

وحمل

وحمل الناس على عبادة الاصنام وبالغ في الاسراف في قتل النصارا واقام ملكا
احدى وعشرين سنه وهلك بعد علل صعبه دود منها بدنه وسقطت
اسنانه وهو اخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك بعده فانما كان على
دين النصرانية فان الذي ملك بعده ابنه سنه واحده وقيل اكثر من ذلك ثم
ملك قسطنطين الاكبر فاظهر دين النصرانية ونشره في الارض ويقال ان رجلا
ثار بمصر يقال له اجله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلطيانوس وحصر
الاسكندرية دار الملك يوميذ ثمانية اشهر حتى اخذ اجله وقتله وعم ارض مصر
كلها بالسبي والقتل وبعث قايده فحارب سابور ملك فارس وقتل اكثر عسكره
وهزمه واسر امراته واخوته واثخن في بلاده وعاد باسر الكثيره من رجال فارس ثم
اوقع بعامة بلاد رومه فاكثر في قتلهم وسبيهم فكانت ايامه شنعه قتل فيها من
اصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعته
بالنصارا هي الشدة العاشره وهي اشنع شدايدهم واطولها لانها دامت عليهم مدة
عشر سنين لا تفتر يوما واحدا احرق فيها كنايسهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر
منهم او هرب ليقتل يريد بذلك قطع اثر النصارا وابطال دين النصرانيه من الارض
فلهذا اتخذ وابتدا ملك ديقلطيانوس تاريخا وكان ابتدا ملكه يوم الجمعة وبينه
وبين يوم الاثنين اول يوم من توت وهو اول ايام ملك الاسكندر بن فيلبش
المجدوني خمسماية واربع وسبعون سنه واحد عشر شهرا وثلاثة ايام وبين يوم
الجمعه اول يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين يوم الخميس اول سنه الهجرة النبوية
ثلثماية وثمان وثلاثون سنه قبطيه وتسعة وثلاثون يوما وجعلوا شهور السنه
القبطيه اثني عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سوا فاذا تمت الاشهر
الاثني عشر اتبعوها بخمسة ايام زيادة على عدد ايامها وسموا هذه الخمسة الايام
ابوغمنا ويعرف اليوم بايام النسي فيكون الحال في النسي على ذلك ثلاث سنين متواليات
فاذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسي ستة ايام فيكون سنتهم ثلاث سنين متواليات
كل سنة منها ثلثماية وخمسة وستين يوما والرابعة يصير عددها ثلثماية وستة وستين
يوما ويرجع حكم سنتهم الى حكم سنة اليونانيين بان تصير سنتهم الوسطى ثلثماية وخمسة
وستين يوما وربع يوم الا ان الكبس يختلف فاذا كبس القبط في سنه كان كبس اليونانيين
في السنة الداخلة واسما شهور القبط توت بابه هاتور كيهك طوبه امشير
برمهات برموده بشنس بوونه ابيب مسرى فهذه اثنى عشر شهرا كل
شهر منها عدة ثلاثين يوما واذا كملت عدة شهر مسرى وهو الشهر الثاني عشر

نادوا ايام النسي بعد ذلك وعملوا النوروز اول يوم من شهر توت ٥

ذكر اسابيع الايام

اعلم ان القدماء من الفرس والسغد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام في الشهور واول من استعملها اهل الجانب الغربي من الارض سيما اهل الشام وحواليه من اجل ظهور الانبيا عليهم السلام فيما هنالك واخبارهم عن الاسبوع الاول وبدو العالم فيه وان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم في ساير الامم واستعمله العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار اهل الشام فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن ببابل وعندهم اخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وانزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسما الايام الثلاثين من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل في تاريخ الفرس ومازالت القبط على هذا الى ان ملك مصر اغشطش بن يوخص فاراد ان يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم ابدا فيها فوجد البلاد حينيذ في تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم حملهم على كبس الشهور في كل اربع سنين بيوم كما تفعل الروم فترك القبط من حينيذ اسما الايام الثلاثين لاحتياجهم في يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملوا اسما الايام الثلاثين من اهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل درست كما درس غيرها من اسما الرسوم القديمة والعادات الاول سنة الله في الذين خلوا من قبل وكانت اسما شهور القبط في الزمن القديم توت باوفي آثور شواق طوبى ماكير فاميتوث برموثي باخون باوني افيفي ابيفا وكل شهر منها ثلاثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم احدث بعض روسا القبط بعد استعمالهم الكبس الاسما التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر الا ان من الناس من يسمي كيهك كياك ويقول في برمهات برمهوط وفي بشنس بشانس وفي مسرى ماسوري ومن الناس من يسمي الخمسة الايام الزايدة ايام النسي ومنهم من يسميها ابوغمنا ومعنا ذلك الشهر الصغير وهي كما تقدم تلحق في اخر مسرى وفيه يزاد اليوم للكبيس فيكون ابو غمنا ستة ايام حينيذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعنا العلامة ومن خرافات القبط ان شهورهم هي شهور سني نوح وشيث وادم منذ ابتدا العالم وانها لم تزل على ذلك الى ان خرج موسى ببني اسرايل من مصر فجعلوا اول سنتهم خامس عشر نيسان كما امروا به في التوراة الى ان تملك الاسكندر راس سنتهم الى اول تشرين وكذلك المصريون تملك بعض ملوكهم اول سنتهم الى اول يوم من ملكه فصار اول

يوم

توت عندهم يتقدم اول يوم خلق فيه العالم بثمانين وثمانية ايام اولها يوم الثلاثا واخرها يوم السبت وكان توت اوله في ذلك الوقت يوم الاحد وهو اول يوم خلق الله فيه العالم الذي يقال له الان تاسع عشر برمهات وذلك ان اول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو اب الكلدانيين وملك بنو مصرايم وهو ثاني ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملا تاريخ جدهما نوح واستن سنتهم من جا بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

ذكر اعياد القبط من النصارى بديار مصر

روى ابن يونس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى فان السخط ينزل عليهم في مجامعهم ولا تتعلموا رطانتهم فتخلقوا ببعض خلقهم وعن ابن عباس في قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما قال اعياد المشركين فقيل له او ما هذا في الشهادة بالزور فقيل فقال لا انما اية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا

اعلم ان نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره واعيادهم الان التي هي مشهورة بديار مصر اربعة عشر عيدا في كل سنة من سنيهم القبطية منها سبعة اعياد يسمونها اعيادا كبارا وسبعة يسمونها اعيادا صغارا فالاعياد الكبار عندهم عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفسح وعيد خميس الاربعين وعيد الخميس وعيد الميلاد وعيد الغطاس ٥ والاعياد الصغار عيد الختان وعيد الاربعين وخميس العهد وسبت النور وحد الحدود والتجلي وعيد الصليب ولهم مواسم اخر ليس هو عندهم من الاعياد الشرعية لكنه عندهم من المواسم العادية وهو يوم النوروز وساذكر من خبر هذه الاعياد ما لا تجده مجموعا في غير هذا الكتاب على ما استوحنه من كتب النصارى وتواريخ اهل الاسلام ٥

عيد البشارة ٥ هذا العيد عند النصارى اصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياشوع ومنهم من قالوا السيد يسوع وهذا العيد يعمله نصارى مصر في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات ٥

عيد الزيتونة ويعرف عندهم بعيد السعانين ومعناه التسبيح ويكون في سابع احد من صومهم وسنتهم في عيد السعانين ان يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة ويرون انه يوم ركوب المسيح العفو وهو الحمار في القدس ودخوله

في الصهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يامر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويباعد منه وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيه كنايسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة كان عيد الشعانين فمنع الحاكم بامر الله ابو علي منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنايسهم وحملهم الخوص على ما كانت عادتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيا من ذلك وامر بالقبض على ما هو محبس على الكنايس من الاملاك وادخلها في الديوان وكتب لساير الاعمال بذلك واحرقت عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق بمصر والشرطة

عيد الفصح

هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويزعمون ان المسيح عليه السلام لما تمالا اليهود عليه واجتمعوا على تضليله وقتله قبضوا عليه واحضروه الى الخشبة ليصلب فصلب على الخشبة لصان وعندنا وهو الحق ان الله رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وان الذي صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح القى الله شبه المسيح عليه قالوا واقتسم الجند ثيابه وغشى الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وتاسع عشرين برمهات وخامس عشرين اذار سنة [illegible] ودفن الشبه في اخر النهار بقبر واطبق عليه بحجر عظيم وختم عليه روسا اليهود واقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت كيلا يسرق وزعموا ان المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحرا ومضى بطرس ويوحنا التلميذان الى القبر فاذا الثياب التي كانت على المقبور فقط بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فاخبرهما بقيام المقبور من القبر قالوا وفي عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم واكل معهم وكلمهم واوصاهم وامرهم باموره قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعد عيد الصليبوت بثلاثة ايام

خميس الاربعين

ويعرف عند اهل الشام بالسلاق ويقال له ايضا عيد الصعود وهو الثاني والاربعين من الفطر ويزعمون ان المسيح عليه السلام بعد اربعين يوما من قيامته خرج الى بيت عنيا والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السما وذلك عند اكماله ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة اشهر فرجع التلاميذ الى اوراشليم يعني بيت المقدس وقد وعدهم باشهار امرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح ومن اصدق من الله حديثا

عيد الخمسين

وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما من يوم القيام وزعموا ان بعد عشرة ايام من الصعود وخمسين يوما من قيامة المسيح بزعمهم اجتمع التلاميذ في علية صهيون

فيجلى

فتجلى لهم روح القدس شبه السنة من نار فامتلوا من روح القدس وتكلموا بجميع الالسن وظهرت على ايديهم ايات كثيرة فعاداهم اليهود وحبسوهم فنجاهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا في الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح

الميلاد

يزعمون انه اليوم الذي ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيجعلون عشية العيد ليلة الميلاد ويسنون فيه كثرة الوقود بالكنايس وتزيينها ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كيهك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة فكان يفرق فيه ايام الدولة الفاطمية على ارباب الرسوم من الاستاذين المحنكين والامرا المطوقين وساير العوالي من الكتاب وغيرهم الجامات من الحلاوة القاهرية والمثارد التي فيها السميذ وقرابات الجلاب وطيافير الزلابية والسمك المعروف بالبوري ومن رسم النصارى في الميلاد اللعب بالنار ومن احسن ما قيل في ذلك

ما اللعب بالنار في الميلاد من سنة ... وانما فيه للاسلام مقصود
وفيه تبكيت النصارى ان ربهم ... عيسى بن مريم مخلوق ومولود

وادركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وساير اقليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالاصباغ المليحة والتماثيل البديعة باموال لا تنحصر فلا يبقى احد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشتري من ذلك لاولاده واهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها في الاسواق بالحوانيت شيا يخرج عن الحد في الكثرة والملاحة ويتنافس الناس في المغالاة في اثمانها حتى لقد ادركت شمعة عملت فبلغ مصروفها الف درهم وخمسماية درهم فضة عنها يوميذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب واعرف السوال في الطرقات ايام هذا الموسم وهم يسالون الله ان يتصدق عليهم بفانوس فيشتري لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ثم لما اختلت امور مصر كان من جملة ما بطل من عوايد الترف عمل الفوانيس في الميلاد الا قليلا

الغطاس

ويعمل بمصر في اليوم الحادي عشر من شهر طوبة واصله عند النصارى ان يحيى بن زكريا عليه السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمداني عمد المسيح اي غسله في بحيرة الاردن وعندما خرج المسيح عليه السلام من الما اتصل به روح القدس فصار النصارى لذلك يغمسون اولادهم في الما في هذا اليوم وينزلون فيه باجمعهم ولا يكون ذلك الا في شدة البرد ويسمونه يوم الغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية قال

المسعودي وليلة الغطاس بمصر شان عظيم عند اهلها لا ينام الناس فيها وهي ليلة الحادي عشر من طوبه ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيذ محمد بن طغج امير مصر في داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد امر فاسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط الف مشعل غير ما اسرج اهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطي النيل في تلك الليلة الوف الاف من الناس من المسلمين ومن النصارى منهم في الزواريق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من الماكل والمشارب والملابس والات الذهب والفضة والجوهر والملاهي والعزف والقصف وهي احسن ليلة تكون بمصر واشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم في النيل ويزعمون ان ذلك امان من المرض ونشرة للداء وقال المسبحي في تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وثلثمائة ومنع النصارى من اظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من الاجتماع ونزول الما واظهار الملاهي ونودي ان من عمل ذلك نفي من الحضرة وفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والاشرعة في عدة مواضع على شاطي النيل ونصبت اسرة للرئيس فهد بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاذ برجوان واوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع اهله يشرب الى ان كان وقت الغطاس فغطس وانصرف وقال سنة احدى واربعمائة وفي ثامن عشرين جمادى الاولى وهو عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس فلم يغطس احد منهم في البحر وقال في حوادث سنة خمس عشرة واربعمائة وفي ليلة الاربعا رابع ذي القعده كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس في شرا الفواكه والضان وغيره ونزل امير المومنين الظاهر لاعزاز دين الله لقصر جده العزيز بالله في مصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودي الا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر في الليل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولي الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وامر امير المومنين بان يوقد النار والمشاعل في الليل فكان وقيدا عظيما وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هناك طويلا الى ان غطسوا وقال ابن المامون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وذكر الغطاس ففرق في اهل الدولة ما جرت به العادة لاهل الرسوم من الاترج والنارنج والليمون في المراكب واطنان القصب والبوري بحسب الرسوم المقررة بالديوان لكل احد

الختان

يعمل في سادس بشنس ويزعمون ان المسيح ختن في هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد والقبط من دون النصارى تختتن بخلاف غيرهم ٥٥

الاربعون

وهو عندهم دخول المسيح الهيكل ويزعمون ان سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع امه وبارك عليه ويعمل في ثامن شهر امشير

خميس العهد ٥

ويعمل قبل الفصح بثلاثة ايام وسنتهم فيه ان يملوا اناء من ما ويزمزمون عليه ثم يغسل للتبرك به ارجل سائر النصارى ويزعمون ان المسيح فعل هذا بتلامذته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع ثم اخذ عليهم العهد الا يتفرقوا وان يتواضع بعضهم لبعض وعوام اهل مصر في وقتنا يقولون خميس العهد من اجل ان النصارى تطبخ فيه العدس المصفى ويقول اهل الشام خميس الارز
شهر من وخميس البيض ويقول اهل الاندلس خميس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان في الدولة الفاطمية تضرب في خميس العدس هذا خمسماية دينار فتعمل خراريب تفرق في اهل الدولة برسومهم مقررة كما ذكر في اخبار القصر من القاهرة عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وادركنا خميس العدس هذا بالقاهره ومصر واعمالها من جملة المواسم العظيمة فيباع في اسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة الوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد والصبيان والغوغا وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض الاحيان ويهادي النصارى بعضهم بعضا ويهدون الى المسلمين انواع السمك المنوع مع العدس المصفا والبيض وقد قل ذلك لما حل بالناس وبقيت منه بقية

سبت النور ٥

وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون ان النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم في هذا اليوم في كنيسة القيامة من القدس فتشتعل مصابيح الكنيسة كلها وقد وقف اهل الفحص والتفتيش على ان هذا من جملة مخاريق النصارى لصناعة يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم فيكون ثالث يوم من خميس العدس وتوابعه

حد الحدود ٥

وهو بعد الفصح بثمانية ايام فيعمل اول احد بعد الفطر لان الاحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الالات والاثاث واللباس وياخذون في المعاملات والامور الدنيوية والمعاش ٥

عيد التجلي

يعمل في ثالث عشر شهر مسرى يزعمون ان المسيح تجلى لتلاميذه بعد ما رفع وتمنوا عليه ان يحضر لهم ايليا وموسى عليهما السلام فاحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد الى السما وتركهم ٥

عيد الصليب ٥

ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر توت وهو من الاعياد المحدثه وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانا ام قسطنطين وله خبر طويل عندهم ملخصه ما انت تراه

ذكر قسطنطين ٥

وقسطنطين هذا هو ابن قسطنش ابن وليطنيوش بن ارشميوش بن دقيوس بن كلوديش بن غايش بن اكتبيان اغشت الاعظم الملقب قيصر وهو اول من بنت دين النصرانية وامر بقطع الاوثان وهدم هياكلها وبنيان البيع وامن من الملوك بالمسيح وكانت امه هيلانه من بلد بنيد

الرها فنشا بها مع امه وتعلم العلوم ولم يزل في غاية من السعاده والظفر مظفرا منصورا
على كل من حاربه وكان في اول امره على دين المجوس شديدا على النصارا اما مالديهم وكان سبب
رجوعه عن ذلك الى النصرانيه انه ابتلي بجذام ظهر عليه فاغتم لذلك غما شديدا وجمع الحذاق والاطبا
فاتفقوا على ادويه دبروها له واوجبوا ان يستنقع بعد اخذه لها لادويه في صهريج مملو من
دما اطفال رضع ساعة تسيل منهم فتقدم بجمع جملة عظيمة من اطفال الناس وامر بذبحهم في
صهريج ليستنقع في دماهم وهي طريه فجمعت الاطفال لذلك وبرز ليمضي فيهم ما تقدم به
من ذبحهم فسمع ضجيج النسا اللاتي اخذ اولادهن فرحمهن وامر فدفع الى كل واحدة ابنها
وقال احتمال علتي وبلاي واوجب من اهلاك هذه العده العظيمه من الصغار فانصرف النسا
باولادهن وقد سررن سرورا كثيرا فلما صار من الليل الى مضجعه راى في منامه
شيخا يقول له انك رحمت الاطفال وامهاتهم ورايت احتمال علتك اوجب من ذبحهم فقد رحمك
الله ووهبك السلامه من علتك فابعث الى رجل من اهل الايمان يدعى شلبشتر قد
فر خوفا منك وقف عند ما يامرك به والتزم ما يحضك عليه تتم لك العافيه فانتبه مذعورا
وبعث في طلب شلبشتر الاسقف فاتي به اليه وهو يظن انه يريد قتله لما عهد من غلظته
على النصارا وبغضه لدينهم فعندما راه تلقاه بالبر والكرامه وقص عليه ما راه في منامه فقص عليه دين
النصرانيه وكانت له معه اخبار طويله مذكورة عندهم فبعث قسطنطين في جمع
الاساقفه المنفيين والمستترين والتزم دين النصرانيه وشفاه الله من الجذام فابدا
الديانه واعلن بالايمان بدين المسيح وبينا هو في ذلك اذ بويع وثوب اهل
رومه عليه وايقاعهم به فخرج عنها وبنى مدينه قسطنطينيه بنيانا جليلا فعرفت
به وسكنها فصارت موضع تخت الملك من عهده وقد كان النصارا من لدن
زمان نيرون الملك الذي قتل الحواريين ومن بعده من ملوك رومه في كل وقت
يقتلون ويحبسون ويشردون بالنفي فلما سكن قسطنطين مدينه قسطنطينيه
جمع اليه نفسه اهل دين المسيح وقود وجوههم واذل عباد الاوثان فشق ذلك
على اهل رومه وخلعوا طاعته وقدموا عليهم ملكا فاهمه ذلك وجرت له معهم
عدة اخبار مذكورة في تاريخ رومه ثم انه خرج من قسطنطينيه يريد رومه وقد
استعدوا لحربه فلما قاربهم اذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها واقام الى ان
جمع لحربه الفرس وخرج اليهم فقهرهم ودانت له اكثر ممالك الدنيا فلما كان في
عشرين سنة من دولته خرجت القوط على بعض اطرافه فقام واخرجهم عن بلاده
وراى في منامه كان بنودا شبه الصليب قد رفعت وقايل يقول له ان اردت ان
تظفر عن خالفك فاجعل هذه العلامات على جميع بزك وشكلك فلما انتبه امر بتجهيز

امره هلانه الى بيت المقدس في طلب اثار المسيح عليه السلام وبنا الكنايس
واقامة شرايع النصرانيه فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنايس فيقال
ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبه التي زعموا ان المسيح صلب عليها وقد
قص عليها ما عمل به اليهود فخرت حيث دلها فاذا اقبر وثلاث خشبات على شكل
الصليب فزعموا انهم القوا الثلاث خشبات على ميت فاحده بعد واحده فقام حيا
عندما وضعت عليه خشبه منها فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب ٥
وكان في اليوم الرابع عشر من ايلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح
بثلثمائة وثمان وعشرين سنه وجعلت هيلانه للخشبه الصليب غلافا من ذهب وبنت
كنيسة القيامه ببيت المقدس على قبر المسيح بزعمهم وكانت لها مع اليهود اخبار
كثيره قد ذكرت عندهم ثم انصرفت بالصليب معها الى ابنها ولم يزل قسطنطين
على ممالك الروم الى ان مات بعد اربع وعشرين سنه من ولايته فقام من بعده ملكا
الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج
الناس فيه الى بني وايل بظاهر فسطاط مصر وبظاهر وفي ذلك اليوم بالمنكرات
من انواع الحرمات ويمرلهم فيه ما يتجاوز الحد فلما قدمت الدوله الفاطميه
الى ديار مصر وبنوا القاهره واستوطنوها وكانت خلافه امير المومنين العزيز
بالله امر في رابع شهر رجب سنة احدى وثمانين وثلثمائه وهو يوم عيد الصليب
فمنع الناس من الخروج الى بني وايل وضبط الطرق والدروب ثم لما كان عيد
الصليب في اليوم الرابع عشر من رجب سنه اثنتين وثمانين وثلثمائه خرج الناس
فيه الى بني وايل وجروا على عادتهم في الاجتماع واللهو وفي صفر سنه اثنين
واربعمائه قرى سجل بالجامع العتيق وفي الطرقات كتب عن الحاكم بامر الله
يشتمل على منع النصارا من الاجتماع على عمل عيد الصليب وان لا يظهروا بزينتهم فيه
ولا يقربوا كنايسهم وان يمنعوا منها النوروز هو اول السنه القبطيه بمصر
وهو اول يوم من توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراش بالما وكان من مواسم لهو
المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت النار في الليله التي القي ابراهيم في النار وفي
صبيحتها على الارض كلها فلم ينتفع بها احد في الدنيا تلك الليله وذلك الصباح فمن اجل
ذلك بات الناس على النار في تلك الليله التي رمي فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا
عليها وتبركوا بها وسموا تلك الليله نيروز والنير وفي اللسان السرياني العيد
وسيل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا فقال لانه اول السنه المستانفه
واخر السنه المنقطعه فكانوا يستحبون ان يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف

والهدايا فاتخذوا الاعاجم سنه قال الحافظ ابو القسم على بن عساكر في
تاريخ دمشق من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال ان فرعون لما قال للملا من قومه ان
هذا لساحر عليم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى يا موسى اجعل بيننا
وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت فتجتمع انت وهرون ونجمع السحرة فقال موسى
موعدكم يوم الزينة قال ووافق ذلك اليوم يوم السبت في اول يوم من السنة وهو
يوم النوروز وفي رواية ان السحرة قالوا لفرعون ايها الملك واعد الرجل فقال قد
واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الاكبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك
اليوم قال والنوروز اول سنة الفرس وهو الرابع عشر من ادار وفي شهر
برمهات ويقال اول من احدثه جمشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم
السبعة فلما كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا وسماه نوروز اى اليوم
الجديد وقيل ان سليمان بن داود عليه السلام اول من وضعه وهو اليوم الذى رجع
اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذى شفى فيه ايوب عليه السلام وقال له الله سبحانه
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فجعل ذلك اليوم عيدا وسنوا فيه رش الما
ويقال كان بالناس سبط من بنى اسرائيل اصابهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ
ملك العجم خبرهم فامر ان تبنا عليهم حظيره يجعلون فيها فلما صاروا فيها ماتوا فكانوا
اربعة الاف رجل ثم ان الله اوحى الى نبى بنى اسرائيل ذلك الزمان ارايت بلاد كذا وكذا
فحاربهم بسبط بنى فلان فقال يا رب كيف احاربهم وقد ماتوا فاوحى الله اليه
انى احييهم لك فامطرهم الله ليلة من الليالى في الحظيرة فاصبحوا احياء فهم الذين قال الله
فيهم الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا
ثم احياهم فوقع امرهم الى ملك فارس فقال تبركوا هذا اليوم وليصب بعضكم
على بعض الما وكان ذلك اليوم يوم النوروز فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفه
المامون عن رش الما في النوروز فقال قول الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من
ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم هولا قوم اجدبوا
فتقول مات فلان هزلا فغيثوا في هذا اليوم برشة من مطر فلما عاشوا واخصب
بلدهم فلما احياهم الله بالغيث والغيث يسمى الحيا جعلوا صب الما في مثل هذا اليوم
سنه يتبركون بها الى يومنا هذا وقال على بن حمزة الاصفهاني في كتاب اعياد الفرس
ان اول من اتخذ النوروز جمشيد ويقال فيه جمشاد احد ملوك الفرس الاول
ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعي كما ان
المهرجان اول الاعتدال الخريفي ويزعمون ان النوروز اقدم من المهرجان فيقولون

ان

ان المهرجان كان في ايام افريدون وانه اول من عمله لما قتل الضحاك وهو بيوراسب
فجعل يوم قتله عيدا سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النوروز بالفي سنة وعشرين سنة
وقال ابن وصيف شاه في ذكر منافيوش بن منقاوش احد ملوك القبط في الدهر القديم
وهو اول من عمل النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة ايام ياكلون ويشربون اكراما
للكواكب وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو السبب الاعظم في عمارة ارض مصر راى
المصريون القدم وخاصة الذين كانوا عهد دقلديانوس الملك ان يجعلوا اول السنة
في اول الخريف عند استكمال النيل الحاجة في الامر الاكثر فجعلوا اول شهورهم توت
ثم بابه ثم هتور وعلى هذا الولا بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور وقال
ابن زولاق وفي هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلثمايه منع امير المومنين المعز
لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ومن صب الما يوم النوروز
وقال في سنة اربع وستين وفي يوم النوروز زاد اللعب بالما ووقود النيران وطاف
اهل الاسواق وعملوا فيله وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة ايام واظهروا
السماجات والخلبة في الاسواق ثم امر المعز بالنداء بالكف وان لا توقد نار ولا يصب
ما واخذ قوم فحبسوا واخذ قوم فطيف بهم على الجمال وقال ابن المامون في تاريخه وحل
موسم النوروز في اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمايه ووصلت الكسوة
المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما يبتاع من اللاذات المذهبة والحريري
والسوادج واطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين
والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسما اربابها
واصناف النوروز البطيخ والرمان وعناقيد الموز وافراد البسر واقفاص التمر
القوصى واقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضان
ومن لحم البقر من كل لون بكله مع خبز مارق قال واحضر كاتب الدفتر
الاثباتات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها
في يوم النوروز وعين لكل من جميع الاصناف وهو اربعة الاف دينار ذهبا وخمسة
عشر الف درهم فالكسوات عدة كثيرة من شقق دبيقى مذهبات وحريريات ومعاجر
وعصايب نسائيات ملونات وشقق لاذ مذهب وحريري ومشفع ومقطع دبيقى
حريري فاما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عن حوزة القصور ودار
الوزارة والشيوخ واصحاب الحواشي والمستخدمين ورؤسا العشاريات
وبحاريها ولم يكن لاحد من الامرا على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب واما
الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل والعناب والهرايس

على اختلافهم فيشتمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه جميع الامرا ارباب الاقطاعات
والانصاب وغيرهم من الاماثل والاعيان بمنازلهم وذويهم في الدوله وقال القاضي
الفاضل في متجددات سنه اربع وثمانين وخمسمايه يوم الثلثا رابع عشر رجب يوم
النوروز القبطي وهو مستهل توت وتوت اول سنتهم وقد كان في الايام
الماضيه والدولة الخاليه من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات
ظاهره فيه والفواحش صريحة في يومه ويركب فيه امير موسوم بامير النوروز ومعه
جمع كبير ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبه ويرسم على دور الاكابر بالجمل الكبار
ويكتب مناشير ويندب مترسمين كل ذلك يخرج مخرج الطنز ويقنع بالميسور من
الهبات ويجتمع المونثون والفاسقات تحت قصر اللولوة بحيث يشاهدهم الخليفه
وبايديهم الملاهي وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات
ويتراش الناس بالما وبالما والخمر وبالما ممزوجا بالاقذار وان غلط مستور وخرج من داره
لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما فدى نفسه واما فضح ولم يجر الحال
على هذا ولكن قد رش الما في الحارات واحيا المنكر في الدور ارباب الخسارات
وقال في متجددات سنه اثنتين وتسعين وخمسمايه وجرى الامر في النوروز على
العادة من رش الما واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع
وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به في الطريق رش بميا نجسه وخرق به وما
زال ذلك اليوم وهو يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالما والتصافع بالجلود
وغيرها الى ان كانت اعوام بضع وثمانين وسبعمايه وامر الدولة بديار مصر وتدبيرها
الى الامير الكبير برقوق قبل ان يجلس على سرير الملك ويتسمى بالسلطان فمنع من لعب
النوروز وتهدد من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب في القاهره وصاروا
يعملون شيا من ذلك في الخلجان والبرك ونحوها من مواضع النزه بعد ما كانت
اسواق القاهره تتعطل في يوم النوروز من البيع والشرا ويتعاطى الناس فيه
من اللهو واللعب ما يخرجون به عن حد الحيا والحشمة الى الغاية من الفجور والعهر
وقل ما انقضى يوم نوروز الا وقتل فيه قتيل او اكثر ولم يبق الان للناس من الفراغ ما
يقتضي ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب لهم عمله وما احسن قول بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكني ... وكلما فيه يحكيني واحكيه
فتارة كلهيب النار في كبدي ... وتارة كتوالي دمعي فيه

وقال اخر

نورز الناس ونورزت ولكن بدموعي

وذكت

وذكت نارهم والتظت ونار ما بين ضلوعي

وقال اخر

ولما اتى النوروز يا غاية المنى ... وانت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشا ... فنورزت صبحا بالدموع على الخد

ساقط من سطر الاصل

ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطيه من الاعمال في الزراعات وزياده النيل وغير ذلك على ما نقله اهل مصر عن قدمايهم واعتمدوا عليه في امورهم

اعلم ان المصريين القدما اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسيه كما تقدم
ذكره ليصير الزمان محفوظا واعمالهم واقعه في اوقات معلومه من كل سنه لا تتغير
وقت عمل من اعمالهم عن معتاده ولا تتاخر وابتدا السنة توت وهو بالقبط هو ايلول وكانت
عادة مصر منذ عهد فراعنتها استخراج خراجها وجباية اموالها انه لا يستقر
استيفا الخراج من اهلها الا عند تمام الما وانتشاره على سائر ارضها ويقع انتهاوه
في شهر توت فاذا كان ذلك وربما كانت زياده على ذلك اطلق الما في جميع نواحيها
من ترعها ثم لا يزال يترجح في الزياده والنقصان في بقيه توت وفي اوله يكون
يوم النوروز ابتدا ولد الملوك وسابعه يلقط الزيتون وثاني عشره يطلع النجم الغفر
وسابع عشره عيد الصليب فيشرط البلسان ويستخرج دهنه ويغلق ما تاخر من
الانحر والتراع وترتب المداسيه لحفظ الجسور وثامن عشره ينتقل الشمس
برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفي خامس عشر منه يطلع الفجر بالعوا ويكثر
صغار السمك وفي هذا الشهر يعم ما النيل اراضي مصر وفيه تسجل النواحي وتستخرج
السجلات والقوانين وتطلق التقاوي من الغلال لتخضير الاراضي وفيه يدرك
الرمان والبسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح
الشمال اقوى من هبوب الجنوب وهبوب الصبا اقوى من الدبور وكان قدما

المصريين لا يتصيبون فيه اساسا وفيه يكثر عصر العنب الشتوي وتبذر المحمصات
بابه في اوله يحصد الارز وتزرع الفول والبرسيم وساير الحبوب التي
لا تشق لها الارض وفي سابعه اول تشرين الاول وفي ثامنه طلوع النجم بالسماك
وهو نهاية زيادة النيل وابتدا نقصه وقد لا يتم الماء فيبقى بعض الارض فيرى ان تركبها الما
فيكون من ذلك نقص الخراج عن الحال وفي تاسعه يكون نجي الكراكي الى ارض مصر وفي
عاشره يزرع الكتان وفي ثاني عشره يكون ابتدا شق الاراضي بصعيد مصر لبذر القمح والشعير و
في ثامن عشره ينتقل الشمس الى برج العقرب ويقطع القصب وفي تاسع عشره يكون
ابتدا نقص ما النيل ويكثر البعوض وفي حادي عشرينه يطلع النجم بالغفر وفي هذا
الشهر تصرف المياه عن الاراضي ويخرج المزارعون لتخضير الاراضي فيبدون بذر
زراعة القرطم بزراعة الغلة البدرية اولا فاولا وفيه يستخرج دهن الاس ودهن
النيلوفر ويدرك التمر والزبيب والسمسم والقلقاس وفيه يكثر صغار السمك ويقل كبار
وسمن الراي والابرميس من السمك خاصة ويستحكم حلاوة الرمان ويكون فيه اطيب
منه في ساير الشهور التي يكون فيها ويضع الضان والمعز والبقر الخيسية وفيه يملح
السمك المعروف بالبوري ويهزل الضان والمعز والبقر ولا تطيب لحومها ويدرك
المحمضات وفيه يغرس المنثور ويزرع الشلجم **هاتور** في خامسه
يكون اول تشرين الثاني ويطلع النجم بالزبانا في رابعه وفي سادسه تزرع الحنطة
وفي سابعه ينصرف ما النيل عن اراضي الكتان ويبذر في المنصف منه وبعد تمام شهر
يسيح وفي ثامنه اوان المطر الوسمي وفي حادي عشره تهب ريح الجنوب وفي خامس
عشره تحل الشمس برج القوس وفي تاسع عشره يغلق البحر الملح وفي سابع عشرينه
تهب الرياح اللواقح وفي هذا الشهر يلبس اهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكشف
ما يحتاج اليه من قصب السكر برسم المعاصر وتراح العلبة جميع ما يحتاج اليه فيها
ويهتم بعلف ابقارها وجمالها بعد بيع شارفها وعاجزها والتعويض عنه بغيره
واولاد الاتبان برسم وقود العقود وترتيب القرامصة لعمل الابالج والقواديس
والامطار برسم العقود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والنيلوفر والمنثور ومن
البقولات الاسفاناخ واللبسان واختار قدما المصريين في هتور نصب الاساسات
وزرع القمح واطيب حملان السنة حمله وفيه يكثر العنب الذي كان يحمل من قوص ٥
كيهك اوله اول الاربعينيات بمصر ويدخل الطير اوكارها وفي سادسه
بشارة مريم بحمل المسيح عليهما السلام وفي سابعه اول كانون الاول وفي عاشره اخر
الليالي البلق واولها اول هتور وفي حادي عشره اول الليالي السود ويدخل النمل

القرط ثم

الاحجر

الاحجر وفي ثالث عشره يطلع النجم بالشوله ويظهر البراغيث ويسخن باطن الارض
وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر وفي سابع عشره تنتقل الشمس الى برج الجدي ويدخل
فصل الشتا ويزرع الليمون وفي حادي عشرينه يكون اخر الليالي البلق وفي ثاني
عشرينه عيد البشارة وفي ثالث عشرينه تزرع الحلبة والترمس وفي سادس عشرينه
النجم بالنعايم وفي ثامن عشرينه يبيض النعام وفي تاسع عشرينه الميلاد وفي هذا
الشهر يزرع الخيار بعد عزاق ارضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثي
وفيه يستخرج خراج البرسيم ببلاد الوجه وفيه ترتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر
واعتصاده واستخدام الطباخين لطبخ العقود وفيه يكون ادراك النرجس والمحمضات
والفول الاخضر والكرنب والجزر والكراث الابيض واللفت وفيه نقل هبوب
الريح الشمال ويكثر ريح هبوب الجنوب وفيه يجود الجدا ويكون اطيب منها في جميع
الشهور التي يكون فيها وفيه يزرع اكثر حبوب الحرث ولا يزرع بعده في شي ارض مصر
غير السمسم والمقاثي والقطن ٥ **طوبه** في ثالثه ابتدا زراعة الحمص والجلبان
والعدس وفي سادسه كانون الثاني وفي تاسعه يطلع النجم بالبلده وعاشره صوم الغطاس
وحادي عشره الغطاس وثاني عشره يشتد البرد ورابع عشره يرتفع الوبا بمصر
ويغرس النخل وفي سابع عشره تحل الشمس اول برج الدلو ويكثر الندا ويكون ابتدا غرس
الاشجار والعشرين منه يكون اخر الليالي السود وحادي عشرينه الليالي البلق الثانية
وفي ثاني عشرينه يطلع النجم بسعد الذابح وفي ثالث عشرينه تهب الرياح الباردة ورابع
عشرينه تفرخ جوارح الطير وفي خامس عشرينه يكون نتاج الابل الجيد وسابع عشرينه
يصفو ما النيل وفي ثامن عشرينه تتكامل ادراك القرط وفي هذا الشهر تقلع الكروم
وتنظف زروع الغلة من اللبسان وغيره وتنظف زرع الكتان من النجيل وغيره وفيه
تحرث الاراضي اول سكة برسم الصيافي والمقاثي والقطن والسمسم وتثنى برشها
في اول امشير وفيه تسقي ارض القلقاس والقصب وتشق الجسور في اخره وفيه
تستخرج اراضي الجزائر ويكسر القصب الراس بعدا وادما يحتاج اليه من الزريعة
وهو لكل فدان طين قيراط طيب قصب راس وفيه يهتم بعمارة السواقي وحفر الابار
وابتياع الابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والليمون وفيه ايضا يكون
هبوب ريح الجنوب اكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا اكثر من هبوب
الدبور وفيه يكون الباقلا الاخضر والجزر اطيب منها في غيره وفيه يشرب
ما النيل من صفايه ويخزن فلا يتغير في اوانيه ولو طال لبثه بها وفيه يطيب لحوم
الضان اطيب منها في ساير الشهور وفيه تربط الخيول والبغال على القرط زاجل

الناس بما صالح الخراج ومحلها المعاملين على
الثلثين من السجلات من جملة ما لهم
منها الحلو والمعقود

ربيعها وبطونه يطالب امشير في اوله تختلف الرياح وفي خامسه يطلع الفجر
بسعد بلع وفي سادسه يكون اول شباط وفي تاسعه يجري الما في العود وحادي
عشره اول جمره بارده وسادس عشره تحل الشمس باول برج الحوت وفي سابع عشره
يخرج النمل من الاجحره وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود والعشرين منه ثاني جمره
فاتره وثالث عشرينه تعلم الكروم وخامس عشرينه يفرخ النحل وسابع عشرينه ثالث
جمره حاميه ويورق الشجر وهو اخر غرسها وفي اخره يكون اخر الليالي البلق وفي هذا
الشهر يقلع الشلجم ويستخرج خراجه وفيه تثني برش الصافي وبرش ايضا ثالث
سكه وفيه تعمل مقاطع الجسور وتمسح الاراضي ويرقد البيض في المعامل اربعة اشهر
اخرها بشنس وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه ينبغي ان يعمل سائر
الخزف الذي يعمل فيه طول السنه فان ما عمل فيه من اواني الخزف يبرد الما في الصيف اكثر
من تبريد ما يعمل في غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس الشجر وتقليم الكروم وفيه
يدرك النبق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنثور ويقال امشير يقول للزرع
سير ويلحق الطويل القصير وفيه يقل البرد ويهب الهوا الذي فيه سخونه ما وفي
امشير يوخذ الناس فيه باتمام ربع الخراج من السجلات برمهات اول يوم
منه يطلع الفجر بالاخبيه وفي خامسه يخص دود القز وسادسه يزرع السمسم
وثامن عشره يقلع الكتان ورابع عشره يكون اول الاعجاز ويطلع الفجر بالفرغ المقدم
وفي سادس عشره تفتح الحيات اعينها وفي سابع عشره تنتقل الشمس الى برج الحمل وهو
اول فصل الربيع وراس سنة الجند وراس سنة العالم وفي العشرين منه يكون اخر
الاعجاز وثاني عشرينه نتاج الخيل المحمود وثالث عشرينه يظهر الذباب الازرق
وخامس عشرينه تظهر هوام الارض وسابع عشرينه يطلع الفجر بالفرغ الموخر وفي اخره
تتفرق السحاب وفي هذا الشهر تجري المراكب السفريه في البحر الملح الى ديار مصر والمغرب
والروم ويهتم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط وتنيس ورشيد
وفيه كانت تجهز الاساطيل ومراكب الشواني لحفظ الثغور وفيه يزرع المقاثي
والصيفي ويدرك الفول والعدس ويقلع الكتان ويزرع اقصاب السكر في الارض
المبروشه المختاره لذلك البعيده العهد عن الزراعه وياخذ المقشرون في تنظيف
الارض المزروعة من القش في وقت الزراعة وياخذ القطاعون في قطع الزريعه
وياخذ المزارعون في ري القطع القصب وفيه يوخذ في تحصيل النطرون وحمله
من وادي هبيب الى الشونه السلطانيه وفيه تكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا
وفيه يزهر الاشجار وينعقد اكثر ثمارها وفيه يكون اللبن الرائب اطيب منه في

جميع

جميع الشهور التي يعمل فيها وفي برمهات يطالب الناس بالربع الثاني والثمن من الخراج
برموده في سادسه اول نيسان وفي عاشره يطلع الفجر بالرشا وفي ثاني
عشره يقلع الفجل وفي سابع عشره تحل الشمس اول برج الثور وفي ثالث عشرينه يطلع
الفجر بالشرطين وهو راس الحمل واول منازل القمر وفيه ابتدا اكسار الفول وحصاد
القمح وهو ختام الزرع وفي هذا الشهر يهتم بقطع الخشب السنط من الحراج الذي كان
بمصر في القديم ايام الدولة الفاطميه والايوبيه ويجر الى السواحل ليتيسر حمله في زمن النيل
الى ساحل مصر ليعمل شواني واحطاب برسم الوقود في المطابخ السلطانيه وفيه يكثر
الورد ويدرك الخيارشنبر والملوخيه والباذنجان وفيه يقطف اوايل عسل النحل
وينفض جوز الكتان واحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطن الاول
من الجميز وفيه يقع المساحه على اهل الاعمال ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج عن
سجلاتهم ويحصد باقي الزرع بشنس في خامسه يكثر الفاكهه وسادسه اول
ايار وفيه يطلع الفجر بالبطين وثامنه عيد الشهيد وتاسعه انفتاح البحر الملح ورابع عشره
يزرع الارز وثامن عشره تحل الشمس اول برج الجوزا وفيه يطيب الحصاد وفي تاسع عشره
يطلع الفجر بالثريا وفيه زراعة الارز والسمسم ورابع عشرينه يكون عيد البلسان بالمطرية
ويزعمون انه اليوم الذي دخلت فيه مريم الى مصر وفي هذا الشهر يكون دراس الغله
وهدار الكتان ونفض البزر والنقاوي والاتبان وحملها وفيه زراعة البلسان وتعليمه
وسقيه وتكريم اراضيه من بؤونه الى اخر هتور واستخراج دهنه بعد شرطه في نصف توت
وان كان في اوله فهو اصلح والى اخر هتور وصلاح ايامه ايام الندا ويقيم في الندا سنه كامله الى ان
يشرب اعكاره وساخه ويطبخ الدهن في الفصل الربيعي في شهر برمهات فيعمل لكل رطل بصري
اربعة واربعون رطلا ربما يحصل منه قدر عشرين درهما وما حولها من الدهن وفي هذا
الشهر اكثر ما يهب من الرياح الشمال وفيه يدرك التفاح القاسمي ويبتدي فيه التفاح
المسكي والبطيخ العبدلي ويقال انه اول ما عرف بمصر عندما قدم اليها عبدالله بن طاهر
بعد المايتين من سني الهجره فنسب اليه وقيل له العبدلي وفيه ايضا يبتدي البطيخ الحوي والمشمش
والخوخ الزهري ويجي الورد الابيض وفيه تقرر المساحه ويطالب الناس بما تعين في المساحه
من ابواب وجوه المال كالتصرف والجهبذة وحق المراعي والقرظ والكتان على رسوم كل ناحيه
ويستخرج فيه اتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحه ويطلق الحصاد لجميع الناس ۝
بؤونه في ثانيه يطلع الفجر بالدبران وفي خامسه تتنفس النيل وفي سابعه اوان
قطع النحل وفي حادي عشره تهب رياح السموم وفي ثاني عشره عيد ميكائيل فيوخذ قاع النيل
وفي ثالث عشره يشتد الحر وفي خامس عشره يطلع الفجر بالهقعة وفي عشرينه تحل الشمس اول

برج السرطان وهو اول فصل الصيف وفي سابع عشرينه ينادى على النيل بما زاده من
الاصابع وفي ثامن عشرينه تطلع النجم بالهنعة وفي هذا الشهر تسفر المراكب لاحضار
الغلال والتبن والقنود والاعسال وغير ذلك من الاعمال القوصية ونواحي الوجه
البحري وفيه يقطف عسل النحل ويخرص الكروم وتستخرج زكاتها وفيه يبدا الكتان
ويقلب اربعا وجه في بونه وابيب وفيه زراعة النيلة بالصعيد الاعلا وتحصد
بعدماية يوم ثم تترك وتحصد في كل ماية يوم حصدة وتحصل من اول كهك وطوبه
وامشير وبرمهات وتطلع في برموده وتحصد في عشرة ايام من ابيب وتقيم في الارض
الجيدة ثلاث سنين وتسقى كل عشرة ايام دفعتين وثاني سنه ثلاثه وثالث سنه
اربع دفعات وفي هذا الشهر يكثر التين الفيومى والخوخ الزهرى والكمثرى والقراصيا
والقثا والبلح والحصرم ويبتدى ادراك العصفر وفيه يدخل بعض العنب ويطيب
التوت الاسود وتقطف جمهور العسل ويكون رباحه قليله والتين يكون فيه اطيب منه في
ساير الشهور وفيه يطلع النخل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما يقع بعد المساحه
ابيب في سابع اول تموز وفي عاسره اخر قطع الخشب وفي حادى عشره
يطلع النجم بالذراع وثاني عشره ابتدا تعطين الكتان وفي خامس عشره يقل ماء الابار
وتدرك الفواكه وتموت الدود وفي حادى عشرينه تحل الشمس باول برج الاسد ويذهب
البراغيث وتبرد باطن الارض وتهيج اوجاع العين وفي خامس عشرينه يطلع النجم بالنثره
وفي سادس عشرينه يطلع الشعرى العبور اليمانيه وفي هذا الشهر اكثر ما يهب من
الرياح الشمال ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المقر وتجى العنب وتتغير
البطيخ العبدلي ويقل حلاوته ويكثر الكمثرى السكرى ويطيب البلح وفيه تقطف بقايا
عسل النحل وتقوى زيادة ماء النيل فيقال في ابيب يدب الماء دبيب وفيه يدبغ الكتان
في المبلات ويبتاع البرسيم والبزر برسم زراعة القرط والكتان وفيه يدرك ثمره العنب
ويحصل القرطم وفيه يقسم ثلاثه ارباع الخراج مسرى في سابعه يطلع النجم بالطرف وفي
ثامنه اول آب وفي حادى عشره يجمع القطن وفي رابع عشره يجى الماء ولا يبرد وفي سابع
عشره استكمال الثمار وفي عشرينه يطلع النجم بالجبهة وفي حادى عشرينه تحل الشمس برج
السنبلة وفي ثالث عشرينه يتغير طعم الفاكهة لغلبة ماء النيل على الارض وخامس عشرينه
يكون اخر السموم وفي تاسع عشرينه تطلع سهيل بمصر وفي هذا الشهر يكون وفاء النيل
ستة عشر ذراعا في غالب السنين حتى قيل ان لم يوف النيل في مسرى فانتظره في السنه
الاخرى وفيه يفتح ماء النيل في خليج الاسكندريه وتسافر فيه المراكب بالغلال والبهار
والسكر وساير اصناف المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يخرصون النخل ويستخرجون

زكاه

بحري

زكاة الثمار وفي هذا الشهر عندما كانت الزكوات تجبيها السلطان من الرعيه واكثر ما
يهب في هذا الشهر ريح الشمال وفيه يعصر قبط مصر الخمر ويعمل الخل من العنب وفيه
يدرك الموز واطيب ما يكون الموز بمصر في هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحي
وكان من جملة اصناف الليمون بارض مصر ليمون يقال له التفاحي يوكل بغير سكر
لقلة حمضه ولذة طعمه وفيه يلون ابتدا ادراك الرمان واذا انقضت ايام مسرى ابتدا
ايام النسى فيها ولها ابتدا هيج النعام وفي رابعها يطلع النجم بالخرثان وفي مسرى
تغلق الفلاحون خراج اراضي زراعاتهم وكانوا يوخرون البقايا على دق الكتان في مسرى
وابيب لان الكتان يبل في توت ويدق في بابه

ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنه الهلاليه العربيه وكيف عمل ذلك في الملة الاسلامية

قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسيه والسنة القمرية وما
للامم في كبس السنين من الاراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تحرز المسلمون من كبس السنين
خشية الوقوع في النسى الذى قال الله سبحانه فيه انما النسى زيادة في الكفر يضل به
الذين كفروا ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية في السنين الشمسية اسقطوا عند راس كل
اثنتين وثلثين سنه قمريه سنه وسموا ذلك الازدلاف لان كل ثلاث وثلثين سنه قمريه
اثنان وثلاثون سنه شمسيه بالتقريب وسانقل اليك من بيان ذلك ما اورده مجموعا
قال ابو الحسن عبد الله بن احمد بن ابى طاهر في كتاب اخبار امير المومنين المعتضد بالله
ابى العباس احمد بن ابى احمد طلحة الموفق بن المتوكل ومنه نقلت وخرج امر المعتضد في
المحرم سنة احدى وثمانين وماتين بتصيير النوروز لاحدى عشرة ليلة خلت من حزيران
رافة بالرعية وايثارا للارفاق بها وقالوا اخرج التوقيع في المحرم سنه اثنتين وثمانين وماتين
بانشا الكتب الى جميع العمال في النواحي والامصار بترك افتتاح الخراج في النوروز
الذى يقع يوم الجمعه لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر وان يجعل ما يفتتح من خراج
سنه اثنتين وثمانين وماتين يوم الاربعا لثلث عشرة ليلة تخلوا من شهر ربيع الاخر
من هذه السنه وهو اليوم الحادى عشر من حزيران ويسمى هذا النوروز المعتضدى
ترفيها لاهل الخراج ونظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج في تصيير افتتاح الخراج في حزيران
اما بعد فان الله خول امير المومنين المحل الذى احله به من امور عباده وبلاده
يرى ان من حق الله عليه الا يكلفها مسئلة العدل عليها والانصاف لها والسيرة القاصدة
فان ينوي لها اصلاح امورها ويستقري السير والمعاملات التي كانت تعامل بها
ويقر منها ما اوجب الحق اقراره ويزيل ما وجب ازالته غير مستكثر لها كثير ما
يسقطه العدل ولا يستقل لها قليل ما يلزمه اياها الجور وقد وفق الله امير المومنين

ربيع

لما يرجوان يكون لحق الله فيه قاضيا ولنصيبه من العدل موازيا و بالله يستعين
امير المومنين على حفظ ما استرعاه منها وحياطة ما قلده من امورها وهو حسبه وموفقه
ومعينه وان ابا القسم عبيد الله رفع الى امير المومنين فيما امر امير المومنين به من
رد النوروز الذى يفتتح فيه الخراج بالعراق والمشرق وما يتصل بها ويجرى مجراها
من الوقت الذى صار فيه من الزمان الى الوقت الذى كان عليه متقدما مع ما امر به
فى مستقبل السنين من الكبس حتى يصير العدل لعامة في الزمان كله باقيا على غابر الدهر
ومر الايام مؤامرة امر امير المومنين بنسخها لك فى اخر كتابه هذا وقع به فيها التمثيله
فاعمل ذلك ان شا الله والسلام عليك ورحمة الله وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة
خلت من ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومايتين ٥ نسخة المؤامرة ٥ انهيت
الى امير المومنين ان مما انعم الله به على رعيته ورزقها اياه من رافته وحسن نظره
واقامته عليها من عدله وانصافه ورفعه عنها فى خلافته من الظلم الشامل ما كان للاقصى
والادنى والصغير والكبير والملى والذى سواما جرت به من نقل كتب الخراج عن السنة التى
كان ينسب اليها من سنى الهجرة الى السنة التى فيها تدرك الغلات وتستخرج الاموال
ذلك ما كان بعض اهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على
اهله ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة واعناتهم بذكر سنة من السنتين اللتين ينسب
بالخراج احداهما وتدرك الغلات ويقع الاستخراج فى اخرى منهما فى حساب شهور الفرس
التى عليها يجرى العمل فى الخراج بالسواد وما يليه والاهواز وفارس والجبل وما يتصل
به من جميع نواحى المشرق وما يضاف اليه اذ كان عمل الشام والجزيره والموصل يجرى على
حساب شهور الروم الواقعه للازمنة فليست تختلف وقتا مع الكبيسة المستعمله
فيها والعمل فى خراج مصر وما والاها على شهور القبط الموافقة لشهور الروم وكانت
من شهور الفرس قد خالفت مواقعها من الزمان بما ترك من الكبس منذ زال الله
ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم فصار النوروز الذى كان يفتتح الخراج فيه بالعراق والمشرق
قد تقدم فى ترك الكبس شهرين وصار بينه وبين ادراك الغلة فامر امير المومنين اجل
الله عليه رايه فى التوصل الى كل ما عاد بصلاح رعيته وحسم للاسباب المودية الى اعناتها
بتاخير النوروز الذى يقع فى شهور سنة اثنتين وثمانين ومايتين من سنى الهجرة عن الوقت
الذى يقع فيه ايام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخلو من صفر مثل عدة
ايام الشهرين من شهور الفرس التى ترك كبسها وهى ستون يوما حتى يكون نوروز السنة
واقعا يوم الاربعا لثلاث عشرة ليلة تخلوا من شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وثمانين
ومايتين وهو الحادى عشر من حزيران وهو يتصل بها ويجرى مجراها وينسب

ويضاف

ويضاف اليها وساير اعمالهم ربما يعمله اصحاب الحساب من المقومات وجميع
الاعمال وما تعده الفرس من شهورهم الى شهور الكبيسة الاول والاخر ثم يكبس
بعد ذلك فى كل اربع سنين من سنى الفرس ولا يقع تفاوت بينها وبينها على مرور
الايام وليكن ابدا واقعا فى حزيران وغير خارج منه وان بلغ ذكر سنة من كل اربع
سنين تنسب الى الخراج بالعراق وفى الشرق والغرب وساير النواحى والافاق
اذ كان مقدار سنى ايام الهجرة والسنة الجامعة للازمنة التى تتكامل فيها الغلات
وان يخرج التوقيع بذلك لتنشا الكتب به من ديوان الرسايل الى ولاة المعاون والاحكام
ويقرا على المنابر ويحمل اصحاب المعاون الرعية عليه ويأخذها بامتثال ما امر امير
المومنين منه وتثبته الحكام فى ديوان حكمهم لتمثيل الضمنا والمقاطعون ذلك على حسب
واستطلع راى امير المومنين فى ذلك فراى امير المومنين فى ذلك موفقا ان شا الله وكانت
نسخة التوقيع ينفذ ذلك ان شا الله وكتب فى شهر ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومايتين
قالت وكان السبب فى نقل الخراج الى حزيران فى ايام المعتضد ما حدثنى به ابو احمد
يحيى بن على بن يحيى المنجم النديم قال كنت احدث امير المومنين المعتضد فذكرت خبر
المتوكل فى تاخير النوروز فاستحسنه وقال لى كيف كان ذلك قلت حدثنى ابى قال دخل
المتوكل قبل تاخيره الى كانت له فى بدى وهو متوكى على يحادثنى وينظر الى ما احدث فى
ذلك البستان فمر بزرع فراه اخضر فقال يا على ان الزرع اخضر بعد ما ادرك وقد استامر
عبيد الله بن يحيى فى استفتاح الخراج فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج فى النوروز والزرع
لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجرى الامر اليوم على ما كان يجرى عليه فى ايام الفرس
ولا النوروز فى هذه الايام فى وقته الذى كان فى ايامها قال وكيف ذاك فقلت لانها
كانت تكبس فى كل ماية وعشرين سنة شهرا وكان النوروز اذا تقدم شهرا فصار فى
خمس من حزيران كبست ذلك الشهر فصار فى خمس من ايار واسقطت شهرا ورددته
الى خمس من حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله القسرى
وحضر الوقت الذى يكبس فيه الفرس منعهم من ذلك وقال هذا من النسى الذى
نهى الله عنه فقال انما النسى زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا وانا لا اطلقه حتى استامر
فيه امير المومنين فبذلوا على ذلك مالا جليلا فامتنع عليهم من قبوله وكتب الى هشام
ابن عبد الملك يعرفه ذلك ويستامره ويعلمه انه من النسى الذى نهى عنه فامر بمنعهم
من ذلك فلما امتنعوا من الكبس تقدم النوروز تقدما شديدا حتى صار يقع فى
نيسان والزرع اخضر فقال له المتوكل فاعمل لهذا يا على عملا ترد النوروز فيه الى وقته
الذى كان يقع فيه فى ايام الفرس وعرف ذلك عبيد الله بن يحيى واد اليه رسالة منى فى

النوروز بعض ما للنه الخامسة

ان يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى ابى الحسن عبيد الله بن يحيى وعرفته بما جرى بينى وبين المتوكل واديت اليه رسالته فقال لى يا با الحسن قد والله فرجت على الناس وعملت عملا كبيرا يعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المومنين اجرا وشكرا فاحسن الله جزاك فمثلك يحيا لسنن الخلفا واحب ان يتقدم بالعمل الذى امر به المتوكل وتنفذه اليه حتى اجرى الامر عليه واتقدم فى كتب الكتب باستفتاح الخراج قال فرجعت وحررت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم فى ايام الفرس اكثر من شهر يتقدم من خمس يخلوا من حزيران فيصير خمسة ايام يخلوا من ايار فتكبس سنتها فيرد ميلا خمسة ايام من حزيران وانفذته الى عبيد الله بن يحيى فامران يستفتح الخراج فى خمس من حزيران ويتقدم الى ابراهيم بن العباس فى ان ينشى كتابا عن امير المومنين فى ذلك ينفذ نسخته الى النواح فعمل ابراهيم بن العباس كتابه المشهور فى ايدى الناس قال ابن احمد فقال لى المعتضد يا يحيى هذا والله فعل حسن وسبيل ان نعمل به فقلت ما احدا ولى بفعل الحسن واحيا السنن من سيدنا امير المومنين لما جمع الله فيه من المحاسن ووهبه له من الفضايل فدعا بعبيد الله بن سليمن وقال له اسمع من يحيى ما يخبرك به وامض الامر فى استفتاح الخراج عليه قال فصرت الى عبيد الله بن سليمن فى الديوان وعرفته الخبر فاحب تاخيره عن ذلك ليلا يجرى الامر الجرى الاول بعينه فجعله فى احد عشر من حزيران واستامر المعتضد فى ذلك فامضاه فعمل فى ذلك شعرا انشدنه المعتضد فى هذا المعنى

يوم نوروزك يوم واحد لا يتاخر

من حزيران يوافى ابدا فى احد عشر

قال واخبرنى بعض مشايخ الكتاب قال كانت الخلفا توخر النوروز عن وقته عشرين يوما واقل واكثر ليكون ذلك سببا لتاخير افتتاح الخراج على اهله فاما المهرجان فلم يكن يوخره عن وقته يوما واحدا فكان اول من قدمه عن وقته بيوم المعتمد بمدينة السلام فى سنة خمس وستين ومايتين وامر المعتضد بتاخير النوروز عن وقته ستين يوما وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب الاثار الباقية عن القرون الخالية وسنه نقلت معنى ما ذكر ابن الحطا هو زاد ونفذت الكتب الى الافاق يعنى عن المتوكل فى محرم سنه ثلاث واربعين ومايتين وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبر واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل فى تاخير النوروز غير انه نظر فاذا المتوكل اخذ ما بين سنيه وبين اول تاريخ ملك يزدجرد فاخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التى زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد

ظنا ان اهمالهم امر الكبيس من ذلك الوقت فوجده مايتى سنه وثلاث واربعين سنة وحصتها من الارباع ستون يوما وكسر فزاد ذلك على النوروز فى سنته وجعل منتهى تلك الايام وهو من خرداذماه فى تلك السنة وكان يوم الاربعا ويوافقه اليوم الحادى عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكبس شهوره اذا كبست الروم شهورها وقال القاضى السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين ابو الحسن على القاضى المومن ثقة الدولة ابى عمرو عثمن بن يوسف المخزومى فى كتاب المنهاج فى علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون اداء الخراج عند ادراك الغلات من كل سنه ووافقتها السنة القبطية لان ايام شهورها ثلثماية وستون يوما وتتبعها خمسة ايام النسى وربع يوم تنقضى مسرى وفى كل اربع سنين تكون ايام النسى سنه ايام لينجبر الكسر ويسمون تلك السنة كبيسة وفى كل ثلاث وثلاثين سنه تسقط سنه فتحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسيه والسنين الهلالية لان السنة الشمسية ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنه الهلالية ثلثماية واربعة وخمسون يوما وكسر ولما كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذى يطابق احدى السنين الاخرى وقد قال ابو الحسن على بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية اموال الخراج فى سنين قبل سنه احدى واربعين ومايتين من خلافة امير المومنين المتوكل على الله رحمة الله عليه تجرى كل سنه فى السنه التى بعدها بسبب تاخر الشهور الشمسية على الشهور القمرية فى كل سنة احد عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنه اثنتين واربعين ومايتين كان قد انقضى من السنين التى قبلها ثلاث وثلاثون سنه ولهن سنه ثمان وما بين من خلافة امير المومنين المامون رحمة الله عليه واجتمع من هذا التاخير فيها ايام سنه شمسيه كاملة وهى ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر وتقضيا ادراك غلات وثمار سنه احدى واربعين ومايتين فى صدر سنه اثنتين واربعين ومايتين فامر امير المومنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغا ذكر سنه احدى واربعين ومايتين اذ كانت قد انقضت ونسب الخراج الى سنه اثنتين واربعين ومايتين فجرت الاعمال على ذلك سنه بعد سنه الى ان انقضت ثلاث وثلاثون سنه اخرها انقضا سنه اربع وسبعين ومايتين فلم ينبه كتاب امير المومنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك اذ كان روساوهم فى ذلك الوقت اسمعيل بن بلبل وبنوا الفرات ولم يكونوا عملوا فى ديوان الخراج والضياع فى خلافة امير المومنين المتوكل على الله رحمه الله ولا كانت اسنانهم اسنانا بلغت

معرفتهم معها هذا النقل بل كان مولد احمد بن محمد بن الفرات قبل هذه السنة بخمس سنين
ومولد علي اخيه فيها وكان اسمعيل بن بلبل شرع في عمل في مجلسه لم يبلغ ان ينسخ فلما نقلت
للناصر لدين الله احمد طلحة الموفق رحمه الله اعمال الضياع بقزوين ونواحيها لسنة
ست وسبعين ومايتين وكان مقيما باذربيجان وخليفته بالجبل احمد بن محمد جراده وحمد
ابن محمد كاتبه واحتجب الى رفع جماعة اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومايتين
ووجب العاذكر سنة ست وسبعين ومايتين فلما وقفا على هذه الترجمة انكراها
وسالاني عن السبب فيها فشرحته لها وأكدت ذلك بان عرفتهما اني قد استخرجت
حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعدما عرضته على
اصحاب التفسير فذكروا انه لم يات فيه شي من الاثر فكان ذلك اوكد في لطف
استخراجي وهو ان الله تبارك قال في سورة الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين
وازدادوا تسعا فلم احدا من المفسرين عرف ما معنى قوله تعالى وازدادوا تسعا
وانما خاطب الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه من الحساب
فمعنى هذه التسع ان الثلاث مائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف
السنين القمرية فاذا اضيف الى الثلاث مائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية
صحيحة فاستحسناه فلما انصرف جوادي مع الناصر لدين الله رحمه الله الى مدينة السلم
وتوفي الناصر وتقلد ابو القسم عبيد الله بن سليمن كتابة امير المومنين المعتضد
بالله اجرى لجواده ذكر هذا النقل وشرح له سببه تقربا اليه وطعنا على ابي القاسم عبيد
الله في تاخيره اياه فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم الى ابي القسم بانشا الكتب بنقل
سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومايتين وكان هذا النقل بعد اربع سنين
من وجوبه ثم مضت السنون سنة بعد سنة الى ان انقضت الان ثلاث وثلاثون سنة
او لهن السنة التي كان النقل وجب فيها وهي سنة خمس وسبعين ومايتين واخرهن
انقضا سنة سبع وثلثماية ونسبته اليهن وقد عملت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا
الموضع ليوقف عليه وقد كان اصحاب الدواوين في ايام المتوكل لما نقل سنة احدى
واربعين ومايتين الى سنة اثنتين واربعين ومايتين جبوا الجوالي والصدقات
لسنتي احدى واثنتين واربعين ومايتين في وقت واحد لان الجوالي بسر من راى ومدينة
السلم وقصبة المدن المشهورة كانت تجبى على شهور الاهلة وما كان من خراج اهل
القرى في الخراج والضياع والصدقات والمستغلات كانت تجبى على شهور الشمس وفي
الثلاث والثلثين سنة اجتمعت ايام سنة شمسية كاملة فالزم هولاء الذمة خاصة
الجوالي ورمعها العال في حسبانا تهم فمن لم يرفعها الزموه بجوالي السنة

الزايدة

الزايدة فاحفظ انه اجتمع من ذلك الوف دراهم ثم جددت الكتب الى العمال
بان يكون جبايا تهم الجوالي على شهور الاهلة فجرى الامر على ذلك قال
القاضي ابو الحسن وقد كان النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين
واربعماية الهلالية تجري مع سنة سبع وتسعين الخراجية فنقلت سنة سبع وتسعين
واربعماية الخراجية الى سنة احدى وخمس مائة هكذا رايت في تعليقات ابي رحمه الله
واخر ما نقلت السنة في وقتنا هذا سنة خمس وستين وخمسماية الى سنة سبع وستين
وخمسماية الهلالية فتطابقت السنتان وذلك اني لما قلت للقاضي الفاضل ابي علي
عبد الرحيم بن علي البيساني انه قد آن نقل السنة فانشا سجلا بنقلها نسخ في الدواوين
وحمل الامر على حكمه وما برح الملوك والوزرا يعنون بنقل السنين في احيانها وقال ابو
الحسن هلال بن المحسن الصابي حدثني ابي ابو علي قال لما اراد الوزير ابو محمد المهلبي
نقل سنة خمس وثلثماية الهلالية امر ابا اسحق والدي وغيره ممن كان به في الخراج
والرسايل بانشا كتاب عن المطيع لله في هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدي الكتاب
الموجود في رسايله وعرضت النسخ على الوزير فاختاره منها وتقدم بان يكتب الى
اصحاب الاطراف وقال لابي الفرج بن هشام خليفته اكتب الى العمال بذلك كتبا
محققة وانسخ في اواخره هذا الكتاب السلطاني فعاظا ابا الفرج وقوع التفضيل
والاختيار لكتاب والدي وقد كان عمل نسخة اطرحت في جملة ما اطرح وكتب قد
راينا نقل سنة خمسين الى احدى وخمسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطاني
وعرف الوزير ما كتب به ابو الفرج فقال له لماذا اغفلت نسخ الكتاب السلطاني
في اواخر الكتب الى العمال واثباته في الديوان فاجاب جوابا علل فيه فقال له يا ابا
الفرج ما تركت ذلك الا حسدا لابي اسحق وهو والله في هذا الفن اكتب اهل زمانه
فاعد الان الكتب وانسخ الكتاب في اواخرها قال القاضي ابو الحسن وانا اذكر
بمشية الله نسخة الكتاب الذي اشار اليه ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب وكتاب ابي
اسحق وكتاب القاضي الفاضل ليستبين للناظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين
الهلالية فاذا قارنت الموافقة وحسنت فيها المطابقة فالكتاب الفاضلي اكثر
ايجازا واعظم اعجازا ولا يخفى على المتامل قد رما اورده فيه من البلاغة كما لا يخفى
على العارف قدر ما تضمنه كتاب الصابي من الصناعة نسخة الكتاب الذي
اشار اليه ابو الحسن الكاتب ان اولى ما صرف اليه امير المومنين عنايته واعمل فيه
فكره ورويته وشغل به تفقده ورعايته امر الفي الذي خصه الله به والزمه جمعه
وتوفيره وحياطته وتكثيره وجعله عماد الدين وقوام امر المسلمين وفيما تصرف

منه الى اعطيات الاوليا والجنود ومن يستعان به فيه لتحصين البيضة والذب
عن الحريم وحج البيت وجهاد العدو وسد الثغور وامن السبل وحقن الدما واصلاح
ذات البين وامير المومنين يسال الله راغبا اليه ومتوكلا عليه ان يحسن عونه على ما
حمله منه ويديم توفيقه لما ارضاه وارشاده وقد نظر امير المومنين فيما كان يجري عليه
امر جباية هذا الفي في خلافة ابايه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب
ما كان يدرك من الغلات والثمار في كل سنة اولا اولا على مجاري شهور سني الشمس
النجوم التي تحل مال كل صنف منها فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتاخر عن شهور
السنة الهلالية احد عشر يوما وربعا وزيادة عليه ويكون ادراك الغلات والثمار في
كل سنة بحسب تاخرها فلا تزال السنون تمضي على ذلك سنة بعد سنة حتى تنقضي منها
ثلاث وثلاثون سنة ويكون عدة الايام المتاخرة منها ايام سنة شمسية كاملة وهي ثلثماية
وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة عليه فحينيذ يتهيا بمشية الله وقدرته
ادراك الغلات التي يجري عليها الضرايب والطسوق في استقبال المحرم من سني الاهلة
وجب مع ذلك الغا ذكر السنة الخارجة اذ كانت قد انقضت ونسبتها الى السنة التي
ادركت الغلات والثمار فيها وانه وجد ذلك قد كان وقع في ايام امير المومنين المتوكل
على الله رحمة الله عنه عند انقضا ثلاث وثلاثين سنة اخرهن سنة احدى واربعين
وماتين فاستغني عن ذكرها بالغاية ونسبتها الى سنة اثنتين واربعين وماتين
وماتين فجرت المكاتبات والحسبانات وساير الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة
الى ان مضت ثلاث وثلاثون سنة اخرهن انقضا سنة اربع وسبعين وماتين ووجب
انشا الكتب بالغا ذكر سنة اربع وسبعين وماتين ونسبتها الى سنة خمس وسبعين
وماتين فذهب ذلك على كتاب امير المومنين المعتمد على الله وتاخر الامر فيه اربع سنين
الى ان امر امير المومنين المعتضد بالله رحمه الله في سنة سبع وسبعين وماتين بنقل
خراج سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين وماتين فجرى الامر على ذلك الى ان
انقضت سنة ولهذه السنة التي كان يجب نقلها فيها وهي سنة خمس وسبعين وماتين في هذا الوقت ثلاث وثلاثون
واخرهن انقضا شهور خراج سنة سبع وثلث ماية ووجب افتتاح خراج ما يجري
عليه الضرايب والطسوح في اولها وان من صواب التدبير واستقامة الاعمال
واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج لسنة سبع وثلثماية
الى سنة ثمان وثلثماية فراى امير المومنين لما يلزمه نفسه وياخذها به من
العناية بهذا الفي وحياطة اسبابه واجرايها مجاريها وسلوك سبيل
ابايه الراشدين رحمة الله عليهم فيها ان تكتب اليك والى ساير العمال في

النواح

النواحي بالعمل على ذلك وان يكون ما يصدر اليكم من الكتب وتصدرونه عنكم
ويجري عليه اعمالكم ورفوعكم وحسباناتكم وساير مناظراتكم على هذا النقل فاعلم
ذلك من راي امير المومنين واعمل به مستشعرا فيه وفي كل منصة تقوى الله وطاعته
ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم واكتب على
بما يكون منك في ذلك ان شا الله ونسخة كتاب ابي اسحق الصابي اما بعد
فان امير المومنين لا يزال مجتهدا في مصالح المسلمين وباعثا لهم على مراشد الدنيا
والدين ومهيبا لهم احسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون واصوب الراي
فيما يبرمون وينقضون فلا تلوح له خلة داخلة على امورهم الا سدها وتلافاها
ولا حال عايدة بحظ عليهم الا اعتمدها واتاها ولا سنة عادلة الا اخذهم باقامة
رسمها وامضا حكمها والاقتدا بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها واذا
عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور البابها وتجهله العامة بقصور افهامها
وكانت اوامره فيه خارجة اليك والى امثالك من اعيان رجاله واماثل عماله الذين
يكتفون بالاشارة ويجتزون بيسير الابانه والعبارة لم يدع ان يبلغ من تخليص يكتفون
اللفظ وايضاح المعنى الى الحد الذي يلحق المتاخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم
ولا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر
الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة الى
الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن يوزن في المعرفة متذكرا ولمن تاخر فيها
مبصرا ولانه ليس في الحق ان تمنع هذه الطبقة من برد اليقين في صدورها
ولان تقتصر على اللمحة الدالة في مخاطبة جمهورها حتى اذا استوت الاقدام
بوظايف الناس في فهم ما امروا به وتفقه ما دعوا اليه وصاروا على حكمه
سوا لا يعترضهم شك الشاكين ولا استرابة المسترتبين اطمانت قلوبهم وانشرحت
صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستمر الاتفاق بهم واستيقنوا انهم مونسون
على استقامة من المنهاج ومحروسون من جواير الزيغ والاعوجاج فكان الانقياد
منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطايعون مختارون لا مكرهون
ولا مجبرون وامير المومنين يستمد الله تعالى في جميع اغراضه ومراميه ومطالبه
ومغازيه مادة من صنعه تقف به على سنن الصلاح وتفتح له ابواب النجاح
وتنهضه بما اهله لحمله من الاعمال التي لا يبدي الاستقلال بها الا بتوفيقه ومعونته
ولا يتوجه فيها الا بدلالته وهدايته ومعونته وحسب امير المومنين الله
ونعم الوكيل وامير المومنين يرى ان اولى الاقوال ان يكون سدادا واحرى

الافعال ان يكون رشادا ما وجد له في السابق من حكمة الله اصول وقواعد في النص
من كتابه ايات وشواهد وكان مفضيا بالامة للاقوام من دين او دنيا ووفاق في آخره
او اوله فذلك هو البنا الذي يثبت ويعلو والغرس الذي نبت ويزكوا والسعي الذي
نجح مباديه وهواديه وتنهج عواقبه وتواليه وتنير سبله لسالكيه وتورد هم التحرز
والسعود في مقاصدهم فيه غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زايلين وقد
جعل الله عز وجل لعباده من هذه الافلاك الدايرة والنجوم السايرة فيما يتقلب عليه
من اتصال وافتراق ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق منافع تظهر في كرور الشهور
والاعوام ومرور الليالي والايام وتفاوت الضيا والظلام واعتدال المسالك
والاوطان وتغاير الفصول والازمان ونشو النبات والحيوان فما في نظام ذلك
خلل ولا في صنعته زلل بل هو منوط بعضه ببعض ومحوط من كل ثلمة ونقض قال
الله سبحانه هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من قايل الم تر ان الله يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون
خبير وقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عز من
قايل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ففصل الله تعالى في هذه الايات
بين الشمس والقمر وابان في الباهر من حكمه والمعجز من كلمه ان لكل منهما طريقا يجري فيها
وطبيعة جبل عليها وان تلك المباينة والمخالفة في المسير يوديان الى موافقة وملازمة
في التدبير فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثماية وخمسة وستين يوما
وربعا بالتقريب المعول عليه وهي المدة التي تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة
ونقصت الهلالية فصارت ثلثماية واربعة وخمسين يوما وكسرا وهي المدة التي يجامع
القمر فيها الشمس اثنتي عشرة مرة واحتيج اذا انساق هذا الفصل الى استعمال النقل الذي
يطابق احدى السنين بالاخرى اذا افترقتا ويداني بينهما اذا تفاوتا وما زالت
الامم السالفة تكبس زيادات السنين على اختلاف من طرقها ومذاهبها وفي كتاب الله
عز وجل شهادة بذلك اذ يقول في قصة اهل الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثماية سنين
وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بازا الفضل في السنين المذكورة على تقريب
التقريب فاما الفرس منهم فانهم اجروا معاملاتهم في السنة المعدلة التي شهورها اثنا
عشر شهرا واياما ثلثماية وستون يوما ولقبوا الشهور باثني عشر لقبا وسموا ايام
الشهر منها بثلاثين اسما وافردوا الخمسة الايام الزايدة وسموها المسترقة وكبسوا
الربع في كل ماية وعشرين سنة شهرا فلما انقرض ملكهم بطل في كبس هذا الربع تدبيرهم

وزال

وزال نوروزهم عن سنته وانفرج ما بينه وبين حقيقة وقته انفراجا هو زايد لا
يقف ودايرلا ينقطع حتى ان موضوعهم في النوروز ان يقع في مدخل الصيف وينتهي
الى ان يقع في مدخل الشتا ويتجاوز ذلك وموضوعهم في المهرجان ان يقع في مدخل
الشتا وسينتهي الى ان يقع في مدخل الصيف ويتجاوزه واما الروم فكانوا اتقن
منهم حكمة وابعد نظرا في عاقبة لانهم رتبوا شهور السنة على ارصاد شهورها
وانواع فصولها وفضوا الخمسة الايام على الشهور وساقوها على الدهور وكبسوا
الربع في كل اربع سنين يوما ورسموا ان يكون في شباط مضافا فقربوا ما بعد غيرهم
وسهلوا على الناس ان يقتفوا اثرهم لا جرم ان المعتضد بالله صلوات الله عليه على
اصولهم بنا ولمثالهم احتذى في تصييره نوروزه اليوم الحادي عشر من حزيران حتى
سلم ما لحق النوروز في ساير الازمان وتلافوا الامر في عجز سني الهلال عن سني الشمس
بان جبروها بالكبس فكلما اجتمع من فصول سني الشمس ما يفي بتمام شهر جعلوا
السنة الهلالية التي يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا وربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث
سنين وربما تم في سنتين بحسب ما يوجبه الحساب فتصير سنتا الشمس والهلال
عندهم متقاربتين ابدا لا يتباعد ما بينهما واما العرب فان الله جل وعز فضلها على
الامم الماضية وورثها ثمرات مساعيها المتعبة واجرى شهر صيامها ومواقيت اعيادها
وزكاة اهل ملتها وجزية اهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الاهلة
ارادة منه ان تكون مناهجها واضحة واعلامها لايحة فلا تشكل في معرفة الفرض ودخول
الوقت الخاص منهم والعام والناقص الفقه والتام والانثى والذكر والصغير والاكبر
فصار واجبا ان يجبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الممسوحة ويجبون
في سنة الهلال الجوالي والصدقات والارجا والقاطعات والمستغلات وساير ما يجري
على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين ما الواسم لقبيح جدا وازداد تعددا
اذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي ينتهي اليها تنسب في الشمسية وفي ما قبلها نوا
مع هذا ان تطرح تلك السنة وتلغى ويتجاوز ذلك الى ما بعد هذا ويتخطى ولم يجز لهم ان يعتدوا
لمخالفيهم في كبس سنة الهلالية بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لتزحزحت الاشهر
الحرم عن مواضعها وازيحت المناسك عن حقايقها ونقصت الجباية في سني الاهلة
القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها فانتظروا بذلك الفصل الى ان تتم السنة
واوجب الحساب المقرب ان يكون كل اثنين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين سنة
هلالية فنقلوا المتقدم منها الى المتاخر نقلا لا يتجاوز الا الشمسية وكانت هذه الحلقة في
دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة في دينهم وقد راى امير المومنين نقل سنة خمسين وثلثماية

الخراجية في سنة احدى وخمسين وثلثماية الهلالية جمعا بينهما ولزوما لتلك السنة فيها
فاعمل بما ورد به امير المومنين عليك وتضمنه كتابه هذا اليك ومر الكتاب قبلك ان يحددوا
رسمه فيما يكتبون به في اعمال نواحيك ويخلدونه الدواوين من ذكورهم ورفوعهم ويقدرون
من وجوه الاموال وينظمونه من الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسبانات
ويوعزون بكتبه من الروزنامجات والبراات وليكن المنسوب من ذلك في سنة خمسين
وثلثماية التي دفع النقل اليها واتم في نفوس من بحضرتك من اصناف الجند والرعية واهل
الملة والذمة ان هذا النقل لا يغير لهم رسما ولا يلحق بهم ثلما ولا يعود على قابض العطا بنقصان
ما استحقوا قبضه ولا على مودى حق بيت المال باغضا عما وجب اداوه فان قرايح اكثرهم
قصيرة الى افهام امير المومنين الذى اثران تزاح فيه العلة وتسد به منهم الخلة اذ كان هذا
الشان لا يتجدد الا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج الى تعريف الناس واذكار
الناسي واجب بما يكون منك جوابا بحسن موقعه لديك ان شا الله وذكر ابن المامون
في تاريخه من حوادث سنه احدى وخمساية واول ما تحدث فيه نقل السنة الى السمسية
العربية وكان قد حصل بينهما تفاوت اربع سنين فتحدث القايد ابو عبد الله محمد بن
فاتك البطايحي مع الافضل بن امير الجيوش في ذلك فاجاب اليه وخرج امره الى الشيخ
القسم بن الصيرفي بانشا سجل به فانشا ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي
ارتضى امير المومنين امينه في ارضه وخليفته والهمه ان يعم بحسن التدبير عبيده
وخليفته ووفقه للمصالح بينهما اسبابها وبفتح بحسن نظره ابوابها واورثه مقام
ابايه الراشدين الذين اختصهم بشرف المحل وجعل اعتقاد ولايهم سبب النجاة المنخ
في المحشر وعناهم بتوله يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر واعلى منار سلطانه بمدبر
افلاك دولته ومبيد اعدا مملكته واشرف من نصب للمجد علما ورايته ووقف على مصلحة
البرية نظره ورايه وارشد بهدايته الالباب الحايرة واذهب بعدله الاحكام الجايرة
السيد الاجل الافضل وتمم النعوت والدعا الذى كل تدبيره نظام الصلاح
وتممه وسدد بتقريره الامور في كل ما قصده ويممه وتنبه في السياسة على ما اهمله من
سبقه واغفله من تقدمه وتتبع احوال المملكة فلم يدع مشكلا الا اوضحه ولا بين الواجب
فيه ولا خللا الا اصلحه وبادر بتلافيه ولا مهملا الا استعمله على ما يوافق الصواب
ولا بنا فيه ايثارا لعمارة الاعمال وقصدا لما تقضي بتوفير الاموال وترجيا لما عاد
بضروب الاستغلال واعتنا برجال الدولة العلوية واجنادها واهتماما بمصالحهم
التي ضعفت قواهم عن ارتيادها ورعاية لمن ضمته اقطار المملكة من الرعايا وحملا
لهم على اعدل السنن وافضل القضايا يحمل امير المومنين على ما اعانه عليه من حسن النظر
للانة

للانة وادخره لايامه من الفضايل التي صفت بها ملابس النعمة ووفقه لما يعود على الكافة
بشمول الانتفاع حتى صار استيدا الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الادلة واستيفاوها
بمقتضى المعدلة فيما يجري في احكام الخراج واوضاع الاهلة ويرغب اليه والصلاة على
محمد الذى ميزه بالحكمة وفصل الخطاب وبين به ما استبهم من سبل الصواب وانزل عليه محكم
الكتاب هو الذى جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
صلى الله عليه وعلى اخيه وابن عمه ابينا امير المومنين على بن ابي طالب كافيه فيما اعضل المعاند م
المساعد وواقيه بنفسه لما تخاذل الكف والساعد وعلى الايمة من ذريتهما العاملين برضى الله
تعالى فيما يقولون ويفعلون والذين يهدون بالحق وبه يعدلون وان اوليما اولاه امير
المومنين حظا وافيا من تفقده واسهم له جزاوافرا من كريم تعهده ونظر اليه بعين اهتمامه
واختصه بالقسم الاجزل من اشتماله امر الاموال التي يستعان بها على سد الخلل ويرجا بها
يستدفع ما يطرق من الحادث الجلل وبوفورها تستتب شوون المملكة وتستقيم احوال
الدول وباستخراجها على حكم العدل الشامل وقضية انصاف المعامل تكون العمارة التي
هي اصل زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها ولما كانت جباياتها على حكمين احدهما
يجري هلاليا وذلك ما لا يدخل عليه عارض ولا اشكال ولا ابهام ولا يحتاج فيه الى ايضاح
ولا افهام لان شهور الهلال يشترك في معرفتها المبرز والمقصر ويستوي في الفهم بها
المقدم في العلم والمتاخر اذ كان الناس لعين لا زمنه متعبدا لهم انسين ما يحفظ لهم نظام
مرسومهم والاخر يجري خراجيا وينسب بنسبته الى الخراج لانها تضبط اوقات ما يجري
ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعة ويحفظ احيانه دون السنة الهلالية وتحرير
اوضاعه ولا يستقل بمعرفته الا من باشره وعلم موارده ومصادره وجب ان يوجه على
السنة الخراجية النظر ويعمل فيها ما تعظم به الفايدة ويحسن فيه الاثر ويعتمد في ايضاح
امرها وتقديم حكمها على ما تحلي به التواريخ وتزين السير ويكون ذلك شاهدا للمساعي
السيد الاجل الافضل الذي لا يزال ساهرا البلد في حياطة الهاجعين شاهرا سيفه
في حماية الوادعين مطلعا للدولة بدور السعادة وشموسها مذللا لها صعب الحوادث
وشموسها ناطقة تارة بانامة هو راعيه قد فضل الله سايسها واسعد مسوسها
وهذا حين التبصير والارشاد واوان التبيين للغرض والمراد ليستاوي العامة والخاصة
في علمه وتستهم الفايدة في معرفة حكمه وتتحقق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين
واشتباكها ويتيقن المعدلة عليهم فيما يمكن يومن من المضار التي يحتاج الى استدراكها
معلوم ان ايام السنة الخراجية وهي السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية لان
ايام السنة الخراجية من استقبال النوروز في اخر السنى ثلثماية وخمسة وستون

يوما وربع يوم وايام السنة الهلالية لاستقبال المحرم وسلخ ذى الحجة ثلثمائة واربعة
وخمسون يوما والخلاف في كل سنة بالتقريب احد عشر يوما وفي كل ثلاث وثلثين سنة
واحدة على حكم التقدم وبمقتضيه ما تقدم من الترتيب فاذا اتفق ان يكون اول الهلالية
موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت نسبتهما واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما وبقى ذلك
جاريا عليهما ولم يزل الامتداخلتين بكون مدخل الخراجية في اثنا شهور الهلالية الى انقضا
ثلاث وثلثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة الهلالية من
نوروز يكون فيها وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة للعلة
المقدم ذكرها ومن اين يستمر بينهما ايتلاف او يعدم لهما اختلاف ام كيف يعتقد ذلك احد
البشر والله تعالى يقول لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر فقد وضح دليل التباعد بما جا منصوصا
في الكتاب وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة بالتسمية
الى التي تليها ليكون موافقة للهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها لان
واجبات العسكرية على عظمها واتساعها وارزاق المرتزقة على اختلاف اجناسها
واوضاعها جارية على احكام الهلالية غير معدولها عن ذلك في حال من الاحوال
والمحافظة على ثمرة ارتفاعها متعينه ومنفعة العناية بما يجرى عليه واضحه مبينه ولما
اهلت سنة احدى وخمسماية ودخلت فيها سنة تسع وتسعين واربعماية الخراجية الموافقة
لسنة احدى وخمسماية الهلالية كان في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنا
حكم انها النقل فيما تقدم ما صارت السنة الحاضرة الهلالية لا يجبى خراج ما يوافقها
فيها ولا يدرك غلات السنة الجرى ما لها عليها الا في السنة التي تليها فهى تستهل وتنقضى
وليس لها في الخراج ارتفاع والاعمال تطبق بالزراعة ولا حظ لها في ذلك ولا انتفاع
وهذه الحال فالمضرة بها على بيت المال جلية غير خفية والاذية فيها للرجال
المقطعين بادية واسباب تحيفها اياهم مستمرة متمادية ولا سيما من وقع له باثبات
وانعم عليه بزيادات فانهم يتعجلون الاستقبال ويتاجلون الاستغلال ومتى لم ينقل
هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنتين هلاليتين وهى موافقة لغيرها وما لها
يجرى على سنة تجرى بينهما لان مدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة احدى وخمسماية
وانقضا وهلها في العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسماية وهى متداخلة بين هاتين
السنتين وما لها يجرى على سنة احدى وخمسماية والحال في ذلك لا ينتهى الى امد ولا يزال
الفساد متزايدا طول الابد وقد راى امير المومنين وبالله توفيقه ما خرج به امره
الى السيد الاجل الافضل الذى نبه على هذا الامر وكشف غامضه وازال التحير توصله
متنافيه وتناقضه ان يوعز الى ديوان الانشا بكتب هذا السجل مضمنا ما راه ودبره

مودعا.

مودعا انفاذ ما احكمه وقرره من نقل سنة سبع وتسعين واربعماية الى سنة احدى وخمسماية
ليكون موافقتها ويجرى عليها مالها ويكون ما يستاذونه من اقطاعاتهم ويستخرجونه من
واجباتهم جاريا على نظام محروس ونطاق محيط غير منحوس وشاهدا بتخصيص موفا غير
منقوص ويتضح ما ابهم اشكاله التعمية ويزول الاستكرام في اختلاف التسمية ويستمر
الوفاق بين السنتين الهلالية والخراجية الى سنة اربع وثلاثين وخمسماية وينسب الى
مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجتبى من الاقطاعات عما كان جاريا على ذكر سنة
سبع وتسعين واربعماية الى سنة احدى وخمسماية وتجرى الاضافة اليها بجرى ما يرتفع
من الهلالية فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها وعلى مال السنة
الخراجية بما شرح من انتقالها وكذلك نقل سنة سبع وتسعين واربعماية الخراجية الثابتة
بالتسمية الى سنة احدى وخمسماية المشار اليها ويكون مالها جاريا عليها فليعتمد ذلك
في الدواوين بالحضرة وفي ساير اعمال الدولة قاصيها ودانيها وقريبها ونائيها
وليتبعه كافة الكتاب والمستخدمين وجميع العمال والمتصرفين لاقتفا هذا السنن واتباعه
وليحذروا الخروج عن احكامه المقررة واوضاعه وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه
وليحذروا من تجاوزه وتعديه وليخلد في دواوين الاموال والجيوش المنصورة ويخلد
بعد ذلك في بيت المال المعمور وكتب في المحرم سنة احدى وخمسماية وقال القاضي
الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسماية ومن خطه نقلت مستهل المحرم نسخ
منشور بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسمها لموافقة الشهور
العربية للشهور القبطية وخلو سنة سبع من نوروز فنقلت سنة خمس وستين وخمسماية
الخراجية الى هذه السنة وكان اخر نقل نقلت هذه السنة في الايام الافضلية فان
سنة ثمان وتسعين واربعماية وسنة تسع وتسعين الخراجيتين نقلتا الى سنة احدى
وخمسماية وسبب هذا الانفراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية
احد عشر يوما واغفال النقل في سنة ثلاث وثلثين في ايام الوزير الافضل رضوان بن
ولخشى واتسع ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها في بعض الى ان صار
التفاوت بينهما سنتين في هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يعدو التسمية ولا
يتجاوز اللفظ ولا ينقص ما لا الديوان ولا لمقطع وانما يقصد به ازالة الالباس
وحل الاشكال وقال القاضي ابو الحسن ونسخة الكتاب الذى انشاه القاضي
الفاضل خرجت الاوامر الملكية الناصرية زادها الله في علايها بابداع هذا المنشور
انا نوثر من حسن النظر ما نوثر احسن الخبر ولا ينصرف بنا الفكر عما يجلى النبير ويجلي
الغير ولا تزال خواطرنا تعلو فتطلع الدرارى وتغوص فتخرج الدرر وانا ...

ما استعدت به البصاير وحرست فيه المصابر كل امر يصح المعاملات ويشرحها ويطلق
عقولهم من عقول الاشكال ويسرحها ولما وجب نقل السنه الخراجيه والمطابقه بينها وبين
الهلاليه لانزاجها سنتين وموافقة الشهور الخراجيه والهلاليه في هذه السنة مستطلع
المستهلين مضينا هذه السنة الخاليه في هذه السنة الاتيه واستخرنا الله تعالى في
نقل سنتي خمس وست وستين وخمسماية الى سنة سبع وستين وخمسماية التي سميت بهذا
النقل هلاليه خراجيه نفيا للامور المشتبهة والتسمية المموهة وتنزيها لسني الاسلام
عن الكبيس ولنا رجح عن ملابسة التلبيس واعلاما بالوفاق الذي استشعرنا اباونا
وبنوها واعلانا بانتبا عما عوا بذا السلف التي خلفوها للخلف وسنوبوها وفي ذلك ما
تحمد به العواقب وتنفسح به المذاهب وتتيسر به المطالب ويزول به الاشكال ويومن
به الاختلال ويحسم به الغلط في الحساب ويولف بين السنين المختلفة الانساب
ويحفظ على الغير ما ملته ويبعد عن التاريخ معاطلته ويقرب على الكاتب محاولته ويصرف
عن بعة الله بجنته كونها مقدمه في النسبة موخرة في القسمية وعن معاملة بيت المال
ويحسم كونها معدوقة بالمطل وقد بالعنت في التوفية لان من اعطى في سنة سبع وستين
وخمس مايه استحقاق سنة خمس فلا ريب انه قد مطل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم
الشرع فتوسم هذه السنة المباركة بالهلاليه الخراجيه وترفع الحسبانات بهذا الوضع
وتعدق التقريرات والتسجيلات على هذا فليفعل في ذلك ما تقضى بارتياح هذا
الانفراج وخبر هذا الصدع وليعلم في البدد اون عمله وليتعد فيها حكمه بعد ثبوته بحيث
يثبت مثله ان شا الله تعالى ٥ واما تاريخ العرب فانه لم يزل في الجاهليه والاسلام
يعمل بشهور الاهلة وعدة شهور السنة عندهم اثنى عشر شهرا الا انهم اختلفوا في اسمايها
فكانت العرب العاربة تسميها ناتق ونفيل وطليق واسنخ وانخ وحلك وكسع وزاهر وبوط
وخوف وبغش فناتق هو المحرم ونفيل هو صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور وكانت ثمود
تسميها موجب وموجر ومورد وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها وديمر ودابر
وحيفل ومسبل فموجب هو المحرم وموجر صفر الا انهم كانوا يبدون بالشهور من ديمر وهو
شهر رمضان فيكون اول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب تسميها باسما اخر وهي
موتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا وعادل وناتق ووعل وهواع وبرك ومعنى
الموتمر انه ياتمر بكل شي مما ياتي به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان
فعال من الخيانة والصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة والزبا الداهية
العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد
الزبا بايدة وبعد بايدة الاصم ثم واغل ثم ناطل وعادل ورنه وبرك فالبايد من القتال

اذ كان يبيد فيه كثير من الناس وجرى المثل بذلك فقيل العجب كل العجب بين جمادى
ورجب وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ الثار والغارات قبل رجب فانه شهر
حرام ويقولون له لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل
الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك لانه يهجم على شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان
شربهم الخمر لان الذي يتلوه هي شهور الحج وناطل هو مكيال الخمر سمي به لافراطهم فيه في الشرب
وكثرة استعمالهم لذلك المكيال واما العادل فهو من العدل لانه من اشهر الحج وكانوا يشتغلون
فيه عن الناطل واما الرنة فلان الانعام كانت ترن فيه لقرب النحر واما برك فانه
لبروك الابل اذا احضرت للنحر وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم موتمر وصفر ناجر وربيع
الاول نصار وربيع الاخر خوان وجمادى الاولى حنين وجمادى الاخرة الرنة
ورجب الاصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه في الجاهلية وكانت تمتار فيه وتمير
اهلها وكان يامن بعضهم بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار فلا يخافون وشعبان عادل
ورمضان ناتق وشوال وعل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه ايضا ابروك
وكانوا يسمونه الميمون ثم سميت العرب اشهرها بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى
الاولى وجمادى الاخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة
واشتقوا اسماها من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال
وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا
جمادى كان يجمد فيهما الماء من شدة البرد ورجب الوسط وشعبان تتشعب فيه القبايل
ورمضان من الرمضا لانه كان ياتي فيه القيظ وشوال تشول فيه الابل اذنابها وذو القعدة
لقعودهم في دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وانت اذا تاملت اشتقاق اسما شهور الجاهلية
اولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين لك ان بين التسميتين زمانا طويلا فان صفر في احدهما موسم
الحر وفي الاخر رمضان ولا يمكن ذلك في وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت العرب اولا
تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله اهل الاسلام اما بطريق الهي ولان العرب لم يكن لها
دربة بمراعاة حساب حركات النيرين واحتاجت الى استعمال مبادي الشهور لرويه
الاهلة وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين فربما كان بعض الشهور
تاما اعني ثلاثين يوما وربما كان ناقصا اعني تسعة وعشرين يوما وربما كانت اشهر
متوالية ناقصة اكثرها ثلاثة وكان يقع حج العرب في ازمنة السنة كلها وهو ابدا في
عاشر ذي الحجة من عهد ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم الحج تفرقت
العرب طالبة اماكنها واقامت اهل مكة بها فلم يزالوا على ذلك دهرا طويلا الى ان
غيروا دين ابراهيم واسمعيل فاحبوا ان يتوسعوا في معيشتهم ويجعلوا حجهم في وقت

ادراك سلعهم من الادم والجلود والثمار ونحوها وان يثبت ذلك على حالة واحدة في اطيب الازمنة واخصبها فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل في بني اسرايل وعملوا النسي قبل الهجرة بنحو ماتي سنة وكان الذي يلي النسي يقال له القلمس يعني الشريف وقد اختلف في اول من انشا الشهور منهم فقيل القلمس هو عدي بن زيد وقيل القلمس هو سرير بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة وانه قال اري شهور الاهلة ثلثماية واربعة وخمسين يوما واري شهور العجم ثلثماية وخمسة وستين يوما فبيننا وبينهم احد عشر يوما ففي كل ثلاث سنين ثلاثة وثلاثون يوما ففي كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جات ثلاث سنين قدم الحج في ذي القعدة فاذا جات ثلاث سنين اخره في المحرم وكانت العرب اذا حجت قلدت الابل النعال والبستها الجلال واشعرتها فلا يعرض لها احد الا خثعم وكان النسي في بني كنانة ثم في بني ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذي يلي ذلك منهم ابو ثمامة المالكي ثم من بني فقيم وبنو فقيم هم النساة وهو ملسي الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان الهتكم العزى قد انسات صفر الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم واخر النساة جنادة بن عوف بن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم وقيل القلمس هو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن مالك عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان اخرهم الذي قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فاحل لهم من الشهور وحرم فاحلوا ما احل وحرموا ما حرم وكان اذا اراد ان ينسي منها شيا احل المحرم فاحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطيوا العدة الاربعة فاذا ارادوا الصدر اجتمعوا اليه فقال اللهم اني لا احاب ولا اعاب في امري والامر لما قضيت اللهم اني احللت دما المحلين من طي وخثعم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم اي ظفرتم بهم اللهم اني قد احللت احد الصفرين الصفر الاول وانسات الاخر من العام المقبل وانما احل دم طي وخثعم لانهم كانوا يعدون على الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب وقيل اول من انسا سرير بن ثعلبة ثم انقرض فنسا بعده ابن اخيه القلمس واسمه عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن كنانة ثم صار النسي في ولده وكان اخرهم ابو ثمامة جنادة وقيل اخذ عوف بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جد ابيه عباد بن حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يقال لحذيفة القلمس وهو اول من نسا الشهور على العرب فاحلت منها ما احل وحرمت ما حرم ثم كان بعد عوف المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكان ابعدهم ذكرا واطولهم امدا يقال انه نسا اربعين سنة ولهم تقول عمير بن قيس جذل الطعام يفتخر

واي الناس لم نسبق بوتر ٭ واي الناس لم نعلك لجاما

السنا الناسين على معد ٭ شهور الحل نجعلها حراما

وقال عبادة بن ثعلبة بن انف الكلب الصيدلوي من بني اسيد بن خزيمة بن عم الحي من فقيم ابن مالك لعمري لقد عيرت ما كنت اعلم ٭ لهم ناسي يمشون تحت لوايه يحل

اذا شا الشهور ويحرم ٭

وقيل كانت العرب تكبس كل اربع وعشرين سنة قمرية بتسعة اشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتاخر عن اوقاتها ولا تتقدم فكان النسي الاول للمحرم فسمي صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسما الشهور وكان النسي الثاني لصفر فسمي الذي كان يتلوه بصفر ايضا وكذلك حتى دار النسي في الشهور الاثني عشر وعاد الى المحرم فاعادوا فعلهم الاول وكانوا يعدون ادوار النسي ويحدون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس وبقية ما فضل ما بينها وبين سنة القمر الذي الحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسي بلغت شعبان فسمي محرما وشهر رمضان صفر وقيل ان الناسي الاول انشا المحرم وجعله كبسا واخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذلك بقية الشهور فوقع حجهم في تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهرا فمضى على ذلك مايتان وعشر سنين وكان انقضا وها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذي القعدة وهي السنة التي حج فيها ابو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذي الحجة كما كان في عهد ابراهيم واسمعيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حجته هذه ان الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجوع الحج والشهور الى الوضع وانزل الله تعالى ابطال النسي بقوله عز وجل انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطيوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سو اعمالهم الاية فبطل ما احدثته الجاهلية من النسي واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الاهلة ولله الحمد وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت فمما كانت تورخ به ان كنانة ارخت من موت كعب بن لوي حتى كان عام الفيل ارخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن لوي والفيل وبين الفجار اربعين سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام الى بنيان الكعبة

فكان تسع سنين ثم كان بين بنايها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة
ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الناس فسالهم من اي يوم يكتب التاريخ فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من يوم هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك ارض الشرك ففعله عمر وعن سهل بن سعد الساعدي
قال اخطا الناس في العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان التاريخ من السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة وقال قرة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه عامل
جاءنا من اليمن فقال لعمر اما تورخون تكتبون في سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فاراد عمر والناس
ان يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم ارادوا ان
يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من اي شهر فارادوا ان يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا
من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صك
محله شعبان فقال اي شعبان هو اشعبان الذي نحن فيه او الاتي ثم جمع وجوه الصحابة
فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما نضبط به
ذلك فقالوا نحب ان نعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر رضي الله عنه
الهرمزان وساله عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه ماه روز ومعناه حساب الشهور
والايام فعربوا الكلمة وقالوا مورخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا
يجعلونه اولا لتاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على ان يكون المبدا من سنة الهجرة وكانت
الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وايامها المحرم وصفر
وايام من ربيع الاول فلما عزموا على تاسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما
وجعلوا التاريخ من اول المحرم هذه السنة ثم احصوا من اول يوم في المحرم الى اخر يوم
من عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين واما اذا حسب عمره
المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعدها تسع سنين واحد
عشر شهرا واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح
عليه السلام خمس مائة وثمان وسبعين سنة ينقص شهرين وثمانية ايام فابتدا تاريخ
الهجرة يوم الخميس اول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة الاف وسبعماية وخمس
وثلاثون سنة وعشرة اشهر وثمانية وعشرون يوما على ما عرفت من الخلاف في ذلك
وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فلبش المجدوني الرومي تسعماية واحدى وستون
سنة قمرية واربعة وخمسون يوما يكون من السنين الشمسية تسع ماية واثنتين وثلاثين
سنة ومايتين وتسعة وثمانين يوما عنها تسعة اشهر وتسعة عشر يوما وبينه وبين تاريخ

الغبط

القبط ثلثماية وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوما وقال ماشاالله ان انتقال
الامر من المثلثة الهوائية التي هي برج الجوزاء وذواتها الى برج السرطان ومثلثة المائية التي
كانت دولة الاسلام فيها عند تمام ستة الاف وثلاثماية وخمس واربعين سنة وثلاثة
اشهر وعشرين يوما من وقت القران الاول الواقع في بدو التحرك يعني خلق ادم عليه السلام
وان القران الاول من هذه المثلثة وقع في اربع درج ودقيقة واحدة من برج العقرب
وهو قران الملة الاسلامية قال وفي السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل في هذه السنة وبين اول يوم من سنة الهجرة
سنون فارسية عدتها احدى وخمسون سنة وثلاثة اشهر وثمانية ايام وست عشرة ساعة
فكان من وقت الطوفان الى اول قران الملة ثلاثة الاف وتسعماية واثنتي عشرة سنة وستة
اشهر واربعة عشر يوما وزعمت اليهود ان من ادم عليه السلام الى سنة الهجرة اربعة
الاف واثنتان واربعون سنة وثلاثة اشهر وزعمت النصارى ان بينهما خمسة الاف وتسعماية
وتسعون سنة وثلاثة اشهر وزعمت المجوس اعني الفرس ان بينهما اربعة الاف وماية
واثنتان وثمانون سنة وعشرة اشهر وتسعة عشر يوما وقد عرفت ان شهور تاريخ الهجرة
قمرية وايام كل سنة منه عدتها ثلاثماية واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع
الاحكام الشرعية مبنية على روية الهلال عند جميع فرق الاسلام ما عدا الشيعة فان الاحكام
مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب على ما ستراه في ذكر القاهرة وخلفايها ثم لما
احتاج منجموا الاسلام الى استخراج ما لا بد منه من معرفة الاهلة وسمت القبلة وغير ذلك
بنوا ازياجهم على التاريخ العربي وجعلوا شهور السنة العربية شهرا كاملا وشهرا ناقصا
وابتدوا بالمحرم اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم فجعلوا المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين
يوما وربيع الاول ثلاثين يوما وربيع الاخر تسعة وعشرين يوما وجمدى الاولى ثلاثين يوما
وجمدى الاخرة تسعة وعشرين يوما ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما
ورمضان ثلاثين يوما وشوال تسعة وعشرين يوما وذي القعدة ثلاثين يوما وذي
الحجة تسعة وعشرين يوما وزاد وامن اجل كسر اليوم الذي هو خمس وسدس يوما في ذي
الحجة اذا صار هذا الكسر اكثر من نصف يوم فيكون شهر ذي الحجة في تلك السنة ثلاثين يوما
ويسمون تلك السنة كبيسة ويصير عددها ثلثماية وخمسة وخمسون يوما ويجتمع في كل
ثلاثين سنة من الكبيس احد عشر يوما والله اعلم ٥ واما تاريخ الفرس ويعرف
ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتدا ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز وارخ به الفرس
من اجل ان يزدجرد قام في المملكة بعدما تبدد ملك فارس واستولى عليه النسا والمتغلبون
وهو ايضا اخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم واول هذا التاريخ يوم الثلاثا وبينه وبين

تاريخ الهجرة تسع سنين وثلثماية وثمانية وثلاثون يوما وايام سنة هذا التاريخ
ينقص عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون في كل ماية وعشرين سنة شهرا واحدا وهم
في كبس السنة ارآليس هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ يعتمد في زمننا اهل
العراق وبلاد العجم والله عاقبة الامور

هذا اخر الجزء الاول

غفر الله لكاتبه ولوالديه

ولمن نظر فيه

ودعا له

بالمغفرة

ولساير المسلمين برحمتك يا اكرم الاكرمين

يتلوه حديث عذيب صاحب الخرج النامي

الخبر عن الحفصيين ملوك تونس اولهم ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي من قبائل المصامدة وهو احد اصحاب ابي عبد الله
محمد بن تومرت ولي ابنه عبد الواحد بن ابي حفص افريقية عن بني عبد المومن في سنة ثلاث وستمايه ومات سلخ ذي الحجة سنة
ثماني عشرة فولي ابو العلا من بني عبد المومن ومات فعادت افريقية الي الحفصيين وولي منهم عبد الله بن عبد الواحد بن
ابي حفص سنة ثلاث وعشرين فاستناب اخاه ابا زكريا يحيى بقابس واخاه ابا ابرهيم اسحق ببلاد الجريد فثار على عبد الله
اهل قابس وقد قدمها وطردوه وولوا اخاه ابا زكريا في سنة خمس وعشرين فسكر بني عبد المومن علي ابي زكريا فاسقط
اسم عبد المومن من الخطبة وابقي اسم المهدي محمد ابن تومرت وخلع طاعة بني عبد المومن وملك افريقية وخطب لنفسه
ولقب بالامير المرتضى وفتح تلمسان والمغرب الاوسط وبلاد الجريد والزاب ومات علي بونه سنة سبع واربعين
وترك اربعة اولاد اباعبد محمد وابا اسحق ابرهيم وابا حفص عمر واما وكنيته ابو يحيى وترك اخوين لها ابرهيم اسحق ومحمد
اللحياني ابنا عبد الواحد بن ابي حفص فولي بعده ابنه ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا وخلع باخيه محمد اللحياني وكان
صالحا متقطعا يتبرك به فجمع ابو عبد الله محمد المخلوع اصحابه في يوم خلعه وقتل عميه واستقر في ملكه ولقب
بالمستنصر بالله امير المومنين ابي عبد الله محمد بن الامير الراشدين فوصل الفرنسيس بجموعه الى افريقية في سنة
ثمان وستين فاهلكه الله وتفرقت جموعه وفر اخوه ابو اسحق ابرهيم بن ابي زكريا الي تلمسان وبقي المستنصر حتى مات
ليلة الحادي عشر من ذي الحجة سنة خمس وسبعين فملك ابنه يحيى بن محمد بن ابي زكريا ولقب بالواثق بالله وكان
منعقل الراي فثار عليه عمه ابو اسحق ابرهيم بن ابي زكريا بتلمسان فخلع نفسه واستقر ابو اسحق في شهر ربيع الاول
في سنة ثمان وسبعين وخطب لنفسه بالامير المجاهد وترك زي الحفصيين وتزيي بزي زناته وعكف علي اللهو وترك
الملك علي اولاده فثار اولاده علي الواثق المخلوع وذبحوه وذبحوا ولده الفضل والطيب وتولاه ابن عرف بابي
عصيده ثم ظهر رجل ادعى انه الفضل ابن الواثق الذي ذبح مع ابيه واجتمع عليه الناس وقصدوا ابا اسحق
ابرهيم ففر الي بجايه وبها ابنه ابو فارس عبد العزيز فالتقاه ببجايه وخرج باخوته وجمعه الى محاربة المدعي
بتونس فانهزم منه وقتل وقتل معه ثلاثه من اخوته ونجا له اخ اسمه يحيى وعمه ابو حفص عمر بن ابي زكريا وبعث الدعي
الي بجايه فقتل ابا اسحق ابرهيم وحمل راسه اليه فاجتمعت العرب على عمر بن ابي زكريا بعد مرفقه من المعركة وقصدوا الدعي بتونس
فاستتر في بيت تاجر فقبض عليه فاعترف بانه دعي وانه من بجاية واسمه احمد بن مرزوق بن ابي عمار فضرب عنقه وكان
ابوه يتجر الي بلد السودان فسافر وعاد وقدم مصر وتردد الي الحدث الكاملية من الغلمان ثم عاد الي المغرب فلما مر بطرابلس
وجد رجلا اسود فقال له نصير من خواص الواثق المخلوع قد هرب وكان الدعي شبيها بالفضل ابن الواثق فبايع نصير الامر
فشهد له انه الفضل ابن الواثق وجمع العرب عليه حتى كان ما قد ذكر وكان الدعي خطب له بالخليفة المنصور بالله القايم
بحق الله امير المومنين بن امير المومنين ابو العباس الفضل ولما استقر ابو حفص عمر في المملكة قيل لقب بالمستنصر بالله

امير المومنين وهو المستنصر الثاني وسار في ايامه ابن اخيه يحيى بن ابرهيم بن ابي زكريا الذي سلم في المعركة وملك بجايه
ولقب بالمنتخب لاحياء دين الله امير المومنين ولم يزل ابو حفص عمر بن ابي زكريا في مملكته حتى مات في اوايل المحرم سنة خمس وتسعين
بعدما بايع لابن له صغير وابطل البيعه له وبايع ابا عصيدة وهو ابو عبد الله محمد بن الواثق المخلوع ولقب بالمستنصر
ومات في ايامه المنتخب يحيى صاحب بجايه وملكها بعده ابنه خالد ومات ابو عصيده سنة تسع وسبعمايه فملك بعده
ابو بكر بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن ابي زكريا بن عبد الواحد بن ابي حفص مايه عشر يوما ووصل خالد بن المنتخب من بجايه
الي تونس وقتل ابا بكر هذا وكان زكريا اللحياني بمصر فسار مع عسكر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الي طرابلس الغرب
وتابعه العرب وتوجه بهم الي تونس فخلع خالد وحبس ثم قتل قصاصا بابي بكر بن عبد الرحمن واستقر اللحياني في المملكة وهو
ابو يحيى زكريا بن احمد بن محمد اللحياني ابن عبد الواحد بن عبد الواحد بن ابي حفص فثار عليه ابو بكر بن يحيى المنتخب فهرب منه الي مصر واقام
بالاسكندرية وملك ابو بكر تونس وما معها خلا طرابلس والمهدية فانه لما فر اللحياني الي مصر بايع ابنه محمد لنفسه وحارب
ابا بكر فانهزم واستقر محمد بن اللحياني بالمهديه وله طرابلس معها وكان استقلال ابي بكر وهروب اللحياني الي مصر في سنة
تسع عشرة ثم وردت مكاتبات من اهل تونس علي اللحياني في ذي القعدة سنة احدى وعشرين بتوليه ابي بكر وانهم بايعوا
بابنه محمد بن ابي بكر مصرحه ويستدعونه

الخبر عن اجناس السودان اعلم ان السودان اهل الاقليم الثاني وما وراه الي اخر الاول بل والي اخر المعمور متصلون
ما بين المغرب والمشرق يجاورون بلاد البربر بالمغرب وافريقيه وبلاد اليمن والحجاز والبصره وما وراها من بلاد
الهند بالمشرق وهم اصناف وشعوب وقبايل اشهرهم بالمشرق الزنج والحبشه والنوبه فالحبشه من ولد
حبش بن كوش بن حام والنوبه من ولد نوبه بن كوش بن كنعان بن حام وقيل من ولد نوبا بن قوط بن مصر بن حام والزنج
من ولد زنجي بن كوش وساير الاساود من ولد قوط بن حام وقبايلهم تسع عشره امه الزنج وهم علي بحر الهند لهم
مدينه وهم مجوس وقاموا مع الدعي بالبصره في خلافه المعتمد ويليهم بربرا وفشي الاسلام فيهم ولهم مدينه
مقديشوا علي البحر الهندي ومن غربيهم وجنوبهم الدمادم وهم حفاه عراه وخرجوا الي بلاد الحبشه والنوبه عند
خروج الططر الي العراق بعد الستمايه فعاثوا فيها ثم رجعوا ويليهم الحبشه وهم اعظم امم السودان وعادوا دون
اليمن علي شاطي البحر الغربي ويدينون بالنصرانيه وفي شمال الزنج والحبشه قبايل البجا وهم نصاري ومسلمون لهم
جزيره سواكن ويليهم غربا النوبه ولهم مدينه دنقله غربي النيل واكثرهم نصاري ويليهم زغاي وهم مسلمون ومن
شعوبهم قاجو ويليهم الكانم وهم خلق عظيم والاسلام غالب عليهم ومدينتهم انجمي واول من اسلم من ملوكهم محمد بن
جبل بن عبد الله بن عثمان بن محمد بن اتي ويزعم انه من نسل سيف بن ذي يزن وازينه وبينه نحو ثلثين ملكا
وهو بدوي رحاله واذا جلس يسجد له اهل دولته وانبطحوا علي وجوههم ويبلغ عسكره مايه الف ما بين فارس وراجل
وحامل وبين انجمي الي النيل حلولبير كفار وجاور ملك انجمي وهو ملك الكانم خمسه ملوك وجلهم صغار والكانم اقليم
كبير عرقيه النيل التارل لغانه وبين انجمي واول ملك التاجو عشره مراحل وهناك امم من السودان عراه منهم
اهل اكلا وملكهم نوبي عادل ومنهم انتو واسم ملكهم منشور وهو شديد الغيره علي حرمه ويليه ملك خرنعال
له منيو وبعدها امه يقال لها كانكوام كانكوام ثم انقوم ثم امه الكرمي هولا يقال لعابدي وملكهم
زابومي ويليهم ملك كبير يقال له هرديي وقبيله يقال لها انكرز وهم كثيرا اهل تبر وغنم وقبيله ثم قبيله
نشاذي ومابني وابهم وقبايل انقنا وتاقلم ومكجي وهم عراه كلهم ويسخرون من يلبس ومابني قبيل كبير
وهناك قبيل اكبر منهم يقال لهم كالين في بلادهم شجر كبار وبركه من النيل وعرام ملك الكانم من انجمي في حدود
خمس وستمايه فقتل وسبا ومن وراهم في الغرب قبايل كبيره الي كوكو واكثر ما يليهم ودنو منو فيها اسما جد
لمسلمين وسلطانها عادل وقبيله انكلاريا كفار وهم اهل ابل ولباسهم الجلود وقبيل تكوكامي اول بلاد التاجو
اهل غار وشربهم من ما النيل والتاجو جنس من زغاوه يعبدون الحجاره ويحاربون اهل واتكوا
ديارهم علي عشر مراحل شرق انجيم وعليها مر النيل الي مصر ومن انجيم في الغرب بلاد البربر الملثمين اربعون
مرحله علي شاطي النيل الي مدينه تادمكه ومنها الي كوكو عشر مراحل ومن كوكو الي غانه عشرون مرحله
ووراء ذلك البحر المحيط وبعد التاجو مدينه دنقله قاعده النوبه في شمالي الكانم بلد فزان واهلها بربر

الي زويله في جنوب برقه والكانم اعظم ملوك السودان وفي غربيهم كوكو وبعدهم نقاته والتكرور وبلي
ويميم وجابي وانكوار ويتصلون بالبحر المحيط الي غانه في الغرب وكانم كوري وبرنو كوري وشمالها جميعا
وغايه يتصل بها جنوبا الحبشه وشرقا النوبه وشمالا بلاد برقه وغربا التكرور وكان ملكهم في حدود
سنه سبع مايه الحاج ابرهيم من ولد سيف بن ذي يزن وملك كوري كانم وكوري برنو وملك بعده ابنه الحاج ادريس
ثم اخوه داود بن ابرهيم ثم عمر بن اخيه الحاج ادريس ثم اخوه عثمن بن ادريس وكان قبيل سنه ثمانمايه واستقر عليهم
اهل كانم وارتدوا وبقيت برنو في مملكتهم وهم مسلمون يجاهدون اهل كانم ولهم اثنا عشر مملكه وكان ملك غانه
اعظم الملوك ثم غلب عليهم الملثمون فتلاشي ملكهم وغلب عليهم اهل صوصو ثم قوي اهل مالي وملكوهم وقد ذكرنا
اخبار مالي وملوكها كتاب درر العقود الفريده في ترجمه منسا موسي